

تَارِيخُ ابْنِ خَلْدُون

المُسَمَّى

قِيُولُ الْمُبْتَذِلِ وَالْخَبَرِ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ وَالسُّبُرِ
وَمِنْ عَايِرِهِمْ مِنْ ذَوِي السَّائِلِ الْكَبِيرِ

مُتَّالِفٌ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ خَلْدُون

٧٣٢-٨٠٨ هـ - ١٣٣٢-١٤٠٦ م

مراجعة الدكتور

سهيل زكار

ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس

الاستاذ خليل شحادة

طبعة مُسْتَكْمَلَةٌ وَمُقَارَنَةٌ مَعَ عِدَّةِ نَسَخٍ
وَمَخْطُوطَاتٍ وَمُذَيَّلَةٌ بِحَوَاشِيٍّ وَشُرُوحٍ وَتَمْتَازُ
بِفَهَارِسٍ لِلْمَوْضُوعَاتِ وَالْأَعْلَامِ وَالْأَمَاكِنِ الْجُغْرَافِيَّةِ

الجزء الثاني

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

جميع حقوق إعادة الطبع محفوظة للناشر

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

Email: darelfkr@cyberia.net.lb
E-mail: darlfikr@cyberia.net.lb
Home Page: www.darelfikr.com.lb



حارة حريك - شارع عبد النور - برقيًا: فكيك - صرب: ١١/٧٠٦١

تلفون: ٥٥٩٩٠٠ - ٥٥٩٩٠١ - ٥٥٩٩٠٢ - ٥٥٩٩٠٣

فاكس: ٥٥٩٩٠٤ - ٩٦١١٥٥٩٩



بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب الثاني ويشتمل :
أخبار العرب وأجياهم ودولهم منذ
مبدأ الخليقة الى هذا العهد

وفيه ذكر معاصريهم من الامم المشاهير ، مثل السريانيين والنبط والكلدانيين والفرس
والقبط وبني اسرائيل وبني يونان والروم ، والإللام بأخبار دولهم . ويتقدم الكلام في
ذلك مقدمتان :

إحداهما في أمم العالم وأنسابهم على الجملة .
الثانية في كيفية أوضاع الانساب في هذا الكتاب .

المقدمة الاولى في أمم العالم واختلاف أجياهم والكلام
على الجملة في أنسابهم

اعلم أن الله سبحانه وتعالى اعتمر هذا العالم بخلقه وكرم بني آدم باستخلافهم في
ارضه ، وبثهم في نواحيها لتمام حكمته ، وخالف بين أممهم وأجياهم إظهارا لآياته ،
فيتعارفون بالانساب ، ويختلفون باللغات والالوان ، ويتمايزون بالسير والمذاهب
والاخلاق ، ويفترقون بالنحل والأديان والأقاليم والجهات . فمنهم العرب والفرس
والروم وبني اسرائيل والبربر ، ومنهم الصقالبة والحبش والزنج ، ومنهم أهل الهند وأهل
بابل وأهل الصين وأهل اليمن وأهل مصر وأهل المغرب . ومنهم المسلمون والنصارى

واليهود والصابئة والمجوس ، ومنهم أهل الوبر وهم أصحاب الخيام والحلل وأهل المدبر
وهم أصحاب المجاشر والقرى والأطم ، ومنهم البدو الظواهر والحضر الأهلون . ومنهم
العرب أهل البيان والفصاحة والعجم وأهل الرطانة بالعبرانية والفارسية والإغريقية
واللطينية والبريرية . خالف أجناسهم وأحوالهم وألسنتهم وألوانهم لئتم أمر الله في اعتار
ارضه بما يتوزعونه من وظائف الرزق وحاجات المعاش بحسب خصوصياتهم ونحلهم
فتظهر آثار القدرة وعجائب الصنعة وآيات الوجدانية إن في ذلك لآياتٍ للعالمين .

واعلم أن الامتياز بالنسب أضعف المميزات لهذه الاجيال والأُمم لخفائه واندراسه
بدروس الزمان وذهابه . ولهذا كان الاختلاف كثيراً ما يقع في نسب الجيل الواحد أو
الأمّة الواحدة اذا اتصلت مع الايام وتشعبت بطونها على الأحقاب كما وقع في
نسب كثير من أهل العالم مثل اليونانيين والفرس والبربر وقحطان من العرب . فاذا
اختلفت الأنساب واختلفت فيها المذاهب وتباينت الدعاوى استظهر كل ناسب
على صحّة ما ادّعاه بشواهد الاحوال والمتعارف من المقارنات في الزمان والمكان وما
يرجع الى ذلك من خصائص القبائل وسمات الشعوب والفرق التي تكون فيهم منتقلة
متعاقبة في بنهم .

وسئل مالك رحمه الله تعالى عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك وقال من أين
يعلم ذلك ؟ ف قيل له فإلى إسماعيل فإنكر ذلك وقال من يخبره به ؟ وعلى هذا درج كثير
من علماء السلف وكره ايضا أن يُرفعَ في أنساب الأنبياء مثل أن يقال ابراهيم بن
فلان بن فلان وقال من يخبره به . وكان بعضهم إذا تلا قوله تعالى : « والذين من
بعدهم لا يعلمهم الا الله » قال : كَذَبَ النسابون . واحتجوا أيضا بحديث ابن
عباس أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغ نسبه الكريم الى عدنان قال من ههنا كذب
الנסابون . واحتجوا أيضا بما ثبت فيه أنه عِلْم لا ينفع وجهالة لا تضر إلى غير ذلك
من الاستدلالات .

وذهب كثير من أئمة المحدثين والفقهاء مثل ابن اسحق والطبري والبخاري الى جواز
الرفع في الأنساب ولم يكرهوه ، محتجين بعمل السلف فقد كان أبو بكر رضي الله عنه
أنسب قريش لقريش ومضر بل ولسائر العرب وكذا ابن عباس وجُبَيْر بن مطعم
وعَقِيل بن أبي طالب وكان من بعدهم ابن شهاب والزهري وابن سيرين وكثير من

التابعين . قالوا وتدعو الحاجة اليه في كثير من المسائل الشرعية مثل تعصيب الورثة وولاية النكاح والعاقلة في الديات والعلم بنسب النبي صلى الله عليه وسلم وأنه القُرشي الهاشمي الذي كان بمكة وهاجر الى المدينة فان هذا من فروض الايمان ولا يعذر الجاهل به . وكذا الخلافة عند من يشترط النسب فيها . وكذا من يفرق في الحرّية والاسترقاق بين العرب والعجم . فهذا كله يدعو الى معرفة الانساب ويؤكد فضل هذا العلم وشرفه فلا ينبغي أن يكون ممنوعا .

وأما حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغ نسبه الى عدنان قال من ههنا كذب النسّابون يعني من عدنان . فقد أنكر السُّهيلي روايته من طريق ابن عباس مرفوعاً وقال الأصح انه موقوف على ابن مسعود . وخرج السُّهيلي عن أم سلمة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : مُعَدُّ بن عدنان بن أدد بن زيد بن البري بن أعراق الثري . قال وفسرت أم سلمة زيدا بأنه الهُمَيْسَع والبري بأنه نَبْتُ أو نَابْتُ وأعراق الثري بأنه اسمعيل ، واسمعيل هو ابن ابراهيم وابراهيم لم تأكله النار كما لا تأكل الثرى . ورد السُّهيلي تفسير أم سلمة وهو الصحيح ، وقال إنما معناه معنى قوله صلى الله عليه وسلم كلکم بنو آدم وآدم من تراب لا يريد أن الهُمَيْسَع ومن دونه ابن لاسمعيل لِصُلْبِهِ وعُضْد ذلك باتفاق الأخبار على بعد المدة بين عدنان واسمعيل التي تستحيل في العادة أن يكون فيها بينهما أربعة آباء أو سبعة أو عشرة أو عشرون لأن المدة أطول من هذا كله كما نذكره في نسب عدنان فلم يبق في الحديث مُتَمَسِّكٌ لأحدٍ من الفريقين . وأما ما رووه من أن النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر فقد ضَعَّفَ الأئمة رَفَعَهُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم مثل الجرجاني وأبي محمد بن حزم وأبي عُمَرَ بن عَبْدِ البر .

وَأَلْحَقَ في الباب أن كل واحد من المذهبين ليس على إطلاقه فان الانساب القريبة التي يمكن التوصل إلى معرفتها لا يضرُّ الاشتغال بها لدعوى الحاجة اليها في الأمور الشرعية من التعصيب والولاية والعاقلة وفرض الايمان بمعرفة النبي صلى الله عليه وسلم ، ونسب الخلافة والتفرقة بين العرب والعجم في الحرّية والاسترقاق عند من يشترط ذلك كما مرَّ كله وفي الأمور العادية ايضا تثبت به اللُّحْمَةُ الطبيعية التي تكون بها المدافعة والمطالبة . ومنفعة ذلك في اقامة المُلْك والدين ظاهرة . وقد كان صلى

الله عليه وسلم وأصحابه يُنسَبون إلى مُضَرٍّ ويتساءلون عن ذلك . ورُوي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم . وهذا كله ظاهر في النسب القريب ، وأمَّا الأنساب البعيدة العسيرة المدرك التي لا يوقف عليها إلا بالشواهد والمقارنات لبعده الزمان وطول الأحقاب أو لا يوقف عليها رأساً لدروس الأجيال فهذا قد ينبغي أن يكون له وجه في الكراهة كما ذهب إليه من ذهب من أهل العلم مثل مالك وغيره لأنه شغل الإنسان بما لا يعنيه . وهذا وجه قوله صلى الله عليه وسلم فيما بعد عدنان من ههنا كذب النسَّابون لأنها أحقاب متطاولة ومعالِم دَرسَة لا تُثَلِّجُ الصُّدُورَ باليقين في شيء منها مع أنَّ علمها لا ينفع وجهلها لا يضر كما نقل والله الهادي إلى الصواب .

ولنأخذ الآن في الكلام في أنساب العالم على الجملة ونترك تفصيل كل واحد منها إلى مكانه فنقول : إنَّ النَّسَّابِينَ كُلَّهُم اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْأَبَ الْأَوَّلَ لِلْخَلِيقَةِ هُوَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كما وقع في التنزيل إلا ما يذكره ضُعَفَاءُ الْإِخْبَارِيِّينَ مِنْ أَنَّ الْجِنَّ وَالطَّمَّ أَمْتَانِ كَانَتَا فَمَا زَعَمُوا مِنْ قَبْلِ آدَمَ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ مَتْرُوكٌ وَلَيْسَ لَدَيْنَا مِنْ أَخْبَارِ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ إِلَّا مَا وَقَعَ فِي الْمَصْحَفِ الْكَرِيمِ وَهُوَ مَعْرُوفٌ بَيْنَ الْأُمَمَةِ . وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْأَرْضَ عَمُرَتْ بِنَسْلِهِ أَحْقَاباً وَأَجْيَالاً بَعْدَ أَجْيَالٍ إِلَى عَصْرِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّهُ كَانَ فِيهِمْ أَنْبِيَاءٌ مِثْلُ شِيثَ وَإِدْرِيسَ وَمُلُوكٌ فِي تِلْكَ الْأَجْيَالِ مَعْدُودُونَ وَطَوَائِفُ مَشْهُورُونَ بِالنِّحْلِ مِثْلُ الْكَلْدَانِيِّينَ وَمَعْنَاهُ الْمَوْحِدُونَ ، وَمِثْلُ السَّرْيَانِيِّينَ وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ . وَزَعَمُوا أَنَّ أُمَّمَ الصَّابِئَةِ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ صَابِيءَ بْنِ لَمَكِ بْنِ أَخْنُوخَ ، وَكَانَ نِخْلَتُهُمْ فِي الْكَوَاكِبِ وَالْقِيَامِ لَهَا كُلُّهَا وَاسْتَتَرَالُ رُوحَانِيَّتِهَا وَأَنَّ مِنْ حَزْبِهِمُ الْكَلْدَانِيِّينَ أَيِ الْمُؤَحِّدِينَ . وَقَدْ أَلْفَ أَبُو اسْحَقَ الصَّابِي الْكَاتِبُ مَقَالَةً فِي أَنْسَابِهِمْ وَنَحْلَتِهِمْ . وَذَكَرَ أَخْبَارَهُمْ أَيْضاً دَاهِرُ مُؤَرِّخِ السَّرْيَانِيِّينَ وَالْبَابَا الصَّابِي الْحَرَّانِي وَذَكَرُوا اسْتِيلَاءَهُمْ عَلَى الْعَالَمِ وَجُمَلًا مِنْ نَوَامِيسِهِمْ . وَقَدْ ائْتَدَرَسُوا وَانْقَطَعَ أَثَرُهُمْ . وَقَدْ يَقَالُ أَنَّ السَّرْيَانِيِّينَ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْأَجْيَالِ ، وَكَذَلِكَ النُّمْرُودُ وَالْأَزْدِهَاقُ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالضَّحَّاكِ مِنْ مُلُوكِ الْفُرْسِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ .

وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الطَّوْفَانَ الَّذِي كَانَ فِي زَمَنِ نُوحٍ وَبَدَعُوهُ ذَهَبَ بِعُمُرَانِ الْأَرْضِ أَجْمَعٍ بِمَا كَانَ مِنْ خَرَابِ الْمَعْمُورِ وَمَهْلَكِ الَّذِينَ رَكَبُوا مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ وَلَمْ يَعْقِبُوا فَصَارَ

أهل الأرض كلهم من نسله وعاد أباً ثانياً للخليقة وهو نوح بن لامك ويقال لمك بن متوشلخ بفتح اللام وسكونها ابن خنوخ ، ويقال أخنوخ ، ويقال أشنخ ، ويقال أخنخ وهو إدريس النبي فيما قاله ابن إسحق ابن بيرد ويقال بيرد بن مهلائيل ويقال ماهلائيل بن قايين ويقال قين بن أنوش ويقال يانش بن شيث بن آدم ، ومعنى شيث عطية الله هكذا نسبه ابن إسحق وغيره من الأئمة وكذا وقع في التوراة نسبه وليس فيه اختلاف بين الأئمة . ونقل ابن إسحق أن خنوخ الواقع إسمه في هذا النسب هو إدريس النبي صلوات الله عليه وهو خلاف ما عليه الأكثر من النسابين فإن إدريس عندهم ليس بجده لنوح ولا في عمود نسبه وقد زعم الحكماء الأقدمون أيضاً أن إدريس هو هرمس المشهور بالإمامة في الحكمة عندهم . وكذلك يقال : أن الصابئة من ولد صابى بن لامك وهو أخو نوح عليه السلام . وقيل أن صابى متوشلخ جده .

واعلم أن الخلاف الذي في ضبط هذه الأسماء إنما عرض في مخارج الحروف فإن هذه الأسماء إنما أخذها العرب من أهل التوراة ومخارج الحروف في لغتهم غير مخارجها في لغة العرب ، فاذا وقع الحرف متواسطاً بين حرفين من لغة العرب ، فترده العرب تارة الى هذا وتارة الى هذا . وكذلك إشباع الحركات قد تحذفه العرب اذا نقلت كلام العجم ، فمن هنا اختلف الضبط في هذه الأسماء .

واعلم أن الفرس والهند لا يعرفون الطوفان وبعض الفرس يقولون كان بابل فقط . واعلم أن آدم هو كيومرث وهو نهاية نسبهم فيما يزعمون ، وأن أفريدون الملك في آبائهم هو نوح ، وأنه بُعث لازدهاق وهو الضحاك فلبسه الملك وقبلة كما يذكر بعد في أخبارهم . وقد ترجح صحة هذه الأنساب من التوراة وكذلك قصص الأنبياء الأقدمين إذ أخذت عن مسلمي يهودا ومن نسخ صحيحة من التوراة يغلب على الظن صحتها وقد وقعت العناية في التوراة بنسب موسى عليه السلام واسرائيل وشعوب الأسباط ونسب ما بينهم وبين آدم صلوات الله عليه . والنسب والقصص أمر لا يدخله النسخ فلم يبق التحري النسخ الصحيحة والنقل المعتمد . وأما ما يقال من أن علماءهم بدلوا مواضع من التوراة بحسب أغراضهم في ديانتهم . فقد قال ابن عباس على ما نقل عنه البخاري في صحيحه : أن ذلك بعيد ، وقال معاذ الله ان تعمده أمة الأمم الى كتابها المنزل على نبيها فتبدله أو ما في معناه ، وقال وإنما بدلوه

وحرّفوه بالتأويل ويشهد لذلك قوله تعالى : « وعندهم التوراة فيها حكم الله » ولو بدّلوا من التوراة ألفاظها لم يكن عندهم التوراة التي فيها حكم الله وما وقع في القرآن الكريم من نسبة التحريف والتبديل فيها إليهم فإنما المعنى به التأويل اللهم إلا أن يطرّفها التبديل في الكلمات على طريق الغفلة وعدم الضبط . وتحريف من لا يحسن الكتابة بنسخها فذلك يمكن في العادة لا سيما وملكهم قد ذهب ، وجماعتهم انتشرت في الآفاق واستوى الضابط منهم وغير الضابط ، والعالم الجاهل ، ولم يكن وازع يحفظ لهم ذلك لذهاب القدرة بذهاب الملك فتطرّق من أجل ذلك الى صحف التوراة في الغالب تبديل وتحريف غير متعمد من علمائهم وأخبارهم . ويمكن مع ذلك الوقوف على الصحيح منها اذ تحرّى القاصد لذلك بالبحث عنه .

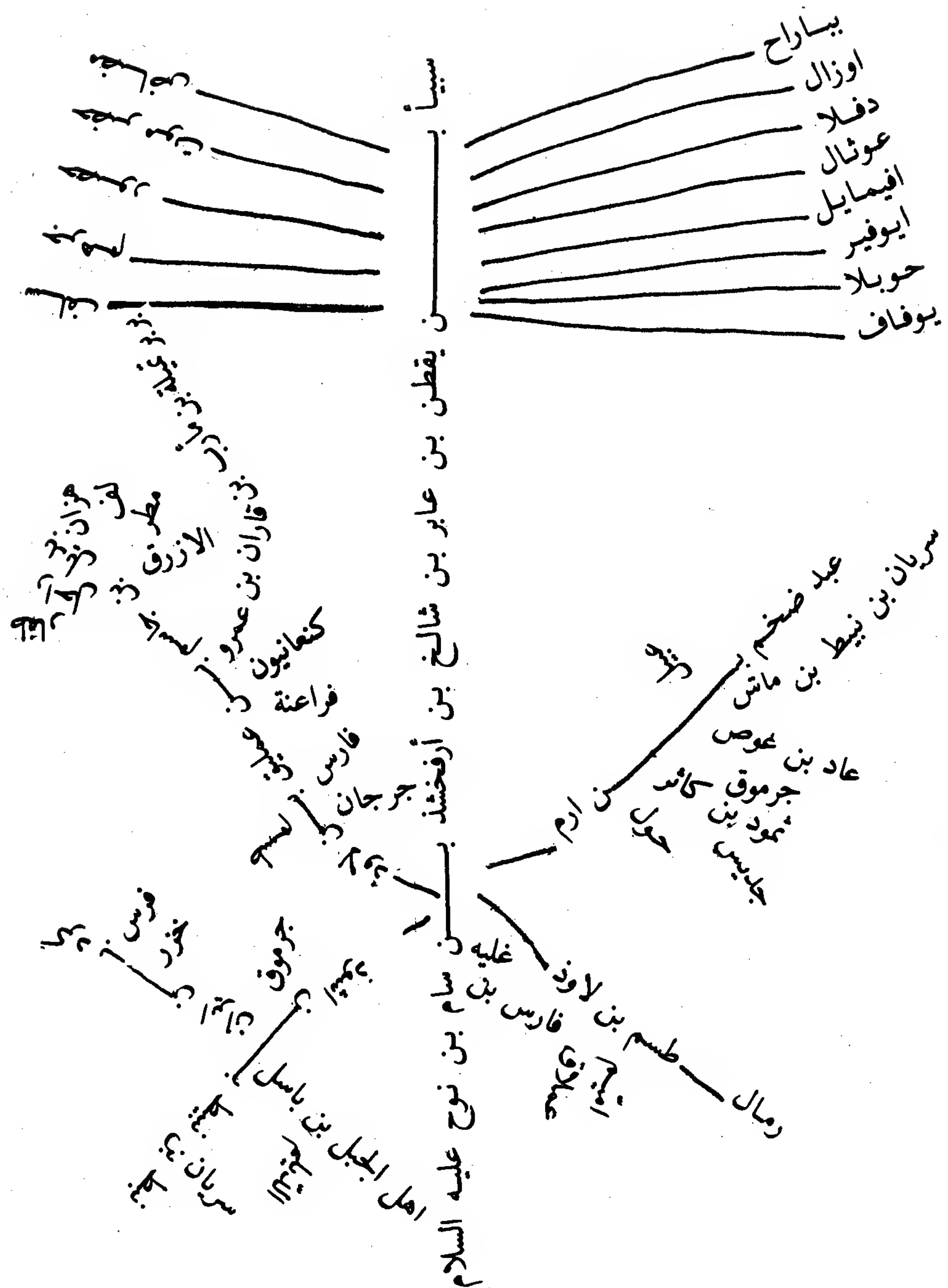
ثم اتفق النسابون ونقلت المفسرين على أن ولد نوح الذين تفرّعت الأمم منهم ثلاثة : سام وحام ويافث وقد وقع ذكرهم في التوراة ، وأن يافث أكبرهم وحام الأصغر وسام الأوسط . وخرّج الطبري في الباب أحاديث مرفوعة بمثل ذلك وأن سام أبو العرب ، ويافث أبو الروم ، وحام أبو الحبش والزنج وفي بعضها السودان . وفي بعضها سام أبو العرب وفارس والروم ، ويافث أبو الترك والصقالبة وبأجوج ومأجوج ، وحام أبو القبط والسودان والبربر ، ومثله عن ابن المسيّب ووهب بن منبّه . وهذه الأحاديث وإن صحّت فإنما الأنساب فيها جملة ولا بدّ من نقل ما ذكره المحققون في تفرّيع أنساب الأمم من هؤلاء الثلاثة واحداً واحداً . وكذلك نقل الطبري أنه كان لنوح ولد اسمه كنعان وهو الذي هلك في الطوفان ، قال وتسميه العرب يام ، وآخر مات قبل الطوفان اسمه عابر . وقال هشام كان له ولد اسمه بوناطر والعقب إنما هو من الثلاثة على ما أجمع عليه الناس وصحت به الأخبار ، فأما سام فمن ولده العرب على اختلافهم وإبراهيم وبنوه صلوات الله عليهم باتفاق النسابين . والخلاف بينهم إنما هو في تفرّيع ذلك أوفي نسب غير العرب الى سام .

فالذي نقله ابن اسحق : أن سام بن نوح كان له من الولد خمسة وهم : أرفخشذ ولاوذ وإرم وأشوذ وغليم . وكذا وقع ذكر هذه الخمسة في التوراة وأن بني أشوذ هم أهل الموصل ، وبني غليم أهل خوزستان ومنها الأهواز . ولم يذكر في التوراة ولد لاوذ . وقال ابن اسحق : وكان للاوذ أربعة من الولد : وهم طسم وعمليق وجرجان وفارس قال : ومن العماليق أمّة جاسم فمنهم بنو لاف وبنو هزان وبنو مطر

وبنو الأزرَق ومنهم بُدَيْل وراحِل وظَفَّار ، ومنهم الكنعانيون وبرابرة الشام وفراعنة مِصْرَ . وعن غير ابن إسحق أَنَّ عبد بن ضَخَم وأُمَيْم من وُلد لاوَد . قال ابن إسحق : وكانت طَسَم والعماليق وأُمَيْم وجاسم يتكلمون بالعربية وفارس يحاورونهم إلى المشرق ويتكلمون بالفارسية .

قال ووُلدُ إِرَمَ : عُوَصُ وكَاثِرُ وعُبَيْلُ ومن وُلد عِوَصُ عَادٌ ومنزلهم بالرمال والأحقاف إلى حضرموت . ومن وُلد كَاثِرُ ثُمُودٌ وجَدِيسُ ومنزل ثُمُودَ بالحِجْرَيْنِ الشام والحجاز .

وقال هشام بن الكلبي : عُبَيْلُ بن عوص أَخو عاد . وقال ابن حَزْمَ عن قدماء النسَّابِينَ : أَنَّ لاوَدَ هو ابن إِرَمَ بن سام أَخو عوص وكَاثِرُ . قال : فعلى هذا يكون جدِيسُ و ثُمُودُ أَخَوَيْنِ ، وطَسَمُ وعِمْلَاقُ أَخَوَيْنِ أَبْنَاءُ عَمِّ لِحَامٍ وكلهم بنو عم عاد . قال : ويذكرون أَنَّ عبد بن ضَخَمَ بن إِرَمَ وَأَنَّ أُمَيْمَ بن لاوَدَ بن إِرَمَ . قال الطبري : وفهَّم الله لسانَ العربيَّةِ عاداً و ثُمُودَ وعُبَيْلَ وطَسَمَ وجَدِيسَ وأُمَيْمَ وعِمْلِيقَ وهم العَرَبُ العاربة . وربما يقال : إِنَّ من العرب العاربة يَقْطُنُ أَيْضاً ، ويسمون أَيْضاً العرب البائدة ولم يبقَ على وجه الأرض منهم أحد . قال : وكان يقال عادُ إِرَمَ فلماً هَلِكُوا قيل ثُمُودُ إِرَمَ ثُمَّ هَلِكُوا فقيل لسائر وُلدِ إِرَمَ أَرَمَانُ وهم النَّبَطُ . وقال هشام بن محمد الكلبي : إِنَّ النَّبَطَ بنو نَبِيطَ بن ماشِ بن إِرَمَ والسريان بنو سُرِيانَ بن نَبِيطَ . وذكر أَيْضاً أَنَّ فَارِسَ من ولد أشوذ بن سام وقال فيه فارس بن طبراش بن أشوذ ، وقيل أَنهم من أُمَيْمَ بن لاوَدَ وقيل ابن غَلِيمَ وفي التوراة : ذكر ملك الأهواز واسمه كرد لا عمرو من بني غليم والأهواز متصلة ببلاد فارس . ففعل هذا القائل ظنَّ أَنَّ أَهْلَ أهواز هم فارس والصحيح أَنهم من وُلدِ يافث كما يُذكر . وقال أَيْضاً إِنَّ البربر من ولد عِمْلِيقَ بن لاوَدَ وَأَنهم بنو تَمِيلَةَ من مَأْرِبَ بن قَارَانَ بن عمر بن عَمْلِيقَ والصحيح أَنهم من كنعان بن حام كما يذكر . وذكر في التوراة ولد إِرَمَ أربعة عوص وكَاثِرُ و ماشِ ويقال مَشَحْ والرابع حول . ولم يقع عند بني إِسْرَائِيلَ في تفسير هذا شيءٌ إِلَّا أَنَّ الجرامقة من ولد كَاثِرَ . وقد قيل إِنَّ الكرد والدَّيْلَمَ من العرب . وهو قول مرغوبٌ عنه . وقال ابن سعيد كان لأشوذ أربعة من الولد إيران ونَبِيطُ وجرموق وباسل فمن إيران الفرس والكرد والخزر ، ومن نَبِيطَ النَّبَطُ والسريان ، ومن جرموق الجرامقة وأهل الموصل ، ومن باسل الدَّيْلَمَ وأهل الجبل . قال الطبري : ومن وُلدِ أَرْفَخْشَدَ العبرانيون



وبنو عابر بن شالخ بن أرفخشذ وهكذا نسبة في التوراة . وفي غيره أن شالخ بن قين بن أرفخشذ وإنما لم يذكر قين في التوراة لأنه كان ساحراً وادّعى الألوهية .
وعند بعضهم أن النمرود من ولد أرفخشذ وهو ضعيف وفي التوراة أن عابر ولد إثنين من الولد هما فالغ ويقطن ، وعند المحققين من النسابة أن يقطن هو قحطان عربته العرب هكذا . ومن فالغ إبراهيم عليه السلام وشعوبه ويأتي ذكرهم . ومن يقطن شعوب كثيرة في التوراة ذكر ثلاثة من الولد له وهم : الميرذاذ ومعربه ومضاخ وهم جرهم وإرم وهم حضور وسالف وهم أهل السلفات وسباوهم أهل اليمن من حمير والتبابعة وكهلان وهدرماوت وهم حضرموت . هؤلاء خمسة ، وثمانية أخرى ننقل أسماءهم وهي عبرانية ولم نقف على تفسير شيء منها ولا يُعلم من أي البطون هم ، وهم : بياراح وأوزال ودفلا وعوثال وأفمايل وأيوفير وحويلا ويوفاف ، وعند النسابين أن جرهم من ولد يقطن فلا أدري من أيهم ، وقال هشام بن الكلبي : إن الهند والسند من نوfer بن يقطن والله أعلم .

وأما يافث فمن ولده الترك والصين والصقالبة ويأجوج ومأجوج باتفاق من النسابين . وفي آخرين خلاف كما يذكر . وكان له من الولد على ما وقع في التوراة سبعة . وهم كومر وياوان وماذاي وماغوغ وقطوبال وماشخ وطيراش وعدّهم ابن اسحق هكذا وحذف ماذاي ولم يذكر كومر وتوغرما وأشبان وريغات هكذا في نص التوراة . ووقع في الإسرائيليات أن توغرما هم الخزر ، وأن أشبان هم الصقالبة ، وأن ريغات هم الإفرنج ويقال لهم برنسوس ، والخزر هم التركمان وشعوب الترك كلهم من بني كومر ولم يذكروا من أي الثلاثة هم . والظاهر أنهم من توغرما ونسبهم ابن سعيد إلى الترك ابن عامور بن سويل بن يافث ، والظاهر أنه غلط وأن عامور هو كومر صحف عليه .
وهم أجناس كثيرة منهم الطغرغر وهم التتر والخطا وكانوا بأرض طغاج والخزلقية والغز الذين كان منهم السلجوقية والهياطلة الذين كان منهم الخلع ، ويقال للهياطلة الصغد أيضاً . ومن أجناس الترك الغور والخزر والقفجاق ، ويقال الخفشاخ ، ومنهم يملك والعلان ، ويقال الأز ، ومنهم الشركس وأزكش . ومن ماغوغ عند الإسرائيليين يأجوج ومأجوج ، وقال ابن اسحق : إنهم من كومر ومن ماذاي الديلم ويسمون في اللسان العبراني ماهان . ومنهم أيضاً همدان وجعلهم بعض الإسرائيليين من بني همدان بن يافث وعد همدان ثامناً للسبعة المذكورين من ولده .

وأما ياوان واسمه يونان فعند الإسرائيليين أنه كان له من الولد أربعة وهم : داود بن واليشا وكيتم وترشيش ، وأن كيتم من هؤلاء الأربعة هو أبو الروم والباقي يونان ، وأن ترشيش أهل طرسوس .

وأما قطوبال فهم أهل الصين من المشرق والليمان من المغرب . ويقال أن أهل افريقية قبل البربر منهم وأن الإفرنج أيضا منهم . ويقال أيضا أن أهل الأندلس قديماً منهم . وأما ماشخ فكان ولده عند الإسرائيليين بخراسان وقد انقضوا لهذا العهد فيما يظهر وعند بعض النسابين أن الأشبان منهم .

وأما طيراش فهم الفرس عند الإسرائيليين وربما قال غيرهم إنهم من كومر وأن الخزر والترك من طيراش وأن الصقالبة وبرجان والأشبان من ياوان وأن ياجوج ومأجوج من كومر وهي كلها مزاعم بعيدة عن الصواب . وقال اهروشيوش مؤرخ الروم أن القوط واللطين من ماغوغ . وهذا آخر الكلام في أنساب يافث .

وأما حام فمن ولده : السودان والهند والسند والقطب وكنعان باتفاق . وفي آخرين خلاف نذكره وكان له على ما وقع في التوراة أربعة من الولد وهم مصر ويقول بعضهم مصريم وكنعان وكوش وقوط . فمن ولد مصر عند الإسرائيليين فتروسيم وكسلوحيم ووقع في التوراة فلسنين منها معاً . ولم يتعين من أحدهما وبنو فلسنين الذين كان منهم جالوت . ومن ولد مصر عندهم كفتورع ويقولون هم أهل دمياط ووقع الانقلوس ابن أخت قيطش الذي خرب القدس في الجلوة الكبرى على اليهود . قال إن كفتورع هو قبطقاي ويظهر من هذه الصيغة أنهم القبط لما بين الإسمين من الشبه . ومن ولد مصر عنانيم وكان لهم نواحي إسكندرية وهم أيضاً بفتوحيم ولوديم ولها بيم . ولم يقع إلينا تفسير هذه الأسماء . وأما كنعان بن حام فذكر من ولده في التوراة أحد عشر منهم صيدون ولهم ناحية صيدا وإيموري وكرساش ، وكانوا بالشام وانتقلوا عندما غلبهم عليه يوشع إلى أفريقية فأقاموا بها . ومن كنعان أيضاً ييوسا وكانوا بيت المقدس وهربوا أمام داود عليه السلام حين غلبهم عليه إلى أفريقية والمغرب وأقاموا بها . والظاهر أن البربر من هؤلاء المنتقلين أولاً وآخرأ إلا أن المحققين من نسابتهم على أنهم من ولد مازيغ بن كنعان فلعل مازيغ ينتسب إلى هؤلاء . ومن كنعان أيضاً حيث الذين كان ملكهم عوج بن عناق . ومنهم عرفان وأروادي وخوي ولهم نابلس وسبنا ولهم طرابلس وضماري ولهم حمص وحما ولهم أنطاكية وكانت تسمى حما باسمهم وأما كوش بن حام

فذكر له في التوراة خمسة من الولد وهم سقنا وسبا وجويلا ورعما وسفخا ومن ولد رعماشاو وهم السند ودادان وهم الهند . وفيها أن النمرود من ولد كوش ولم يعينه وفي تفاسيرها أن جويلا زويلة وهم أهل برقة . وأما أهل اليمن من ولد سبا . وأما قوط فعند أكثر الإسرائيليين أن القبط منهم . ونقل الطبري عن ابن اسحق أن الهند والسند والحبشة من بني السودان من ولد كوش . وأن النوبة وفزان وزغاوة والزنج منهم من كنعان . وقال ابن سعيد أجناس السودان كلهم من ولد حام ونسب ثلاثة منهم الى ثلاثة سماهم من ولده غير هؤلاء الحبشة الى حبش ، والنوبة الى نوبة أو نوى ، والزنج الى زنج ، ولم يسم أحداً من آباء الأجناس الباقية وهؤلاء الثلاثة الذين ذكروا لم يعرفوا من ولد حام فلعلهم من أعقابهم ، أو لعلها أسماء أجناس . وقال هشام بن محمد الكلبي إن النمرود هو ابن كوش بن كنعان . وقال أهروشيوش مؤرخ الروم : إن سبا وأهل افريقية يعني البربر من جويلا بن كوش ويسمى يصول وهذا والله أعلم غلط لأنه مرّ أن يصول في التوراة من ولد يافث ولذلك ذكر أن حبشة المغرب من دادان ابن رعما من ولد مصر بن حام بنو قبط بن لاب بن مصر اهـ الكلام في بني حام . وهذا آخر الكلام في أنساب أمم العالم على الجملة والخلاف الذي في تفاصيلها يذكر في أماكنه والله وليّ العون والتوفيق .

بربر بن اموري ————— كنعان بن حام بن نوح عليه السلام

کرمسائش

بيوميا

صيدون

حب

خوي

سفنا غروذ سب

کوش

جواباً

५५

دادا ذبن
پہما

4

३७

१७

1975

ਜੀਤ

الفنونه
فوط

عن ابن

عنا

لحمه

مختصر

2

७३

عند الاسرائيليين القبط بن قوط

المقدمة الثانية في كيفية وضع الانساب في كتابنا لأهل الدول وغيرهم

اعلم أن الأنساب تتشعب دائماً وذلك أن الرجل قد يكون له من الولد ثلاثة أو أربعة أو أكثر ، ويكون لكل واحد منهم كذلك ، وكل واحد منهم فرعٌ ناشئٌ عن أصلٍ أو فرعٌ أو عن فرعٍ فرعٌ فصارت بمثابة الأغصان للشجرة تكون قائمة على ساق واحدة هي أصلها والفروع عن جانبها ، ولكل واحدٍ من الفروع فروعٌ أخرى إلى أن تنتهي إلى الغاية . فلذلك اخترنا بعد الكلام على الأنساب للأمة وشعوبها أن نضع ذلك على شكل شجرة نجعل أصلها وعمود نسبها باسم الأعظم من أولئك الشعوب ومن له التقدم عليهم فيجعل عمود نسبها أصلها وتفرع الشعوب الأخرى عن جانبه من كل جهة ، كأنها فروع لتلك الشجرة حتى تتصل تلك الأنساب عموداً وفروعاً بأصلها الجامع لها ظاهرة للعيان في صفحة واحدة ، فترسم في الخيال دفعة ويكون ذلك أعون على تصوّر الأنساب وتشعبها . فإن الصور الحسية أقرب إلى الإرتسام في الخيال من المعاني المتعلقة . ثم لما كانت هذه الأمم كلها لها دول وسلطان ، اعتمدنا بالقصد الأول ذكر الملوك منهم في تلك الشجرات متصلة أنسابهم إلى الجهد الذي يجمعهم ، بعد أن نرسم على كل واحد منهم رتبته في تعاقبهم واحداً بعد واحدٍ بحروف أب ج د فالألف للأول والباء للثاني والجيم للثالث والداد للرابع والهاء للخامس وهلم جرّاً . ونهاية الأجداد لأهل تلك الدولة في الآخر منهم ، ويكون للأول غصون وفروع في كل جهة عنه فإذا نظرت في الشجرة علمت أنساب الملوك في كل دولة وترتيبهم بتلك الحروف واحداً بعد واحد والله أعلم بالصواب .

القول في أجيال العرب وأوليتها واختلاف طبقاتهم وتعاقبها وأنساب كل طبقة منها

اعلم أن العرب منهم الأمة الراحلة الناجعة ، أهل الخيام لسكناهم والخيول لركوبهم ، والأنعام لكسبهم ، يقومون عليها ، ويقتاتون من ألبانها ، ويتخذون الدفء والاثاث من أوبارها وأشعارها ، ويحملون أثقالهم على ظهورها . يتنازلون حِللاً متفرقة ،

ويبتغون الرزق في غالب أحوالهم من القنص ، ويختطف الناس من السبل ،
ويتقلبون دائماً في المجالات فراراً من حمارة القيظ تارة ، وصبارة البرد أخرى ،
وانتجاعاً لمراعي غنمهم ، وارتداداً لمصالح إبلهم الكفيلة بمعاشهم ، وحمل أثقالهم
ودفعهم ومنافعهم ، فاختصوا لذلك بسكنى الإقليم الثالث ما بين البحر المحيط من
المغرب الى أقصى اليمن وحدود الهند من المشرق . فعمروا اليمن والحجاز ونجداً وتهامة
وما وراء ذلك مما دخلوا إليه في المائة الخامسة كما ذكروه من مصر وصحاري برقة
وتلولها وقسنطينة وأفريقية وزاغا والمغرب الأقصى والسوس ، لاختصاص هذه البلاد
بالرمال والقفار المحيطة بالأرياف والتلول والأرياف الآهلة بمن سواهم من الأمم في
فصل الربيع وزخرف الأرض لرعي الكلاً والعشب في منابتها ، والتنقل في نواحيها الى
فصل الصيف لمدة الأقوات في سنتهم من حبوبها . وربما يلحق أهل العمران اثناء
ذلك معرات من أضرارهم بإفساد السابلة ، ورعي الزرع مخضراً ، وانتهابه قائماً
وحصيداً إلا ما حاطته الدولة ، وذادت عنه الحامية في الممالك التي للسلطان عليهم
فيها . ثم ينحدرون في فصل الخريف الى القفار لرعي شجرها ، ونتاج إبلهم في
رمالها ، وما أحاط به عملهم من مصالحها ، وفراراً بأنفسهم وظعائهم من أذى البرد
الى دفء مشاتها . فلا يزالون في كل عام مترددين بين الريف والصحراء ما بين الإقليم
الثالث والرابع صاعدين ومنحدرين على ممر الأيام ، شعارهم لبس المخيط في
الغالب ، ولبس العمام تيجاناً على رؤسهم يرسلون من أطرافها عذبات يتلثم قوم منهم
بفضلها وهم عرب المشرق ، وقوم يلقون منها الليث والاختدع قبل لبسها ثم يتلثمون بما
تحت اذقانهم من فضلها وهم عرب المغرب حاكوا بها عمام زناتة من أمم البربر
قبلهم . وكذلك لقنوا منهم في حمل السلاح اعتقال الرماح الخطية ، وهجروا تنكب
القسي . وكان المعروف لأولهم ومن بالمشرق لهذا العهد منهم استعمال الأمرين .
ثم إن العرب لم يزالوا موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق
والذلاقة في اللسان ولذلك سمو بهذا الاسم فإنه مشتق من الابانة لقولهم أعرب
الرجل عما في ضميره إذا أبان عنه . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : «الشب تعرب عن
نفسها» . والبيان سميتهم بين الأمم منذ كانوا . وانظر قصة كسرى لما طلب من خليفته على
العرب النعمان بن المنذر أن يوفد عليه من كبرائهم وخطبائهم من رضي لذلك ، فاختار
منهم وفيدأوفده عليه وكان من خبره واستغراب ما جاؤابه من البيان ما هو معروف .

فهذه كلها شعائرهم وسماتهم وأغلبها عليهم اتخاذ الإيل والقيام على نتائجها وطلب الانتجاع بها الارتياح مراعيها ومفاحص توليدها بما كان معاشهم منها . فالعرب أهل هذه الشعار من أجيال الآدميين . كما أن الشاوية أهل القيام على الشاة والبقر لما كان معاشهم فيها فلهذا لا يختصون بنسب واحد بعينه الا بالعرض ولذلك كان النسب في بعضهم مجهولاً عند الأكثر وفي بعضهم خفياً على الجمهور . وربما تكون هذه السمات والشعائر في أهل نسب آخر فيدعون باسم العرب إلا أنهم في الغالب يكونون أقرب الى الأولين من غيرهم . وهذا الانتقال لا يكون إلا في أزمدة متطاولة وأحقاب متداولة . ولذلك يعرض في الأنساب ما يعرض من الجهل والخفاء .

واعلم أن جيل العرب بعد الطوفان وعصر نوح عليه السلام كان في عاد الأولى وثمود والعمالة وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت ومن ينتمي إليهم من العرب العاربة من أبناء سام بن نوح . ثم لما انقرضت تلك العصور وذهب أولئك الأمم وأبادهم الله بما شاء من قدرته وصار هذا الجيل في آخرين ممن قرب من نسبهم من حمير وكهلان وأعقابهم من التبابعة ومن إليهم من العرب المستعربة من أبناء عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام . ثم لما تطاولت تلك العصور وتعاقت وكان بنو فالغ بن عابر أعالم من بين ولده واختص الله بالنبوة منهم إبراهيم بن تارخ^(١) وهو آزر بن ناحور بن ساروخ بن أرغوب بن فالغ وكان من شأنه مع نمروذ ما قصه القرآن . ثم كان من هجرته الى الحجاز ما هو مذكور ، وتخلف ابنه اسمعيل مع أمه هاجر بالحجر قرباناً لله ، ومّرت بها رفقة من جرهم في تلك المفازة فخالطوها ونشأ اسمعيل بينهم ، وربّي في أحيائهم ، وتعلم لغتهم العربية بعد أن كان أبوه أعجمياً . ثم كان بناء البيت كما قصه القرآن ، ثم بعثه الله الى جرهم والعمالة الذين كانوا بالحجاز فأمن كثير منهم واتبعوه . ثم عظم نسله وكثر وصار بالجيل آخر من ربيعة ومضر ومن إليهم من إياد وعك وشعوب نزار وعدنان وسائر ولد اسمعيل وهم العرب التابعة للعرب . ثم انقرض أولئك الشعوب في أحقاب طويلة وانقرض ما كان لهم من الدولة في الإسلام . وخالطوا العجم بما كان لهم من التغلب عليهم ففسدت لغة أعقابهم في آماذ متطاولة وبقي خلفهم أحياء بادين في القفار والرمال والخلاء من الأرض تارة والعمران تارة . وقبائل بالمشرق والمغرب والحجاز واليمن وبلاد الصعيد والنوبة والحبشة وبلاد الشام والعراق

(١) تارخ او تارح كما في التورات .

والبحرين وبلاد فارس والسند وكرمان وخراسان ، أم لا يأخذها الحصر والضبط ،
قد كاثروا أم الأرض لهذا العهد شرقاً وغرباً ، واعتزوا عليهم فهم اليوم أكثر أهل
العالم وأملك لأمرهم من جميع الأمم . ولما كانت لغتهم مستعجمة على اللسان المضري
الذي نزل به القرآن ، وهو لسان سلفهم ، سميناهم لذلك العرب المستعجمة فهذه
أجيال العرب منذ مبدأ الخليقة ولهذا العهد في أربع طبقات متعاقبة ، كان لكل طبقة
منها عصور وأجيال ودول وأحياء وقعت العناية بها دون من سواهم من الأمم لكثرة
أجيالهم واتساع النطاق من ملكهم . فلنذكر لكل طبقة أحوال جيلها وبعض أيامهم
ودولهم ، ومن كان عهدهم من ملوك الأمم ودولهم ، ليتبين لك بذلك مراتب
الأجيال في الخليقة كيف تعاقبت والله سبحانه وتعالى ولي العون .

برنامج بما تضمنه الكتاب من الدول في هذه الطبقات الأربع على ترتيبها والدول المعاصرين من العجم في كل طبقة منها

فنبداً أولاً بذكر الطبقة الأولى وهم العرب العاربة ونذكر أنسابهم ومواطنهم وما كان
لهم من الملك والدولة . ثم الطبقة الثانية وهم العرب المستعربة من بني حمير بن سبا
ونذكر أنسابهم وما كان لهم من الملك باليمن في التبابعة وأعقابهم . ثم نرجع إلى ذكر
معاصرهم من العجم وهم ملوك بابل من السريانيين ثم ملوك الموصل ونيوى من
الجرامقة ثم القبط وملوكهم بمصر ، ثم بني إسرائيل ودولهم بيت المقدس قبل تخريب
بختنصر وبعده وبالصابئة ، ثم الفرس ودولهم الأولى والثانية ، ثم يونان ودولهم
الإسكندر وقومه ، ثم الروم ودولهم في القياصرة وغيرهم .

ثم نرجع إلى ذكر الطبقة الثالثة وهم العرب التابعة للعرب من قضاعة وقحطان
وعدنان وشعبيها العظيمين ربيعة ومضر . فنبداً بقضاعة وأنسابهم وما كان لهم من
الملك البدوي في آل النعمان بالحيرة والعراق ومن زاحمهم فيها من ملوك كندة بني حجر
آكل المرار . ثم ما كان لهم أيضاً من الملك البدوي بالشام في بني جفنة بالبلقاء
والأوس والخزرج بالمدينة النبوية . ثم عدنان وأنسابهم وما كان لهم من الملك بمكة في
قريش ثم ما شرفهم الله به وجيل الآدميين أجمع من النبوة ، وذكر الهجرة والسير
النبوية ، ثم نذكر ما أكرمهم الله به من الخلافة والملك فنترجم للخلفاء الأربعة وما
كان على عصرهم من الردة والفتوحات والفتن . ثم نذكر خلفاء الإسلام من بني أمية

وما كان لعهدهم من أمر الخوارج . ثم نذكر خلفاء الشيعة وما كان لهم من الدول في الإسلام . فالأولى الدولة العظيمة لبني العباس التي انتشرت في أكثر ممالك الإسلام ، ثم دولة العلوية المزاحمين لها بعد صدر منها وهي دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى ، ثم دولة العبيدية من الإسماعيلية بالقيروان ومصر ، ثم القرامطة بالبحرين ، ثم دعاة طبرستان والديلم ثم ما كان من هؤلاء العلوية بالحجاز ثم نذكر بني أمية المنازعين لبني العباس بالأندلس وما كان لهم من الدولة هنالك والطوائف من بعدهم ، ثم نرجع الى ذكر المستبدين بالدعوة العباسية بالمغرب والنواحي وهم بنو الأغلب بأفريقية وبنو حمدان بالشام وبنو المقلد بالموصل وبنو صالح بن كلاب بحلب وبنو مروان بديار بكر وبنو أسد بالحلة وبنو زياد باليمن وبنو هود بالأندلس .

ثم نرجع إلى القائلين بالدعوة العبيدية بالنواحي وهم الصليحيون^(١) باليمن وبنو أبي الحسن الكلبي بصقلية وصنهاجة بالمغرب . ثم نرجع الى المستبدين بالدعوة العباسية من العجم في النواحي وهم بنو طولون بمصر ، ومن بعدهم بنو طغج وبنو الصفار بفارس وسجستان ، وبنو سامان فيما وراء النهر ، وبنو سبكتكين في غزنة وخراسان ، وغورية في غزنة والهند ، وبنو حسنويه من الكرد في خراسان . ثم نرجع إلى ذكر المستبدين على الخلفاء ببغداد من العجم وهم أهل الدولتين العظيمتين القائمتين بملك الإسلام من بعد العرب وهم بنو بويه من الديلم والسلجوقية من الترك . ثم نرجع إلى ملوك السلجوقية المستبدين بالنواحي وهم بنو طغتكين بالشام ، وبنو قطلمش ببلاد الروم ، وبنو خوارزم شاه ببلاد العجم وما وراء النهر ، وبنو سقمان بخلاط وأرمينية ، وبنو أرتق بماردين ، وبنو زنكي بالشام ، وبنو أيوب بمصر والشام . ثم الترك الذين ورثوا ملكهم هنالك ، وبنو رسول باليمن ثم نرجع الى ذكر التتر من الترك القائمين على دولة الإسلام والملاحين للخلافة العباسية ثم ما كان من دخولهم في دين الإسلام وقيامهم بالملك بالنواحي وهم بنو هولاكو بالعراق ، وبنو ذوشيوخان بالشمال ، وبنو أرنا ببلاد الروم ، ومن بعد بني هولاكو بنو الشيخ حسن ببغداد وتوريز ، وبنو المظفر بأصبهان وشيراز وكرمان ، وبعد بني أرتنا ملوك بني عثمان من التركمان ببلاد الروم وما وراءها .

(١) وفي نسخة أخرى : الصليحيون

ثم نرجع إلى الطبقة الرابعة من المغرب وهم المستعجمة ومن له ملك بدوي منهم بالمغرب والمشرق . ثم نخرج بعد ذكر ذلك الى ذكر البربر ودولهم بالمغرب لأنهم كانوا من شرط كتابنا . وهناك نذكر برنامج دولهم والله سبحانه أعلم .

الطبقة الاولى من العرب وهم العرب العاربة وذكر

نسبهم والإمام بملكهم ودولهم على الحملة

هذه الأمة أقدم الأمم من بعد قوم نوح ، وأعظمهم قدرة ، وأشدّهم قوة وآثاراً في الأرض ، وأول أجيال العرب من الخليقة فيما سمعناه . لأن أخبار القرون الماضية من قبلهم ، يمتنع اطلاعنا عليها التطاول الأحقاب ودروسها إلا ما يقصه علينا الكتاب ويؤثر عن الانبياء بوحي الله إليهم ، وما سوى ذلك من الأخبار الأزلية فنقطع الاسناد . ولذلك كان المعتمد عند الإثبات في أخبارهم ، ما تنطق به آية القرآن في قصص الأنبياء الأقدمين ، أو ما ينقله زعماء المفسرين في تفسيرها من أخبارهم وذكر دولهم وحروبهم ينقلون ذلك عن السلف من التابعين الذين أخذوا عن الصحابة أو سمعوه ممن هاجر إلى الإسلام من أخبار اليهود وعلمائهم أهل التوراة أقدم الصحف المنزلة فيما علمناه ، وما سوى ذلك من حطام المفسرين وأساطير القصص وكتب بدء الخليقة فلا نعول على شيء منه . وإن وجد لمشاهير العلماء تأليف مثل كتاب الياقوتية للطبري ، والبدء للكسائي ، فإنما نحوا فيها منحى القصاص ، وجروا على أساليبهم ، ولم يلتزموا فيها الصحة ، ولا ضمنوا لنا الوثوق بها فلا ينبغي التعويل عليها ، وترك شأنها . وأخبار هذا الجيل من العرب وإن لم يقع لها ذكر في التوراة ، إلا أن بني إسرائيل من بين أهل الكتاب أقرب إليهم عصراً ، وأوعى لأخبارهم ، فلذلك يعتمد نقل المهاجرة منهم لأخبار هذا الجيل ، ثم إن هذه الامم على ما نقل كان لهم ملوك ودول .

فملوك جزيرة العرب وهي الأرض التي أحاط بها بحر الهند من جنوبها ، وخليج الحبشة من غربها ، وخليج فارس من شرقها ، وفيها اليمن والحجاز والشحر وحضرموت ، وامتد ملكهم فيها إلى الشام ومصر في شعوب منهم على ما يذكر . ويقال : انهم انتقلوا إلى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام ، فسكنوا جزيرة العرب بادية محيمين ، ثم كان لكل فرقة منهم ملوك وآطام وقصور حسبما ذكره ، إلى أن

غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان . وهؤلاء العرب العاربة شعوب كثيرة . وهم عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وعبيل وعبد ضخم وجرهم وحضرموت وحضورا والسلفات . وسمي أهل هذا الجليل العرب العاربة ، إما بمعنى الرساخة في العروية كما يقال : ليل أليل ، وصوم صائم . أو بمعنى الفاعلة للعروية والمبتدعة لها بما كانت أول أجيالها وقد تسمى البائدة أيضا بمعنى الهالكة ، لأنه لم يبق على وجه الأرض أحد من نسلهم . فأما عاد وهم بنو عاد بن عوص بن إرم بن سام فكانت مواطنهم الأولى بأحقاف الرمل بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر . وكان أبوهم عاد فيما يقال أول من ملك من العرب ، وطال عمره وكثر ولده ، وفي التواريخ ولد له أربعة آلاف ولد ذكر لصلبه ، وتزوج ألف امرأة وعاش ألف سنة ومائتي سنة . وقال البيهقي : إنه عاش ثلثمائة سنة ، وملك بعده بنوه الثلاثة شديداً وبعده شداد وبعده إرم . وذكر المسعودي : إن الذي ملك من بعد عاد وشداد منهم هو الذي سار في الممالك واستولى على كثير من بلاد الشام والهند والعراق . وقال الزمخشري : إن شداد هو الذي بنى مدينة إرم في صحارى عدن ، وشيدها بصخور الذهب وأساطين الياقوت والزبرجد ، يحاكي بها الجنة لما سمع وصفها طغياناً منه وعتواً . ويقال : إن باني إرم هذه هو إرم بن عاد . وذكر ابن سعيد عن البيهقي : أن باني إرم هو إرم بن شداد بن عاد الأكبر ، والصحيح أنه ليس هناك مدينة إسمها إرم وإنما هذا من خرافات القصاص وإنما ينقله ضعفاء المفسرين . وإرم المذكورة في قوله تعالى : « إرم ذات العماد » القبيلة لا البلد . وذكر المسعودي أن ملك عوص كان ثلثمائة وأن الذي ملك من بعده ابنه عاد بن عوص ، وإن جيرون بن سعد بن عاد كان من ملوكهم ، وأنه الذي اختط مدينة دمشق ومصرها ، وجمع عُمَدَ الرخام والمرمر إليها وسماها إرم . ومن أبواب مدينة دمشق إلى هذا العهد باب جيرون ، وذكره الشعراء في معاهدها قال الشاعر :

النخل فالقصر فالحماء بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

وهذا البيت في الصوت الأول من كتاب الأغاني . وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق جيرون . ويزيد أخوان هما ابنا سعد بن لقمان بن عاد ، وبهما عرف باب جيرون ونهر يزيد . والصحيح أن باب جيرون إنما سمي باسم مولى من موالي سليمان عليه السلام في دولة بني إسرائيل ، جيرون كان ظاهراً في دولتهم . وذكر ابن سعيد في أخبار القبط : أن شداد بن بداد بن هداد بن شداد بن عاد

حارب بعضاً من القبط ، وغلب على أسافل مصر ونزل الإسكندرية وبنى بها حينئذ مدينة مذكورة في التوراة يقال لها أون ، ثم هلك في حروبهم ، وجمع القبط إخوتهم من البربر والسودان وأخرجوا العرب من ملك مصر .

ثم لما اتصل ملك عاد وعظم طغيانهم وعتوهم انتحلوا عبادة الأصنام واللاوثان من الحجارة والخشب ويقال : ان ذلك لانتحلهم دين الصابئة ، فبعث الله إليهم أخاهم هوداً ، وهو فيما ذكر المسعودي والطبري هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد ، وفي كتاب البدء لابن حبيب رباح بن حرب بن عاد ، وبعضهم يقول هود بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ . فوعظهم وكان ملوكهم لعهد : الخلجان ، ولقمان بن عاد بن عاديا بن صدا بن عادفا ، آمن به لقمان وقومه ، وكفر الخلجان ، وامتنع هود بعشيرته من عاد . وحبس الله عنهم المطر ثلاث سنين وبعثوا الوفود من قومهم إلى مكة يستسقون لهم ، كان في الوفد على ما قاله الطبري نعيم بن هزال بن هزيل بن عييل بن صدا بن عاد . وقيل ابن عتر منهم ، وحلقمة بن الخسري ، ومرثد بن سعد بن عتر . وكان ممن آمن بهود واتبعه وكان بمكة من عاد هؤلاء : معاوية بن بكر وقومه ، وكانت هزيمة أخت معاوية عند نعيم بن هزال وولدت له عبيداً وعمراً وعامراً ، فلما وصل الوفد إلى مكة مروا بمعاوية بن بكر وابنه بكر ونزل الوفد عليه . ثم تبعهم لقمان بن عاد ، وأقاموا عند معاوية وقومه شهراً لما بينهم من الخولة ، ومكثوا يشربون وتغنيهم الجرادتان قيتان لمعاوية بن بكر وابنه بكر . ثم غتاهم شعراً تذكرهم بأمرهم فانبعثوا ومضوا إلى الإستسقاء ، وتحلف عنهم لقمان بن عاد ومرثد بن سعد ، فدعوا في استسقاؤهم وتضرعوا وأنشأ الله السحب ونودي بهم ان اختاروا فاختاروا سوداء من السحب ، وأنذروا بعذابها فمضت إلى قومهم وهلكوا كما قصه القرآن .

وفي خبر الطبري أن الوفد لما رجعوا إلى معاوية بن بكر ، لقيهم خبر مهلك قومهم هنالك ، وأن هوداً بساحل البحر ، وأن الخلجان ملكهم قد هلك بالريح فيمن هلك ، وأن الريح كانت تدخل تحت الرجل فتحمله حتى تقطعوا في الجبال وتقلع الشجر وترفع البيوت ، حتى هلكوا أجمعون انتهى كلام الطبري .

ثم ملك لقمان ورهطه من قوم عاد واتصل لهم الملك فيما يقال ألف سنة أو يزيد وانتقل ملكه إلى ولده لقمان ، وذكر البخاري في تاريخه أن الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً هو هدد بن بدد بن الخلجان بن عاد بن رقيم بن عابر بن عاد الأكبر ، وأن المدينة

بساحل برقة اهـ ولم يزل ملكهم متصلاً إلى أن غلبهم عليه يعرب بن قحطان ، واعتصموا بجبال حضرموت إلى أن انقرضوا . وقال صاحب زجار أن ملكهم عاد بن رقيم بن عابر بن عاد الأكبر هو الذي حارب يعرب بن قحطان ، وكان كافراً يعبد القمر ، وأنه كان على عهد نوح ، وهذا بعيد لأن بعثة هود كانت عند استفحال دولتهم أو عند مبتدئها ، وغلب يعرب كان عند انقراضها ، وكذلك هدد الذي ذكر البخاري أنه ملك برقة إنما هو حافد الخلجان الذي اعتصم آخرهم بجبل حضرموت ، وخبر البخاري مقدم .

وقال علي بن العزيز الجرجاني : وكان من ملوك عاد يعمر بن شداد ، وعبد أبهر بن معد يكر ب بن شمد بن شداد بن عاد ، وحناد بن مياد بن شمد بن شداد ، وملوك آخرون أبادهم الله والبقاء لله وحده . فأما عييل وهم إخوان عاد بن عوص فيما قاله الكلبي ، وإخوان عوص بن إرم فيما قاله الطبري ، وكانت ديارهم بالحجفة بين مكة والمدينة وأهلكهم السيل . وكان الذي اختط يثرب منهم هكذا قال المسعودي ، وقال هو يثرب بن ابائلة بن مهلهل بن عييل . وقال السهيلي إن الذي اختط يثرب من العماليق ، وهو يثرب بن مهلايل بن عوص بن عمليق . وأما عبد ضخم بن إرم فقال الطبري كانوا يسكنون الطائف وهلكوا فيمن هلك من ذلك الجيل . وقال غيره إنهم أول من كتب بالخط العربي .

وأما ثمود وهم بنو ثمود بن كاثر بن إرم فكانت ديارهم بالحجر ووادي القرى فيما بين الحجاز والشام ، وكانوا ينحتون بيوتهم في الجبال ، ويُقال لأن أعمارهم كان تطول فيأتي البلاء والخراب على بيوتهم ، فنحتوها لذلك في الصخر ، وهي لهذا العهد ، وقد مر بها النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ونهى عن دخولها كما في الصحيح ، وفيه إشارة إلى أنها بيوت ثمود أهل ذلك الجيل . ويشهد ذلك ببطان ما يذهب إليه القصاص ، ووقع مثله للمسعودي من أن أهل تلك الأجيال كانت أجسامهم مفرطة في الطول والعظم ، وهذه البيوت المشاهدة المنسوبة إليهم بكلام الصادق صلوات الله عليه ، يشهد بأنهم في طولهم وعظم حُجراتهم مثلنا سواء فلا أقدم من عاد وأهل أجيالهم فيما بلغنا .

ويقال إن أول ملوكهم كان عابر بن إرم بن ثمود ملك عليهم مائتي سنة . ثم كان من بعده جندع بن عمرو بن الديئل بن إرم بن ثمود . ويقال ملك نحواً من ثلثمائة سنة .

هود بن عبدالله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام

شداد بن بداد بن هداد

يعمر بن شداد بن بداد بن هداد

عمر بن نعيم بن هزال بن هزيل بن عييل بن عثر

موتد بن سعد بن عثر
جلهمة بن خيسري
جيرون بن سعد بن لقمان
عاد الآخرة
بكر بن معاوية بن بكر

عبدالله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام
شداد بن بداد بن هداد
يعمر بن شداد بن بداد بن هداد
عمر بن نعيم بن هزال بن هزيل بن عييل بن عثر

وفي أيامه كانت بَعَثَةُ صالح عليه السلام ، وهو صالح بن عَيْيل بن أَسَف بن شَالِح بن عَيْيل بن كَاثِر بن ثَمُود ، وكانوا أَهْل كُفْرٍ وَبَغْيٍ وعبادةِ أوثان ، فدعاهم صالح إلى الدين والتوحيد . قال الطبري : فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِذَلِكَ كَفَرُوا وَطَلَبُوا الْآيَات ، فخرج بهم إلى هَضْبَةٍ مِنَ الْأَرْض ، فتمخَّضت عن الناقة ونهاهم أَنْ يَتَعَرَّضُوا لَهَا بِعَقْرِ أَوْ هَلَكَةٍ ، وأخبرهم مع ذلك أَنَّهم عَاقَرُوهَا وَلَا بَدَّ ، ورأس عليهم قَدَار بن سالف ، وكان صالح وصف لهم عَاقِرَ الناقة بصفة قَدَار هذا . ولما طال النذير عليهم من صالح سَمُّوه وهموا بقتله ، وكان يَأْوِي إلى مسجدٍ خارج ملائهم ، فكن له رهطٌ منهم تحت صخرة في طريقه ليقتلوه فانطبقت عليهم وهلكوا . وحنقوا ومضوا إلى الناقة ورموها قَدَارٌ بسهم في ضرعها وقتلها ، ولحاً فصيلها إلى الجبل فلم يدركوه ، وأقبل صالح وقد تخوف عليهم العذاب ، فلَمَّا رآه الفصيل أقبل إليه ورغا ثلاث رغاآت ، فأنذرهم صالح ثلاثاً ، وفي صبح الرابعة صُعِقُوا بصيحة من السماء تقطعت بها قلوبهم فأصبحوا جاثمين ، وهلك جميعهم حيث كانوا من الأرض ، إِلَّا رجلاً كان في الحرم منعه الله من العذاب . قيل من هو يا رسول الله ؟ قال : أَبُورْغَال . ويقال إِنَّ صَالِحاً أَقَامَ عَشْرِينَ سَنَةً يَنْذِرُهُمْ وَتَوَفَّى ابْنُ ثَمَانَ وَخَمْسِينَ سَنَةً . وفي الصحيح أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ بِقُرَى ثَمُودَ فَهَيَّ عَنْ اسْتِعْمَالِ مِيَاهِهِمْ وَقَالَ : لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا وَأَنْتُمْ بِأَكُونُ أَنْ يَصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ . اهـ كلام الطبري .

وقال الجرجاني : كان من ملوكهم دُوبَان بن يَمْنَع ملك الإسكندرية ، ومَوْهَب بن مُرَّة بن رحيب وكان عظيم الملك وأخوه هُوَيْيل بن مُرَّة كذلك . وفيما ذكره المفسرون أَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ نَحَتَ الْجِبَالَ وَالصَّخُورَ ، وَأَنَّهُمْ بَنَوْا أَلْفًا وَسَبْعِمِائَةَ مَدِينَةٍ فِي هَذَا مَا فِيهِ . ثم ذهبوا بما كسبوا ودرجوا في الغابرين وهلكوا . ويقال إِنَّ مَنْ بَقَايَاهُمْ أَهْلُ الرِّسِّ الَّذِينَ كَانَ نَبِيُّهُمْ حَنْظَلَةُ بن صَفْوَانَ ، وليس ذلك بصحيح . وَأَهْلُ الرِّسِّ هُمْ حُضُورٌ وَيَأْتِي ذِكْرُهُمْ فِي بَنِي فَالَغَ بن عَابِرٍ ، وكذلك يزعم بعض النسابة أَنَّ ثَقِيفاً مِنْ بَقَايَا ثَمُودَ هُوَلَاءٌ وَهُوَ مُرْدُودٌ . وكان الْحَجَّاجُ بن يَوْسُفَ إِذَا سَمِعَ ذَلِكَ يَقُولُ كَذَبُوا . وقال والله جلٌّ مِنْ قَائِلٍ يَقُولُ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى أَيَّ أَهْلِكُهُمْ فَمَا أَبْقَى أَحَدًا مِنْهُمْ . وَأَهْلُ التَّوْرَةِ لَا يَعْرِفُونَ شَيْئاً مِنْ أَخْبَارِ عَادَ وَلَا ثَمُودَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقْعَ لَهُمْ ذِكْرٌ فِي التَّوْرَةِ ، وَلَا لَهُودَ وَلَا لَصَالِحَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، بَلْ وَلَا لِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ ، لِأَنَّ

سياق الأخبار في التوراة عن أولئك الأمم انها هولمن كان في عمود النسب ما بين موسى وآدم صلوات الله عليهم ، وليس لأحد من آباء هؤلاء الاجيال ذكر في عمود ذلك النسب فلم يُذكرُوا فيها .

وأما جديس وطسم فعند ابن الكلبي أنَّ جديساً لإرم بن سام وديارهم اليمامة وهم أخوان لثود بن كاثر ، ولذلك ذكرهم بعدهم وان طسماً لـ لاوذ بن سام وديارهم بالبحرين . وعند الطبري أنها معاً لـ لاوذ وديارهم باليمامة . ولهذين الإثنان خبر مشهور ينبغي سياقه عند ذكرهم . قال الطبري عن هشام بن محمد الكلبي بسنده إلى ابن اسحق وغيره من علماء العرب : أنَّ طسماً وجديساً كانوا من ساكني اليمامة ، وهي إذذاك من أخصب البلاد وأعمرها ، وأكثرها خيراً وثماراً وحدائق وقصوراً ، وكان ملك طسم غشوماً لا ينهأ شيء عن هواه ، ويقال له : عمْلوق وكان مُضراً لجديس مُستذلاً لهم ، حتى كانت البكر من جديس لا تُهدى إلى زوجها حتى تدخل عليه فيفترعها . وكان السبب في ذلك أنَّ امرأة منهم كان اسمها هزيلة طلقها زوجها وأخذ ولده منها ، فأمر عمْلوق ببيعها وأخذ زوجها الخمس من ثمنها ، فقالت شعراً تتظلم منه ، فأمر ان لا تزوج منهم امرأة حتى يفترعها فقاموا كذلك حتى تزوجت الشموس ، وهي عُفيرة ابنة غفار بن جديس أخت الأسود ، فافتضها عمْلوق ، فقال الأسود بن غفار لرؤساء جديس : قد ترون ما نحن فيه من الذل والعار الذي ينبغي للكلاب أن تعافه فأطيعوني أدعوكم إلى عز الدهر ، فقالوا وما ذاك ، قال : أصنع للملك وقومه دعوة فاذا جاؤا ، يعني طسماً ، نهضنا إليهم بأسيا فنفقتلهم . فأجمعوا على ذلك ودفنوا سيوفهم في الرمل ، ودعوا عمْلوقاً وقومه فلما حضروا قتلوهم ، فأفنوهم ، وقتل الأسود عمْلوقاً ، وأفلت رباح بن مرة بن طسم فأتى حسان بن تبع مستغيثاً ، فهض حسان في حمير لإغاثته حتى كان من اليمامة على ثلاث مراحل . قال لهم رباح إن لي أختاً موزوجة في جديس اسمها اليمامة ، ليس على وجه الأرض أبصر منها وانها لتبصر الراكب على ثلاث مراحل ، وأخاف أن تنظر القوم . فأمر كل رجل أن يقلع شجرة فيجعلها في يديه ويسير كأنه خلفها ، ففعلوا وبصرت بهم اليمامة فقالت لجديس : لقد سارت إليكم حمير وإني أرى رجلاً من وراء شجرة بيده كتف يتعرقها ، أو نعل يخصفها ، فاستبعدوا ذلك ولم يحفلوا به . وصبحهم حسان وجنوده من حمير فأبادهم وخرّب حصونهم وبلادهم

وهرب الأسود بن غفَّار إلى جبلي طيء ، فأقام بهما ، ودعا تبع باليمامة أخت رباح التي أبصرتهم فقلع عينها . ويقال إنه وجد بها عُروقا سودا زعمت أن ذلك من اكتحالها بالإثمد ، وكانت تلك البلد تسمى جوفسُميت باليمامة اسم تلك المرأة . قال أبو الفرج الأصبهاني : وكانت طيء تسكن الجُرف من أرض اليمن وهي اليوم محلة مُراد وهمدان ، وسيدهم يومئذ سامة بن لؤي بن الغوث بن طيء ، وكان الوادي مَسْبَعَةً وهم قليل عددهم ، وكان يجتاز بهم بعير في زمن الخريف ويذهب ثم يجيء من قابل ولا يعرفون مقره ، وكانت الأزْد قد خرجت أيام سيل العرم واستوحشت طيء فظعنوا على أثرهم ، وقالوا لسامة هذا البعير إنما يأتي من الريف والخضب لان في بعره النوى ، فلما جاءهم زمن الخريف أتبعوه يسرون لسيره حتى هبط عن الجبلين ، وهجموا على النخل في الشعاب وعلى المواشي وإذا هم بالأسود بن غفَّار ، في بعض تلك الشعاب فهالهم خلقه وتخوفوه ، ونزلوا ناحية ونفضوا الطريق فلم يروا أحداً ، فأمر سامة ابنه الغوث بقتل الأسود ، فجاء إليه فعجب من صغر خلقه ، وقال : من أين أقبلتم ؟ قال : من اليمن وأخبره خبر البعير ثم رماه فقتله وأقامت طيء بالجبلين بعده .

وذكر الطبري عن غير ابن اسحق أن تبع الذي أوقع بجديس هو والد حسان هذا ، وهو ثبان أسعد أبو كرب بن ملكي كرب ويأتي ذكره في ملوك اليمن إن شاء الله تعالى انتهى كلام الطبري .

وقال غيره إن حسان بن تبع لما سار بحمير إلى طسّم بعث على مقدمته إليهم عبد كلال بن منوب بن حجر بن ذي رعين من أقبال حمير فسلك بهم رباح بن مرة الرمل وكانت الزرقاء أخت رباح ناكحاً في طسّم وتسمى عترة واليمامة ، وكانت تبصر على البعد فأنذرتهم فلم يقبلوا وصبح عبد بن كلال جديسا إلى آخر القصة ، وبقيت اليمامة بعد طسّم يباباً لا يأكل ثمرها إلا عوافي الطير والسباع حتى نزلها بنو حنيفة ، وكانوا بعثوا رائداهم عبيد بن ثعلبة الحنفي يرتاد لهم في البلاد ، فلما أكل من ذلك الثمر قال إن هذا الطعام ! وحجر بعصاه على موضع قصبة اليمامة ، فسميت حجراً واستوطنها بنو حنيفة وبها صبحهم الإسلام كما يأتي في أخبارهم إن شاء الله تعالى .

وأما العمالة فهم بنو عمليق بن لاوذ وبهم يضرب المثل في الطول والجثمان . قال

صالح بن عييل بن اسف بن شالخ بن عييل بن كاثر بن ثمود بن كاثر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام

قدار بن سالف

جندع بن عمرو بن الدييل بن ارم
ابو

طسم
جديس

موهب بن مرة بن رجب
مهيبي

مبتدأ له بنو
بنو لسمو

الطبري : عَمَلِقُ أَبُو الْعَمَالِقَةِ كُلِّهِمْ أُمُّ تَفَرَّقَتْ فِي الْبِلَادِ ، فَكَانَ أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَأَهْلُ
عُمَانَ وَالْبَحْرَيْنِ وَأَهْلُ الْحِجَازِ مِنْهُمْ ، وَكَانَتِ الْفِرَاعَةُ بِمِصْرَ مِنْهُمْ ، وَكَانَتِ الْجَبَابِرَةُ
بِالشَّامِ الَّذِينَ يُقَالُ لَهُمُ الْكَنْعَانِيُّونَ مِنْهُمْ . وَكَانَ الَّذِينَ بِالْبَحْرَيْنِ وَعُمَانَ وَالْمَدِينَةَ يُسَمُّونَ
جَاسِمَ ، وَكَانَ بِالْمَدِينَةِ مِنْ جَاسِمٍ هَوْلَاءُ بَنُو لَفٍّ وَبَنُو سَعْدٍ بَنُ هَزَالٍ وَبَنُو مَطَرٍ وَبَنُو
الْأَزْرَقِ ، وَكَانَ بَنُجْدٍ مِنْهُمْ بُدَيْلٌ وَرَاحِلٌ وَغَفَّارٌ وَبِالْحِجَازِ مِنْهُمْ إِلَى تَيْمَاءَ بَنُو الْأَرْقَمِ
وَيَسْكُنُونَ مَعَ ذَلِكَ نَجْدًا وَكَانَ مَلِكُهُمْ يُسَمَّى الْأَرْقَمُ ، قَالَ : وَكَانَ بِالطَّائِفِ بَنُو عَبْدِ
ضَخْمِ بْنِ عَادِ الْأَوَّلِ انْتَهَى .

وقال ابن سعيد فيما نقله عن كتب التواريخ التي اطلع عليها في خزانة الكتب بدار
الخلافة من بغداد قال : كانت مواطن العَمَالِقَةِ تُهَامَةُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ فَتَزَلُّوْهَا أَيَّامَ
خُرُوجِهِمْ مِنَ الْعِرَاقِ أَمَامَ النَّمَارِدَةِ مِنْ بَنِي حَامٍ ، وَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ إِلَى أَنْ جَاءَ إِسْمَاعِيلُ
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآمَنَ بِهِ مِنْ آمَنَ مِنْهُمْ . وَتَطَرَّدَ لَهُمُ الْمُلْكُ إِلَى أَنْ كَانَ مِنْهُمْ
السُّمَيْدَعُ بْنُ لَأُوذَ بْنِ عَمَلِقٍ وَفِي أَيَّامِهِ خَرَجَتِ الْعَمَالِقَةُ مِنَ الْحَرَمِ ، أَخْرَجَتْهُمْ جُرْهُمُ
مِنْ قِبَائِلِ قَحْطَانَ فَتَفَرَّقُوا وَنَزَلَ بِمَكَانِ الْمَدِينَةِ مِنْهُمْ بَنُو عَيْلٍ بَنُ مَهْلَائِيلَ بَنُ عُوصِ بْنِ
عَمَلِقٍ فَعُرِفَتْ بِهِ ، وَنَزَلَ أَرْضَ أَيْلَةَ ابْنِ هُوْمَرٍ بَنِ عَمَلِقٍ ، وَاتَّصَلَ مُلْكُهَا فِي وَلَدِهِ
وَكَانَ السُّمَيْدَعُ سِمَةً لِمَنْ مَلَكَ مِنْهُمْ إِلَى أَنْ كَانَ آخِرُهُمُ السُّمَيْدَعُ بْنُ هُوْمَرٍ الَّذِي قَتَلَهُ
يُوشَعَ لَمَّا زَحَفَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الشَّامِ بَعْدَ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَكَانَ مُعْظَمُ
حُرُوبِهِمْ مَعَ هَوْلَاءِ الْعَمَالِقَةِ هُنَالِكَ ، فَغَلَبَهُ يُوشَعَ وَأَسْرَهُ وَمَلَكَ أَرْضَ قَاعَةِ الشَّامِ وَهِيَ
قَرِبَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمَكَانَهَا مَعْرُوفٌ لِهَذَا الْعَهْدِ . ثُمَّ بَعَثَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعَثًا إِلَى
الْحِجَازِ فَمَلَكَوْهُ وَانْتَزَعُوْهُ مِنْ أَيْدِي الْعَمَالِقَةِ مَلُوكَهُ وَنَزَعُوا يَثْرِبَ وَبِلَادَهَا وَخَيْبَرَ . وَمِنْ
بَقَايَاهُمْ يَهُودُ قُرَيْظَةَ وَبَنُو النُّضَيْرِ وَبَنُو قَيْنَقَاعٍ وَسَائِرُ يَهُودِ الْحِجَازِ عَلَى مَا نَذَرَهُ . ثُمَّ
كَانَ لَهُمْ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ فِي دَوْلَةِ الرُّومِ وَمَلَكَوا أُذَيْنَةَ بْنَ السُّمَيْدَعِ عَلَى مَشَارِفِ الشَّامِ
وَالْجَزِيرَةِ مِنْ ثَغُورِهِمْ وَأَنْزَلُوهُمْ فِي التَّخُومِ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ فَارِسَ ، وَهَذَا الْمَلِكُ أُذَيْنَةُ
ابْنُ السُّمَيْدَعِ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّاعِرُ فِي قَوْلِهِ :

أَزَالَ أُذَيْنَةُ عَنْ مُلْكِهِ وَأَخْرَجَ عَنْ أَهْلِهِ ذَا يَزْنَ

وَكَانَ مِنْ بَعْدِهِ حَسَّانُ بْنُ أُذَيْنَةَ ، وَمِنْ بَعْدِهِ طَرَفُ بْنُ حَسَّانَ بْنِ يَدْيَاهِ نَسَبُهُ إِلَى أُمِّهِ ،
وَبَعْدَهُ عَمْرُو بْنُ طَرَفٍ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جُذَيْمَةِ الْأَبْرَشِ حُرُوبٌ ، وَقَتْلُهُ جُذَيْمَةَ
وَاسْتَوْلَى عَلَى مَلِكِهِمْ وَكَانَ آخِرًا مِنَ الْعَمَالِقَةِ كَمَا نَذَرَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ .

ومن هؤلاء العماليقة فيما يزعمون عماليقة مضر وأن بعض ملوك القبط استنصر بملك
العماليقة بالشام لعده واسمه الوليد بن دومغ ، ويقال ثوران بن أراشة بن فادان بن
عمرو بن عملاق فجاء معه ملك مضر واستعبد القبط . قال الجرجاني ومن ثم ملك
العماليق مضر ويقال أن منهم فرعون ابراهيم وهو سنان بن الأشل بن عبيد بن عولج
بن عمليق ، وفرعون يوسف أيضاً منهم وهو الريان بن الوليد بن فوران ، وفرعون
موسى كذلك وهو الوليد بن مصعب بن أبي أهون بن الهلوان ، ويقال أنه قابوس بن
مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن فاران ، وكان الذي ملك مضر بعد
الريان بن الوليد طاشم بن معدان اهـ كلام الجرجاني وقال غيره : الريان فرعون
يوسف وهو الذي تسميه القبط نقراوش وأن وزيره كان أظفير وهو العزيز وأنه آمن
بيوسف ، وأن أرض الفيوم كانت مغايض للماء فدبرها يوسف بالوحي والحكمة حتى
صارت أعز الديار المصرية وملك بعده ابنه دارم بن الريان ، وبعده ابنه معدانوس
فاستعبد بني إسرائيل . قال الكلبي : ويذكر القبط أنه فرعون موسى ، وذكر أهل
الأثر أنه الوليد بن مصعب وأنه كان نجاراً من غير بيت الملك فاستولى إلى أن ولي
حرس السلطان ثم غلب عليه ثم استبد بعده وعليه انقضى أمر العماليقة . ولما غرق
في اتباع موسى صلوات الله عليه رجع الملك إلى القبط فولوا من بيت ملكهم دلوكة
العجوز كما نذكره في أخبارهم إن شاء الله تعالى ، وأما بنو إسرائيل فليس عندهم
ذكر لعماليقة الحجاز وعندهم أن عماليقة الشام من ولد عملاق بن أليفاذ — بتفخيم
الفاء — ابن عيصو أو عيصاب أو العيص بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام وفراغة
مصر منهم على الرايين وأما الكنعانيون الذين ذكر الطبري أنهم من العماليقة ، فهم
عند الإسرائيليين من كنعان ابن حام ، وكانوا قد انتشروا ببلاد الشام وملكوها ، وكان
معهم فيها بنو عيصو المذكورون ويقال لهم بنو يدوم ، ومن أيديهم جميعاً ابتزها بنو
إسرائيل عند المحي أيام يوشع بن نون ، ولذلك تزعم زناة المغرب أنهم من هؤلاء
العماليقة وليس بصحيح . وأما أميم فهم إخوان عملاق بن لاوذ قال السهيلي :
يقال بفتح الهمزة وكسر الميم وبضم الهمزة وفتح الميم وهو أكثر ووجدت بخط بعض
المشاهير أميم بتشديد الميم . ويذكر أنهم أول من بنى البنيان ، واتخذ البيوت والأطام
من الحجارة ، وسقفوا بالخشب وكان ديارهم فيما يقال أرض فارس ، ولذلك زعم
بعض نسابة الفرس أنهم من أميم ، وأن كيومرث الذين ينسبون إليه هو ابن أميم بن

لَاوَذَ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ وَكَانَ مِنْ شَعُوبِهِمْ وَبَارَ بْنَ أُمَيْمٍ نَزَلُوا رَمْلَ عَالِجٍ بَيْنَ الْيَمَامَةِ وَالشَّحْرِ وَسَالَتْ عَلَيْهِمُ الرِّيحُ فَهَلَكُوا .

وَأَمَّا الْعَرَبُ الْبَايِدَةُ مِنْ بَنِي أَرْفَخْشَدَ بْنِ يَقْطَنَ بْنِ عَابِرَ بْنِ شَالَخَ بْنِ أَرْفَخْشَدَ فَهُمْ جُرُّهُمْ وَحَضْرُومُ وَالسَّلَفُ . فَأَمَّا حَضْرُومُ فَكَانَتْ دِيَارَهُمْ بِالرَّسِّ ، وَكَانُوا أَهْلَ كَفْرِ وَعِبَادَةِ أَوْثَانٍ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ نَبِيٌّ مِنْهُمْ إِسْمُهُ شُعَيْبُ بْنُ ذِي مَهْرَعٍ فَكَذَّبُوهُ وَهَلَكُوا كَمَا هَلَكَ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ وَأَمَّا جُرُّهُمْ فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْيَمَنِ وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ ، وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ : إِنَّ يَعْزُبَ بْنَ قَحْطَانَ لَمَّا غَلَبَ عَادًا عَلَى الْيَمَنِ وَمَلَكَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَلِي إِخْوَتَهُ عَلَى الْأَقَالِيمِ ، وَوَلَّى جُرُّهُمْ عَلَى الْحِجَازِ ، وَوَلَّى بِلَادَ عَادٍ الْأُولَى وَهِيَ الشَّحْرُ ، عَادَ بْنَ قَحْطَانَ ، فَعَرَفَتْ بِهِ ، وَوَلَّى عُثْمَانُ يَقْطَنَ بْنَ قَحْطَانَ أَنْتَهَى كَلَامُ الْبَيْهَقِيِّ ، وَقِيلَ إِنَّمَا نَزَلَتْ جُرُّهُمْ الْحِجَازَ ، ثُمَّ بَنَى قَطُّورُ بْنُ كَرَكٍ بَنَ عَمَلًا لِقَحْطِ أَصَابِ الْيَمَنِ ، فَلَمْ يَزَالُوا بِمَكَّةَ إِلَى أَنْ كَانَ شَأْنُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَبُوَّتُهُ فَأَمَّنُوا بِهِ وَقَامُوا بِأَمْرِهِ وَوَرِثُوا وَلَايَةَ الْبَيْتِ عَنْهُ حَتَّى غَلِبَتْهُمْ عَلَيْهِ خِرَاعَةُ وَكِنَانَةُ فَخَرَجَتْ جُرُّهُمْ مِنْ مَكَّةَ ، وَرَجَعُوا إِلَى دِيَارِهِمْ بِالْيَمَنِ إِلَى أَنْ هَلَكُوا .

وَأَمَّا حَضْرُومُ فَهَعْدُودُونَ فِي الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ لِقَرَبِ أَزْمَانِهِمْ وَلَيْسُوا مِنَ الْعَرَبِ الْبَايِدَةِ لِأَنَّهُمْ بَاقُونَ فِي الْأَجْيَالِ الْمَتَأَخِّرَةِ ، إِلَّا أَنْ يُقَالَ إِنَّ جُمْهُورَهُمْ قَدْ ذَهَبَ مِنْ بَعْدِ عَصُورِهِمُ الْأُولَى وَانْدَرَجُوا فِي كِنْدَةٍ ، وَصَارُوا مِنْ عَدَادِهِمْ ، فَهُمْ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ قَدْ هَلَكُوا وَبَادُوا وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِنَّهُ كَانَ فِيهِمْ مَلُوكٌ التَّابِعَةُ فِي عُلوِّ الصِّيتِ وَنَهَايَةِ الذِّكْرِ . قَالَ وَذَكَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ انْبَسَطَ مَلَكَهُ مِنْهُمْ ، وَارْتَفَعَ ذِكْرُهُ عَمْرُو الْأَشْنَبُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ يُرَامَ بْنِ حَضْرُومَ ثُمَّ خَلْفَهُ ابْنُهُ نَمِرُ الْأَزْجِ ، فَهَلَكَ مِائَةَ سَنَةٍ وَقَاتَلَ الْعَمَالِقَةَ ، ثُمَّ مَلَكَ كَرِيبُ ذَوَكْرَابَ ، ثُمَّ نَمِرُ الْأَزْجِ مِائَةَ وَثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَهَلَكَ إِخْوَتُهُ فِي مَلَكَهِ . ثُمَّ مَلَكَ مَرْتَدُ ذُو مَرْوَانَ بْنِ كَرِيبَ مِائَةَ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَكَانَ يَسْكُنُ مَأْرَبَ ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى حَضْرُومَ ، ثُمَّ مَلَكَ عُلْقَمَةُ ذُو قَيْعَانَ ابْنُ مَرْتَدُ ذِي مَرْوَانَ بِحَضْرُومَ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ مَلَكَ ذُو عَيْلَ بْنِ ذِي قَيْعَانَ عَشْرَ سَنِينَ وَسَكَنَ صَنْعَاءَ وَغَزَا الصِّينَ فَقَتَلَ مَلَكَهَا وَأَخَذَ سَيْفَهُ ذَا النُّورِ ، ثُمَّ مَلَكَ ذُو عَيْلَ بْنِ ذِي عَيْلَ بِحَضْرُومَ عَشْرَ سَنِينَ ، وَلَمَّا شَخَّصَ سَنَانُ ذُو أَلْمَ لَغَزَا الصِّينَ تَحَوَّلَ ذُو عَيْلَ إِلَى صَنْعَاءَ وَاشْتَدَّتْ وَطْأَتُهُ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ غَزَا الرُّومَ مِنْ مَلُوكِ الْيَمَنِ ، وَأَوَّلَ مَنْ أَدْخَلَ الْحَرِيرَ وَالْذِّيْبَاجَ إِلَى الْيَمَنِ . ثُمَّ مَلَكَ بَدْعَاتُ بْنُ ذِي عَيْلَ بِحَضْرُومَ أَرْبَعَ

سنين ، ثم ملك بدعيل بن بدعات وبني حصونا وخلف آثارا ، ثم ملك بديع ذو عيل ، ثم ملك حماد بن بدعيل بحضرموت فأنشأ حصنه المعقرب وغزا فارس في عهد سابور ذي الأكتاف وخرب وسى ودام ملكه ثمانين سنة وكان أول من اتخذ الحجاب من ملوكهم . ثم ملك يشرح ذو الملك بن ودب بن ذي حماد بن عاد من بلاد حضرموت مائة سنة وكان أول من رتب الرواتب وأقام الحرس والروابط . ثم ملك منعم بن ذي الملك دثار بن جذيمة بن منعم ، ثم يشرح بن جذيمة بن منعم ، ثم نمر بن بشرح ، ثم ساجن المسمى ابن نمر وفي أيامه تغلبت الحبشة على اليمن .

هذه قبائل هذا الجليل من العرب العاربة وما كانوا عليه من الكثرة والملك إلى أن انقرضوا وأزال الله من أمرهم بالقحطانية كما نحن ذا كروه . ولم تغفل منهم إلا من لم يصلنا ذكره من خيره والله وارث الأرض ومن عليها .

وأما جرهم فقال ابن سعيد : إنهم أمتان أمة على عهد عاد وأمة من ولد جرهم بن قحطان ، ولما ملك يعرب بن قحطان اليمن ملك أخوه جرهم الحجاز . ثم ملك من بعده ابنه عبد يا ليل ، ثم بعده ابنه عبد المدان بن جرهم ، ثم ابنه نفيلة بن عبد المدان ، ثم ابنه عبد المسيح بن نفيلة ، ثم ابنه مضاض بن عبد المسيح ، ثم ابنه الحرس . ثم ملك من بعده جرهم بن عبد ياليل ، ثم بعده ابنه عمرو بن الحرث ، ثم أخوه بشير بن الحرث ، ثم مضاض بن عمرو بن مضاض . قال وهذه الأمة الثانية هم الذين بُعث إليهم اسمعيل عليه السلام وتزوج فيهم ، انتهى .

۲۰۰

३

۱۰۰

الحمد لله الذي جعل

بنی وادب بنی دبی حماد بن بدیع بن

5

ج

١٠٠

3. 3.

١٠٠

٢٧

شاذ بن

ادفونست

خ

مباح

✓

وأما بنو سبا بن يقطن فلم يبيدوا ، وكان لهم بعد تلك الأجيال البائدة أجيال باليمن منهم حمير وكهلان وملوك التبابعة وهم أهل الطبقة الثانية . وفي مسند الإمام أحمد : أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل هو فروة بن مسيك المرادي عن سبا أرجل هو أو امرأة أم أرض ؟ فقال بل رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة والشام أربعة . فأما اليمانيون فخذ حج وكندة والأزد والأشعر وأنمار وحمير . وأما الشاميون فلخم وجذام وعاملة وغسان . وثبت أن أباهم قحطان كان يتكلم بالعربية ولقنها عن الأجيال قبله فكانت لغة بنيهِ ولذلك سمّوا العرب المستعربة ولم يكن في آباء قحطان من لدن نوح عليه السلام إليه من يتكلم بالعربية ، وكذلك كان أخوه فالغ ، وبنيه إنما يتكلمون بالعجمية ، إلى أن جاء اسمعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما فتعلم العربية من جرّهم فكانت لغة بنيهِ وهم أهل الطبقة الثالثة المسمّون بالعرب التابعة للعرب . فلنذكر هذا النسب ليتنظم أجياله مع الأجيال السابقة واللاحقة ونستوفي أنساب الأمم منها .

الخبر عن ابراهيم أبي الأنبياء عليهم السلام ونسبه الى فالغ بن عابر وذكر أولاده صلوات الله عليهم وأحوالهم

ولنذكر الآن أهل هذا النسب ما بين اسمعيل ونوح عليهما السلام ومن كان منهم ، أو من إخوانهم أو أبنائهم من الأنبياء والشعوب والملوك وما كان لإسمعيل صلوات الله عليه من الولد . ونختم هذه الطبقة الأولى بذكرهم ، وإن كانوا عجماء في لغاتهم ، إلا أنهم أصون الخليقة في أنسابهم ، وكل البشر على بعض الآراء من أعقابهم ، وهم مع ذلك معاصرون لهذه الطبقة ، فيتسق الكلام فيهم على شرط كتابنا ، ويتميز بذكر أخبارهم أحوال الطبقات التي بعدهم على الوفاء والكمال .

فنبدأ أولاً بذكر عمود هذا النسب على التوالي ، ثم نرجع إلى أخبارهم . وإسمعيل صلوات الله عليه هو ابن ابراهيم بن آزر وهو تارح وآزر اسمُ لصنمه لُقِبَ به ابن ناحور بن ساروخ بالخاء أو بالغين ابن عابر أو عنبر بن شالح أو شليخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . وهذه الأسماء الأعجمية كلها منقولة من التوراة ، ولغتها عبرانية ، ومخارج حروفها في الغالب مغايرة لمخارج الحروف العربية . وقد يجيء الحرف منها بين

حرفين من العربية ، فترده العرب الى أحد ذينك الحرفين وفي مخرجه ، فيتغير عن أصله ، ولذلك تكون فيها إمالة متسوية أو محضة ، فيصير الى حرف العلة الذي بعده من ياء أو واو ، فلذلك تنقل الكلمة منها على اختلاف ، وإلا فشأن الأعلام أن لا تختلف . وقال الطبري : إن بين شالخ وأرفخشذ أبا آخر اسمه قَيْنَنَ ، وسقط ذكره من التوراة لأنه كان ساحرا وادّعى الألوهية . وقال ابن حزم : في كتب النصارى أن بين فالغ وعابر أبا آخر اسمه ملكيصدق وهو أبو فالغ .

واعلم أن نوحا صلوات الله عليه بلغ عمره يوم الطوفان ستمائة سنة ، وعاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة ، فكانت جملة ذلك تسعمائة وخمسين سنة ، ألف سنة إلا خمسين وهذا نص المصحف الكريم ، وكذا وقع في التوراة بعينه . ومن الغريب الواقع في التوراة أن عُمَرَ إبراهيم كان يوم وفاة نوح ثلاثا وخمسين سنة ، لأنه قال إن أرفخشذ ولد لسام بعد سنتين من الطوفان ، ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة ولد له ابنه شالخ ، وبعد ثلاثين سنة ولد ابنه عابر ، وبلغ عابر أربعا وثلاثين سنة فولد ابنه فالغ ، وبلغ فالغ ثلاثين سنة فولد له أرغو ، وبلغ أرغو اثنتين وثلاثين سنة فولد شاروغ ، وبلغ شاروغ ثلاثين سنة فولد ناحور ، وبلغ ناحور تسعا وعشرين سنة فولد تارح ، وبلغ تارح خمسا وسبعين سنة فولد إبراهيم ، وجملة هذه السنين من الطوفان إلى ولادة إبراهيم مائتان وسبع وتسعون سنة ، وعُمَرَ نوح بعد الطوفان ثلثمائة وخمسون سنة ، فيكون إبراهيم بعد وفاة نوح ابن ثلاث وخمسين سنة ، فيكون لقي نوحا صلوات الله عليهما وخالطه وأخذ عنه ، وهو على رأي بعضهم أب لجميع الشعوب من بعده ، فلذلك كان الأب الثالث للخلقة من بعد آدم ونوح صلوات الله عليهم أجمعين أه .

وفي كتاب البدء ونقله ابن سعيد : أن أول من ملك الأرض من ولد نوح ، كنعان بن كوش بن حام ، فسار من أرض كنعان بالشام الى أرض بابل ، فبنى مدينة بابل إثني عشر فرسخا في مثلها ، وورث ملكه ابنه النمرود بن كنعان ، وعظم سلطانه في الأرض ، وطال عمره ، وغلب على أكثر المعمور ، وأخذ بدين الصابئة ، وخالفه الكلدانيون منهم في التوحيد وأسمائه ، ومال معهم بنوسام ، وكان سام قد نزل بشرق الدجلة ، وكان وصي أبيه في الدين والتوحيد ، وورث ذلك ابنه أرفخشذ ، ومعنى أرفخشذ مصباح مضيء ، فاشتغل بالعبادة ودعاه الكلدانيون الى القيام بالتوحيد

فامتنع . ثم قام من بعده ابنه شالخ وعاش طويلاً وقام من بعده بأمره ابنه عابر كذلك وخرج مع الكلدانيين على النمرود منكراً لعبادة الهياكل ، فغلبه نمرود وأخرجه من كوثا ، فلحق هو ومن معه من الحلفاء بالجزيرة وهي مدينة المجدل بين الفرات ودجلة . وعابر هذا هو أبو العبرانيين الذين تكلموا بالعبرانية ، واستفحل ملكه بالمجدل . قال ابن سعيد وورث من بعده ابنه فالغ وهو الذي قسم الأرض بين ولد نوح ، وفي زمانه بنى النمرود الصرح ببابل^(١) وكان من أمره ما نصّه القرآن ، وقام بأمر فالغ من بعده ابنه ملكان فيما زعموا وغلبه الجرامقة والنبط على ملكه ، وقام بالمجدل في ملكهم إلى أن هلك وخلف ابنه أتبيا ويقال له الخضر . وأما أرغوب بن فالغ فعبر إلى كلواذا ودخل في دين النبط ، وهي بدعة الصابئة وولد له منهم ابنه شاروخ ، ثم بعده ناحور بن شاروخ ، ثم بعد تارح بن ناحور الذي سُمّي آزر ، واستخلص النمرود آزر وقدمه على بيت الأصنام ، والنمرود من ملوك الجرامقة وإسمه هاصد بن كوش ، انتهى كلام ابن سعيد .

وولد لتارح وهو آزر على ما وقع في التوراة ثلاثة من الولد إبراهيم وناحور وهاران ، ومات هاران في حياة أبيه تارح ، وترك ابنه لوطا فهو ابن أخي إبراهيم . قال الطبري : ولد إبراهيم الخليل قبل بناحية كوثا من السواد وهو قول ابن إسحق ، وقيل بجران ، وقيل ببابل . وعامة السلف انه ولد على عهد نمرود بن كنعان بن كوش بن سام . وكان الكهان يتحدثون بولادة رجل يخالف الدين ، ويكسر الأصنام والأوثان ، فأمر بذبح الولدان ، فولدته أمه وتركته بمغارة في فلاة من الأرض حتى كبر وشب ، ورأى في الكواكب ما رآه ، وكملت نبوته ، فأحضرتة إلى أبيه ودعاه إلى التوحيد ، فامتنع وكسر إبراهيم الأصنام ، وأحضر عند نمرود وقذفه في النار ، فصارت بردا وسلاما ، وخرج منها ولم تعد عليه كما نصّ ذلك القرآن . ثم تدبر النمرود في أمره ، وطلب من إبراهيم أن يقرب قربانا يفتدي مما دعاه إليه ، فقال له إبراهيم : لن يقبل منك إلا الإيمان ، فقال : لا أستطيع ، وترك إبراهيم وشأنه .

ثم أمر الله إبراهيم بالخروج من أرض الكلدانيين ببابل فخرج به أبوه تارح ومعهما على ما في التوراة ابنه ناحور بن تارح ، وزوجته ملكا بنت أخيه هاران ، وحافده لوط بن

(١) يقال ان الصرح سبعة الاف درجة ويقال ثلاثة الاف شيء وجعل يرمي في السماء فيرجع نبه اليه مختصاً .. (البدء والتاريخ ج ٣ ص ٥٦) .

هاران ، قال في التوراة وكنته سارة يعني زوج ابراهيم ، فقيل انها أخت ملكا بنت هاران بن تارح ، وقيل بنت ملك حران ، طعنت على قومها في الدين ، فتزوجها إبراهيم على أن لا يضرها . ويردّ هذا ما في التوراة انها خرجت معهم من أرض الكلدانيين إلى حرّان ، فتزوجها ، وقيل انها بنت هاران بن ناحور وهاران عم إبراهيم ، قاله السهيلي ، فأقاموا بحرّان ومات بها أبوه تارح وعمره مائتا سنة وخمس سنين ، ثم أمر بالخروج إلى أرض الكنعانيين ، ووعده الله بأن تكون أثراً لبنيه ، وأنهم يكثرون مثل حصي الأرض . فنزل بمكان بيت المقدس وهو ابن خمس وسبعين سنة ، ثم أصاب بلد الكنعانيين مجاعة ، فخرج إبراهيم في أهل بيته وقدم مصر ، ووصف لفرعون ملك القبط جمال امرأته سارة فأحضرها عنده ، ولما همّ بها يبست يده على صدره ، فطلب منها الإقالة فدعت له الله فانطلقت يده . ويقال عاود ذلك ثلاثا يصاب في كلها وتدعو له فردّها إلى إبراهيم ، واستخدمها هاجر .^(١) قال الطبري والملك الذي أراد سارة هو سنان بن علوان وهو أخو الضحاك ، والظاهر أنه من ملوك القبط .

ثم ساروا إلى أرض كنعان بالشام ، ويقال أن هاجر أهداها ملك الأردن لسارة ، وكان اسمه فيما قال الضبي صلاوق ، وأنه انتزع سارة من إبراهيم ، ولما همّ بها صرع مكانه وسألها في الدعاء ، فدعت له فأفاق فردّها إلى إبراهيم ، وأخدمها هاجر أمة كانت لبعض ملوك القبط . ولما عاد إبراهيم إلى أرض كنعان ، نزل جيرون وهو مدفنه المسمى بالخليل ، وكانت معظمة تعظمها الصابئة ، وتسكب عليها الزيت للقربان ، وتزعم أنها هيكل المشتري والزهرة ، فسماها العبرانيون إيليا ومعناه بيت الله .

ثم أن لوطا فارق إبراهيم عليه السلام لكثرة مواشيها وتابعها وضيق المرعى ، فنزل المؤتفكة بناحية فلسطين وهي بلاد العدور المعروف بعدور صقر ، وكانت هناك على ما

(١) ويروي الطبري هذه الحادثة في ج ١ ص ١٣٥ : (وكانت سارة من أحسن الناس فيما يقال فكانت لا تعصي ابراهيم شيئا وبذلك أكرمها الله عز وجل فلما وصف لفرعون ووصف له حسنًا وجالها ارسل الى ابراهيم فقال : ما هذه المرأة التي معك ؟ قال : هي أختي وتخوف ابراهيم ان قال هي امرأتي ان يقتله عنها . فقال لإبراهيم : زينها ثم ارسلها اليّ حتى انظر اليها ، فرجع ابراهيم الى سارة وأمرها فتهيات ثم ارسلها اليه ، فأقبلت حتى دخلت عليه ، فلما قعدت اليه تناولها بيده فبيست الى صدره . فلما رأى ذلك فرعون أعظم أمرها وقال : ادعي الله ان يطلق عني فوالله لا اريك مكروها ولأحسنن اليك . فقالت : اللهم إن كان صادقا فاطلق يده ، فردّها الى إبراهيم ووهب لها هاجر جارية كانت له قبطية . وفي كتاب البدء والتاريخ ج ٣ — ص ٥٢ ما شابه ذلك .

نقله المحققون خمس قرى سدوم . ووجدهم على ارتكاب الفواحش ، فدعاهم الى الدين ، ونهاهم عن المخالفة ، فكذبوه وعتوا ، وأقام فيهم داعياً الى الله إلى أن هلكوا كما قصّه القرآن . وخرج لوط مع عساكر كنعان وفلسطين للقاء ملوك الشرق حين زحفوا إلى أرض الشام ، وكانوا أربعة ملوك ملك الأهواز من بني غليم بن سام واسمه كَرَزِلَا عامر ، وملك بابل واسمه في التوراة شَنْعَا واسمه أمراقيل ويقال هو نمروذ ، وملك الأستار وما أدري معنى هذه اللفظة واسمه أَرْيُوح ، وملك كوتم ومعناه ملك أمم أو جماعة واسمه تزعال . وكان ملوك كنعان الذين خرجوا إليهم خمسة على عدد القرى الخمسة ، وذلك أن ملك الأهواز كان استعبدهم اثني عشرة سنة ، ثم عَصَوْا فزحف إليهم واستجاش بالملوك المذكورين معه ، فأصابوا من أهل جبال يَسْعِينَ إلى فاران التي في البرية وكان بها يومئذ الجويون من شعوب كنعان أيضا . وخرج ملك سدوم وأصحابه لمدافعتهم فانهزم هو والملوك الذين معه من أهل سدوم ، وسباهم ملك الأهواز ومن معه من الملوك ، وأسروا لوطا وسبوا أهله وغنموا ماشيته . وبلغ الخبر إبراهيم عليه السلام فاتبعهم في ولده ومواليه نحواً من ثلثائة وثمانية عشر ، ولحقهم بظاهر دمشق فدهمهم ، فانفضوا وخلص لوطا في تلك الواقعة ، وجاء بأهله ومواشيه وتلقاهم ملك سدوم واستعظم فعلتهم .

ثم أوحى الله إلى إبراهيم أن هذه الأرض أرض الكنعانيين التي أنت بها ، ملكتها لك ولذريتك وأكثرهم مثل حصي الأرض ، وأن ذريتك يسكنون في أرض ليست لهم أربعائة سنة ويرجع الحقب الرابع الى هنا .

ثم إن سارة وهبت مملوكتها هاجر القبطية لإبراهيم عليه السلام لعشر سنين من مجيئهم من مصر ، وقالت لعل الله يرزقك منها ولداً . وكان إبراهيم قد سأل الله أن يهب له ولداً فوعده به . وكانت سارة قد كبرت وعقمت عن الولد ، فولدت هاجر لإبراهيم إسماعيل عليهما السلام لست وثمانين من عمره ، وأوحى الله إليه أني قد باركت عليه وكثرته ويولد له اثنا عشر ولداً ، ويكون رئيساً لشعب عظيم . وأدركت سارة الغيرة من هاجر وطلبت منه إخراجها ، وأمره الله أن يطيع سارة في أمرها ، فهاجر بها إلى مكة ووضعها وابنها بمكان زمزم عند دَوْحَةٍ هنالك وانطلق . فقالت له هاجر : الله أمرك ؟ قال : نعم . فقالت : إذا لا يضيعنا . وانطلق إبراهيم وعطش إسماعيل بعد ذلك عطشا شديداً ، وأقامت هاجر تتردد بين الصفا والمروة ، إلى أن صعدت عليها

سبع مرات لعلها تجد شيئاً ، ثم أتته وهو يفحص برجله فنبعت زمزم .
وعن السدي : أنه تركه في مكان الحجر ، واتخذ فيه عريشاً ، وأن جبريل هو الذي
همز له الماء بعقبه ، وأخبرها جرأنها عين يشرب بها ضيفان الله ، وأن أبا هذا الغلام
سيجيء وبينان بيتاً لله هذا مكانه . ثم مرت رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم
أقبلوا من كداء ، ونزلوا أسفل مكة ، فرأوا الطير حائمة ، فقالوا : لا نعلم بهذا الوادي
ماء ، ثم أشرفوا فرأوا المرأة ونزلوا معها هنالك .

وعن ابن عباس : كانت أحيائها قريباً من ذلك المكان ، فلما رأوا الطير تحوم عليه ،
أقبلوا إليه فوجدوها ، فنزلوا معها حتى كان بها أهل أبيات منهم ، وشبَّ إسماعيل
بينهم ، وتعلم اللغة العربية منهم ، وأعجبهم وزوجوه امرأة منهم ، وماتت أمه هاجر
فدفنها في الحجر . ولما رجع إبراهيم وأقام في أهله بالشام ، وبالع أهل المؤتفكة في
العصيان والفاحشة ، ودعاهم لوط فكذبوه وأقام على ذلك . قال الطبري : فأرسل
الله رسولا من الملائكة لاهلاكهم ، ومروا بإبراهيم فأضافهم وخدمهم ، وكان من
ضحك سارة وبشارة الملائكة لها بإسحق وابنه يعقوب ما قصه القرآن ، وكانت
البشارة بإسحق وإبراهيم ابن مائة سنة وسارة بنت تسعين . وفي التوراة إنه أمر أن يحرر
ولده إسماعيل لثلاث عشرة سنة من عمره ، وكل من في بيته من الأحرار فكان ذلك
لتسع وتسعين من عمر إبراهيم ، وقال له ذلك عهد بيني وبينك وذريتك . ثم أهلك
الله المؤتفكة ونجى لوطاً إلى أرض الشام ، فكان بها مع عمه إبراهيم صلوات الله
عليهما . وولدت سارة إسحق ، وأمر الله إبراهيم بعد ولادة إسماعيل وإسحق ببناء بيت
يعبد فيه ويذكر ، ولم يعرف مكانه فجعل له علامة تسير معه حتى وقفت به على
الموضع ، يقال إنها ريح لينة لها رأسان تسير معه حتى تكون بالموضع ، ويقال بل
بعث معه جبريل لذلك حتى أراه الموضع . وكان إبراهيم يعتاد إسماعيل لزيارته ،
ويقال إنه كان يستأذن سارة في ذلك ، وأنها شرطت عليه أن لا يقيم عندهم ، وأن
إبراهيم وجد امرأة لإسماعيل في غيبة منه وكانت من العماليق ، وهي عمارة بنت سعيد
بن أسامة بن أكيل ، فرآها فظة غليظة فأوصاها لإسماعيل بأن يحول عتبة بابه ، فلما
قصت عليه الخبر والوصية قال ذلك أبي يأمرني أن أطلقك فطلقها . وتزوج بعدها
السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي ، وخالفه إبراهيم إلى بيته فتسهلت له
بالإذن وأحسن التحية وقربت الوضوء والطعام ، فأوصاها لإسماعيل بأني قد رضيت

عُتِبَ بَابُكَ ، وَلَمَّا قُصِّتْ عَلَيْهِ الْوَصِيَّةُ قَالَ ذَلِكَ أَبِي يَا مَرْنِي بِإِمْسَاكَكَ فَأَمْسَكَهَا . ثُمَّ جَاءَ إِبْرَاهِيمَ مَرَّةً ثَلَاثَةً وَقَدْ أَمَرَهُ اللَّهُ بِنَاءَ الْبَيْتِ وَأَمَرَ إِسْمَاعِيلَ بِاعَانَتِهِ ، فَرَفَعُوهَا مِنَ الْقَوَاعِدِ وَتَمَّ بِنَاؤُهَا ، وَأُذِنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ .

ثُمَّ زَوَّجَ لُوطَ ابْنَتَهُ مِنْ مَدْيَنَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَجَعَلَ اللَّهُ فِي نَسْلِهَا الْبَرَكَهَ ، فَكَانَ مِنْهُ أَهْلُ مَدْيَنَ الْأُمَّةِ الْمَعْرُوفَةِ .

ثُمَّ ابْتَلَى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ بِذَبْحِ ابْنِهِ فِي رُؤْيَا رَأَاهَا وَهِيَ وَحْيٌ ، وَكَانَتْ الْفَدْيَةُ وَنَجَّى اللَّهُ ذَلِكَ الْوَلَدَ كَمَا قُصَّ فِي الْقُرْآنِ . وَاخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ الذَّبِيحِ مِنْ وَلَدِيهِ فَقِيلَ إِسْمَاعِيلُ وَقِيلَ إِسْحَاقُ ، وَذَهَبَ إِلَى كُلَا الْقَوْلَيْنِ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، فَالْقَوْلُ بِإِسْمَاعِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ وَالشَّعْبِيِّ وَمُحَاهِدٍ وَالْحَسَنِ وَمُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ وَقَدْ يَحْتَجُّونَ لَهُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَنَا ابْنُ الذَّبِيحِينَ» ، وَلَا تَقْوَى الْحُجَّةُ بِهِ لِأَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ قَدْ يَجْعَلُ أَبَاهُ يَضْرِبُ مِنَ التَّجَوُّزِ لَأَسْمَا فِي مِثْلِ هَذَا الْفَخْرِ . وَيَحْتَجُّونَ أَيْضًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : «فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ» ، وَلَوْ كَانَ ذَبِيحًا فِي زَمَنِ الصَّبَا ، لَمْ تَصَحَّ الْبَشَارَةُ بِابْنٍ يَكُونُ لَهُ لِأَنَّ الذَّبِيحَ فِي الصَّبَا يَنَافِي وَجُودَ الْوَلَدِ ، وَلَا تَقُومُ مِنْ ذَلِكَ حُجَّةٌ ، لِأَنَّ الْبَشَارَةَ إِنَّمَا وَقَعَتْ عَلَى وَفْقِ الْعِلْمِ بِأَنَّهُ لَا يَذْبَحُ وَإِنَّمَا كَانَ ابْتِلَاءً لِإِبْرَاهِيمَ ، وَالْقَوْلُ بِإِسْحَاقَ لِلْعَبَّاسِ وَعُمَرُو وَعَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَمَسْرُوقٍ وَعُكْرَمَةَ وَسَعِيدَ بْنَ جَبْرِ وَعَطَا وَالزَّهْرِيَّ وَمَكْحُولَ وَالسُّدِّيَّ وَقَتَادَةَ .

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ : وَالرَّاجِحُ أَنَّهُ إِسْحَاقُ لِأَنَّ نَصَّ الْقُرْآنِ يَقْتَضِي أَنَّ الذَّبِيحَ هُوَ الْمُبَشَّرُ بِهِ ، وَلَمْ يَبَشِّرْ إِبْرَاهِيمَ بِوَلَدٍ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِهِ سَارَةَ ، مَعَ أَنَّ الْبَشَارَةَ وَقَعَتْ إِجَابَةً لِدَعَائِهِ عِنْدَ مَهَاجَرِهِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ . وَقَوْلُهُ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ ، ثُمَّ قَالَ عَقِبَةُ : رَبُّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ، ثُمَّ قَالَ عَقِبَةُ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ . وَذَلِكَ كُلُّهُ كَانَ قَبْلَ هَاجِرٍ ، لِأَنَّ هَاجِرَ إِنَّمَا مَلَكَتْهَا سَارَةُ بِمَصْرَ ، وَمَلَكَتْهَا لِإِبْرَاهِيمَ بَعْدَ ذَلِكَ بَعِشْرَ سَنِينَ ، فَالْمُبَشَّرُ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ كُلِّهِ إِنَّمَا هُوَ ابْنُ سَارَةَ ، فَهُوَ الذَّبِيحُ بِهَذِهِ الدَّلَالَةِ الْقَاطِعَةِ . وَبَشَارَةُ الْمَلَائِكَةِ لِسَارَةَ بَعْدَ ذَلِكَ حِينَ كَانُوا ضِيُوفًا عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ فِي مَسِيرِهِمْ لِإِهْلَاكِ سَدُومَ ، إِنَّمَا كَانَ تَجْدِيدًا لِلْبَشَارَةِ الْمَتَقَدِّمَةِ أَهـ .

ثم توفيت سارة لمائة وسبع وعشرين من عمرها ، وذلك في قرية جيرون^(١) من بلاد بني حبيب الكنعانيين ، فطلب إبراهيم منهم مقبرة لها ، فوهبه عفرون بن صخر مغارة كانت في مزرعته ، فامتنع من قبولها إلا بالثمن ، فأجاب إلى ذلك ، وأعطاه إبراهيم أربعمئة مثقال فضة ودفن فيها سارة . وتزوج إبراهيم من بعدها قطورا بنت يقطان من الكنعانيين . وقال السهيلي قنطورا بزيادة نون بين القاف والطاء ، وهذا الإسم أعجمي وطاؤه قرية من التاء ، فولدت له كما هو مذكور في التوراة ستة من الولد وهم : زمران يقشان مدان مدين أشبق شوخ . ثم وقع في التوراة ذكر أولادهم فولد يقشان سبا ودذان ، وولد دذان آشور ثم ولطوسيح ولاميم . وولد مدين عيفا وعيفين وحنوخ وأفيداع وألزاعا هذا آخر ولده من قنطورا في التوراة . وقال السهيلي : كان لإبراهيم عليه السلام أولاد آخرون خمسة من امرأة اسمها حُجَّين أو حجَّون بنت أهيب ، وهم كبسان وفروخ وأميم ولوطان ونافس . ولما ذكر الطبري بني قنطورا الستة وسمي منهم يقشان ، قال بعده : وسائرهم من الأخرى وهي رَعَوَة . ثم قال : ومن يَقْشَان جيل البربر اهـ . فولد إبراهيم على هذا ثلاثة عشر : فإسماعيل من هاجر ، وإسحق من سارة ، وستة من قنطورا كما ذكر في التوراة ، والخمسة بنو حُجَّين عند السهيلي ، أو رَعَوَة عند الطبري .

وكان إبراهيم عليه السلام قد عهد لابنه إسحق أن لا يتزوج في الكنعانيين ، وأكد العهد والوصية بذلك لمولاه القائم على أموره ، ثم بعثه إلى حرّان مهاجرهم الأول ، فخطب من ابن أخيه بتويل بن ناحور بن آزر بنته رفقا فزوجها أبوها واحتملها ومن معها من الجوّاري وجاء بها إلى إسحق في حياة أبيه وعمره يومئذ أربعون سنة فترّوجها ، وولدت له يعقوب وعيصو توأمين وسنذكر خبرهما . ثم قبض الله نبيه إبراهيم صلوات الله عليه بمكان هُجْرته من أرض كنعان وهو ابن مائة وخمس وسبعين سنة ، ودفن مع سارة في مغارة عفرون الحبيبي ، وعُرف بالخليل لهذا العهد ، ثم جعل الله في ذريته النبوة والكتاب آخر الدهر .

(١) جيرون : بالفتح ، قال ابن الفقيه : ومن بنائهم جيرون عند باب دمشق من بناء سليمان بن داود عليه السلام . ويقال إن الشياطين بنته ، وهي سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف وحولها مدينة تطيف بها ، قال : واسم الشيطان الذي بناه جيرون فسُمي به ... (معجم البلدان) وربما المقصود جيرون كما في التوراة .

فإسماعيل سكن مع جرّهم بمكة وتزوج فيهم وتعلم لغتهم وتكلم بها وصار أبا لمن بعده من أجيال العرب ، وبعثه الله إلى جرّهم والعمالة الذين كانوا بمكة ، وإلى أهل اليمن فأمن بعض وكفر بعض . ثم قبضه الله إليه وخلف ولده بين جرّهم ، وكانوا على ما ذكر في التوراة اثنتي عشر أكبرهم بنايوت وهو الذي تقوله العرب نابت ونبت ، ثم قيذار وأدبيل وبسام ومشمع وذوما ومسار وحرّاه وقيا وبطور ونافس وقدا . قال ابن إسحق : وعاش فيما ذكر مائة وثلاثين سنة ، ودفن في الحجر مع أمه هاجر ، ويقال آجر . وفي التوراة أنّه قبض ابن مائة وسبع وثلاثين سنة ، وأنّ شيعته سكنوا من حويلا إلى شور قبالة مِصر من مدخل أثور ، وسكنوا على حذر شيع اخوته . وحويلا عند أهل التوراة هي جنوب برقة والواو منها قرية من الباء ، وشور هي أرض الحجاز ، وأثور بلاد الموصل والجزيرة . ثم ولي أمر البيت من بعد إسماعيل ابنه نابت ، وأقام ولده بمكة مع أخوالهم جرّهم حتى تشعبوا وكثر نسلهم وتعدّدت بطونهم من عدنان في عداد معد ، ثم بطون معد في ربيعة ومضر وإياد وأنمار بني نزار بن معد ، فضاقت بهم مكة ، على ما نذكره عند ذكر قريش وأخبار ملكهم بمكة ، فكانت بطون عدنان هذه كلها من ولد إسماعيل لابنه نابت ، وقيل لقيذار ، ولم يذكر النسّابون نسلاً من ولده الآخرين ، وتشعبت من إسماعيل أيضاً عند جماعة من أهل العلم بالنسب بطون قحطان كلها فيكون على هذا أبا لجميع العرب بعده .

وأما إسحق فأقام بمكانه من فلسطين ، وعمر وعمي بعد الكثير من عمره وبارك على ولده يعقوب فغضب بذلك أخوه عيصو ، وهمّ بقتله فأشارت عليه رفقا بنت بتويل بالسير إلى حرّان عند خاله لابان بن بتويل ، فأقام عنده وزوجه بنتيه ، فزوجه أولا الكبرى واسمها ليا وأخدمها جاريتها زلفة ، ثم من بعدها أختها الصغرى واسمها راحيل وأخدمها جاريتها بلها . وأول من ولد منهنّ ليا ولدت له روييل ، ثم شمعون ، ثم لاوي ، ثم يهوذا . وكانت راحيل لا تحبّ فوهبت جاريتها بلها ليعقوب لتلد منه ، فولدت له دان ثم نفتالي . ولما فعلت ذلك راحيل وهبت أختها ليا ليعقوب عليه السلام جاريتها زلفة فولدت له كادو وآشر ، ثم ولدت ليا من بعد ذلك يساخر ، ثم زبولون ، فكمل له بذلك عشرة من الولد . ثم دعت راحيل الله عز وجل أن يهب لها ولدا من يعقوب فولدت يوسف ، وقد كملت له بحرّان عشرون سنة ، ثم أمر بالرحيل إلى أرض كنعان التي وعدوا بملكها . فارتحل وخرج لابان في اتباعه وعزم له في المقام

عنده ، فأبى فودّعه وانصرف إلى حران وسار يعقوب لوجهه حتى إذا قرب من بدعصو ، وهو جبل يسعين بأرض الكرك والشوبك لهذا العهد ، إعترضه عيصو لتلقيه وكرامته ، فأهدى إليه يعقوب من ماشيته هدية احتفل فيها وتودّد إليه بالخضوع والتضرّع ، فذهب ما كان عند عيصو وأوحى الله إليه بأن يكون اسمه إسرائيل ، ومرّ على أورشليم وهي بيت المقدس فاشترى هنالك مزرعة ضرب فيها فسطاطه وأمر ببناء مرجح سماه إيل في مكان الصخرة . ثم حملت راحيل هنالك فولدت له بنيامين ، وماتت من نفاسه ودفنها في بيت لحم . ثم جاء إلى أبيه إسحق بقرية جيرون من أرض كنعان فأقام عنده .

ومات إسحق عليه السلام لمائة وثمانين سنة من عمره ودفن مع أبيه في المغارة ، وأقام يعقوب بمكانه وولده عنده ، وشب يوسف عليه السلام على غير حالهم من كرامة الله به ، وقصّ عليهم رؤياه التي بشر الله فيها بأمره فغصوا به وخرجوا معه إلى الصيد ، فألقوه في الحب واستخرجهم السيّارة الذين مروا به بعد ذلك وباعوه للعرب بعشرين مثقالاً ، ويقال إنّ الذي تولّى بيعه هو مالك بن دعر بن واين بن عيفا بن مدين . واشتراه من العرب عزيز مصر وهو وزيرها أو صاحب شرطتها . قال ابن إسحق واسمه أطفير بن رجب وقيل قوطفير . وكان ملكها يومئذ من العماليق ، الريّان بن الوليد بن دؤمغ ، وربى يوسف عليه السلام في بيت العزيز فكان من شأنه مع امرأته زليخا ، ومكثه في السجن ، وتعبيره الرؤيا للمحبوسين من أصحاب الملك ما هو مذكور في الكتاب الكريم . ثم استعمله ملك مصر عندما خشي السنة^(١) والغلاء على خزائن الزرع في سائر مملكته يقدر جمعها وتصريف الأرزاق منها وأطلق يده بذلك في جميع أعماله ، وألبسه خاتمه وحمله على مركبه ، ويوسف لذلك العهد ابن ثلاثين سنة . فقيل عزل أطفير العزيز وولاه ، وقيل بل مات أطفير فتزوّج زليخا وتولّى عمله وكان ذلك سبباً لانتظام شمله بأبيه واخوته لما أصابتهم السنة بأرض كنعان وجاء بعضهم للميرة ، وكال لهم يوسف عليه السلام ، وردّ عليهم بضاعتهم وطالبهم بحضور أخيه فكان ذلك كله سبباً لاجتماعه بأبيه يعقوب بعد أن كبر وعمي .

قال ابن اسحق : كان ذلك لعشرين سنة من مغيبه ، ولما وصل يعقوب إلى بلبس قريبا من مصر ، خرج يوسف ليلقاه ، ويقال خرج فرعون معه ، وأطلق لهم أرض

(١) سنت الارض : صارت سنيناً أي اكل نباتها (قاموس) .

بليس يسكنون بها ويتنفعون . وكان وصول يعقوب صلوات الله عليه في سبعين راكباً من بنيه ، ومعه أيوب^(١) النبي من بني عيصو ، وهو أيوب بن برخا بن زبرج بن رعويل بن عيصو ، واستقرّوا جميعاً بمصر ثم قبض يعقوب صلوات الله عليه لسبع عشرة سنة من مقدمه ولماة وأربعين من عمره ، وحمله يوسف صلوات الله عليه إلى أرض فلسطين ، وخرج معه أكابر مصر وشيوخها بإذن من فرعون . واعترضهم بعض الكنعانيين في طريقهم ، فأوقعوا بهم ، وانتهوا إلى مدفن إبراهيم وإسحق عليهما السلام فدفنوه في المغارة عندهما ، وانتقلوا إلى مصر ، وأقام يوسف صلوات الله عليه بعد موت أبيه ومعه إخوته إلى أن أدركته الوفاة فقبض لمائة وعشرين سنة من عمره ، وأدرج في تابوت وختم عليه ، ودفن في بعض مجاري النيل . وكان يوسف أوصى أن يجمل عند خروج بني إسرائيل إلى أرض اليفاع ، فيدفن هنالك ولم تزل وصيته محفوظة عندهم إلى أن حمله موسى صلوات الله عليه عند خروجه ببني إسرائيل من مصر .

ولما قبض يوسف صلوات الله عليه ، وبقي من بقي من الأسباط إخوته وبنيه تحت سلطان الفراعنة بمصر ، تشعب نسلهم ، وتعدّدوا إلى أن كثروا أهل الدولة وارتابوا بهم فاستعبدوهم . قال المسعودي : دخل يعقوب إلى مصر مع ولده الأسباط وأولادهم حين أتوا إلى يوسف في سبعين راكباً ، وكان مقامهم بمصر إلى أن خرجوا مع موسى صلوات الله عليه نحواً من مائتين وعشر سنين ، فتداوهم ملوك القبط والعمالقة بمصر ، ثم أحصاهم موسى في التّيه ، وعدّ من يطبق حمل السلاح من ابن عشرين فما فوقها ، فكانوا ستمائة ألف ويزيدون . وقد ذكرنا ما في هذا العدد من الوهم والغلو في مقدّمة الكتاب ، فلا نطوّل به . ووقعه في نصّ التوراة لا يقضي بتحقيق هذا العدد لأنّ المقام للمبالغة ، فلا تكون أعداده نصوصاً . وكان ليوسف صلوات الله عليه من الولد كثير ، إلّا أنّ المعروف منهم إثنان أفرايم ومنشى^(٢) وهما معدودان في الأسباط ، لأنّ يعقوب صلوات الله عليه أدركهما وبارك عليهما وجعلهما من جملة ولده ، وقد يزعم بعض من لا تحقيق عنده أنّ يوسف صلوات الله عليه استقلّ آخرًا بملك مصر . وينسب لبعض ضعفة المفسرين ومعتدّهم في ذلك قول

(١) هو أيوب بن موص بن رازح بن عيص ، كذا في كتب التفسير ، قاله نصر .

(٢) ورد ذكره في التوراة : منس .

يوسف عليه السلام في دعائه : رب قد آتيتني من المُلْك . ولا دليل لهم في ذلك لأنَّ كل من مَلِك شيئاً ولو في خاصة نفسه فاستيلاؤه يُسمى مُلكاً حتى البيت والفرس والخادم ، فكيف من مَلِك التصرُّف ولو كان في شعب واحد منها فهو ملك وقد كان العرب يُسمُّون أهل القرى والمدائن ملوكاً ، مثل هَجَرَ وَمَعَانَ ودُومَةَ الجَنْدَل ، فما ظنك بوزير مصر لذلك العهد وفي تلك الدولة ، وقد كان في الخلافة العباسية تُسمى ولاية الأطراف وعماها ملوكاً ، فلا استدلال لهم في هذه الصيغة . وأخرى أيضاً فيما يستدلون به من قوله تعالى : «وكذلك مكنا ليوسف في الأرض» أن لا يكون لهم فيه مستند لأنَّ التمكين يكون بغير الملك . ونص القرآن إنَّما هو بولايته على أمور الزرع في جمعه وتفريقه كما قال تعالى : «اجعني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم» . ومساق القصة كلها أنه مرؤس في تلك الدولة بقرائن الحال كلها لا ما يتوهم من تلك اللفظة الواقعة في دعائه ، فلا نعدل عن النص المحفوف بالقرائن إلى هذا المتوهم الضعيف . وأيضاً فالقصة في التوراة قد وقعت صريحة في أنه لم يكن ملكاً ولا صار إليه مُلك . وأيضاً فالأمر الطبيعي من الشوكة والقطامة له يدفع أن يكون حصل له ملك ، لأنَّه إنَّما كان في تلك الدولة قبل أن يأتي إليه إخوته منفرداً لا يملك إلا نفسه ولا يتأتى المُلْكُ في هذا الحال وقد تقدَّم ذلك في مقدمة الكتاب والله أعلم .

وأما عيصو بن إسحق فسكن جبال بني يَسْعِينَ من بني جوي ، إحدى شعوب كنعان ، وهي جبال الشراة بين تبوك وفلسطين وتُعرف اليوم ببلاد كرك والشوبك ، وكان من شعوبهم هناك على ما في التوراة بنو لوطان وبنو شوبال وبنو صمقون وبنو عنا وبنو ديشوق وبنو يصد وبنو ديسان سبعة شعوب . ومن بني ديشون الأشبان ، فسكن عيصو بينهم بتلك البلاد ، وتزوَّج منهم من بنات عنا بن يسعين من جوى ، وهي أهليقاما ، وتزوَّج أيضاً من بنات حي من الكنعانيين عازا بنت أيلول ، وباسمت بنت إسماعيل عليه السلام . وكان له من الولد خمسة مذكورون في التوراة وأكبرهم أليفاز ، بالفاء المفخمة وإشباع حركتها وزاي معجمة من بعدها ، من عازا بنت أيلول ، ثم رعويل من باسمت بنت إسماعيل ، ثم يعوش ويعلام وقورح من أهليقاما بنت عنا . وولد أليفاز ستة من الولد ثمال وأومار وصفو وكعتام وقاتل وعماق السادس ، لسرية اسمها تمتاع وهي شقيقة لوطان بن يسعين . وولد رعويل بن عيصو أربعة من الولد ، ناحة وزيدم وشتا ومرا . هكذا وقع ذكر وُلْد العيص وولدهم في التوراة ، وفيها أنَّ

العيص اسمه أروم^(١) ، فلذلك قيل لهم بنو أروم ، ولبعض الاسرائيليين أن أروم اسم لذلك الجبل ومعناه بالعبرانية الجبل الأحمر الذي لا نبات به . وقد يقع لبعض المؤرخين أن القياصرة ملوك الروم من ولد عيصو ، وقال الطبري : أن الروم وفارس من ولد رعويل ابن باسنت . وليس ذلك كله بصحيح ورأيت في كتاب يوسف بن كرمون مؤرخ العمارة الثانية بيت المقدس قبيل الجلوة الكبرى ، وكان من كهنتينا اليهود وهو قريب من الغلط .

قال ابن حزم في كتاب الجمهرة : وكأن لإسحق عليه السلام ابن آخر غير يعقوب اسمه عيصاب أو عيصو ، كان بنوه يسكنون جبال الشراة بين الشام والحجاز ، وقد بادوا جملة ، إلا أن قوما يذكرون أن الروم من ولده وهذا خطأ . وإنما وقع لهم هذا الغلط لأن موضعهم كان يقال له أروم فظنوا أن الروم من ذلك الموضع ، وليس كذلك لأن الروم إنما نسبوا الى رومس باني رومة ، فإن ظن ظان أن قول النبي صلى الله عليه وسلم للحر بن قيس هل لك في بلاد بني الأصفر العام ، وذلك في غزوة تبوك ، يدل على أن الروم من بني الأصفر وهو عيصاب المذكور فليس كما ظن . وقول النبي صلى الله عليه وسلم حق ، وإنما عني عليه السلام بني عيصاب على الحقيقة لا الروم ، لأن مغزاه عليه الصلاة والسلام في تلك الغزوة كان إلى ناحية الشراة مسكن القوم المذكورين اهـ كلام ابن حزم .

وزعم أهروشيوش مؤرخ الروم أن أم الفينان وهاؤا وعالوم وقدوح الأربعة من بنات كاتيم بن ياوان ابن يافث ، والأول أصح لأنه نص التوراة . ثم كثر نسل بني عيصو بأرض يسعين وغلبوا الجويين على تلك البلاد وغلبوا بني مدين أيضا على بلادهم إلى أيلة . وتداول فيهم ملوك وعظماء كان منهم فالغ بن ساعور ، وبعده يودب بن زيدح ، ثم كان منهم هداد بن مدّاد الذي أخرج بني مدين عن مواطنهم ، ثم كان فيهم بعده ملوك إلى أن زحف يوشع الى الشام وفتح أريحاء وما بعدها وانتزع الملك من جميع الأمم الذين كانوا هنالك ، ثم استلحمهم بختنصر عندما ملك أرض القدس ، ولحق بعضهم بأرض يونان ، وبعضهم بأفريقية . وأما عمالق بن أليفاز فمن عقبه عند الاسرائيليين عمالقة الشام ، وفي قول فراعنة مصر من القبط ونسّاب العرب ، يابون

(١) وفي نسخة اخرى : أدوم .

من ذلك ونسبوههم إلى عملاق بن لاوذ كما مرّ . ثم بنو يروم وكنعان ولم يبق منهم عين تطرف والله الباقي بعد فناء خلقه .

وأما مَدَّين بن إبراهيم فتزوج بابنة لوط وجعل الله في نسلها البركة ، وكان له من الولد خمسة عيِّفا وعيِّفين وخنوخ وأنيداغ والأزاعا . وقد تقدّم ذكرهم في ولد إبراهيم من قنطورا ، فكان منهم مدين أمة كبيرة ذات بطون وشعوب ، وكانوا من أكبر قبائل الشام وأكثرهم عددا ، وكانت مواطنهم تجاور أرض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز قريبا من بحيرة قوم لوط ، وكان لهم تغلب بتلك الأرض ، فعتوا وبغوا وعبدوا الآلهة ، وكانوا يقطعون السبل ويبخسون في المكيال . وبعث الله فيهم شعبيا نبيا منهم ، وهو ابن نويل بن رعويل بن عيا بن مَدَّين . قال المسعودي : مَدَّين هؤلاء من ولد المخضّر بن جندل بن يعصب بن مَدَّين ، وأنّ شعبيا أخوهم في النسب ، وكانوا ملوكا عدة يسمون بكلمات أجد إلى آخرها وفيه نظر . وقال ابن حبيب في كتاب البدء : هو شعيب بن نويب بن أحزم بن مَدَّين . وقال السهيلي : شعيب بن عيفا ، ويقال ابن صيفون ، وشعيب هذا هو شعيب موسى الذي هاجر إليه من مصر أيام القبط واستأجره على إنكاح ابنته أياه على أن يخدمه ثماني سنين ، وأخذ عنه آداب الكتاب والنبوة حسبا يأتي عند ذكر موسى صلوات الله عليهما وأخبار بني إسرائيل . وقال الصيمري الذي استأجر موسى وزوجه : هو بئر بن رعويل ، ووقع في التوراة أن اسمه يَبْرُ وأن رعويل أباه أو عمّه هو الذي تولى عقد النكاح . وكان لمَدَّين هؤلاء مع بني إسرائيل حروب بالشام ، ثم تغلب عليهم بنو إسرائيل وانقرضوا جميعا .

وأما لوط بن هاران أخي إبراهيم عليهما السلام فقد تقدّم من خبره مع قومه ما ذكرناه هنالك ، ولما نجا بعد هلاكهم لحق بأرض فلسطين ، فكان بها مع إبراهيم إلى أن قبضه الله ، وكان له من الولد على ما ذكر في التوراة عمون بتشديد الميم واشباع حركتها بالضمّ ونون بعدها ، وموآبي باشباع ضمة الميم واشباع فتحة الهمزة بعدها وياء تحتية وبعدها ياء ساكنة هوائية ، وجعل الله في نسلها البركة ، حتى كانوا من أكثر قبائل الشام ، وكانت مساكنهم بأرض البلقاء ومدائنها في بلد موآبي ومعان وماوالاهما ، وكانت لهم مع بني إسرائيل حروب نذكرها في أخبارهم ، وكان منهم بلعام بن باعورا بن رسيوم بن برسيم بن موآبي ، وقصته مع ملك كنعان حين طلبه في الدعاء على بني إسرائيل أيام موسى صلوات الله عليه وأنّ دعاءه صرف إلى

الكنعانيين ، مذكورة في التوراة ونوردها في موضعها .
وأما ناحور أخو إبراهيم عليه السلام فقد تقدّم ذكره أنه هاجر مع إبراهيم عليه السلام
من بابل الى حرّان ، ثم إلى الأرض المقدّسة ، فكان معه هنالك ، وكانت زوجته
ملّكا بنت أخيه هاران ، وملّكا هذه هي أخت سارة زوج إبراهيم عليه السلام وأم
إسحق ، وكان لناحور من ملّكا على ما وقع في نص التوراة ثمانية من الولد عوص
وبوص وقمويل وهو أبو الأرمن ، وكاس ومنه الكلدانّيون الذين كان منه بختنصر
وملوك بابل ، وحذو وبلداس وبلداف ويثويل . وكان له من سرّيّة إسمها أدوما أربعة
من الولد وهم طالج وكاحم وتاخش وماعخا . وهؤلاء ولد ناحور أخى إبراهيم كلهم
مذكورون في التوراة وهم إثنا عشر ولدا ، وهؤلاء كلهم بادوا وانقرضوا ، ولم يبق منهم
إلا الأرمن من قمويل بن ناحور أخى إبراهيم عليه السلام ابن آزر وهم لهذا العهد على
دين النصرانية ومواطنهم في أرمينية شرقي القسطنطينيّة ، والله وارث الأرض ومن عليها
وهو خير الوارثين . وهذا آخر الكلام في الطبقة الأولى من العرب ومن عاصرهم من
الأمم ، ولنرجع إلى أهل الطبقة الثانية وهم العرب المستعربة ، والله سبحانه وتعالى
الكفيل بالإعانة .

الطبقة الثانية من العرب وهم العرب المستعربة وذكر أنسابهم وايامهم وملوكهم والامام ببعض الدول التي كانت على عهدهم

وإنما سمّي أهل هذه الطبقة بهذا الإسم لأنّ السمات والشعائر العربية لما انتقلت إليهم من قبلهم ، إعتبرت فيها الصيرورة ، بمعنى أنهم صاروا إلى حال لم يكن عليها أهل نسبهم ، وهي اللغة العربية التي تكلموا بها ، فهو من استفعل بمعنى الصيرورة من قولهم : استنوق الحمل ، واستحجر الطين . وأهل الطبقة الأولى لما كانوا أقدم الأمم فيما يعلم جيلا ، كانت اللغة العربية لهم بالأصالة وقيل العاربة .

واعلم أنّ أهل هذا الجيل من العرب يعرقون باليمنيّة والسبائيّة ، وقد تقدم أنّ نسابة بني إسرائيل يزعمون أنّ أباهم سبّا من وُلِدَ كوش بن كنعان ، ونسابة العرب يأبون ذلك ويدفعونه ، والصحيح الذي عليه كافتهم أنهم من قحطان ، وأنّ سبا هو ابن يشجب بن يعرّب بن قحطان . وقال ابن اسحق يعرّب بن يشجب فقدم وأخر . وقال ابن ماكولا على ما نقل عنه السهيلي اسم قحطان مهزّم . وبين النسابة خلاف في نسب قحطان فقيل هو ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام أخو فالغ ، ويقطن ولم يقع له ذكر في التوراة ، وإنّا ذكر فالغ ويقطن . وقيل هو معرّب يقطن لأنّه إسم أعجمي والعرب تتصرّف في الأسماء الأعجمية بتبديل حروفها وتغييرها وتقديم بعضها على بعض . وقيل إنّ قحطان بن يمن بن قidar ، وقيل إنّ قحطان من وُلِدَ إسماعيل . وأصح ما قيل في هذا أنّه قحطان بن يمن بن قيدر ، ويقال الهُميسع بن يمن بن قidar ، وأنّ يمن هذا سميت به اليمن . وقال ابن هشام أنّ يعرب ابن قحطان كان يسمى يمنا وبه سميت اليمن . فعلى القول بأنّ قحطان من وُلِدَ إسماعيل تكون العرب كلهم من وُلِدِهِ لأنّ عدنان وقحطان يستوعبان شعوب العرب كلها .

وقد احتج لذلك من ذهب إليه بأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال لرماة الأنصار : «ارموا يا بني إسماعيل فإنّ أباكم كان راميا» . والانصار من ولد سبا وهو ابن قحطان ، وقيل إنّما قال ذلك لقوم من أسلم من أقصى أخوة خزاعة بن حارثة بناء على أنّ نسبهم في سبا . وقال السهيلي ولا حجة في شيء منها لأنه إذا كانت العرب كلها من ولد

إسماعيل ، فهذا من السهيليّ جنوح إلى القول بمفهوم اللقب وهو ضعيف . ثم قال :
والصحيح أنّ هذا القول إنّما كان منه صلى الله عليه وسلم لأسلم كما قدّمناه وإنّا أراد أنّ
خزاعة من معدّ بن إلياس بن مُضَرّ وليسوا من سبّا ، ولا من قحطان كما هو الصحيح
في نسبهم على ما يأتي . واحتجوا أيضا لذلك بأنّ قحطان لم يقع له ذكر في التوراة كما
تقدم ، فدلّ على أنه ليس من وُلدٍ عابر فترجّح القول بأنّه من إسماعيل ، وهذا مردود
بما تقدم أنّ قحطان معرب يَقُطُن وهو الصحيح ، وليس بين الناس خلاف في أنّ
قحطان أبو اليمن كلهم . ويقال إنه أوّل من تلّم بالعربية ومعناه من أهل هذا الجبل
الذين هم العرب المستعربة من اليمنية ، وإلاّ فقد كان للعرب جيل آخر وهم العرب
العاربة ، ومنهم تعلم قحطان تلك اللغة العربية ضرورة ولا يمكن أن يتكلم بها من
ذات نفسه . وكان بنو قحطان هؤلاء معاصرين لإخوانهم من العرب العاربة
ومظاهرين لهم على أمورهم ، ولم يزالوا مجتمعين في مجالات البادية مبعدين عن رتبة
المُلْك وترفه الذي كان لأولئك فأصبحوا بمنجاة من الهرم الذي يسوق إليه الترف
والنضارة ، فتشعبت في أرض الفضا فصائلهم ، وتعدّد في جوّ القفر أفخاذهم
وعشائرهم ونمّا عددهم ، وكثّر إخوانهم من العماقة في آخر ذلك الجبل ، وزاحموهم
بمناكبهم ، واستجدوا خلق الدولة بما استأنفوه من عزهم .

وكانت الدولة لبني قحطان متصلة فيهم ، وكان يعرب بن قحطان من أعظم ملوك
العرب . يقال إنه أوّل من حيّاه قومه بتحية المُلْك . قال ابن سعيد : وهو الذي ملك
بلاد اليمن وغلب عليها قوم عاد ، وغلب العماقة على الحجاز ، وولى إخوته على جميع
أعمالهم ، فولّى جرّهما على الحجاز ، وعاد بن قحطان على الشحر ، وحضر موت بن
قحطان على جبال الشحر ، وعُمان بن قحطان على بلاد عُمان هكذا ذكر البيهقي .

وقال ابن حزم : وعدّ لقحطان عشرة من الوُلد وأنه لم يعقب منهم أحد ، ثم ذكر
ابنين منهم دخلوا في حمير ، ثم ذكر الحرث بن قحطان ، وقال فولد فيما يقال له
لاسور ، وهم رهط حنظلة بن صفوان نبي الرّس ، والرّس ما بين نجران إلى اليمن
ومن حضر موت إلى اليمامة ، ثم ذكر يعرب بن قحطان وقال فيهم الحميريّة والعُدّاد
انتهى . قال ابن سعيد وملك بعد يعرب ابنه يشجب وقيل اسمه يَمَن واستبدّ أعمامه بما
في أيديهم من الممالك ، وملك بعده ابنه عبد شمس وقيل عابر ويسمى سبّا لأنه قيل
إنه أوّل من سنّ السبي ، وبنى مدينة سبّا وسد مأرب . وقال صاحب التيجان إنه غزا

الأقطار وبني مدينة عين شمس باقليم مصر وولّى عليها ابنه بابليون . وكان لسبّا من
الوُلد كثير وأشهرهم حمير وكهلان اللذان منها الامتان العظيمتان من اليمنيّة أهل
الكثرة والملك والعزّ ومُلْك حمير منهم أعظمه . وكان منهم التبابعة كما يذكر في
أخبارهم ، وعدّ ابن حزم في وُلده زيدان وابنه نجران بن زيدان وبه سميت البلد .
ولما هلك سبّا قام بالملك بعده ابنه حمير ويعرف بالعرنجج ، وقيل هو أول من تتوج
بالذهب ويقال إنه ملك خمسين سنة ، وكان له من الوُلد ستة فما قال السهيلي :
واثل ومالك وزيد وعامر وعوف وسعد . وقال أبو محمد بن حزم الهميسع : ومالك
وزيد وواثل ومشروح ومعديكرب وأوس ومرة . وعاش فيما قال السهيلي ثلثمائة سنة ،
وملك بعده ابنه واثل وتغلب أخوه مالك بن حمير على عُمان ، فكانت بينهما
حروب . وقال ابن سعيد : إنّ الذي ملك بعد حمير أخوه كهلان ، ومن بعده واثل
بن حمير ، ثم من بعد واثل السكسك بن واثل ، وكان مالك بن حمير قد هلك
وغلب على عُمان بعده ابنه قضاة فحاربه السكسك وأخرجه عنها ، وملك بعده ابنه
يعفر بن السكسك ، وخرجت عليه الخوارج ، وحاربه مالك بن الحاف بن
قضاة ، وطالت الفتنة بينهما ، وهلك يعفر وخلف ابنه النعمان حملا ويعرف
بالمعافر ، واستبد عليه من بني حمير ماران بن عوف بن حمير ويعرف بذي رياش
وكان صاحب البحرين ، فترل نجران واشتغل بحرب مالك بن الحاف بن قضاة .
ولما كبر النعمان حبس ذارياش واستبدّ بأمره وطال عمره وملك بعده ابنه أسجم بن
المعافر ، فاضطربت أحوال حمير ، وصار ملكهم طوائف إلى أن استقر في الرايش
وبنيه التبابعة كما نذكره .

ويقال إنّ بني كهلان تداولوا الملك مع حمير هؤلاء ، وملك منهم جبّار بن غالب بن
كهلان ، وملك أيضا من شعوب قحطان نجران بن زيد بن يعرب بن قحطان ،
وملك من حمير هؤلاء ثم من بني الهميسع بن حمير أبين بن زهير بن الغوث بن أبين
بن الهميسع ، واليه نسب عرب أبين من بلاد اليمن ، وملك منهم أيضا عبد شمس
بن واثل بن الغوث بن حيران بن قطن بن عريب بن زهير بن أبين بن الهميسع بن
حمير ، ثم ملك من أعقابه شداد بن الملطاط بن عمرو بن ذي هرم بن الصوّان بن
عبد شمس ، وبعده أخوه لقمان ، ثم أخوهما ذو شدد وهذاد ومداثر ، وبعده ابنه
الصعب ويقال انه ذو القرنين ، وبعده أخوه الحرث بن ذي شدد ، وهو الرائش جدُّ

الملوك التابعة . وملك في حمير أيضا من بني الهميسع من بني عبد شمس هؤلاء
حسان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس .
قال أبو المنذر هشام بن الكلبي في كتاب الأنساب ونقلته من أصل عتيق بخط
القاضي المحدث أبي القاسم بن عبد الرحمن بن حيش قال : ذكر الكلبي عن
رجل من حمير من ذي الكلاع قال : أقبل قيس يحرق موضعا باليمن ، فأبدي عن
أزج ، فدخل فيه ، فوجد سريرا عليه رجل ميت وعليه جبَابٌ وشي مذهبة ، في
رأسه تاج ، وبين يديه مححن من ذهب ، وفي رأسه ياقوتة حمراء ، وإذا لوح مكتوب
فيه : بسم الله رب حمير أنا حسان بن عمرو القيل مات في زمان هيد وما هيد هلك
فيها اثنا عشر ألف قبيل فكنت آخرهم قبلا فابتليت ذا شعبين ليجرني من الموت
فاخفرتني اهـ كلامه . وقال الطبري : وقيل أن أول من ملك اليمن من حمير شمر بن
الأملوك كان لعهد موسى عليه السلام وبني طفّار وأخرج منها العالقة ، ويقال كان
من عمال الفرس على اليمن . انتهى الكلام في أخبار حمير الأول والله سبحانه وتعالى
ولي العون .

الحارث — بن ذو سدد — بن اللطاط بن عمرو بن ذي هرم بن الصوان — بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حبران بن قطن
بالحصحى بن — بشكة بن بغيض بن — كسمه بن — كتمه بن — لستمها بن بكرا بن شيكنا بن كتهن بن — بنت كو بن

أصعب
لقمان
سد

{ حسان بن عمرو بن قيس
ابن معاوية بن جشم

بن عريب — بن زهير بن الغوث بن ايلين بن الهميع — بن حمير — بن عبد شمس — بن بشيب بن يعرب — بن قحطان

ح
س
ه
س
ن
المغفور بن يعقوب بن السكسك بن واثق
اسم

॥ ॐ नमो भगवते वासुदेवाय ॥

الخبر عن ملوك التبابعة من حمير وأوليتهم باليمن ومصاير أمورهم

هؤلاء الملوك من وُلِدَ عبد شمس بن واثل بن الغوث باتفاق من النسّابين ، وقد مرَّ
نسبه إلى حمير ، وكانت مدائن ملكهم صنعاء ، ومأرب على ثلاث مراحل منها ،
وكان بها السد ، ضربته بلقيس ملكة من ملوكهم سدًا ما بين جبلين بالصخر والقار ،
فحقنت به ماء العيون والأمطار ، وتركت فيه خروقا على قدر ما يحتاجون إليه في
سقيهم ، وهو الذي يسمى العرم والسكر وهو جمع لا واحد له من لفظه قال
الجعدي :

من سبأ الحاضرين مأرب اذ ينون من دون سيلة العرما
أي السد ويقال ان الذي بنى السد هو حمير أبو القبائل اليمنية كلها قال الاعشى :
ففي ذلك للمؤتسى اسوة مأرب غطى عليه العرم
رخام بناه لهم حمير إذا جاءه من رame لم يرم
وقيل بناه لقمان الأكبر ابن عاد كما قاله المسعودي ، وقال : جعله فرسخاً في
فرسخ ، وجعل له ثلاثين شعباً . وقيل وهو الأليق والأصوب أنه من بناء سبأ بن
يشجب ، وأنه ساق إليه سبعين وادياً ، ومات قبل إتمامه ، فأتته ملوك حمير من
بعده . وإنما رجحناه لأن المباني العظيمة ، والهياكل الشامخة ، لا يستقل بها الواحد
كما قدّمنا في الكتاب الأول ، فأقاموا في جناته عن اليمن والشمال كما وصف القرآن .
ودولتهم يومئذ أوفرما كانت ، وأترف وأبذخ وأعلى يداً وأظهر ، فلما طغوا وأعرضوا
سلط الله عليهم الخلد ، وهو الجرذ فنقبه من أسفله فأجحفهم السيل ، وأغرق
جناتهم ، وخربت أرضهم ، وتمزق ملكهم ، وصاروا أحاديث .

وكان هؤلاء التبابعة ملوكاً عدّة في عصور متعاقبة ، وأحقاب متطاولة ، لم يضبطهم
الحصر ، ولا تقيدت منهم الشوارد . وربما كانوا يتجاوزون ملك اليمن إلى ما بعد عنهم
من العراق والهند والمغرب تارة ، ويقتصرون على يمنهم أخرى ، فاختلفت أحوالهم
واتفقت أسماء كثيرة من ملوكهم ، ووقع اللبس في نقل أيامهم ودولهم ، فلنأت بما
صحّ منها متحرّياً جهداً الإستطاعة عن طموسٍ من الفكر ، واقتفاء التقاييد المرجوع

اليها والأصول المعتمد على نقلها ، وعدم الوقوف على أخبارهم مدونة في كتابٍ واحدٍ والله المستعان .

قال السُّهَيْلِيُّ : معنى تَبَعَ الملك المتبع . وقال صاحب المحكم : التَّبَاعَةُ ملوك اليمن وأحدهم تَبَعَ لأنهم يتبع بعضهم بعضاً كلما هلك واحد قام آخر تابِعاً له في سيرته ، وزادوا الباء في التَّبَاعَةُ لارادة النسب . قال الزمخشري : قيل لملوك اليمن التَّبَاعَةُ لأنهم يتبعون ، كما قيل الأقبال لأنهم يتقبلون . قال المسعودي : ولم يكونوا يسمون الملك منهم تَبِعاً حتى يملك اليَمَن والشَّحْر وحَضْرَمَوْت ، وقيل حتى يتبعه بنو جَشَم بن عبد شمس ، ومن لم يكن له شيء من الأمرين فيسمى مَلِكاً ولا يقال له تَبَعَ . وأول ملوك التَّبَاعَةِ باتفاق من المؤرخين ، الحَرثُ الرَّائِشُ ، وإِنَّمَا سُمِّيَ الرَّائِشُ لأنه رَأَشَ الناس بالعطاء . واختلف الناس في نسبه بعد اتفاقهم على أنه من ولد واثل بن الغوث بن حيران بن قطن بن عريب بن زهير بن ابين بن الهميسع بن حَمِيرَ فقال ابن إسحق وأبو المنذر بن الكلبي : أن قيساً بن معاوية بن جشم . فابن إسحق يقول في نسبه إلى سبا الحرث بن عدي بن صيفي ، وابن الكلبي يقول الحرث بن قيس بن صيفي . وقال السهيلي هو الحرث بن همال بن ذي سدد بن الملطاط بن عمرو بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن واثل وجشم جد سباهو بن عبد شمس ، هذا عند المسعودي . وعند بعضهم أنه أخوه وأنها معاً ابنا واثل . وذكر المسعودي عن عبيد بن شربة الجرهمي ، وقد سأله معاوية عن ملوك اليمن في خبر طويل ونسب الحرث منهم ، فقال : هو الحرث بن شدد بن الملطاط بن عمرو وأما الطبري فاختلف نسبه في نسب الحرث ، فمرة قال : وبيت ملك التَّبَاعَةِ في سبا الأصغر ونسبه كما مر . وقال في موضعٍ آخر والحرث بن ذي شدد هو الرائش جد الملوك التَّبَاعَةِ ، فجعله إلى شدد ولم ينسبه إلى قيس ولا عدي من ولد سبا . وكذلك اضطرب أبو محمد بن حزم في نسبه في الجُمُهرَةِ مَرَّةً إلى الملطاط ومَرَّةً إلى سبا الأصغر ، والظاهر أنه تبع في ذلك الطبري والله أعلم .

وملك الحرث الرائش فيما قالوا مائة وخمسة وعشرين سنة ، وكان يسمّى تبعاً ، وكان مؤمناً فيما قال السهيلي . ثم ملك بعده ابنه أبرهة ذو المنار مائة وثمانين سنة . قال المسعودي ، وقال ابن هشام : أبرهة ذو المنار هو ابن الصعب بن ذي مدائر بن الملطاط ، وسمي ذا المنار لأنه رفع المنار ليتهدي به . ثم ملك من بعده أفريقش بن

أبرهة مائة وستين سنة . وقال ابن حزم هو أفريقش بن قيس بن صيفي أخو الحرث الرائيش ، وهو الذي ذهب بقبائل العرب إلى أفريقية ، وبه سميت . وساق البربر إليها من أرض كنعان ، مرَّ بها عندما غلبهم يوشع وقتلهم ، فاحتل الفل منهم ، وساقهم إلى أفريقية ، فأنزلهم بها ، وقتل ملكها جرجير . ويقال إنه الذي سمي البرابرة بهذا الإسم لأنه لما افتتح المغرب ، وسمع رطانتهم قال : ما أكثر بربرتهم فسموا البرابرة . والبربرة في لغة العرب هي اختلاط أصوات غير مفهومة ، ومنه بربرة الأسد . ولما رجع من غزو المغرب ترك هنالك من قبائل حمير صنهاجة وكتامة فهم إلى الآن بها ، وليسوا من نسب البربر ، قاله الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والسهيلي وجميع النسابين .

ثم ملك من بعد أفريقش أخوه العبد بن أبرهة ، وهو ذو الأذعار عند المسعودي قال : سمي بذلك لكثرة دعر الناس من جوره . وملك خمسا وعشرين سنة ، وكان على عهد سليمان بن داود وقبله بقليل ، وغزا ديار المغرب ، وسار إليه كيقاوس بن كنعان ملك فارس فبارزه وانهمز كيقاوس وأسر ذو الأذعار ، حتى استنقذه بعد حين من يده وزيره رستم زحف إليه يجمع فارس إلى اليمن وحارب ذا الأذعار فغلبه واستخلص كيقاوس من أسره كما نذكره في أخبار ملوك فارس . وقال الطبري إن ذا الأذعار اسمه عمرو بن أبرهة ذي المنار بن الحرث الرائيش بن قيس بن صيفي بن سبا الأصغر انتهى . وكان مهلك ذي الأذعار فيما ذكر ابن هشام مسموماً على يد الملكة بلقيس .

وملك من بعده الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن ذي الأذعار وهو ذو الصرح ، وملك ستا أو عشرة فيما قال المسعودي . وملكته بعده ابنته بلقيس سبع سنين . وقال الطبري : إن إسم بلقيس يلقيمة بنت اليشرح بن الحرث بن قيس انتهى . ثم غلبهم سليمان عليه السلام على اليمن كما وقع في القرآن فيقال تزوجها ، ويقال بل عزلها في التأيم ، فتزوجت سدد بن زرعة بن سبا ، وأقاموا في ملك سليمان وابنه أربعا وعشرين سنة . ثم قام بملكهم ناشر بن عمرو ذي الأذعار ، ويعرف بناشر النعم ، لفظين مركبين جعلوا إسما واحداً كذا ضبطه الجرجاني . وقال السهيلي ناشر بن عمرو ، ثم قال ويقال ناشر النعم . وفي كتاب المسعودي نافر بن عمرو ، ولعله تصحيف ونسبه إلى عمرو ذي الأذعار وليس يتحقق في هذه الأنساب كلها أنها للصلب فإن

الآماد ، طويلة والأحقاب بعيدة ، وقد يكون بين اثنين منهما عدد من الآباء ، وقد يكون ملصقاً به . وقال هشام بن الكلبي انّ ملك اليمن صار بعد بلقيس إلى ناشر بن عمرو بن يعفر الذي يقال له ياسر أنعم ، لا نعامه عليهم بما جمع من أمرهم وقوي من ملكهم . وزعم أهل اليمن أنه سار غازياً إلى المغرب ، فبلغ وادي الرمل ولم يبلغه أحدٌ ولم يجد فيه مجازاً لكثرة الرمل ، وعبر بعض أصحابه ، فلم يرجعوا فأمر بصنم من نحاس نصب على شفير الوادي ، وكتب في صدره بالخط المسند هذا الصنم لياسر أنعم الحميري ليس وراءه مذهب * فلا يتكلف أحد ذلك فيعطب انتهى .

ثم ملك بعد ياسر هذا ابنه شمر مرعش ، سمي بذلك لارتعاش كان به . ويقال انه وطىء أرض العراق وفارس وخراسان وافتتح مدائنها وخرّب مدينة الصغد وراء جيحون ، فقالت العجم «شمر كنداي» شمر خرب . وبني مدينة هنالك فسميت باسمه هذا ، وعربته العرب فصار سمرقند . ويقال انه الذي قاتل قباذ ملك الفرس وأسره ، وأنه الذي حير الحيرة . وكان ملكه مائة وستين سنة ، وذكر بعض الإخباريين أنه ملك بلاد الروم ، وأنه الذي استعمل عليهم ماهان قيصر فهلك ، وملك بعده ابنه دقيوس . وقال السهيلي في شمر مرعش الذي سميت به سمرقند انه شمر بن مالك ومالك هو الأملاك الذي قيل فيه :

فنقب عن الأملاك واهتف بذكره وعش دار عزٍ لا يغالبه الدهر وهذا غلط من السهيلي فإنهم مجمعون على أن الأملاك كان لعهد موسى صلوات الله عليه وشمر من أعقاب ذي الأذعار الذي كان على عهد سليمان ، فلا يصح ذلك إلا أن يكون شمر أبرهة ، ويكون أول دولة التبابعة .

ثم ملك على التبابعة بعد شمر مرعش تبع الاقرن واسمه زيد . (قال السهيلي) وهو ابن شمر مرعش وقال الطبري انه ابن عمرو ذي الأذعار . وقال السهيلي إنما سمّي الأقرن لشامة كانت في قرنه ، وملك ثلاثاً وخمسين سنة . وقال المسعودي ثلاثاً وستين . ثم ملك من بعده ابنه ملكي كرب وكان مضعفاً ولم يغزقط إلى أن مات . وملك بعده ابنه تبان أسعد أبو كرب ، ويقال هو تبع الآخر وهو المشهور من ملوك التبابعة . وعند الطبري أن الذي بعد ياسر ينعم بن عمرو ذي الأذعار تبع الأقرن أخوه ، ثم بعد تبع الأقرن شمر مرعش بن ياسر ينعم ، ثم من بعده تبع الأصغر وهو تبان أسعد أبو كرب هذا هو تبع الآخر وهو المشهور من ملوك التبابعة . وقال الطبري : ويقال له الرائد

وكان على عهد يستاسب وحافده أردشير يَمَن ابن ابنه أسفنديار من ملوك الفرس وأنه شخص من اليمن غازيا ومرّ بالحيرة فتحيرّ عسكره هنالك فسميت الحيرة . وخلف قوما من الأزد ولخم وجذام وعاملة وقضاة فأقاموا هنالك وبنوا الإطام ، واجتمع إليهم ناس من طيرة وكلب والسكون وأياد والحرث بن كعب . ثم توجه إلى الانبار ثم الموصل ثم أذربيجان ، ولقي الترك فهزمهم وقتل وسبى ، ثم رجع إلى اليمن ، وهابته الملوك وهادنه ملوك الهند . ثم رجع لغزو الترك ، وبعث ابنه حسّان إلى الصغد ، وابنّه يعفور إلى الروم ، وابن أخيه شمر ذي الجناح إلى الفرس . وان شمر لقي كيقباز ملك الفرس فهزمه ، وملك سمرقند وقتله ، وجاز إلى الصين فوجد أخاه حسّان قد سبقه إليها ، فأثخنا في القتل والسبي ، وانصرفا بما معها من الغنائم إلى أبيهما . وبعث ابنه يعفور إلى القسطنطينية فتلّقوه بالجزية ، والأتاوة فسار إلى رومة ، وحصرها ووقع الطاعون في عسكره ، فاستضعفهم الروم ووثبوا عليهم فقتلوهم ، ولم يفلت منهم أحد . ثم رجع إلى اليمن ، ويقال أنه ترك ببلاد الصين قوما من حمير وأنهم بها لهذا العهد ، وأنه ترك ضعفاء الناس بظاهر الكوفة فتحيروا هنالك وأقاموا معهم من كل قبائل العرب .

وقال ابن إسحق إنّ الذي سار إلى المشرق من التبابعة تبع الآخر ، وهو تَبَّان أسعد أبو كرب بن ملكي كرب بن زيد الأقربن ابن عمرو ذي الأذعار ، وتَبَّان أسعد هو حسّان تبع وهو فيما يقال أول من كسا الكعبة ، وذكر ابن إسحق الملاء والوصائل ، وأوصى ولاته من جرهم بتطهيرها وجعل لها باباً ومفتاحاً ، وذكر ابن إسحق أنه أخذ بدين اليهودية ، وذكر في سبب تهوّد أنه لما غزا إلى المشرق مرّ بالمدينة يثرب فملكها ، وخلف ابنه فيهم ، فعدوا عليه وقتلوه غيلة ورئيسهم يومئذ عمرو بن الطلّة من بني النجّار . فلما أقبل من المشرق وجعل طريقه على المدينة مجمعا على خرابها فجمع هذا الحيّ من أبناء قيلة لقتاله فقاتلهم ، وبينما هم على ذلك جاءه خبران من أحبار يهود من بني قريظة ، وقالوا له : لا تفعل فانك لن تقدر وأنّها مهاجر نبيّ قرشي يخرج آخر الزمان فتكون قراراً له . وانه أعجب بهما واتبعهما على دينهما ، ثم مضى لوجهه . ولقيه دون مكة نفر من هذيل ، وأغروه بهال الكعبة وما فيها من الجواهر والكنوز ، فنهاه الخبران عن ذلك وقالوا له إنّما أراد هؤلاء هلاكك . فقتل النفر من الهذليين وقدم مكة فأمره الخبران بالطواف بها والخضوع ، ثم كساها كما تقدّم ، وأمر ولاتها من

جرّهم بتطهيرها من الدماء والحيض وسائر النجاسات ، وجعل لها باباً ومفتاحاً ، ثم سار إلى اليمن . وقد ذكر قومه ما أخذ به من دين اليهودية ، وكانوا يعبدون الأوثان ، فتعرضوا لمنعه ثم حاكموه إلى النار التي كانوا يحاكمون إليها ، فتأكل الظالم وتدع المظلوم ، وجاؤا بأوثانهم . وخرج الخبران متقلدان المباحف ، ودخل الحميريون فأكلتهم وأوثانهم ، وخرج الخبران منها ترشح وجوههم وجباههم عرقاً ، فأمنت حمير عند ذلك ، وأجمعوا على اتباع اليهودية . ونقل السهيلي عن ابن قتيبة في هذه الحكاية أنّ غزاة تبع هذه ، إنما هي استصراخة أبناء قيلة على اليهود ، فانهم كانوا نزلوا مع اليهود حين أخرجوهم من اليمن على شروط ، فنقضت عليهم اليهود فاستغاثوا بتبع فعند ذلك قدمها . وقد قيل : ان الذي استصرخه أبناء قيلة على اليهود إنما هو أبو جبلة من ملوك غسان بالشام ، جاء به مالك بن عجلان ، فقتل اليهود بالمدينة ، وكان من الخرج كما نذكر بعد . ويعضد هذا أنّ مالك بن عجلان بعيد عن عهد تبع بكثير ، يقال إنه كان قبل الاسلام بسبعمئة سنة ذكره ابن قتيبة . وحكى المسعودي في أخبار تبع هذا أنّ أسعد أبا كرب سار في الأرض ، ووطأ الممالك وذلّلها ووطىء أرض العراق في ملك الطوائف ، وعميد الطوائف يومئذ خرداد بن سابور ، فلقى ملكاً من ملوك الطوائف اسمه قباد ، وليس قباد بن فيروز ، فانهزم قباد وملك أبو كرب العراق والشام والحجاز وفي ذلك يقول تبع أبو كرب :

ثم سرنّا بها مسيراً بعيّدا	إذ حسينا جيادنا من دماء
وابن اقليد جاءنا مصفودا	واستبحنا بالخيّل خيل قباد
الله ملاء منضدا وبرودا	وكسونّا البيت الذي حرّم
وجعلنا لبابه اقليدا	وأقمنا به من الشهر عشرا

* (وقال أيضا) *

تركض الخيل في سواد العراق	لست بالتبع اليماني ان لم
لم يعقها عوائق العوّاق	أو تؤدّي ربيعة الخرج قسرا

وقد كانت لكندة معه وقائع وحروب ، حتى غلبهم حجر بن عمرو بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة من ملوك كهلان ، فدانوا له ورجع أبو كرب إلى اليمن ، فقتله حمير وكان ملكه ثلثمائة وعشرين سنة .

ثم ملك من بعد أبي كرب هذا فيما قال ابن إسحق ربيعة بن نصر بن الحرث بن نمارة بن لخم ولخم أخو جذام . وقال ابن هشام ويقال ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر . كان أبو حارثة تخلف باليمن بعد خروج أبيه ، وأقام ربيعة بن نصر ملكا على اليمن بعد هؤلاء التابعين الذين تقدم ذكرهم ، ووقع له شأن الرؤيا المشهورة . قال الطبري عن ابن إسحق عن بعض أهل العلم أن ربيعة بن نصر رأى رؤيا هالته وفضع بها ، وبعث في أهل مملكته في الكهنة والسحرة والمنجمين وأهل العيافة ، فأشاروا عليه باستحضار الكاهنين المشهورين لذلك العهد في إباد وغسان ، وهما شقّ وسطيح . قال الطبري شقّ هو أبو صعب شكر بن وهب بن أمول بن يزيد بن قيس عبقر بن أنمار ، وسطيح هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذيب بن عدي بن مازن بن غسان ، ولوقوع اسم ذيب في نسبه كان يعرف بالذبيبي . فأحضرهما وقص عليهما رؤياه وأخبراه بتأويلها ، أن الحبشة يملكون بلاد اليمن من بعد ربيعة وقحطان بسبعين سنة ، ثم يخرج عليهم ابن ذي يزن من عدن فيخرجهم ، ويملك عليهم اليمن ، ثم تكون النبوة في قريش في بني غالب بن فهر . ووقع في نفس ربيعة أن الذي حدثه الكاهنان من أمر الحبشة كائن ، فجهز بنيته وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ، وكتب إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرداذ فأسكنهم الحيرة .

ومن بيت ربيعة بن نصر كان النعمان ملك الحيرة ، وهو النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر . قال ابن إسحق ولما هلك ربيعة بن نصر اجتمع ملك اليمن لحسان بن تبان أسعد أبي كرب . قال السهيلي وهو الذي استباح طسما كما ذكرناه ، وبعث على المقدمة عبد كهلان بن يثرب بن ذي حرب بن حارث بن ملك بن عبدان بن حجر بن ذي رعين . واسم ذي رعين يريم وهو ابن زيد الجمهور ، وقد مرّ نسبه إلى سبأ الأصغر . وقال السهيلي في أيام حسان تبّع كان خروج عمرو بن مزيقيا من اليمن بالأزد ، وهو غلط من السهيلي لأن أبا كرب أباه إنما غزا المدينة فيما قال هو صريخا للأوس والخزرج على اليهود وهو من غسان ونسبه إلى مزيقيا ، فعلى هذا يكون الذي استصرخه الأوس والخزرج على اليهود إنما هو من ملوك غسان كما يأتي في أخبارهم . قال ابن إسحق : ولما ملك حسان بن تبّع بن تبان أسعد سار بأهل اليمن يريد أن يطمأ بهم أرض العرب والعجم كما كانت التابعة تفعل ، فكرهت حمير

وقبائل اليمن السير معه وأرادوا الرجوع إلى بلادهم ، فكلّموا أخاً له كان معهم في
العسكر يقال له عمرو ، وقالوا له اقتل أخاك نملكك وترجع بنا إلى بلادنا . فتابعهم
على ذلك وخالفه ذورعين في ذلك ونهى عمراً عن ذلك ، فلم يقبل وكتب في
صحيفة وأودعها عنده :

ألا من يشتري سهراً بنوم
سعيد من بيت قرير عين
فأما حمير غدرت وخانت
فمؤذرة الاله لذي رعين
ثم قتل عمرو أخاه بعرضة لحم ، وهي رحبة مالك بن طوق ، ورجع حمير إلى اليمن
فمنع النوم عليه السهر ، وأجهدته ذلك فشكى إلى الأطباء عدم نومه والكهّان
والعرّافين ، فقالوا ما قتل رجل أخاه إلا سلّط عليه السهر . فجعل يقتل كل من أشار
عليه بقتل أخيه ولم يغنه ذلك شيئاً ، وهمّ بذي رعين فذكره شعره فكانت فيه
معذرتة ونجاته . وكان عمرو هذا يسمّى مؤثبان ، قال الطبري : لوثوبه على أخيه ،
وقال ابن قتيبة لقلة غزوه ولزومه الوثب على الفراش . وهلك عمرو هذا لثلاث وستين
سنة من ملكه .

قال الجرجاني والطبري : ثم مرج أمر^(١) حمير من بعده وتفرقوا ، وكان ولد حسان
تبع صغاراً لا يصلحون للملك وكان أكبرهم قد استهوته الجن ، فوثب على ملك
التبابعة عبد كلال موثبا فملك عليهم أربعاً وتسعين سنة ، وكان يدين بالنصرانية ، ثم
رجع ابن حسان تبع من استهواء الجن فملك على التبابعة . قال الجرجاني ملك ثلاثاً
وسبعين سنة وهو تبع الأصغر ذو المغازي والاثار البعيدة . قال الطبري : وكان أبوه
حسان تبع قد زوج بنته من عمرو بن حمر آكل المرار بن عمرو بن معاوية من ملوك
كندة ، فولدت له ابنه الحرث بن عمرو ، فكان ابن تبع بن حسان هذا ، فبعثه على
بلاد معدّ ، وملك على العرب بالحيرة مكان آل نصر بن ربيعة . قال وانعقد الصلح
بينه وبين كيقباد ملك فارس على أن يكون الفرات حدّاً بينهم ، ثم أغارت العرب
بشرقي الفرات ، فعاتبه على ذلك ، فقال لا أقدر على ضبط العرب الا بالمال
والجند ، فأقطعه بلاداً من السواد ، وكتب الحرث إلى تبع يغريه بملك الفرس ،
وتضعيف أمر كيقباد ، فغزاهم . وقيل إنّ الذي فعل ذلك هو عمرو بن حمر أبوه
الذي ولاه تبع أبو كرب ، وأنه أغراه بالفرس واستقدمه إلى الحيرة ، فبعث عساكره
مع ولده الثلاثة إلى الصغد والصين والروم ، وقد تقدّم ذكر ذلك .

(١) مرج الامر : ضيّعه ولم يحكمه .

قال الجرجاني : ثم ملك بعد تبع بن حسان تبع أخوه لأمه وهو مدثر بن عبد كلال ،
فملك احدى وأربعين سنة . ثم ملك من بعده ابنه وليعة بن مدثر سبعة وثلاثين سنة .
ثم ملك من بعده أبرهة بن الصباح بن لهيعة بن شيبه بن مدثر قيلف بن يعلق بن معد
يكرب بن عبدالله بن عمرو بن ذي أصبح الحرث بن مالك ، أخوذي رعين ،
وكعب أبو سبا الأصغر . قال الجرجاني : وبعض الناس يزعم أن أبرهة بن الصباح
إنما ملك تهامة فقط . قال : ثم ملك من بعده حسان بن عمرو بن تبع بن ملكي كرب سبعة
وخمسين سنة ، ثم ملك لخيتعة^(٢) ولم يكن من أهل بيت المملكة . قال ابن إسحق
ولما ملك لخيتعة غلب عليهم ، وقتل خيارهم ، وعبث برجالات بيوت المملكة
منهم ، قيل إنه كان ينكح ولدان حمير ، يريد بذلك أن لا يملكوا عليهم ، وكانوا لا
يملكون عليهم من نكح ، نقله ابن إسحق . وقال أقام عليهم مملكا سبعة وعشرين
سنة ، ثم وثب عليه ذونواس زرعة تبع بن تبان أسعد أبي كرب ، وهو حسان أبي
ذي معاهر فيما قال ابن إسحق ، وكان صبياً حين قتل حسان ثم شب غلاماً جميلاً
ذاهية وفضل ووضاءة ففتك بالخيتعة^(١) في خلوة اراده فيها على مثل فعلاته
القبيحة ، وعلمت به حمير وقبائل اليمن فملكوه واجتمعوا عليه ، وجدد ملك
التبابعة ، وتسمى يوسف وتعصب للدين اليهودية ، وكانت مدته فيما قال ابن إسحق
ثمانية وستين سنة ، الى هنا اهـ ترتيب ابى الحسن الجرجاني . ثم قال : وقال آخرون
ملك بعد أفريقش بن أبرهة قيس بن صيفي ، وبعده الحرث بن قيس بن مياس ، ثم
ماء السماء بن مروه ثم شرحيل وهو يصحب بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بن
عوف بن علي بن الهمال بن المنثلم بن جهيم ، ثم الصعب بن قرين بن الهمال بن
المنثلم ، ثم زيد بن الهمال ، ثم ياسر بن الحرث بن عمرو بن يعفر ، ثم زهير بن عبد
شمس أحد بني صيفي بن سبا الأصغر وكان فاسقاً مجرمًا يفتض أبكار حمير حتى
نشأت بلقيس بنت اليشرح بن ذي جدن بن اليشرح بن الحرث بن قيس بن صيفي
فقتله غيلة ، ثم ملك . ولما أخذها سليمان ملك ملك بن شرحيل ، ثم ملك ذو
وداغ فقتله ملكي كرب بن تبع بن الأقرن وهو أبو ملك ، ثم هلك . فملك أسعد بن

(٢) قوله لخيتعه وقيل اسمه لخيتعة بن ينوف وهو هكذا في القاموس قاله نصر . وقد ذكره ابن الأثير في كتاب
الكامل باسم لخيتعه .

(١) في نسخة أخرى وفي مكان آخر : لخيتعة .

قيس بن زيد بن عمرو ذي الأذعار بن أبرهة ذي المنار بن الرايش بن قيس بن صيفي بن سبا ، وهو أبو كرب ، ثم ملك حسان ابنه فقتله عمرو أخوه ووقع الاختلاف في حمير ، ووثب على عمرو الخثيعة ينوف ذو الشناتر وملك . ثم قتله ذو نواس بن تبع وملك . اهـ كلام الجرجاني .

وزعم ابن سعيد ونقله من كتب مؤرخي المشرق أن الحرث الرايش هو ابن ذي شدّد ويعرف بذي مدائر ، وأن الذي ملك بعده ابنه الصعب وهو ذو القرنين ، ثم ابنه أبرهة بن الصعب وهو ذو المنار ، ثم العبد ذو الأشفارا بن أبرهة بن عمرو ذي الأذعار ابن أبرهة ، ثم قتله بلقيس . قال في التيجان : إن حمير خلعوه ، وملكوا شرحبيل ابن غالب بن المنتاب بن زيد بن يعفر بن السكسك بن واثل وكان بمأرب ، فجازبه ذو الأذعار وحارب ابنه الهذهاد بن شرحبيل من بعده ، وابنته بلقيس بنت الهذهاد الملكة من بعده ، فصالحته على التزويج وقتلته ، وغلبها سليمان عليه السلام على اليمن إلى أن هلك وابنه رجب من بعده . واجتمعت حمير من بعده على مالك بن عمرو ابن يعفر بن عمرو بن حمير بن المنتاب بن عمرو بن يزيد بن يعفر بن السكسك بن واثل بن حمير ، وملك بعده ابنه شمر يرعش وهو الذي خرب سمرقند ، وملك بعده ابنه صيفي بن شمر على اليمن ، وسار أخوه أفريقش بن شمر إلى أفريقية بالبربر وكنعان فملكها . ثم انتقل الملك إلى كهلان وقام به عمران بن عامر ماء السماء بن حارثة امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد وكان كاهنا ، ولما احتضر عهد إلى أخيه عمرو بن عامر المعروف بمزيقيا وأعلمه بخراب سد مأرب وهلاك اليمن بالسيل ، فخرج من اليمن بقومه وأصحاب اليمن سيل العرم فلم ينتظم لبني قحطان بيعته ، واستولى على قصر مأرب من بعده ربيعة بن نصر . ثم رأى رؤيا ونذر بملك الحبشة وبعث ولده إلى العراق وكتب إلى سابور الأشعاني فأسكنهم الحيرة وكثرت الخوارج باليمن . فاجتمعت حمير على أن تكون لأبي كرب أسعد بن عدي بن صيفي فخرج من ظفار وغلب ملوك الطوائف باليمن ، ودوخ جزيرة العرب ، وحاصر الأوس والخزرج بالمدينة ، وحمل حمير على اليهودية ، وطالت مدته وقتلته حمير . وملك بعده ابنه حسان الذي أباد طسماً ، ثم قتله أخوه عمرو بمداخلة حمير ، وهلك عمرو . فملك بعده أخوه لأبيه عبد كلال بن منوب ، وفي أيامه خلع سابور أكتاف العرب . وملك بعده تبع بن حسان وهو الذي بعث ابن أخيه الحرث بن عمرو

الكندي إلى أرض بني معدّ بن عدنان بالحجاز فملك عليهم . وملك بعده مرثد بن عبد كلال . ثم ابنه وليعة وكثرت الخوارج عليه ، وغلب أبرهة بن الصباح على تهامة اليمن ، وكان في ظفار دار التبابعة حسان بن عمرو بن أبي كرب ، ثم وثب بعده على ظفار ذو شناتر ، وقتله ذو نواس كما مرّ ، هذا ترتيب ابن سعيد في ملوكهم .

وعند المسعودي : أنه لما هلك كليكرب بن تبع المعروف بالأقرن ، قال وهو الذي سار قومه نحو خراسان والصغد والصين ، وولي بعده حسان بن تبع ، فاستقام له الأمر خمسا وعشرين سنة ، ثم قتله أخوه عمرو بن تبع ، وملك أربعاً وستين سنة ، ثم تبع أبو كرب وهو الذي غزا يثرب وكسا الكعبة بعد أن أراد هدمها ، ومنعه الخبران من اليهود ، وتهود وملك مائة سنة . ثم بعده عمرو بن تبع أبي كرب ، وخلع وملكوا مرثد بن عبد كلال ، واتصلت الفتن باليمن أربعين سنة . ومن بعده وليعة بن مرثد تسعاً وثلاثين سنة . ومن بعده أبرهة بن الصباح بن وليعة بن مرثد ، ويدعى شبة الحمد ثلاثاً وتسعين سنة ، وكانت له سير وقصص . ومن بعده عمرو ذو قيقان تسع عشرة سنة . ومن بعده لختعة ذو شناتر ومن بعده ذو نواس .

وأما ابن الكلبي والطبري وابن حزم فعندهم أن تبع أسعد أبي كرب هو ابن كليكرب بن زيد الأقرن ابن عمرو بن ذي الأذعار بن أبرهة ذي المنار الرايش بن قيس بن صيفي بن سبا الأصغر . وقال السهيلي أنه أسقط أسماء كثيرة وملوكا . وقال ابن الكلبي وابن حزم : ومن ملوك التبابعة أفريقش بن صيفي ، ومنهم شمر يرعش ابن ياسر ينعم بن عمرو ذي الأذعار ، ومنهم بلقيس ابنه اليشرح بن ذي جدن بن اليشرح بن الحرث الرايش بن قيس بن صيفي . ثم قال ابن حزم بعد ذكر هؤلاء من التبابعة : وفي أنسابهم اختلاف وتخليط وتقديم وتأخير ونقصان وزيادة ، ولا يصح من كتب أخبار التبابعة وأنسابهم إلاّ طرف يسير لاختلاف روايتهم وبعد العهد اهـ . وقال الطبري لم يكن للملوك اليمن نظام وإنما كان الرئيس منهم يكون ملكا على مخالفه لا يتجاوزه ، وإن تجاوز بعضهم عن مخالفه بمسافة يسيرة من غير أن يرث ذلك الملك عن آبائه ولا يرثه أبناؤه عنه إنما هو شأن شدّاد المتلصّصة يغيرون على النواحي باستغفال أهلها ، فإذا قصدتهم الطلب لم يكن لهم ثبات ، وكذلك كان أمر ملوك اليمن يخرج أحدهم من مخالفه بعض الأحيان ويبعد في الغزو والإغارة فيصيب ما يمر به ، ثم يتشمّر عند خوف الطلب زاحفا إلى مكانه من غير أن يدين له أحد من غير مخالفه

بالطاعة أو يؤدّي إليه خراجاً اهـ .

وأما الخبر عن ذي نُوَاس وما بعده فاتفق أهل الأخبار كلهم أن ذا نُوَاس هو ابن تَبان أسعد واسمه زرعة ، وأنه لما تغلب على ملك آبائه التبابعة ، تسمى يوسف وتعصب لدين اليهودية ، وحمل عليه قبائل اليمن ، وأراد أهل نَجْران عليها ، وكانوا من بين العرب يدينون بالنصرانية ولهم فضل في الدين واستقامة . وكان رئيسهم في ذلك يسمى عبدالله بن الثامر ، وكان هذا الدين وقع اليهم قديماً من بقية أصحاب الحواريين من رجل سقط لهم من ملك التبعية يقال له ميمون نزل فيهم ، وكان مجتهداً في العبادة ، محاب الدعوة ، وظهرت على يده الكرامات في شفاء المرضى ، وكان يطلب الخفاء عن الناس جهده ، وتبعه على دينه رجل من أهل الشام اسمه صالح ، وخرجا فآرين بأنفسهما ، فلما وطئا بلاد العرب اختطفتهما سيارة فباعوهما بنجران ، وهم يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ، ويعلقون عليها في الأعياد من حلهم وثيابهم ، ويعكفون عليها أياماً . وافترقا في الدير على رجلين من أهل نجران ، وأعجب سيد ميمون صلاته ودينه وسأله عن شأنه ، فدعاه إلى الدين وعبادة الله ، وأن عبادة النخلة باطل ، وأنه لو دعا معبوده عليها هلكت . فقال له سيده إن فعلت دخلنا في دينك . فدعا ميمون فأرسل الله ريحاً فجعلت النخلة من أصلها ، وأطبق أهل نجران على أتباع دين عيسى صلوات الله عليه . ومن رواية ابن إسحق أن ميمون نزل بقرية من قرى نجران ، وكان يمرّ به غلمان أهل نجران ، يتعلمون من ساحر كان بتلك القرية ، وفي أولئك الغلمان عبدالله بن الثامر ، فكان يجلس إلى ميمون ، ويسمع منه فآمن به واتبعه ، وحصل على معرفة اسم الله الاعظم ، فكان محاب الدعوة لذلك ، واتبعه الناس على دينه ، وأنكر عليه ملك نجران وهم بقتله . فقال له : لن تطيق حتى تؤمن وتوحد فآمن ثم قتله ، فهلك ذلك الملك مكانه^(١) . واجتمع أهل نجران

(١) العبارة هنا غير واضحة تماماً وهي اوضح عند الطبري في كتابه تاريخ الملوك والأمم الجزء ٢ ص ١٠٥ : «... لم يبق احد بنجران به ضر إلا أتاها فاتبعه على أمره ودعاه له فعوفي حتى رفع شأنه إلى ملك نجران فدعاه فقال له : أفسدت عليّ أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي لأمثلن بك ، قال : لا تقدر على ذلك . فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح عن رأسه فيقع على الأرض ليس به بأس فلما غلبه قال عبدالله بن الثامر : إنك والله لا تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به فانك ان فعلت ذلك سلطت عليّ فقتلني ، فوحد الله ذلك الملك وشهد بشهادة عبدالله بن الثامر ثم ضربه بعصا في يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله ، فهلك الملك مكانه...»

على دين عبدالله بن الثامر ، وأقام أهل نجران على دين عيسى صلوات الله عليه ، حتى دخلت عليهم في دينهم الأحداث . ودعاهم ذونواس إلى دين اليهودية ، فأبوا . فسار إليهم في أهل اليمن وعرض عليهم القتل فلم يزدتهم إلا جاحاً ، فحدّد لهم الأخاديد ، وقتل وحرّق حتى أهلك منهم فيما قال ابن إسحق عشرين ألفاً أو يزيدون ، وأفلت منهم رجل من سبا يقال له دؤس ذو ثعلبان فسلك الرمل على فرسه وأعجزهم .

مَلِكُ الْحَبْشَةِ الْيَمَنِ

قال هشام بن محمد الكلبي في سبب غزو ذي نواس أهل نجران أن يهودياً كان بنجران أفعدا أهلها على إبنين له فقتلوهما ظلماً ، فرفع أمره إلى ذي نواس ، وتوسل له باليهودية واستنصره على أهل نجران وهم نصارى ، فحمي له ولدينه وغزاهم . ولما أفلت دؤس ذو ثعلبان فقدم على قيصر صاحب الروم يستنصره على ذي نواس ، واعلمه بما ركب منهم وأراه الإنجيل قد احترق بعضه بالنار ، فكتب له إلى النجاشي يأمره بنصره ، وطلب بثأره ، وبعث معه النجاشي سبعين ألفاً من الحبشة . وقيل إن صريخ دؤس كان أولاً للنجاشي ، وإنه اعتذر إليه بقلّة السفن لركوب البحر ، وكتب إلى قيصر وبعث إليه بالإنجيل المحرق ، فجاءته السفن وأجاز فيها العساكر من الحبشة ، وأمر عليهم أرباطاً رجلاً منهم ، وعهد إليه بقتلهم وسبيهم وخراب بلادهم فخرج أرباط لذلك ومعه أبرهة الأشرم فركبوا البحر ، ونزلوا ساحل اليمن . وجمع ذونواس حمير ومن أطاعه من أهل اليمن على افتراق واختلاف في الأهواء ، فلم يكن كبير حرب وانهزموا . فلما رأى ذونواس ما نزل به وبقومه وجه بفرسه إلى البحر ، ثم ضربه فدخل فيه وخاض ضحصاص البحر ، ثم أفضى به إلى غمرة فأقحمه فيه ، فكان آخر العهد به ، ووطىء أرباط اليمن بالحبشة ، وبعث إلى النجاشي بثلاث السبي كما عهد له ، ثم أقام بها فضبطها وأذل رجالات حمير ، وهدم حصون الملك بها مثل سلجيق وسون وغمدان ، وقال ذو يزن يرثي حمير وقصور الملك باليمن :

لا تَهْلِكَنَّ أَسْفَاً فِي إِثْرِ مَنْ مَاتَا
وَبَعْدَ سَلْجِيقٍ يَبْنِي النَّاسُ أُبْيَاتَا

هَوْنُكَ لَيْسَ يَرُدُّ الدَّمَعُ مَا فَاتَا
أَبْعَدُ سُونٍ فَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ

وفي رواية هشام بن محمد الكلبي أن السفن قدمت على النجاشي من قيصر ، فحمل فيها الحبش ونزلوا بساحل اليمن ، واستجاش ذو نواس بأقيال حمير فامتنعوا من صريخه وقالوا : كل أحد يقاتل عن ناحيته . فألقى ذو نواس باليد ولم يكن قتال . وأنه سار بهم إلى صنعاء ، وبعث عماله في النواحي لقبض الأموال ، وعهد بقتلهم في كل ناحية ، فقتلوا . وبلغ ذلك النجاشي فجهز إلى اليمن سبعين ألفاً ، وعليهم أبرهة فبلغوا صنعاء ، وهرب ذو نواس واعترض البحر فكان آخر العهد به . وملك أبرهة اليمن ولم يبعث إلى النجاشي بشيء وذكر له أنه خلع طاعته فوجه جيشاً من أصحابه عليهم أرباط . ولما حل بساحته دعاه إلى النصفة والنزال فتبارزا وخدعه أبرهة ، وأكمن عبداً له في موضع المبارزة ، فلما التقيا ضربه أرباط فشرم أنفه ، وسمي الأشرم وخالفه العبد من الكمين فضرب أرباطاً فأنفذه ، وبلغ النجاشي خبر أرباط فحلف ليريقن دمه ^(١) . ثم كتب إليه أبرهة واسترضاه فرضي عليه واقره على عمله .

وقال ابن إسحق إن أرباط هو الذي قدم اليمن أولاً وملكه وانتقض عليه أبرهة من بعد ذلك ، فكان ما ذكرنا من الحرب بينهما وقتل أرباط ، وغضب النجاشي لذلك ثم أرضاه واستبد أبرهة بملك اليمن .

ويقال إن الحبشة لما ملكوا اليمن أمر أبرهة بن الصباح ، وأقاموا في خدمته . قاله ابن سلام : وقيل إن ملك حمير لما انقرض أمر التبابعة صار متفرقاً في الأذواء من ولد زيد الجمهور . وقام بملك اليمن منهم ذويزن من ولد مالك بن زيد . قال ابن حزم : واسمه علس بن زيد بن الحرث بن زيد الجمهور . وقال ابن الكلبي وأبو الفرج الأصبهاني : هو علس بن الحرث بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور . قالوا كلهم : ولما ملك ذويزن بعد مهلك ذي نواس واستبد أمر الحبشة على أهل اليمن ، طالبوهم بدم النصارى الذين في أهل نجران ، فساروا إليه وعليهم أرباط ، ولقيهم فيمن معه فانهزم واعترض البحر ، فأقحم فرسه وغرق فهلك بعد ذي نواس ، وولي ابنه مرثد بن ذي يزن مكانه ، وهو الذي استجاشه امرؤ القيس على بني أسد وكان من عقب ذي يزن أيضاً ، من هؤلاء الأذواء علقمة ذوقيفال بن شراحيل بن ذي يزن ، وملك مدينة الهون فقتله أهلها من همدان اهـ . ولما استقر أبرهة في ملك اليمن أساء السير في حمير ، ورؤسائهم وبعث في ريحانة بنت علقمة بن

(١) الضمير يعود إلى أبرهة .

مالك بن زيد بن كهلان فانتزعها من زوجها أبي مرة بن ذي يزن ، وقد كانت ولدت منه ابنه مَعْدِيكَرِب ، وهرب أبو مرة ، ولحق بأطراف اليمن واصطفى أبرهة ربحانة فولدت له مسروق بن أبرهة وأخته بسباسة . وكان لأبرهة غلامٌ يُسمَّى عمدَدَة ، وكان قد ولّاه الكثير من أمره ، فكان يفعل الأفاعيل حتى عدا عليه رجل من حِمِيرٍ أو خَثْعَمٍ فقتله وكان حليماً فأهدر دمه .

غزو الحبشة الكعبة

ثم إن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء تسمى القُلَيْس لم يُرَ مثلها وكتب إلى النجاشي بذلك ، وإلى قيصر في الصنّاع والرُخام والفسيفساء ، وقال لست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب . وتحدّث العرب بذلك فغضب رجل من السادة ، أحد بني فُقيم ، ثم أحد بني مالك ، وخرج حتى أتى القليس فقعدها فيها ، ولحق بأرضه . وبلغ أبرهة وقيل له الرجل من البيت الذي يحج إليه العرب ، فحلف ليسيرن إليه يهدمه . ثم بعث في الناس يدعوهم إلى حج القُلَيْس ، فضرب الداعي في بلاد كنانة بسهم فقتل . وأجمع أبرهة على غزو البيت وهدمه ، فخرج سائراً بالحبشة ومعه الفيل . فلقية ذو نفر الحِمِيرِيّ وقاتله فهزمه وأسره ، واستبقاه دليلاً في أرض العرب . قال ابن إسحق : ولما مرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف فأتوه بالطاعة وبعثوا معه أبا رِغَال دليلاً ، فأنزله المغمِس بين الطائف ومكة فهلك هنالك ورجمت العرب قبره من بعد ذلك قال جرير :

إِذَا مَاتَ الْفَرَزْدَقُ فَارْجُمُوهُ كَمَا تَرْمُونَ قَبْرَ أَبِي رِغَالٍ

ثم بعث أبرهة خيلاً من الحبشة ، فانتهوا إلى مكة ، واستاقوا أموال أهلها ، وفيها مائتا بعير لعبد المطلب وهو يومئذ سيد قُرَيْش ، فهمّوا بقتاله ثم علموا أن لا طاقة لهم به فاقصروا . وبعث أبرهة حِنَاطَةَ الحِمِيرِيّ إلى مكة يعلمهم بمقصده من هدم البيت ، ويؤذّنهم بالحرب إن اعترضوا دون ذلك ، وأخبر عبد المطلب بذلك عن أبرهة ، فقال له : والله ما نريد حربه ، وهذا بيت الله فان يمنعه فهو بيته وإن يخلي عنه فما لنا نحن من دافع . ثم انطلق به إلى أبرهة ، ومرّ بذئب نفر وهو أسير ، فبعث معه إلى سائس الفيل ، وكان صديقاً لذي نفر ، فاستأذن له على أبرهة ، فلما رآه جلّه ونزل عن سريره ، فجلس معه على بساطه . وسأله عبد المطلب في الإبل . فقال له أبرهة هلا

سألت في البيت الذي هو دينك ودين آبائك وتركت البعير . فقال عبد المطلب : أنا ربّ الإبل والبيت ربّ سيمنه . فردّ عليه إبله . قال الطبري : وكان فيما زعموا قد ذهب مع عبد المطلب عمرو بن لُعبَة بن عدي بن الرمل سيّد كنانة ، وخُوَيْلِد بن وائلة سيّد هُذَيْل ، وعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة ويرجع عن هدم البيت ، فأبى عليهم ، فانصرفوا . وجاء عبد المطلب وأمر قريشا بالخروج من مكة إلى الجبال والشعاب للتحرز فيها ، ثم قام عند الكعبة ممسكاً بحلقة الباب ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه ، وعبد المطلب ينشد ويقول :

لا همّ إن العبد	يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبنّ صليبهم	ومحالمهم أبدا محالك
وانصر على آل الصليب	وعابديه اليوم آلك

في أبيات معروفة .

ثم أرسل الله عليهم الطير الأبايل من البحر ، ترميهم بالحجارة فلا تصيب أحداً منهم إلاّ هلك مكانه ، وأصابه في موضع الحجر من جسده كالجدري والحصبة فهلك ، وأصيب أبرهة في جسده بمثل ذلك ، وسقطت أعضاؤه عضواً عضواً ، وبعثوا بالفيل ليقدّم على مكة فربض ولم يتحرك فنجا . واقدّم فيل آخر فحصب^(١) وبعث الله سيلاً محمّفاً فذهب بهم ، وألقاهم في البحر . ورجع أبرهة إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فانصدغ صدره عن قلبه ومات .

ولمّا هلك أبرهة ملك مكانه ابنه يكسوم وبه كان يكنى واستفحل ملكه وأذل حمير وقبائل اليمن ووطئتهم الحبشة ، فقتلوا رجالهم ونكحوا نساءهم واستخدموا أبناءهم . ثم هلك يكسوم بن أبرهة فملك مكانه أخوه مسروق ، وساءت سيرته وكثر عسف الحبشة باليمن ، فخرج ابن ذي يزن واستجاش عليهم بكسرى ، وقدم اليمن بعساكر الفرس ، وقتل مسروقا وذهب أمر الحبشة بعد أن توارث ملك اليمن منهم أربعة في اثنتين وسبعين سنة أولهم أرباط ، ثم أبرهة ، ثم ابنه يكسوم ، ثم أخوه مسروق بن أبرهة .

(١) أي ضرب بالحصباء .

قصة سيف بن ذي يزن وملك الفرس على اليمن

ولما طال البلاء من الحبشة على أهل اليمن ، خرج سيف بن ذي يزن الحميري من الأذواء بقية ذلك السلف ، وعقب أولئك الملوك ، وديال الدولة المفوض للخمود . وقد كان أبرهة انتزع منه زوجته ریحانة بعد أن ولدت منه ابنه مَعْدٍ يَكْرِبُ كما مر . ونسبه فيما قال الكلبي سيف بن ذي يزن بن عافر بن أسلم بن زيد بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور ، هكذا نسبه ابن الكلبي ، ومالك بن زيد هو أبو الأذواء . فخرج سيف وقدم على قيصر ملك الروم وشكى إليه أمر الحبشة ، وطلب أن يخرجهم ويبعث على اليمن من شاء من الروم ، فلم يسعفه عن الحبشة ، وقال الحبشة على دين النصارى . فرجع إلى كسرى وقدم الحيرة على النعمان بن المنذر عامل فارس على الحيرة وما يليها من أرض العرب ، فشكى إليه ، واستمهله النعمان إلى حين وفادته على كسرى ، وأوفد معه وسأله النصر على الحبشة وأن يكون ملك اليمن له . فقال : بعدت أرضك عن أرضنا ، أو هي قليلة الخير إنما هي شاء وبغير ولا حاجة لنا بذلك . ثم كساه وأجازه ، فنثر دنانير الاجازة ونهبها الناس يوهم الغنى عنها بما في أرضه . فأنكر عليه كسرى ذلك . فقال : جبال أرضي ذهب وفضة ، وإنما جئت لتمنني من الظلم . فرغب كسرى في ذلك ، وأمهلته للنظر في أمره ، وشاور أهل دولته ، فقالوا في سجونك رجال حبستهم للقتل ابعثهم معه فإن هلكوا كان الذي أردت بهم ، وإن ملكوا كان ملكاً إزددته إلى ملكك . وأحصوا ثمانمائة وقدم عليهم أفضلهم وأعظمهم بيتاً وأكبرهم نسباً وكان وهَزَر الدَيْلَمِي .

وعند المسعودي وهشام بن محمد والسُّهَيْلِيَّ أَنَّ كسرى وعده بالنصر ولم ينصره وشغل بحرب الروم ، وهلك سيف بن ذي يزن عنده ، وكبر ابنه ابن رِيحانة وهو مَعْدٍ يَكْرِبُ وعرفته أمه بأبيه ، فخرج ووفد على كسرى يستنجزه في النصر التي وعد بها أباه ، وقال له : أنا ابن الشيخ اليمني الذي وعدته . فوهبه الدنانير ونثرها إلى آخر القصة . وقيل إن الذي وفد على كسرى وأباد الحبشة هو النعمان بن قَيْس بن عُبَيْد بن سَيْف بن ذي يزن . قالوا ولما كتبت الفرس مع وهَزَر وكانوا ثمانمائة ، وقال ابن قتيبة كانوا سبعة آلاف وخمسمائة ، وقال ابن حزم كان وهَزَر من عقب جاماسب عم أنوشروان ، فأمره على أصحابه وركبوا البحر ثمان سفائن فغرقت منها سفيتان وخلصت ست إلى

ساحل عدن . فلما نزلوا بأرض اليمن ، قال وهزّر لسيف : ما عندك ؟ قال : ما شئت من قوس عربي ورجلي مع رجلك حتى نظفر أو نموت . قال أنصفت . وجمع ابن ذي يزن من استطاع من قومه ، وسار إليه مسروق بن أبرهة في مائة ألف من الحبشة وأوباش اليمن ، فتواقفوا للحرب ، وأمر وهزّر ابنه أن يناوشهم القتال فقتلوه ، وأحفظه ذلك . وقال : أروني ملكهم . فأروه إياه على الفيل عليه تاجه وبين عينيه ياقوتة حمراء ثم نزل عن الفيل إلى الفرس ، ثم إلى البغلة . فقال وهزّر ، ركب بنت الحمار ، ذلّ وذللّ ملكه . ثم رماه بسهم فصكّ الياقوتة بين عينيه ، وتغلغل في دماغه ، وتنگس عن دابته وداروا به ، فحمل القوم عليهم وانهزم الحبشة في كل وجه ، وأقبل وهزّر إلى صنعاء ، ولما أتى بابها قال : لا تدخل رايتي منكوسة . فهدم الباب ، ودخل ناصبا رايته فملك اليمن ونفى عنها الحبشة وكتب بذلك إلى كسرى وبعث إليه بالأموال . فكتب إليه أن يملك سيف بن ذي يزن على اليمن على فريضة يؤدّيها كل عام ففعل ، وانصرف وهزّر إلى كسرى .

وملك سيف اليمن وكان أبوه من ملوكها وخلف وهزّر نائباً على اليمن في جماعة من الفرس ضمهم إليه وجعله لنظر ابن ذي يزن وأنزله بصنعاء . وانفرد ابن ذي يزن بسلطانه ، ونزل قصر الملك وهو رأس غمدان ، يقال إن الضحّاك بناه على اسم الزهرة وهو أحد البيوت السبعة الموضوعة على أسماء الكواكب وروحانياتها ، خرب في خلافة عثمان قاله المسعودي .

وقال السهيلي : كانت صنّعاء تسمى أوّال ، وصنعاء اسم بانيها صنعاء بن أوّال بن عمير بن عابر بن شالّخ . ولما استقل ابن ذي يزن بملك اليمن وفدت العرب عليه يهنوه^(١) بالملك ، ولما رجع من سلطان قومه وأباد من عدوّهم ، وكان فيمن وفد عليه مشيخة قرّيش وعظماء العرب لعهدهم من أبناء إسماعيل وأهل بيتهم المنسوب لحجهم ، فوفدوا في عشرة من رؤوسائهم فيهم عبد المطلب ، فأعظمهم سيف وأجلهم وأوجب لهم حقهم ووفر من ذلك قسم عبد المطلب من بينهم . وسأله عن بنيه حتى ذكر له شأن النبي صلى الله عليه وسلم وكفّالته إياه بعد موت عبد الله أبيه عاشر ولد عبد المطلب ، فأوصاه به وحضه على الإبلاغ في القيام عليه ، والتحفظ به

(١) الصحيح ان يقول : « وفدت العرب عليه يهنونه أو «تهنيه» لان الفعل من الأفعال الخمسة ولم يتقدم عليه ما يوجب حذف النون . »

من اليهود وغيرهم ، وأسّر إليه البُشرى بنبوتة وظهور قريش قومهم على جميع العرب .
وأسنى جوائز هذا الوفد بما يدل على شرف الدولة وعظمتها لبعدها غايتها في المهمة ، وعلو
نظرها في كرامة الوفد ، وبقاء آثار الترف في الصبابة شاهد لشرافة الحال في الأول .
ذكر صاحب الأعلام وغيره أنه أجاز سائر الوفد بمائة من الإبل وعشرة أعبد وعشرة
وصائف وعشرة أرطال من الورق والذهب وكرش مليء من العنبر وأضعاف ذلك
بعشرة أمثاله لعبد المطلب .

قال ابن إسحق : ولما انصرف وهَزَرَ إلى كسرى غزا سيف على الحبشة وجعل يقتل
ويقر بطون النساء ، حتى إذا لم يبق إلا القليل جعلهم خولا واتخذ منهم طوابير يسعون
بين يديه بالحرا ب ، وعظم خوفهم منه . فخرج يوما وهم يسعون بين يديه ، فلما
توسطهم وقد انفردوا به عن الناس ، رموه بالحرا ب فقتلوه ، ووثب رجل منهم على
الملك . وقيل ركب خليفة وهَزَرَ فيمن معه من المسلحة ، واستلحم الحبشة وبلغ ذلك
كسرى ، فبعث وهَزَرَ في أربعة آلاف من الفُرس وأمره بقتل كل أسود أو منتسب إلى
أسود ولو جعداً قططاً ففعل ، وقتل الحبشة حيث كانوا ، وكتب بذلك إلى كسرى ،
فأمره على اليمن فكان يجيبه له حتى هلك . واستضافت حشابة ملك الحميريين بعد
مهلك ابن ذي يزن وأهل بيته إلى الفرس ، وورثوا ملك العرب وسلطان حمير باليمن
بعد أن كانوا يزاحمونهم بالمناكب في عراقهم ، ويجوسونهم بالغزو خلال ديارهم . ولم
يبق للعرب في الملك رسم ولا طلل إلا أقبالا من حمير وقحطان رؤساء في أحيائهم
بالبدو لا تعرف لهم طاعة ، ولا ينفذ لهم في غير ذاتهم أمر ، إلا ما كان لكهلان
إخوتهم بأرض العرب من ملك آل المنذر من لحم على الحيرة والعراق بتولية فارس ،
وملك آل جفنة من غسان على الشام بتولية آل قيصر كما يأتي في أخبارهم .

وقال الطبري : لما كانت اليمن لكسرى بعث إلى سرنديب من الهند قائداً من قواده ،
ركب إليها البحر في جند كثيف ، فقتل ملكها واستولى عليها ، وحمل إلى كسرى منها
أموالا عظيمة وجواهر . وكان وهَزَرَ يبعث العير إلى كسرى بالأموال والطيوب ، فتمرّ
على طريق البحرين تارة وعلى أرض الحجاز أخرى . وعدا بنو تميم في بعض الأيام
على عيره بطريق البحرين ، فكتب إلى عامله بالانتقام منهم ، فقتل منهم خلقا كما
يأتي في أخبار كسرى . وعدا بنو كنانة على عيره بطريق الحجاز حين مرّت بهم ، وكان
في جوار رجل من أشراف العرب من قيس ، فكانت حرب الفجار بين قيس وكنانة

بسبب ذلك وشهدا النبي صلى الله عليه وسلم وكان ينبل فيها على أعمامه أي يجمع لهم النبل .

قال الطبري : ولما هلك وهزر أمر كسرى من بعده على اليمن ابنه المرزبان ، ثم هلك فأمر حافده خرخسرو بن التيجان بن المرزبان ، ثم سخط عليه وحمل إليه مقيدا ، ثم أجاره ابن كسرى وخلق سبيله ، فعزله كسرى وولى باذان فلم يزل إلى أن كانت البعثة وأسلم باذان وفشا الإسلام باليمن كما نذكره عند ذكر الهجرة وأخبار الإسلام باليمن . هذا آخر الخبر عن ملوك التبابعة من اليمن ومن ملك بعدهم من الفرس ، وكان عدد ملوكهم فيما قال المسعودي سبعة وثلاثين ملكا في مدة ثلاثة آلاف ومائتي سنة إلا عشراً ، وقيل أقل من ذلك . فكانوا يتزلون مدينة ظفار . قال السهيلي زمار وظفار اسمان لمدينة واحدة ، يقال بناها مالك بن أبرهة وهو الأملاك ويسمى مالك وهو ابن ذي المنار ، وكان على بابها مكتوب بالقلم الأول في حجر أسود :

يوم شيدت ظفار فقل لمن	أنت فقالت لخير الاخيار
ثم سيلت من بعد ذلك قالت	ان ملكي احابش الاشرار
ثم سيلت من بعد ذلك قالت	ان ملكي لفارس الاحرار
ثم سيلت من بعد ذلك قالت	ان ملكي لقريش النجّار
ثم سيلت من بعد ذلك قالت	ان ملكي لخير سنجار
وقليلا ما يلبث القوم فيها	غير تشييدها لحامي البوار
من أسود يلقيهم البحر فيها	تُشعل النار في أعالي الجدار

ولم تزل مدينة ظفار هذه منزلا للملوك ، وكذلك في الإسلام صدر الدولتين ، وكانت اليمن من أرفع الولايات عندهم ، بما كانت منازل العرب العاربة ، وداراً للملوك العظماء من التبابعة والأقيال والعباهلة . ولما انقضى الكلام في أخبار حمير وملوكهم باليمن من العرب ، استدعى الكلام ذكر معاصريهم من العجم على شرط كتابنا لنستوعب أخبار الخليقة ، ونميز حال هذا الجيل العربي من جميع جهاته ، والأمم المشاهير من العجم الذين كانت لهم الدول العظيمة لعهد الطبقة الأولى والثانية من العرب وهم النبط والسريانيون أهل بابل ، ثم الجرامقة أهل الموصل ، ثم القبط ، ثم بنو اسرائيل والفرس ويونان والروم ، فلنأت الآن بما كان لهم من الملك والدولة وبعض أخبارهم على اختصار ، والله ولي العون والتوفيق ، لا رب غير ولا مأمول إلا خيره .

عمر ثوبان - بن تيان بن أسعد أبي كرب بن كليكرب بن تبع الاقرن بن زيد - بن عمر ذي الاذعار ابن ابرهة ذي النار - ابن الحرث الرايش بن ذي سدد

٢

ط

ح

شمر مرعش ابن ياسر ينعم - بن عمر ذي الاذعار ابن ابرهة ذي النار - ابن الحرث الرايش بن ذي سدد

ج

بلقيس
يلقمة بنت اليشرح - بن شمر بن افریقش بن ابرهة

افریقش
بن قيس بن صيفي بن سبا الاصغر

بن الملقاط بن عمرو بن ذي يقرم بن الصوار بن عبد شمس

الخبر عن ملوك بابل من النبط والسريانيين وملوك الموصل ونيوى من الجرامقة

قد تقدم لنا أن ملك الأرض من بعد نوح عليه السلام كان لکنعان بن كوش بن حام ، ثم لابنه النمرود من بعده ، وانه كان على بدعة الصابئة ، وأن بني سام كانوا حنفاء ينتحلون التوحيد الذي عليه الكلدانيون من قبلهم . قال ابن سعيد : ومعنى الكلدانيين الموحدين . ووقع ذكر النمرود في التوراة منسوباً إلى كوش بن حام ، ولم يقع فيها ذكر لکنعان بن كوش ، فإله أعلم بذلك . وقال ابن سعيد أيضاً : وخرج عابر بن شالخ بن أرفخشذ فغلبه ، وسار من كوثا إلى أرض الجزيرة والموصل فبنى مدينة مجدل هنالك ، وأقام بها إلى أن هلك ، وورث أمره ابنه فالغ من بعده ، وأصاب النمرود وقومه على عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام ما أصابهم في الصرح وكانت الببله وهي المشهورة . وقد وقع ذكرها في التوراة ولا أدري معناها . والقول بأن الناس أجمعين كانوا على لغة واحدة فباتوا عليها ، ثم أصبحوا وقد افترقت لغاتهم ، قول بعيد في العادة ، إلا أن يكون من خوارق الأنبياء فهو معجزة حينئذ ولم ينقلوه كذلك . والذي يظهر أنه إشارة إلى التقدير الإلهي في خرق العادة وافتراقها وكونها من آياته كما وقع في القرآن الكريم ، ولا يعقل في أمر الببله غير ذلك . وقال ابن سعيد سوريان بن نبط ولاء فالغ على بابل ، فانتقض عليه وحاربه ، ولاء هلك فالغ قام بأمره بعده ابنه ملكان ، فغلبه سوريان على الجزيرة ، وملكها هؤلاء الجرامقة إخوانه في النسب بنو جرموق بن أشوذ بن سام ، وكانت مواطنهم بالجزيرة وكان ابن أخت سوريان منهم الموصل بن جرموق ، فولاه سوريان على الجزيرة وأخرج بني عابر منها ، ولحق ملكان منها بالجبال فأقام هناك ، ويقال إن الخضر من عقبه ، واستبد الموصل على خاله سوريان بن نبط ملك بابل ، وامتازت مملكة الجرامقة من مملكة النبط . وملك بعد الموصل ابنه راتق وكانت له حروب مع النبط ، وملك من بعده ابنه أثور وبقي ملكها في عقبه وهو مذكور في التوراة ، وملك بعده ابنه نيوى وبني المدينة المقابلة للموصل من عدوة دجلة المعروفة باسمه ، ثم كان من عقبه سنجاريف بن أثور بن نيوى بن أثور وهو الذي بنى مدينة سنجار وغزا بني إسرائيل فصلبوه على بيت المقدس .

وقال البيهقي : إنّ الجزيرة ملكها بعد مقتل سنجاريف أخوه ساطرون ، وهو الذي بنى مدينة الخضر في بركة سنجار على نهر الترتار لتولعه بصيد الأسود في غيضاها . وملك من بعده ابنه زان وكان يدين بالصابئة ، ويقال إن يونس بن متى بعث إليه ويونس من الجرامقة من سبط بنيامين بن إسرائيل من ابنه ، فأمن به زان بن ساطرون بعد الذي قصه القرآن من شأنه معهم ، ثم انّ بختنصر لما غلب على بابل زحف إليه ودعاه إلى دين الصابئة ، وشرط له أن يبقى في ملكه فأجاب . ولم يزل على الجزيرة حتى زحف إليه جيوش الفرس مع أرتاق ، فضمن القيام بالمجوسية على أن يبقوه في ملكه ، وكتب بذلك أرتاق إلى بهمن فيضمن له ، فأجابه بأن هذا رجل متلاعب بالأديان فاقتله ، فقتله أرتاق وانقرض ملكه بعد ألف وثلثمائة سنة فيما قال البيهقي . وفي أربعين ملكا منهم ، وصارت الجزيرة لملوك الفرس ، والذي عند الإسرائيليين سنجاريف من ملوك نينوى وهم أولاد موصل بن أشوذ بن سام . وأنه كان قبله بالموصل ملوك منهم وهم فول وتلفات وبلناص ، وأنهم ملكوا بلد الأسباط العشرة ، وهي شمورون المعروفة بالسامرة ، وأنه غرّب الأسباط الذين كانوا فيها إلى نواحي أصبهان وخراسان ، وأسكن أهل كومة وهي الكوفة في شمورون هذه ، فسلط الله عليهم السباع يفترسونهم في كلّ ناحية . فشكوا ذلك إلى سنجاريف وسألوه أن يخبرهم عن بلد شمورون في قسمة أي كوكب هي كي يتوجهوا إليه ، ويستزلوا روحانيته على طريق الصابئة ، فأعرض عن ذلك وبعث كاهنان إليهم من اليهود فعلموهم دين اليهودية ، وأخذوا به . وهؤلاء عند اليهود هم الشجرة نسبة إلى شجرة وهي شمورون ، وليس الشجرة عندهم من بني إسرائيل ، ولأن دينهم صحيح في اليهودية .

وزحف سنجاريف عندهم إلى بيت المقدس بعد استيلائه على شمورون فحاصرها ، وداخله العجب بكثرة عساكره ، فقال لبني إسرائيل من الذي خلصه إلهه من يدي حتى يخلصكم إلهكم ، وفزع ملك بني إسرائيل إلى نبيهم مدليلا ، وسأله الدعاء فدعا له وأمنه من شرّ سنجاريف ، ونزلت بعسكره في بعض لياليهم آفة سماوية ، فأصبحوا كلهم قتلى . يقال أحصى قتلاهم فكانوا مائة وخمسة وثمانين ألفا ، ورجع سنجاريف إلى نينوى ، ثم قتله أولاده في سجوده لمعبوده من الكواكب ، وولي ابنه أيسر حذون ، ثم استولى عليهم بعد ذلك بختنصر كما سذكركه في خبره .

وأما ملوك بابل فهم النبط بنو نبيط بن أشوذ بن سام . وقال المسعودي : نبيط بن ماش بن إرم ، وكانوا موطنين بأرض بابل وملك منهم سوريان بن نبيط ، وقال المسعودي : هو أحد نبيط بن ماش ملك أرض بابل بولاية من فالغ ، فلما مات فالغ أظهر بدعة الصابئة ، وانتحلها بعده ابنه كنعان ويلقب بالعمروذ . وملك بعده ابنه كوش وهو عمروذ إبراهيم عليه السلام ، وهو الذي قدم أباه آزر فاصطفاه هاجر على بيت الأصنام لأن أروع بن فالغ لما هلك أبوه فالغ وكان على دين التوحيد الذي دعاه إليه أبوه عابر ، رجع حينئذ أرغو إلى كوثا ، ودخل مع النمارذة في دين الصابئة ، وتوارثها بنوه إلى آزر بن ناحور ، فاصطفاه هاجر بن كوش وقدمه على بيت الأصنام ، وولد له إبراهيم عليه السلام ، وكان من أمره ما ذكرنا فيما نصه التترييل ونقله الثقات . ثم توالى ملوك النمارذة ببابل وكان منهم بختنصر على ما ذهب إليه بعضهم ، ويقال إن الجرامقة وهم أهل نينوى غلبوا على بابل وملكها سنجاريق منهم واستعمل فيها بختنصر من ملوكها ، ثم انتقض عليه بالجزا والطاعة ، وغزا بني اسرائيل بيت المقدس ، فاقتحمها عليهم بعد الحصار ، وأثنى فيهم بالقتل والأسر ، وقتل ملكهم وخرب مسجدهم وتجاوزهم إلى مصر فملكها . ولما هلك بختنصر ملك من بعده فيما ذكره ابنه نَشَبَتْ نَصْر ، ثم من بعده بَنِيصَّر وغزاه أَرْتاق مرزبان كسرى من ملوك الكينية فقتله وملك بابل وأعمالها وصار النبط والجرامقة رعية للفرس ، وانقرضت دولة النمارذة ببابل ، هكذا ذكر ابن سعيد ونقله عن داهر مؤرخ دولة الفرس ، وجعل السريانيين والنبط أمة واحدة ، وهما دولة واحدة . وأما المسعودي فجعلها دولتين .

وأما السريانيون فقال هم أول ملوك الأرض بعد الطوفان ، وسمي من ملوكهم تسعة متعاقبين في مائة سنة أو فوقها بأسماء أعجمية لا فائدة في نقلها لقلة الوثوق بالأصول التي بأيدينا من كتبه وكثرة التغير في الأسماء الأعجمية . نعم ذكر أن شوشان بشينين معجمتين ، وأنه أول من وضع التاج على رأسه . والرابع منهم انه الذي كَوَّرَ الكُورَ وَمَدَّنَ المَدَّنَ وَأَنَّ ملك الهند لعهدده كان اسمه رَتِيلِيل وأنه على ملكه واستولى على السريانيين ، وأن بعض ملوك المغرب ظاهرهم عليه وانتزع لهم ملكهم منه ورده عليهم . وسمي الثامن منهم ماروت وأشار في آخر كلامه إلى أنهم كانوا مستولين على بابل وعلى الموصل ، وأن ملوك اليمن ربما غلبوهم على أمرهم بعض الأحيان . وذكر في التاسع أنه كان غير مستقل بأمره ، وإن أخاه كان مقاسمه في سلطانه ، وأن أول من

اتخذ الخمر فلانٌ وأوّل من ملك فلانٌ ، وأوّل من لعب بالصقور والشطرنج فلانٌ ، مزاعم كلها بعيدة من الصحة . إنما وجهه أن السريانيين لما كانوا أقدم في الخليفة نسب اليهم كل قديم من الأشياء ، أو طبيعي كالخط واللغة والسحر والله أعلم .
وأما النبط فعند المسعودي أنهم من أهل بابل لقوله في ترجمتهم ذكر ملوك بابل والنبط وغيرهم المعروفين بالكلدانيين ، وذكر أن أولهم نمروذ الجبار ونسبه الى ماش بن إرم بن سام ، وذكر أنه الذي بنى الصرح ببابل ، واحتفر نهر الكوفة . ونسب النمروذ في موضع آخر الى كوش بن حام لا أدري هو أو غيره . ثم عدّ ملوكهم بعد النمروذ ستاً وأربعين أو نحوها في ألف وأربعمائة من السنين باسماء أعجمية متعذر ضبطها فتركت نقلها . إلا أنه ذكر في الموفى منهم عدد العشرين وبعد التسعمائة من سنيهم انه الذي غزت فارس لعهد مدينة بابل . وذكر في الموفى عدد ثلاثة وثلاثين منهم عند الألف والأربعمائة من سنيهم انه سنجاريق الذي حارب بني اسرائيل حاصرهم ببیت المقدس حتى أخذ الجزية منهم . وأن آخر ملوكهم داريونش ، وهو دار الذي قتله الإسكندر لما ملك بابل . هذا ما ذكره المسعودي ولم يذكر منهم نمروذ الخليل عليه السلام . وذكر ان مدينتهم بابل وأن الذي اختطها اسمه نير واسم امرأته شميرام ملوك السريانيين اسمان أعجميان لا وثوق لنا بضبطهما . وقال الطبري نمروذ بن كوش بن كنعان بن حام صاحب ابراهيم الخليل عليه السلام . وكان يقال عاد إرم ، فلما هلكوا قيل ثمود إرم ، فلما هلكوا قيل نمروذ إرم ، فلما هلك قيل لسائر ولد إرم إرمان فهم النبط ، وكانوا على الإسلام ببابل حتى ملكهم نمروذ فدعاهم إلى عبادة الأوثان فعبدوها انتهى كلام الطبري .

وقال هروشيوش مؤرخ الروم : إنه نمروذ الجسيم ، وإن بابل كانت مربعة الشكل ، وكان سورها في دور ثمانين ميلا ، وارتفاعه مائتا ذراع وعرضه خمسون ذراعا ، وهو كله مبني بالآجر والرصاص ، وفيه مائة باب من النحاس ، وفي أعلاه مساكن الحراس والمقاتلة تبيت على الجانبين في سائر دورة الطريق بينهما . وحول هذا السور خندق بعيد المهوى ، أجري فيه الماء ، وأن الفرس هدموه ، ولما تغلبوا على ملك بابل تولى ذلك منهم جيرش وهو كسرى الأول انتهى كلام هروشيوش .

ويظهر من كلام هؤلاء ان اسم النمروذ سمى لكل من ملك بابل لوقوعه في أهل أنساب مختلفة مرة إلى سام ومرة إلى حام . وزعم بعض المؤرخين أن نمروذ الخليل

عليه السلام هو النمرود بن كنعان بن سنجاريف بن النمرود الأكبر ، وأنَّ بَخْتَنْصَر من عقبه وهو ابن برزاد بن سنجاريف بن النمرود^(١) ، وأنَّ الفُرس الكينية غلبوا بختنصر على بابل ، ثم أبقوه واستعملوه عليها ، وأنَّ كسرى الأول من بني ساسان خرب مدينة بابل . وعند الإسرائيليين وينقلونه عن كتاب دانيال وأرميا من أنبيائهم وضبط هذا الاسم يَرْميا أنَّ بَخْتَنْصَر من عقب كاسد بن حاور وهو أخو ابراهيم الخليل ، وبنو كاسد هؤلاء من ملوك بابل ويعرفون بالكسدانيين نسبة إليه ، وأنَّ بختنصر منهم ملك أكثر المعمور ، وغلب على بني اسرائيل ، وأزال دولتهم ، وخرب بيت المقدس ، وانتهى ملكه إلى مصر وما وراءها ، وكان ملكه خمسا وأربعين . وملك بعده ابنه أويل مروود ثلاثا وعشرين سنة ، وبعده ابنه بلينصر ثلاث سنين ثم زحف إليه دارا من ملوك الفرس وصهره كورش فحاصروه بمدينة بابل ، وقال بعض الاسرائيليين ان بختنصر وملوك بابل من كسديم ، وكسديم من عيلام بن سام وهو أخو أشود ، ومن أشود ملوك الموصل انتهى الكلام في ملوك الموصل وملوك بابل .

وهذا غاية ما أدى اليه البحث من أخبارهم وأنسابهم ، وكان من هؤلاء والكلدانيين دين الصابئة وهو عبادة الكواكب واستجلاب روحانيتها . ويذكر أنهم كانوا لذلك أهل عناية بأرصاد الكواكب ، ومعرفة طبائعها ، وخلاص المولدات ، وما يشابه ذلك من علوم النجوم والطلسمات والسحر ، وأنهم نهجوا ذلك لأهل الربع الغربي من الأرض . وقد يشهد لذلك قراءة من قرأ : وما أنزل على المَلِكَيْن بكسر اللام ، مشيراً إلى أن هاروت وماروت من ملوك السريانيين ، وهم أول ملوك بابل ، وعلى القراءة المشهور وأنها من الملائكة ، فيكون اختصاص هذه الفتنة ، والابتلاء ببابل من بين أقطار الأرض ، دليلاً على وفور قسطها من صناعة السحر الذي وقع الابتلاء به ، ومما يشهد لانتحالهم السحر وفنونه من النجوم وغيرها ، أنَّ هذه العلوم وجدناها من منتحل أهل مصر المجاورين لهم ، وكان لملوكها عناية شديدة بذلك ، حتى كان من مباهاتهم موسى بذلك وحشر السحرة له ما كان ، وبقايا الآثار السحرية في برابي انخيم من صنعيد مِصر ما يشهد لذلك ايضاً والله أعلم .

(١) ورد هذا الاسم بالذال وهو الاصح وفي اماكن اخرى كثيرة بالذال .

مجلسه علمیه اسلامی

بنیصر بن نشتنصر بن هاصر بن کوش بن عمرو بن قالف بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح علیه السلام

الخروذ بن كنعان بن كوث بن حاسم

ادعو

۱۰۰

بختصر بن کاسد بن ناحور بن

الخبر عن القبط وأولية ملكهم ودولهم وتصارييف أحوالهم والالمام بنسبهم

هذه الأمة أقدمُ أمم العالم وأطولهم أمدًا في الملك ، واختصوا بملك مِصر وما إليها ، ملوكها من لدن الخليقة إلى أن صبحهم الإسلام بها ، فانتزعها المسلمون من أيديهم . ولعهدهم كان الفتح ، وربما غلب عليهم جميع من عاصرهم من الأمم حين يستفحل أمرهم مثل العماليقة والفرس والروم واليونان ، فيستولون على مِصر من أيديهم ، ثم يتقلص ظلهم ، فراجع القبطُ ملكهم هكذا إلى أن انقرضوا في مملكة الإسلام .

وكانوا يسمون الفراعنة سمة لملوك مِصر في اللغة القديمة ، ثم تغيرت اللغة وبقي هذا الاسم مجهول المعنى ، كما تغيرت الحميرية إلى المِصرية ، والسريانية إلى الرومية . ونسبهم في المشهور إلى حام بن نوح ، وعند المسعودي إلى بنصر بن حام ، وليس في التوراة ذكر لبنصر بن حام وإنما ذكر مصرايم وكوش وكنعان وقوط . وقال السهيلي إنهم من ولد كنعان بن حام لأنه لما نسب مصر ، قال فيه : مصر بن النبط أو ابن قبط بن النبط من ولد كوش بن كنعان . وقال أهروشيوش : إن القبط من ولد قبط ابن لايق بن مصر . وعند الإسرائيليين أنهم من قوط بن حام . وعند بعضهم أنهم من كفتوريم قبطقاين ومعناه القبط .

وقال المسعودي اختص بنصر بن حام أيام النمرود ابن أخيه كنعان بولاية أرض مصر ، واستبد بها وأوصى بالملك لابنه مصر ، فاستفحل ملكه ما بين أسوان واليمن والعريش وأيلية وفرسيصة^(١) ، فسميت كلها أرض مصر نسبة إليه ، وفي قبليها النوبة وفي شرقها الشام وفي شمالها بحر الزقاق وفي غربها برقة والنيل من دونها . وطال عمر مصر وكبر ولده وأوصى بالملك لأكبرهم وهو قبط بن مصر أبو الأقباط ، فطال أمد ملكه وكان له بنون أربع : قبط بن مِصر وأن مِصر هو الذي قسّم الأرض وعهد إلى أكبرهم بالملك وهو قبط ، فغلب عليهم فأضيفوا إليه لمكان الملك والسن ، وملك بعد قبط بن مصر أشمون بن مصر ، ثم من بعده صائثم أخوها أتريب ، ثم عدّ ملوكًا بأسماء

(١) وفي نسخة أخرى : فرسية .

أعجمية بعيدة عن الضبط لعجمتها وفساد الأصول التي بين أيدينا من كتبه ، ثم لما ذكر ستة منهم بعد أثريب قال : فكثر ولد بنصر بن حام وتشاغبوا وملك عليهم النساء ، فسار إليهم ملك الشام من العمالة الوليد بن دومع فملكهم وانقادوا إليه .

وأما ابن سعيد فيما نقل من كتب المشاركة فقال : ملك مصر ابنه قبط ، ثم من بعده أخوه أثريب . قال : وفي أيام قبط زحف شَدَّاد بن مَدَّاد بن شَدَّاد بن عاد إلى مصر ، وغلب على أسافلها ، ومات قبط في حروبه ، ثم جمع أثريب قومه واستظهر بالبربر والسودان على العرب حتى أخرجهم إلى الشام ، واستبدَّ أثريب بملك مصر وبني المدينة المنسوبة إليه ، ومدينة عين شمس . وملك بعده ابن أخيه البودشير بن قبط وهو الذي بعث هرمساً المصري إلى جبل القمر حتى ركب جرية النيل من هنالك ، وعدل البطيحة الكبرى التي تنصب إليها عيون النيل ، وعمر بلاد الواحات وحول إليها جمعا من أهل بيته . ثم ملك من بعده عديم بن البودشير ، ثم ابنه شَدَّات بن عديم ، ثم ابنه مَنذ وش بن شَدَّات وجدّد مدينة عين شمس . وكان لهم في السحر آثارٌ عجيبة .

ثم ملك بعده ابنه مَقْلَوش بن مَقْلَوش وَعَبْدَ البَقَر وصوَّرها من الذهب ، ثم هلك وخلف ابنه مَرْقِيش فغلب عليه عمه أَشْمُون بن قِط ، وبني مدينة الأشمون . وملك بعده ابنه أَشَاد بن أَشْمُون ، ثم من بعده عمه صابن قِط وبني مدينة باسمه ، وملك بعده ابنه ندراس وكان حكيماً وهو الذي بنى هيكل الزهرة الذي هدمه بختنصر . وملك بعده ابنه مَالِيق بن ندراس فرفض الصابئة ودان بالتوحيد ، ودوَّخ بلاد البربر والأندلس ، وحارب الإفرنج . وملك بعده ابنه حَرَبِيَّا بن مَالِيق فرجع عن التوحيد إلى الصابئة ، وغزا بلاد الهند والسودان والشام . وملك بعده ابنه كَلَكِي بن حَرَبِيَّا ، وهو الذي تسميه القبط حكيم الملوك ، واتخذ هيكل زُحَل وعهد إلى أخيه مَالِيَا بن حَرَبِيَّا ، واشتغل باللهو فقتله ابنه خَرَطِيش وكان سقاً كاللدماء ، والقبط تزعم أنه فرعون الخليل عليه السلام ، وأنه أول الفراعنة . ولما تعدَّى بالقتل إلى أقاربه سَمَّته ابنته حورِيَّا ، وملك القبط من بعده فنازعها أبراحس من ولد عمها أثريب ، وحاربتة فكان لها الغلب ، وانهزم أبراحس إلى الشام ، فاستظهر بالكنعانيين وبعث ملكهم قائده جِيْرُون فلما قرب مِصْر استقبلته حوريا وأطمعته في زواجها على أن يقتل أبراحس وبني مدينة الاسكندرية ففعل ، ثم قتله آخرًا مسموما واستقام لها الأمر ، وبنت منارة الاسكندرية ، وعهدت بأمرها لدَلِيقِيَّة ابنة عمها باقوم ، فخرج عليها

أَيُّمِينَ مِنْ نَسْلِ أَثَرِيْبٍ طَالِباً بِثَارٍ قَرِيْبِهِ اِبْرَاحِسَ ، وَلَحِقَ بِمَلِكِ الْعِمَالِقَةِ يَوْمِئِذٍ وَهُوَ الْوَلِيدُ اِبْنُ دَوْمَعٍ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عِنْدَ ذِكْرِ الْعِمَالِقَةِ فَاسْتَنْصَرَ بِهِ وَجَاءَ مَعَهُ وَمَلِكُ دِيَارِ مِصْرَ .
وَاسْتَبَدَّ بِالْقِبْطِ نَقْرَاسُ فَاشْتَغَلَ بِاللَّذَاتِ ، وَاسْتَكْفَى مِنْ بَنِيهِ أَطْفِيرٌ وَهُوَ الْعَزِيزُ فَكَفَاهُ ، وَقَامَ بِأَمْرِهِ وَدَبَّرَ لَهُ يَوْسُفَ الْفَيُومِ بِالْوَحْيِ وَالْهِنْدَسَةِ ، وَكَانَتْ أَرْضُهَا مَغَايِضَ لِلْمَاءِ فَأَخْرَجَهُ وَعَمَّرَ الْقَرْيَ مَكَانَهُ عَلَى عِدَدِ أَيَّامِ السَّنَةِ ، فَجَعَلَهُ عَلَى خَزَائِنِهِ . وَمَلِكٌ بَعْدَهُ دَارِمُ بْنُ الرِّيَّانِ وَسَمَّيْتُهُ الْقِبْطُ وَيَمُوصُ . وَكَانَ يَوْسُفُ مَدَبِّرَ أَمْرِهِ بِوَصِيَّةِ أَبِيهِ ، وَمَاتَ لِعَهْدِهِ فَأَسَاءَ السَّيْرَةُ وَهَلَكَ غَرِيقاً فِي النَّيْلِ . وَمَلِكٌ بَعْدَهُ اِبْنُهُ مَعَدَّ اَنُوسُ بْنُ دَارِمٍ فَتَرَهَّبَ وَاسْتَخْلَفَ اِبْنَهُ كَاشِمٌ فَاسْتَعْبَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِلْقِبْطِ ، وَقَتْلَهُ حَاجِبُهُ وَنَصَبَ بَعْدَهُ اِبْنَهُ لَاطِشٌ ، فَاشْتَغَلَ بِاللَّهُوِ فَخْلَعَهُ ، وَنَصَبَ آخَرَ مِنْ نَسْلِ نِذْرَاسٍ اسْمُهُ لُحُوبٌ فَتَجَبَّرَ ، وَتَذَكَّرَ الْقِبْطُ أَنَّهُ فِرْعَوْنُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَأَهْلُ الْأَثَرِ يَقُولُونَ : إِنَّهُ الْوَلِيدُ بْنُ مِصْعَبٍ وَأَنَّهُ نَجَاراً تَقَلَّبَ حَالُهُ إِلَى عِرَافَةِ الْحَرَسِ ، ثُمَّ تَطَوَّرَ إِلَى الْوِزَارَةِ ، ثُمَّ إِلَى الْإِسْتِبْدَادِ . وَهَذَا بَعِيدٌ لَمَّا قَدَّمَناهُ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ . وَقَالَ الْمَسْعُودِيُّ : بَلْ كَانَ فِرْعَوْنُ مُوسَى مِنَ الْأَقْبَاطِ .

ثُمَّ هَلَكَ فِرْعَوْنُ مُوسَى ، وَخَشِيَ الْقِبْطُ مِنْ مَلُوكِ الشَّامِ ، فَلَمَّكُوا عَلَيْهِمْ دَلُوكَةً مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ وَهِيَ الَّتِي بَنَتْ الْحَائِطُ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ ، وَيَعْرِفُ بِحَائِطِ الْعَجُوزِ لِأَنَّهَا طَالَ عُمُرُهَا حَتَّى كَبُرَتْ وَاتَّخَذَتْ الْبَرَابِي وَمَقَائِيسَ النَّيْلِ . ثُمَّ سَمَّى الْمَسْعُودِيُّ مِنْ بَعْدِ دَلُوكَةِ ثَمَانِيَةِ مِنْ مَلُوكِهِمْ عَلَى ذَلِكَ النِّحْوِ مِنْ عَجْمَةِ الْأَسْمَاءِ ، وَقَالَ فِي الثَّامِنِ إِنَّهُ فِرْعَوْنُ الْأَعْرَجِ الَّذِي اعْتَصَمَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ بَحْتَنَصَّرَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مِصْرَ وَقَتْلَهُ وَهَدَمَ هَيْكَلَ الصَّابِئَةِ وَوَضَعَ بَيْوتَ النَّيْرَانِ لَهُ وَلَوْلَدِهِ . وَذَكَرَ فِي تَوَارِيخِهِمْ قَالَ : قَالَ اِبْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ : وَهَذِهِ الْعَجُوزُ دَلُوكَةٌ هِيَ الَّتِي جَدَّدَتْ الْبَرَابِي بِمِصْرَ ، أَرْسَلَتْ إِلَى امْرَأَةٍ سَاحِرَةٍ كَانَتْ لِعَهْدِهَا اسْمُهَا تَرُورَةُ ، وَكَانَتْ السَّحْرَةَ تَعْظُمُهَا ، فَعَمِلَتْ بَرَبِيٍّ مِنْ حِجَارَةِ وَسْطِ مَدِينَةِ مَنَفَ ، وَصَوَّرَتْ فِيهَا صُورَ الْحَيَوَانَاتِ مِنْ نَاطِقٍ وَأَعْجَمٍ ، فَلَا يَقَعُ شَيْءٌ بِتِلْكَ الصُّورَةِ إِلَّا وَقَعَ بِمِثَالِهَا فِي الْخَارِجِ . وَكَانَ لَهُمْ بِذَلِكَ امْتِنَاعٌ مِمَّنْ يَقْصِدُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَعْلَمَ النَّاسِ بِالسَّحْرِ ، وَأَقَامَتْ عَلَيْهِمْ عِشْرِينَ سَنَةً حَتَّى بَلَغَ صَبِيٌّ مِنْ أَبْنَائِهِمْ اسْمُهُ دَرْكُونُ بَطْلُوسٌ فَمَلَكُوهُ ، وَأَقَامَتْ مَعَهُ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعِمِائَةَ سَنَةٍ ^(١) ، ثُمَّ مَاتَ فَوَلَّوْا اِبْنَهُ يَرْدِيسَ بْنِ دَرْكُونِ ، وَمِنْ بَعْدِهِ أَخَاهُ نَقَاسُ بْنُ نَقْرَاسَ ، وَمِنْ بَعْدِهِ

(١) لَعَلَّ الْمُدَّةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَرَبْمَا يَكُونُ الْخَطَأُ حَصَلَ فِي النِّسْخِ .

مَرِينَا بن مَرِينُوس ، ثم ابنه اسْتَارُس بن مَرِينَا فطغى عليهم وخلعوه وقتلوه ، وولوا عليهم من أشرافهم بلوطيس بن مناكيل أربعين سنة ، ثم استخلف مالوس بن بلوطيس ومات ، فاستخلف أخاه مَنَاكِيل بن بلوطيس ثم توفي ، فاستخلف ابنه بركة ابن مناكيل فملكهم مائة وعشرين سنة ، وهو فِرْعَوْن الأعرج الذي سبى أهل بيت المقدس ، ويقال أنه خُلِع .

وقال ابن عبد الحكم : وولي من بعده ابنه مَرِينُوس بن بركة ، فاستخلف ابنه فَرَقُون بن مَرِينُوس فملكهم ستين سنة ثم هلك ، واستخلف أخاه نِقَاس بن مَرِينُوس . وكانت البرابي كلها اذا فسد منها شيء لا يصلحه إلا رجل من ذرية تلك العجوز الساحرة التي وضعها ، ثم انقطعت ذريتها ففسدت البرابي أيام نقاس هذا ، وتجاسر الناس على طلب الملك الذي في أيديهم ، وهلك نِقَاس ، واستخلف ابنه قَوْمِس بن نِقَاس ، فملكهم دهرًا ثم ملك بَخْتَنْصَر بيت المقدس ، واستلحم بني اسرائيل وفرقهم وقتل وخرّب ولحقوا بمصر ، فأجارهم قَوْمِس ملكها وبعث فيهم بَخْتَنْصَر فمنعهم وزحف إليه وغلب عليه وقتله وخرّب مدينة مَنَف . وبقيت مصر أربعين سنة خرابا . وسكنها أَرَمِيَاء مدّة ثم بعث إليه بَخْتَنْصَر فلحق به ثم ردّ أهل مصر إلى موضعهم ، وأقاموا كذلك ما شاء الله إلى أن غلب الفرس والروم على سائر الأمم ، وقاتل الروم أهل مصر إلى أن وضعوا عليهم الجزى ، ثم تقاسمها فارس والروم ، ثم تداولوا ملكها فتوالت عليها نواب الفُرس . ثم ملكها الإسكندر اليوناني وجدّد الإسكندرية ، والآثار التي خارجها مثل عمود السواري ورواق الحكمة .

ثم غلب الروم على مصر والشام وأبقوا القبط في ملكها وصرفوهم في الولاية بمصر إلى أن جاء الله بالإسلام ، وصاحب القبط بمصر والإسكندرية المَقْوِس ، واسمه جُرَيْج بن مينا فيما نقله السُّهَيْلِيّ . فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حَاطِب بن أبي بَلْتَعَة ، وجبرا مولى أبي رَهْم الغفاريّ ، فقارب الإسلام وأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هديته المعروفة ذكرها أهل السير كان ، فيها البغلة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركبها وتسمى دلدل ، والحمار الذي يسمّى يَعْفُور ، ومارية القبطيّة أم ولده إبراهيم وأمّها وأختها سيرين وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحَسَّان بن ثابت ، فولدت له عبد الرحمن ، وقدح من قوارير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب فيه ، وعسل استظرفه له من بنها إحدى قرى مصر معروفة بالعسل الطيب .

ويقال إن هِرْقُل لما بلغه شأن هذه الهدية اتهمه بالميل الى الإسلام فعزله عن رياسه القِبْط .

وخرَجَ مُسْلِمٌ في صحيحه من رواية أبي ذرٍّ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا افتتحت مصر أو إنكم مُسْتَفْتِحُونَ مِصْرَ فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإنَّ لهم ذمَّةً ورحماً أو صهراً . » ورواه ابن إسحق عن الزُّهريّ وقال : قلت للزهري ما الرَّحِم التي ذكر؟ قال : كانت هَاجِرَ أم اسمعيل منهم . ولبعض رواة الحديث في تفسير الصهر أنَّ مارية أم ابراهيم منهم ، أهداها له المقوقس ، وكانت من كورة حَفَن من عمل أَنْصَناء . وقال الطبريَّ إنَّ عمرو بن العاص لما ملك مصر أخبرهم بوصية النبيّ صلى الله عليه وسلم بهم ، فقال : هذا نَسَبٌ لا يحفظ حقه إلا نبيّ لأنَّه نسب بعيد وذكروا له أنَّ هَاجِرَ كانت امرأة لملك من ملوكنا ووقعت بيننا وبين أهل عين شمس حروب كانت لهم في بعضها دولة فقتلوا الملك وسبوا ، ومن هنالك تسيرت الى أبيكم ابراهيم .

ولما كمل فتح مصر والإسكندرية وارتحل الروم الى القسطنطينية ، أقام المقوقس والقبط على الصلح الذي عقده لهم عمرو بن العاص وعلى الجزى ، وأبقوه على رياسة قومه ، وكانوا يشاورونه فيما ينزل من المهمات الى أن هلك ، وكان ينزل الإسكندرية وفي بعض الأوقات ينزل منف من أعمال مصر . واختط عمرو بن العاص الفسطاط بموضع خيامه التي كان يحاصر مصر منها ، فترل بها المسلمون وهجروا المدينة التي كان بها المقوقس ، الى أن خربت . وكان في خرابها ومهلك المقوقس انقراض أمرهم . وبقي أعقابهم الى هذا الزمان يستعملهم أهل الدول الإسلامية في حسابات الخراج ، وجبايات الأموال لقيامهم عليها ، وغنائم فيها ، وكفايتهم في ضبطها وتنميتها . وقد يهاجر بعضهم الى الإسلام فترفع رتبته عند السلطان في الوظائف المالية التي أعلاها في الديار المصرية رتبة الوزارة ، فيقلدونهم إياها ليحصل لهم بذلك قرب من السلطان وحظ عظيم في الدولة وبسطة يد في الجاه ، تعددت منهم في ذلك رجال ، وتعينت لهم بيوت قصر السلطان نظره على الاختيار منها لهذا العهد . وعامتهم يقيم على دين النصرانية الذين كانوا عليها لهذا العهد ، وأكثرهم بنواحي الصعيد وسائر الأعمال مُتَحَرِّفُونَ بِالْفَلَح والله غالب على أمره .

وَأَمَّا إقليم مصر فكان في أيام القِبْط والفراعنة جسوراً كله بتقدير وتدبير يحبسونه

ويرسلونه كيف شاؤا ، والجئات حفاف النيل من أعلاه إلى أسفله ما بين أسوان ورشيد ، وكانت مدينة مَنَف وعين شمس ، يجري الماء تحت منازلها وأفنيتها بتقدير معلوم ، ذكر ذلك كله عبد الرحمن بن شماس ، وهو من خيار التابعين ، يرويه عن أشياخ مصر قالوا : ومدينة عين شمس كانت هيكل الشمس ، وكان فيها من الأبنية والأعمدة والملاعب ما ليس في بلد . قلت : وفي مكانها لهذا العهد ضيعة متصلة بالقاهرة يسكنها نصارى من القبط وتسمى المَطَرِيَّة . قالوا : ومدينة مَنَف مدينة الملوك قبل الفراعنة وبعدهم إلى أن خربها بَخْتَنَصْر كما تقدّم في دولة قَوْمِس بن نِقَاس ، وكان فرعون ينزل مدينة مَنَف ، وكان لها سبعون باباً وبنى حيطانها بالحديد والصفّر^(١) ، وكانت أربعة أنهار تجري تحت سريرته ذكره أبو القاسم بن خَرْدَاذْبَة في كتاب المسالك والممالك قال : وكان طولها إثني عشر ميلاً ، وكانت جباية مصر تسعين ألف ألف دينار مكرّرة مرتين بالدينار الفرعونيّ وهو ثلاثة مثاقيل . وانما سميت مِضر بِمِضْر بن بَيْضَر بن حام ، ويقال انه كان مع نوح في السفينة فدعا له فأسكنه الله هذه الارض الطيبة ، وجعل البركة في ولده . وحدّها طولاً من برقة إلى أيلة ، وعرضاً من أسوان إلى رشيد . وكان أهلها صابئة ، ثم حملهم الروم لما ملكوها بعد قسطنطين على النصرانية ، عندما حملوا على الأمم المجاورة لهم من الجَلَالِقَة والصَّقَالِبَة وِبَرَجَان والروس والقبط والحَبَشَة والنُّوبَة ، فدانوا كلهم بذلك ورجعوا عن دين الصابئة في تعظيم الهياكل وعبادة الأوثان ، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

(١) ربما يعنى النحاس الأصفر او الذهب .

هؤلاء العاقلون الذين غلبوا القبط على مصر وملكوها الى ايام موسى عليه السلام وفرعون الذي اغرقه الله منهم

ظلم كاشم بن معدانوس بن دارم بن الريان بن الوليد بن دومغ

مصر ومصر

على عهدهما غلب دومغ القبط على مصر

زالفا بنت ياقوم بن مالبيا بن حريبا بن مالبق بن نذراس بن صا بن مصر بن بيصر بن حمام

كلكي

جور ياق بنت طوطيس
هو فرعون ابراهيم الذي اعطاه
هاجر كذا وجد

مصر ومصر

قوس بن نقاس بن مريوس بن نعمة بن مناكيل
استارس بن مريتا بن مريوس بن بلوطس

ادقاش
نودست بن دركون

فان برنا بن
فان برنا بن

قبط

سودان
كنعان

مناكيل
بن مسهم بن

الخبر عن بني اسرائيل وما كان لهم من النبوة والملك
وتغلبهم على الارض المقدسة بالشام وكيف تجددت دولتهم بعد
الانقراض وما اكتنف ذلك من الأحوال

قد ذكرنا عند ذكر إبراهيم وبنيه صلوات الله وسلامه عليهم ما كان من شأن يعقوب
بن إسحق واستقراره بمصر مع بنيه الأسباط ، وفي التوراة أن الله سماه إسرائيل . وإيل
عندهم كلمة مرادفة لعبد وما قبلها من أسماء الله عز وجل وصفاته والمضاف أبدا
متأخر في لسان المعجم ، فلذلك كان إيل هو آخر الكلمة وهو المضاف . ثم قبض الله
نبيه يعقوب بمصر لمائة وسبع وثمانين سنة من عمره ، وأوصى أن يدفن عند أبيه ،
فطلب يوسف من فرعون أن يطلقه لذلك ، فأذن له . وأمر أهل دولته بالإنطلاق
معه ، فانطلقوا وحملوه إلى فلسطين فدفنوه بمقبرة آبائه ، وهي التي اشتراها إبراهيم من
الكنعانيين . ورجع يوسف إلى مصر وأقام بها إلى أن توفي لمائة وعشرين سنة من
عمره ، ودفن بمصر وأوصى أن يحملوا شلوه معهم إذا خرجوا إلى أرض الميعاد ، وهي
الأرض المقدسة .

وأقام الأسباط بمصر وتناسلوا وكثروا حتى ارتاب القبط بكثرتهم واستعبدوهم ، وفي
التوراة أن ملكا من الفراعنة جاء بعد يوسف لم يعرف شأنه ولا مقامه في دولة آبائه ،
فاسترق بني اسرائيل واستعبدوهم . ثم تحدث الكهّان من أهل دولتهم بأن نبوة تظهر في
بني اسرائيل ، وأن ملكك كائن لهم مع ما كان معلوما من بشارة آبائهم لهم بالملك ،
فعمد الفراعنة إلى قطع نسلهم بذبح الذكور من ذريتهم . فلم يزلوا على ذلك مدة
من الزمان حتى ولد موسى . وهو موسى بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب .
وأمه يوحاند بنت لاوى عمة عمران وكان قاهث بن لاوى من القادمين إلى مصر مع
يعقوب عليه السلام وولد عمران بمصر وولد هارون لثلاث وسبعين من عمره ، وموسى
لثمانين ، فجعلته أمّه في تابوت وألقته في ضحضاح^(١) اليمّ ، وأرصدت أخته على
بعد لتنظر من يلتقطه فتعرفه . فجاءت ابنة فرعون الى البحر مع جوارها فرأته

(١) في التوراة : أخذت له سफطا من البردي ، وطلته بالحر والزفت ، ووضعت الولد فيه ووضعت بين
الحلفاء ، ووقفت أخته من بعيد لتعرف ماذا يفعل به .

واستخرجته من التابوت فرحمته . وقالت : هذا من العبرانيين فمن لنا بظئر^(١) ترضعه .
فقلت لها أخته أنا آتيكم بها . وجاءت بأمّه فاسترضعتها له ابنة فرعون ، إلى أن فُصل .
فأتت به إلى ابنة فرعون وسمّته موسى وأسلمته لها . ونشأ عندها ثم شب ، وخرج يوما
يمشي في الناس وله صولة بما كان له في بيت فرعون من المربى والرضاع فهم لذلك
أخواله ، فرأى عبرانياً يضربه مصريّ فقتل المصري الذي ضربه ودفنه ، وخرج يوما
آخر فاذا هو برجلين من بني اسرائيل وقد سطا أحدهما على الآخر فزجره ، فقال له
ومن جعل لك هذا ؟ أتريد أن تقتلني كما قتلت الآخر بالأمس . ونمي الخبر إلى
فرعون فطلبه ، وهرب موسى إلى أرض مَدْيَن^(٢) عند عقبة أَيْلَة .
وبنو مَدْيَن أُمَّةٌ عَظِيمَةٌ من بني إبراهيم عليه السلام ، كانوا ساكنين هناك وكان ذلك
لأربعين سنة من عمره ، فلقى عندهم بنتين لعظيم من عظمائهم فسقى لهما ، وجاءتا
به إلى أبيهما فزوجه باحدهما ، كما وقع في القرآن الكريم ، وأكثر المفسرين على أنه
شُعَيْب بن نَوْفَل بن عيقا بن مدين وهو النبيّ صلى الله عليه وسلم . وقال الطبري :
الذي استأجر موسى وزوجه بنته رَعْوِيل^(٣) وهو يَتَرُ حَبْرُ مَدْيَن ، أي عالمهم ، وأن
رعويل هو الذي زوجه البنت وأن اسمه يَتَر . وعن الحسن البصريّ انه شعيب رئيس
بني مَدْيَن . وقيل انه ابن أخي شعيب . وقيل ابن عمه . فأقام عند شعيب صهره
مقبلا على عبادة ربّه ، إلى أن جاءه الوحي وهو ابن ثمانين سنة ، وأوحى إلى أخيه
هارون وهو ابن ثلاث وثمانين سنة ، فأوحى الله إليهما بأن يأتيا فرعون ليعثّ معهما بني
اسرائيل فيستنقذانهم من مملكة القِبْط ، وجور الفراعنة ، ويخرجون إلى الأرض
المقدّسة التي وعدهم الله بملكها على لسان إبراهيم وإسحاق ويعقوب . فخرجا إليه
وبلّغا بني اسرائيل الرسالة فأمنوا به واتبعوه ، ثم حضرا إلى فرعون وبلّغاه أمر الله له بأن
يعثّ معهما بني اسرائيل وأراه موسى عليه السلام معجزة العصا ، فكان من تكذّيبه
وامتناعه واحضار السحرة لما رأى موسى في معجزته ثم إسلامهم ما نصّه القرآن
العظيم .
ثم تبادى فرعون في تكذّيبه ومناصبته ، واشتدّ جوره على بني اسرائيل واستعبادهم

(١) الظئر : ج أظُور وأظَار : المرضعة لولّد غيرها (قاموس)

(٢) وفي التوراة : مديان .

(٣) وفي التوراة : رعويل

واتخاذهم سخرى في مهنة الأعمال ، فأصاب فرعون وقومه الجوائح العشرة واحدة بعد أخرى يسألهم عند وقوعها ، ويتضرع الى موسى في الدعاء بانجلائها ، إلى أن أوحى الله الى موسى بخروج بني اسرائيل من مصر . ففي التوراة انهم أمروا عند خروجهم أن يذبح أهل كل بيت حملا من الغنم ان كان كفايتهم ، أو يشتركون مع جيرانهم ان كان أكثر ، وان ينضحوا دمه على أبوابهم لتكون علامة ، وأن يأكلوه سواء برأسه وأطرافه ، ومعناه لا يكسرون منه عظما ولا يدعون شيئا خارج البيوت ، وليكن خبزهم فطيرا ذلك اليوم وسبعة ايام بعده ، وذلك في اليوم الرابع عشر من فصل الربيع ، وليأكلوا بسرعة وأوساطهم مشدودة ، وخفافهم في أرجلهم ، وعصيم في أيديهم ، ويخرجوا ليلا وما فضل من عشائهم ذلك يحرقوه^(١) بالنار ، وشرع هذا عيداً لهم ولاعقابهم ويسمى عيد الفصح .

وفي التوراة أيضا انه قتل في تلك الليلة أبكار النساء من القبط ودوابهم ومواشيهم ليكون لهم بذلك ثقل عن بني اسرائيل . وأنهم أمروا أن يستعبروا منهم حليا كثيرا يخرجون به ، فاستعاروه وخرجوا في تلك الليلة بمامعهم من الدواب والأنعام ، وكانوا ستمائة ألف أو يزيدون . وشغل القبط عنهم بالمآثم التي كانوا فيها على موتاهم ، وأخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام ، استخرجه موسى صلوات الله عليه من المدفن الذي كان به بإلهام من الله تعالى ، وساروا لوجههم حتى انتهوا الى ساحل البحر بجانب الطور . وأدركهم فرعون وجنوده ، وأمر موسى بأن يضرب البحر بعصاه ويقتحمه ، فضربه فانفلق طرقا . وسار فيها بنو اسرائيل وفرعون وجنوده في اتباعه ، فهلكوا ، ونزل بنو اسرائيل بجانب الطور ، وسبّحوا مع موسى بالتسبيح المنقول عندهم وهو : نسبح الرب البهي ، الذي قهر الجنود ، ونبذ فرسانها في البحر المنيع المحمود الى آخره . قالوا : وكانت مريم أخت موسى وهارون صلوات الله عليهما تأخذ الدف بيدها ، ونساء بني اسرائيل في أثرها بالدفوف والطبول ، وهي تُرتلُ لهنّ التسبيح سبحان الرب القهار الذي قهر الخيول وركبانها ألقاها في البحر وهو معنى الأول .

ثم كانت المناجاة على جبل الطور وكلام الله لموسى والمعجزات المتتابعة ، ونزول الألواح ، ويزعم بنو اسرائيل أنها كانت لوحين فيها الكلمات العشرة وهي : كلمة التوحيد ، والمحافظة على السبت بترك الأعمال فيه ، وبرّ الوالدين ليطول العمر ، والنهي

(١) الأصح ان يقول يحرقونه .

عن القتل ، والزنا ، والسرقه ، وشهادة الزور ، ولا تمتدّ عين إلى بيت صاحبه ، أو إمرأته ، أو لشيء من متاعه . هذه الكلمات العشرة التي تضمنتها الألواح .

وكان سبب نزول الألواح أن بني إسرائيل لما نجوا ونزلوا حول طور سينا صعد موسى إلى الجبل ، فكلّمه ربّه وأمره أن يُذكّر بني إسرائيل بالنعمة عليهم في نجاتهم من فرعون وأن يتطهروا ويغسلوا ثيابهم ثلاثة أيام ، ويجتمعوا في اليوم الثالث حول الجبل من بعد ، ففعلوا وظلت الجبل غمامة عظيمة ذات بروق ورعود ففزعوا ، وقاموا في سفح الجبل دهشين ، ثم غشى الجبل دخان في وسطه عمود نور وتزلزل له الجبل زلزلة عظيمة شديدة ، واشتدّ صوت الرعد الذي كانوا يسمعون ، وأمر موسى صلوات الله عليه بأن يقرب بني إسرائيل لسمع الوصايا والتكاليف ، قال فلم يطيقوا فأمر بحضور هارون وتكون العلماء غير بعيد ففعل ، وجاءهم بالألواح .

ثم سار بعد ذلك إلى ميعاد الله بعد أربعين ليلة ، فكلّمه ربه وسأله الرؤية ، فمنعها فكان الصعق وساخ الجبل ، وتلقى كثيرا من أحكام التوراة في المواعظ والتحليل والتحريم . وكان حين سار إلى الميعاد استخلف أخاه هارون على بني إسرائيل ، واستبطوا موسى ، وكان هارون قد أخبرهم بأنّ الحلّي الذي أخذوه للقبض محرم عليهم ، فأرادوا حرقه وأوقدوا عليه النار . وجاء السامريّ في شيعه له من بني إسرائيل ، وألقى عليه شيئا كان عنده من أثر الرسول ، فصار عجلاً وقيل عجلاً حيواناً ، وعبدوه بنو إسرائيل ، وسكت عنهم هارون خوفاً من افتراقهم . وجاء موسى صلوات الله عليه من المناجاة وقد أخبر بذلك في مناجاته ، فلما رآهم على ذلك ألقى الألواح ، ويقال كسرهما ، وأبدل غيرها من الحجارة ، وعند بني إسرائيل انهما اثنتان ، وظاهر القرآن أنها أكثر مع أنه لا يبعد استعمال الجمع في الاثنين ، ثم أخذ برأس أخيه ووبّخه واعتذر له بما اعتذر ثم حرق العجل ، وقيل برده بالمبرد وألقاه في البحر .

وكان موسى صلوات الله عليه لما نجا بني إسرائيل إلى الطور بلغ خبره إلى بيثراً^(١) صهره من بني مدّين ، فجاء ومعه بنته صفورا زوجة موسى عليه السلام التي زوجها به أبوها رعويل كما تقدّم ، ومعها ابناهما من موسى وهما جرشون وعازر ، فتلقاها موسى صلوات الله عليه بالبرّ والكرامة وعظمه بنو إسرائيل ، ورأى كثرة الخصومات

(١) وفي التوراة : يثرون .

على موسى ، فأشار عليه بأن يتخذ النقباء على كلِّ مائة أو خمسين أو عشرة فيفصلوا بين الناس ، وتفصل أنت فيما أهم وأشكل ، ففعل ذلك .

ثم أمر الله موسى ببناء قبة للعبادة والوجي من خشب الشَّمَشَاد ، ويقال هو السُّنْط وجلود الأنعام وشعر الأغنام ، وأمر بتزيينها بالحرير والمصبغ والذهب والفضة على أركانها صُور منها صور الملائكة الكروبيين على كيفيات مفصلة في التوراة في ذلك كله ، ولها عشر سرادقات مقدرة الطول والعرض ، وأربعة أبواب وأطواب من حرير منقوش مصبغ ، وفيها دفوف وصفائح من ذهب وفضة ، وفي كلِّ زاوية بابان وأبواب وستور من حرير ، وغير ذلك مما هو مشروح في التوراة . وبعمل تابوت من خشب الشَّمَشَاد طول ذراعين ونصف في عرض ذراعين في ارتفاع ذراع ونصف مصفحاً بالذهب الخالص من داخل وخارج ، وله أربع حلق في أربع زوايا ، وعلى حافته كروبيبان من ذهب يعنون مثالي مَلَكَيْن بأجنحة ويكُونان متقابلين ، وان يصنع ذلك كله فلان شخص معروف من بني إسرائيل . وأن يعمل مائدة من خشب الشَّمَشَاد طول ذراعين في عرض ذراع ونصف بطواب ذهب ، واكليل ذهب ، بحافة مرتفعة باكليل ذهب ، وأربع حلق ذهب في أربع نواحيها مغروزة في مثل الرِّمَانَةِ من خشب ملبس ذهباً ، وصحافاً ومصافي وقصاعاً على المائدة كلها من ذهب . وان يعمل منارة من ذهب ، بست قضبات من كلِّ جانب ثلاث وعلى كل قضبة ثلاث سُرُج ، وليكن في المنارة أربعة قناديل ، ولتكن هي وجميع آلاتها من قِنْطَار من ذهب . وأن يعمل مذبحاً للقربان ، ووصف ذلك كله في التوراة بأتم وصف .

ونصبت هذه القبة أول يوم من فصل الربيع ونصب فيها تابوت الشهادة وتضمن هذا الفصل في التوراة من الأحكام والشرائع في القربان والنحور وأحوال هذه القبة كثيراً وفيها : أن قبة القربان كانت موجودة قبل عبادة أهل العجل ، وأنها كانت كالكعبة يصلُّون إليها وفيها ، ويتقربون عندها ، وأن أحوال القربان كانت كلها راجعة إلى هارون عليه السلام بعهد الله إلى موسى بذلك ، وأن موسى صلوات الله عليه كان إذا دخلها يقفون حولها وينزل عمود الغمام على بابها ، فيخرون عند ذلك سُجّداً لله عز وجل ، ويكلم الله موسى عليه السلام من ذلك العمود الغمام الذي هو نور ويخاطبه ويناجيه وينهاه ، وهو واقف عند التابوت صامداً لما بين ذينك الكروبيين . فإذا فصل

الخطاب يخبر بني اسرائيل بما أوحاه إليه من الأوامر والنواهي ، واذا تحاكموا إليه في شيء ليس عنده من الله فيه شيء ، يجيء إلى قبة القربان ، ويقف عند التابوت ، ويصمد لما بين ذينك الكروبيين فيأتيه الخطاب بما فيه فصل تلك الخصومة .

ولما نجا بنو اسرائيل ودخلوا البرية عند سيناء أول المصيف لثلاثة أشهر من خروجهم من مصر ، وواجهوا جبال الشام وبلاد بيت المقدس التي وعدوا بها أن تكون ملكاً لهم على لسان إبراهيم وإسحق ويعقوب صلوات الله عليهم بمسيرهم إليها ، وأتوه بأحصاء بني اسرائيل من يطيق حمل السلاح منهم من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة ألف أويديون ، وضرب عليهم الغزو ورتب المصاف والميمنة والميسرة ، وعين مكان كل سبط في التعبئة وجعل فيه التابوت والمذبح في القلب ، وعين لخدمتها بني لاوي من أسباطهم ، وأسقط عنهم القتال لخدمة القبة ، وسار على التعبئة سالكا على برية فاران ، وبعثوا منهم إثني عشر نقيباً من جميع الأسباط فأتوهم بالخبر عن الجبارين . كان منهم كالب بن يوفنا بن حصرون بن بارص بن يهوذا بن يعقوب ، ويوشع بن نون بن أليشامع بن عميئون بن بارص بن لعدان بن تاحن بن تالاح بن أراشف بن رافح بن بريعا بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب ، فاستطابوا البلاد واستعظموا العدو من الكنعانيين والعمالقة ، ورجعوا إلى قومهم يخبرونهم الخبر وخذلوهم ، إلا يوشع وكالب فقالا لهم ما قالا وهما الرجلان اللذان أنعم الله عليهما . وخامر بنو اسرائيل عن اللقاء ، وأبوا من السير إلى عدوهم ، والأرض التي ملكهم الله ، إلى أن يهلك الله عدوهم على غير أيديهم .

فسخط الله ذلك منهم وعاقبهم بأن لا يدخل الأرض المقدسة أحد من ذلك الجيل إلا كالباً ويوشع . وإنما يدخلها أبناؤهم والجيل الذي بعدهم ، فأقاموا كذلك أربعين سنة في برية سيناء وفاران ، يترددون حوالي جبال الشراة ، وأرض ساعير ، وأرض بلاد الكرك والشوبك ، وموسى صلوات الله عليه بين ظهرانيهم يسأل الله لطفه بهم ومغفرته ويدفع عنهم مهالك سخطه ، وشكوا الجوع ، فبعث الله لهم المن حبات بيض منتشرة على الأرض مثل ذرير الكزبرة ، فكانوا يطحنونه ويتخذون منه الخبز لأكلهم . ثم قرموا إلى اللحم فبعث لهم السلوى طيراً يخرج من البحر ، وهو طير السماني ، فياً كلون منه ، ويدخرون ثم طلبوا الماء ، فأمر أن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، وأقاموا على ذلك ثم ارتاب واحد منهم اسمه فودح بن

إيصهر بن قاهث ، وهو ابن عم موسى بن عمران بن قاهث ، فارتاب هو وجماعة منهم من بني إسرائيل بشأن موسى ، واعتمدوا مناصبته فاصابتهم قارعة وخسفت بهم وبه الأرض وأصبحوا عبرة للمعتبرين . واعتزم بنوا إسرائيل على الاستقالة مما فعلوه والزحف إلى العدو ، ونهاهم موسى عن ذلك فلم ينتهوا وصعدوا جبل العمالة فحاربهم أهل ذلك الجبل فهزموهم وقتلوهم في كل وجه . فأمسكوا وأقام موسى على الاستغفار لهم ، فأرسل إلى ملك أدوم يطلب الجواز عليه إلى الأرض المقدسة فمنعهم ، وحال دون ذلك .

ثم قبض هارون صلوات الله عليه لمائة وثلاثة وعشرين سنة من عمره ، ولأربعين سنة من يوم خروجهم من مصر ، وحزن له بنو إسرائيل لأنه كان شديد الشفقة عليهم ، وقام بأمره الذي كان يقوم به ابنه العيزار^(١) ، ثم زحف بنو إسرائيل إلى بعض ملوك كنعان ، فهزموهم وقتلوهم وغنموا ما أصابوا معهم ، وبعثوا إلى سيحون ملك العموريين من كنعان في الجواز في أرضه إلى الأرض المقدسة فمنعهم وجمع قومه وغزا بني إسرائيل في البرية ، فحاربوه وهزموه وملكوا بلاده إلى حدّ بني عمّون ، ونزلوا مدينته وكانت لبني مؤاب . وتغلب عليها سيحون . ثم قاتلوا عوجا وقومه من كنعان وهو المشهور بعُوج بن عَوْق ، وكان شديد البأس فهزموه وقتلوه وبنيه وأثخنوا في أرضه ، وورثوا أرضهم إلى الأردن بناحية أريحا . وخشي ملك بني مؤاب من بني إسرائيل ، واستجاش بمن يحاوره من بني مَدْيَن وجمعهم ، ثم أرسل إلى بلعام بن باعورا وكان يتزل في التخيم بين بلاد بني عمّون وبني مؤاب ، وكان مجاب الدعوة معبراً للأحلام . واستدعاه ليستعين بدعائه ، وأتاه الوحي بالنهي عن الدعاء ، وألحّ عليه ذلك الملك وأصعده إلى الأماكن الشاهقة ، وأراه معسكر بني إسرائيل منها ، فدعا لهم وأنطقه الله بظهورهم وانهم يملكون إلى الموصل . ثم تخرج أمة من أرض الروم فيغلبون عليهم ، فغضب الملك وانصرف بلعام إلى بلاده .

وفشا في بني إسرائيل الزنا بينات مؤاب ومَدْيَن فأصابهم الموتان ، فهلك منهم أربعة وعشرون ألفاً . ودخل فنحاص بن لِعَزْرَا على رجل من بني إسرائيل في خيمته ومعه امرأة من بني مَدْيَن قد أدخلها للزنا بمراى من بني إسرائيل ، فطعنها برمحها وانتظمها وارفع الموتان عن بني إسرائيل . ثم أمر الله موسى وألغازر بن هارون باحصاء بني

(١) وفي التوراة اسمه : اليعازر .

إسرائيل بعد فناء الجيل الذي أحصاهم موسى وهارون ببرية سينا ، وانقضاء الأربعين سنة التي حرم الله عليهم فيها دخول تلك الأرض ، وان يبعث بعثا من بني إسرائيل الى مَدْيَن الذين أعانوا بني مؤاب ، فبعث اثني عشر ألفا من بني إسرائيل وعليهم فنحاص بن العيزر بن العزر بن هارون ، فحاربوا بني مَدْيَن وقتلوا ملوكهم وسبوا نساءهم وملكوا أموالهم ، وقسم ذلك في بني إسرائيل بعد أن أخذ منه الله ، وكان فيمن قتل بلعام بن باعورا . ثم قسّم الأرض التي ملك من بني مَدْيَن والعموريين وبني عمّون وبني مؤاب ، ثم ارتحل بنو إسرائيل ونزلوا شاطئ الأردن ، وقال الله قد ملكتكم ما بين الأردن والفرات كما وعدت آباءكم . ونهوا عن قتال عيصو الساكنين ساعير وبني عمّون وعن أرضهم . وأكمل الله الشريعة والأحكام والوصايا لموسى عليه السلام ، وقبضه إليه لمائة وعشرين سنة من عمره ، بعد أن عهد إلى فتاه يوشع أن يدخل بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة ليسكنوها ، ويعملوا بالشريعة التي فُرِضَتْ عليهم فيها ، ودفن بالوادي في أرض مؤاب ولم يعرف قبره لهذا العهد .

وقال الطَّبْرِيُّ : مدّة عُمُر موسى صلوات الله عليه مائة وعشرون سنة ، منها في أيام أَفْرِيدُون عشرون ، ومنها في أيام مَنُوجَهْر مائة . قال : ثم سار يوشع من بعد موسى إلى أريحا ، فهزم الجبارين ودخلها عليهم . وقال السُّدِّي : إنَّ يوشع تَنَبَّأ بعد موسى ، وسار إلى أريحا فهزم الجبارين ، ودخلها عليهم ، وأن بلعام بن باعورا كان مع الجبارين يدعو على يوشع ، فلم يستجب له ، وصرف دعاؤه على الجبارين . وكان بلعام من قرى البلقاء ، وكان عنده الاسم الأعظم ، فطلبه الكنعانيون في الدعاء على بني إسرائيل فامتنع ، وألحوا عليه فأجاب ، ودعا فصرف دعاؤه ، وكان قيامه للدعاء على جبل حَسَّان مطلا على عسكر بني إسرائيل ، هذا خبر السُّدِّي في أن دعاء بلعام كان لعهد يوشع . والذي في التوراة أنه كان لعهد موسى ، وأن بلعام قتل لعهد موسى كما مرّ في خبر الطَّبْرِيِّ .

وقال السُّدِّي : إنَّ يوشع بعد وفاة موسى صلوات الله عليه أمر أن يعبر ، فسار ومعه التابوت تابوت الميثاق ، حتى عبر الأردن ، وقاتل الكنعانيين فهزمهم ، وأنَّ الشمس جنحت للغروب يوم قتالهم ودعا الله يوشع فوقف الشمس ^(١) حتى تمت عليهم

(١) وفي الطبري ج ١ ص ٢٢٨ : فقاتلهم يوشع يوم الجمعة قتالا شديدا حتى أمسوا وغربت الشمس ودخل السبت فدعا الله فقال للشمس : انك في طاعة الله وأنا في طاعة الله اللهم اردد عليّ الشمس فردّت عليه الشمس .

الهزيمة ، ثم نازل أريحاء ستة أشهر^(١) ، وفي السابع نفخوا في القرون ، وضج الشعب ضجة واحدة ، فسقط سور المدينة فاستباحوها وأحرقوها . وكمل الفتح واقتسموا بلاد الكنعانيين كما أمرهم الله . هذا مساق الخبر عن سيرة موسى صلوات الله عليه وبني إسرائيل أيام حياته وبعد مماته حتى ملكوا أريحا .

وفي كتب الإخباريين أن العمالقة الذين كانوا بالشام قاتلهم يوشع فهزمهم وقتل آخر ملوكهم وهو السميدع بن هوبر بن مالك . وكان لقاءهم إياه مع بني مدّين في أرضهم وفي ذلك يقول عوف بن سعد الجرهمي :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَلَقَمِيَّ بْنَ هَوْبَرٍ بِأَيْلَةَ أُمْسَى لَحْمُهُ قَدْ تَمَزَّعَا
تَرَامَتْ عَلَيْهِ مِنْ يَهُودَ جَحَافِلٌ ثَمَانُونَ أَلْفًا حَاسِرِينَ وَدُرَّعَا

ذكره المسعودي وقد تقدّم لنا خلاف النسابة في هؤلاء العمالقة وأنهم لعمليق بن لاوذ أو لعمالق بن أليفاز بن عيصو الثاني ، لنسابة بني إسرائيل سار إليه علماء العرب . وأما الأمم الذين كانوا بالشام لذلك العهد ، فأكثرهم لبني كنعان وقد تقدّمت شعوبهم ، وبنو أروم أبناء عمّون ، وبنو مؤاب أبناء لوط ، وثلاثتهم أهل يستعير^(٢) وجبال الشراة وهي بلاد الكرك والشوبك والبلقا ، ثم بنو فلسطين من بني حام ويسمى ملكهم جالوت وهو من الكنعانيين منهم ، ثم بنو مدّين ثم العمالقة . ولم يؤذن لبني إسرائيل في غير بلاد الكنعانيين فهي التي اقتسموها وملكوها وصارت لهم تراثا ، وأما غيرها فلم يكن لهم فيها إلا الطاعة والمغارم الشرعية من صدقة وغيرها .

وفي كتب الإخباريين أن بني إسرائيل بعد ملكهم الشام ، بعثوا بعوثهم إلى الحجاز ، وهناك يومئذ أمة من العمالقة يسمّون جاسم ، وكان اسم ملكهم الإرم بن الأرقم ، وكان أوصاهم أن لا يستبقوا منهم من بلغ الحُلُم . فلما ظهرُوا على العمالقة وقتلوا

(١) يتفق ابن خلدون مع الطبري وابن الاثير حول المدة التي حاصر يوشع مدينة أريحا ففي الطبري ج ١ ص ٢٢٨ «فاحاط بمدينة اريحا ستة اشهر فلما كان السابع نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة» وفي الكامل ج ١ ص ٢٠٢ وقيل بل حصرها ستة اشهر فلما كان السابع تقدموا الى المدينة وصاحوا صيحة واحدة فسقط السور» .

اما ابو الفداء فيذكر ان مدة حصار اريحا كانت ستة ايام ويوافق ذلك ما ذكر في التوراة ، الاصحاح السادس من سفر يوشع : «ان الحصار كان ستة ايام وفي اليوم السابع سقط السور» .

(٢) وفي نسخة اخرى : يسعير .

الأرقم ، استبقوا ابنه وضنوا به عن القتل لوضاءته . ولما رجعوا من بعد الفتح ، وبّخهم إخوانهم ومنعوهم دخول الشام وأرجعوههم إلى الحجاز ، وما تملكوا من أرض يثرب ، فنزلوها واستم لهم فتح في نواحيها ، ومن بقاياهم يهود خيبر وقُرَيْظَة والنّضير . قال ابن إسحق قُرَيْظَة والنّضير والتحام وعمرو هو هزل من الخرج . وقال ابن الصريح : ابن التومان بن السبط بن أليس بن سعد ابن لاوى بن النّمام بن يتحوم بن عازر بن عزربن هارون عليه السلام . واليهود لا يعرفون هذه القصة وبعضهم يقول كان ذلك لعهد طالوت والله أعلم .

الخبر عن حكام بني اسرائيل بعد يوشع الى أن صار أمرهم إلى الملك وملك عليهم طالوت

ولما قبض يوشع صلوات الله عليه بعد استكمال الفتح ، وتمهيد الأمر ، ضيّع بنو إسرائيل الشريعة ، وما أوصاهم به وحذرهم من خلافه ، فاستطالت عليهم الأمم الذين كانوا بالشام ، وطمعوا فيهم من كل ناحية . وكان أمرهم شورى فيختارون للحكم في عامتهم من شاؤا ، ويدفعون للحرب من يقوم بها من أسباطهم ، ولهم الخيار مع ذلك على من يلي شيئا من أمرهم ، وتارة يكون نبيا يدبرهم بالوحي ، وأقاموا على ذلك نحو من ثلثمائة سنة لم يكن لهم فيها ملك مستفحل ، والملوك تناوشهم من كل جهة ، إلى أن طلبوا من نبهم شمويل أن يبعث عليهم ملكا ، فكان طالوت ، ومن بعده داود ، فاستفحل ملكهم يومئذ وقهروا أعداءهم ، على ما يأتي ذكره بعد . وتُسمّى هذه المدة بين يوشع وطالوت مدّة الحكّام ومدّة الشيوخ .

وأنا الآن أذكر من كان فيها من الحكّام على التابع معتمدا على الصحيح منه ، على ما وقع في كتاب الطبري والمسعودي ، ومقابلا به ما نقله صاحب حمة^(١) من بني أيوب في تاريخه عن سفر الحكّام والملوك من الاسرائيليات ، وما نقله أيضا هروشيوش مؤرّخ الروم في كتابه الذي ترجمه للحكم المستنصر من بني أمية قاضي النصارى وترجمانهم بقرطبة وقاسم بن أصبغ . قالوا كلهم : لما فتح يوشع مدينة أريحاء سار إلى نابلس فملكها ودفن هنالك شلو^(٢) يوسف عليه السلام ، وكانوا حملوه معهم

(١) يعني ابي الفداء

(٢) يعني رفاة يوسف عليه السلام .

عند خروجهم من مصر . وقد ذكرنا انه كان أوصى بذلك عند موته . وقال الطبري : إنه بعد فتح أريحاء نهض الى بلد عاي من ملوك كنعان ، فقتل الملك وأحرق المدينة ، وتلقاه خيقون ملك عمّان ، وبارق ملك أروشلیم بالجزي واستدّموا^(٣) بأمانه فأمنهم . وزحف إلى خيقون ملك الأرمانيين من نواحي دمشق فاستنجد بيوشع ، فهزم يوشع ملك الأرمن إلى حوران واستلحمهم وصلب ملوكهم ، وتتبع سائر الملوك بالشام فاستباح منهم واحداً وثلاثين ملكاً . وملك قيساريّة ، وقسم الأرض التي ملكها بين بني اسرائيل ، وأعطى جبل المقدس لكالب ابن يوفنا فسكن مدينة أورشليم ، وأقام مع بني يهودا ، ووضع القبة التي فيها تابوت العهد والمذبح والمائدة والمنازة على الصخرة التي في بيت المقدس . وأما بنو أفرايم فكانوا يأخذون الجزية من الكنعانيين ، ثم قبض يوشع وفي سفر الحُكّام أنه قبض لثمان وعشرين سنة من ملكه ، وهو ابن مائة وعشرين سنة . وقال الطبري : ابن مائة وستة وعشرين سنة . والأول أصح . قال : وكان تدبير يوشع لبني اسرائيل في زمن منوشهر عشرين سنة ، وفي زمن أفراسياب سبع سنين . وقال أيضا : إن ملك اليمن شمربن الأملاك من حمير كان لعهد موسى وبني ظفّار وأخرج منها العمالقة . ويقال أيضا : كان من عمّال الفرس على اليمن . وزعم هشام بن محمد الكلبي أن الفلّ من الكنعانيين بعد يوشع احتملهم أفريقش بن قيس بن صيني من سواحل الشام ، في غزاته الى المغرب التي قتل فيها جرجيس الملك ، وأنه أنزلهم بأفريقية ، فمنهم البربر وترك معهم صهاجة وكتامة من قبائل حمير انتهى .

وقام بأمر بني اسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا بن حصرون بن بارص بن يهودا وقد مرّ نسبه ، وكان فنحاص بن العيزر بن هارون كوهنا ، يتولى أمر صلاتهم وقربانهم ، ثم تنبأ وتنبأ أبوه العيزر وكان كالب مضعفا فأقاما كذلك سبع عشرة سنة . وقال الطبري كان مع كالف في تدبيرهم حزقيل بن يودي ، ويقال له ولد العجوز لأنه ولد بعد أن كبرت أمّه وعقمت . وحدث عن وهب بن منبه أن حزقيل هذا دبّرهم بعد كالب ولم يقع لهذا ذكر في سفر الحُكّام . ثم بعد يوشع اجتمع بنو يهودا وبنو شمعون لحرب الكنعانيين ، فغلبوهم وقتلوهم ، وفتحوا أورشليم وقتلوا ملكها ، ثم فتحوا غزّة وعسقلان وملكوا الجبل كله ، ولم يقتلوا الغور . وأما سبط بنيامين فكان في قسمهم

(٣) اي دخلوا في ذمته .

بلد اليونانيين في أرضهم ، وأخذوا منهم الخراج واختلطوا بهم ، وعبدوا آلهتهم
فسلّط الله عليهم ملك الجزيرة واسمه كوشان شقنائم ، ومعناه أظلم الظالمين . ويقال
إنه ملك الأرمن في الجزيرة ودمشق وملك حوران وصيدا وحرّان ويُقال والبحرين
ويُقال انه من أدوم .

وقال الطبري : من نسل لوط فاستعبد بني إسرائيل ثمان سنين بعد وفاة كالب بن
يوفنا ، ثم ولي الحكم فيهم عثيثال ابن أخيه قنّاز ابن يوفنا فحاربهم كوشان هذا ،
وازال ملكته عن بني إسرائيل ، ثم حاربه فقتله وكان له بعد ذلك حروب سائر أيامه
مع بني مؤاب وبني عمّون أسباط لوط ومع العماليق إلى أن هلك لأربعين سنة من
دولته . ثم عبد بنو إسرائيل الأوثان من بعده فسلّط الله عليهم ملك بني مؤاب واسمه
عفلون ، بعين مهملة ومعجمة ساكنة ولام مضمومة تجلب واوا ساكنة ونون بعدها ،
فاستعبدهم ثمان عشرة سنة . ثم قام بتدبيرهم أيهوذ بن كارا من سبط أفرايم ، وقال
ابن حزم : من بنيامين ، وضبطه بهمة مائة تجلب ياء ثم هاء مضمومة تجلب واوا ثم
ذال معجمة فأنقذهم من يد بني مؤاب وقتل ملكهم عفّلون بحيلة تمت لهم في ذلك .
وهو أنه جاءه رسولا عن بني إسرائيل متكررا بهدايا وتحف منهم حتى اذا خلا به طعنه
فأنفذه ولحق بمكانه من جبل أفرايم ، ثم اجتمعوا ونزلوا فقتلوا من الحرس نحو من
عشرة آلاف ، وغلب ببني إسرائيل بني مؤاب واستلحمهم وهلك لثمانين سنة من
دولته .

وقام بتدبيرهم بعده شمكار بن عناث من سبط كاد ، وضبطه بفتح الشين المثلثة
بعدها ميم ساكنة وكاف تقرب من مخرج الجيم ويجلب فتحها الفا وبعدها راء مهملة ،
ومات لسنة من ولايته وبنو إسرائيل على حياهم من المخالفة ، فسلّط الله عليهم ملك
كنعان واسمه يافين ، بفاء شفوية تقرب من الباء ، فسرح إليهم قائده سميرا فملك عليهم
أمرهم واستعبدهم عشرين سنة . وكانت فيهم كوهنة امرأة متنبئة اسمها دافورا بفاء
هوائية تقرب من الباء ، وهي من سبط نفتالي ، وقيل من سبط أفرايم ، وقيل كان
زوجها بارق ابن أبي نوعم من سبط نفتالي واسمه البيدوق ، فدعته إلى حرب سميرا
فأبى إلا أن تكون معه فخرجت ببني إسرائيل ، وهزموا الكنعانيين ، وقتل قائدهم
سميرا وقامت بتدبيرهم أربعين سنة يرادفها زوجها بارق بن أبي نوعم . قال
هروشيوش : وعلى عهدا كان أول ملوك الروم اللطينيين بأنطاكية بنقش بن شطونش

وهو أبو القياصرة . ثم توفيت دافورا وبقي بنو إسرائيل فوضى وعادوا إلى كفرهم فسَلَطَ الله عليهم أهل مَدْيَنَ والعمالقة .

قال الطبري : وبنو لوط الذين بتخوم الحجاز قهزوهم سبع سنين ، ثم تنبأ فيهم من سبط منشى بن يوسف كدعون بن يواش ، وضبطه بفتح الكاف القرية من الجحيم وسكون الدال المهملة بعدها وعين مهملة مضمومة تجلب واوا وبعدها نون ، فقام بتدبيرهم . وقد كان لَمَدْيَنَ ملكان أحدهما اسمه رابع والآخر صلمناع ، فبعث إلى بني إسرائيل عساكره مع قائدين عوديب وزديف ، وأهم بني إسرائيل شأنهم ، فخرج بهم كدعون فهزموا بني مَدْيَنَ ، وغنموا منهم أموالا جمّة ، ومكثوا أيام كدعون هذا على استقامة في دينهم ، وغلب لأعدائهم أربعين سنة ، وكان له من الولد سبعون ولدا ، وعلى عهده بنيت مدينة طرسوس . وقال جرجيس بن العميد : وملطية أيضا . ولما هلك قام بتدبيرهم ولده أبو مليخ ، وكانت أمّه من بني شخام^(٢) ابن منشى بن يوسف من أهل نابلس ، فأنجدوه بالمال وقتل بني أبيب كلهم ثم نازعوه بنو شخام أخواله الأمر ، وطالت حروبه معهم ، وهلك محاصرا لبعض حصونهم بحجر طرحته عليه امرأة من السور فشدخه . فقال لصاحب سلاحه أجهز عليّ لثلا يقال قتلته امرأة . وذلك لثلاث سنين من ولايته .

ثم دبّر أمرهم بعده طولاع بن فوا بن داود من سبط يساخر ، وضبطه بطاء قرية من التاء تجلب ضميتها واوا ثم لام ألف ثم عين . وقال الطبري هو ابن خال أبي مليخ وابن عمه . (قلت) : والظاهر أنه ابن خاله لأن سبط هذا غير سبط ذاك . وقال ابن العميد : هو من سبط يساخر إلا أنه كان نازلا في سائر من جبل أفرايم . فمن هنا والله أعلم وقع اللبس في نسبه ، ودبّرهم ثلاثا وعشرين سنة . قال هروشيوش : وعلى عهده كان بمدينة طرونية من ملوك الروم اللطينيين برمامش بن بنقش . وملك ثلاثين سنة وقد مضى ذكره . ولما هلك طولاع قام بتدبيرهم بعده ياثير بن كلعاد من سبط منشى بن يوسف وضبطه بياء مثناة تحتية مفتوحة وألف ثم همزة مكسورة بعدها ياء أخرى ثم راء مهملة ، وقام في تدبيرهم اثنتين وعشرين سنة ، ونصب أولاده كلهم حكاما في بني إسرائيل وكانوا نحو من ثلاثين ، فلما هلك طغوا وعبدوا الأصنام ،

(١) وفي التوراة نفتالي .

(٢) وفي نسخة أخرى : سخام .

فسلط الله عليهم بني فلسطين وبني عمّون فقهرهم ثماني عشرة سنة .
وقام بتدبيرهم يفتاح من سبط منشى ، وضبطه بياء مثناة تحتانية وفاء ساكنة وتاء
مثناة من فوق بفتحة تجلب ألفاء ثم حاء مهملة ، فلما قام بأمرهم طلب ضريبة النحل
من بني عمّون فامتنعوا من إعطائها وكانوا ملوكا منذ ثلثمائة سنة ، فقاتلهم وغلِبهم عليها
وعلى اثنتين وعشرين قرية معها ، ثم حارب سبط أفرايم وكانوا مستبدين وحدهم
عن بني اسرائيل ، فارادهم على اتفاق الكلمة والدخول في الجماعة حتى استقاموا على
ذلك ، وأقام في تدبيرهم ست سنين . وعلى عهده أصابت بلاد يونان الجماعة العظيمة
التي هلك فيها أكثرهم .

ولما هلك قام بتدبيرهم أبصان من سبط يهودا من بيت لحم ، وضبطه بهمزة مفتوحة
وباء موحدة ساكنة وصاد مهملة بفتحة تجلب ألفا وبعدها نون ، ويقال أنه جدّ داود
عليه السلام ، بوعز بن سلمون بن نحشون بن عمينا ذاب بن رمّ بن حصرون بن بارص
بن يهودا . وحصرون هذا هو جدّ كالب بن يوفنا الذي دبرهم بعد يوشع . ونحشون
كان سيّد بني يهود العهد خروجهم من مصر مع موسى عليه السلام ، وهلك في التيه .
ودخل ابنه سلمون أريحا مع يوشع ونزل بيت لحم على أربعة أميال من بيت المقدس .
قال هروشيوش : في أيام أبصان هذا كان انقراض ملك السريانيين ، وخروج القوط
وحروبهم مع النبط .

وأقام أبصان في تدبير بني اسرائيل سبع سنين ثم هلك . فقام بتدبيرهم
إيلون من سبط زبولون وضبطه بهمزة مكسورة تجلب ياء ثم لام مضمومة
تجلب واوا ثم نون ، فدبرهم عشر سنين ثم هلك . فدبرهم عبدون بن هلال من سبط
أفرايم ثمان سنين . وقال ابن العميد اسمه عكرون بن هليان وكان له أربعون ابنا
وثلاثون حافدا . قال هروشيوش : وفي أيامه خربت مدينة طرونة قاعدة الروم
اللطينيين خربها الروم الغريقيون ^(١) في فتنة بينهم . ولما هلك عبدون دفن بأرض أفرايم
في جبال العالقة واختلف بنو اسرائيل بعده وعبدوا الأصنام وسلط الله عليهم بني
فلسطين فقهرهم أربعين سنة ، ثم تخلصهم ^(٢) من أيديهم شمشون بن مانوح من
سبط دان ، ويعرف بشمشون القوي لفضل قوّة كانت في يده ويعرف أيضا بالجبار

(١) يعني الروم الاغريقين .

(٢) الأصح أن يقول «خلصهم» .

وكان عظيم سبطه ، ودبر بني اسرائيل عشر سنين بل عشرين سنة ، وكثرت حروبه مع بني فلسطين ، وأثنى فيهم وأتيح لهم عليه في بعض الأيام فأسروه ثم حملوه وحبسوه . واستدعاه ملكهم بعض الأيام الى بيت آلهتهم ليكلمه فامسك عمود البيت ، وهزه بيده فسقط البيت على من فيه وماتوا جميعا .

ولما هلك اضطربت بنو اسرائيل وافترقت كلمتهم وانفرد كل سبط بحاكم يولونه منهم ، والكهنونية فيهم جميعا في عقب العيزار بن هرون من لدن وفاة هرون عليه السلام بتوليته موسى صلوات الله عليه بالوحي ، ومعنى الكهنونية إقامة القرابين من الذبح والبخور على شروطها وأحكامها الشرعية عندهم . وقال ابن العميد : إنه ولي تدبيرهم بعد شمشون حاكم آخر اسمه ميخائيل بن راعيل ، دبرهم ثمان سنين ، ولم تكن طاعته فيهم مستحكمة ، وأن الفتنة وقعت بين بني اسرائيل ففني فيها سبط بنيامين عن آخرهم .

ثم سكنت الفتنة وكان الكوهن فيهم لذلك العهد عالي بن بيطات بن حاصاب بن إيلان بن فنحاص بن العيزار بن هرون ، وقيل من وُلد ايتامار بن هرون ، وضبطه بعين مهمة مفتوحة تجلب ألفا ثم لام مكسورة تجلب ياء تحتانية . فلما سكنت الفتنة كانوا يجرعون إليه في أحكامهم وحروبهم . وكان له ابنان عاصيان ، فدفعهما إلى ذلك ، وكثر لعده قتال بني فلسطين ، وفشا المنكر من ولديه ، وأمر بدفعهم عن ذلك فلم يزدادوا إلا عتوا وطغيانا ، وأنذر الأنبياء بذهاب الأمر عنه وعن ولده ، ثم هزمهم بنو فلسطين في بعض أيامهم وأصابوا منهم ، فتدامر بنو اسرائيل ، واحتشدوا وحملوا معهم تابوت العهد ، ولقيهم بنو فلسطين ، فانهزم بنو اسرائيل أمامهم وقتلوا ابنا عالي كوهن كما أنذره أبوهما وشمويل . وبلغ أباهما الكوهن خبر مقتلها فمات أسفا لأربعين سنة من دولته ، وغنم بنو فلسطين التابوت فيما غنموه ، واحتملوه إلى بلادهم بعسقلان وغزة ، وضربوا الجزية على بني اسرائيل ، ولما مضى القوم بالتابوت فيما حكى الطبري ، وضعوه عند آلهتهم فقلاها مرارا فأخرجوه إلى ناحية من القرية ، فأصيبوا فتبادروا بإخراجه وحملوه على بقرتين لها تبيعان ووضعاه عند أرض بني اسرائيل ، ورجعنا إلى ولديهما وأقبل إليه بنو اسرائيل فكان لا يدنوا منه أحد إلا مات حتى أذن شمویل لرجلين منهم حملاه إلى بيت أمها وهي أرملة فكان هنالك حتى ملك طالوت اهـ . وكان ردّهم التابوت لسبعة أشهر من يوم حملوه ، وكان عالي الكوهن

قد كفل ابن عمه شمويل بن الكنا بن يوام بن إياه بن ياو بن سوف . وسوف هو أخو حاصاب بن البلي بن يحاص .

وقيل إن شمويل من عقب فورح وهو قارون بن يصهار بن قاهات بن لاوى . ونسبه إليه شمويل بن القنا بن يروحام بن أليهو بن يوحا بن صوب بن ألقانا بن يويل بن عزيز ابن صنعينا بن ثاحت بن أسر بن القانا بن النشاسات بن قارون . وكانت أمه نذرت أن تجعله خادما في المسجد ، وألقته هنالك فكفله عالي وأوصى له بالكهونية ، ثم أكرمه الله بالنبوة ، وولاه بنو إسرائيل أحكامهم فدبرهم عشر سنين . وقال جرجيس بن العميد : عشرين سنة ونهاهم عن عبادة الأوثان فانتهاوا وحاربوا أهل فلسطين واستردوا ما كانوا أخذوا لهم من القرى والبلاد ، واستقام أمرهم ثم دفع الأمر إلى ابنه يئال وأبيا ، وكانت سيرتهما سيئة . فاجتمع بنو إسرائيل إلى شمويل ، وطلبوه أن يسأل الله في ولاية ملك عليهم ، فجاء الوحي بولاية طالوت . فولاه وصار أمر بني إسرائيل ملكا بعد أن كان مشيخة ، والله معقب الأسر بحكمته لا رب غيره .

الخبر عن ملوك بني اسرائيل بعد الاحكام ثم افتراق أمرهم والخبر
عن دولة بني سليمان بن داود على السبطين يهوذا وبنيامين
بالقدس الى انقراضها

لما نقم بنو اسرائيل على يوال وأبيا ابني شمويل ما نقموا من أمورهم ، واجتمعوا إلى
شمويل ، وسألوه من الله أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه أعداءهم ويجمع نشرهم
ويدفع الذل عنهم ، فجاء الوحي بأن يولي الله طالوت ويدهنه بدهن القدس ، فأبوا
بعد أن أمر شمويل بأن يستهموا عليه ، فاستهموا على بني آبائهم ، فخرج السهم على
طالوت وكان أعظمهم جسما فولوه ، واسمه عند بني اسرائيل شاول بن قيس بن أفيل ،
بالفاء الهوائية القريبة من الباء ، ابن صاروا بن نحورت بن أفياح ، فقام بملكهم ،
واستوزر أفنين ابن عمه نير بن أفيل . وكان لطالوت من الولد يهوناتان وملكيشوع
وتشبات وأنبياداف . وقام طالوت بملك بني اسرائيل ، وحارب أعداءهم من بني
فلسطين وعمون ومؤاب والعمالة ومدّين فغلب جميعهم ، ونصر بنو اسرائيل نصراً لا
كفاء له . وأول من زحف إليهم ملك بني عمّون ونازل قرية بلقاء فهجم عليهم
طالوت ، وهو في ثلثمائة ألف من بني اسرائيل فهزمهم واستلحمهم ، ثم أغزى ابنه في
عساكر بني اسرائيل الى فلسطين فنال منهم ، واجتمعوا لحرب بني اسرائيل فزحف
إليهم طالوت وشمويل فانهزموا واستلحمهم بنو اسرائيل ، وأمر شمويل أن يسير إلى
العمالة وأن يقتلهم ودوابهم ففعل ، واستبقى ملكهم أعّاع مع بعض الأنام ، فجاء
الوحي إلى شمويل بأن الله قد سخطه وسلبه الملك فخبّره بذلك ، وهجره شمويل
فلم يره بعد .

وأمر شمويل أن يقدس داود ، وبعث له بعلامته فسار إلى بني يهوذا في بيت لحم ،
وجاء به أبوه أيشا فمسحه شمويل ، وسلب طالوت روح الجسد ، وحزن لذلك ثم
قبض شمويل وزحف جالوت وبنو فلسطين إلى بني اسرائيل فبرز إليهم طالوت في
العساكر وفيهم داود بن إيشا من سبط يهوذا ، وكان صغيراً يرعى الغنم لأبيه ، وكان
يقذف بالحجارة في مخلاته فلا تكاد تخطىء . قال الطبري : وكان شمويل قد أخبر
طالوت بقتل جالوت ، وأعطاه علامة قاتلة ، فاعترض بني اسرائيل حتى رأى

العلامة فيه فسلمه وأقام في المصاف . وقد احتمل الحجارة في مخلاته ، فلما عاين جالوت قذفه بحجارة فصكه في رأسه ومات ، وانهزم بنو فلسطين ، وحصل النصر . فاستخلص طالوت حينئذ داود وزوجه ابنته ، وجعله صاحب سلاحه ، ثم ولاه على الحروب فاستكفى به . وكان عمره حينئذ فيما قال الطبري ثلاثين سنة . وأحبه بنو إسرائيل ، واشتملوا عليه ، وابتلي طالوت وبنوه بالغيرة منه ، وهم بقتله ونفذ لذلك مراراً ، ثم حمل ابنه يهونتان على قتله ، فلم يفعل لخله ومصافاة كانت بينهما ودس إلى داود بدخيلة أبيه فيه ، فلحق بفلسطين وأقام فيهم أياماً ، ثم إلى بني مؤاب كذلك ، ثم رجع إلى سبطه يهوذا بنواحي بيت المقدس ، فأقام فيهم يقاتل معهم بني فلسطين في سائر حروبهم ، حتى إذا شعر به طالوت طلب بني يهوذا باسلامه إليه ، فأبوا فرحف إليهم فأخرجوه عنهم ، ولحق ببني فلسطين وقاتلهم طالوت في بعض الأيام فهزموه ، واتبعوه وأولاده يقاتلون دونه حتى قتل يهونتان ومشوى وملكيشوع وبنو فلسطين في اتباعه حتى إذا أيقن بالهلكة قتل نفسه بنفسه . وذلك فيما قال الطبري لأربعين سنة من ملكه .

ثم جاء داود إلى بني يهوذا فملكوه عليهم ، وهو داود بن إيشا بن عوفد ، بالفاء الهوائية ، ابن بوغر واسمه أفصان بالفاء ، الهوائية والصاد المشمة . وقد قدمنا ذكره في حكام بني إسرائيل بن سلمون الذي نزل بيت لحم لأول الفتح ابن نحشون سيد بني يهوذا عند الخروج من مصر ابن عميناذاب بن إرم بن حصرون بن بارص بن يهوذا ، هكذا نسبه في كتاب اليهود والنصارى ، وأنكره ابن حزم قال : لأن نحشون مات بالتيه وإنما دخل القدس ابنه سلمون ، وبين خروج بني إسرائيل من مصر وملك داود ستمائة سنة باتفاق منهم ، والذي بين داود ونحشون أربعة آباء ، فإذا قسمت الستمائة عليهم يكون كل واحد منهم إنما ولد له بعد المائة والثلاثين سنة وهو بعيد .

ولما ملك داود على بني يهوذا نزل مدينتهم حفرون بالفاء الهوائية ، وهي قرية الخليل عليه السلام لهذا العهد ، واجتمع الأسباق كلهم إلى يشوشات بن طالوت ، فملكه في أورشليم وقام بأمره وزير أبيه أفيند وقد مرّ نسبه .

وفي كتاب أسفار الملوك من الاسرائيليات أن رجلاً جاء الداود بعد وفاة طالوت ، فأخبره بمهلكه ومهلك أولاده في هزيمتهم أمام بني فلسطين ، وأمر هذا الرجل أن يقتله لما أدركوه ، فقتله وجاء بتاجه ودملجه إلى داود ، وانتسب إلى العمالقة ، فقتله

داود بقتله ، وبكى على طالوت ، وذهب الى سبط يهوذا بأرض حفرون بالفاء القريبة من الباء ، وهي قرية الخليل لهذا العهد ، وأقام شيوخيات^(١) بن طالوت في اورشليم ، والأسباط كلهم مجتمعون عليه ، وأقامت الحرب بينهم وبين داود أكثر من سنتين ، ثم وقع الصلح بينهم والمهادنة ، وأذعن الأسباط الى داود وتركوه ، ثم اغتاله بعض قواده وجاء برأسه الى داود فقتله به . وأظهر عليه الحزن والأسف وكفل أخواته وبنيه أحسن كفالة .

واستبدّ داود بملك بني اسرائيل لثلاثين سنة من عمره وقاتل بني كنعان فغلبهم ، ثم طالت حروبه مع بني فلسطين ، واستولى على كثير من بلادهم ، ورتب عليهم الخراج . ثم حارب أهل مؤاب وعمّون وأهل أدوم وظفر بهم وضرب عليهم الجزية ، ثم خرب بلادهم بعد ذلك ، وضرب الجزية على الأرمن بدمشق وحلب ، وبعث العمّال لقبضها . وصانعه ملك انطاكية بالهدايا والتحف ، واختط مدينة صهيون وسكنها واعتزم على بناء مسجد في مكان القبة التي كانوا يضعون بها تابوت العهد ويصلون إليها . فأوحى الله الى دانيال نبيّ على عهده أنّ داود لا يبني وإنما يبنيه ابنه ويدوم ملكه فسرّ داود بذلك . ثم انتقض عليه ابنه ابشوم ، وقتل أخاه أمون غيره منه على شقيقه بامان وهرب . ثم استماله داود ورده ، وأهدر دم أخيه وصير له الحكم بين الناس . ثم رجع ثانيا لأربع سنين بعدها وخرج معه سائر الاسباط ، ولحق داود بأطراف الشام وقيل لحق بخيبر وما إليها من بلاد الحجاز ، ثم تراجع للحرب فهزمه داود وأدركه يؤاب وزير داود وقد تعلق بشجرة فقتله ، وقتل في الهزيمة عشرون ألف من بني اسرائيل ، وسبق رأس قشلوط لوليّ أبيه داود فبكى عليه وحزن طويلا ، واستألف الأسباط ورضي عنهم ورضوا عنه . ثم أحصى بني اسرائيل فكانوا ألف ألف ومائة ألف ، وسبط يهوذا أزيد من أربعمئة ألف . وعوتب في الوحي لأنه أحصاهم بغير اذن ، وأخبره بذلك بعض الأنبياء لعهدده .

وأقام داود صلوات الله عليه في ملكه والوحي يتتابع عليه ، وسور الزبور تنزل . وكان يسبح بالأوتار والمزامير ، وأكثر المزامير المنسوبة إليه في ذكر التسبيح وشأنه . وفرض على الكهنونية من سبط لاوى التسبيح بالمزامير قدام تابوت العهد إثني عشر كوهنا لكل

(١) هكذا بالأصل . وفي مكان آخر يشوشات وفي الشجرة : أشوشان .

ساعة . ثم عهد عند تمام أربعين سنة من دولته لابنه سليمان صلوات الله عليهما ، ومسحه مابان النبي وصادوق الخبر مسحة التقديس ، وأوصى ببناء بيت المقدس . ثم قبض صلوات الله عليه ودفن في بيت لحم ، وكان لعهدده من الأنبياء نامان وكاد وآصاف . وكان الكهنون الأعظم افيثار بن أحيلج من عقب عالي الكوهن الذي ذكرناه في الحكام ، وكان من بعده صادوق .

ثم قام بالملك من بعده من بني اسرائيل ابنه سليمان صلوات الله عليه وهو ابن إثنين وعشرين سنة ، فاستفحل ملكه وغالب الأمم ، وضرب الجزية على جميع ملوك الشام مثل فلسطين وعمون وكنعان وموآب وأدوم والأرمن ، وأصهر إليه الملوك من كل ناحية بيناتهم ، وكان ممن تزوج بنت فرعون مصر . وكان وزيره يوآب بن نيثرا وهو ابن أخت داود اسمها صوريا ، وكان وزيراً لداود فلما ولي سليمان استوزره فقام بدولته ثم قتله بعد ذلك ، واستوزر يشوع بن شيداح^(١) ، ولأربع سنين من ملكه شرع في بيت المقدس بعهد أبيه إليه بذلك ، فلم يزل إلى آخر دولته بعد ان هدم مدينة انطاكية وبنى مدينة تدمر في البرية وبعث إلى ملك صور ليعينه في قطع الخشب من لبنان ، وأجرى على الفعلة فيه في كل عام عشرين ألف كر من الطعام ومثلها من الزيت ومثلها من الخمر . وكان الفعلة في لبنان سبعين ألفاً ولنحت الحجارة ثمانين ألفاً وخدمة المناولة سبعون ألفاً ، وكان الوكلاء والعرفاء على ذلك العمل ثلاثة آلاف وثلثمائة رجل .

ثم بنى الهيكل وجعل ارتفاعه مائة ذراع في طول ستين وعرض عشرين . وجعل بدائره كله أروقة وفوقها مناظر ، وجعل بدائر البيت ابريداً من خارج ، ونمقه وجعل الظهر مقوراً ليودع فيه تابوت العهد . وصفح البيت من داخله وسقفه بالذهب ، وصنع في البيت كروبيين من الخشب مصفحتين بالذهب وهما تماثلان للملائكة الكروبيين ، وجعل للبيت أبواباً من خشب الصنوبر ، ونقش عليها تماثيل من الكروبيين والنرجس والنخل والسوسن وغشاها كلها بالذهب . وأتم بناء الهيكل في سبع سنين ، وجعل لها باباً من ذهب ، ثم بنى بيتاً لسلاحه أقامه على أربعة صفوف من العمد من خشب الصنوبر في كل صف خمسة عشر عموداً ، ووضع فيه مائتي

(١) وفي التوراة : يشوع بن شيراخ .

(٢) الكر : مكيال قيل انه اربعون اردباً (قاموس) .

ترس من الذهب ، في كل ترس ستمائة من حجر الجواهر والزمرد ، وثلثمائة درقة من الذهب ، في كل درقة ثلثمائة من حجر الياقوت ، وسمى هذا البيت غيضة لبنان . وصنع منبراً لجلوسه تحت رواق وكراسي كثيرة كلها من العاج ملبسة من الذهب . ثم بنى من فوق هذا البناء بيتاً لابنة فرعون التي تزوج بها ، وصنع بها أوعية النحاس لسائر ما يحتاج إليه بالبيت ، واسترضى الصناع لذلك من مدينة صور . وعمل مذبح القربان بالبيت من الذهب ، ومائدة الخبز الوجوه من الذهب ، وخمس منابر عن يمين الهيكل ، وخمسا عن يساره بجميع آلاتها من الذهب ، وبخامر من الذهب . وأحضر موروث أبيه من الذهب والفضة والأوعية الحسنة فأدخلها إلى البيت ، وبعث إلى تابوت العهد من صهيون قرية داود إلى البيت الذي بناه له ، فحمله رؤساء الأسباط والكهنة على كواهلهم حتى وضعوه تحت أجنحة التمثالين للكروبيين بالمسجد . وكان في التابوت اللوحان من الحجارة اللذين صنعها موسى عليه السلام بدل الألواح المنكسرة ، وحملوا مع تابوت العهد قبة القربان وأوعيتها إلى المسجد . وأقام سليمان أمام المذبح يدعو في يوم مشهود ، اتخذ فيه وليمة لذلك ذبح فيها اثنتين وعشرين ألفاً من البقر ، ثم كان يقرب ثلاث مرات من السنة قرابين وذبائح كاملة ، ويبخر البخور وجميع الأوعية لذلك كلها ذهب . وكانت جبايته في كل سنة ستمائة قنطار وستة وستون قنطاراً من الذهب ، غير الهدايا والقربان إلى بيت المقدس . وكانت له سفن بحر الهند تجلب الذهب والفضة والبضائع والفيلة والقرود والطواويس ، وكانت له خيل كثيرة مرتبة تجلب من مصر وغيرها تبلغ ألفاً وستمائة فرس معدة كلها للحرب . وكانت له ألف امرأة لفرشه ما بين حرة وسرية منها ثلثمائة سرية . وفي الأخبار للمؤرخين أنه تجهز للحج فوافى الحرم وأقام به ما شاء الله ، وكان يقرب كل يوم خمسة آلاف بدنة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة . ثم سما إلى ملك اليمن وسار إليه فوافى صنعاء من يومه ، وطلب الهدهد لالتماس الضوء ، وكانت قناته أي ملتصق الضوء له في الأرض فافتقده ، ورجع إليه بخبر بلقيس كما قصه القرآن . ودافعه بالهدية فلم يقبلها ، فلاذت بطاعته ودخلت في دينه وطاعته ، وملكته أمرها ووافته بملك اليمن ، وأمرها بأن تتزوج فنكرت ذلك لمكان الملك فقال لا بد في الدين من ذلك . فقالت زوجني ذا تبع ملك همدان فزوجها إياه وملكه على اليمن واستعملها فيه ورجع إلى الشام . وقيل تزوجها وأمر الجن فبنوا لها سليمان

وغمدان . وكان يزورها في الشهر مرة يقيم عندها ثلاثاً ، وعلماء بني إسرائيل ينكرون وصوله إلى الحجاز واليمن ، وإنما ملك اليمن عندهم بمراسلة ملكة سبأ ، وأنها وفدت عليه في اورشليم ، واهدت إليه مائة وعشرين قنطاراً من الذهب ، ولؤلؤاً وجوهرات وأصنافاً من الطيب والمسك والعنبر فأجازها وأحسن إليها . وانصرفت ، هكذا في كتاب الأنساب من كتبهم .

ثم انتقض على سليمان آخر أيامه هدرور ملك الأرمن بدمشق ، وهداد ملك أدوم ، وكان قد ولي على ضواحي بيت المقدس وجميع أعماله يربعان بن نباط من سبط أفرام ، واستكفى به في ذلك ، وكان جباراً فعوتب بالوحي على لسان أخيا النبي في توليته فأراد قتله ، وشعر بذلك يربعان فهرب إلى مصر ، فأنكحه فرعون ابنته وولدت له ابنه ناباط وأقام بمصر .

وقبض سليمان صلوات الله عليه لأربعين سنة من ملكه ، وقيل إثنين وخمسين ، ودفن عند أبيه داود صلوات الله عليهما . وافترق ملك بني إسرائيل من بعده كما نذكره إن شاء الله تعالى .

الخبر عن افتراق بني إسرائيل منهم بيت المقدس على سبط يهوذا وبنيامين الى انقراضه

لما قبض سليمان صلوات الله عليه وسلامه ، ولي ابنه رُحْبَعُم^(١) ، وضبطه براء مهمة وحاء مهمة مضمومتين وباء موحدة ساكنة وعين مهمة مضمومة وميم ، فقام بأمره وزاد في عمارة بيت لحم وغزة وصور وأيلة ، واشتد على بني إسرائيل وطلبوا منه تخفيف الضرائب ، فامتنع وطالبهم بالوظائف ، وأخذ فيهم برأي الغواة من بطانته ، فنقموا عليه ذلك وانتقضوا . وجاءهم يُرْبَعُم بن نباط من مصر ، فبايعوه وولّوه عليهم ، واجتمع عليه سائر الأسباط العشرة من بني إسرائيل ، ما عدا سبط يهوذا وبنيامين ، وتزاحفوا للحرب . ثم دعاهم بعض أنبيائهم للصلح فتواضعوا واصطلحوا .

وفي السنة الخامسة من ملك رُحْبَعُم زحف شيشاق ملك مصر إلى بيت المقدس ، فهرب رُحْبَعُم ، واستباحها شيشاق ورجع وضرب عليهم الجزية ، ثم دفعوه ومنعوه . فأقام بنو داود في سلطانهم على بني يهوذا وبنيامين بيت المقدس وعسقلان وغزة ودمشق وحلب وحمص وحماة وما إلى ذلك من أرض الحجاز ، وملك الأسباط العشرة بنواحي نابلس وفلسطين ، ثم نزلوا مدينة شومرون وهي شمرة وسامرة في الناحية الشرقية الشمالية من الشام مما يلي الفرات والجزيرة ، واتخذوها كرسياً لملكهم ذلك ، وأقاموا على هذا الافتراق إلى حين انقراض أمرهم ، ووقعوا في الجلاء الذي كتب الله عليهم كما نذكره .

ثم هلك رُحْبَعُم لسبع عشرة سنة من دولته ، وولي بعده على سبط يهوذا وبنيامين بأرض القدس ابنه أفيّا^(٢) ، وضبطه بهمزة مفتوحة ومتوسطة بين الفاء والذال من لغتهم وياء مثناة من تحت مشددة وألف ، وكان على مثل سيرة أبيه . وكان عابداً صواماً ، وكانت أيامه كلها حرباً مع يُرْبَعُم بن نباط وبني إسرائيل ، وهلك لثلاث سنين . وولى بعده ابنه أسّا^(٣) ، بضم الهمزة وفتح السين المهمة وألف

(١) وفي التوراة : ورد اسمه رجبام .

(٢) وفي نسخة أخرى : أفيّا .

(٣) وفي نسخة أخرى : أسّا .

بعدها ، ابن أفيا . وطال أمد ملكه ، وكان رجلاً صالحاً ، وكان على مثل سيرة جدّه داود صلوات الله عليه ، وتعدّدت الأنبياء في بني اسرائيل على عهده ، ومات يُرْبَعُم بن نباط لستين من ملكه ، وملك بعده ابنه ناداب وقتله يَعْشَا بن أحيا كما نذكر في أخبارهم . ثم وقعت بينه وبين أسا حروب ، واستمد أسا بملك دمشق فرحف معه ، وكان يعشا ملك السامرة في ناحية يثرب لبنائها ، فهرب وترك آلات البناء ، فنقلها أسا ملك القدس وبنى بها الحصون . ثم خرج عليهم زادح ملك الكوش في ألف ألف مقاتل ، ولقيهم أسا فهزمهم وأثنخ فيهم . ولم تزل الحرب قائمة بين أسا وبين الاسباط بالسامرة سائر أيامه ، وعلى عهده اختطت السامرة كما نذكر بعد .

ثم هلك أسا بن أفيا لإحدى وأربعين سنة من ملكه ، وولي بعده ابنه يهوشاف (١) ، بياء مفتوحة مثناة تحتانية وهاء مضمومة وواو ساكنة وشين معجمة بعدها ألف ثم ظاء بين الذال والطاء المعجمتين ، فكان على مثل سيرة أبيه ، وكانت أيامه مع أهل السامرة وملوكهم سلماً . واجتمع ملوك العمالة ، ويقال أروم (٢) ، وخرج لحربهم فهزمهم وغنم أموالهم . وكان لعده من الانبياء إلياس بن شوياق ، واليسع بن شوبوات . وقال ابن العميد : إيليا ومنحيا وعبوديا . وكانت له سفن في البحر يجلب له فيها بضائع الهند فأصابها قاصف الريح فتكسرت وغرقت . ثم هلك لخمس عشرة وعشرين سنة من ملكه ، وولي ابنه يهورام (٣) ، بفتح المثناة التحتية ثم هاء مضمومة تجلب واوا ثم راء مفتوحة تجلب ألفاً وبعدها ميم ، وانتقض عليه أروم ، وولوا عليهم ملكا منهم ، فرحف إليهم (٤) ووقع بهم في سفيرا أوسط بلادهم ، وأثنخ فيهم بالسبي والقتل . ثم رجع عنهم ، وأقاموا في عصيانهم . وعلى عهده زحف ملك الموصل إلى الاسباط بالسامرة ، فكانت بينه وبينهم حروب كما نذكر .

وقال ابن العميد : كانت على بني مؤاب جزية مضروبة لبني يهوذا ، مائتان من الغنم كل سنة ، فمنعوها ، واجتمع ملوك القدس والسامرة لحربهم وحاصروهم سبعة أيام ، وفقدوا الماء فاستسقى لهم اليسع وجرى الوادي . فخرج أهل مؤاب فظنوه ماء ،

(١) وفي نسخة أخرى : يهوشافاط .

(٢) وفي نسخة أخرى : أدوم .

(٣) وفي التوراة : يورام .

(٤) وفي نسخة أخرى : زحف فيهم .

فقتلهم بنو إسرائيل وأثنوا فيهم . وفي أيام يهورام رفع إيليا النبي وانتقل سره الى اليسع ، وكان على عهده من الأنبياء أيضا عبوديا .

ثم هلك يورام ثمان سنين من ملكه ، ودفن عند جد داود ، وولي بعده ابنه أحزيا هو^(١) ، بهمزة مفتوحة وحاء مهملة مضمومة وزاي معجمة ساكنة ثم ياء مثناة تحتية بفتحة تجلب ألفاً ثم هاء مضمومة تجلب واواً ، وأمه عثليا بنت عمري أخت أجاب^(٢) وسار سيرة خاله ، وملك سنة واحدة ، وقيل ستين ، وخرج لقتال ملك الجزيرة والموصل واستنفر معه صاحب السامرة يورام ابن خاله أجاب ، فاقتلوا معه ثم انصرفوا وابن خاله جريح . وجاءه أحزيا هو في بعض الأيام يعودده وكان^(٣) ابن يهوشافاض بن منشي من سبط منشا بن يوسف يترصد قتل يورام بن أجاب ملك السامرة ، فأصاب فرصة في ذلك الوقت فقتلها جميعا . وقال ابن العميد ان يورام بن أجاب ملك السامرة خرج لحرب أروم ، في رواية كلعاد وخرج معه أحزيا هو فقتلا في تلك الحرب . قال : وقيل ان ياهو عشارمى بسهم فأصاب يورام بن أجاب . وكان لغصره من الانبياء اليسع وعامور وفنحاء .

ثم ملك بعد أحزيا أمه عثليا بنت عمري كذا وقع اسمها في كتاب الطبري ، وفي كتاب الإسرائيليات اسمها أضرالية . ويقال كانت من جوارى سليمان ، ثم استفحل ملكها بالقدس وقتلت بني داود كلهم ، وأغفلت ابناً رضيعاً من ولد أبيها أحزيا هو اسمه يواش ، بضم الياء المثناة التحتية ثم همزة مفتوحة تجلب ألفاً ثم شين معجمة ، أخفته عمته يهوشيع بنت يهورام في بعض زوايا القدس ، وعلم بمكانه زوجها يهود يادع^(٤) وهو يومئذ الكوهن الأعظم . حتى اذا كملت له سبع سنين ، ونقم بنو يهوذا سيرة عثليا ، اجتمعوا الى يهود يادع الكوهن فاخرج لهم يواش بن أحزيا هو من مكانه ، واستحلفهم فبايعوا له وقتلوا جدته عثليا ومن معها لسبع سنين من ملكها .

(١) وفي التوراة : أحزيا .

(٢) وفي نسخة أخرى أخاب .

(٣) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ١ ص ٢٥٤ ثم ملك بعد آسا ابنه سافاط وفي شرحه : هو يهو شافاط ولم يذكر شيئاً عن ابن يهوشافاط ، اوسافاط ، او يهوشافاض هذا . والذي في التوراة : يهورام بن يهوشافاط — الاصحاح الثامن من سفر الملوك الثاني .

(٤) وفي نسخة أخرى : يهوياداع وكذلك في التوراة .

وقام يواش بملكه في تدبير يهوديادع الكوهن ، ثم أراد عبادة الأصنام ، فمنعه زكريا النبي فقتله . وكان لعهدده من الأنبياء إليسع وعوفريا وزكريا بن يهوديادع . وهلك يهوديادع ثلاث وعشرين سنة من ملك يواش بعد أن جدّد يواش بيت المقدس ، ولثمان وثلاثين من ملكه قبض إليسع النبي صلوات الله عليه ، وعلى عهدده زحف شريال ملك الكلندانيين ببابل إلى بيت المقدس ، ويقال ملك نينوى والموصل . وقال ابن العميد : ملك الشام فأعطاهم جميع ما في خزائن الملك وبيت المقدس من الأموال ، ودخل في طاعتهم إلى أن قتله وزراؤه وأهل دولته لأربعين سنة من ملكه . وولّوا مكانه ابنه أمصيا هو ، بفتح الهمزة والميم وسكون الصاد المشمة بالزاي بعدها ياء مثناة تحتانية بفتحة تجلب ألفاً ثم هاء مضمومة تجلب واواً ، واستبدّوا عليه ثم ثار عليهم بأمه وقتلهم أجمعين . وسار إلى أروم فظفر بهم ، وقتل منهم نحواً من عشرين ألفاً ، ثم زحف إليه ملك الأسباط بالسامرة^(١) ولقيه فهزمه وحصل في أسره . وسار إلى بيت المقدس فحاصرها ، وهدم من سورها نحواً من أربعمئة ذراع ، واقتحمها فغنم ما في خزائن بيت السلطان ، وبيت الهيكل من الأموال والأواني والذخائر ورجع إلى السامرة ، فأطلق أمصيا هو ملك القدس ، فرجع إلى قومه ورمّ ما تثلم من سورها . ولم يزل مملكا حتى نقموا عليه أفعاله فقتلوه لسبع وعشرين سنة من ملكه . وكان لعهدده من الأنبياء يونان وناحوم ، وتنبأ لعصره عاموص . ولما قتلوا أمصيا هو ولّوا ابنه عزيا هو^(٢) ، بعين مهملة مضمومة وزاي معجمة مكسورة مشدّدة وياء مثناة تحتانية تجلب ألفاً وهاء تجلب واواً ، وطالت مدّته ثلاثاً وخمسين سنة ، واختلفت فيها أحواله . قال ابن العميد : ولخمس من ملكه كان ابتداء وضع سنّ الكبس التي هي سنة بعد أربع تريد يوماً على الماضية بحساب ربع يوم في كل سنة الذي اقتضاه حساب مسير الشمس عندهم . قال : وليت من ملكه انقرض ملك الأرمانين من الموصل وصارت إلى بابل ، لاثنتين وعشرين من ملكه غزا ملك بابل واسمه فول مدينة السامرة فاقتحمها ، وأعطاه ملكها بكرة من المال فرجع عنه . قال : ولعهدده ملك على بابل رينوس ويُلقب قطب الملك ، ولعهدده ملك على

(١) كذا بياض بالأصل وفي التوراة يواش بن يواحاز بن ياهو .

(٢) وفي التوراة : عزريا هو .

(٣) وهي السنة الكبيسة اي ١/٤ ٣٦٥ يوماً .

اليونانيين ملكهم الأول من مدينة أنقياس لثلاث وعشرين سنة من تملك عزيا هو . قال : ولإحدى وخمسين من ملكة ملك بابل بختنصر الأول . قال : ولعهده أيضا كان الملك الأول من الروم المقدويس ويسمى فروس . ولعهده كان من الأنبياء يوشع وغوزيا وأموص وأشعيا ويونس بن متى . قال ابن العميد وانتهت عساكر عزيا هو إلى ثلثمائة ألف ، وأصابه البرص بدعاء الكوهن لما أراد أن يخالف التوراة في استعمال البخور وهو محرم على سبط لاوى ، فبرص ولزم بيته سنة وصار ابنه يؤام ينظر في أمر الملك إلى أن تغلب على أبيه . قال هروشيوش : وعلى عهده أيضا قتل شرديال آخر ملوك بابل من الكلدانيتين على يد قائده أرباط بن المادس ، واستبد بملك بابل وأصاره إلى قومه بعد حروب طويلة ، ثم زحف إلى القوط والعرب من قضاة فحاربهم طويلا وانصرف عنهم .

ثم هلك عزيا هو لثلاث وخمسين سنة من ملكه ، وملك بعده ابنه يواب وكان صالحاً تقياً ، وكان لعهده من الأنبياء هوشيع^(١) وأشعيا ويويل^(٢) وعوفد . وفي أيامه ابتداء غلب ملك الجزيرة على اليهود وكانوا يعرفون بالسوريانيين . ثم هلك يواب لست عشرة من ملكه ، وملك ابنه أحاز ، بهمة مفتوحة بمائة وحاء مهملة تجلب ألفاً وزاي معجمة ، فخالف سنة آبائه ، وعبد بنو إسرائيل الأوثان في أيامه ، وحارب الأرمن واستجاش عليهم بملك الموصل ، فزحف معه وحاصر دمشق وملكها منهم واستباحها ، ورجع إلى بلاده . ثم خرج أحاز لحربهم فهزموه وقتلوا من اليهود مائة وعشرين ألفاً ونحوها ، وارجعوا أحاز إلى دمشق أسيراً . قال هروشيوش : وعلى عهد أحاز كان انقراض ملك الماريس على يد كيرش ملك الفرس ، ورجعت أعمالهم إليه . ويقال : ان آخر ملوكهم هو اشتانيش ، وكان جد كيرش لامه ، وكفله صغيراً فلما شب وملك حارب جدّه فقتله وانتزع ملكه . وقال ابن العميد عن المسيحي : ولذلك العهد ملك على الروم الفرنجة غير اليونان ، الاخوان روملس ورومانس ، واختط مدينة رومة . وقال هروشيوش : ولعهده ملك على الروم اللطينيين بأرض أنطاكية روملس ، ثم مركة وبني مدينة رومة .

(١) وفي نسخة أخرى : هوسيع .

(٢) وفي نسخة أخرى : يويل كما في التوراة .

ثم هلك أحاز لست عشرة من ملكه ، وولى ابنه حزقيا هو ، بجاءٍ مهمة مكسورة وزاي معجمة ساكنة وقاف مكسورة وياء مثناة تحتانية مشددة تجلب ألفاً وهاء مضمومة تجلب واواً ، فقطع عبادة الأوثان وسار سيرة جدّه داود ، ولم يكن في ملوك بني يهوذا مثله . وعصى على ملك الموصل وبابل وكوريش^(١) وهزم فلسطين وخرب قراهم . وفي أيامه وأيام أبيه سار شليشار ملك الجزيرة والموصل إلى الاسباط بالسامرة ، فحرب عليهم الجزية . ثم سار في أيامه فأزال ملكهم . ولاربع من ملكه زحف إليه رضين ملك دمشق ورجع عنه من غير قتال . ولاربع عشرة من ملكه زحف إليه سنجاري^(٢) ملك الموصل بعد فتح السامرة ، فافتتح أكثر مدائن يهوذا وحاصره بيت المقدس . وصانعه حزقيا هو بثلاثمائة قنطار من الفضة وثلاثين من الذهب أخرج فيها ما كان في الهيكل ، وبيت الملك من المال ونثر الذهب من أبواب المسجد ، دفع ذلك له ورجع عنه . ثم فسد ما بينهما وزحف إليه سنجاري^(٢) ثانياً وحاصره وامتنع من قبول مصانعته ، وقال : من ذا الذي خلصه إلهه من يدي حتى يخلصكم أنتم الهكم . فخافوا منه وفرعوا إلى النبي شعيا في الدعاء فأمنهم منه ودعا عليه فوقع الطاعون في عسكره ، ثم تواقعوا في بعض الليالي ، فبلغ قتلاهم مائة وعشرين ألفاً ورجع سنجاري إلى نينوى والموصل ، فقتله أبناؤه وهربوا إلى بيت المقدس وملك ابنه السرمعون .

وقال الطبري إنّ ملك بني اسرائيل أسر سنجاري^(٢) وأوحى الله الى شعيا أن يطلقه فأطلقه . قال : وقيل إنّ الذي سار إليه سنجاري^(٢) من ملوك بني اسرائيل كان أعرج ، وأنّ سنجاري^(٢) لعهد ملك أذربيجان ، وكان يدعى سليمان الأعسر ، فلما نزل بيت المقدس صار بينهما احقاد كامنة ، فتواقعوا وهلك عامة عسكرهما ، وصار ما معها غنيمة لبني اسرائيل ، وبعث ملك بابل إلى حزقيا ملك الفرس بالهدايا والتحف ، فأعظم موصلها ، وبالغ في كرامة الوفد وفخر عليهم بخزائنه وطوفهم عليها ، فنكر ذلك عليه شعيا النبي وأنذره بان ملوك بابل يغنمون جميع هذه الخزائن ، ويكون من أبنائك خصيان في قصرهم .

ثم هلك حزقيا هولتسع وعشرين سنة من ملكه ، وولى ابنه منشا ، بميم مكسورة ونون

(١) وفي نسخة اخرى توريش .

(٢) وفي التوراة : سنحاريب .

مفتوحة وشين معجمة مشددة وألف ، وكان عاصياً قبيح السيرة ، وكانت آثاره في الدين شنيعة ، وأنكر عليه شعيا النبي أفعاله ، فقتله نشرًا بالمناشير من رأسه إلى مغرق ساقيه ، وقتل جماعة من الصالحين معه . وفي التاسعة والثلاثين من ملكه ، ملك سنجاريف الصغير مملكة الموصل قاله ابن العميد وفي الثانية والخمسين بنيت بوزنطية بناها بورس الملك ، وهي التي جددتها قسطنطين وسماها باسمه . وفي أيامه ملك برومة قنوقرسوس الملك ، وفي الحادية والخمسين من ملكه زحف سنجاريف ملك الموصل إلى القدس فحاصرها ثلاث سنين ، وافتتحها في الرابعة والخمسين من ملكه . وولي بعده ابنه أمون ، بهمة قريبة من العين والميم مضمومة تجلب واواً ثم نون ، وكانت حاله مثل حال أبيه فملك سنتين ، وقيل اثنتي عشرة ، ثم اغتاله عبيده فقتلوه ، واجتمع بنو يهوذا فقتلوا أولئك العبيد ، وأقاموا ابنه يوشيا مكانه ، وضبطه بياء مثناة تحتية مضمومة تجلب واواً بعدها شين معجمة مكسورة ثم ياء مثناة تحتية بفتحة تجلب ألفاً . فلما ملك أحسن السيرة وهدم الأوثان وكان صالح الطريقة مستقيم الدين ، وقتل كهنة الأصنام وهدم البيوت والمذابح التي بناها يُرْبَعَام بن نباط بالبرابرة . وكان في أيامه من الأنبياء صفونا^(١) وكلدي امرأة شالوم وناحوم . وتنبأ لعهد أرميا بن أحميا^(٢) من نسل هارون ، وأخبرهم بالجللاء إلى بابل سبعين سنة ، فأخذ يوشيا قبة القربان وتابوت العهد وأطبق عليهما في مغارة فلم يعرف مكانهما من بعد ذلك . وفي أيامه ملك المجوس بابل . ولاحدي وثلاثين من دولته ملك فرعون الأعرج مصر وزحف لقتال مسيح بالفرات ، فخرج يوشيا لحربه وانهزم يوشيا فهلك بسهم أصابه لاثنتين وثلاثين من دولته .

وولي بعده ابنه يواش ، ويقال اسمه يهوياحاز فعطل أحكام التوراة ، وأساء السيرة ، فزحف إليه فرعون الأعرج ، وأخذه ورجع به إلى مصر فمات هنالك . وضرب على أرضهم الخراج مائة قنطار فضة وعشرة ذهبا ، وكانت ولايته ثلاثة أشهر . وولوا مكانه أخاه ألياقم بن يوشيا ، بهمة مفتوحة ولام ساكنة وياء مثناة تحتانية يجلب فتحها ألفا وقاف مكسورة تجلب ياء ثم ميم ، وكان عاصياً كافراً ، وكان يأخذ الخراج لفرعون من بني يهوذا على قدر أحوالهم . ثم زحف إليه بختنصر ملك بابل لسبع من ولاية ألياقم ،

(١) وفي التوراة : صفنيا بن كوشي — نبوة صفنيا — الفصل الاول .

(٢) وفي التوراة : إرميا بن خلقياء — نبوة ارميا ، الفصل الاول .

فملك الجزيرة وسار إلى بيت المقدس ف ضرب عليهم الجزية أولا ، ودخل ألياقيم في طاعته ثلاث سنين ، وسلط الله عليه أروم وعمون ومؤاب والكلدانين ، ثم انتقض عليه فسرح الجيوش اليه ، فقبضوا عليه واحتملوه الى بابل ، فهلك في طريقه لاحدى عشرة سنة من ملكه . وولى بختنصر مكانه ابنه يخنيو ، بفتح الياء المثناة التحتانية بعدها خاء معجمة مضمومة ثم نون ساكنة وبعدها ياء تحتانية تجلب ضميتها واواً ، فأقام ثلاثة أشهر ، ثم زحف إليه وحاصره ، وأخرج إليه أمه وأشراف مملكته فأشخصهم الى بلده . وجمع أهله ورجال دولته وسائر بني اسرائيل نحواً من عشرة آلاف ، واحتملهم أسارى إلى بابل ، وغنم جميع ما كان في الهيكل والخزائن من الأموال وجميع الأواني التي صنعها سليمان للمسجد ، ولم يترك بمدينة القدس إلا الفقراء والضعفاء وبقي يخنيو ملك بني اسرائيل محبوساً سبعاً وثلاثين سنة .

وقال ابن العميد : إن بختنصر سار إلى القدس في الثالثة من مملكة ألياقيم ، وسبى طائفة منها ، وانتهب جميع ما في بيت الهيكل . وكان في سنة دانيال وخانيا وعزاريا وميصائل . وإن في السنة الخامسة من ملكه قاتل بختنصر فرعون الأعرج ملك مصر ، وفي الثانية من ملك الياقيم غزا بختنصر القدس ووضع عليهم الخراج وأبقى الياقيم في ملكه وهلك لثلاث سنين بعد ذلك وملك ابنه يخنيو . وكان لعهدده من الأنبياء ارميا وأوريا بن شعيا وموري والد حزقيا . وفي أيامه تنبأ دانيال ، ثم سار بختنصر ليخنيو فأشخصه الى بابل كما مر .

وقال الطبري ووافقه نقل هروشيوش : إن بختنصر ولى مكان يخنيو بن الياقيم عمه متنيا ، بميم مفتوحة وتاء مثناة فوقانية مفتوحة مشددة ونون ساكنة وياء مثناة تحتانية بفتحة تجلب ألفاً ، ويسمى صدقيا هو ، وكان عاصياً قبيح السيرة ، ولتسع سنين من ولايته انتقض على بختنصر ، فزحف إليه في العساكر وحاصر بيت المقدس وبني عليها المدر للحصار ، وأقام ثلاث سنين واشتد الحصار بهم ، فخرجوا هاربين منها إلى الصحراء واتبعهم العساكر من الكلدانين وأدركوهم في أريحا ، فقبض على ملكهم صدقيا هو وأتى به أسيراً فسلم عينيه . وقال الطبري : وذبح ولده بمرأى منه ، ثم اعتقله ببابل إلى أن مات . ولحق بعض من بني اسرائيل بالحجاز فأقاموا مع العرب ، وكان لعهدده من الأنبياء ارميا وحباقون وباروخ . وبعث بختنصر قائده نبوزراذون ، بنون مفتوحة وباء موحدة مضمومة تجلب واواً بعدها زاي وراء مفتوحة تجلب ألفاً

وذال مضمومة تجلب واوا بعدها نون ، بعثه إلى مدينة القدس ، وكانوا يدعونها مدينة يروشالم^(١) ، فخرّبها وخرّب الهيكل وكسر عمد الصفر التي نصبها سليمان في المسجد طول كل عمود منها ثمانية عشر ذراعاً وطول رؤوسها ثلاثة أذرع ، وكسر صرح الزجاج وسائر ما كان بها من آثار الدين والملك ، واحتمل بقية الأواني وما كان وجده من المتاع ، وسبى الكوهن سارية والحبر منشأ وخدمة الهيكل إلى بابل . قال هروشيوش : وأبقى صدقياً هو محبوساً ببابل إلى أن أطلقه بزداق قائد بهمن ملك الفرس حين غلبوا على بابل فأطلقه ووصله وأقطعه .

وقال مؤرخ حماة^(٢) ووافقه المسعودي : أن بختنصر بعد تخريب القدس هرب منه بعض ملوك بني اسرائيل إلى مصر وبها فرعون الأعرج ، وطلبه بختنصر فأجاره فرعون وسار إليه بختنصر فقتله وملك مصر . وافتتح من المغرب مدائن وبث فيها دعائه ، وكان إرمياء نبي بني اسرائيل من سبط لاوى ، ويقال اسمه إرمياء بن خلقيا ، وكان على عهده صدقياً هو ووجده بختنصر في محبسهم فأطلقه واحتمله معه في السبي إلى بابل ، وقيل انه مات في محبسه ولم يدركه بختنصر . وكذلك احتمل معهم دانيال بن حزقيل من أنبيائهم .

وقال ابن العميد : وولي جدليا بن أحن على من بقي من ضعفاء اليهود بالقدس ، ولسبعة أشهر من ولايته قام إسماعيل بن متنيا بن إسماعيل من بيت الملك فقتل جدليا واليهود والكلدانيين الذين معهم ، ثم هرب إلى مصر وهرب معه ارميا ، وهرب حبقون إلى الحجاز فمات وكان قيماً ولحقهم بمصر . وتنبأ ارمياء في مصر وبابل وأورشليم وصور وصيدا وعمون ثمانية وثلاثين سنة ، ورجمه أهل الحجاز فمات . وكان فيما أخبرهم به مسير بختنصر إلى مصر وتخريره هياكلها وقتله أهلها . ولما دخل بختنصر مصر نقل جسده إلى الإسكندرية ودفنه بها ، وقيل دفن بالقدس لوصيته . وأما حزقيا هو فقتله اليهود في السبي .

قال الطبري : وافترقت جالية بني اسرائيل في نواحي العراق إلى أن ردّهم ملوك الفرس إلى القدس فعمروه وبنوا مسجده . وكان لهم فيه ملك في دولتين متصلتين إلى أن وقع بهم الخراب الثاني والجلوة الكبرى على يد طيطش من ملوك القياصرة كما نذكر بعد .

(١) أو اورشليم .

(٢) يعني ابي الفداء .

ولنذكر هنا ما وقع من الخلاف في نسب بختنصر هذا ، وإلى من يرجع من الأمم : فقد ذهب قوم إلى أنه من عقب سنجاريف ملك الموصل الذي كان يقاتل بني إسرائيل والسامرة بالقدس . قال هشام بن محمد الكلبي فيما نقل الطبري : هو بختنصر بن نبوزراذون بن سنجاريف ، ثم نسب سنجاريف إلى نمروذ بن كوش بن حام الذي وقع ذكره في التوراة في ولد كوش وعدّ بين سنجاريف والنمروذ ستة عشر أباً أو نحوها أولهم داريوش بن فالغ وعصا^(١) بن نمروذ ، أسماء غير مضبوطة يغلب على الظنّ تصحيفها لعدم دراية الأصول وقلة الوثوق بضبطها . وقيل إنّ بختنصر من نسل أشوذ^(٢) بن سام ، ولم يقع إلينا رفع هذا النسب ولعله أصح من الأول لأنه قد تقدّم نسب سنجاريف في الجرامقة ثم في الموصل منهم وهم من ولد أشوذ باتفاق من أهل فارس ، نقله أيضاً الطبري عن ابن الكلبي ، وإن اسمه بختمرسه فسمي بختنصر ، وكان يملك ما بين الأهواز والروم من غربي دجلة أيام هراسب ويستاسب وبهمن من ملوك الفرس ، وأنه افتتح ما يليه من بلاد بابل والشام ثم سار إلى القدس فافتتحها كما تقدّم ، وقيل إن بهمن بعث رسله إلى القدس في طلب الطاعة منهم فقتلوه ، فبعث بهمن أصهبذالناحية القريبة من مملكته ، وبعث معه داريوش^(٣) من ملوك ماري بن نابت ، وكيرش بن كيكوس من ملوك بني غليم بن سام ، وأحشوارش بن كيرش بن جاماهن من قرابته . وسار معهم بختنصر بن نبوزراذون بن سنجاريف صاحب الموصل الذي لقومه البرآت في أهل المقدس فكان ما وقع من الفتح . وقيل كان بختنصر صاحب الموصل في مقدّماتهم وكان الفتح على يده .

وأما بنو إسرائيل فيزعمون أنّ بختنصر من الكلدانيين ، وهم وُلِدَ ناحور بن آزر أبي إبراهيم عليه السلام ، وكان لهم الملك ببابل وكان بختنصر هذا من أعقابهم ، وكان مدّة دولته خمسا وأربعين سنة ، وكان فتحه المقدس لثمانية عشر من دولته . وملك بعده أويل مرّ وماخ ثلاثا وعشرين سنة ، ثم بعده ابنه فيلسنصر بن أويل ثلاث سنين ، ثم غلب عليهم كوروش وأزال ملكهم وهو الذي ردّ بني إسرائيل إلى بيت المقدس فعمروه وجدّدوا به ملكاً كما نذكره .

(١) وفي التوراة : عوص .

(٢) وفي التوراة : اشور .

(٣) وفي نسخة أخرى : داريوس .

وفد اختلف في كيرش الذي ردّ بني اسرائيل الى القدس من هو بعد اتفاقهم على أنه من الفرس ، فقيل هو يستاسب ولم يكن ملكاً وإنما كان مملكاً على خوزستان وأعمالها من قبل كيقوس وبنجسون بن سياوش ولهراسب من بعدهما ، وكان عظيم الشأن ولم يكن ملكاً . وقيل إنّ كيرش هو ابن احشوارش بن جاماسب بن لهراسب ، وابوه أحشوارش هذا الذي بعثه بهممن . ولما رجع من ذلك الفتح بعثه الى ناحية الهند والسند وانصرف الى حصن الأبر فولاه بابل وتزوج من سبي بني اسرائيل ابنة ابي حاويل الرّحا واخت مردخاي من الرضاع ، وهو من أنبياء بني اسرائيل . فترغم النصارى انها ولدت عند حيرا حوارس إلى بابل ابنة كيرش هذا فحضنه مردخاي ولقنه دين اليهودية ، ولزم سائر أنبيائهم مثل متنيا وعازريا وميثائل وعزير . وولي دانيال احكام دولته ، وجعل إليه أمره وأذن له أن يخرج ما في الخزائن من السبي والذخائر والآنية ويردّه إلى مكانه ويقوم في بناء القدس فعمره . وراجع بنو اسرائيل وسأله هؤلاء الأنبياء أن يرجعوا إلى بيت المقدس فمنعهم اغتباطاً بمكانهم .

وقيل إنّ كيرش هو كيرش بن كيكوبن غليم بن سام ، وهو الذي كنا قدمنا أن بهممن بعثه مع قائده بختنصر الى فتح بيت المقدس ، وأنّ بختنصر ملكه بهممن على بابل ، وكان يسمى بختنرسي كما ذكرنا ، فملكها وملك ابنه من بعده ثلاثا وعشرين سنة ، ثم ابنه بلتنصر سنة واحدة ، ثم بلغ بهممن سوء سيرته فعزله وولّى على بابل داريوش المأذة بن ماداي ، ثم عزله وولى كيرش بن كيكو ، وكتب إليه بهممن بان يرفق بيني اسرائيل ويحسن ملكتهم وأن يردهم إلى أرضهم ويولي عليهم من يختارونه ، ففعل ، فاختاروا دانيال من أنبيائهم فولاه . وقيل وهو لعلماء بني اسرائيل انّ بلتنصر حافد بختنصر وهو ملك بابل والكلدانين ، وأنّ دارا ويسمى داريوش ملك ماري ، وكورش وهو كيرش ملك فارس ، كان في طاعته فانتقضا عليه ، وخرج إليهم في العساكر فانهزم أولاً ، ثم بعث عساكره وقواده إليهم فهزمهم ثم قتله خادمه على فراشه . ولحق بداريوش وكورش وزحفا إلى بابل فغلبا الكلدانين عليها ، واختص دارا وقومه مادي وأظنهم الديلم ببابل ونواحيها . واختص كورش وقومه فارس بسائر الاعمال والكور ، وكان كورش نذربناء بيت المقدس واطلاق الجالية ورد الآنية ، ثم هلك دارا وانفرد كورش بالملك على فارس ومادي ووفى بنذره هذا محصل الخلاف في بختنصر وكيرش والله أعلم .

الواقع ان الأسماء محرفة ومحوّرة عن الأصل حتى في الصفحة الواحدة يرد الاسم مختلفاً ، وهذا ما جعلنا نعود الى التوراة وبعض المراجع القديمة ومقابلتها لضبط هذه الاسماء قدر الامكان .

[illegible]

الخبر عن دولة الأسباط العشرة وملوكهم الى حين انقراض أمرهم

قد تقدّم لنا في دولة سليمان عليه السلام أنّ يربعام بن نباط من سبط افرايم كان والياً لسليمان على جميع نواحي يورشليم^(١) وهي بيت المقدس ، وقيل إنّها كان والياً على عمل بني يوسف بنابلس وما إليها ، وكان جباراً وان سليمان عوتب على ولايته من الله وانتقض ولحق بمصر ، فلما قبض سليمان وولي ابنه رحبعم واختلف عليه بنو إسرائيل بما بلوا من سوء ملكته والزيادة في الضرائب عليهم ، واجتمع الأسباط العشرة ما عدا يهوذا وبنيامين فاستقدموا يربعام بن نباط من مصر فبايعوا له وولوه الملك عليهم وحاربوا رحبعم ومن في طاعته وهم سبط يهوذا وبنيامين ، فامتنعوا عليهم بمدينة يورشليم ، ثم انحازوا إلى جهة فلسطين في عمل بني يوسف . ونزل يربعم مدينة نابلس بملك الأسباط العشرة ومنعهم من الدخول إلى بيت المقدس والقربان فيه ، وكان عاصياً مسخوط السيرة .

ولم يزل الحرب بينه وبين رحبعم بن سليمان وابنه أياً من بعده واثنين من ملك أسا بن أيا ، وكان أياً ظاهراً عليه في حروبه ، ثم هلك يربعام بن نباط لستين من ملك أياً ولثلاث وعشرين من ملكه ، فولّى مكانه على الأسباط يوناذاب وكان على مثل سيرة أبيه من الجور وعبادة الأصنام ، فسلط الله عليه بعشا بن أحيا فقتله وجميع أهل بيته لستين من ملكه . وقام بملك الأسباط فلم يزل يحارب أسا بن أياً وأهل القدس سائر أيامه . وكان أسا يستمدّ عليه بملك دمشق من الأرمن . وسار معه إليه مرة ، وكان أعشا بن أحيا نبي يثرب ، فأجفل أمامهم وترك الآلات فأخذها أسا وبني بها الحصون وهلك أعشا بن أحيا لأربع وعشرين سنة من ملكه ودفن في برصا مدينة ملكهم بعد أن أنذره بالهلاك نبهم فاهو . ولما هلك ولي بعده ابنه إيليا ، ويقال إيلها في السادسة والعشرين من ملك أسا فأقام سنين ثم بعث عساكر بني إسرائيل إلى محاصرة بعض المدن بفلسطين ، فوثب عليه سبط من الأسباط من عقب كان يعرف زمري صاحب المراكب ، ويقال ابن اليافا ، فقتله وجميع أهل بيته وقام

(١) هي اورشليم .

بالمملك ومكث أياما يسيرة خلال ما بلغ الخبر لبني اسرائيل بمكانهم من حصار فلسطين ، فلم يرضوه وملكوا عليهم صي بن كسات من سبطه ورجعوا الى زمري المتوثب على الملك فحاصروه ، فلما أحيط به دخل مجلس الملك وأوقد ناراً لتحرقه فاحترق فيه لسبعة أيام من فورتهم .

وكان عمري بن ناداب من سبط أفرايم ويلقب صاحب الحربة يرادف صي في الملك فقتله واستبد ، وذلك في الحادية والثلاثين من ملك أسا . ثم اختلف عليه بنو اسرائيل ونصب بعضهم بنيامين فنال من سبط يساخر ، وحاربهم عمري فغلبهم . وكان يتزل مدينة برصا ، ولست سنين من ملكه اختط مدينة السامرية ابتاع لها جبل شمران^(١) من رجل اسمه سامر بقنطار فضة ، وبني فيه قصوره وسميت سبسطية ، ثم غلبت عليها النسبة إلى البائع . ويقال إن الاسم كان شو مرون فعرب سامرة وأهملت شينها المثلثة ، وكانت هذه المدينة مدينة ملكهم الى انقراض أمرهم .

ثم هلك عمري لإثنتي عشرة سنة من ولايته ودفن في نابلس ، وقام بملك الأسباط من بعده ابنه أحاب^(٢) ، وكان على مذهبه ومذهب سلفه منهم من الكفر والعصيان ، وتزوج بنت ملك صيدا ، وبني هيكلاً بسامرة وجعل فيه صنما يسجد له وأفحش في قتل الأنبياء ، وبني قرية أريحاء ودعا عليه إيليا النبي فقحطوا ثلاث سنين خرج فيها إيليا إلى البرية فسكنها ، ثم رجع فدعا وأنزل الله المطر وذبح الذين حملوا أحاب على عبادة الأصنام هكذا قال ابن العميد .

والذي قاله الطبري إن هذا النبي الذي دعا عليهم هو الياس بن سين ، وقيل ابن ياسين من نسل فنحاص بن العازار . وكان بعث إلى أهل بعلبك وإلى أحاب وقومه . وقال الطبري : فكذبوه فأصابهم القحط ثلاثا ، ففزعوا إليه في الدعاء وباهلهم في أصنامهم فلم تغن شيئا ، فدعا لهم فطروا ، ثم انهم أقاموا على ما كانوا عليه من الكفر والعصيان . وكان أحاب شديداً عليه ودعا عليه الياس ثم طلب من الله أن يتوفاه بعد أن أنذر الناس بهلاكه وهلاك قومه بل عقبه . وتنبأ بعده إيسع بن أخطوب من سبط افرايم ، وقيل ابن عم الياس . وقال ابن عساكر : اسمه اسباط بن عدي بن شوليم

(١) وفي التوراة « واشترى جبل السامرة من شامر بوزنتين من الفضة .

(٢) وفي التوراة : احاب .

بن افرائيم . قال الطبري : كان مستخفياً مع الياس بجبل قاسيون من ملك بعلبك ، ثم خلفه في قريته انتهى كلام الطبري .

وقال ابن العميد : في أيام أحاب أوحى الله إلى إيليا أن يبارك على إلياس بن بغسا ففعل ذلك ، وان يبارك على أدوم بدمشق ، وعلى ياهو ملكاً على بني اسرائيل ففعل ذلك . وهو أيضاً على عهد أحاب فجاء سنداب ملك سورية فحاصر أحاب بن عمري والأسباط العشرة في السامرة ، وخرجوا إليه فهزموه واستلحموا عامة عسكره ، ثم رجع إليهم من العام القابل فخرجوا إليه وهزموه ثانياً وقتلوا من عسكره نحواً من مائة ألف ، ومروا في اتباعهم ، وامتنع سنداب في بعض حصونه وأحاطوا به فخرج إليهم مُلقياً بنفسه على ملكهم أحاب ، فعفا عنه وردّه إلى ملكه ، وسخط ذلك النبي من فعله وأنذره بعذاب يصيب ولده عقوبة من الله تعالى على إبقائه عليهم . ثم خرج أحاب من ملك الأسباط مع يهوشافاط ملك يهوذا المقدس لمحاربة ملك سورية ، فأصابه سهم هلك فيه ودفن بسامرة لإثنتين وعشرين سنة من ملكه . قال ابن العميد : وقيل لثمان عشرة . وقال إنما خرج لحرب كلعاد ملك أدوم فانهزم وقتل .

ولما هلك ملك من بعده ابنه أحزيا ويقال أمشيا وكان عاصياً سيئ السيرة قتل عاموص النبي وعبد بعلا الصنم وهلك لستين ، فملك أخوه يوآم وقيل انه لتسع عشرة من ملك يهوشافاط ملك الفرس ، فملك يوآم على الأسباط إثني عشرة سنة زحف فيها أولاً إلى مؤاب لما منعوه الجزية التي كانت عليهم للأسباط مائتين من الغنم في كل سنة ، واستنجد ملك يهوذا لحربهم فحاصروهم سبعة أيام وفقدوا الماء ، فاستسقى لهم اليسع وجرى الوادي وخرج أهل مؤاب يظنونهم دماً ، فقتلهم بنو اسرائيل . وجمع هداد ملك ادوم لحصار سامرة ونازلها ثلاث سنين ، ثم دعا عليهم اليسع فاجفلوا ورجعوا إلى بلادهم . وفي الثانية عشر من ملك يوآم ملك الأسباط ثار عليه يهوشافاط بن يشا من سبط منشا بن يوسف ، وذلك عند منصرفه من محاربة ملوك الجزيرة وأروم مع أحزيا بن يهورام ملك القدس ، وكان جريحاً فعاده أحزيا وكان هذا الفتى ياهويترصد قتل يوآم فأمكنه الفرصة فيه تلك الساعة فقتله وقتل معه أحزيا ملك القدس وبني يهوذا وملك على الأسباط .

وقال ابن العميد : خرج يثام بن أحاب ملك الأسباط لحرب أدوم ومعه أحزيا ملك القدس فقتلا جميعا في تلك الحرب . وقيل إن ياهو بن منشأ رمى بسهم فأصاب يثام بن أحاب فمات .

ولما ملك ياهو على الأسباط قتل بني أحاب كلهم كما أمره إيسع ، وهلك لخمس وثلاثين من ملكه وولي ابنه يواص ، وقيل يهوذا ، وثمان وعشرين من دولة يواص بن أحزيا ملك يهوذا القدس وكان قبيح السيرة عبداً للأصنام وعمل مذبحاً بسامرة وهلك لسبع عشرة من ملكه ، وولي بعده ابنه يواش لسبع وثلاثين من دولة يواص بالقدس وزحف إلى القدس فملكها من يد أمصيا ملك يهوذا ، وهدم من سورها أربعمائة ذراع ، وسبى أهل المقدس وسبى بني عزريا الكوهن ، وأخذ جميع ما في المسجد ورجع إلى سامرة . ومرض إيسع فعاده يواش فوعده بأنه يهلك أدوم ويظفر بهم ثلاث مرات ، فكان كذلك ، وهلك لثلاث عشرة سنة من ملكه . وولي من بعده ابنه يربعام وكان سيء السيرة وزحف إلى أمصيا ملك يهوذا ، وقيل إن الذي زحف إلى أمصيا إنما هو يواش أبوه ، فهزمه وأخذه أسيراً وسار به إلى القدس فاقتحمها عنوة وغنم جميع ما في خزانها وسبى بني عزريا الكوهن ، ورجع إلى السامرة فأطلق أمصيا . ثم لا حدى وأربعين سنة من ملكه ، ولسبع وعشرين من ملك عزيا هو بن أمصيا ملك القدس .

قال ابن العميد : وبقي بنو إسرائيل بالسامرة فوضى إحدى عشرة سنة ، ثم ملكوا ابنه زكريا في الثامنة والثلاثين من ملك عزيا هو فملك ستة أشهر ، وقال ابن العميد شهراً ، ثم وثب به مناخيم بن كاد من سبط زبلون من أهل برصا فقتله ، وملك مكانه إثنتي عشرة سنة . وقال ابن العميد عشر سنين . قال وفي التاسعة والثلاثين من ملك عزيا هو خرج إلى مدينة برصا ففتحها عنوة واستباحها ، وزحف إليه فول ملك الموصل فصانعه بألف قنطار من الفضة ورجع عنه ، وكانت سيرته رديئة ، ولما هلك مناخيم ملك ابنه بقحيا لأربعين من دولة عزيا ملك القدس فأقام فيهم إثنتي عشرة سنة ، وقال ابن العميد سنتين ، ثم ثار عليه من عماله باقح بن رصليا^(١) وكان على طريقة من تقدّمه في الضلال فأقام ملكاً على الأسباط بالسامرة عشر سنين ، وهلك لدولته عزيا بن أمصيا ملك يهوذا بالقدس ، وأقام باقح بن رصليا على سوء السيرة

(١) وفي نسخة أخرى : رصليا .

وعبادة الأصنام إلى أن قتله هويشيع بن إيليا من سبط كاد في الثالثة من ملك يواب ملك القدس وبقى الأسباط بعده فوضى عشر سنين ، ثم ملكوا قاتله هوبشيع بن إيليا المذكور ، فأقام مملكا عليهم سبع سنين وفي أيامه زحف إليه ملك أثور^(١) والموصل فصير الأسباط في دولته وأدّوا إليه الخراج ، ثم ان هويشيع راسل ملك مصر في الاستعانة به والرجوع إلى طاعته ، فلما بلغ ذلك إلى ملك الموصل زحف إليه وحاصره في مدينة السامرة ثلاث سنين واقتحمها في الرابعة . وتقبّض على هوبشيع لتسع سنين من ملكه ونقله مع الأسباط كلهم إلى الموصل ، ثم بعثهم إلى قرى أصبهان وأنزلهم بها ، وقطع ملك بني اسرائيل من السامرة وبقى ملك يهوذا وبنيامين بالقدس ، وكان ذلك لعهد اخزيا بن اخاز من ملوكهم لسنة من دولته .

وتعاقبت ملوكهم بعد ذلك بالقدس إلى أن انقرضوا . وجمع ملك الموصل من كوره غاراً وحماة وصفرارام ، ويقال ومركتا وأسكنهم بالسامرة . قال ابن العميد وتفسيرها حفيظة ويوآطر . قالوا وسلّط الله عليهم السباع يفترسونهم فبعثوا إلى ملك الموصل أن يعرفهم بصاحب قسمة السامرة من الكواكب ليتوجهوا إليه بما يناسبه على طريقة الصابئة ، فقبل إن العشرية التي رسخت فيها وهي دين اليهودية تمنع من ذلك ومن ظهور أثره . فبعث إليهم كوهنين من عامة اليهود يعلمانهم اليهودية فتلقوها عنهما ، فهذا أصل السامرة في فرق اليهود وليسوا منهم عند أهل ملّتهم لا في نسبهم ولا في دينهم ، والله مالك الأمور لا رب غيره ولا معبود سواه سبحانه وتعالى .

(١) وفي التوراة : اشور .

الخبر عن عمارة بيت المقدس بعد الخراب الأول وما كان لبنی اسرائیل فیها من الملك فی الدولتین لبنی حشمنای وبنی هیردوس إلى حین الخراب الثانی والجلوة الکبری

هذه الأخبار التي كانت لليهود ببيت المقدس والملك الذي كان لهم في العمارة بعد
جلاء بختنصر وأمر الدولتين اللتين كانتا لهم في تلك المدة ، لم يكتب فيها أحد من
الأئمة ولا وقفت في كتب التواريخ مع كثرتها واتساعها على ما يلزم بشيء من ذلك .
ووقع بيدي وأنا بمصر تأليف لبعض علماء بني اسرائيل من أهل ذلك العصر في أخبار
البيت والدولتين اللتين كانتا بها ما بين خراب بختنصر الأول وخراب طيطش^(١) الثاني
الذي كانت عنده الجلوة الكبرى ، استوفى فيه أخبار تلك المدة بزعمه ومؤلف
الكتاب يُسمى يوسف بن كريون وزعم أنه كان من عظماء اليهود وقوادهم عند زحف
الروم إليهم ، وأنه كان على صولة^(٢) ، فحاصره أسبيانوس أبو طيطش واقتحمها
عليه عنوة ، وفر يوسف إلى بعض الشباب وكمن فيها ثم حصل في قبضته بعد ذلك ،
واستبقاه ومنّ عليه وبقي في جملته . وكانت له تلك وسيلة إلى ابنه طيطش عندما
أجلى بني اسرائيل عن البيت فتركه بها للعبادة كما يأتي في أخباره . هذا هو التعريف
بالمؤلف .

وأما الكتاب فاستوعب فيه أخبار البيت واليهود بتلك المدة وأخبار الدولتين اللتين كانتا
بها لبنی حشمنای وبنی هیردوس من اليهود ، وما حدث في ذلك من الأحداث
فلخصتها هنا كما وجدتها فيه لأنني لم أقف على شيء فيها . لسواه ، والقوم أعلم بأخبارهم
إذا لم يعارضها ما يقدم عليها . وكما قال صلى الله عليه وسلم : لا تصدّقوا أهل
الكتاب . فقد قال ولا تكذبوهم . مع أن ذلك إنما هو راجع إلى أخبار اليهود
وقصص الأنبياء التي كان فيها التشريل من عند الله ، لقوله بعد ذلك : « وقولوا آمنا
بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم » . وأما الخبر عن الوقائع المستندة إلى الحس فخير
الراحد كاف فيه إذا غلب على الظن صحته ، فينبغي أن نلحق هذه الأخبار بما تقدم

(١) وفي نسخة أخرى : طيطس .

(٢) قوله على صولة : بلد قريب من المقدس كما في التوراة ولعلها المسماة اليوم بصفد (بخط العطار) .

من أخبارهم لتكمل لنا أحوالهم من أول أمرهم إلى آخره والله أعلم . ولم التزم صدقه من كذبه والله المستعان .

قال الطبري وغيره من الأئمة : كان يرميا ويقال أرميا بن خلقيا من أنبياء بني اسرائيل ومن سبط لاوى ، وكان لعهد صدقيا هو آخر ملوك بني يهوذا بيت المقدس ، ولما توغلوا في الكفر والعصيان أُنذِرهم بالهلاك على يد بختنصر وسأله عنه وأطلقه واحتمله معه في السبي ، وكان فيما يقوله أرميا إنهم يرجعون إلى بيت المقدس بعد سبعين سنة يملك فيها بختنصر وابنه وابن ابنه ويهلكون ، وإذا فرغت مملكة الكلدانيين بعد السبعين يفتقدكم . يخاطب بذلك بني اسرائيل في نص آخر له عند كمال سبعين لخراب المقدس . وكان شعيا بن أمصيا من أنبيائهم أخبرهم بأنهم يرجعون إلى بيت المقدس على يد كورش من ملوك الفرس ، ولم يكن وجد لذلك العهد ، فلما استولى كورش على بابل وأزال مملكة الكلدانيين أذن لبني اسرائيل في الرجوع إلى بيت المقدس وعمارة مسجدها ، ونادى في الناس أن الله أوصاني أن أبني بيتا فمن كان لله وسعيه لله فليمض إلى بنائه . فمضى بنو اسرائيل في اثنين وأربعين ألفا وعليهم زيريا فيل ، بالفاء الهوائية ، بن شالتهيل بن يوخنيا آخر ملوكهم بالقدس الذي حبسه بختنصر وقد مر ذكره . وقد مضى معهم عزير النبي من عقب أشيوع بن فنحاص ابن العازر بن هارون وبينه وبين أشيوع ستة آباء . لم أثق بنقلها لغلبة الظن بأنها مصحفة ، وردّ عليهم كورش الأواني وكانت لا يعبر عنها من الكثرة . قال ابن العميد : كانت خمسة آلاف وأربعمائة قصعة ذهبا وفضة . فمضوا إلى بيت المقدس وشرعوا في العمارة وشرع كورش وسعى عليهم في ابطال ذلك بعض اعدائهم من السامرة ، ولم يكن أمد السبعين التي وعدهم بها انقضى لأن الخراب كان لثمان عشرة من ملك بختنصر وكانت دولته خمسة وأربعين ومدة ابنه وابن ابنه خمس وعشرون ، فبقيت من السبعين ثمانية عشر التي نفدت من ملك بختنصر قبل الخراب ، فمنعوا من العمارة بسعاية السامرية إلى أن انقضت الثمان عشرة .

وجاءت دولة دارا من ملوك الفرس فأذن لهم في العمارة وعاد السامرة لسعايتهم في ابطال ذلك عند دارا ، فأخبره أهل دولته أن كورش أذن لهم في ذلك فخلّى سبيلهم وعمروا بيت المقدس في الثانية من ملك دارا الأول ، وهو أرفخشذ والكوهن يومئذ عزير ، وجدّد لهم التوراة بعد سنتين من رجوعهم إلى البيت . ثم هلك زيريا فيل

وخلفه فيهم بهشميَّاس ، وقبض العزير وخلفه شمعون الصفا من بني هرون أيضا .
 وقال يوسف بن كريون : إن بختنصر لما رجع إلى بابل أقام ملكاً سبعا وعشرين
 سنة ، وملك بعده ابنه بَلْتَنَصَّر ثلاث سنين ، وانتقض عليه داريوش ملك ماضي ،
 وأظنهم الديلم وكيرش ملك فارس ، وهزمتهم عساكره كما مر ، فعمل في بعض أيامه
 صنيعاً لقواده سروراً بالواقع ، وسقاهم في أواني بيت المقدس التي احتملها جدّه من
 الهيكل ، فسخط الله لذلك ورأى تلك الساعة كأنّ يداً خرجت من الحائط تومي
 بكتابة كلمات بالخط الكلداني والكلمات عبرانية ، وهي أحصى وزن نفذ ، فارتاع
 لذلك هو والحاضرون وفرغ إلى دانيال النبي في تفسيرها . قال وَهَبُ بن منيّه وهو من
 أعقاب حزقيل الأصغر وكان خلفاً من دانيال الأكبر ، فقال له دانيال : هذه الكلمات
 تنذر بزوال ملكك ومعناها أنّ الله أحصى مدّة ملكك ، ووزن أعمالك ، ونفذ قضاؤه
 بزوال ملكك عنك وعن قومك . وقتل في تلك الليلة بَلْتَنَصَّر ، وكان ما قدّمناه من
 استقلال كورش وقومه فارس بالملك ورد الجالية إلى بيت المقدس ، وأطلق لهم المال
 لعمارتها شكراً على الظفر بالكلدانيين ومضى بنو اسرائيل ومعهم عزّوا الكاهن ونجمياً
 ومردخاي وجميع رؤوساء الجالية بينون البيت والمذبح على حدودها وقربوا القرايين .
 وكان كورش بعد ذلك يطلق لهم في كل سنة من الحنطة والزيت والبقر والغنم والخمر
 ما يحتاجون اليه في خدمة البيت ويطلق لهم جراية واسعة . وجرى ملوك الفرس بعده
 على سنته في ذلك إلا قليلاً في أيام أخشويروش^(١) منهم ، كان وزيره هامان وكان
 من العمالقة ، وكان طالوت قد استخلفهم بأمر الله ، فكان هامان يعاديهم لذلك
 وعظمت سعايته فيهم وحمله على قتلهم . وكان مردخاي من رؤوسائهم قد زوج أخته
 من الرضاع لأخشويروش ، فدس إليها مردخاي أن تشفع إلى الملك في قومها فقبلها
 وعطف عليهم وأعادهم إلى أن انقرضت دولة الفرس بمهلك دارا ، واستولى بنو يونان
 بمهلك دارا على ملك فارس .

وملك الاسكندر بن فيلفوس^(٢) ودوّخ الأرض ، وفتح سواحل الشام ، وسار إلى
 بيت المقدس لأنها من طاعة دارا ، وخاف الكهنة من وصوله إليهم ، ورأى في بعض

(١) وفي التوراة سفر استير الفصل السادس : احشوروش وفي كتب التاريخ احشويروش .

(٢) هو الإسكندر المقدوني ابن فيلبس .

تمثال^(١) رجلاً فقال : أنا رجل أرسلت لمعونتك . ونهاه عن أذية المقدس ، وأوصاه بامتثال اشارتهم . فلما وصل إلى البيت لقيه الكُوهن ، فبالغ في تعظيمه ودخل معه إلى الهيكل ، وبارك عليه ، ورغب إليه الإسكندر أن يضع هنالك تمثاله من الذهب ليذكر به ، فقال : هذا حرام لكن تصرف همتك في مصالح الكهنة والمصلين ويجعل لك من الذكر دعاؤهم لك ، وأن يسمي كل مولود لبني اسرائيل في هذه السنة بالاسكندر ، فرضي الاسكندر وحمل لهم المال وأجزل عطية الكوهن ، وسأله أن يستخير الله في حرب دارا ، فقال له : امضِ والله مُظْفِرُكَ . وحض دانيال وقص عليه الإسكندر رؤيا رآها فأولها له بأنه يظفر بدارا .

ثم انصرف الاسكندر وسار في نواحي بيت المقدس ، ومرّ بنابلس ولقيه سنبلاط السامريّ وكان أهل المقدس أخرجوه عنهم ، فأضافه وأهدى له أموالاً وأمتعة واستأذنه في بناء هيكل في طول بريد فأذن له ، فبناه وأقام صهره منشأ كُوهناً فيه ، وزعم أنه المراد بقوله في التوراة اجعل البركة على جيل كريد . فقصده اليهود في الأعياد ، وحملوا اليه القرابين وعظم أمره ، وغص بشأنه أهل بيت المقدس ، إلى أن خربه هرمايوس بن شمعون أول ملوك بني حشمناي كما يأتي ذكره .

ثم هلك الإسكندر ببابل بعد استيفاء مدته لإثنتين وثلاثين من ملكه وقد كان قسم ملكه بين عظماء دولته ، فكان سَلْيَاقُوس بعد الإسكندر وكان عظيم أصحابه ، فأكرم اليهود وحمل المال إلى فقراء البيت ثم سعى عنده بأن في الهيكل أموالاً وذخائر نفيسة ورغبوه في ذلك ، فبعث عظيمًا من قواده اسمه أَرْدُوس ليقبض ذلك المال فحضر بالبيت ، وأنكر الكاهن حَنِينان^(٢) أن يكون بالبيت إلا بقية الصدقات من فارس ويونان وما أعطاهم سَلْيَاقُوس آنفاً ، فلم يقبل ، ووكل بهم في الهيكل فتوجهوا بالدعاء . وجاء أَرْدُوس ليقبض المال فصدع في طريقه ، وجاء أصحابه إلى الكوهن حَنِينا وجماعة الكهنة يسألون الاقالة والدعاء لأردوس ، فدعوا له وعوفي وارتحل . وازداد الملك سَلْيَاقُوس اعظاماً للبيت وحمل ما كان يحمل إليهم مضاعفاً .

(١) العبارة هنا مشوشة ولم نجد في المراجع التي بين أيدينا على ما يصحح هذه العبارة . ومقتضى السياق : ورأى امام تمثال رجلاً فقال ...

(٢) ورد اسمه في التوراة حناني (سفر تحميا — الفصل الأول) .

قال ابن كريون : ثم ترجمت التوراة لليونانيين وكان من خبرها أن تلامي (١) ملك مصر من اليونانيين بعد الإسكندر ، وكان من أهل مقدونية ، وكان محباً للعلوم ومشغوفاً بالحكمة والكتب الإلهية . وذكرت له كتب اليهود الأربعة والعشرون سفراً فتاقت نفسه للوقوف عليها ، وكتب إلى كهنون القدس في ذلك وأهدى له ، فاختار سبعين من أحبار اليهود وعلمائهم وفيهم كوهن عظيم اسمه أليازر ، وبعثهم إليه ومعهم الأسفار فتلقاهاهم بالكرامة وأوسع لهم النزول ورتب مع كل واحد كاتباً يملئ عليه ما يترجم له ، حتى ترجم الأسفار من العبرانية إلى اليونانية ، وصححها وأجاز الأحبار وأطلق لهم من كان بمصر من سبي اليهود نحواً من مائة ألف ، وصنع مائدة من الذهب نقش عليها صورة أرض مصر والنيل ورصعها بالجواهر والفصوص وبعث بها إلى القدس فأودعت في الهيكل .

ثم ملك تلامي صاحب مصر ، واستولى بعده أنطيوخوس صاحب مقدونية على أنطاكية ثم على مصر ، وأطاعه ملوك الطوائف بأرض العراق ، واستفحل ملكه وعظم طغيانه ، وأمر الأمم بعبادة الأصنام . وعمل أصناماً على صورته ، فامتنع اليهود من قبولها وسعى بهم عنده بعض شرارهم ، وكانوا أهل نجدة وشوكة ، فسار أنطيوخوس إليهم وأثنى فيهم بالقتل والسبي ، وفروا إلى الجبال والبراري ، فرجع واستخلف على بيت المقدس قائده فليلقوس ، وأمره أن يحملهم على السجود لأصنامهم وعلى أكل الخنزير وترك السبت والختان ، ويقتل من يخالفه . ففعل ذلك أشد ما يكون ، وبسط على اليهود أيدي أولئك الأشرار الساعين ، وقتل العازر الكوهن الذي ترجم لهم التوراة لما امتنع من السجود لصنمه وأكل قربانه . وكان فيمن هرب إلى الجبال والبراري متيتياً بن يوحنا بن شمعون الكوهن الأعظم ويعرف بجشمناي بن حونيا من بني نوداب من نسل هارون عليه السلام ، وكان رجلاً صالحاً خيراً شجاعاً ، وأقام بالبرية وحزن لما نزل بقومه . فلما أبعد أنطيوخوس الرحلة عن القدس ، بعث متيتياً إلى اليهود يعرفهم بمكانه ، وينمض لهم ويحرضهم على الثورة على اليونانيين ، فأجابوه وتراسلوا في ذلك ، وبلغ الخبر فليلقوس قائد أنطيوخوس ، فسار في عسكره إلى البرية طالبا متيتياً وأصحابه ، فلما وصل إليهم حاربهم فغلبوه وانهمزم في عساكره .

(١) هو بطليموس مؤسس دولة البطالسة في مصر .

وقوي اليهود على الخلاف ، وهلك متيتيا خلال ذلك وقام بأمره ابنه يهوذا فهزم
عساكر فليلقوس ثانية . وشغل أنطيوخوس بحروب الفرس فزحف إليهم من مقدونية ،
واستخلف عليهم ابنه أفظر ، وضم إليه عظيماً من قومه اسمه ليشاوش ، وأمرهم أن
يبعثوا العساكر إلى اليهود ، فبعثوا ثلاثة من قوادهم وهم نيقانور وتلميئاس
وصردوس ، وعهد إليهم بإبادة اليهود حيث كانوا فسارت العساكر ، واستنفروا سائر
الأرمن من نواحي دمشق وحلب ، وأعداء اليهود من فلسطين وغيرهم . وزحف يهوذا
بن متيتيا مقدّم اليهود للقائهم بعد أن تضرعوا إلى الله وطاقوا بالبيت وتمسحوا به ،
ولقيهم عسكر نيقانور فهزموه ، واثخنوا فيه بالقتل ، وغنموا ما معهم ، ثم لقيهم
عسكر القائد ابن تلميئاس وصردوس ثانياً فهزموهما كذلك ، وقبضوا على فليلقوس
القائد الأول لأنطيوخوس فأحرقوه بالنار ، ورجع نيقانور إلى مقدونية فدخلها وخبر
ليشاوش وأفظر ابن الملك بالهزيمة ، فجزعوا لها . ثم جاءهم أنخبر بهزيمة أنطيوخوس أمام
الفرس ، ثم وصل إلى مقدونية واشتد غيظه على اليهود ، وجمع لغزوهم فهلك دون
ذلك بطاعون في جسده ، ودفن في طريقه . وملك أفظر وسموه أنطيوخوس باسم
أبيه .

ورجع يهوذا بن متيتيا إلى القدس ، فهدم جميع ما بناه أنطيوخوس من المذابح ، وأزال
ما نصبه من الأصنام ، وطهر المسجد ، وبنى مذبحاً جديداً للقربان ، فوضع فيه
الخطب ودعا الله أن يريهم آية في اشتعاله من غير نار ، فاشتعل كذلك ولم ينطفئ إلى
الخراب الثاني أيام الجلوة ، واتخذوا ذلك اليوم عيداً سموه عيد العساكر .
ونازل ليشاوش فزحف إليه يهوذا بن متيتيا في عسكر اليهود وثبت عسكر ليشاوش
فانهزموا ، ولجأ إلى بعض الحصون وطلب التزول على الأمان على أن لا يعود إلى
حربهم ، فأجابه يهوذا على أن يدخل أفظر معه في العقد وكان ذلك . وتم الصلح
وعاهد أفظر اليهود على أن لا يسير إليهم ، وشغل يهوذا بالنظر في مصالح قومه .
قال ابن كريون : وكان لذلك العهد ابتداء أمر الكيتم وهم الروم ، وكانوا برومية وكان
أمرهم شوري بين ثلثمائة وعشرين رئيساً ، ورئيس واحد عليهم يسمونه الشيخ يدبر
أمرهم ، ويدفعون للحروب من يثقون بغنائه وكفايته منهم أو من سواهم . هكذا كان
شأنهم لذلك العهد ، وكانوا قد غلبوا اليونانيين واستولوا على ملكهم ، واجازوا البحر
إلى إفريقية فملكوها كما يأتي في أخبارهم ، فأجمعوا السير إلى أنطيوخوس أفظر وابن

عمه ليشاوش بقية ملوك يونان بأنطاكية ، وكاتبوا يهوذا ملك بني اسرائيل بالقدس يستميلونهم عن طاعة أنطيوخوس واليونانيين فأجابوهم إلى ذلك ، وبلغ ذلك أنطيوخوس فنبد إلى اليهود عهدهم وسار إلى حربهم فهزموه ونالوا منه . ثم راسلهم في الصلح وأن يقيموا على عهدهم معه وتحمل بيت المقدس بما كان يحمله من المال ، وأن يقتل من عنده من شرار اليهود الساعين عليهم ، فتم العهد بينهم على ذلك وقتل شملاوش من الساعين على اليهود ، ثم جهز أهل رومة قائد حروبهم دمترياس^(١) بن سلياقوس إلى أنطاكية ، ولقيه أنطيوخوس أفطر فانهزم أنطيوخوس وقتل هو وابن عمه ليشاوش ، وملك الروم أنطاكية . ونزلها قائدهم دمترياس وكان أقيموس الكوهن من شرار اليهود عند أنطيوخوس ، فلما ملك دمترياس قائد الروم فسعى عنده في اليهود ورغبه في ملك القدس والاستيلاء على أمواله ، فبعث قائده نيقانور لذلك وخرج يهوذا ملك القدس لتلقيه وطاعته ، وقدم بين يديه الهدايا والتحف ، فقال نيقانور إلى مسالمة اليهود وحسن رأيه وأكد بينه وبينهم العهد . ورجع وبادر أقيموس الكوهن إلى دمترياس وأخبره بميل قائده نيقانور إلى اليهود ، وزاد في إغرائه فبعث إلى قائده ينكر عليه ويستحثه لإنفاذ أمره ، وأن يحمل يهوذا مُقَيِّداً . وبلغ ذلك يهوذا فلهق بمدينة السامرة صَبْصَطِيَّة ، واتبعه نيقانور في العساكر فكَرَّ عليه يهوذا وهزمه وقتل أكثر عساكر الروم الذين معه . ثم ظفر به فصلبه على الهيكل بيت المقدس ، واتخذ اليهود ذلك اليوم عيداً وهو ثالث عشر آذار .

ثم بعث قائد الروم دمترياس من قابل قائده الآخر يَغْتَرُوس في ثلاثين ألفاً من الروم لمحاربة اليهود ، وخرجت عساكرهم من القدس ، وفروا عن ملكهم يهوذا وافترقوا في الشعاب ، وأقام معه منهم فلٌ قليل ، واتبعهم يَغْتَرُوس فلقبه يهوذا وأكمن له فانهزم اليهود ، وخرج عليهم كمين الروم فقتل يهوذا في كثير من ولايته ودفن إلى جانب أبيه متيتياً . ولحق أخوه يوناثال فيمن بقي من اليهود ، بنواحي الأردن وتحصنوا ببئر سبع ، فحاصرهم يَغْتَرُوس هنالك أياماً ، ثم بيتوه فهزموه وخرج يوناثال واليهود في اتباعه فتقبضوا عليه ، ثم أطلقوه على مسالمة اليهود وأن لا يسير إلى حربهم . فهلك يوناثال إثر ذلك وقام بأمر اليهود أخوهما الثالث شِمْعُون ، فاجتمع إليه اليهود من كل ناحية وعظمت عساكره ، وغزا جميع أعدائهم ومن ظاهر عليهم من سائر الأمم ، وزحف

(١) هو القائد الروماني الشهير ميتريدات .

إليه دمترياس قائد الروم بانطاكية فهزمه شمعون وقتل غالب عسكره .
ولم تعاودهم الروم بعدها بالحرب إلى أن هلك شمعون . وثب عليه صهره تلماي زوج
أخته فقتله وتقبض على بنيه وامراته ، وهرب ابنه الأكبر قانوس بن شمعون إلى غزة
فامتنع بها ، وكان اسمه يوحان وكان شجاعا قتل في بعض الحروب شجاعاً اسمه
هرقانوس فسمّاه أبوه باسمه . ثم اجتمع عليه اليهود وملكوه وسار إلى بيت المقدس ،
وفر تلماي المتوثب على أبيه إلى حصن داخون ، فامتنع به وسار هرّقانوس إلى محاربتة
وضيق عليه ، وأشرف تلماي في بعض الأيام من فوق السور بأم هرّقانوس وأخته
يتهدده بقتلها ، فكف عن الحرب ، وانصرف لحضور عيد المظال ببيت المقدس
فقتل تلماي أخته وأمه وفر من الحصن .

قال ابن كريتون : ثم زحف دمترياس بن سلياقوس قائد الروم إلى القدس وحاصر
اليهود فامتنعوا ، وثلم السور ، وراسلوه في تأخير الحرب إلى انقضاء عيدهم ، ففعل
على أن يكون له نصيب في القربان . ووقعت في نفسه صاغية اليهم ، وأهدى تماثيل
للبيت فحسن موقعها عندهم ، وراسلوه في الصلح على المسالمة والمظاهرة لبعض
فاجاب . وخرج إليه هرّقانوس ملك اليهود وأعطاه ثلاثمائة بدره من الذهب استخرجها
من بعض قبور بني داود . ورحل عنهم الروم ، وشغل هرّقانوس في رمّ ما تُلِم^(١) من
السور ، وحدثت خلال ذلك فتنة بين الفرس والروم فسار إليهم دمترياس في جموع
الروم ، وبينما أبطأ هرّقانوس ملك اليهود لحضور عيدهم اذ جاءه الخبر بأن الفرس
هزموا دمترياس ، فنهز الفرصة وزحف إلى أعدائه من أهل الشام وفتح نابلس
وحصون أروم التي بجبل الشراة ، وقتل منهم خلقا ووضع عليهم الجزية واخذهم
بالختان والتزام أحكام التوراة ، وخرّب الهيكل الذي بناه سنبلاط السامري في طول
بريد بإذن الإسكندر ، وقهر جميع الأمم المجاورين لهم ، ثم بعث وجوه اليهود
وأعيانهم إلى الأشياخ والمدبرين بومّة يسأل تجديد العهد ، وأن يردّوا على اليهود ما
أخذ أنطيوخوس ويونان من بلادهم التي صارت في مملكة الروم ، فأجابوا وكتبوا له
العهد بذلك وخاطبوه بملك اليهود . وإنما كان يسمى من سلف قبله من آبائه بالكوهن
فسمى نفسه من يومئذ بالملك ، وجمع بين منزلة الكهنوتة ومنزلة الملك ، وكان أول
ملوك بني حشمناي . ثم سار إلى مدينة السامرة صببصطية ففتحها وخرّبها وقتل أهلها .

(١) أي ترميم ما تهدم .

قال ابن كرىون : وكان اليهود في دينهم يومئذ ثلاث فرق . فرقة الفقهاء وأهل القياس^(١) ويسمّونهم الفروشم وهم الرّبانيّون ، وفرقة الظاهريّة المتعلقين بظواهر الألفاظ من كتابهم ويسمّونهم الصدوقيّة وهم القرائون ، وفرقة العبّاد المنقطعين إلى العبادة والتسبيح والزهاد فيما سوى ذلك ويسمّونهم الحيسيد . وكان هرّقانوس وآباؤه من الربانيين ، ففارق مذهبهم إلى القرائين لأنّه جمع اليهود يوما عندما تمهّد أمره ، وأخذ بمذاهب الملك ، وألقى به في صنيع احتفل فيه وألان لهم جانبه وخضع في قوله وقال : أريد منكم النصيحة . فطمع بعض الربانيين فيه وقال : إنّ النصيحة أن تنزل عن الكهنوت وتقتصر على الملك وقد فاتك شرطها لأنّ أمك كانت سيية من أيام أنطيوخوس . فغضب لذلك وقال للربانيين : قد حكمتكم في صاحبكم فأخذوا في تأديبه بالضرب فتنكر لهم من أجل ذلك ، وفارق مذهبهم إلى مذهب القرائين ، وقتل من الربانيين خلقاً كثيراً ، ونشأت الفتنة بين هاتين الطائفتين من اليهود ، واتصلت بينهم الحرب إلى هذا العهد .

وهلك هرّقانوس لاحدى وثلاثين سنة من دولته ، وملك بعده ابنه أرسنبّلوس وكان كبيرهم ، وكان له ولدان آخران وهم أنطقنوس ويحبّ الملك له ويبغض الإسكندر فأبعده إلى جبل الخليل ، فلما ملك أرسنبّلوس أخذ من اخوته بمذهب أبيهم وقبض على الإسكندر وأمه واستخلص أنطقنوس وقدمه على العساكر ، واكتفى به في الحروب ، وترفع عن تاج الكهنوت ولبس تاج الملك . وخرج أنطقنوس إلى الأمم المجاورين الخارجين عن طاعتهم فردّهم إلى الطاعة ، وكثرت السعاية فيه عند أخيه من البطانة وأغروه به ، فلما قدم أنطقنوس من مغيبه وافق عيد المظال ، وكان أخوه ملتزماً بيته لمرض طرّقه ، فعدل أنطقنوس عن بيته إلى الهيكل للتبرك ، فأوهما الملك أنّه إنما فعل ذلك لاستمالة الكهنوتية والعامة وأنّه يروم قتل أخيه ، وعلامة ذلك أنّه جاء بسلاحه ، فعهد أرسنبّلوس إلى حشمانه وغللمان قصره إن جاء متسلحاً أن يقتلوه . وكان ذلك وتمت حيلة البطانة وسعايتهم عليه وعلم أرسنبّلوس أن قد خدع في أخيه ، فندم واغتم ولطم صدره حتى قذف الدم من فيه ، وأقام عليلًا بعده حولاً كاملاً ثم هلك . فأفرجوا على أخيه الإسكندر من محبسه ، وبايعوا له بالملك واستقام له الأمر ، ثم انتقض عليه أهل عكا وأهل صيدا وأهل غزة بعثوا إلى قبرص ، وسار

(١) وفي نسخة اخرى : أهل القياقة .

الإسكندر إلى عكا فحاصرها وكانت كلوبطره ملكة من بقية اليونان قد انتقض عليها ابنها واسمه الظيرو وأجاز البحر إلى جزيرة قبرص فملكها ، فبعث أهل عكا أنهم يملكونه وأجاز إليهم في ثلاثين ألف مقاتل ، حتى اذا أفرج الإسكندر عن حصارهم راجعوا أمرهم ومنعوا الظير ، وامن الدخول إليهم ، فسار في بلاد الإسكندر ونزل على جبل الخليل فقتل منه خلقاً ، ونزل على الأردن . وفي خلال ذلك زحف الإسكندر إلى صيدا ففتحها عنوة واستباحها ، وعاد إلى القدس وقد أطاعته البلاد وحسم داء المتقضين عليه .

ثم تجددت الفتنة بين اليهود بالقدس وذلك أنهم اجتمعوا في عيد المظال بالمسجد ، وحضر الإسكندر معهم فتلاعبوا بين يديه مراماة بما عندهم من مشموم ومأكول ، وأصاب الإسكندر رمية من الربانيين فغضب لها ، وشاتمهم القراون بما كانوا من شيعته ، فشتموا الإسكندر وقتلوا الشاتم وأصحابه فلم يغن عنهم ، وعظم فيهم الفتك وانفض الجمع ، وعهد الإسكندر ان يستد المذبح والكهنة بجائط عن الناس ، ونفذ أمره بذلك ، واتصلت الفتنة بين اليهود ست سنين قتل من الربانيين نحو من خمسين ألفاً ، والاسكندر يعين القرائين عليهم ، وبعثوا إلى دمتریوس المسمى أنطيوخوس ، وبذلوا له المال فسار معهم إلى نابلس ولقي الإسكندر فهزمه وقتل عامة أصحابه ورجع . فخرج الإسكندر إلى الربانيين وأثنى فيهم وظفر منهم بجماعة تزيد على ثلثائة فقتلهم صبراً وقهر سائر اليهود . وسار إلى دمتریوس ففتح الكثير من بلاده ، وخرج فظفر به الإسكندر وقتله .

وعاد إلى بيت المقدس لثلاث سنين في محاربة الربانيين ودمتریوس ، فاستقام أمره وعظم سلطانه ثم طرقة المرض فقام عليلاً ثلاثاً آخرين ، وخرج بعدها لحصار بعض الحصون وانتقضوا عليه فمات هنالك ، وأوصى امرأته الإسكندرية بكتمان موته حتى يفتح الحصن وتسير بشلوه^(١) إلى القدس فتدفنه فيه ، وتصانع الربانيين على ولدها فتملكه ، لأن العامة إليهم أميل . ففعلت ذلك واستدعت من كان نافرا من الربانيين ، وجمعتهم وقدمتهم للشورى ، واستبدت بالملك . وكان لها إبنان من الإسكندر بن هرقلانوس ، اسم الأكبر منها هرقلانوس ، والآخر أرسنبلوس ، وكانا صغيرين عند موت أبيهما فلما كبرا عينت هرقلانوس للكهنة وقدمت أرسنبلوس على

(١) ج اشلاء وهنا تعني جثته أو رفاتة .

العساكر والحروب ، وضمت إليه الرّبّانيين ، وأخذت الرهن من جميع الأمم وسألها الرّبّانيون في الأخذ بثأرهم من القرائين خلقاً كثيراً . وجاء القراؤون إلى ابنها الكهّنون ينكرون ذلك وآته إذا فعل بهم ذلك ، وقد كانوا شيعا لأبيه الإسكندر ، فقد تحدث النفرة من سائر الناس . وسألوه أن يلتمس لهم اذنّها في الخروج عن القدس والبعد عن الرّبّانيين ، فأذنت لهم رغبة في انقطاع الفتنة ، وخرج معهم وجوه العسكر . ثم ماتت خلال ذلك لتسع سنين من دولتها ، ويقال إن ظهور عيسى صلوات الله عليه كان في أيامها . وكان ابنها أرسطبلوس قائد العسكر لما شعر بموتها خرج إلى القرائين يستدعيهم إلى نصرته فأجازوه ، وتقبضت هي على إبنيه وامراته ، واجتمعت عليه العساكر من النواحي وضرب البوق وزحف لحرب أخيه هرّقانوس والرّبّانيين ، وحاصروهم أرسطبلوس بيت المقدس ، وعزم على هدم الحصن فخرج إليه أعبيان اليهود والكهّنونة ساعين في الصلح بينهما ، وأجاب على أن يكون ملكاً ويبقى هرّقانوس على الكهّنونة ، فتم ذلك واستقر عليه أمره .

ابتداء أمر انظفتر^(١) أبو هيردوس

ثم سعى في الفتنة بينهما انظفتر أبو هيردوس ، وكان من عطاء بني اسرائيل من الذين جمعوا مع الغزير من بابل ، وكان ذا شجاعة وبأس ، وله يسار وقنة من الضياع والمواشي . وكان الاسكندر قد ولّاه على بلاد أروم^(٢) وهي جبال الشراة ، فأقام في ولايتها سنين ، وكثر ماله وأنكحوه منهم ، فكان له منها أربعة من الأبناء وهم فسيلو وهيردوس وفرودا ويوسف ، وبنت اسمها سلومث . وقيل أن أنظفتر لم يكن من بني اسرائيل ، وإنما كان من أروم وربى في جملة بني خشمناي وبيوتهم . فلما مات الاسكندر وملك زوجته الاسكندرة عزلته عن جبال الشراة ، فأقام بالقدس . حتى اذا استبد بالامر أرسطبلوس ، وكان بين هرّقانوس وأنظفتر مودة وصحبة ، فغصّ أرسطبلوس بمكانه من أخيه لما يعلم من مكر أنظفتر وهمّ بقتله ، فانفض عنه وأخذ في التدبير على أرسطبلوس . وفشا في الناس تبغضه إليهم وينكر تغلبه ، ويذكر لهم أن هرّقانوس أحق بالملك منه ، ثم حذر هرّقانوس من أخيه وخيل إليه أنه يريد قتله ،

(١) وهو معروف في التاريخ باسم انتيباتر

(٢) وفي نسخة ثانية أدوم

وبعث لشيعة هرقانوس المال على تخويله من ذلك حتى تمكن منه الخوف ، ثم أشار عليه بالخروج الى ملك العرب هرثمة ، وكان يحب هرقانوس ، فعقد معه عهداً على ذلك ، ولحق هرقانوس بهرثمة ومعه أنظفتر ، ثم دعوا هرثمة الى حرب أرسنبلوس فأجابهم بعد مراوغة ، وتزاحفوا ونزع الكثير من عسكر أرسنبلوس إلى هرقانوس ، فرجع هارباً الى القدس ، ونازلهم هرقانوس وهرثمة واتصلت الحرب وطال الحصار .

وحضر عيد الفطير وافتقد اليهود القرايين فبعثوا إلى أصحاب هرقانوس فيها ، فاشتطوا في الثمن ، ثم أخذوه ولم يعطوهم شيئاً ، وقتلوا بعض النساء طلبوه في الدعاء على أرسنبلوس وأصحابه ، وامتنع فقتلوه ، ووقع فيهم الوباء فمات منهم أمم .

قال ابن كريون : وكان الأرمن ببلاد دمشق وحمص وحلب ، وكانوا في طاعة الروم ، فانتقضوا عليهم في هذه المدة وحدثت عندهم صاغية إلى الفرس ، فبعث الروم قائدهم فقيوس^(١) فخرج لذلك من رومية ، وقدم بين يديه قائده سكانوس فطوع الأرمن ولحق دمشق ، ثم لحقه فقيوس ونزل بها . وتوجهت إليه وجوه اليهود في أثرهم ، وبعث إليه أرسنبلوس من القدس وهرقانوس من مكان حصاره ، كل واحد منهما يستنجد به على أخيه ، وبعثوا إليه بالأموال والهدايا فأعرض عنها ، وبعث إلى هرثمة ينهيه عن الدخول بينهما فرحل عن القدس ، ورحل معه هرقانوس وأنظفتر ، وأعاد أرسنبلوس رسله وهداياه من بيت المقدس ، وألح في الطلب وجاء أنظفتر الى فقيوس بغير مال ولا هدية ، فنكث عنه فقيوس ، فرجع إلى رغبته ومسح أعطافه وضمن له طاعة هرقانوس الذي هو الكهنوت الأعظم . ويحصل بعد ذلك إضعاف أرسنبلوس فأجابه فقيوس على أن يتحيل له في الباطن ويكون ظاهره مع أرسنبلوس حتى يتم الأمر ، وعلى أن يحملوا الخراج عند حصول أمرهم ، فضمن أنظفتر ذلك . وحضر هرقانوس وأرسنبلوس عند فقيوس القائد يتظلم كل واحد من صاحبه ، فوعدهم بالنظر بينهم إذا حل بالقدس .

وبعث أنظفتر في جميع الرعايا فجاءوا شاكين من أرسنبلوس ، فأمره فقيوس من إنصافهم فغضب لذلك واستوحش وهرب من معسكر فقيوس وتحصن في القدس ، وسار فقيوس في أثره فترل أريحا ثم القدس وخرج أرسنبلوس واستقال ، فأقاله وبذل له الأموال على أن يعينه على أخيه ويحمل له ما في الهيكل من الأموال والجواهر ،

(١) هو القائد الروماني المعروف بمبيوس .

وبعث معه قائده لذلك ، فمنعهم الكهنونية وثارت بهم العامة وقتلوا بعض أصحاب القائد وأخرجوه . فغضب فقيوس وتقبض لحينه على أرسطبلوس ، وركب ليقتحم البلد فامتنعت عليه ، وقتل جماعة من أصحابه فرجع ، وأقام عليهم . ووقعت الحرب بالمدينة بين شيع أرسطبلوس وهرقانوس ، وفتح بعض اليهود الباب لفمقيوس فدخل البلد وملك القصر وامتنع الهيكل عليه ، فأقام يحاصره أياما ، وصنع آلة الحصار فهدم بعض أبراجه واقتحمه عنوة ، ووجد الكهنونية على عبادتهم وقربانهم مع تلك الحرب ، ووقف على الهيكل فاستعظمه ولم يمد يده إلى شيء من ذخائره ، وملك عليهم هرقانوس ، وضرب عليهم الخراج يحمله كل سنة . ورفع يد اليهود عن جميع الأمم الذين كانوا في طاعتهم ، ورد عليهم البلدان التي ملكها بنو حشمناي ، ورجع إلى رومة .

واستخلف هرقانوس وأنظفتر على المقدس وأنزل معها قائده سكانوس الذي قدّمه لفتح دمشق وبلاد الأرمن عندما خرج من رومية ، وحمل أرسطبلوس وابنيه مقيدين معه ، وهرب الثالث من بنيه وكان يسمى الاسكندر ولحقه فلم يظفر به . ولما بعد فمقيوس عن الشام ذاهباً إلى مكانه خرج هرقانوس وأنظفتر إلى العرب ليحملوهم على طاعة الروم ، فخالفهم الإسكندر بن أرسطبلوس إلى المقدس وكان متغيباً بتلك النواحي منذ مغيب أبيه لم يبرح ، فدخل إلى المقدس وملكه اليهود عليهم وبنى ما هدمه فمقيوس من سور الهيكل ، واجتمع إليه خلق كثير . ورجع هرقانوس وأنظفتر فسار إليهم الإسكندر وهزمهم وأثنى في عساكرهم . وكان قائد الروم كينانوس قد جاء إلى بلاد الأرمن من بعد فمقيوس ، فلحق به واستنصره على الاسكندر فسار معه إلى القدس ، وخرج إليهم الإسكندر فهزموه ، ومضى إلى حصن له يسمى الإسكندرونة واعتصم به .

وسار هرقانوس إلى القدس فاستولى على ملكه ، وسار كينانوس قائد الروم إلى الإسكندر فحاصره بحصنه واستأمن إليه فقبله وعفا عنه وأحسن إليه . وفي أثناء ذلك هرب أرسطبلوس أخو هرقانوس من محبسه برومية ، وابنه أنطقنوس واجتمع إليه ، فحاربه كينانوس وهزمه وحصل في أسره فردّه إلى محبسه برومية ، ولم يزل هنالك إلى أن تغلب قيصر على رومية ، واستحدث الملك في الروم . وخرج فمقيوس من رومية إلى نواحي عمله وجمع العساكر لمحاربة قيصر ، فأطلق

ارستبلوس من محبسه ، وأطلق معه قائدین فی إثني عشر ألف مقاتل ، وسرحهم إلى الأرمن واليهود ليردوهم عن طاعة فقيوس ، وكتب فقيوس إلى أنظفتر بيت المقدس أن يكفيه أمر أرسطبلوس ، فبعث قوما من اليهود لقوه في بلاد الأرمن ودسّوا له سماً في بعض شرابه كان فيه حتفه . وقد كان كينانوس كاتب الشيخ صاحب رومية في إطلاق من بقي من وُلد أرسطبلوس فأطلقهم .

قال ابن كريون : وكان أهل مصر لذلك العهد انتقضوا على ملكهم تلماي وطرده وامتنعوا من حمل الخراج إلى الروم ، فسار إليهم واستنفر معه أنظفتر فغلبهم وقتلهم ، وردّ تلماي إلى ملكه واستقام أمر مصر . ورجع كينانوس إلى بيت المقدس فجدد الملك لهرقانوس ، وقدم أنظفتر مدبر المملكة وسار إلى رومية .

قال ابن كريون : ثم غضبت الفرس على الروم فندبوا إلى ذلك قائداً منهم يسمى عربوس ، وبعثوه لحربهم ، فمرّ بالقدس ودخل إلى الهيكل وطالب الكهنون بما فيه من المال ، وكان يسمى العازر من صلحاء اليهود وفضلائهم ، فقال له : إن كينانوس وفقيوس لم يفعلوا ذلك بتلك . فاشتدّ عليه . فقال : أعطيك ثلثمائة من الذهب وتقجافني عن الهيكل . ودفع إليه سبيكة ذهب على صورة خشبة كانت تلقى عليها الصور التي تنزل من الهيكل الذي تجدد ، وكان وزنها ثلثمائة فأخذها ونقض القول وتعدي على الهيكل ، وأخذ جميع ما فيه منذ عمارتها من الهدايا والغنائم وقربانات الملوك والأمم وجميع آلات القدس ، وسار إلى لقاء الفرس فحاربوه وهزموه وأخذوا جميع ما كان معه وقتل . واستولت الفرس على بلاد الأرمن من دمشق وحمص وحلب وما إليها ، وبلغ الخبر إلى الروم فجهزوا قائداً عظيماً في عساكر جمّة اسمه كسناو ، فدخل بلاد الأرمن الذين كانوا غلبوا عليها . وساروا إلى القدس فوجد اليهود يحاربون هرقانوس وأنظفتر فأعانها حتى استقام مُلكُ هرقانوس ثم سار إلى الفرس في عساكره فغلبهم وحملهم على طاعة الروم ، ورد الملوك الذين كانوا عصوا عليهم إلى الطاعة ، وكانوا إثني وعشرين ملكاً من الفرس كان فقيوس قائد الروم هزمهم ، فلما سار عنهم انتقضوا .

قال ابن كريون : ثم ابتداءً أمر القياصرة وملك على الروم يولياس ولقبه قيصر لأن أمّه ماتت حاملاً به عند مخاضها فشق بطنها عنه فلذلك سُمي قيصر ، ومعناه بلغتهم القاطع . ويسمى أيضاً يولياس باسم الشهر الذي ولد فيه وهو يولييه خامس

شهورهم^(١) ومعنى هذه اللفظة عندهم الخامس ، وكان الثلاثمائة والعشرون المدبرون أمر الروم والشيخ الذي عليهم قد أحكموا أمرهم مع جماعة الروم على أن لا يقدموا عليهم ملكا ، وأنهم يعينون للحروب في الجهات قائدا بعد آخر . هذا ما اتفقوا عليه النقلة في الحكاية عن أمر الروم وابتداء ملك القياصرة . قالوا ولما رأى قيصر هذا الشيخ الذي كان لذلك العهد كبر وشب على غاية من الشجاعة والاقدام ، فكانوا يبعثونه قائدا على العساكر إلى النواحي ، فأخرجوه مرة إلى المغرب فدوخ البلاد ، ورجع فسمت نفسه إلى الملك فامتنعوا له وأخبروه أن هذا سنة آبائهم منذ أحقاب ، وحدّثوه بالسبب الذي فعلوا ذلك لأجله ، وهو أمر كيوس وأنه عهد لأولهم لا ينقض ، وقد دوخ فقيوس الشرق ، وطوّع اليهود ولم يطمع في هذا فوثب عليهم قيصر وقتلهم واستولى على ملك الروم منفردا به وسمّى قيصر ، وسار إلى فقيوس بمصر فظفر به وقتله ، ورجع فوجد بتلك الجهات قواد فقيوس فسار إليهم يولياس قيصر ومربلا الأرمين فأطاعوه ، وكان عليهم ملك اسمه متردات فبعثه قيصر إلى حربهم .

فسار في الأرمين ولقيه هرقانوس ملك اليهود بعسقلان ونفر معه إلى مصر هو وأنظفتر ليحموا بعض ما عرف منهم من موالاة فقيوس ، وساروا جميعا إلى مصر ولقيتهم عساكرها واشتدّ الحرب فحصر بلادهم ، وكادت الأرمين أن ينهزموا ، فثبت أنظفتر وعساكر اليهود وكان لهم الظفر واستولوا على مصر ، وبلغ الخبر إلى قيصر فشكر لأنظفتر حسن بلائه واستدعاه فسار إليه مع ملك الأرمين متردات فقبله وأحسن وعده . وكان أنظفتر بن أرسطبلوس قد اتصل بقيصر وشكى بأن هرقانوس قتل أباه حين بعثه أهل رومة لحرب فقيوس ، فتحيل عليه هرقانوس وأنظفتر وقتلاه مسموما ، فأحسن أنظفتر العذر لقيصر بأنه إنما فعل ذلك في خدمة من ملك علينا من الروم ، وإنما كنت ناصحا لقائدهم فقيوس بالأمس ، وأنا اليوم أيها الملك لك أنصح وأحب ، فحسن موقع كلامه من قيصر ورفع منزلته وقدمه على عساكره لحرب الفرس ، فسار إليه أنظفتر وأبلى في تلك الحروب ومناصحة قيصر ، فلما انقلبوا من بلاد الفرس أعادهم قيصر إلى ملك بيت المقدس على ما كانوا عليه . واستقام الملك لهرقانوس وكان خيرا ، إلا أنه كان ضعيفا عن لقاء الحروب فتغلب

(١) يولي: هو شهر تموز وهو الشهر السابع كما في تقويمنا الحالي ، ولكن السنة عندهم كانت تبدأ بشهر اذار او «مارت» فيكون شهر يولي هو الخامس كما ذكر .

عليه أنظفتر ، واستبد على الدولة ، وقدم ابنه فسيلو ناظرا في بيت المقدس ، وابنه هيردوس عاملا على جبل الخليل . وكان كما بلغ الحلم واحتازوا الملك من أطرافه وامتلأ أهل الدولة منهم حسداً وكثرت السعاية فيهم ، وكان في أطراف عملهم نائراً من اليهود يسمى حزقيّا وكان شجاعاً صعلوكاً واجتمع إليه أمثاله فكانوا يغفرون على الأرمن وينالون منهم . وعظمت نكايتهم فيهم فشكى عامل بلاد الأرمن وهو سفيوس ابن عمّ قيصر الى هيردوس وهو بجبل الخليل ما فعله حزقيّا وأصحابه في بلادهم ، فبعث هيردوس إليه سرية فكبسوهم ، وقتل حزقيّا وغيره منهم ، وكتب بذلك إلى سفيوس فشكره وأهدى إليه اليهود .

ونكر اليهود ذلك من فعل هيردوس وتظلموا منه عند هرقانوس وطلبوه في القصاص منه ، فأحضروه في مجلس الأحكام وأحضر السبعين شيخاً من اليهود ، وجاء هيردوس متسلحاً ودافع عن نفسه ، وعلم هرقانوس بغرض الأشياخ ، ففصلوا المجلس فنكروا ذلك على هرقانوس ، ولحق هيردوس ببلاد الأرمن فقدمه سفيوس على عمله .

ثم أرسل هرقانوس إلى قيصر يسأل تجديد عهد الروم لهم ، فكتب له بذلك ، وأمر بأن يحمل أهل الساحل خراجهم إلى بيت المقدس ما بين صيدا وغزة ، ويحمل أهل صيدا إليها في كل سنة عشرين ألف وسق من القمح ، وأن يرد على اليهود سائر ما كان بأيديهم إلى الفرات واللاذقية وأعمالها وما كان بنو حشمناي فتحوه عنوة من عدوات الفرات ، لأن فقيوس كان يتعدى عليهم في ذلك ، وكتب العهد بذلك في ألواح من نحاس بلسان الروم ويونان ، وعلقت في أسوار صور وصيدا واستقام أمر هرقانوس .

قال ابن كريون : ثم قُتل قيصر ملك الروم . وأنظفتر وزير هرقانوس المستبد عليه . أما قيصر فوثب عليه كيساوس من قواد فقيوس فقتله ، وملك وجمع العساكر وعبر البحر إلى بلاد أشيت ففتحها ، ثم سار إلى القدس وطالبهم بسبعين بكرة من الذهب ، فجمع له أنظفتر وبنوه من اليهود ، ثم رجع كيساوس إلى مقدونية فأقام بها . وأما أنظفتر فإن اليهود داخلوا القائد ملكياً الذي كان بين أظهرهم من قبل كيساوس في قتل أنظفتر وزير هرقانوس ، فأجابهم الى ذلك ، فدسّوا إلى ساقيه سمّاً فقتله ، وجاء ابنه هيردوس إلى القدس مجمعا قتل هرقانوس ، فكفّه فسيلو عن ذلك ، وجاء كيساوس من مقدونية إلى صور ، ولقي هرقانوس وهيردوس وشكوا إليه ما فعله قائده ملكيا من

مداخلة اليهود في قتل أنظفتر ، فأذن لهم في قتله فقتلوه . ثم زحف كينانوس بن أخي قيصر وقائده أنطيوخس^(١) في العساكر لحرب كيساوس المتوثب على عمه قيصر ، فلقبهم قريبا من مقدونية فظفرا به وقتلاه ، وملك كينانوس مكان عمه وسمي أوغسطس قيصر بإسم عمه . فأرسل إليه هرقانوس ملك اليهود بهدية وفيها تاج من الذهب مرصع بالجواهر وسأل تجديد العهد لهم ، وأن يطلق السبي^(٢) الذي سبي منهم أيام كيساوس ، وأن يرد اليهود إلى بلاد يونان وأثينة ، وأن يجري لهم ما كان رسم به عمه قيصر ، فأجابه إلى ذلك كله .

وسار أنطيانوس وأوغسطس قيصر إلى بلاد الأرمن بدمشق وحمص ، فلحقته هنالك كلبطرة ملكة مصر وكانت ساحرة ، فاستأمنته وتزوجها وحضر عنده هرقانوس ملك اليهود . وجاء جماعة من اليهود فشكوا من هيردوس وأخيه فسيلو وتظلموا منها ، وأكذبهم ملكهم هرقانوس وأبى عليها ، وأمر أنطيانوس بالقبض على أولئك الشاكين وقتل منهم ، ورجع هيردوس وأخوه فسارا إلى مكانهما ومكان أبيهما من تدبير مملكة هرقانوس ، وسار أنطيانوس إلى بلاد الفرس فدوخها وعاث في نواحيها وقهر ملوكهم وقفل إلى رومة .

قال ابن كريتون : وفي خلال ذلك لحق أنطقنوس وجماعة من اليهود بالفرس ، وضمنوا للملكهم أن يحملوا إليه بكرة من الذهب وثمانمائة جارية من بنات اليهود ورؤسائهم يسبين له ، على أن يملكه مكان عمه هرقانوس ويسلمه إليه ، ويقتل هيردوس وأخاه فسيلو ، فأجابهم ملك الفرس إلى ذلك ، وسار في العساكر وفتح بلاد الأرمن وقتل من وجد بها من قواد الروم ومقاتلتهم ، وبعث قائده بعسكر من القدس مع أنطقنوس موريا بالصلاة في بيت المقدس والتبرك بالهيكل ، حتى إذا توسط المدينة ثار بها وأفحش في القتل ، وبادر هيردوس إلى قصر هرقانوس ليحفظه ، ومضى فسيلو إلى الحصن يضبطه . وتورط من كان بالمدينة من الفرس قتلهم اليهود عن آخرهم ، وامتنعوا على القائد ، وفسد ما كان دبره في أمر أنطقنوس فرجع إلى استمالة هرقانوس وهيردوس ، وطلب الطاعة منهم للفرس وأنه يتلطف لهم عند الملك

(١) وفي نسخة ثانية : انطونيوس .

(٢) السبي : بضم السين ج (سبي) ويطلق في الاغلب على النساء ، أما الرجال فيعبر عنهم في مثل هذا الحال بالأسرى .

في إصلاح حالهم ، فصغى هرقانوس وفسيلو إلى قوله وخرجوا إليه . وارتاب هيردوس وامتنع فارتحل بهما قائد الفرس حتى اذا بلغ الملك بيلاد الأرمن تقبض عليهما فمات فسيلو من ليلته ، وقيد هرقانوس واحتمله إلى بلاده ، وأشار أنطقنوس بقطع أذنه لينجيه من الكهنونة .

ولما وصل ملك الفرس إلى بلاده أطلق هرقانوس من الاعتقال ، وأحسن إليه إلى أن استدعاه هيردوس ، كما يأتي بعد ، وبعث ملك الفرس قائده إلى اليهود مع أنطقنوس ليملك ، فخرج هيردوس عن القدس إلى جبل الشّارة فترك عياله بالحصن عند أخيه يوسف ، وسار إلى مصر يريد قيصر . فأكرمه كلبطرة ملكة مصر ، وأركبته السفن إلى رومية ، فدخل بها انطيانوس إلى أوغسطس قيصر ، وخبره الخبر عن الفرس والقدس ، فملكه أوغسطس وألبسه التاج وأركبه في رومية في زي الملك ، والهااتف بين يديه بأن أوغسطس ملكه . واحتفل انطيانوس في صنيع له حضره الملك أوغسطس قيصر وشيوخ رومية ، وكتبوا له العهد في ألواح من نحاس ، ووضعوا ذلك اليوم التاريخ ، وهو أول ملك هيردوس .

وسار أنطيانوس بالعسكر إلى الفرس ومعه هيردوس ، وفارقه من أنطاكية وركب البحر إلى القدس لحرب أنطقنوس ، فخرج أنطقنوس إلى جبال الشّارة للإستيلاء على عيال هيردوس ، وأقام على حصار الحصن ، وجاء هيردوس فحاربه وخرج يوسف من الحصن من ورائه ، فانهزم أنطقنوس إلى القدس ، وهلك أكثر عسكره . وحاصره هيردوس وبعث أنطقنوس بالأموال إلى قواد العسكر من الروم فلم يجيبوه ، وأقام هيردوس على حصاره حتى جاءه الخبر عن أنطيانوس قائد قيصر أنه ظفر بملك الفرس وقتله ودوّخ بلادهم ، وأنه عاد ونزل الفرات . فترك هيردوس أخاه يوسف على حصار القدس مع قائد الروم سيساو ، ومن تبعهم من الأرمن ، وسار للقاء أنطيانوس ، وبلغه وهو بدمشق أنّ أخاه يوسف قتل في حصار القدس على يد قائده أنطقنوس ، وأنّ العساكر انفضت ورجعوا إلى دمشق ، وجاء سيساو منهزماً قائد أنطيانوس بالعساكر . وتقدّم هيردوس وقد خرج أنطقنوس للقاءه فهزمه ، وقتل عامّة عسكره واتبعه إلى القدس . ووافاه سيساو قائد الروم فحاصروا القدس أياماً ، ثم اقتحموا البلد وتسللوا صاعدين إلى السور ، وقتلوا الحرس وملكوا المدينة ، وأفحش سيساو في قتل اليهود ، فرغب إليه هيردوس في الابقاء . وقال له : إذا قتلت قومي

فعلى من تملكني ؟ فرفع القتل عنهم وردّ ما نهب وقرب إلى البيت تاجا من الذهب وضعت فيه ، وحمل إليه هيردوس أموالا . ثم عثروا على أنطقنوس مختفيا بالمدينة ، فقيدته سيساو القائد ، وسار به إلى أنطيانوس ، وقد كان سار من الشام إلى مصر ، فجاءه بأنطقنوس هنالك ، ولحق بهم هيردوس وسأل من أنطيانوس قتل أنطقنوس فقتله . واستبد هيردوس بملك اليهود وانقرض ملك بني حشمناي والبقاء لله وحده .

انقراض ملك بني حشمناي وابتداء ملك هيردوس وبنيه

وكان أول ما افتتح به ملكه أن بعث إلى هرقانوس الذي احتمله الفرس وقطعوا أذنه يستقدمه ليأمن على ملكه من ناحيته ، ورغبه في الكهنونية التي كان عليها ، فرغب وحذره ملك الفرس من هيردوس ، وعزله اليهود الذين معه ، وأراه أنها خديعة وأنه العيب الذي به يمنع الكهنونية ، فلم يقبل شيئا من ذلك . وصغى إلى هيردوس وحسن ظنه به وسار إليه وتلقاه بالكرامة والإعطاء وكان يخاطبه بأبي في الجمع والخلوة . وكانت الإسكندرية بنت هرقانوس تحت الإسكندر وابن أخيه أرسطبلوس ، وكانت بنتها منه مريم تحت هيردوس ، فاطلعتا على ضمير هيردوس من محاولة قتله ، فخبرتاه بذلك وأشارتا عليه باللحاق بملك العرب ليكون في جواره ، فخاطبه هرقانوس في ذلك وأن يبعث إليه من رجالاتهم من يخرج به إلى أحيائهم ، وكان حامل الكتاب من اليهود مضطغنا على هرقانوس لأنه قتل أخاه وسلب ماله ، فوضع الكتاب في يد هيردوس ، فلما قرأه ردّه إليه وقال : أبلغه إلى ملك العرب وأرجع الجواب إليّ . فجاءه بالجواب من ملك العرب إلى هرقانوس ، وأنه أسعف وبعث الرجال فالفهم بوصولك إليّ . فبعث هيردوس من يقبض على الرجال بالمكان الذي عينه ، وأحضرهم وأحضر حكام البلاد اليهود والسبعين شيخا . وأحضر هرقانوس وقرأ عليه الكتاب بخطه ، فلم يخرج جوابا وقامت عليه الحجة ، وقتله هيردوس لوقته لثمانين سنة من عمره وأربعين من ملكه ، وهو آخر ملوك بني حشمناي .

وكان للإسكندر بن أرسطبلوس ، ابن يسمّى أرسطبلوس ، وكان من أجمل الناس صورة ، وكان في كفالة أمه الإسكندرية ، وأخته يومئذ تحت هيردوس كما قلناه . وكان هيردوس يغص به وكانت أخته وأمها يؤملان أن يكون كوهنا بالبيت مكان جدّه هرقانوس ، وهيردوس يريد نقل الكهنونة عن بني حشمناي ، وقدم لها رجلا من

عوام الكهنونية ، وجعله كبير الكهنونية ، فشق ذلك على الاسكندرية بنت هرقانوس وبنتها مريم زوج هيردوس . وكان بين الإسكندرية وكلوبطره ملكة مصر مواصلة ومهاداة ، وطلبت منها أن تشفع زوجها انطيانوس في ذلك إلى هيردوس ، فاعتذر له هيردوس بأن الكواهن لا تغزل ، ولو أردنا ذلك فلا يمكننا أهل الدين من عزله ، فبعث بذلك إلى الإسكندرية . ودست الإسكندرية إلى الرسول الذي جاء من عند أنطيانوس ، وأتخفته بمال فضمن لهم أن أنطيانوس يعزم على هيردوس في بعث أرسطبلوس إليه ، ورجع إلى أنطيانوس فرغبه في ذلك ووصف له من جماله وأغراه باستقدامه ، فبعث فيه أنطيانوس إلى هيردوس وهذّده بالوحشة إن منعه ، فعلم أنه يريد منه القبيح ، فقدّمه كهنونا وعزل الأول ، واعتذر لانطيانوس بأن الكوهن لا يمكن سفره ، واليهود تنكر ذلك . فأغفل أنطيانوس الأمر ولم يعاود فيه .

ووكّل هيردوس بالإسكندرية بنت هرقانوس عهدته من يراعي أفعالها ، فاطلع على كتبها إلى كلوبطرة أن تبعث إليها السفن والرجال يوصلنها إليها ، وأن السفن وصلت إلى ساحل يافا ، وأن الإسكندرية صنعت تابوتين لتخرج فيهما هي وابنتها على هيئة الموتى . فأرصد هيردوس من جاء بهما من المقابر في تابوتيها فوبخها ثم عفا عنها . ثم بلغه أن أرسطبلوس حضر في عيد المظال ، فصعد على المذبح وقد لبس ثياب القدس وازدحم الناس عليه وظهر من ميلهم إليه ومحبتهم ما لا يعبر عنه ، فغص بذلك واعمل التدبير في قتله . فخرج في منتزه له بأريحاء في نيسان ، واستدعى أصحابه وأحضر أرسطبلوس ، فطعموا ولعبوا وانغمسوا في البرك يسبحون وعمد غلمان هيردوس إلى أرسطبلوس فغمسوه في الماء حتى شرق وفاض ، فاغتم الناس لموته وبكى عليه هيردوس ودفنه ، وكان موته لسبع عشرة سنة من عمره . وتأكدت البغضاء بين الإسكندرية وابنتها مريم زوج هيردوس أخت هذا الغريق ، وبين أمّ هيردوس وأخته ، وكثرت شكواهما إليه فلم يشكها لكان زوجته مريم وأمّها منه .

قال ابن كريّون : ثم انتقض أنطيانوس على أوغسطس قيصر وذلك انه تزوّج كلوبطره وملك مصر ، وكانت ساحرة فسحرته واستألتة ، وحملته على قتل ملوك كانوا في طاعة الروم ، وأخذ بلادهم وأموالهم ، وسبي نساءهم وأموالهم وأولادهم . وكان من جملته هيردوس وتوقف فيه خشية من أوغسطس قيصر ، لأنه كان يكرمه بسبب ما صنع في الآخرين ، فحمله على الانتفاض والعصيان ، ففعل وجمع

العسكر واستدعى هيردوس فجاءه وبعثه إلى قتال العرب ، وكانوا خالفوا عليه ، فمضى هيردوس لذلك ومعه أنيثاون قائد كلوبطرة ، وقد دست له أن يجرّ الهزيمة على هيردوس ليقتل ففعل . وثبت هيردوس وتخلص من المعترك بعد حروب صعبة هلك فيها بين الفريقين خلق كثير .

ورجع هيردوس إلى بيت المقدس فصالح جميع الملوك والأمم المجاورين له ، وامتنع العرب من ذلك فسار إليهم وحاربهم ، ثم استباحهم بعد أيام ومواقف بذلوا وجمعوا له الأموال وفرض عليهم الخراج في كل سنة ورجع . وكان أنطيانوس لما بعثه إلى العرب سار هو إلى رومة وكانت بينه وبين أغسطس قيصر حروب هزمه قيصر في آخرها وقتله ، وسار إلى مصر فخافه هيردوس على نفسه لما كان منه في طاعة أنطيانوس وموالياته ، ولم يمكنه التخلف عن لقائه . فأخرج خدمه من القدس فبعث بأمّه وأخته إلى قلعة الشّراة لنظر أخيه فرودا ، وبعث بزوجه مريم وأمها الإسكندرية إلى حصن الإسكندرونة لنظر زوج أخته يوسف ورجل آخر من خالسته من أهل صور اسمه سؤما وعهد إليهما بقتل زوجته وأمّها إن قتله قيصر .

ثم حمل معه الهدايا وسار إلى أوغسطس قيصر وكان تحقد له صحبة أنطيانوس ، فلما حضر بين يديه عنّفه وأزاح التاج عن رأسه وهمّ بعقابه ، فتلطّف هيردوس في الاعتذار ، وأنّ موالاته لأنطيانوس إنما كان لما أولى من الحميل في السعاية عند الملك وهي أعظم أياديه عندي ، ولم تكن موالاتي له في عداوتك ولا في حربك ولو كان ذلك وأهلك نفسي دونه كنت غير ملوم ، فإن الوفاء شأن الكرام . فإن أزلت عني التاج فما أزلت عقلي ولا نظري ، وإن أبقيتني فأنا محل الصنيعة والشكر . فانبسط أوغسطس لكلامه وتوجّه كما كان ، وبعثه على مقدّمته إلى مصر ، فلما ملك مصر وقتل كلوبطره وهب لهيردوس جميع ما كان أنطيانوس أعطاه إياه ونفل . فأعاد هيردوس إلى ملكه بيت المقدس وسار إلى رومية .

قال ابن كريّون : ولما عاد هيردوس إلى بيت المقدس أعاد حرمة من أماكنهنّ ، فعادت زوجته مريم وأمّها من حصن الإسكندرونة وفي خدمتها يوسف زوج أخته وسؤما السوري وقد كانا حدّثا المرأة وأمّها بما أسر إليهما هيردوس ، وقد كان سلف منه قتل هرقانوس وأرستبلوس فشكرتا له . وبينما هو آخذ في استمالة زوجته إذ رمتها أخته بالفاحشة مع سؤما السوري في ملاحاة جرت بينهما ، ولم يصدّق ذلك هيردوس

للعداوة والثقة بعفة الزوجة . ثم جرى منها في بعض الأيام وهو في سبيل استمالتها عتاب فيما أسرّ إلى سؤما وزوج أخته ، فقويت عنده الظنة بهم جميعا وأن مثل هذا السرّ لم يكن إلّا لأمر مريب ، وأخذ في إخفائها وإقصائها ودسّت عليه أخته بعض النساء تحدّثه بأن زوجته داخلته في أن تستحضر السّم وأحضره فجرب وصح وقتل للحين صهره يوسف وصاحبه سؤما ، واعتقل زوجته ثم قتلها وندم على ذلك ، ثم بلغه عن أمّها الاسكندرية مثل ذلك فقتلها . وولّى على أروم مكان صهره رجلا منهم اسمه كرسّوس وزوجه أخته ، فسار إلى عمله وانحرف عن دين التوراة والإحسان الذي حملهم عليه هرقانوس ، وأباح لهم عبادة صنمهم وأجمع الخلاف ، وطلق أخت هيردوس فسعت به إلى أخيها وخبرته بأحواله وأنه آوى جماعة من بني حشمناي المرشحين للملك منذ اثني عشر سنة . فقام هيردوس في ركائبه ، وبحث عنه فحضر وطالبه ببني حشمناي الذي عنده ، فأحضرهم فقتله وقتلهم ، وأرهف حدّه وقتل جماعة من كبار اليهود ومُقدميهم ، اتهمهم بالإنكار عليه . فأذعن له الناس واستفحل ملكه وأهمّل المراعاة لوصايا التوراة وعمل في بيت المقدس سورا واتخذ منتزه لعب ، وأطلق فيه السباع ويحمل بعض الجهلة على مقابلتها فتفترسهم ، فنكر الناس ذلك وأعمل أهل الدولة الحيلة في قتله فلم تتم لهم ، وكان يمشي متكرراً للتجسّن على أحوال الناس ، فعظمت هيئته في النفوس .

وكان أعظم طوائف اليهود عنده الرّبّانيون بما تقدّم لهم في ولايته ، وكان لطائفة العباد من اليهود المسمى بالحيسيد مكانة عنده أيضا ، كان شيخهم مناحيم لذلك العهد محدثا وكان حدثه وهو غلام بمصير الملك له ، وأخبره وهو ملك بطول مدّته في الملك فدعا له ولقومه . وكان كلّفاً ببناء المدن والحصون ، ومدينة قيسارية من بنائه . ولما حدثت في أيامه المجاعة شمرّها وأخرج الزرع للناس وبثه فيهم بيعا وهبة وصدقة ، وأرسل في الميرة من سائر النواحي ، وأمر قيصر في سائر تخومه وفي مصر ورومة أن يحملوا الميرة إلى بيت المقدس ، فوصلت السفن بالزرع إلى ساحلها من كل جهة . وأجرى على الشيوخ والأيتام والأرامل والمنقطعين كفايتهم من الخبز ، وعلى الفقراء والمساكين كفايتهم من الحنطة ، وفرّق على خمسين ألفا قصدوه من غير ملّته ، فرفعت المجاعة وارتفع له الذكر والثناء الجميل .

قال ابن كريّون : ولما استفحل ملكه وعظم سلطانه أراد بناء البيت على ما بناه سليمان

بن داود ، لأنهم لما رجعوا إلى القدس باذن كورش عين لهم مقدار البيت لا يتجاوزونه ، فلم يتمّ على حدود سليمان ، ولما اعترم على ذلك ابتداءً أولاً بإحضار الآلات مستوفيات خشية أن يحصل الهدم وتطول المدة وتعرض القواطع والموانع . فأعدّ الآلات وأكمل جمعها في ست سنين ، ثم جمع الصناع للبناء وما يتعلق به فكانوا عشرة آلاف ، وعين ألفاً من الكهنة يتولّون القدس الأقدس الذي لا يدخله غيرهم . ولما تمّ له ذلك شرع في الهدم فحصل لأقرب وقت ، ثم بنى البيت على حدوده وهيئته أيام سليمان وزاد في بعض المواضع على ما اختاره ووقف عليه نظره ، فكمل في ثمان سنين . ثم شرع في الشكر لله تعالى على ما هبّأ له من ذلك فقرب القربان واحتفل في الولائم وإطعام الطعام ، وتبعه الناس في ذلك أياماً فكانت من محاسن دولته .

قال ابن كريّون : ثم ابتلاه الله بقتل أولاده وكان له ولدان من مريم بنت الإسكندرية قتيلة السم ، أحدهما الاسكندر والآخر ارستبلوس ، وكانا عند قتل أمهما غائبين برومة يتعلمان خط الروم ، فلما وصلا وقد قتل أمهما حصلت بينه وبينهما الوحشة ، وكان له ولد آخر اسمه أنظفتر على اسم جدّه ، وكان قد أبعد أمّه راسيس لمكان مريم ، فلما هلكت واستوحش من ولدها لطلب محل راسيس منه ، قدم ابنها أنظفتر وجعله وليّ عهده ، وأخذ في السعاية على اخوته خشية منها بأنهما يرومان قتل أبيهما فانحرف عنهما . واتفق أن سار إلى أوغسطس قيصر ومعه ابنه إسكندر ، فشكاه عنده وتبرأ الإسكندر وحلف على براءته ، فأصلح بينهما قيصر ورجع إلى القدس . وقسم القدس بين ولده الثلاثة ، ووصاهم ووصى الناس بهم ، وعهد أن لا يخالطوهم خشية مما يحدث عن ذلك ، وأنظفتر مع ذلك متماد على سعائته بهما وقد داخل في ذلك عمه قدودا وعمته سلومنت ، فأغروا أباه بأخويه المذكورين حتى اعتقلهما . وبلغ الخبر أرسلالوش ملك كفتور ، وكانت بنته تحت الإسكندر ، منها فجاء إلى هيردوس مظهراً السخط على الإسكندر والانحراف عنه وتحيل في إظهار جرائعها ، وأطلعه على جليلة الحال وسعاية أخيه وأخته ، فانكشف له الأمر وصدّقه وغضب على أخيه قدودا ، فجاء إلى أرسلالوش وأحضره عند هيردوس حتى أخبره بمصدوقية الحال ، ثم شفّعه فيه وأطلق ولديه ورضي عنهما ، وشكر لأرسالوش من تلطفه في تلافي هذا الأمر وانصرف إلى بلده .

ولم ينف ذلك أنظفتر عن تدبيره عليهما ، وما زال يغري أباه ويدسّ له من يغريه حتى

أسخطة عليها ثانية واعتقلها ، وأمضى بهما في بعض أسفاره مقيدتين . ونكر ذلك بعض أهل الدولة فدرس أنظفتر إلى أبيه المنكر عليّ من المدبرين عليك ، وقد ضمن لحجامك الإسكندر مالا على قتلك . فأنزل هيردوس بهما العقاب ليتكشف الخبر ، ونمي بأن ذلك الرجل معه ولذعه العقاب وأقرّ على نفسه وقتل هو وأبوه والحجّام ، ثم قتل هيردوس ولديه وصلبهما على مصطبة . وكان لابنه الإسكندر ولدان من بنت أرسلاوش ملك كفتور وهما كوبان والإسكندر ، ولابنه أرسنبلوس ثلاثة من الولد : أعرباس وهيردوس وأستروبلوس . ثم ندم هيردوس على قتل ولديه ، وعطف على أولادهما فزوّج كوبان بن الإسكندر بابنة أخيه قدودا وزوّج ابنة ابنه أرسنبلوس من ابن ابنه أنظفتر ، وأمر أخاه قدودا وابنه أنظفتر بكفالتهم والإحسان اليهم ، فكرها ذلك واتفقا على فسخه وقتل هيردوس متى أمكن .

وبعث هيردوس ابنه أنظفتر إلى أوغسطس قيصر ، ونما الخبر إليه بأن أخاه قدودا يريد قتله ، فسخطه وأبعده وألزمه بيته . ثم مرض قدودا واستبدّ أخاه هيردوس ليعوده فعاده ثم مات ، فحزن عليه ثم حزن باستكشاف ما نمي إليه ، فعاقب جواريه ، فأقرّت إحداها بأن أنظفتر وقدودا كانا يجتمعان عند رسيّس أمّ أنظفتر يدبران على قتل هيردوس على يد خازن أنظفتر ، فأقرّ بمثل ذلك وأنه بعث على السم من مصر وهو عند امرأة قدودا ، فأحضرت فأقرت بأن قدودا أمرها عند موته بآراقتة ، وأنها أبقت منه قليلا يشهد لها إن سئلت . فكتب هيردوس إلى ابنه أنظفتر بالقدوم ، فقدم مُستربا بعد أن أجمع على الهروب ، فمنعه خدام أبيه . ولما حضر جمع له الناس في مشهد وحضر رسول أوغسطس وقدم كاتبه نيقالوس . وكان يحب أولاد هيردوس المقتولين ويميل إليهما عن أنظفتر ، فدفع يخاصمه حتى قامت عليه الحجة وأحضر بقية السمّ وجرب في بعض الحيوانات فصدق فعله ، فحبس هيردوس ابنه أنظفتر حتى مرض وأشرف على الموت ، وأسف على ما كان منه لأولاده فهمّ بقتل نفسه ، فمنعه جلساؤه وأهله ، وسمع من القصر البكاء والصراخ لذلك ، فهمّ أنظفتر بالخروج من محبسه ومنع ، وأخبر هيردوس بذلك وأمر بقتله في الوقت فقتل . ثم هلك بعده لخمسّة أيام ولسبعين سنة من عمره وخمس وثلاثين من ملكه .

وعهد بالملك لابنه أركلاوش وخرج كاتبه نيقالوس فجمع الناس وقرأ عليهم العهد وأراهم خاتم هيردوس عليه ، فبايعوا له وحمل أباه إلى قبره على سرير من الذهب

مرصع بالجوهر والياقوت وعليه ستور الديباج منسوجة بالذهب ، وأجلس مسنداً ظهره إلى الاراتك والناس أمامه من الاشراف والرؤساء ، ومن خلفه الخدم والغلمان ، وحواليه الجواري بأنواع الطيب إلى أن اندرج في قبره .

وقام أركلاوش بملكه وتقرب إلى الناس بإطلاق المسجونين ، فاستقام أمره وانطلقت الألسنة بدم هيردوس والطعن عليه . ثم انتقضوا على أركلاوش بملكه بما وقع منه من القتل فيهم ، فساروا إلى قيصر شاكين بذلك وعابوه عنده بأنه ولي من غير أمره ، وحضر أركلاوش وكاتبه نيقالوس بخصمهم ودفع دعاويهم ، وأشار عظماء الروم بإبقائه فملكه قيصر وأعادته إلى القدس . وأساء السيرة في اليهود وتزوج امرأة أخيه الإسكندر وكان له أولاد منها فماتت لوقتها . ووصلت شكاية اليهود بذلك كله إلى قيصر فبعث قائداً من الروم إلى القدس ، ف قيد أركلاوش وحمله إلى رومة لسبع سنين من دولته ، وولى على اليهود بالقدس أخاه أنطيفس ، وكان شراً منه واغتصب امرأة أخيه فيلقوس^(١) وله منها ولدان ، ونكر ذلك عليه علماء اليهود والكهنوتية . وكان لذلك العهد يوحنا بن زكريا فقتله في جماعة منهم ، وهذا هو المعروف عند النصارى بالمعمدان الذي عمد عيسى أي طهره بماء المعمودية بزعمهم .

وفي دولة أنطيفس هذا مات أوغسطس قيصر ، فملك بعده طبريانوس وكان قبيح السيرة ، وبعث قائده بغيلاس بصنم من ذهب على صورته ليسجد له اليهود فامتنعوا ، فقتل منهم جماعة ، فأذنوا بحربه وقاتلوه وهزموه . وبعث طبريانوس العساكر مع قائده إلى القدس فقبض على أنطيفس وحمله مقيداً . ثم عزله طبريانوس إلى الأندلس فمات بها وملك بعده على اليهود أغرباس ابن أخيه أرسطبلوس المقتول ، وهلك في أيامه طبريانوس قيصر وملك نيروش^(٢) وكان أشراً من جميع من تقدمه ، وأمر أن يُسمى إلهو ، وبنى المذبح للقربان وقرب وأطاعته الناس إلا اليهود ، وبعثوا إليه في ذلك أفيلو الحكيم في جماعة فشتهم وحبسهم وسخط اليهود . ثم قبحت أحواله وساءت أفعاله وثار عليه دولته فقتلوه ، ورموا شلوه في الطريق فأكلته الكلاب . ثم ملك بعده قلدش قيصر وأطلق أفيلو والذين معه إلى بيت المقدس ، وهدم المذابح التي كان نيروش بناها .

(١) وهو معروف باسم فيلبس .

(٢) وفي نسخة ثانية نيرون .

وكان أغرباس حسن السيرة معظماً عند القياصرة وهلك لثلاث وعشرين سنة من دولته . وملك بعده ابنه أغرباس بأمر اليهود وملك عشرين سنة ، وكثرت الحروب والفتن في أيامه في بلاد اليهود والأرمن ، وظهرت الخوارج والمتغلبون ، وانقطعت السبل وكثر الهرج داخل المدينة في القدس . وكان الناس يقتل بعضهم بعضاً في الطرقات يحملون سكاكين صغار محدّين لها فإذا ازدحم مع صاحبه في الطريق طعنه فأهواه حتى صاروا يلبسون الدروع لذلك ، وخرج كثير من الناس عن المدينة فراراً من القتل . وهلك وُلْدُ اطبريانوس قيصر ونيروش من بعده ، وملك على الروم فيلقوس قيصر فسعى بعض الشرار عنده بأن هؤلاء الذين خرجوا من القدس يذمّون على الروم ، فبعث إليهم من قتلهم وأسرههم .

واشتدّ البلاء على اليهود وطالت الفتن فيهم ، وكان الكهنة الكبار فيهم لذلك العهد عَنّاني ، وكان له ابن اسمه العازار وكان ممن خرج من القدس وكان فاتكاً مصعلكاً ، وأنضم إليه جماعة من الأشرار ، وأقاموا يغيرون على بلاد اليهود والأرمن وينهبون ويقتلون ، وشكّتهم الأرمن إلى فيلقوس قيصر ، فبعث من قيده وحمله وأصحابه إلى رومة ، فلم يرجع إلى القدس إلا بعد حين .

واشتدّ قائد الروم بيت المقدس على اليهود وكثر ظلمه فيهم ، فأخرجوه عنهم بعد أن قتلوا جماعة من أصحابه ، ولحق بمصر فلقى هنالك أغرباس ملك اليهود راجعاً من رومية ومعه قائدان من الروم ، فشكى إليه فيلقوس بما وقع من اليهود ، ومضى إلى بيت المقدس فشكى إليه اليهود بما فعل فيلقوس وأنهم عازمون على الخلاف ، وتلطف لهم في الإمساك عن ذلك حتى تبلغ شكيتهم إلى قيصر ويعتذر منه ، فامتنع العازار بن عَنّاني وأبى إلا المخالفة ، وأخرج القربان الذي كان بعثه معه نيروش قيصر من البيت ، ثم عمد إلى الروم الذين جاؤا مع أغرباس فقتلهم حيث وجدوا ، وقتل القائدين . ونكر ذلك أشياخ اليهود واجتمعوا لحرب العازرا وبعثوا إلى أغرباس ، وكان خارج القدس ، فبعث إليهم بثلاثة آلاف مقاتل ، فكانت الحرب بينهم وبين العازار سجّالا ، ثم هزمهم وأخرجهم من المدينة ، وعاث في البلد وخرب قصور الملك ونهبها وأموالها وذخائرها ، وبقي أغرباس والكهنة والعلماء والشيوخ خارج المقدس . وبلغهم أنّ الأرمن قتلوا من وجدوه من اليهود بدمشق ونواحيها وبقيسارية ، فساروا إلى بلادهم وقتلوا من وجدوه بنواحي دمشق من الأرمن . ثم

سار أغرباس إلى قيرش قيصر وخبره الخبر فامتعض لذلك ، وبعث إلى كسنيثا وقائده على الأرمن ، وقد كان مضى إلى حرب الفرس فدوّخها وقهرهم ، وعاد إلى بلاد الأرمن فنزل دمشق فجاءه عهد قيصر بالمسير مع أغرباس ملك اليهود إلى القدس ، فجمع العساكر وسار وخرب كل ما مرّ عليه . ولقيه العازار الثائر بالقدس فانهزم ورجع ، ونزل كسنيثا وقائد الروم فأثنى فيهم ، وارتحل كسنيثا إلى قيساريّة ، وخرج اليهود في اتباعهم فهزمهم ، ولحق كسنيثا وأغرباس بقيصر قيرش ، فوافقوا وصول قائده الأعظم اسبنانوس^(١) عن بلاد الغرب ، وقد فتح الأندلس ودوّخ أقطارها فعهد إليه قيرش قيصر بالمسير إلى بلاد اليهود وأمره أن يستأصلهم ويهدم حصونهم . فسار ومعه ابنه طيطوش وأغرباس ملك اليهود ، وانتهوا إلى أنطاكية ، وتأهب اليهود لحربهم ، وانقسموا ثلاث فرق في ثلاث نواحي مع كل فرقة كهنون ، فكان عناني الكهنون الأعظم في دمشق ونواحيها ، وكان ابنه العازر كهنون بلاد أروم وما يليها إلى أيلة ، وكان يوسف بن كريّون كهنون طبرية وجبل الخليل وما يتصل به ، وجعلوا فيما بقي من البلاد من الأغوار إلى حدود مصر من يحفظها من بقية الكهنونية . وعمر كل منهم أسوار حصونه ورتب مقاتلته .

وسار اسبنانوس بالعساكر من أنطاكية فتوسط في بلاد الأرمن وأقام ، وخرج يوسف بن كريّون من طبرية فحاصر بغض الحصون بناحية الأغرباس ففتحه واستولى عليه ، وبعث أهل طبرية من ورائه إلى الروم فاستأمنوا إليهم ، فزحف يوسف مبادراً وقتل من وجد فيها من الروم ، وقبل معذرة أهل طبرية . وبلغه مثل ذلك عن جبل الخليل فسار إليهم وفعل فيهم فعلة في طبرية . فزحف إليه اسبنانوس من عكا في أربعين ألف مقاتل من الروم ومعه أغرباس ملك اليهود وسارت معهم الأمم من الأرمن وغيرهم ، إلا أروم فإنهم كانوا حلفاء لليهود منذ أيام هرقانوس . ونزل أسبنانوس بعساكره على يوسف بن كريّون ومن معه بطبرية فدعاهم إلى الصلح ، فسألوا الإمهال إلى مشاورة الجماعة بالقدس ، ثم امتنعوا وقتلهم أسبنانوس بظاهر الحصن ، فاستلحمهم حتى قل عددهم ، وأغلقوا الحصن فقطع عنهم الماء خمسين ليلة ، ثم بيّتهم الروم فاقتحموا عليهم الحصن فاستلحموهم ، وأفلت يوسف بن كريّون ومن معه من الفل فامتنعوا ببطن الأعراب ، وأعطاهم أسبنانوس الأمان ، فقال إليه يوسف وأبى القوم إلا أن

(١) وفي نسخة أخرى : أسبيانوس .

يقتلوا أنفسهم وهموا بقتله ، فوافقهم على رأيهم إلى أن قتل بعضهم بعضا ولم يبق من
يخشاه ، فخرج إلى أسبنانوس مطارحاً عليه ، وحرّضه اليهود على قتله فأبى واعتقله
وخرّب أعمال طبرية وقتل أهلها ورجع إلى قيساريّة .

قال ابن كريّون : وفي خلال ذلك حدثت الفتنة في القدس بين اليهود داخل
المدينة ، وذلك أنه كان في جبل الخليل بمدينة كوشالة يهودي اسمه يوحنا ، وكان
مرتكبا للعظائم واجتمع إليه أشراؤ منهم فقوي بهم على قطع السابلة والنهب والقتل ،
فلما استولى الروم على كوشالة لحق بالقدس وتآلف عليه أشراؤ اليهود من فل البلاد التي
أخذها الروم ، فتحكم على أهل المقدس وأخذ الأموال وزاحم عتاني الكهنة
الأعظم ، ثم عزله واستبدل به رجلا من غواتهم وحمل الشيوخ على طاعته ، فامتنعوا
فتغلب عليهم فقتلهم . فاجتمع اليهود إلى عتاني الكهنة وحاربهم يوحنا وتحصنوا في
القدس ، وراسله عتاني في الصلح فأبى ، وبعث إلى أروم يشتجيشهم فبعثوا إليه
بعشرين ألفا منهم ، فأغلق عتاني أبواب المدينة دونهم ، وحاط بهم من الأسوار ، ثم
استغفلوه وكبسوا المدينة ، واجتمع معهم يوحنا فقتلوا من وجوه اليهود نحو من
خمسة آلاف وصادروا أهل النعم على أموالهم ، وبعثوا يوحنا إلى المدن الذين
استأمنوا إلى الروم فغنم أموالهم وقتل من وجد منهم . وبعث أهل القدس في استدعاء
أسبنانوس وعساكره فزحف من قيساريّة حتى إذا توسّط الطريق خرج يوحنا من
القدس وامتنع ببعض الشعب ، فقال إليه أسبنانوس بالعسكر وظفر بالكثير منهم
فقتلهم . ثم سار إلى بلاد أروم ففتحها ، وسبسطية بلاد السامرة ففتحها أيضا ،
وعمر جميع ما فتح من البلاد ، ورجع إلى قيسارية ليزيح الله ويسير إلى القدس .
ورجع يوحنا أثناء ذلك من الشعب ، فغلب على المدينة ، وعاث فيهم بالقتل ،
وتحكم في أموالهم ، وأفسد حريمهم .

قال ابن كريّون : وقد كان ثار بالمدينة في مغيب يوحنا ثائرا آخر اسمه شمعون ،
 واجتمع إليه اللصوص والشرار حتى كثر جمعه وبلغوا نحو من عشرين ألفا ، وبعث
إليه أهل أروم عسكريا فهزمهم واستولى على الضياع ونهب الغلال ، وبعث إلى امرأته
من المدينة فردّها يوحنا من طريقها وقطع من وجد معها ، ثم أسعفوه بأمرأته وسار
إلى أروم فحاربهم وهزمهم ، وعاد إلى القدس فحاصرها وعظم الضرر على أهلها
شمعون خارج المدينة ويوحنا داخلها ، ولجؤا إلى الهيكل وحاربوا يوحنا فغلا

وقتل منهم خلقا ، فاستدعوا شمعون لينصرهم من يوحنا فدخل ونقض العهد وفعل
أشْر من يوحنا .

قال ابن كريّون : ثم ورد الخبر إلى أسبنانوس وهو بمكانه من قيساريّة بموت قيروش
قيصر وأنّ الروم ملكوا عليهم مضعفاً اسمه نطاوس فغضب البطارقة الذين مع
أسبنانوس وملكوه ، وسار إلى رومة وخلف نصف العسكر مع ابنه طيطش ، وقدم بين
يديه قائدين إلى رومة لمحاربة نطاوس الذي ملكه الروم فهزم وقتل ، وسار أسبنانوس
إلى اسكندرية وركب البحر منها ، ورجع طيطش إلى قيساريّة إلى أن ينلسخ فصل
الشتاء ويزيح العلل .

وعظمت الفتن والحروب بين اليهود داخل القدس وكثر القتل حتى سالت الدماء في
الطرق ، وقتل الكهنة على المذبح وهم لا يقربون الصلاة في المسجد لكثرة
الدماء ، وتعذر المشي في الطرق من سقوط حجارة الرمي ومواقد النيران بالليل ،
وكان يوحنا أخبر القوم وأشّرهم .

ولما انسلخ الشتاء زحف طيطش في عساكر الروم إلى أن نزل على القدس وركب إلى
باب البلد يتخيّر المكان لمعسكره ويدعوهم إلى السلم ، فصموا عنه وأكمنوا له بعض
الخوارج في الطريق فقاتلوه ، وخلص منهم بشدّته ، فعبى عسكره من الغد ونزل
بجبل الزيتون شرقي المدينة ورتّب العساكر والآلات للحصار . واتفق اليهود داخل
المدينة ورفعوا الحرب بينهم ، وبرزوا إلى الروم فانهزموا ، ثم عاودوا فظهروا ، ثم
انتقضوا بينهم وتحاربوا ودخل يوحنا إلى القدس يوم الفطر فقتل جماعة من الكهنة
وقتل جماعة أخرى خارج المسجد . وزحف طيطش وبرزوا إليه فردّوه إلى قرب
معسكره ، وبعث إليهم قائده نيقانور في الصلح فأصابه سهم فقتله ، فغضب
طيطش وصنع كبشا وأبراجا من الحديد توازي السور وشحنها بالمقاتلة ، فأحرق اليهود
تلك الآلات ودفنوها وعادوا إلى الحرب بينهم .

وكان يوحنا قد ملك القدس ومعه ستة آلاف أو يزيدون من المقاتلة ، ومع شمعون
عشرة آلاف من اليهود وخمسة آلاف من أروم ، وبقية اليهود بالمدينة مع العازر
وأعطى طيطش الزحف بالآلات وثلم السور الأوّل وملكه إلى الثاني ، فاصطلح اليهود
بينهم وتذاُمروا^(١) واشتدّ الحرب ، وباشرها طيطش بنفسه ثم زحف بالآلات إلى

(١) تذاُمروا : بمعنى تلاوموا ربما عنى المؤرخ تذاُمروا بمعنى تحاضوا على القتال .

السور الثاني فثلمه ، وتذامر اليهود فمنعوا عنه ومكثوا كذلك أربعة أيام .
وجاء المدد من الجهات إلى طيطش ولاذ اليهود بالأسوار وأغلقوا الأبواب ، ورفع
طيطش الحرب ودعاهم إلى المسالمة ، فامتنعوا . فجاء بنفسه في اليوم الخامس
وخاطبهم ودعاهم وجاء معه يوسف بن كريّون فوعظهم ورغبهم في أمانة الروم
ووعدهم ، وأطلق طيطش أسراهم فجنح الكثير من اليهود إلى المسالمة ، ومنعهم
هؤلاء لرؤسا الخوارج ، وقتلوا من يروم الخروج إلى الروم ، ولم يبق من المدينة ما
يعصمهم إلا السور الثالث .

وطال الحصار واشتدّ الجوع عليهم والقتل ، ومن وجد خارج المدينة لرعي العشب
قتله الروم وصلبوه ، حتى رحمهم طيطش ورفع القتل عمن يخرج في ابتغاء
العشب . ثم زحف طيطش إلى السور الثالث من أربع جهاته ونصب الآلات ، وصبر
اليهود على الحرب وتذامر اليهود وصعب الحرب وبلغ الجوع في الشدة غايته ، واستأمن
مِتّاي الكوهن إلى الروم وهو الذي خرج في استدعاء شمعون ، فقتله شمعون وقتل بنيه
وقتل جماعة من الكهنوتية والعلماء والأئمة ممن حذر منه أن يستأمن . ونكر ذلك العازر
بن عنّاني ولم يقدر على أكثر من الخروج من بيت المقدس . وعظمت المجاعة فمات
أكثر اليهود ، وأكلوا الجلود والخشاش^(١) والميتة ، ثم أكل بعضهم بعضا ، وعثر على
امرأة تأكل ابنها ، فأصاب رؤساؤهم لذلك رحمة ، وأذنوا في الناس بالخروج ،
فخرجت منهم أمم وهلك أكثرهم حين أكلوا الطعام . وابتلع بعضهم في خروجه ما
كان له من ذهب أو جوهر ضنة به ، وشعر بهم الروم فكانوا يقتلونهم ويشقون عنها
بطونهم ، وشاع ذلك في توابع العسكر من العرب والأرمن فطردهم طيطش .

وطمع الروم في فتح المدينة وزحفوا إلى سورها الثالث بالآلات ولم يكن لليهود طاقة
بدفعها وإحراقها فثلموا السور ، وبنى اليهود خلف الثلثة فأصبحت منسدة ، وصدّمها
الروم بالكبش فسقطت من الحدة ، واستماتوا في تلك الحال إلى الليل . ثم بيت الروم
المدينة وملكوا الأسوار عليهم وقتلواهم من الغد فانهزموا إلى المسجد ، وقاتلوا في
الحصن ، وهدم طيطش البناء ما بين الأسوار إلى المسجد ليتسع المجال . ووقف ابن
كريّون يدعوهم إلى الطاعة فلم يجيبوا ، وخرج جماعة من الكهنوتية فأمّنهم ومنع

(١) حشرات الارض — حية الجبل (قاموس)

الرؤساء بقيتهم ، ثم باكرهم طيطش بالقتال من الغد فانهزموا الأقداس (٢) وملك الروم المسجد وصحنه .

واتصلت الحرب أياما وهدمت الأسوار كلها وثلم سور الهيكل ، وأحاط العساكر بالمدينة حتى مات أكثرهم وفر كثير . ثم اقتحم عليهم الحصن فملكه ونصب الأصنام في الهيكل ومنع من تخريبه . ونكر رؤساء الروم ذلك ودسّوا من اضرم النار في أبوابه وسقفه ، وألقى الكهنونة أنفسهم جزعا على دينهم وحزنوا ، واختفى شمعون ويوحنا في جبل صهيون ، وبعث إليهم طيطش بالأمان فامتنعوا وطرقوا القدس في بعض الليالي ، فقتلوا قائدا من قواد العسكر ورجعوا إلى مكان اختفائهم . ثم هرب عنهم أتباعهم وجاء يوحنا ملقيا بيده إلى طيطش فقيده ، وخرج إليه يوشع الكوهن بآلات من الذهب الخالص من آلات المسجد فيها منارتان ومائدتان ، ثم قبض على فنحاس خازن الهيكل ، فأطلعه على خزائن كثيرة مملوءة دنانير ودراهم وطيبا فامتلات يده منها ، ورحل عن بيت المقدس بالغنائم والأموال والأسرى ، وأحصى الموتى في هذه الواقعة . قال ابن كريون : فكان عدد الموتى الذين خرجوا على الباب للدفن بأخبار مناحيم الموكل به مائة ألف وخمسة وعشرون ألفا وثمانمائة . وقال غير مناحيم كانت عدّتهم ستمائة ألف دون من ألقى في الآبار ، أو طرح إلى خارج الحصن وقتل في الطرقات ولم يدفن . وقال غيره كان الذي أحصى من الموتى والقتلى ألف ألف ومائة ألف والسبي والأسارى مائة ألف ، كان طيطش في كل منزلة يلقي منهم إلى السباع إلى أن فرغوا . وكان فيمن هلك شمعون أحد الخوارج الثلاثة .

وأما الفرار بن عفان فقد كان خرج من القدس عندما قتل شمعون أمتاي الكوهن كما ذكرنا ، فلما رحل طيطش عن القدس نزل في بعض القرى وحصنها واجتمع إليه فل اليهود ، واتصل الخبر بطيطش وهو في انطاكية ، فبعث إليه عسكرا من الروم مع قائده سلباس فحاصروهم أياما ، ثم نهض الكهنونة وأولادهم وخرجوا إلى الروم مستميتين ، فقاتلوا إلى أن قتلوا عن آخرهم . وأما يوسف بن كريون فافتقد أهله وولده في هذه الوقائع ولم يقف لهم بعدها على خبر وأراد طيطش على السكنى عنده برومة ، فتضرّع إليه في البقاء بأرض القدس ، فأجابه إلى ذلك وتركه . وانقرضت دولة اليهود أجمع ، والبقاء لله وحده سبحانه وتعالى لا انقضاء لملكه ..

(٢) الاصح ان يقول : فانهزم الاقداس .

اغرباس بن اغرباس — بن ارستبلوس — بن هيردوس بن انظفتر المستولى على هرقانوس آخر ملوك بني حشمناي

هيردوس —

انظفتر —

انطيفس —

— سميردوتيسا

— امريلاكيا وپش

— الاسكندر — بن الاسكندر

ارستبلوس بن الاسكندر - بن ارستبلوس - انطقنوس -
 هرقانوس - بن الاسكندر - الاسكندرية -
 ارستبلوس - (يوحنا) -
 العازرا بن عناني يوسف بن كربون
 يوحنا الحليل شمعون
 يوناثال -
 بن متينا بن يوحنا - الكوهن -
 بن شمعون -
 - الاعظم من نسل هرون -
 من بني جسمناي

الخبر عن شأن عيسى بن مريم صلوات الله عليه في ولادته
وبعثته ورفعته من الارض والالمام بشأن الحوارين بعده وكتبهم
الاناجيل الاربعة وديانة النصارى بملته واجتماع الاقسة على
تدوين شريعته

كان بنو ماثان من وُلد داود صلوات الله عليه كهنونية بيت المقدس ، وهو ماثان بن
ألعازر بن أليهود بن أخس بن رادوق بن عازور بن ألياقم بن أيود بن زرو قابل بن
سالات بن يوخنانيا بن يوشيا السادس عشر من ملوك بني اسرائيل بن أمون بن عمون
ابن منشأ بن حزقيا بن أحاز بن يواش بن أحزيا بن يورام بن يهوشافاط بن أسا بن
رحبعم بن سليمان ابن داود صلوات الله عليهما . ويوخنانيا بن يوشيا السادس عشر من
ملوك بني سليمان ولد في جلاء بابل وهذا النسب نقلته من انجيل متى ^(١) . وكانت
الكهنونية العظمى من بعد بني حشمناي لهم ، وكان كبيرهم قبل عصر هيردوس
عمران أبو مريم ، ونسبه ابن إسحق إلى أمون بن منشأ الخامس عشر من ملوك بيت
المقدس من لدن سليمان أبيهم ، وقال فيه عمران بن ياشم بن أمون . وهذا بعيد لأن
الزمان بين عمون وعمران أبعد من أن يكون بينهما أب واحد ، فإن أمون كان قبيل
الخراب الأول وعمران كان في دولة هيردوس قبيل الخراب الثاني ، وبينهما قريب
من أربعمئة سنة . ونقل ابن عساكر ، والظن أنه ينقل عن مستند ، أنه من ولد
زريافيل الذي ولي على بني اسرائيل عند رجوعهم إلى بيت المقدس ، وهو ابن يخنيا
آخر ملوكهم الذي حبسه بختنصر وولّى عمه صدقيا هو بعده كما مرّ . وقال فيه :
عمران بن ماثان بن فلان بن فلان إلى زريافيل ، وعدّ نحواً من ثمانية أباء بأسماء

(١) بعد مقارنة الاسماء في انجيل متى ظهر تباين في بعض الاسماء وهذه هي الاسماء : ابراهيم ولد اسحاق
واسحاق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا واخوته ويهوذا ولد فارص وزارح من تamar وفارص ولد حصرون
وحصرون ولد آرام وآرام ولد عميناب وعميناب ولد نحشون ونحشون ولد سلمون وسلمون ولد بوغز من
ارحاب وبوغز ولد عوبير من راعوت وعوبير ولد يسي ويسى ولد داود الملك ، وداود الملك ولد سليمان
من التي كانت لأوبا ، وسليمان ولد رحبعام ورحبعام ولد أبيّا وأبيّا ولد آسا وآسا ولد يوشافاط ويوشافاط
ولد يورام ويورام ولد عزيا وعزيا ولد يوئام ويوئام ولد آحاز وآحاز ولد حزقيا وحزقيا ولد منسى ومنسى ولد
أمون وأمون ولد يوشيا ويوشيا ولد يكنيا واخوته في جلاء بابل .

عبرانية لا وثوق بضبطها ، وهو أقرب من الأول وفيه ذكر ماثان الذي هو شهرتهم ، ولم يذكره ابن إسحق .

وكان عمران أبو مريم كهنوناً في عصره ، وكانت تحت حنة بنت فاقود بن فيل وكانت من العابدات ، وكانت أختها إيشاع ويقال خالتها تحت زكريّا بن يوحنا ، ونسبه ابن عساكر الى يهوشافاظ خامس ملوك القدس من عهد سليمان أبيهم وعد ما بينه وبين يهوشافاظ إثني عشر أباً أولهم يوحنا بأسماء عبرانية ، كما فعل في نسب عمران ، ثم قال وهو أبو يحيى صلوات الله عليهما ، ويقال بالمد والقصر من غير ألف ، وكان نبياً من بني اسرائيل صلوات الله عليهم اهـ . ونقلت من كتاب يعقوب بن يوسف النجار ماثان يعني ماثان من سبط داود ، وكان له ولدان يعقوب ويؤاقيم ، ومات فتزوج أمها بعده مطنان ، ومطنان بن لاوي من سبط سليمان بن داود وسمي ماثان فولدت هالي من مطنان . ثم تزوج ومات ولم يعقب فتزوج امرأته أخوه لأمه يعقوب بن ماثان فولدت منه يوسف خطيب مريم ونسب إلى هالي ، لأن من أحكام التوراة إن مات من غير عقب فامرأته لآخيه وأول ولد منها ينسب إلى الأول ، فلهذا قيل فيه يوسف بن هالي بن مطنان ، وإنما هو يوسف بن يعقوب بن ماثان وهو ابن عم مريم لحا^(١) .

وكان ليوسف من البنين خمسة بنين وبنت وهم يعقوب ويوشا وبيلوت وشمعون ويهوذا وأختهم مريم ، كانوا يسكنون بيت لحم . فارتحل بأهله ونزل ناصرة وسكن بها وتعلم النجارة حتى صار يلقب بالنجار . وتزوج يؤاقيم حنة أخت إيشاع العاقر امرأة زكريّا بن يوحنا المعمدان ، وأقامت ثلاثين سنة لا يولد لها ، فدعوا الله وولد لها مريم فهي بنت يؤاقيم موثان وهو ماثان . وولدت إيشاع العاقر من زكريا ابنه يحيى . قلت في التنزيل مريم ابنة عمران فليعلم أن معنى عمران بالعبرانية يؤاقيم وكان له إسمان اهـ . وعن الطبري وكانت حنة أم مريم لا تحبل ، فنذرت لله إن حملت لتجعلن ولدها حبساً بيت المقدس على خدمته على عاداتهم في نذر مثله ، فلما حملت ووضعتها لفتها في خرقتها وجاءت بها إلى المسجد فدفعتها إلى عباده وهي ابنة امامهم وكهنونهم ، فتنازعوا في كفالتها ، وأراد زكريّا أن يستبد بها لأن زوجه إيشاع خالتها ، ونازعوه في ذلك لمكان أبيها من امامهم ، فاقترعوا فخرجت قرعة زكريّا عليها فكفلها ووضعها في

(١) لحا : بفتح اللام وشد الحاء المهملة قاله نصر .

مكان شريف من المسجد لا يدخله سواها وهو المحراب فيما قيل . والظاهر أنها دفعتها إليهم بعد مدة إرضاعها .

فأقامت في المسجد تعبد الله وتقوم بصدانة البيت في نوبتها حتى كان يضرب بها المثل في عبادتها ، وظهرت عليها الأحوال الشريفة والكرامات كما قصه القرآن . وكانت خالتها إيشاع زوج زكريا أيضا عاقراً ، وطلب زكريا من الله ولداً ، فبشره بيحيى نبياً كما طلب ، لأنه قال يرثني ويرث من آل يعقوب وهم أنبياء فكان كذلك . وكان حاله في نشوه وصباه عجباً وولد في دولة هيردوس ملك بني اسرائيل ، وكان يسكن القفار ويقتات الجراد ويلبس الصوف من وبر الابل ، وولاه اليهود الكهنونية بيت المقدس ، ثم أكرمه الله بالنبوة كما قصه القرآن . وكان لعهدده على اليهود بالقدس أنطيفس بن هيردوس وكان يسمى هيردوس^(٢) باسم أبيه ، وكان شريراً فاسقاً واغتصب امرأة أخيه وتزوجها ولها ولدان منه ، ولم يكن ذلك في شرعهم مباحاً ، فنكر ذلك عليه العلماء والكهنونية وفيهم يحيى بن زكريا ، المعروف بيوحنا ويعرفه النصارى بالمعمدان ، فقتل جميع من نكر عليه ذلك وقتل فيهم يحيى صلوات الله عليه . وقد ذكر في قتله أسباب كثيرة وهذا أقربها إلى الصحة .

وقد اختلف الناس هل كان أبوه حياً عند قتله ف قيل إنه لما قتل يحيى طلبه بنو اسرائيل ليقتلوه ، فقرأ امامهم ودخل في بطن شجرة كرامة له فدلهم عليه طرف ردائه خارجاً منها ، فشقوها بالمنشار وشق زكريا فيها نصفين . وقيل بل مات زكريا قبل هذا والمشقوق في الشجرة إنما هو شعيا النبي وقد مر ذكره . وكذلك اختلف في دفنه ف قيل دفن بيت المقدس وهو الصحيح . وقال ابو عبيد بسنده إلى سعيد بن المسيب أن بختنصر لما قدم دمشق وجد دم يحيى بن زكريا يغلي ، فقتل على دمه سبعين ألفاً فسكن دمه . ويشكل أن يحيى كان مع المسيح في عصر واحد باتفاق وأن ذلك كان بعد بختنصر بأحقاب متطاولة وفي هذا ما فيه . وفي الإسرائيليات من تأليف يعقوب بن يوسف النجّار أن هيردوس قتل زكريا عندما جاء المحوس للبحث عن إيشوع والانداز به ، وأنه طلب ابنه يوحنا ليقتله مع من قتل من صبيان بيت لحم ، فهربت به أمّه إلى الشقراء واختفت . فطالب به أباه زكريا وهو كهنون في الهيكل ، فقال لا

(٢) وفي الانجيل : هيرودس .

علم لي هو مع أمّه فتهدّده وقتله . ثم قال بعد قتل زكريا بسنة تولى الكهنونية يعقوب بن يوسف إلى أن مات هيرودوس .

وأما مريم سلام الله عليها فكانت بالمسجد على حالها من العبادة إلى أن أكرمها الله بالولاية وبين الناس في نبوتها خلاف من أجل خطاب الملائكة لها . وعند أهل السنة أنّ النبوة مختصة بالرجل ، قاله أبو الحسن الأشعري وغيره وأدلة الفريقين في أمّاكنها . وبشرت الملائكة مريم باصطفاء الله لها ، وأنها تلدُ ولدًا من غير أب يكون نبياً ، فعجبت من ذلك فأخبرتها الملائكة أنّ الله قادر على ما يشاء ، فاستكانت وعلمت أنها محنة بما تلقاه من كلام الناس فاحتسبت .

وفي كتاب يعقوب بن يوسف النجّار أنّ أمّها حنة توفيت لثمان سنين من عمر مريم ، وكان من سنتهم أنها إن لم تقبل التزويج يفرض لها من أرزاق الهيكل ، فأوحى الله إليه أن يجمع أولاد هارون ويردّها إليهم ، فن ظهرت في عصاه آية تدفعها إليه تكون له شبه زوجة ولا يقربها ، وحضر الجمع يوسف النجار فخرج من عصاه حمامة بيضاء ووقفت على رأسه ، فقال له زكريّا هذه عزراء الرب تكون لك شبه زوجة ولا تردّها . فاحتملها متكرّها بنت إثنتي عشرة سنة إلى ناصرة فأقامت معه ، إلى أن خرجت يوماً تستسقي من العين فعرض لها الملك ^(١) أولاً وكلمها ثم عاودها وبشرها بولادة عيسى كما نصّ القرآن . فحملت وذهبت إلى زكريا ببيت المقدس فوجدته على الموت وهو يجود بنفسه ، فرجعت إلى ناصرة ، ورأى يوسف الحمل فلطم وجهه وتخشي الفضيحة مع الكهنونية فيما شرطوا عليه ، فأخبرته بقول الملك ، فلم يصدّق وعرض له الملك في نومه وأخبره أنّ الذي بها من روح القدس ، فاستيقظ وجاء إلى مريم فسجد لها وردّها إلى بيتها . ويقال إنّ زكريا حضر لذلك وأقام فيها سنة اللعان الذي أوصى به موسى ، فلم يصبها شيء وبرّأهما الله . ووقع في إنجيل متى أنّ يوسف خطب مريم ووجدها حاملاً قبل أن يجتمعا ، فعزم على فراقها خوفاً من الفضيحة ، فأمر في نومه أن يقبلها وأخبره الملك بأن المولود من روح القدس ، وكان يوسف صديقاً وولد على فراشه إيشوع انتهى .

وقال الطبري : كانت مريم ويوسف بن يعقوب ابن عمها ، وفي رواية عنه أنه ابن خالها ، وكانوا سدة في بيت المقدس لا يخرجان منه إلّا لحاجة الإنسان ، وإذا نفذ

(١) وفي نسخة أخرى : الملك .

ماؤهما فيملآن من أقرب المياه . فمضت مريم يوماً وتحلف عنها يوسف ، ودخلت المغارة التي كانت تعهد أنها للورد ، فتمثل لها جبريل بشراً ، فذهبت لتجزع ، فقال لها «إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً» فاستسقاها . وعن وهب بن منبه أنه نفخ في جيب درعها فوصلت النفخة إلى الرحم ، فاشتملت على عيسى ، فكان معها ذو قرابة يسمى يوسف النجار ، وكان في مسجد بجبل صهيون ، وكان لخدمته عندهم فضلٌ ، وكانا يحمرانه ويقمانه . وكانا صالحين مجتهدين في العبادة ، ولما رأى ما بها من الحمل استعظمه وعجب منه لما يعلم من صلاحها وأنها لم تغب قط عنه ، ثم سألها فردّت الأمر إلى قدرة الله ، فسكت وقام بما ينوبها من الخدمة . فلما بان حملها أفضت بذلك إلى خالتها إيشاع ، وكانت أيضاً حبلى بيهيى ، فقالت لها اني أرى ما في بطنى يسجد لما في بطنك . ثم أمرت بالخروج من بلدها خشية أن يعيرها قومها ويقتلوا ما في بطنها ، فاحتملها يوسف إلى مصر وأخذها المخاض في طريقها ، فوضعت كما قصّه القرآن ، واحتملته على الحمار ، وأقامت تكتم أمرها من الناس وتتحفظ به ، حتى بلغ إثنتي عشرة سنة وظهرت عليه الكرامات ، وشاع خبره ، فأمرت أن ترجع به إلى إيلياء فرجعت . وتتابع عن المعجزات واثال الناس عليه يستشفون ويسألون عن الغيوب .

قال الطبري : وفي خبر السدي أنها إنما خرجت من المسجد لحيض أصابها ، فكان نفخ الملك ، وأن إيشاع خالتها التي سألتها عن الحمل وناظرتها فيه فحجتها بالقدرة ، وأن الوضع كان في شرقي بيت لحم قريباً من بيت المقدس وهو الذي بنى عليه بعض ملوك الروم البناء الهائل لهذا العهد .

قال ابن العميد مؤرخ النصارى : ولد لثلاثة أشهر من ولادة يحيى بن زكريا ، ولاحدى وثلاثين من دولة هيردوس الأكبر ، ولإثنتين وأربعين من ملك أوغسطس قيصر .

وفي الإنجيل أن يوسف تزوّجها ومضى بها ليكتم أمرها في بيت لحم ، فوضعت هنالك ووضعت في مذود لأنها لم يكن لها موضع نزل . وأن جماعة من المجوس بعثهم ملك الفرس يسألون أين ولد الملك العظيم ؟ وجاءوا إلى هيردوس يسألونه وقالوا جئنا لنسجد له ، وحدثوه بما أخبر الكهان وعلماء النجوم من شأن ظهوره ، وأنه يولد ببيت لحم من ابن سنتين فما دونها . وسمع أوغسطس قيصر بخبر المجوس فكتب إلى هيردوس يسأله ،

فكتب له بمصدوقية خبره وأنه قتل فيمن قتل من الصبيان . وكان يوسف النجار قد أمر أن يخرج به الى مصر ، فأقام هنالك إثنتي عشرة سنة ، وظهرت عليه الكرامات ، وهلك هيودوس الذي كان يطلبه وأمروا بالرجوع إلى إيليا ، فرجعوا . وظهر صدق شعيا النبي في قوله عنه من مصر دعوتك . وفي كتاب يعقوب بن يوسف النجار حذراً من أن يكتب كما أمر أوغسطس في بعض أيامه فاجأها المخاض وهي في طريقها على حمار ، فصابرتها إلى قرية بيت لحم وولدت في غار وسماه إيشوع ، وأنه لما بلغ سنتين ، وكان من أمر المجوس ما قدّمناه ، حذر هيودوس من شأنه وأمر أن يقتل الصبيان بيت لحم ، فخرج يوسف به وبأمه إلى مصر ، أمر بذلك في نومه ، وأقام بمصر سنتين حتى مات هيودوس ، ثم أمر بالرجوع فرجع إلى ناصرة ، وظهرت عليه الخوارق من احياء الموتى وابراء المعتهين وخلق الطير وغير ذلك من خوارقه ، حتى اذا بلغ ثماني سنين كفّ عن ذلك .

ثم جاء يوحنا^(١) المعمدان من البرية ، وهو يحيى بن زكريا ، ونادى بالتوبة والدعاء إلى الدين ، وقد كان شعيا أخبر أنه يخرج أيام المسيح ، وجاء المسيح من الناصرة ولقيه بالأردن فعمده يوحنا وهو ابن ثلاثين سنة ، ثم خرج إلى البرية واجتهد في العبادة والصلاة والرهبانية واختار تلامذته الإثني عشر : سمعان بطرس وأخوه أندراوس ويعقوب بن زبدي وأخوه يوحنا وفيلبس وبرتولوماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفا وتداوس وسمعان القناني^(٢) ويهوذا الأسخريوطي . وشرع في إظهار المعجزات . ثم قبض هيودوس الصغير على يوحنا وهو يحيى بن زكريا لنكيره عليه في زوجة أخيه ، فقتله ودفن بنابلس .

ثم شرّع المسيح الشرائع من الصلاة والصوم وسائر القربات ، وحلّ وحرم وأنزل عليه الانجيل ، وظهرت على يديه الخوارق والعجائب ، وشاع ذكره في النواحي ، واتبعه الكثير من بني إسرائيل ، وخافه رؤساء اليهود على دينهم ، وتآمروا في قتله . وجمع عيسى الحواريين فباتوا عنده ليلتين يطعمهم ويبالغ في خدمتهم بما استعظموه ، قال وإنما فعلته لتأسوا به ، وقال يعظهم ليكفرن بي بعضكم قبل أن يصبح الديك ثلاثاً ويبيعني أحدكم بثمان بختس وتأكلوا ثمني ، ثم افترقوا . وكان اليهود قد بعثوا العيون

(١) وفي الانجيل يوحنا .

(٢) وفي انجيل متى : سمعان الغيور او سمعان القناني او القانوني .

عليهم ، فأخذوا شمعون من الحواريين فتبرأ منهم وتركوه ، وجاء يهوذا الأسخريوطي وبايعهم على الدلالة عليه بثلاثين درهماً ، وأراهم مكانه الذي كان يبيت فيه ، وأصبحوا به إلى فلاطش النبطي^(١) قائد قيصر على اليهود . وحضر جماعة الكهنوتية وقالوا هذا يفسد ديننا ويحل نواميسنا ويدّعي الملك فاقتله . وتوقف فصاحوا به وتوعده بإبلاغ الأمر إلى قيصر فأمر بقتله .

وكان عيسى قد أبلغ الحواريين بأنه يشبه على اليهود في شأنه فقتل ذلك الشبه وصلب ، وأقام سبعا . وجاءت أمّه تبكي عند الخشبة فجاءها عيسى وقال : مالك تبكي ؟ قالت : عليك . قال : إن الله رفعني ولم يصبني إلا خير وهذا شيء شبه لهم ، وقولي للحواريين يلقوني بمكان كذا . فانطلقوا إليه وأمرهم بتبليغ رسالته في النواحي ، كما عين لهم من قبل . وعند علماء النصارى أن الذي بعث من الحواريين إلى رومة بطرس ومعه بولس من الأتباع ولم يكن حوارياً ، وإلى أرض السودان والحبشة ويعبرون عن هذه الناحية بالأرض التي تأكل أهلها والناس متى العشار ، وأندراوس إلى أرض بابل ، والمشرق توماس ، وإلى أرض أفريقية فيلبس ، وإلى أفسوس قرية أصحاب الكهف يوحناس ، وإلى أورشليم وهي بيت المقدس يوحنا ، وإلى أرض العرب والحجاز برتلوماوس ، وإلى أرض برقة والبربر شمعون القناني .

قال ابن إسحق : ثم وثب اليهود على بقية الحواريين يعذبونهم ويفتنونهم ، وسمع قيصر بذلك وكتب إليه فلاطش النبطي قائده بأخباره ومعجزاته وبغي اليهود عليه وعلى يوحنان قبله ، فأمرهم بالكف عن ذلك . ويقال قتل بعضهم . وانطلق الحواريون إلى الجهات التي بعثهم إليها عيسى فأمن به بعض وكذب بعض . ودخل يعقوب أخو يوحنان إلى رومة فقتله غالينوس قيصر وحبس شمعون ، ثم خلص وسار إلى أنطاكية ثم رجع إلى رومة أيام قلوديش قيصر بعد غالينوس ، واتبعه كثير من الناس وآمن به بعض نساء القياصرة وأخبرها بخبر الصليب ، فدخلت إلى القدس وأخرجته من تحت الزبل والقمامات بمكان الصلب وغشته بالحريير والذهب وجاءت به إلى رومة .

وأما بطرس كبير الحواريين وبولص اللذان بعثهما عيسى صلوات الله عليه إلى رومة فأنهما مكثا هنالك يقيمان دين النصرانية ، ثم كتب بطرس الإنجيل بالرومية ونسبه إلى مرقص تلميذه ، وكتب متى الإنجيل بالعبرانية في بيت المقدس ونقله من بعد ذلك

(١) وفي الإنجيل بيلاطس النبطي .

يوحنا بن زيدي إلى رومة ، وكتب لوقا انجيله بالرومية وبعثه الى بعض أكابر الروم ، وكتب يوحنا بن زيدي انجيله برومة . ثم اجتمع الرسل الحواريون برومة ووضعوا القوانين الشرعية لدينهم وصيروها بيد إقليمنطس تلميذ بطرس ، وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها ، فمن القديمة : التوراة خمسة أسفار ، وكتاب يشوع بن نون ، وكتاب القضاة ، وكتاب راعوث ، وكتاب يهوذا ، وأسفار الملوك أربعة كتب ، وسفر بنيامين ، وسفر المقباسين^(١) ثلاثة كتب ، وكتاب عزرا الامام ، وكتاب أشير ، وكتاب قصة هامان ، وكتاب أيوب الصديق ، ومزامير داود النبي ، وكتب ولده سليمان خمسة ، ونبؤات الأنبياء الصغار والكبار ستة عشر كتاباً ، وكتاب يشوع بن شارخ^(٢) . ومن الحديثة : كتب الانجيل الأربعة ، وكتب القتاليقون سبع رسائل ، وكتاب بولس أربع عشرة رسالة ، والإيركسيس وهو قصص الرسل ويسمى أفليمد ثمانية كتب تشتمل على كلام الرسل وما أمروا به ونهوا عنه .

وكتاب النصراني الكبار إلى أساقفتهم الذين يسمون البطارقة ببلاد معينة يعلمون بها دين النصرانية فكان : برومة بطرس الرسول الذي بعثه عيسى صلوات الله عليه ، وكان بيت المقدس يعقوب النجار ، وكان بالاسكندرية مرقس تلميذ بطرس ، وكان بيزنطية وهي قسطنطينية أندرواس^(٣) الشيخ ، وكان بانطاكية^(٤) .

وكان صاحب هذا الدين عندهم والمقيم لمراسمه يسمونه البطرک وهو رئيس الملة وخليفة المسيح فيهم ، ويبعث نوابه وخلفاءه إلى من بعد عنهم من أمم النصرانية ويسمونه الأسقف أي نائب البطرک ، ويسمّون القرا بالقسيس ، وصاحب الصلاة بالحاثلیق ، وقومة المسجد بالشمامسة ، والمنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب ، والقاضي بالمطران . ولم يكن بمصر لذلك العهد أسقف إلى أن جاء دهندس الحادي عشر من أساقفة اسكندرية وكان بطرک أساقفة بمصر . وكان الاساقفة يسمون البطرک أبا ، والقسوس يسمون الأساقفة أبا ، فوقع الاشتراك في اسم الاب ، فاخترع اسم

(١) وهو سفر المكتابين وهو كتابان : الاول والثاني ، كما في التوراة .

(٢) وفي التوراة : يشوع بن سيراخ .

(٣) وفي الانجيل اندراوس .

(٤) بياض بالاصل وفي الانجيل : وكان في الكنيسة التي بانطاكية انبياء ومعلمون منهم برنابا وسمعان الملقب بالاسود ولوققيوس القيرواني ومناين الذي تربى مع هيردوس رئيس الربع وشارل (اعمال الرسل الفصل

البابا لبترك الاسكندرية ل يتميز عن الأسقف في اصطلاح القسوس ، ومعناه أبو الالباء فاشتهر هذا الاسم . ثم انتقل الى بطرك رومة لأنه صاحب كرسي بطرس كبير الحوارين ورسول المسيح ، وأقام على ذلك لهذا العهد يسمى البابا .

ثم جاء بعد قلوديش قيصر نيرون قيصر فقتل بطرس كبير الحوارين وبولص اللذين بعثهما عيسى صلوات الله عليه الى رومة ، وجعل مكان بطرس أرنوس برومة . وقتل مرقص الإنجيلي تلميذ بطرس وكان بالاسكندرية يدعو الى الدين سبع سنين وبعثه في نواحي مصر وبرقة والمغرب وقتله نيرون ، وولى بعده جنينيا وهو أول البطارقة عليها بعد الحوارين . وثار اليهود في دولته على أسقف بيت المقدس وهو يعقوب النجار وهدموا البيعة ودفنوا الصليب الى أن أظهرته هيلانة أم قسطنطين كما نذكره بعد ، وجعل نيرون مكان يعقوب النجار ابن عمه شمعون بن كيافا .

ثم اختلفت حال القياصرة من بعد ذلك في الأخذ بهذا الدين وتركه كما يأتي في أخبارهم ، الى أن جاء قسطنطين بن قسطنطين باني المدينة المشهورة ، وكانت في مكانها قبله مدينة صغيرة تسمى بيزنطية . وكانت أمه هيلانة صالحة فأخذت بدين المسيح لإثنتين وعشرين سنة من ملك قسطنطين ابنها ، وجاءت إلى مكان الصليب فوقفت عليه وترحمت وسألت عن الخشبة التي صلب عليها بزعمهم ، فأخبرت بما فعل اليهود فيها وأنهم دفنوها وجعلوا مكانها مطرحاً للقمامة والنجاسة والجيف والقاذورات ، فاستعظمت ذلك واستخرجت تلك الخشبة التي صلب عليها بزعمهم ، وقيل من علامتها أن يمسه ذو العاهة فيعافى لوقته ، فطهرتها وطيبتها وغشتها بالذهب والحريز ، ورفعتها عندها للتبرك بها ، وأمرت ببناء كنيسة هائلة بمكان الخشبة تزعم أنها قبره وهي التي تسمى لهذا العهد قمامة^(١) . وخربت مسجد بني إسرائيل وأمرت بأن تلقى القاذورات والكناسات على الصخرة التي كانت عليها القبة التي هي قبلة اليهود ، إلى أن أزال ذلك عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عند فتح بيت المقدس كما نذكره هنالك .

وكان من ميلاد المسيح إلى وجود الصليب ثلثمائة وثمان وعشرون سنة ، وأقام هؤلاء النصرانية بطاركتهم وأساقفتهم على إقامة دين المسيح على ما وضعه الحواريون من القوانين والعقائد والأحكام . ثم حدث بينهم اختلاف في العقائد وسائر ما ذهبوا إليه

(١) كان اسمها قيامه فحرفوها قمامة . كذا في الخطط قاله نصر . اهـ .

من الإيمان بالله وصفاته ، وحاش لله وللمسيح وللحواريين أن يذهبوا إليه ، وهو معتقدتهم التثليث . وإنما حملهم عليه ظواهر من كلام المسيح في الإنجيل لم يهتدوا إلى تأويلها ، ولا وقفوا على فهم معانيها ، مثل قول المسيح حين صلب بزعمهم : أذهب إلى أبي وأبيكم . وقال : افعلوا كذا وكذا من البر لتكونوا أبناء أبيكم في السماء وتكونوا تامين ، كما أن أباكم الذي في السماء تام . وقال له في الإنجيل إنك أنت الابن الوحيد . وقال له شمعون الصفا إنك ابن الله حقاً . فلما أثبتوا هذه الأبوة من ظاهر هذا اللفظ زعموا أن عيسى ابن مريم من أب قديم ، وكان اتصاله بمريم تجسد كلمة منه مازجت جسد المسيح وتدرعت به ، فكان مجموع الكلمة والجسد ابناً ، وهو ناسوت كلي قديم أزلي ، وولدت مريم إلهاً أزلياً والقتل والصلب وقع على الجسد والكلمة ، ويعبرون عنهما بالناسوت واللاهوت .

وأقاموا على هذه العقيدة ووقع بينهم فيها اختلاف ، وظهرت مبتدعة من النصرانية اختلفت أقوالهم الكفرية ، كان من أشدهم ابن دنصان ، ودافعهم هؤلاء الأساقفة والبطاركة عن معتقدتهم الذين كانوا يزعمونه حقاً ، وظهر يونس الشميصاني بطرك انطاكية بعد حين أيام افلوديس قيصر ، فقال بالوحدانية ونفى الكلمة والروح ، وتبعه جماعة على ذلك . ثم مات فرد الأساقفة مقالته وهجروها ولم يزلوا على ذلك إلى أيام قسطنطين بن قسطنطين ، فتنصر ودخل في دينهم . وكان باسكندرية أسكندروس البطريرك وكان لعهد أريوش^(١) من الأساقفة ، وكان يذهب إلى حدوث الإبن وأنه إنما خلق الخلق بتفويض الأب إليه في ذلك ، فمنعه اسكندروس الدخول إلى الكنيسة وأعلم أن إيمانه فاسد ، وكتب بذلك إلى سائر الأساقفة والبطاركة في النواحي . وفعل ذلك بأسقفين آخرين على مثل رأي أريوش ، فدفعوا أمرهم إلى قسطنطين وأحضرهم جميعاً لتسع عشرة من دولته ، وتناظروا . ولما قال أريوش : إن الإبن حادث وأن الأب فوض إليه بالخلق . وقال الإسكندروس : بالخلق استحق الألوهية ، فاستحسن قسطنطين قوله وأذن له أن يشيد بكفر أريوش .

وطلب الإسكندروس باجتماع النصرانية لتحرير المعتقد الإيماني ، فجمعهم قسطنطين وكانوا ألفين وثلثمائة وأربعين أسقفاً وذلك في مدينة نيقية ، فسمي المجتمع بمجتمع نيقية ، وكان رئيسهم الإسكندروس بطرك إسكندرية ، وأسطانس بطرك أنطاكية ،

(١) وفي نسخة أخرى أريوس .

ومقاريوس أسقف بيت المقدس . وبعث سلطوس بطرك رومة بقسيس حضر معهم
لذلك نيابة عنه ، فتفاوضوا وتناظروا واتفقوا عنهم ، بعد الاختلاف الكثير ، على
ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً على رأي واحد ، فصار قسطنطين إلى قولهم ، وأعطى سيفه
وخاتمه وباركوا عليه ووضعوا له قوانين الدين والملك ، ونفى أريوش وأشيده بكفره
وكتبوا العقيدة التي اتفق عليها أهل ذلك الجمع ، ونصّها عندهم على ما نقله ابن
العميد من مؤرخيهم والشهرستاني في كتاب الملل والنحل وهو :

« نؤمن بالله الواحد الأحد الأب مالك كل شيء وصانع ما يرى وما لا يرى وبالإبن
الوحيد إيشوع المسيح ^(٢) ابن الله ذكر الخلائق كلها وليس بمصنوع إله حق من جوهر
أبيه الذي بيده أتقنت العوالم وكل شيء الذي من أجلنا ومن أجل خلاصنا بعث
العوالم وكل شيء الذي نزل من السماء وتجسد من روح القدس وولد من مريم البتول
وصلب أيام فيلاطوس ودفن ثم قام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس على يمين
أبيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرى بالقضاء بين الأحياء والأموات ونؤمن بروح
الواحد الحق الذي يخرج من أبيه بمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة
قدسية مسيحية جاثليقية وقيام أبداننا بالحياة الدائمة أبد الآبدين انتهى » .

هذا هو اتفاق الجمع الأول الذي هو مجمع نيقية وفيه إشارة إلى حشر الأبدان ولا
يتفق النصارى عليه ، وإنما يتفقون على حشر الأرواح ويسمون هذه العقيدة الأمانة ،
ووضعوا معها قوانين الشرائع ويسمونها الهمايون :

وتوفي الإسكندروس البطرك بعد هذا الجمع بخمسة أشهر ، ولما عمرت هلانة أم
قسطنطين الكنائس وأحب الملك أن يقدسها ويجمع الاساقفة لذلك ، وبعث
أوسانيوس بطرك القسطنطينية وحضر معهم أثناس بطرك الإسكندرية ، واجتمعوا في
صور وكان أوسانيوس الذي أخرجه إسكندروس مع أريوس من كنيسة إسكندرية .
وكان بسبب ذلك مجمع نيقية وكتاب الأمانة . ونفى أريوس حينئذ وأوسانيوس
وصاحبيهما ولعنوا . جاء أوسانيوس من بعد ذلك وأظهر البراءة من أريوس ومن مقالته
فقبله قسطنطين وجعله بطركاً بالقسطنطينية ، فلما اجتمعوا في صور وكان فيهم
أومانيوس على رأي أريوس ، فأشار أوسانيوس بطرك القسطنطينية بأن يظاهر أثناس
بطرك الاسكندرية عن مقالة أريوس . فقال أومانيوس : إن أريوس لم يقل إن المسيح

(٢) وهو يسوع المسيح كما في الانجيل .

خلق العالم وإنما قال هو كلمة الله التي بها خلق كما وقع في الإنجيل . فقال أثناس بطرك الاسكندرية : وهذا الكلام أيضا يقتضي أن الابن مخلوق وأنه خلق المخلوقات دون الأب لأنه إذا كان يخلق به فالأب لم يخلق شيئا لأنه مستعين بغيره والفاعل بغيره محتاج إلى ذلك المتمم فهو في ذاته الخالق والله سبحانه منزّه عن ذلك وإن زعم أريوس أن الأب يريد الشيء والابن يكونه فقد جعل فعل الابن أتم لأن الأب إنما له الإرادة فقط وللابن الإختراع فهو أتم .

فلما ظهر بطلان مقالة أريوس وثبوا على أومانيوس المناظر عن مقالة أريوس وضربوه ضربا وجيعا ، وخلصه ابن اخت الملك ، ثم قدّسوا الكنائس ، وانقضّ الجمع وبلغ الخبر إلى قسطنطين فقدم على بطركية أوسانيوس بالقسطنطينية وغضب عليه ومات لستين من رياسته ، واجتمع بعد ذلك أصحاب أريوس إلى قسطنطين فحسنوا له تلك المقالة ، وأن جماعة نيقية ظلموا أريوس وبغوا عليه وصدّوا عن الحق في قولهم إن الأب مساوٍ للابن في الجوهرية وكاد الملك أن يقبل منهم . فكتب إليه كيراش أسقف بيت المقدس يحذره من مقالة أريوس فقبل ورجع . واختلف حال ملوك القياصرة بعد قسطنطين في الأخذ بالأمانة أو بمقالة أريوس ، وظهر إحدى الطائفتين متى كان الملك على دينهم . وأفحش بعض ملوك القياصرة في الحق على مخالفه ، فقال له بعض العلماء والحكماء : لا تنكر المخالفة فالحنفاء يختلفون أيضا وإنما هم الخلق يحمدون الله ويصفونه بالصفات الكثيرة والله يحب ذلك . فسكن بعض الشيء وكان بعضهم يعرض عن الطائفتين ويخلي كل أحد ودينه .

ثم كان المجمع الثاني بقسطنطينية بعد مجمع نيقية بمائتين وخمسين سنة اجتمعوا للنظر في مقالة مقدونيوس وسليوس ، بأن جسد المسيح بغيرنا موت وأن اللاهوت أغناه عنها ، مستدلين بما وقع في الإنجيل أن الكلمة صار لحماً ولم يقل صار إنساناً ، وجعلا من الإله عظيماً وأعظم منه والأب أفضل عظماً . وقال : إن الأب غير محدود في القوة وفي الجوهر . فأبطلوا هذه المقالة ولعنوها وأشادوا بكفرهما وزادوا في الأمانة التي قرّرها جماعة نيقية ما نصه : « ونؤمن بروح القدس المنتقى من الأب » . ولعنوا من يزيد بعد ذلك على كلمة الأمانة أو ينقص منها .

ثم كان لهم بعد ذلك بأربعين سنة المجمع الثالث على نسطوريوس البطرك بالقسطنطينية لأنه كان يقول : إن مريم لم تلد إلها وإنما ولدت إنساناً ، وإنما اتحد به في المشيئة لا في الذات وليس هو إلهاً حقيقية بل بالموهبة والكرامة . ويقول بجوهرين

وأقنومين : وهذا الرأي الذي أظهره نسطوريوس كان رأي تاودوس وديودوس الأسقفين ، وكان من مقالاتها أن المولود من مريم هو المسيح والمولود من الآب هو الابن الأزلي والابن الأزلي حلّ في المسيح المحدث فسمي المسيح ابن الله بالموهبة والكرامة ، وإنا الاتحاد بالمشيئة والارادة . فأثبتوا لله ولدين أحدهما بالجواهر والثاني بالنعمة . وبلغت مقالة نسطوريوس إلى كيرلس بطرك اسكندرية ، فكتب إلى بطرك رومة وهو أكليمس ، وإلى يوحنا وهو بطرك أنطاكية ، وإلى يوناوس أسقف بيت المقدس . فكتبوا إلى نسطوريوس ليدفعوه عن ذلك بالحجة فلم يرجع ولا التفت إلى قولهم . فاجتمعوا في مدينة أفسيس^(١) في مائتين أسقفاً للنظر في مقالته ، فقرروا إبطالها ولعنوه وأشاروا بكفره ، ووجد عليهم يوحنا بطرك أنطاكية حيث لم ينتظروا حضوره فخالفهم ووافق نسطوريوس ، ثم أصلح بينهم باوداسوس من بعد مدة واتفقوا على نسطوريوس . وكتب أساقفة المشاركة أمانتهم وبعثوا بها إلى كيرلس فقبلها ونفى نسطوريوس إلى صعيد مصر ، فترل أخميم ومات بها لسبع سنين من نزولها ، وظهرت مقالته في نصارى المشرق وبفارس والعراق والجزيرة والموصل إلى الفرات .

وكان بعد ذلك بإحدى وعشرين سنة المجمع الرابع بمدينة خلقدونية ، اجتمع فيه ستمائة وأربعة وثلاثون أسقفاً من قتيان قيصر للنظر في مقالة ديسقورس بطرك الاسكندرية لأنه كان يقول : المسيح جوهرٌ من جوهرين وأقنوم من أقنومين وطبيعة من طبيعتين ومشية من مشيئتين . وكانت الأساقفة والبطارقة لذلك العهد يقولون بجوهرين وطبيعتين ومشيتين وأقنوم واحد ، فخالفهم ديسقورس في بعض الأساقفة وكتب خطه بذلك ولعن من يخالفه . فأراد مرقيان قيصر قتله ، فأشارت البطارقة بإحضاره وجمع الأساقفة لمناظرته ، فحضر بمجلس مرقيان قيصر وافتضح في مخاطبتهم ومناظرتهم . وخاطبته زوج الملك فأساء الرد فلطمته بيدها ، وسأله الحاضرون بالضرب ، وكتب مرقيان قيصر إلى أهل مملكته في جميع النواحي بأن مجمع خلقدونية هو الحق ومن لا يقبله يقتل . ومرّ ديسقورس بالقدس وأرض فلسطين وهو مضروب مني فاتبعوا رأيه ، وكذلك اتبعه أهل مصر والإسكندرية ، وولّى وهو في النفي أساقفة كثيرة كلهم يعقوبية .

قال ابن العميد : وإنما سمي أهل مذهب ديسقورس يعقوبية لأن اسمه كان في الغلانية

(١) وهي مدينة أفسس كما في الإنجيل .

يعقوب ، وكان يكتب إلى المؤمنين من المسكين المنفي يعقوب . وقيل بل كان له تلميذ اسمه يعقوب فنسبوا إليه . وقيل بل كان شاويرش بطرك أنطاكية على رأي ديسقورس وكان له تلميذ اسمه يعقوب ، فكان شاويرش يبعث يعقوب إلى المؤمنين ليثبتوا على أمانة ديسقورس فنسبوا إليه .

قال : ومن جمع خلقدونية افترت الكنائس والأساقفة إلى يعقوبية وملكية ونسطورية ، فاليعقوبية أهل مذهب ديسقورس الذي قرّناه آنفاً ، والملكة أهل الأمانة التي قرّرها جماعة نيقية وجماعة خلقدونية بعدهم وعليها جمهور النصرانية ، والنسطورية أهل المجمع الثالث وأكثرهم بالشرق . وبقي الملكية واليعقوبية يتعاقبون في الرئاسة على الكراسي بحسب من يريد من القياصرة وما يختارونه من المذهبين .

ثم كان بعد ذلك بمائة وثلاثين سنة أو ثلاث وستين سنة المجمع الخامس بقسطنطينية في أيام يوسيطانوس قيصر ، للنظر في مقالة أقفسح لأنه نقل عنه أنه يقول : بالتناسخ وينكر البعث . ونقل عن أساقفة أنقرا والمصيصة والرها أنهم يقولون أن جسد المسيح فنطائسا^(١) . فأحضر قيصر جمعهم بالقسطنطينية ليناظرهم البطرك بها ، فقال البطرك : إن كان جسد المسيح فني فقله وفعله كذلك . وقال الأسقف أقفسح : إنما قام المسيح من بين الأموات ليحقق البعث والقيامة ، فكيف تنكر ذلك أنت ؟ وجمع لهم مائة وعشرين أسقفا فأشادوا بكفره وأوجبوا لعنتهم ولعنة من يقول بقولهم . واستقرت فرق النصارى على هذه الثلاثة .

الخبر عن الفرس وذكر أيامهم ودولهم وتسمية ملوكهم وكيف كان مصير أمرهم الى تمامه وانقراضه

هذه الأمة من أقدم أمم العالم وأشدهم قوة وآثارا في الأرض ، وكانت لهم في العالم دولتان عظيمتان طويلتان : الأولى منها الكينية ، ويظهر أن مبتدأها ومبتدأ دولة التبابعة وبني إسرائيل واحد وأن الثلاثة متعاصرة . ودولة الكينية هذه هي التي غلب عليها الإسكندر والساسانية الكسروية ، ويظهر أنها معاصرة لدولة الروم بالشام ، وهي التي غلب عليها المسلمون . وأما ما قبل هاتين الدولتين فبعيد ، وأخباره متعارضة

(١) الواضح ان هذه الكلمة محرّفة ومقتضى السياق : فني .

ونحن ذاكرون ما اشتهر من ذلك . وأما أنسابهم فلا خلاف بين المحققين أنهم من وُلدِ سام بن نوح وأن جدّهم الأعلى الذي يتّهمون إليه هو فرس ، والمشهور أنهم من وُلدِ إيران بن أشوذ بن سام بن نوح . وأرض إيران هي بلاد الفرس ، ولما عربت قيل لها إعراق ، هذا عند المحققين . وقيل إنهم منسوبون إلى إيران بن إيران بن أشوذ ، وقيل إلى غليم بن سام . ووقع في التوراة ذكر ملك الأهواز كردامر من بني غليم ، فهذا أصل هذا القول والله أعلم ، لأن الأهواز من ممالك بلاد فارس . وقيل : إلى لاوذ بن إرم بن سام ، وقيل إلى أميم بن لاوذ ، وقيل إلى يوسف بن يعقوب بن إسحق . ويقال إن الساسانية فقط من وُلدِ إسحق وأنه يسمى عندهم وتُرك ، وأن جدّهم منوشهر بن منشحر بن فرهس بن وتُرك ، هكذا نقل المسعودي هذه الأسماء وهي كما تراه غير مضبوطة . وفيما قيل : إن الفرس كلهم من وُلدِ إيران بن أفريدون الآتي ذكره ، وأن من قبله لا يسمون بالفرس والله أعلم . وكان أول ما ملك إيران أرض فارس فتوارث أعقابها الملك ثم صارت لهم خراسان ومملكة النبط والجرامقة ، ثم اتسعت مملكتهم إلى الإسكندرية غرباً وباب الابواب شمالاً . وفي الكتب أن أرض إيران هي أرض الترك ، وعند الإسرائيليين أنهم من وُلدِ طيراس بن يافث وإخوتهم بنو مادي بن يافث وكانوا مملكة واحدة .

فأما علماء الفرس ونسابتهم فيأبون من هذا كله وينسبون الفرس إلى كيومرث ولا يرفعون نسبه إلى ما فوقه ، ومعنى هذا الإسم عندهم ابن الطين وهو عندهم أول النسب ، هذا رأيهم . وأما مواطن الفرس فكانت أول أمرهم بأرض فارس وبهم سميت ، ويجاورهم إخوانهم في نسب أشوذ بن سام وهم فيما قال البيهقي : الكرد والديلم والخزر والنبط والجرامقة . ثم صارت لهم خراسان ومملكة النبط والجرامقة وسائر هؤلاء الأمم ، ثم اتسعت ممالكهم إلى الإسكندرية .

وفي هذا الجليل على ما اتفق عليه المؤرخون أربع طبقات : الطبقة الأولى تسمى البيشدانية ، والطبقة الثانية تسمى الكينية ، والطبقة الثالثة تسمى الاشكانية ، والطبقة الرابعة تسمى الساسانية ، ومدة ملكهم في العالم على ما نقل ابن سعيد عن كتاب تاريخ الأمم لعلّي بن حمزة الأصبهاني ، وذلك من زمن كيومرث أبيهم إلى مهلك يزدجرد أيام عثمان أربعة آلاف سنة ومائتا سنة ونحو إحدى وثمانين سنة . وكيومرث عندهم هو أول ملك نصب في الأرض ويزعمون ، فيما قال المسعودي ، أنه

عاش ألف سنة ، وضبطه بكاف أول الإسم قبل الياء المثناة من أسفل ، والسهيلي ضبطه ، بجيم مكان الكاف والظاهر أن الحرف بين الجيم والكاف كما قدّمناه .

الطبقة الاولى من الفرس وذكر ملوكهم وما صار اليه في الخليقة أحوالهم

الفرس كلهم متفقون على أن كيومرت هو آدم الذي هو أول الخليقة ، وكان له ابن اسمه منشا ومنشا سيامك ولسيامك أفروال ومعه أربعة بنين وأربع بنات ، ومن أفروال كان نسل كيومرت ، والباقون انقروضوا فلا يعرف لهم عقب . قالوا : وولد لأفروال أوشهنك بيشداد ، فاللفظة الأولى حرفها الأخير بين الكاف والقاف والجيم واللفظة الأخرى معناها بلغتهم النور ، قاله السهيلي .

وقال الطبري : أول حاكم بالعدل ، وكان أفروال وارث ملك كيومرت وملك الاقاليم السبعة . قال الطبري عن ابن الكلبي : إنه أوشهنك بن عابر بن شالغ ، قال : والفرس تدعيه وتزعم أنه بعد آدم بمائتي سنة ، قال وإنما كان نوح بعد آدم بمائتي سنة فصيره بعد آدم . وأنكره الطبري لأن شهرة أوشهنك تمنع من مثل هذا الغلط فيه ، ويزعم بعض الفرس أن أوشهنك بيشداد هو مهلايل وأن أباه أفروال هو قينن وأن سيامك هو أنوش وأن منشا هو شيث وأن كيومرت هو آدم . قال وزعمت الفرس أن ملك أوشهنك كان أربعين سنة فلا يبعد أن يكون بعد آدم بمائتي سنة . وقال بعض علماء الفرس : أن كيومرت هو كومر بن يافث بن نوح ، وأنه كان معمرًا ونزل جبل دناوند من جبال طبرستان وملكها ، ثم ملك فارس وعظم أمره وأمر بنيه حتى ملكوا بابل . وأن كيومرت هو الذي بنى المدن والحصون واتخذ الخيل وتسمى بآدم وحمل الناس على دعائه بذلك ، وأن الفرس من عقب ولده ماداي ، ولم يزل الملك في عقبهم في الكينية والكسروية إلى آخر أيامهم .

وتقول الفرس أن أوشهنك وهو مهلايل ملك الهند ، قالوا وملك بعد أوشهنك طهمورث بن أنوجهان بن أنكهد بن أسكهد بن أوشهنك . وقيل مكان أسكهد فيشداد ، وكلها أسماء أعجمية لا عهدنا في نقلها لعجمتها وانقطاع الرواية في الأصول التي نقلت منها :

قال ابن الكلبي : إن طهمورث أول ملوك بابل وأنه ملك الأقاليم كلها وكان محموداً في ملكه وفي أول سنة من ملكه ظهر بيوراسب ودعا إلى ملة الصابئة . وقال علماء الفرس : ملك بعد طهمورث جمشيد ومعناه الشجاع لجماعة وهو جَمّ بن نوجهان أخو طهمورث ، وملك الأرض واستقام أمره ، ثم بَطَر النعمة وساءت أحواله فخرج عليه قبل موته بسنة بيوراسب وظفر به فنشره بمنشار وأكله وشرط أمعاه . وقيل إنه ادّعى الربوبية فخرج عليه أولاً أخوه أستوير فاخفى . ثم خرج بيوراسب فانتزع الأمر من يده وملك سبعمئة سنة . وقال ابن الكلبي مثل ذلك .

قال الطبري : بيوراسب هو الازدهاك والعرب تسميه الضحاك ، وهو بصاد بين السين والزاي وجاء قريب من الهاء وكاف قريبة من القاف وهو الذي عني أبو نواس بقوله :
وكان منّا الضحاك تعبده الـ * جامل^(١) والجن في محاربا

لأنّ اليمن تدعيه . قال : وتقول العجم إنّ جمشيد زوج أخته من بعض أهل بيته وملك على اليمن فولدت الضحاك . وتقول أهل اليمن في نسبه الضحاك بن علوان بن عبيدة بن عويج ، وأنه بعث على مصر أخاه سنان بن علوان ملكاً وهو فرعون إبراهيم ، قاله ابن الكلبي .

وأما الفرس فينسبونه هكذا : بيوراسب بن رتيكان بن ويدوشتك بن فارس بن أفروال ، ومنهم من خالف في هذا . ويزعمون أنه ملك الأقاليم كلها ، وكان ساحراً كافراً وقتل أباه ، وكان أكثر إقامته ببابل .

وقال هشام : ملك الضحاك وهو نمروذ الخليل بعد جمشيد وأنه التاسع منهم ، وكان مولده بدنياوند ، وأنّ الضحاك سار إلى الهند فخالفه أفريدون إلى بلاده فملكها ، ورجع الضحاك فظفر به أفريدون وحبسه بجبال دنياوند ، واتخذ يوم ظفر به عيداً . وعند الفرس أنّ الملك إنّما كان للبيت الذي وطنه أوشهنك وجمشيد وأنّ الضحاك هو بيوراسب خرج عليهم وبنى بابل ، وجعل النبط جنده ، وغلب أهل الأرض بسحره ، وخرج عليه رجل من عامّة أصبهان اسمه عالي ، ويده عصا علق فيها جراباً واتخذها رايةً ، ودعا الناس إلى حربه ، فأجابوا وغلبه فلم يدع الملك وأشار بتولية بني جمشيد لأنّه من عقب أوشهنك ملكهم الأول ابن أفروال ، فاستخرجوا أفريدون من مكان اختفائه فملكوه واتبع الضحاك فقتله ، وقيل أسره بدنياوند . ويقال كان على

(١) الجامل : قطع الإبل مع رعاته وأربابه .

عهد نوح وإليه بعث . ولهذا يقال إن أفريدون هو نوح ، والتحقيق عند نسبة الفرس على ما نقل هشام بن الكلبي أن أفريدون من وُلِدَ جمشيد بينهما تسعة آباء . وملك مائتي سنة وردَّ غصوب الضحاك ومظالمه . وكان له ثلاثة بنين الأكبر سَرْمُ والثاني طوج والثالث إيرج ، وأنه قسَّم الأرض بينهم ، فكانت الروم وناحية المغرب لسَرْمُ ، والترك والصين والعراق لإيرج وآثره بالتاج والسرير ، ولما مات قتله أخواه واقتسما الأرض بينهما ثلثمائة سنة .

ويزعمون أن أفريدون وآبائه العشرة يلقَّبون كلهم أشكيان ، وقيل في قسمته الأرض بين ولده غير هذا ، وأن بابل كانت لإيرج الأصغر وكان يسمَّى خيارث ويقال كان لإيرج إبنان : وندان وأسطوبة وبنت إسمها خورك ، وقتل الإبنان مع أبيهما بعد مهلك أفريدون ، وأن أفريدون ملك خمسمائة سنة وأنه الذي محَا آثار ثمود من النبط بالسواد ، وأنه أوَّل من تسمَّى بكي ، فقيل كي أفريدون ومعناه التتريه أي مخلص متصل بالروحانيات . وقيل معناه البهاء لأنه يغشاه نور من يوم قتل الضحاك ، وقيل معناه مدرك الثَّار . وكان منوشهر الملك ابن منشحر بن إيرج من نسل أفريدون ، وكانت أمّه من وُلِدَ إسحق عليه السلام فكفلته حتى كبر ، فملك وثَّار بأبيه إيرج من عمه بعد حروب كانت له معها ، ثم استبدَّ ونزل بابل وحمل الفرس على دين إبراهيم عليه السلام ، وثَّار عليه فراسياب^(١) ملك الترك فغلبه على بابل وملكها . ثم اتبعه إلى غياض طبرستان فجهَّز العساكر لحصاره وسار إلى العراق فملكه . ويقال فراسياب هذا من عقب طوج بن أفريدون ، ولحق ببلاد الترك عندما قتل منوشهر جدَّ طوج فنشأ عندهم وظهر من بلادهم فل هذا نسب إليهم .

وقال الطبري : لما هلك منوشهر بن منشحور ، غلب أفراسياب بن أشك بن رستم بن ترك على خيارات ، وهي بابل ، وأفسد مملكة فارس وحيرها ، فثار عليه زومر بن طهمارست ، ويقال راسب بن طهمارست . وينسب إلى منوشهر في تسعة آباء ، وأن منوشهر غضب على طهمارست وكانوا يحاربون أفراسياب فهم بقتله وشفع فيه أهل الدولة فنفاه إلى بلاد الترك ، وتزوَّج منهم ثم عاد إلى أبيه وأعمل الحيلة في إخراج إمرأته من بلاد الترك وكانت ابنة وامن ملك الترك ، فولدت له زومر ابنه . وقام بالملك بعد منوشهر وطرده أفراسياب عن مملكة فارس وقتل جدّه وامن في حروبه

(١) وفي نسخة أخرى : افراسياب .

مع الترك ، ولحق أفراسياب بتركستان واتخذ يوم ذلك الغلب عيداً ومهرجناً وكان ثالث أعيادهم . وكان غلبه على بلاد فارس لإثنتي عشرة سنة من وفاة منوشهر جدّه ، وكان زومر بن طهمارست هذا محموداً في سيرته وأصلح ما أفسد أفراسياب بن خيارت من مملكة بابل ، وهو الذي حفر نهر الزاب بالسواد ، وبنى على حافته المدينة العتيقة وسماها الزواهي ، وعمل فيها البساتين وحمل إليها بزور الأشجار والرياحين . وكان معه في الملك كرشاسب من وُلِدَ طوج بن أفريدون وقيل من وُلِدَ منوشهر ، ويقال إنما كان رديفاً له وكان عظيم الشأن في أهل فارس ، ولم يملك وإنما كان الملك لزومر بن طهمارست ، وهلك لثلاث سنين من دولته . وفي أيامه خرج بنو إسرائيل من التيه وفتح يوشع مدينة أريحاء ودال الملك من بغده للكينية حسبما يذكر وأولهم كيقباز . ويقال إن مدة الملك لهذه الطبقة كانت ألفين وأربعمائة وسبعين سنة فيما قال البيهقي والأصهباني ، ولم يذكر من ملوكهم إلا هؤلاء التسعة الذين ذكرهم الطبري والله وارث الأرض ومن عليها .

وقيل زومر

راسب بن طهارست - بن منو شهر بن مشحر بن ايرج - بن افريدون بن جمشيد بن طهمورث بن اوشهنك - بن افروال بن كومت

ح

كرشاسب -
ادنوارتسب

اسطوبه
وندان
خورك
أول من لقب كي

ز

و

د

ب

قيل هو المتسمى آدم

الضحاك

بيوراسب -

خرجت على طهمورث وهو

من ولد افروال وقيل من ولد طوج

ابن افريدون

مايك

يحيى

سرم

سرم

سرم

سرم

كرشاسب -

بن طوج

بن طوج

بن طوج

بن طوج

بن طوج

بن طوج

بن طوج

بن طوج

بن طوج

الطبقة الثانية من الفرس وهم الكينية وذكر ملوكهم وأيامهم إلى حين إنقراضهم

هذه الطبقة الثانية من الفرس وملوكهم يعرفون بالكينية لأنَّ إسم كل واحد مضاف إلى كي وقد تقدّم معناه ، والمضاف عند العجم متأخر عن المضاف إليه وأولهم فيما قالوا كيقباز من عقب منوشهر بينهما أربعة آباء ، وكان متزوجاً بامرأة من زؤوس الترك ولدت له خمسة من البنين : كي وافيا وكيكاوس وكي أرش وكي نية وكي فاسمن ، وهؤلاء هم الجبابرة وآباء الجبابرة . قال الطبري : وقيل إنَّ الملوك الكينية وأولادهم من نسله جرت بينه وبين الترك حروب ، وكان مقياً بنهر بلخ يمانع الترك من طروق بلاده ومملك مائة سنة وانتهى .

وملك بعده ابنه كيكاوس بن كينية وطالت حروبه مع فراسيات ملك الترك ، وهلك فيها ابنه سياوخش ، ويقال كان على عهد داود ، وأنَّ عمراً ذا الأذعار من ملوك التبابعة غزاه في بلاده فظفر به وحبسه عنده باليمن ، وسار وزيره رستم بن دستان بجنود فارس إلى غزو ذي الأذعار فقتله وتخلص كيكاوس إلى ملكه . وقال الطبري كان كيكاوس عظيم السلطان والحماية ، وولد له ابنه سياوخش فدفعه إلى رستم الشديد ابن دستان ، وكان أصهر بسجستان حتى إذا كملت تربيته وفصاله ردّه إلى أبيه ، فرضيه وكفلت به امرأة أبيه فسخطه ، وبعثه لحراب فراسيات^(١) وأمره بالمناهضة ، فراوده فراسيات في الصلح ، وامتنع أبوه كيكاوس فخشي منه على نفسه ، ولحق بفراسيات فزوجه بنته أم كي خسرو ، ثم خشيه فراسيات على نفسه وأشار على ابنته بقتله فقتلته . وترك ابنة فراسيات حاملاً بخسرو وولدت له هنالك ، وأعمل كيكاوس الحيلة في إخراجه فلحق به .

ويقال إنه لما بلغه قتل ابنه ، بعث عساكره مع قواده فوطثوا بلاد الترك وأثخنوا فيها وقتلوا بني فراسيات فيمن قتلوه . قال الطبري وإنه غزا بلاد اليمن ولقيه ذو الأذعار في حمير وقحطان ، فظفر به وأسرّه وحبسه في بئر وأطبق عليه . وإن رستم سار من سجستان فحارب ذا الأذعار ثم اصطالحا على أن يسلم إليه كيكاوس فأخذه ورجع إلى

(١) وفي نسخة أخرى : افراسيات .

بابل ، وكافاه كيكافوس على ذلك بالعتق من عبودية الملك ، ونصب لجلوسه سريرا من فضة بقوائم من ذهب وتوجه بالذهب ، وأقطعه سجستان وأباستان ، وهلك لمائة وخمسين من دولته ، وملك بعده فيما قال الطبري والمسعودي والبيهقي وجماعة من المؤرخين ، حافده كي خسرو وابن ابنه سباوخش .

وقال السهيلي : إنه ملك كي خسرو وبعد ثلاثة آخرين بينه وبينه كيكافوس فأولهم بعده ابنه كي كينة ، ثم من بعده ابنه اجو بن كي كينة ، ثم عمه سباوخش بن كيكافوس ، ثم بعد الثلاثة كي خسرو بن سباوخش اهـ . وهو غريب فانهم متفقون على أن سباوخش مات في حياة أبيه في حروب الترك .

قال الطبري : وقد كان كيكافوس بن كي كينة بن كيقباز ملك كي خسرو حين جاءه من بلاد الترك مع أمه وأسفاقدين بنت فراسيات . قالوا ولما ملك بعث العساكر مع أجو إلى أصبهان لحرب فراسيات ملك الترك للطلب بثأر أبيه سباوخش ، فرحفوا إلى الترك وكانت بينهم حروب شديدة انهزمت فيها عساكر الفرس ، فنهض كي خسرو بنفسه إلى بلخ وقدم عساكره وقواده فقصدوا بلاد الترك من سائر النواحي وهزموا عساكرهم وقتلوا قوادهم . وكان قاتل سباوخش بن كي خسرو فيمن قتل منهم ، وبعث فراسيات ابنه وكان ساحرا إلى كيخسر ويستميله ، فعمد إلى القواد بمنعه وقتاله ، وقاتل فقتل ، وزحف فراسيات فلقبه كي خسرو وكانت بينها حروب شديدة انجلت عن هزيمة فراسيات والترك ، واتبعه كي خسرو فظفر به في أذربيجان فذبحه وانصرف ظافرا . وكان فيمن حضر معه لهذا الفتح ملك فارس وهو كي أوجن بن حينوش بن كيكافوس بن كي كينة بن كيقباز ، وهو عند الطبري أبو كيراسف الذي ملك بعد كيخسر على ما نذكر .

وملك على الترك بعد فراسيات جوراسف ابن أخيه شراشف . ثم أن كي خسرو ترهب وترهد في الملك واستخلف مكانه كيراسف بن كي أوجن الذي قدّمنا انه أبوه عند الطبري ولد كيخسر فقل غاب في البرية ، وقيل مات ، وذلك لستين سنة من ملكه .

ولما ملك كيراسف اشتدت شوكة الترك فسكن لقتالهم مدينة بلخ على نهر جيحون ، وأقام في حروبهم عامة أيامه ، وكان أصهبذ ما بين الأهواز والروم من غربي دجلة في أيام بختنرسي المشتهر ببختنصر ، وأضاف إليه كيراسف ملكا عندما سار إليه وأذن له

في فتح ما يليه ، وسار إلى الشام معه ملوك الفرس وبختنصر ملك الموصل وله
سنجاريف ففتح بيت المقدس ، وكان له الظهور على اليهود واستأصلهم كما مر في
أخبارهم ، وبختنصر هذا الذي غزا العرب وقتلهم واستباحهم ، ويقال إن ذلك
كان في أيام كي بھمن حافد كيستاسب بن كيهراسف .

قال هشام بن محمد : أوحى الله إلى أرميا النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان حافد
زريافيل الذي رجّع بني إسرائيل إلى بيت المقدس ، بأمر بختنصر أن يفرّق العرب
الذين لا أغلاق لبيوتهم ويستبيحهم بالقتل ويعلمهم بكفرهم بالرسول واتخاذهم
الآلهة . وفي كتاب الإسرائيليين والوحي بذلك كان إلى يرميا بن خلقيا وقد مر ذكره ،
وأنه أمر أن يستخرج معد بن عدنان من بينهم ويكفله إلى انقضاء أمر الله فيهم
انتهى .

قال : فوثب بختنصر على من وجده ببلاده من العرب للميرة ، فحبسهم ونادى
بالغزو وجاءت منهم طوائف مستسلمين فقبلهم وأنزلهم بالأنبار والحيرة .

وقال غير هشام إن بختنصر غزا العرب بالجزيرة وما بين أيلة والأبلة ، وملأها عليهم
خيلا ورجالا ولقيه بنو عدنان فهزمهم إلى حضورا واستلحمهم أجمعين . وأن الله
أوحى إلى أرميا ويوحنا أن يستخرجا معد بن عدنان الذي من ولده محمد أختم به
النبيين آخر الزمان ، وهو ابن اثني عشرة سنة ، وردفه يوحنا على البراق وجاء به إلى
حرّان ، وربى بين أنبياء بني إسرائيل .

ورجع بختنصر إلى بابل وأنزل السبي بالأنبار فقبل أنبار العرب وسميت بهم ،
وخالطهم النبط بعد ذلك . ولما هلك بختنصر خرج معد بن عدنان مع أنبياء بني
إسرائيل إلى الحج فحجّوا ، وبقي هنالك مع قومه وتزوج بعانة بنت الحارث بن
مضاض الجرهمي ، فولدت له نزار بن معد .

وأما كيهراسف فكان يحارب الترك عامّة أيامه ، وهلك في حروبهم لمائة وعشرين سنة
من ملكه ، وكان محمود السيرة ، وكانت الملوك شرقا وغربا يحملون إليه الأتاوة
ويعظمونه ، وقيل إنه ولّى ابنه كيستاسب على الملك وانقطع للعبادة . ولما ملك ابنه
كيستاسب شغل بقتال الترك عامّة أيامه ، ودفع لحروبهم ابنه أسفنديار فعظم عناؤه
فيهم . وظهر في أيامه زرادشت الذي يزعم المجوس نبوته ، وكان فيما زعم أهل
الكتاب من أهل فلسطين خادما لبعض تلامذة أرميا النبي خالصة عنده ، فخانه في

بعض أموره فدعا الله عليه فبرص ولحق بأذربيجان وشرع بها دين المجوسية . وتوجه إلى كيستاسب فعرض عليه دينه فأعجبه وحمل الناس على الدخول فيه ، وقتل من امتنع .

وعند علماء الفرس أن زرادشت من نسل منوشهر الملك ، وأن نبياً من بني إسرائيل بعث إلى كيستاسب وهو ببلخ ، فكان زرادشت وجاماسب العالم ، وهو من نسل منوشهر أيضاً ، يكتبان بالفارسية ما يقول ذلك النبي بالعبرانية ، وكان جاماسب يعرف اللسان العربي ويترجمه لزرادشت ، وأن ذلك كان لثلاثين سنة من دولة كيهراسف .

وقال علماء الفرس : إن زرادشت جاء بكتاب ادّعاه وحياً ، كتب في إثني عشر ألف بعده نقشا بالذهب ، وأن كيستاسب وضع ذلك في هيكل باصطخر ووكل به الهرايدة ومنع من تعليمه العامة . قال المسعودي : ويسمى ذلك الكتاب نَسْنَاهُ وهو كتاب الزمزمة ، ويدور على ستين حرفاً من حروف المعجم . وفسره زرادشت وسمي تفسيره زند ، ثم فسّر التفسير ثانياً وسمّاه زنديه ، وهذه اللفظة هي التي عربتها العرب زنديق . وأقسام هذا الكتاب عندهم ثلاثة : قسم في أخبار الأمم الماضية ، وقسم في حدثان المستقبل ، وقسم في نواميسهم وشرائعهم مثل أن المشرق قبلة وأن الصلوات في الطلوع والزوال والغروب وأنها ذات سجّادات ودعوات . وجدّد لهم زرادشت بيوت النيران التي كان منوشهر أحمدها ، ورتب لهم عيدين : النيروز في الاعتدال الربيعي والمهرجان في الاعتدال الخريفي ، وأمثال ذلك من نواميسهم . ولما انقرض ملك الفرس الأول أحرق الإسكندر هذه الكتب ، ولما جاء أردشير جمع الفرس على قراءة سورة منها تسمى أسبا . قال المسعودي : وأخذ كيستاسب بدين المجوسية من زرادشت لخمس وثلاثين سنة من نبوته فيما زعموا ، ونصّب كيستاسب مكانه جاماسب العالم من أهل أذربيجان ، وهو أول موبدان كان في الفرس انتهى .

قال الطبري : وكان كيستاسب مهادناً أرجاماسب ملك الترك وقد اشترط عليه أن تكون دابة كيستاسب موقفة على بابه بمنزلة دواب الرؤسا عند أبواب الملوك ، فمنعه من ذلك زرادشت وأشار عليه بفتنة الترك ، فبعث إلى الدابة والموكل بها وصرفها إليه . وبلغ الخبر إلى ملك الترك فبعث إليه بالعتاب والتهديد وأن يبعث بزرداشت إليه وإلا فيعزّره . وأغلظ كيستاسب في الجواب وأذنه بالحرب ، وسار بعضها إلى بعض

واقْتتلوا وقتل رزين بن كيستاسب وانهزم الترك وأُثخن فيهم الفرس ، وقتل ساحر الترك قيدوشق ورجع كيستاسب إلى بلخ . ثم سعى عنده بابنه أسفنديار فحبسه وقيده وسار إلى جبل بناحية كرمان وسجستان فانقطع به للعبادة ودراسة الدين . وخلف أباه كهراسف في بلخ شيخا قد أبطله الكبر وترك خزائنه وأمواله فيها مع إمراته ، فغزاهم بخا خدراسف وقدم أخا جورا في جموع الترك وكان مرشحا للملك فأُثخن واستباح واستولى على بلخ ، وقتل كهراسف أباهم وغنموا الأموال وهدموا بيوت النيران وسبوا حمائي بنت كيستاسب وأختها ، وكان فيما غنموه العلم الأكبر الذي كانوا يسمونه زركش كاويان وهي راية الحداد الذي خرج على الضحاك وقتله . وولى أفريدون فسموا بتلك الراية ورصعوها بالجواهر ووضعوها في ذخائرهم يسطوها^(١) في الحروب العظام ، وكان لها ذكر في دولتهم وغنمها المسلمون يوم القادسية .

ثم مضى خدراسف ملك الترك في جموعه إلى كيستاسب وهو بجبال سجستان متعبدا فتحصن منه وبعث إلى ابنه أسفنديار مع جاماسب العالم وهو في الجبل فقلده الملك ومحاربة الترك ، فسار إليهم وأبلى في حروبهم فانهزموا ، وغنم ما معهم واسترد ما كانوا غنموه والراية زركش كاويان في جملته . ثم دخل أسفنديار إلى بلادهم في اتباعهم وفتح مدينتهم عنوة ، وقتل ملكهم خدراسف وإخوته ، واستلحم مقاتلته واستباح أمواله ونساءه ، ودخل مدينة فراسيات ودوخ البلاد ، وانتهى إلى بلاد صول والتبت ، وولى على كل ناحية من الترك ، وفرض الخراج ، وانصرف إلى بلخ وقد غصّ به أبوه .

قال هشام بن محمد : فبعثه إلى رستم ملك سجستان الذي كان يستنفره كيقتلهم جدّهم من ملوك اليمن ، وأقطعه تلك الممالك جزاءً لفعله . فسار إليه أسفنديار وقتلته رستم وهلك كيستاسب لمائة وعشرين سنة . ويقال إنه الذي ردّ بني إسرائيل إلى بلادهم وأنّ أمّه كانت من بني طالوت . ويقال إنّ ذلك هو حافد بهمن . وقيل إنّ الذي رذكهم هو كورش من ملوك بابل أيام بهمن بأمره .

ثم ملك بعد كيستاسب حافده كي بهمن ويقال أردشير بهمن . قال الطبري : ويعرف بالطويل الباع لاستيلائه على الممالك والأقاليم . قال هشام بن محمد : ولما ملك سار إلى سجستان طالبا بثأر أبيه فكانت بينهما حروب فقتل فيها رستم بن دستان وأبوه

(١) الأصح ان يقول : يسطونها .

وإخوته وأبناؤه . ثم غزا الروم وفرض عليهم الأتاوة وكان من أعظم ملوك الفرس ،
وبنى مدنا بالسواد ، وكانت أمّه من نسل طالوت لأربعة آباء من لدنه وكانت له أمّ
ولد من سبي بني إسرائيل اسمها راسف وهي أخت زريافيل الذي ملكه على اليهود
بيت المقدس وجعل له رياسة الجالوت وملك الشام ، وملك ثمانين سنة ، فملك
حمائي ملكها الفرس لجمالها ولحسن أدبها وكمال معرفتها وفروسياتها ، وكانت بلغت شهرا
أزاد . وقيل إنما ملكوها لأنها لما حملت من أبيها بدار الأكبر سألته أن يعقد له التاج
في بطنها ففعل ذلك . وكان ابنه ساسان مرشحا للملك فغضب ، ولحق بجبال
اصطخر زاهد يتولى ماشيته بنفسه ، فلما مات أبوه فقدوا ذكرا من أولاده فولوا حمائي
هذه وكانت مظفرة على الأعداء . ولما بلغ ابنها دارا الأشد ، سلّمت إليه الملك
وسارت إلى فارس واختطت مدينة دار ايجرد ، وردت الغزو إلى بلاد الروم ، وأعطيت
الظفر فكثرت سبيهم عندها ، وملك ثلاثين سنة . ولما ملك ابنها دارا نزل بابل وضبط
ملكه وغزا الملوك وأدّوا الخراج إليه ، ويقال إنه الذي ربّ دواب البرد . وكان
معجبا بابنه دارا حتى سمّاه باسمه وولّاه عهده وهلك لإثنتي عشرة سنة .

وملك بعده ابنه دارا بهمن ، وكان له مربّي اسمه بيدلي قتله أبوه دارا بسعاية وزيره
أرشيش محمود ، وندم على قتله . فلما ولي دارا جعل على كتابته أخا بيدلي ثم استوزره
رعيا لمرباه مع أخيه ، فاستفسده على أرشيش وزيره ووزير أبيه وعلى سائر أهل الدولة
استوحشوا منه . وقال هشام بن محمد : وملك دارا بن دارا أربع عشرة سنة فأساء
السيرة وقتل الرؤساء وأهلك الرعية وغزاه الاسكندر بن فيلبس ملك بني يونان . وقد
كانوا يسمّونه ^(١) فوثب عليه بعضهم وقتله ، ولحق بالاسكندر وتقرب

بذلك إليه فقتله الاسكندر وقال هذا جزاء من اجترأ على سلطانه ، وتزوج بته
روشنك كما نذكره في أخبار الاسكندر .

وقال الطبري : قال بعض أهل العلم بأخبار الماضين كان لدارا من الولد يوم قتل أربع
بنين أسسك وبنودار وأردشير وبنّت اسمها روشنك وهي التي تزوجها الاسكندر .
قال : وملك أربع عشرة سنة ، هذه هي الأخبار المشهورة للفرس الأولى إلى ملكهم
الأخير دارا .

(١) لم نجد في كتب التاريخ لقبا لدارا بن دارا ، ولكن ابن الأثير ذكر أن دارا بن بهمن بن اسفنديار كان
يلقب : جهرزاد اي كريم الطبع .

قال هروشيوش مؤرخ الروم في مبدأ دولة الفرس هؤلاء إنما كانت بعد دخول بني إسرائيل إلى الشام ، وعلى عهد عثيثال بن قناز بن يوفنا ، وهو ابن أخي كالب بن يوفنا الذي دبر أمر بني إسرائيل بعد يوشع . قال : وفي ذلك الزمان خرج أبو الفرس من أرض الروم الغريقيين من بلاد آسيا واسمه بالعربية فارس باليونانية يرشور وبالفارسية يرشيرش ، فترل بأهل بيته في ناحية وتغلب على أهل ذلك الموضع فنسبت إليه تلك الأمة ، واشتق إسمها من إسمه ، وما زال أمرهم ينمو إلى دولة كيرش الذي يقال فيه أنه كسرى الأول ، فغلب على القضاعيين ، ثم زحف إلى مدينة بابل وعرض له دونها النهر الثاني بعد الفرات وهو نهر دجلة ، فاحتفر له الجداول وقسمه فيها ، ثم زحف إلى المدينة وتغلب عليها وهدمها ، ثم حارب السريانيين فهلك في حروبهم ببلاد شيت . وولى ابنه قنيشاش بن كيرش فتأثر منهم بأبيه ، وتخطاهم إلى أرض مصر فهدم أوثانهم ونقض شرائعهم ، فقتله السحرة وذلك لألف سنة من ابتداء دولتهم فولي أمر الفرس دارا وقتل السحرة بمصر ورد عمالة^(١) السريانيين إليهم ، ورجع بني إسرائيل إلى الشام في الثانية من أيامه ، وزحف إلى بلاد الروم الغريقيين طالبا ثأر كيرش ، فلم يزل في حروبهم إلى أن هلك لثلاث وعشرين من دولته ثار عليه أحد قواده فقتله ، وولى بعده ابنه أرتشخار أربعين سنة ، وولى بعده ابنه دارا أنوطوسبع عشرة سنة .

ثم ولي بعده ابنه أرتشخار بعد أن نازعه كيرش بن نوطو فقتله أرتشخار واستولى على لأمر وسالم الروم الغريقيين ، ثم انتقضوا عليه واستعانوا بأهل مصر ، فطالت الحرب ثم اصطالحوا ووقعت الهدنة ، وهلك أرتشخار وذلك على عهد الاسكندر ملك اليونانيين وهو خال الاسكندر الأعظم ، وهلك لعده ، فولي أبو الاسكندر الأعظم ببلد مقدونية وهو ملك فيلبش .

وهلك أرتشخار أوقش لست وعشرين من دولته وولى من بعده ابنه شخشار أربع سنين ، وفي أيامه ولي على مقدونية واليونانيين وسائر الروم الغريقيين الاسكندر بن فيلبس . ثم ولي بعده شخاردارا وعلى عهده تغلب الاسكندر على يهود بيت المقدس وعلى جميع الروم الغريقيين ، ثم حدثت الفتنة بينه وبين دارا وتراحفوا مرات انهزم في كلها ، وكان لاسكندر الظهور عليه ، ومضى إلى الشام ومصر فملكها وبني

(١) بكسر العين : تولى إيالة ، وبفتحها : عمل الناقة ، وبضمها : أجر العامل ورزقه .

الإسكندرية ، وانصرف فلقية دارا أنطوس فهزمه وغلب على ممالك الفرس واستولى على مدينتهم وخرج في اتباع دارا فوجده في بعض طريقه جريحا ، ولم يلبث أن هلك من تلك الجراحة ، فأظهر الاسكندر الحزن عليه وأمر بدفنه في مقابر الملوك ، وذلك لألف سنة ونحو من ثمانين سنة منذ ابتداء دولتهم كما قلناه انتهى كلام هروشيوش . وقال السُّهيلي : وجده مشخنا في المعركة فوضع رأسه على فخذه وقال : يا سيد الناس لم أرد قتلك ولا رضيته فهل من حاجة ؟ فقال تتزوج ابنتي وتقتل قاتلي ففعل الاسكندر ذلك . وانقرض أمر هذه الطبقة الثانية والبقاء لله وحده سبحانه وتعالى .

۲. ی ط ح ز ۲
 اشک بن دارا بن حمای بن بنت بهمن بن اسفندیار بن کیستاسب بن کهراسب بن کی کاوس بن کینوش بن کینه — بن کیفاوش

و ط
 کیخسرو بن سیاوخش —
 ک
 کی أجوا —
 ج
 کی کینه —

بن کینه بن کیقباد

قال ابن العميد : في ترتيب هؤلاء الملوك الفرس من بعد كيرش إلى دارا . آخرهم يقال : إنه ملك من بعد كورش ابنه قبوسيسوس ثمانياً وقيل تسعاً وقيل إثنين وعشرين سنة ، وقيل إنه غزا مصر واستولى عليها وتسمى بختنصر الثاني ، وملك بعد أريوش بن كستاسب خمسا وعشرين سنة وهو أول الملوك الأربعة الذين عناهم دانيال بقوله ثلاث ملوك يقومون بفارس والرابع يكثر ماله ويعظم على من قبله . فأولهم دارا بن كستاسب وهو مذكور في المحسّطي ، والثاني دارا ابن الأمة ، والثالث الذي قتله الاسكندر ، وقيل بل هو الرابع الذي عناه دانيال لأنه جعل أول الأربعة داريوش وأخشورش العادي وسركورش ورديفه في الملك ، ثم عد الثلاثة بعده . وفي الثانية من ملكة داريوش بن كيستاسب لبابل تمت سبعون سنة لخراب القدس ، وفي الثالثة كمل بناء البيت ، ثم ملك بعد داريوش بن كيستاسب هذا أسمرديوس المحوسي سنة واحدة وقيل ثلاث عشرة سنة وسمى محوسيا لظهور زرادشت بدين المحوسية في أيامه . ثم ملك أخشويرش بن داريوش عشرين سنة وكان وزيره هامان العمليقي ، وقد مرّت قصته مع الجارية من بني إسرائيل . ثم ملك من بعده ابنه ارطحشاست بن أخشويرش ويلقب بطويل اليدين ، وكانت أمّه من اليهود بنت أخت مردخاي ، وكانت خطيّة عند أبيه ، وعلى يدها تخلص اليهود من سعاية وزيره فيهم عنده ، وكان العزيز في خدمته ، ولعشرين من دولته أمر بهدم أسوار القدس ثم رغب إليه العزيز في تجديدها فبناها في إثنتي عشرة سنة . قال ابن العميد عن المحسّطي إنّ العزيز هذا ويسمى عزراء هو الرابع عشر من الكهنونة من لدن هرون عليه السلام ، وأنه كتب لبني إسرائيل التوراة وكتب الأنبياء من حفظه بعد عودهم من الجلاء الأول ، لأن بختنصر كان أحرقها ، وقيل أنّ الذي كتب لهم ذلك هو يشوع بن أبوصادوق . ثم ملك من بعده ارطحشاست الثاني خمس سنين وقيل إحدى وثلاثين وقيل ست عشرة وقيل شهرين ، ورجّح ابن العميد الخمس لموافقتها سياقة التواريخ ، وكان لعهد أبيقراط وسقراط في مدينة أشياش ، ولعهد كتب النواميس الإثني عشر . ثم ملك بعده صغريتوس ثلاث سنين وقيل سنة واحدة وقيل سبعة أشهر ، ولم يزل محققاً لمرض كان به إلى أن هلك . ثم ملك من بعده دارا ابن الأمة ويلقب الناكيش ، وقيل داريوش ألياريوس ، ملك سبع عشر سنة وكان على عهده من حكماء يونان سقراط وفيثاغورس وأقليوس ، وفي الخامسة من دولته انتقض أهل مصر على يونان واستبدوا

بملكهم بعد مائة وأربع وعشرين سنة ، كانوا فيها في ملكتهم ، ثم ملك من بعده
أرطحشاش ابن أخي كورش داريوش إحدى عشرة سنة وقيل إثنين وعشرين سنة
وقيل أربعين وقيل إحدى وعشرين ، وكان لعهد ألياقم الكوهن الذي داهن الكهنونية
ستاً وأربعين سنة . ثم ملك من بعده أرطحشاش وتسمى أخوش ، ويقال أوغش ،
عشرين سنة وقيل خمسا وعشرين وقيل تسعا وعشرين ، وزحف إلى مصر فملكها
وهرب منها فرعون ساناق إلى مقدونية وإسمه قصطرا ، وبني أرطحشاش قصر الشمع
وجعل فيه هيكلًا وهو الذي حاصره عمرو بن العاص وملكه . ثم ملك من بعده ابنه
أرشيش بن أرطحشاش ، وقيل إسمه فارس ، أربع سنين وقيل إحدى عشرة ،
وكان لعهد من حكماء يونان بقراط وأفلاطون ودمقراطس ، ولعهد قتل بقراط على
القول بالتناسخ وقيل لم يكن مذهبه وإنما ألزمه بعض تلامذته ثم شهدوا عليه وقتل
مسموما قتله القضاة بمدينة أثينا . ثم ملك من بعده ابنه دارا بن أرشيش عشرين سنة
وقيل ست عشرة . وقال ابن العميد عن أبي الراهب : إنه دارا الرابع الذي أشار إليه
دانيال كما مرّ ، وكان هذا الملك عظيما فيهم وتغلب على يونان ، وألزمهم الوظائف التي
كانت عليهم لأبائهم وملكهم يومئذ الإسكندر بن فيلبس وكان عمره ست عشرة سنة ،
فقطع فيه دارا وطلب الضريبة فنع وأجاب بالاغلاظ وزحف إليه فقاتله وقتله
واستولى الإسكندر على ملك فارس وما وراءه انتهى كلام ابن العميد .

الطبقة الثالثة من الفرس وهم الأشكانية ملوك الطوائف وذكر دولهم ومصاير أمورهم إلى نهايتها

هذه الطبقة من ملوك الفرس يعرفون بالأشكانية ، وكافها أقرب إلى الغين ، من ولد
أشكان بن دارا الأكبر ، وقد مرّ ذكره ، وكانوا من أعظم ملوك الطوائف عنه افتراق
أمر الفرس ، وذلك أنّ الإسكندر لما قتل دارا الأصغر استشار معلمه أرسطو في أمر
الفرس ، فأشار عليه أن يفرّق رياستهم في أهل البيوت منهم فتفرّق كلمتهم ويخلص
لك أمرهم ، فولى الإسكندر عطاء النواحي من الفرس والعرب والنبط والجرامقة كلاً
على عمله واستبدّ كلُّ بناحية واستقام له مُلكُ فارس والمشرق . ولما مات الإسكندر
قسم ملكه بين أربعة من أمرائه : فكان مُلكُ مقدونية وأنطاكية وما إليها من ممالك

الروم لفيلبس من قواده ، وكانت الإسكندرية ومصر والمغرب لفيلادفوس ولقبه بطليموس ، وكان الشام وبيت المقدس وما إلى ذلك لدمطوس ، وكان السواد إلى الجبال والأهواز وفارس ليلاقش سيلقس ولقبه أنطيوخس وأقام السواد في ملكته أربعاً وخمسين سنة .

قال الطبري : وكان أشك بن دارا الأكبر خلفه أبوه بالريّ فنشأ بها فلما كبر وهلك الإسكندر جمع العساكر وسار يريد أنطيوخس ، والتقى بالموصل فانهزم أنطيوخس وقتل ، وغلب أشك على السواد من الموصل إلى الريّ وأصبهان ، وعظمه سائر ملوك الطوائف لشرفه ونسبه وأهدوا إليه من غير أن يكون له عليهم إيالة في عزل ولا تولية ، بل إنّما كانوا يعظمونه ويبدؤن بإسمه في المخاطبات وهم مع ذلك متعادون ، تختلف حالاتهم بعضهم مع بعض في الحرب والمهادنة . وقال بعضهم : كان رجلاً من نسل الملوك من فارس مملكا على الجبال وأصبهان والسواد لفوات الاسكندر .

ثم غلب بعد ذلك ولده على السواد وجمعه إلى الجبال وأصبهان وصار كالرئيس على سائر ملوك الطوائف ، ولذلك قصر ذكر هؤلاء الملوك دون غيرهم من الطوائف ، فمنهم من قال : إنه أشك بن دارا ، كما قدّمنا ، وهو قول الفرس . وقيل هو أشك عقب أسفنديار بن كستاسب بينهما ستة آباء . وقيل هو أشك بن أشكان الأكبر من ولد كينية بن كيقباز ، ويقال : إنه كان أعظم الأشكانية وقهر ملوك الطوائف وعلى إصطخر لاتصالها بأصبهان وتخطّأها إلى ما يتاخمها من بلاد فارس فغلب عليه واتصل ملكه عشرين سنة . وملك بعده جور بن أشك وغزا بني إسرائيل بسبب قتلهم يحيى بن زكريا .

وقال المسعودي : ملك أشك بن أشك بن دارا بن أشكان الأول منهم عشر سنين ، ثم سابور ابنه ستين سنة وغزا بني إسرائيل بالشام ونهب أموالهم ، ولإحدى وأربعين من ملكه ظهر عيسى صلوات الله عليه بأرض فلسطين . ثم ملك عمّه جور عشر سنين ، ثم نير بن سابور إحدى وعشرين سنة وفي أيامه غلب طيطش قيصر على بيت المقدس وخرّبها وأجلى منها اليهود كما مرّ . ثم جور بن نير تسع عشرة سنة ، ثم جوسي أخوه أربعين سنة ، ثم هرمز أخوها أربعين سنة ، ثم ابنه أردوان بن هرمز خمس عشرة سنة ، ثم ابنه كسرى بن أردوان أربعين سنة . ثم ابنه يلاوش بن كسرى أربعاً وعشرين سنة ، وفي أيامه غزت الروم السواد مع قيصر يطلبون بثأر أنطيوخس ملك

أنطاكية من اليونان الذي قتله أشك جدّ يلاوش هذا ، فجمع يلاوش العساكر واستنفر ملوك الطوائف بفارس والعراق فوجهوا له بالمدد واجتمع له أربعمئة ألف من المقاتلة ، وولّى عليهم صاحب الحضرم وكان من ملوك الطوائف على السواد ، فرحف إلى قيصر فقتله واستباح عسكر الروم وقتل وفتح أنطاكية وانتهى إلى الخليج . وولّى من بعد يلاش ابنه أردوان بن يلاوش ثلاث عشرة سنة . ثم خرج عليه أردشير بن بابك بن ساسان وجمع مئلك فارس من أيدي ملوك الطوائف وجدّد الدولة الساسانية كما نذكر في أخبارهم .

قال الطبري : وفي أيام الطوائف كانت ولادة عيسى صلوات الله عليه لخمس وستين من غلب الإسكندر على بابل ولاحدى وخمسين من ملك الأشكانية ، والنصاري يزعمون أن ذلك كان لمضي ثلثمائة وثلاث وستين من غلب الإسكندر على بابل . قال الطبري : وجميع سني الطوائف من لدن الإسكندر إلى ظهور أردشير بن بابك واستوائه على الأمر مائتان وستون سنة ، وبعضهم يقول خمسمائة وثلاث وعشرون سنة . وقال بعضهم : ملك في هذه المدة منهم تسعون ملكا على تسعين طائفة كلهم يعظم ملوك المدائن منهم وهم الأشكانيون .

يا	ي	ط	ح	ز	ج	ر	س	د	ب
أردوان بن يلاوش بن كسرى بن أردوان بن هرمز بن فيروز بن سابور بن أشك بن									
أشك بن دارا الأكبر									

الطبقة الرابعة من الفرس وهم الساسانية والخبر عن

ملوكهم الأكاسرة إلى حين الفتح الإسلامي

هذه الدولة كانت من أعظم الدول في الخليقة وأشدّها قوة وهي إحدى الدولتين اللتين صبحهما الإسلام في العالم وهما دولة فارس والروم . وكان مبدأ أمرها من توثب أردشير ابن بابك شاه ملك مرو ، وهو ساسان الأصغر ابن بابك بن سامان بن بابك بن هرمز بن ساسان الأكبر بن كي بهمن . وقد تقدّم ذكر كي بهمن وأنّ ابنه ساسان غضب لما توج للملك أخوه دارا وهو في بطن أمّه ، ولحق بجبال إصطخر فأقام هنالك وتناسل ولده بها إلى أن كان ساسان الأصغر منهم ، فكان قيما على بيت النار

لاصطخر ، وكان شجاعا ، وكانت إمرأته من بيت مُلك فولدت له ابنه بابك ، وُولد لبابك أردشير وضبطه الدارقطني : بالراء المهملة . وكان على اِصطخر يومئذ ملك من ملوك الطوائف وله عامل على دار ابجرد خصي اسمه سري ، فلما أتت لأردشير سبع سنين جاء به جدّه ساسان إلى ملك اِصطخر وسأله أن يضمه إلى عامل دار ابجرد الخصي يكفله إلى أن تتم تربيته ، ولما هلك عامل دار ابجرد أقام بأمره فيها أردشير هذا وملكها ، وكان له علم من المنجمين بأن الملك سيصير إليه ، فوثب على كثير من ملوك الطوائف بأرض فارس فاستولى عليهم ، وكتب إلى أبيه بذلك ، ثم وثب على عامل اِصطخر فغلبه على ما بيده وملك اِصطخر وكثيرا من أعمال فارس .

وكان زعيم الطوائف يومئذ أردوان ملك الأشكانيين فكتب إليه يسأله أن يتوجه فعنّفه ، وكتب إليه بالشخص فامتنع ، وخرج بالعساكر من اِصطخر وقدم موبدان رورين فتوجه ثم فتح كرمان وبها ملك من ملوك الطوائف ، وولى عليها ابنه ، وكتب إليه أردوان يتهدده وأمر ملك الأهواز من الطوائف أن يسير إليه فرجع مغلوباً . ثم سار أردشير إلى أصبهان فقتل ملكها واستولى عليها ، ثم إلى الأهواز فقتل ملكها كذلك ، ثم زحف إليه أردوان عميد الطوائف فهزمه أردشير وقتله وملك همذان والجليل وأذربيجان وأرمينية والموصل ثم السودان . وبني مدينة على شاطئ دجلة شرقي المدائن . ثم رجع إلى اِصطخر ففتح سجستان ثم جرجان ثم مرو وبلخ وخوارزم إلى تخوم خراسان ، وبعث بكثير من الرؤوس إلى بيت النيران ، ثم رجع إلى فارس ونزل صول وأطاعه ملك كوشان ومكران ثم ملك البحرين بعد أن حاصرها مدّة ، وألقى ملكها بنفسه في البحر . ثم رجع فترز المدائن وتوجه ابنه سابور ، ولم يزل مظفرا وقهر الملوك حوله وأثنى في الأرض ، ومدّن المدن واستكثر العمارة وهلك لأربع عشرة سنة من ملكه باِصطخر بعد مقتل أردوان .

وقال هشام بن الكلبي : قام أردشير في أهل فارس يريد الملك الذي كان لأبائه قبل الطوائف وأن يجمعه لملك واحد ، وكان أردوان ملكا على الاردوانيين وهم أنباط السواد ، وكان بابا ملكا على الأرمانيين وهم أنباط الشام ، وبينهما حرب وفتنة فاجتمعا على قتال أردشير فحارباه مناوبة . ثم بعث أردشير إلى بابا في الصلح على أن يدعه في الملك ويخلي بابا بينه وبين أردوان ، فلم يلبث أن قتل أردوان واستولى على السواد فأعطاه بابا الطاعة بالشام ودانت له سائر الملوك وقهرهم . ثم رجع إلى أمر

العرب وكانت بيوتهم على ريف العراق يتزلون الحيرة ، وكانوا ثلاث فرق : الأولى تنوخ ومنهم قضاة الدين كنا قدّمنا أنهم كانوا اقتصلوا مع ملك من التباعة وأتى بهم وكانوا يسكنون بيوت الشعر والوبر ويضعونها غربي الفرات بين الأنبار والحيرة وما فوقها فأنقوا من الإقامة في مملكة أردشير وخرجوا إلى البرية ، والثانية العباد الذين كانوا يسكنون الحيرة وأوطنوها ، والثالثة الأحلاف الذين نزلوا بهم من غير نسبهم ولم يكونوا من تنوخ الناكثين عن طاعة الفرس ولا من العباد الذين دانوا بهم . فملك هؤلاء الأحلاف الحيرة والأنبار وكان منهم عمرو بن عدي وقومه ، فعمروا الحيرة والأنبار ونزلوا وخربوها وكانتا من بناء العرب أيام بختنصر ، ثم عمرها بنو عمرو بن عدي لما أصاروها نزلًا^(١) لملكهم إلى أن أصبحهم الإسلام ، واختط العرب الإسلاميون مدينة الكوفة فدفرت الحيرة .

وكان أردشير لما ملك أسرف في قتل الأشكانية حتى أفناهم لوصية جدّه ، ووجد بقصر أردوان جارية إستملحها ودفعت عن نفسها القتل بإنكار نسبها فيهم ، فقالت أنا مولاة وبكر ، فواقعها وحملت وظنت الأمن على نفسها ، فأخبرته بنسبها فتنكر ودفعها إلى بعض مرابته ليقتلها ، فاستبقاها ذلك المرزيان إلى أن شكى إليه أردشير قلة الولد والخوف على ملكه من الانقطاع وندم على ما سلف منه من قتل الجارية وإتلاف الحمل ، فأخبره بحياتها وأنها ولدت ولداً ذكراً وأنه سمّاه سابور وأنه قد كملت خصاله وآدابه ، فاستحضره أردشير واختبره فرضيه وعقد له التاج .

ثم هلك أردشير فملك سابور من بعده فأفاض العطاء في أهل الدولة وتحير العمال ، ثم شخص إلى خراسان فبهذ أمورها ، ثم رجع فشخص إلى نصيبين فملكها عنوة فقتل وسبى ، وافتتح من الشام مدناً وحاصر أنطاكية وبها من الملوك أريانوس فاقتحمها عليه وأسرهم وحمله إلى جنديسابور فحبسه بها إلى أن فاداه على أموال عظيمة ويقال على بناء شاذروان تستر ويقال جدع أنفه وأطلقه ويقال بل قتله ، وكان بجبال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضّر وبها ملك من الجرامقة يقال له الساطرون من ملوك الطوائف وهو الذي يقول فيه الشاعر :

وأرى الموت قد تدلى من الحضّر على رب أهله الساطرون
ولقد كان آمناً للدّواهي ذا ثراء وجوهر مكنون

(١) بضم النون والزاي : المنزل ، بكسر فسكون : المجتمع ، وبفتح وكسر المكان الذي يتزل فيه (قاموس) .

وقال المسعودي : وهو الساطرون بن إستطرون من ملوك السريانيين . قال الطبري : وتسميه العرب الضيزن . وقال هشام بن محمد الكلبي : من قضاة وهو الضيزن بن معاوية بن العميد بن الأجدم بن عمرو بن النخع بن سليم ، وسند كر نسب سليم في قضاة . وكان بأرض الجزيرة وكان معه من قبائل قضاة ما لا يحصى وكان ملكه قد بلغ الشام ، فخلف سابور في غزاته إلى خراسان وعاث في أرض السواد ، فشخص إليه سابور عند انقضاء غزاته حتى أناخ على حصنه وحاصره أربع سنين قال الأعشى :

وأخو الحَضْر إذ بنَاه وإذ دجلة تجبى إليه والخـابور
شاده مرمرًا وجلَّلـه كلـسا فـلطير في ذراه وكور
لم يهبـه ريح المنون فبـا دالمُك عنه فبـابه مهجور
ثم أعرس بالنضيرة بعين النمر وبات ليلها تتصور في فراشها وكان من الحرير محشوّ بالقز
والقسيّ فإذا ورقة آس بينها وبين الفراش تؤذيها ، فقال : وبحك ما كان أبوك
يغذيك ؟ قالت الزبد والمُخُّ والشهدُ وصفو الخمر ، فقال : وأبيك لأنا أحدث عهدا
وأبعد ودّا من أبيك الذي غذاك بمثل هذا . وأمر رجلا ركب فرسا جموحا وعصب
غداثرها بذنبه ولم يزل يركضه حتى تقطعت أوصالها .

وعند ابن اسحق أنّ الذي فتح حصن الحَضْر وخَرَّبَه وقتل الساطرون هو سابور ذو الأكتاف . وقال السهيلي : لا يصح لأنّ الساطرون من ملوك الطوائف والذي أزال ملكهم هو اردشير وابنه سابور ، وسابور ذو الأكتاف بعدهم بكثير هو التاسع من ملوك أردشير . قال السهيلي وأوّل من ملك الحيرة من ملوك الساسانية سابور بن

(١) الربض : ما حول المدينة من بيوت ومساكن ، سور المدينة أو الضاحية (قاموس).

أردشير ، والحيرة وسط بلاد السواد وحاضرة العرب ، ولم يكن لأحد قبله من آل ساسان حتى استقام العرب على طاعته ، وولّى عليهم عمرو بن عديّ جدّ آل المنذر بعده وأنزله الحيرة ، فجبى خراجهم وإتاوتهم واستعبدهم لسلطانه وقبض أيديهم عن الفساد باقطار ملكه وما كانوا يرومونه بسواد العراق من نواحي مملكته . وولّى بعده ابنه امرأ القيس بن عمرو بن عديّ وصار ذلك ملكا لآل المنذر بالحيرة توارثوه حسبما نذكر بعد .

وهلك سابور لثلاثين سنة من ملكه ووليّ بعده ابنه هرمز ويعرف بالبطل فملك سنة واحدة ، ووليّ بعده ابنه بهرام بن هرمز وكان عامله على مذحج من ربيعة ومضر وسائر بادية العراق والجزيرة والحجاز أمرؤ القيس بن عمرو بن عديّ وهو أول من تنصّر من ملوك الحيرة وطال أمده ملكه . قال هشام بن الكلبي : ملك مائة وأربع عشرة سنة من لدن أيام سابوراه .

وكان بهرام بن هرمز حليما وقورا وأحسن السيرة واقتدى بآبائه ، وكان ماني الثنويّ الزنديق صاحب القول بالنور والظلمة قد ظهر في أيام جدّه سابور فاتبعه قليلا ثم رجع إلى المجوسية دين آبائه ، ولما ولي بهرام بن هرمز جمع الناس لامتحانه ، فأشادوا بكفره وقتله وقالوا زنديق . قال المسعودي : ومعناه أنّ من عدل عن ظاهر إلى تأويله ينسبونه إلى تفسير كتاب زرادشت الذي قدّمنا أنّ اسمه زنده فيقولون زنديهء فعربته العرب فقالوا زنديق ، ودخل فيه كل من خالف الظاهر إلى الباطن المنكر ، ثم اختص في عرف الشرع بمن يظهر الإسلام ويبطن الكفر .

ثم هلك بهرام بن هرمز لثلاث سنين وثلاثة أشهر من دولته ، ووليّ ابنه بهرام ثماني عشرة سنة عكف أولها على اللذات ، وامتدّت أيدي بطانته إلى الرعايا بالجور والظلم فخربت الضياع والقرى حتى نبّه الموبدان لذلك بمثل ضربه له ، وذلك أنّه سامره في ليلة فمرّ راجعا من الصيد فسمعا بومين يتحدّثان في خراب ، فقال بهرام ليت شعري هل أحد فهم لغات الطير؟ فقال له الموبدان : نعم إنا نعرف ذلك أيها الملك وإنهما يتحاوران في عقد نكاح وإنّ الأنثى اشترطت عليه إقطاع عشرين ضيعة من الخراب فقبل الذكر وقال : إذا دامت أيام بهرام أقطعتك ألفاً . فتفطّن بهرام لذلك وأفاق من غفلته وأشرف على أحوال ملكه مباشرة بنفسه وقابضا أيدي البطانة عن الرعية وحسنت أيامه إلى أن هلك . ووليّ بعده بهرام بن بهرام بن بهرام ثلاثة أسماء

متشابهة وتلقب شاه ، وكان مملّكاً على سجستان وهلك لأربع سنين من دولته . وملك بعده أخوه قرسين بن بهرام تسع سنين أخرى ، وكان عادلاً حسن السيرة . وملك بعده ابنه هرمز بن قرسين فوجل منه الناس لفظاظته ، ثم أبدل من خلقه الشر بالخير وسار فيهم بالعدل والرفق والعمارة وهلك لسبع سنين من ولايته . وكان هؤلاء كلهم يتزلون جنديسابور من خراسان . ولما هلك ولم يترك ولداً شق ذلك على أهل مملكته لميلهم إليه ووجدوا ببعض نسائه حملاً فتوجوه وانتظروا إتمامه ، وقيل بل كان هرمز أبوه أوصى بالملك لذلك الحمل فقام أهل الدولة بتدبير الملك ينتظرون تمام الولد .

وشاع في أطراف المملكة أنهم يتلومون^(١) صبيّاً في المهد فطمع فيهم الترك والروم ، وكانت بلاد العرب أدنى إلى بلادهم وهم أحوج إلى تناول الحبوب من البلاد لحاجتهم إليها بما هم فيه من الشظف وسوء العيش ، فسار منهم جمع من ناحية البحرين وبلاد القيس ووحاظة فأناخوا على بلاد فارس من ناحيتهم وغلبوا أهلها على الماشية والحرث والمعاش ، وأكثر الفساد ومكثوا في ذلك حيناً ولم يغزهم أحد من فارس ولا دافعوهم لصغر الملك ، حتى إذا كبر وعرضوا عليه الأمور فأحسن فيها الفصل وبلغ ست عشرة سنة من عمره^(٢) ، ثم أطاق حمل السلاح نهض حينئذ للاستبداد بملكه . وكان أول شيء ابتدأ به شأن العرب ، فجهّز إليهم العساكر وعهد إليهم أن لا يبقوا على أحد ممن لقوا منهم ، ثم شخص بنفسه إليهم وغزاهم وهم غازون ببلاد فارس فقتلهم وأبرح القتل ، وهربوا أمامه وأجاز البحر في طلبهم إلى الخطّ وتعدّى إلى بلاد البحرين قتلاً وتخريباً . ثم غزا بعدها رؤوس العرب من تميم وبكر وعبد القيس فأثنى فيهم وأباد عبد القيس ولحق فلهم بالرمال ثم أتى الإمامة فقتل وأسر وخرب ثم عطف إلى بلاد بكر وتغلب ، ما بين مملكة فارس ومناظر الروم بالشام ، فقتل من وجد هنالك من العرب وطمّ مياههم وأسكن من رجع إليه من بني تغلب دارين^(٣) من البحرين والخطّ من بني تميم هجروا من بكر بن وائل كرمان ويدعون بكر إباد ومن بني حنظلة الأهواز ، وبني مدينة الأنبار والكرخ والسوس . وفيما قاله غيره إن إباداً كان تشتو بالجزيرة وتصيف بالعراق وتشن الغارة . وكانت

(١) لا معنى لهذه الكلمة حسب سياق الجملة وربما تكون محرفة عن : يولون .

(٢) الأصح ان يقول : لما أطاق حمل السلاح .

(٣) بمعنى البلد .

تسمى طمّا^(١) لانطباقها على البلاد ، وسابور يومئذ صغير حتى اذا بلغ القيام على ملكه شرع في غزوهم ورئيسهم يومئذ الحرث بن الأغرّ الأيادي ، وكتب إليهم بالندى بذلك رجل^(٢) من إياد كان بين ظهرائي الفرس ، فلم يقبلوا حتى واقعتهم العساكر فاستلحمهم وخرجوا إلى أرض الجزيرة والموصل إجلاء ولم يعاودوا العراق . ولما كان الفتح طلبهم المسلمون بالجزيرة مع تغلب وغيرهم فأنفوا ولحقوا بأرض الروم . وقال السهيلي : عند ذكر سابور بن هرمز إنه كان يخلع أكتاف العرب ولذلك لقبه العرب ذو الأكتاف ، وأنه أخذ عمرو بن تميم بأرضهم بالبحرين وله يومئذ ثلثمائة سنة وإنه قال : إنما أقتلكم معاشر العرب لأنكم ترعمون أن لكم دولة . فقال له عمرو بن تميم : ليس هذا من الحزم أيها الملك فإن يكن حقاً فليس قتلك إياهم بدافعه وتكون قد اتخذت يداً عندهم يتتفع بها ولدك وأعقاب قومك . فيقال إنه استبقاه ورجم كبره .

ثم غزا سابور بلاد الروم وتوغل فيها ونازل حصونهم ، وكان ملوك الروم على عصره قسطنطين وهو أول من تنصّر من ملوكهم وهلك قسطنطين وملك بعده إليانوس من أهل بيته وانحرف عن دين النصرانية وقتل الاساقفة وهدم البيع وجمع الروم وانحدر لقتال سابور . واجتمعت العرب معهم لثأرهم عند سابور بمن قتل منهم وسار قائد إليانوس واسمه يوسانوس في مائة وسبعين ألفاً من المقاتلة ، حتى دخل أرض فارس ، وبلغ خبره وكثرة جموعه إلى سابور فأحجم عن اللقاء وأجفل وصحبه العرب ، ففضوا جموعه وهرب في فلّ من عسكره ، واحتوى إليانوس على خزائنه وأمواله واستولى على مدينة طبسون من مدائن ملكه . ثم استنفر أهل النواحي واجتمعت إليه فارس وارتجع مدينة طبسون وأقاما متظاهرين ، وهلك إليانوس بسهم أصابه ، فبقي الروم فوضى وفرعوا إلى يوسانوس القائد أن يملكوه ، فشرط عليهم الرجوع إلى دين النصرانية كما كان قسطنطين فقبلوا . وبعث إليه سابور في القدوم عليه ، فسار إليه في ثمانين من أشرف الروم ، وتلقاه سابور وعانقه وبالغ في إكرامه وعقد معه الصلح على

(١) الطمّ : البحر ، العدد الكثير (قاموس)

(٢) ربما كان يقصد به لقيط بن يعمر الأيادي ، وكان كاتباً في البلاط الفارسي ومن قصيدته المنذرة :

يا أيها الراكب المزجي مطيته
لا تلهكم إبل ليست لكم إبل
إلى الجزيرة مرتاداً ومتجعجعا
إن العدو بعظم منكم قرعاً

أن يعطي الروم قيمة ما أفسدوه من بلاد فارس وأعطوا بدلا عن ذلك نصيبين فرضي بها أهل فارس ، وكانت مما أخذه الروم من أيديهم فملكها سابور وشرّد عنها أهلها خوفا من سطوته ، فنقل إليها من أهل إصطخر وأصبهان وغيرهما . وانصرف يوسانوس بالروم وهلك عن قرب ورجع سابور إلى بلاده .

وفيما نقله بعض الإخباريين إن سابور دخل بلاد الروم متكررا وعثر عليه فأخذ وحبس في جلد ثور وزحف ملك الروم بعساكره إلى جنديسابور فحاصرها ، وإن سابور هرب من حبسه ودخل جنديسابور المدينة ثم خرج إلى الروم فهزمهم وأسر ملكهم قيصر ، وأخذ به بعمارة ما خرب من بلاده ونقل التراب والغروس إليها ثم قطع أنفه وبعث به على حمار إلى قومه ، وهي قصة واهية تشهد العادة بكذبها .

ثم هلك سابور لاثنتين وسبعين سنة من ملكه وهو الذي بنى مدينة نيسابور وسجستان وبنى الإيوان المشهور لمقعد ملوكهم ، وملك لعهدده أمرؤ القيس بن عديّ ، وأوصى بالملك لأخيه أردشير بن هرمز ، وفتك في أشراف فارس وعظمائهم فخلعوه لأربعين سنة من دولته . وملكوا سابور بن ذي الأكتاف فاستبشر الناس برجوع ملك أبيه إليه ، وأحسن السيرة ورفق بالرعية وحمل على ذلك العمّال والوزراء والحاشية ولم يزل عادلا ، وخضع له عمه أردشير المخلوع ، وكانت له حروب مع إياد وفي ذلك يقول شاعرهم :

على رغم سابور بن سابور أصبحت قبابُ إياد حولها الخيل والنعم
وقيل إن هذا الشعر إنما قيل في سابور ذي الأكتاف . ثم هلك سابور لخمس سنين من دولته ، وملك أخوه بهرام ويلقب كرمان شاه وكان حسن السياسة وهلك لإحدى عشرة سنة من دولته رماه بعض الرماة بسهم في القتال فقتله . وملك بعده ابنه يزديجرد الأثيم ، وبعض نسابة الفرس يقول إنّه أخوه ولي ابنه وإنّا هو ابن ذي الأكتاف . وقال هشام بن محمد : كان فظّا غليظا كثير المكر والخديعة يفرغ في ذلك عقله وقوة معرفته وكان معجبا برأيه سيء الخلق كثير الحدة يستعظم الزلة الصغيرة ويردّ الشفاعة من أهل بطانته متبها للناس قليل المكافأة . وبالجملة فهو سيء الأحوال مذمومها واستوزر ، لأول ولايته برسيّ الحكيم ويسمى فهر برشي ومهر مرسة ، وكان متقدّما في الحكمة والفضائل وأمل أهل المملكة أن تهرب من يزديجرد الأثيم ، فلم يكن ذلك واشتدّ أمره على الأشراف بالاهانة وعلى من دونهم بالقتل . وبينما هو جالس في

مجلسه يوما إذا بفرس^(١) عابر لم يطق أحد إمساكه قد وقف ببابه ، فقام إليه ليتولى إمساكه بنفسه فرمحه فمات لوقته لاحدى وعشرين سنة من ملكه .

وملك بعده ابنه بهرام بن يزدجرد ويلقب بهرام جور ، وكان نشوؤه ببلاد الحيرة مع العرب أسلمه أبوه إليهم فربي بينهم وتكلم بلغتهم ولما مات أبوه قدم أهل فارس رجلا من نسل أردشير ، ثم زحف بهرام جور بالعرب فاستولى على ملكه كما نذكر في أخبار آل المنذر . وفي أيام بهرام جور سار خاقان ملك الترك إلى بلاد الصغد من ممالكه فهزمه بهرام وقتله ، ثم غزا الهند وتزوج ابنة ملكهم فهابته ملوك الأرض ، وحمل إليه الروم الأموال على سبيل المهادنة ، وهلك لتسع وعشرين من دولته .

وملك ابنه يزدجرد بن بهرام جور واستوزر مهر برسي الحكيم الذي كان أبوه استوزره ، وجرى في ملكه بأحسن سيرة من العدل والاحسان ، وهو الذي شرع في بناء الحائط بناحية الباب والأبواب ، وجعل جبل الفتح سدا بين بلاده وما وراءها من أمم الأعاجم ، وهلك لعشرين سنة من دولته .

وملك من بعده ابنه هرمز وكان ملكا على سجستان فغلب على الدولة ولحق أخوه فيروز بملك الصغد بمرور الروذ . وهذه الأمم هم المعروفون قديما بالهياطلة وكانوا بين خوارزم وفرغانة ، فأمر فيروز بالعساكر وقاتل أخاه هرمز فغلبه وحبسه . وكانت الروم قد امتنعت من حمل الخراج فحمل إليهم العساكر مع وزيره مهر برسي ، فأثنى في بلادهم حتى حملوا ما كان يحملونه واستقام أمره وأظهر العدل . وأصابهم القحط في دولته سبع سنين فأحسن تدبير الناس فيها وكفّ عن الجباية وقسم الأموال ، ولم يهلك في تلك السنين أحد إتلافاً . وقيل أنه استسقى لرعيته من ذلك القحط فسقوا وعادت البلاد إلى أحسن ما كانت عليه . وكان لأول ما ملك أحسن إلى الهياطلة جزاء بما أعانوه على أمره ، فقوي ملكهم أمره وزحفوا إلى أطراف ملكه وملكوا طخارستان وكثيرا من بلاد خراسان وزحف هو إلى قتالهم فهزموه وقتلوه وأربعة بنين له وأربعة إخوة واستولوا على خراسان بأسرها . وسار إليهم رجل من عظماء الفرس من أهل شيراز فغلبهم على خراسان وأخرجهم منها حتى ألقوا بجميع ما أخذوه من عسكر فيروز من الأسرى والسبي ، وكان مهلكه لسبع وعشرين من ملكه . وبنى المدن بالري

(١) وردت هذه القصة في كتاب التاج للجاحظ ص ٢٧٤ : «... وقالت الفرس ، هذا ملك من الملائكة جعله الله في صورة فرس ، فبعثه لقتل يزدجرد لما ظلم الرعية وعاث في الأرض » .

وجرجان وأذربيجان .

وقال بعضهم : إن ملك الهياطلة الذي سار إلى فيروز اسمه خشتوا^(١) ، والرجل الذي استرجع خراسان من يده هو خرسوس من نسل منوشهر ، وإن فيروز استخلفه لما سار إلى خشتوا والهياطلة على مدينتي الملك وهما طبسون ونهرشير ، فكان من أمره مع الهياطلة بعد فيروز ما تقدّم .

وملك بعد فيروز بن يزدجرد ابنه يلاوش بن فيروز ونازعه أخوه قباذ الملك فغلبه يلاوش ولحق قباذ بخاقان ملك الترك يستنجد به . وأحسن يلاوش الولاية والعدل وحمل أهل المدن على عمارة ما خرب من مدنها ، وبنى مدينة ساباط بقرب المدائن ، وهلك لأربع سنين من دولته . وملك من بعده أخوه قباذ بن فيروز وكان قد سار بعساكر الترك أمده بها خاقان ، فبلغه الخبر بمهلك أخيه وهو بنيسابور من طريقه ، وقد لقي بها إبناً كان له هنالك حملت به أمّه منه عند مروره ذلك إلى خاقان ، فلما أحل بنيسابور ومعه العساكر سأل عن المرأة ، فأحضرت ومعها الخبر وجاء الخبر هنالك بمهلك أخيه يلاوش فتيمن بالمولود وسار إلى سرحد الذي كان أبوه فيروز استخلفه على المدائن ، ومال الناس إليه دون قباذ واستبدّ عليه . فلما كبر وبلغ سن الاستبداد بأمره أنف من استبداد سرحد عليه ، فبعث إلى أصهبند البلاد وهو سابور مهران فقدم عليه وقبض على سرحد وحبسه ثم قتله ولعشرين من دولته حبس وخلع . ثم عاد إلى الملك وصورة الخبر عن ذلك أن مزدك الزنديق كان إباحياً ، وكان يقول باستباحة أموال الناس وأنها فيء ، وأنه ليس لأحد ملك شيء ولا حجره ، والأشياء كلها ملك لله مشاع بين الناس لا يختص به أحد دون أحد وهو لمن اختاره ، فعثر الناس منه على متابعة مزدك في هذا الاعتقاد واجتمع أهل الدولة فخلعوه وحبسوه ، وملكوا جاماسات أخاه .

وخرج رزمهر شاكيا داعياً لقباذ ويقرب إلى الناس بقتل المزدكية ، وأعاد قباذ إلى ملكه ، ثم سعت المزدكية عنده في رزمهر بإنكار ما أتى قبلهم فقبله ، واتهمه الناس برأي مزدك فانتقضت الأطراف وفسد الملك وخلعوه وحبسوه وأعادوا جاماسات . وفر قباذ من محبسه ولحق قباذ بالهياطلة وهم الصغد مستجيشاً لهم ، ومرّ في طريقه بأبو شهر فتزوج بنت ملكها وولدت له أنوشروان ، ثم أمده ملك الهياطلة ، فزحف إلى

(١) وفي الكامل : أخشنوار .

المدائن لست سنين من مغيبه وغلب أخاه جاماسات واستولى على الملك . ثم غزا بلاد الروم وفتح آمد وسبى أهلها وطالت مدته وابتنى المدن العظيمة منها مدينة أرجان بين الأهواز وفارس ، ثم هلك لثلاث وأربعين سنة من ملكه في الكرة الأولى .

وملك ابنه أنوشروان بن قباد بن فيروز بن يزدجرد ، وكان يلي الأصبهذ وهي الرياسة على الجنود ، ولما ملك فرق أصبهذ البلاد على أربعة فجعل : أصبهذ المشرق بخراسان والمغرب بأذربيجان وبلاد الخزر واسترد البلاد التي تغلب عليها جيران الأطراف من الملوك مثل السند وبست الرُخج وزابلستان وطخارستان ودهستان . وأثنى في أمة البازر وأجلى بقيتهم ، ثم أدهنوا واستعان بهم في حروبه . وأثنى في أمة صول واستلحمهم ، وكذلك الجرامقة وبلنجر واللان وكانوا يجاورون أرمينية ويتملاون على غزوها فبعث إليهم العساكر واستلحموهم وأنزل بقيتهم أذربيجان . وأحكم بناء الحصون التي كان بناها قباد وفيروز بناحية صول واللان لتحصين البلاد ، وأكمل بناء الأبواب والصور الذي بناه جدّه بجبل الفتح ، بنوه على الأزماق المنفوخة تغوص في الماء كلما ارتفع البناء إلى أن استقرت بقعر البحر وشقت بالخناجر فتمكن الحائط من الأرض ثم وصل السور في البرما بين جبل الفتح والبحر ، وفتحت فيه الأبواب ثم وصلوه في شعاب الجبل وبقي فيه إلى أن كمل . قال المسعودي : إنه كان باقيا لعصره . والظن أن التتر خربوه بعدلما استولوا على ممالك الإسلام في المائة السابعة ، ومكانه اليوم في مملكة بني ذو شيخان ملوك الشمال منهم . وكان لكسرى أنوشروان في بنائه خبر مع ملوك الخزر .

ثم استفحل ملك الترك زحف خاقان سيحور وقتل ملك الهياطلة واستولى على بلادهم وأطاعه أهل بلنجر وزحف إلى بلاد صول في عشرة آلاف مقاتل ، وبعث إلى أنوشروان يطلب منه ما أعطاه أهل بلنجر في الفداء ، وضبط أنوشروان أرمينية بالعساكر ، وامتنعت صول بملكها أنوشروان والناحية الأخرى بسور الأبواب ، فرجع خاقان خائبا .

وأخذ أنوشروان في إصلاح السابلة والأخذ بالعدل وتفقد أهل المملكة وتحير الولاة والعمال مقتديا بسيرة أردشير بن بابك جدّه . ثم سار إلى بلاد الروم وافتتح حلب وقبرص وحمص وانطاكية ومدينة هرقل ثم الاسكندرية ، وضرب الجزية على ملوك القبط ، وحمل إليه ملك الروم الفدية ، وملك الصين والتبت الهدايا . ثم غزا بلاد

الخزر وأدرك فيهم بثأره وما فعلوه ببلادهم . ثم وفد عليه ابن ذي يزن من نسل الملوك التابعة يستجيشه على الحبشة فبعث معه قائدا من قواده في جند من الديلم فقتلوا مسروقا ملك الحبشة باليمن وملكوها ، وملك عليهم سيف بن ذي يزن . وأمره أن يبعث عساكره إلى الهند فبعث إلى سرنديب قائدا من قواده فقتل ملكها واستولى عليها وحمل إلى كسرى أموالا جمّة . وملك على العرب في مدينة الحيرة . ثم سار نحو الهياطلة مطالبا بثأر جدّه فيروز فقتل ملكهم واستأصل أهل بيته ، وتجاوز بلغ وما وراءها ، وأنزل عساكره فرغانة وأثنخ في بلاد الروم وضرب عليهم الجزى . وكان مكرما للعلماء محبا للعلم وفي أيامه ترجم كتاب كليلّة وترجمه من لسان اليهود^(١) وحله بضرب الأمثال ويحتاج إلى فهم دقيق . وعلى عهده ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم لإثنتين وأربعين سنة من ملكه وذلك عام الفيل . وكذلك ولد أبوه عبدالله بن عبد المطلب لأربع وعشرين من ملكه .

قال الطبري : وفي أيامه رأى الموبدان الإبل الصعاب تقود الخيل العرب وقد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فأفرعه ذلك ، وقصّ الرؤيا على من يعبرها ، فقال : حادث يكون من العرب . فكتب كسرى إلى النعمان أن يبعث إليه بمن يسأله عما يريد فبعث إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حسان بن نفيلة الغساني وقصّ عليه الرؤيا فدله على سطّيح ، وقال له : إئتته أنت فسار إليه وقصّ عليه الرؤيا فأخبره بتأويلها وأنّ ملك العرب سيظهر والقصة معروفة . وكان فيما قاله سطّيح أنّه يملك من آل كسرى أربعة عشر ملكا فاستطال كسرى المدّة وملكوا كلهم في عشرين سنة أو نحوها .

وبعث عامل اليمن وهرز بهديّة وأموال وطرف من اليمن إلى كسرى ، فأغار عليها بنو يربوع من تميم وأخذوها ، وجاء أصحاب العير إلى هوزة بن عليّ ملك اليمامة من بني حنيفة ، فسار معهم إلى كسرى فأكرمه وتوجه بعقد من لؤلؤ ومن ثمّ قيل له ذو التاج ، وكتب إلى عامله بالبحرين في شأنهم ، وكان كثيرا ما يوقع بيني تميم ويقطعهم حتى سمّوه المكفر فتحيل عليهم بالميرة ، ونادى مناديه في أحيائهم : إنّ الأمير يقسم فيكم بحصن المشعر ميرة ، فتسايّلوا^(٢) إليه ودخلوا الحصن ، فقتل الرجال وخصى

(١) ترجم الكتاب من اللغة الهندية . وفي مقدمة هذا الكتاب عرض وافي لكيفية الحصول عليه من المكتبة الهندية .

(٢) أي قدموا من كل جهة كالسيل .

الصبيان . وجاءت هدية أخرى من اليمن على أرض الحجاز أجازها رجل من بني كنانة فعدت عليه قيس وقتلوه وأخذوا الهدية ، فنشأت الفتنة بين كنانة وقيس لأجل ذلك وكانت بينهما حرب الفجار عشرين سنة وشهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم صغيرا كان ينبل على أعمامه . ثم هلك أنوشروان ثمان وأربعين من دولته وملك ابنه هرمز .

قال هشام : وكان عادلا حتى لقد أنصف من نفسه خصيًّا كان له ، وكانت له خولة في الترك وكان مع ذلك يقتل الأشراف والعلماء ، وزحف إليه ملك الترك شبابة في ثلثمائة ألف مقاتل ، فسار هرمز إلى هراة وباذغيس لحربهم ، وخالفه ملك الروم إلى ضواحي العراق ، وملك الخزر إلى الباب والأبواب ، وجموع العرب إلى شاطئ الفرات . فعاثوا في البلاد ونهبوا واكتففته الأعداء من كل جانب ، وبعث قائده بهرام صاحب الري إلى لقاء الترك ، وأقام هو بمكانه من خراسان بيت هراة وباذغيس ، وقاتل بهرام الترك وقتل ملكهم شبابة بسهم أصابه واستباح معسكره وأقام بمكانه . فرحف إليه برمومة بن شبابة بالترك فهزمه بهرام وحاصره في بعض الحصون حتى استسلم وبعث به إلى هرمز أسيرا ، وبعث معه بالأموال والجواهر والآنية والسلاح وسائر الأمتعة يقال في مائتين وخمسين ألفا من الأحمال ، فوقع ذلك من هرمز أحسن المواقع . وغصّ أهل الدولة ببهرام وفعله فأكثروا فيه السعاية وبلغ الخبر إلى بهرام فخشيته على نفسه فدخل من كان معه من المرازبة وخلعوا هرمز ، ودعوا لابنه أبرويز وداخلهم في ذلك أهل الدولة ، فلحق أبرويز بأذربيجان خائفا على نفسه ، واجتمع إليه المرازبة والأصبهنيون فملكوه . ووثب بالمدائن الأشراف والعظماء ونفدويه وبسطام خال أبرويز فخلعوا هرمز وحبسوه تحرزا من قتله .

وأقبل أبرويز بمن معه إلى المدائن فاستولى على الملك ، ثم نظر في أمر بهرام وتحرز منه وسار إليه وتوافقا بشط النهر^(١) ، ودعاه أبرويز إلى الدخول في أمره ويشترط ما أحب ، فلم يقبل ذلك وناجزه الحرب فهزمه . ثم عاود الحرب مرارا وأحس أبرويز بالقتل من أصحابه فرجع إلى المدائن منهزما ، وعرض على النعمان أن يركبه فرسه فنجا عليها . وكان أبوه محبوسا بطبسون فأخبره الخبر وشاوره فأشار عليه بقصد موريق ملك الروم يستجيشه ، فمضى لذلك ونزل المدائن لإثنتي عشرة سنة من ملكه .

(١) ثلاث قرى بين واسط وبغداد .

وفي بعض من طرق هذا الخبر أن أبرويز لما استوحش من أبيه هرمز لحق بأذربيجان واجتمع عليه من اجتمع ولم يحدث شيئا . وبعث هرمز لمحاربة بهرام قائداً من مرزبته فانهزم وقتل ورجع فلهم إلى المدائن وبهرام في اتباعهم ، واضطرب هرمز وكتبت إليه أخت المرزبان المهزوم من بهرام تستحثه للملك فسار إلى المدائن وملك ، وأتاه أبوه فتواضع له أبرويز وتبرأ له من فعل الناس وأنه إنما حمله على ذلك الخوف ، وسأله أن ينتقم له ممن فعل به ذلك وأن يؤنسه بثلاثة من أهل النسب والحكمة يحادثهم كل يوم فأجابه ، واستأذنه في قتل بهرام جوبين فأشار به . وأقبل بهرام حثيثا وبعث خاله نفدويه وبسطام يستدعيانه للطاعة فردّ أسوأ ردّ وقاتل أبرويز واشتدّت الحرب بينهما ، ولما رأى أبرويز فشل أصحابه شاور أباه ولحق بملك الروم ، وقال له خاله عند وصولهم من المدائن : نخشى أن يدخل بهرام المدائن ويملك أباك ويبعث فينا إلى ملك الروم . وانطلقوا إلى المدائن فقتلوا هرمز ثم ساروا مع أبرويز وقطعوا الفرات ، واتبعتهم عساكر بهرام وقد وصلوا إلى تخوم الروم وقاتلوهم وأسروا نفدويه خال أبرويز ورجعوا عنهم . ولحق أبرويز ومن معه بأنطاكية وبعث إلى قيصر موريق يستنجده فأجابه وأكرمه وزوجه ابنته مريم ، وبعث إليه أخاه بناطوس بستين ألف مقاتل وقائدهم ، واشترط عليه الإتاوة التي كان الروم يحملونها ، فقبل وسار بالعساكر إلى أذربيجان ووافاه هنالك خاله نفدويه هاربا من الأسر الذي كانوا أسروه . ثم بعث العساكر من أذربيجان مع أصبهذ الناحية ، فانهزم بهرام جوبين ولحق بالترك وسار أبرويز إلى المدائن فدخلها وفرّق في الروم عشرين ألف ألف دينار وأطلقهم إلى قيصر . وأقام بهرام عند ملك الترك وصانع أبرويز عليه ملك الترك وزوجته حتى دست عليه من قتله ، واغتمّ لذلك ملك الترك وطلّقها من أجله ، وبعث إلى أخت بهرام أن يتزوجها فامتنعت ، ثم أخذ أبرويز في مهادة قيصر موريق والطفاه ، وخلعه الروم وقتلوه وملّكوا عليهم ملكا اسمه قوفا قيصر ، ولحق ابنه بأبرويز فبعث العساكر على ثلاثة من القواد وسار أحدهم ودّخوا الشام إلى فلسطين ، ووصلوا إلى بيت المقدس فأخذوا أسقفها ومن كان بها من الأقسّة وطالبوهم بخشبة الصليب فاستخرجوها من الدفن وبعثوا بها إلى كسرى ، وسار منهم قائد آخر إلى مصر واسكندرية وبلاد النوبة فملكوا ذلك كله ، وقصد الثالث قسطنطينية وخيّم على الخليج وعاث في ممالك الروم .

ولم يجب أحد إلى طاعة ابن موريق وقتل الروم قُولا الذي كانوا مَلَكُوهُ لما ظهر من فجوره ، ومَلَكُوا عليهم هرقل فافتتح أمره بغزو بلاد كسرى وبلغ نصيبين ، فبعث كسرى قائدا من أساورته فبلغ الموصل وأقام عليها يمنع الروم المجاوزة ، وجاز هرقل من مكان آخر إلى جند فارس ، فأمر كسرى قائده بقتاله فانهزم وقتل وظفر هرقل بحصن كسرى وبالمدائن ، ووصل هرقل قريبا منها ثم رجع . وأولع كسرى العقوبة بالجنود المنهزمين ، وكتب إلى سخراب بالقدوم من خراسان وبعثه بالعساكر ، وبعث هرقل عساكره والتقى بأذرعات وبصرى^(١) فغلبتهم عساكر فارس ، وسار سخراب في أرض الروم يخرب ويقتل ويسبي حتى بلغ القسطنطينية ، ورجع وعزله أبرويز عن خراسان وولّى أخاه .

وفي مناوبة هذا الغلب بين فارس والروم نزلت الآيات من أول سورة الروم . (قال الطبري) : وأدنى الأرض التي أشارت إليها الآية هي أذرعات وبُصرى التي كانت بها هذه الحروب . ثم غلبت الروم لسبع سنين من ذلك العهد وأُخبر المسلمون بذلك الوعد الكريم لما أُمِّمَهُم من غلب فارس الروم ، لأن قريشا كانوا يتشيعون لفارس لأنهم غير دائنين بكتاب ، والمسلمون يودّون غلب الروم لأنهم أهل كتاب ، وفي كتب التفسير بسط ما وقع في ذلك بينهم .

وأبرويز هذا هو الذي قتل النعمان بن المنذر ملك العرب وعامله على الحيرة سخطه بسعاية عديّ بن زيد العبادي وزير النعمان ، وكان قد قتل أباه وبعثه إلى كسرى ليكون عنده ترجائاً للعرب كما كان أبوه قد فعل بسعايته في النعمان وحمله على أن يخطب إليه إبنته ، وبعث إليه رسوله بذلك عديّ بن زيد فترجم له عنه في ذلك مقالة قبيحة أحفظت كسرى أبرويز مع ما كان تقدّم له في منعه الفرس يوم بهرام كما تقدّم ، فاستدعاه أبرويز وحبسه بساباط ، ثم أمر به فطرح للقبيلة^(٢) ، وولّى على العرب بعده أياس بن قبيصة الطائي جزاءً بوفاء ابن عمه حسّان يوم بهرام كما تقدّم .

(١) بلد في الشام مشهورة بصناعة السيوف .

(٢) (المعروف في كتب الأدب أن النعمان زوج ابنة عدي ، وأن بني مرينا - وهي أسرة تكره بني ايوب : أسرة عدي - قد أحفظها هذا الزواج الذي أدى إلى ملكية النعمان لأنها كانت تريد أن يتولى الملك ولد آخر من أولاد المنذر الرابع فأخذت تتقرب إلى النعمان وتدس الدسائس على عدي - فغضب عليه النعمان وسجنه فشفع به كسرى فأخفقت الشفاعة ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل زاد النعمان على ذلك فقتل عديا فغضب زيد ابنه ودبر مكيدة دفعت كسرى لقتل النعمان) .

ثم كان على عهده وقعة ذي قار لبكر بن وائل ومن معهم من عبس وتميم على الباهوت مسلحة كسرى بالحيرة ومن معه من طيء ، وكان سببها أن النعمان بن المنذر أودع سلاحه عند هانيء بن مسعود الشيباني وكانت شكة ألف فارس ، وطلبها كسرى منه ، فأبى إلا أن يردّها إلى بيته ، فأذنه كسرى بالحرب وأذنوه بها . وبعث كسرى إلى أياس أن يزحف إليه بالمسالح التي كانت ببلاد العرب بأن يوافوا أياسا ، واقتتلوا بذي قار وانهزمت الفرس ومن معهم . وفيها قال النبي صلى الله عليه وسلم : «اليوم انتصف العرب من العجم وبني نصرُوا أوحى إليه بذلك أو نفث في روعه ، قيل إن ذلك كان بمكة وقيل بالمدينة بعد وقعة بدر بأشهر .

وفي أيام أبرويز كانت البعثة لعشرين من ملكه وقيل لإثنتين وثلاثين حكاها الطبري ، وبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعو إلى الإسلام ، كما تقدّم في أخبار اليمن وكما يأتي في أخبار الهجرة .

ولما طال ملك أبرويز بطر وأشر وخسر الناس في أموالهم وولّى عليهم الظلمة وضيق عليهم المعاش وبغض عليهم ملكه . وقال هشام : جمع أبرويز من المال ما لم يجمعه أحد ، وبلغت عساكره القسطنطينية وأفريقية ، وكان يشتو بالمدائن ويصيف بهمدان ، وكان له اثنتا عشرة ألف امرأة ، وألف فيل وخمسون ألف دابة . وبني بيوت النيران وأقام فيها إثني عشر ألف هربرد وأحصى جبايته ثمان عشرة سنة من ملكه فكان أربعمئة ألف ألف مكررة مرتين وعشرون ألف ألف مثلها فحمل إلى بيت المال بمدينة طبسون ، وكانت هنالك أموال أخرى من ضرب فيروز بن يزدجرد منها اثنا عشر ألف بدرة في كل بدرة من الورق مصارفة أربعة آلاف مثقال فتكون جملتها ثمانية وأربعين ألف ألف مثقال مكررة مرتين في صنوف من الجواهر والطيوب والأمتعة والآنية لا يحصيها إلا الله تعالى . ثم بلغ من عتوه واستخفافه بالناس أنه أمر بقتل المقيدّين في سجونهم وكانوا ستة وثلاثين ألفاً ، فنقم ذلك عليه أهل الدولة وأطلقوا ابنه شيرويه واسمه قبّاذ وكان محبوساً مع أولاده كلهم لانذار بعض المنجمين له بأن بعض ولده يغتاله فحبسهم ، وأطلق أهل الدولة شيرويه وجمعوا إليه المقيدّين الذين أمر بقتلهم ، ونهض إلى قصور الملك بمدينة نهرشير فملكها وحبس أبرويز وبعث إلى ابنه شيرويه يعنّفه ، فلم يرض ذلك أهل الدولة وحملوه على قتله ، وقتل ثمان وثلاثين سنة من ملكه ، وجاءته أختاه بُوران وأزرميدخت فأسمعتاه وأغلظتا له فيما فعل فبكى

ورمى التاج عن رأسه ، وهلك لثمانية أشهر من مقتل أبيه في طاعون وهلك فيه نصف الناس أو ثلثهم ، وكان مهلكه لسبع من الهجرة فيما قال السهيلي .

ثم ولي ملك الفرس من بعده ابنه أردشير طفلا ابن سبع سنين لم يجدوا من بين الملك سواه لأن أبرويز كان قتل المرشحين كلهم من بنيه وبني أبيه ، فللك عطاء فارس هذا الطفل أردشير وكفله بهادرخشنش صاحب المائدة في الدولة ، فأحسن سياسة ملكه وكان شهريران بتخوم الروم في جند ضمّهم إليه أبرويز وحموهم هنالك وصاحب الشورى في دولتهم ، ولما لم يشاوروه في ذلك غضب وبسط يده في القتل ، وطمع في الملك وأطاعه من كان معه من العساكر . وأقبل الى المدائن وتحصّن بهادرخشنش بمدينة طبرسون دار الملك ، ونقل إليها الأموال والذخائر وأبناء الملوك ، وحاصرها شهريران فامتنعت ، ثم داخل بعض العسس ففتحوا له الباب فاقتحمها وقتل العطاء واستصفى الأموال وفضح النساء .

وبعث أردشير الطفل الملك من قتله لسنة ونصف من ملكه ، وملك شهريران على التخت ولم يكن من بيت الملك ، وامتنع لقتل أردشير جماعة من عطاء الدولة وفيهم زادان فروخ وشهريران ووهب مؤدّب الأساورة ، وأجمعوا على قتل شهريران . وداخلوا في ذلك بعض حرس الملك فتعاقدوا على قتله ، وكانوا يعملون قدام الملك في الأيام والمشاهد سباطين ، ومرّ بهم شهريران بعض أيام بين السباطين وهم مسلحون فلما حاذاهم طعنوه فقتلوه وقتلوا العطاء بعد قتل أردشير الطفل .

ثم ملكوا بوران بنت أبرويز ودفعت أمر الدولة إلى ^(١) قبائل شهريران من حرس الملك وهو فروخ بن ماخدشيراز من أهل إصطخر ، ورفعت رتبته ، وأسقطت الخراج عن الناس ، وأمرت برم القناطير والجسور وضرب الورق ، وردّت خشبة الصليب على الجاثليق ملك الروم ، وهلك لسنة وأربعة أشهر . وملكوا بعدها خشنشده من عمومة أبرويز عشرين يوما فللك أقل من شهر . ثم ملك أزميدخت بنت أبرويز وكانت من أجلّ نسائهم ، وكان عظيم فارس يومئذ فروخ هرْمُز أصهبند خراسان فأرسل إليها في التزويج ، فقالت هو حرام على الملكة ودعته ليلة كذا ، فجاء وقد عهدت إلى صاحب حرسها أن يقتله ففعل ، فأصبح بدار الملك قتيلا وأخفي أثره . وكان لما سار إلى أزميدخت استخلف على خراسان ابنه رستم ، فلما سمع بخبر أبيه

(١) الواضح من سياق الجملة ان كلمة سقطت اثناء النسخ فتكون الجملة (الى رجل من قبائل شهريران).

أقبل في جند عظيم حتى نزل المدائن وملكها ، وسمل أزرמידخت وقتلها ، وقيل سمّها فماتت وذلك لسته أشهر من ملكها ، وملكوا بعدها رجلا من نسل أردشير بن بابك وقتل لأيام قلائل ، وقيل بل هو من وُلد أبرويز اسمه فروخ زاذ بن خسرو وجدوه بحصن الحجارة قريب نصيبين ، فجاءوا به إلى المدائن وملكوه ثم عصوا عليه فقتلوه . وقيل لما قتل كسرى بن مهرخشنش طلب عطاء فارس من يولّونه الملك ولو من قبل النساء ، فأتى برجل وجد بميسان اسمه فيروز بن مهرخشنش ويسمى أيضا خشنشدة أمّه صهاربخت بنت يرادقرار بن أنوشروان فملكوه كرهاً ، ثم قتلوه بعد أيام قلائل . ثم شخص رجل من عطاء الموالي وهو رئيس الخول إلى ناحية الغرب ، فاستخرج من حصن الحجارة قرب نصيبين ابناً لكسرى كان لجأ إلى طبسون فملكوه ، ثم خلعه وقتلوه لسته أشهر من ملكه .

وقال بعضهم : كان أهل إصطخر قد ظفروا بيزدجرد بن شهريار بن أبرويز فلما بلغهم أن أهل المدائن عصوا على ابن خسرو فروخ زاذ أتوا بيزدجرد من بيت النار الذي عندهم ويدعى أردشير ، فملكوه بإصطخر وأقبلوا به إلى المدائن ، وقتلوا فروخ زاذ خسرو لسته من ملكه . واستقلّ يزدجرد بالملك وكان أعظم وزرائه رئيس الموالي الذي جاء بفرخزاد خسرو من حصن الحجارة . وضعفت مملكة فارس ، وتغلب الأعداء على الأطراف من كل جانب ، فرحف إليهم العرب المسلمون بعد ستين من ملكه ، وقيل بعد أربع ، فكانت أخبار دولته كلها هي أخبار الفتح نذكرها هنالك إلى أن قتل بمرو بعد نيف وعشرين سنة من ملكه .

هذه هي سياقة الخبر عن دولة هؤلاء الأكاسرة الساسانية عند الطبري . ثم قال آخرها : فجميع سني العالم من آدم إلى الهجرة على ما يزعمه اليهود أربعة آلاف سنة وستائة وإثنان وأربعون سنة ، وعلى ما يدّعيه النصارى في توراة اليونانيين ستة آلاف سنة غير ثمان سنين ، وعلى ما يقوله الفرس إلى مقتل يزدجرد أربعة آلاف ومائة وثمانون سنة ومقتل يزدجرد عندهم لثلاثين من الهجرة ، وأمّا عند أهل الإسلام فبين آدم ونوح عشرة قرون والقرن مائة سنة وبين نوح وإبراهيم كذلك وبين إبراهيم وموسى كذلك ونقله الطبري عن ابن عباس وعن محمد بن عمرو بن واقد الإسلامي عن جماعة من أهل العلم وقال : إنّ الفترة بين عيسى وبين محمد صلى الله عليه وسلم ستائة سنة ورواه عن سلمان الفارسي وكعب الأحبار والله أعلم بالحق في ذلك والبقاء لله الواحد القهار .

الخبر عن دولة يونان والروم وأنسابهم ومصايرهم

كان هؤلاء الأمم من أعظم أمم العالم وأوسعهم ملكا وسلطانا ، وكانت لهم الدولتان العظيمتان للإسكندر والقيصرية من بعده الذين صبحهم الإسلام وهم ملوك بالشام ، ونسبهم جميعاً إلى يافث باتفاق من المحققين ، إلا ما ينقل عن الكندي في نسب يونان إلى عابر بن فالغ وأنه خرج من اليمن بأهله وولده مغاضبا لأخيه قحطان فترل ما بين الافرنجة والروم فاختلط نسبه بهم ، وقد ردّ عليه أبو العباس الناشيء في ذلك بقوله :

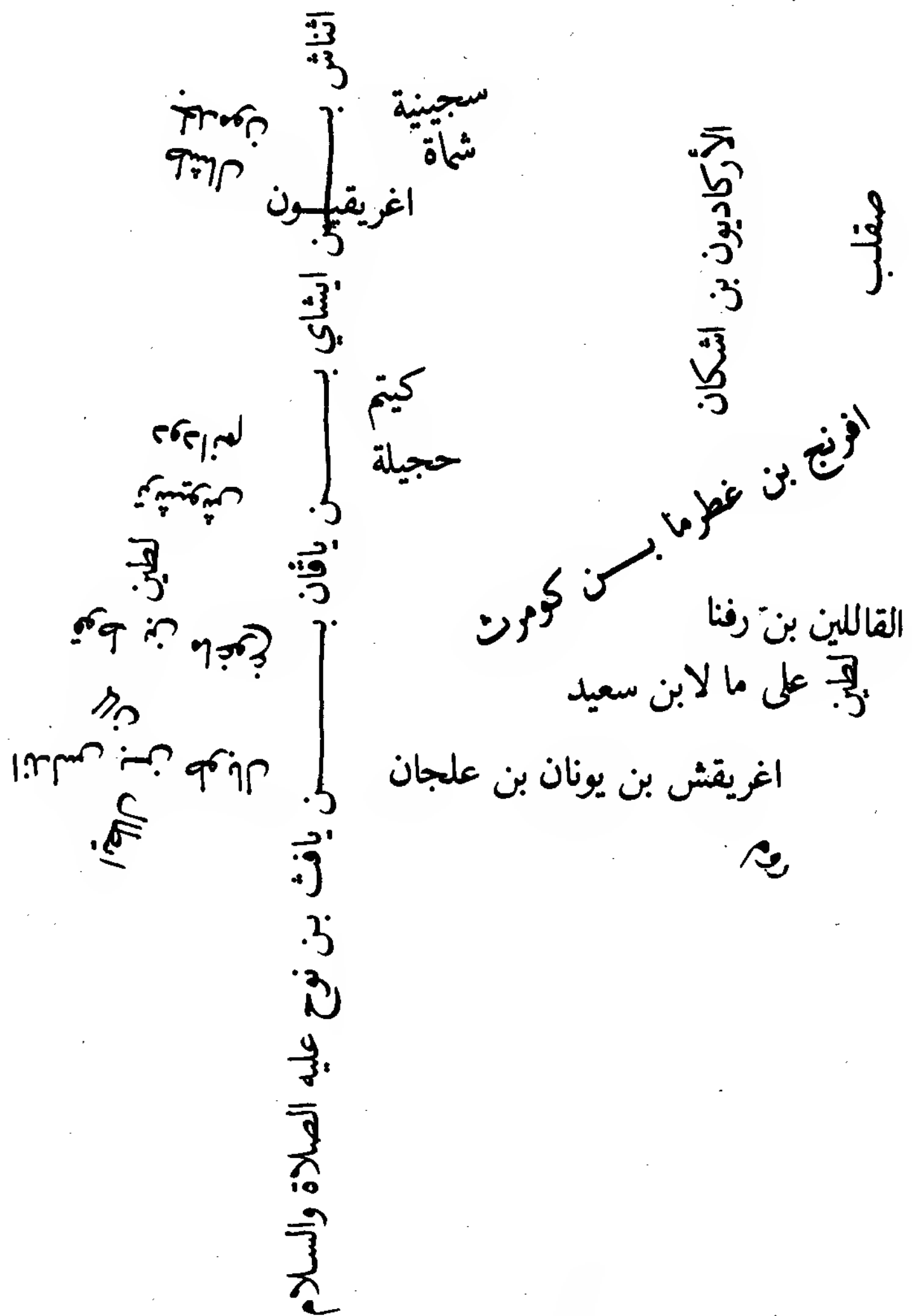
تخلط يونان بقحطان ضلّة لعمرى لقد باعدت بينهما جدّا

ولذلك يقال إنّ الاسكندر من تبع ، وليس شيء من ذلك بصحيح ، وإنما الصحيح نسبهم إلى يافث ، ثم إنّ المحققين ينسبون الروم جميعاً إلى يونان الأغريقيون منهم واللطينيون . ويونان معدود في التوراة من ولد يافث لصلبه ، واسمه فيها يافان بقاء تقرب من الواو ، فعربته العرب الى يونان .

وأما هروشيوش فجعل الغريقين خمس طوائف منتسبين إلى خمسة من أبناء يونان وهم : كيثم وحجيلة وترشوش ودودانم وإيشاي ، وجعل من شعوب إيشاي سجينّة وأثناش وشمالا وطشال ولخدمون . ونسب الروم اللطينيين فيهم ولم يعين نسبهم في أحد من الخمسة ، ونسب الافرنج إلى غطر ما بن عומר بن يافث ، وقال : إن الصقالبة إخوانهم في نسبه ، وقال : إنّ الملك كان في هذه الطوائف لبني أشكان بن غومر والملوك منهم هؤلاء الغريقيون قبل يونان وغيرهم . ونسب القوط الى ماداي بن يافث وجعل من إخوانهم الارمن ، ثم نسب القوط مرة أخرى إلى ما غوغ بن يافث وجعل اللطينيين من إخوانهم في ذلك التسب . ونسب القائلين منهم إلى رفنا بن غومار ، ونسب إلى طوبال بن يافث الأندلس والإيطاليين والأركاديين ، ونسب إلى طبراش بن يافث أجناس الترك . واسم الغريقين عنده يشمل أبناء يونان كلهم كما ذكره ، وينوّع الروم إلى الغريقين واللطينيين .

وقال ابن سعيد فيما نقله من تواريخ المشرق عن البيهقي وغيره : إنّ يونان هو ابن علجان بن يافث ، قال : ولذلك يقال لهم العلوج ويشركهم في هذا النسب سائر

أهل الشمال من غير الترك ، وإنَّ الشعوب الثلاثة من وُلد يونان ، فالإغريقيون من
 ولد أغريقش بن يونان والروم من وُلد رومي بن يونان واللطينيون من وُلد لظين بن
 يونان ، وإنَّ الإسكندر من الروم منهم والله أعلم . ونحن الآن نذكر أخبار الدولتين
 الشهيرتين منهم مبلغ علمنا والله الموفق للصواب سبحانه وتعالى .



الخبر عن دولة يونان والاسكندر منهم وما كان لهم من الملك والسلطان الى انقراض أمرهم

هؤلاء اليونانيون المتشعبون إلى الغريقيين واللطينيين — كما قلناه — اختصوا بسكنى الناحية الشمالية من المعمور مع إخوانهم من سائر بني يافث كلهم كالصقالبة والترك والافرنجة من ورائهم وغيرهم من شعوب يافث ، ولهم منها الوسط ما بين جزيرة الأندلس إلى بلاد الترك بالشرق طولا وما بين البحر المحيط والبحر الرومي عرضاً ، فمواطن اللطينيين منهم في الجانب الغربي ومواطن الغريقيين منهم في الجانب الشرقي والبحر بينهما خليج القسطنطينية . وكان لكل واحد من شعبي الغريقيين واللطينيين منهم دولة عظيمة مشهورة في العالم .

واختص الغريقيون باسم اليونانيين ، وكان منهم الإسكندر المشهور الذكر أحد ملوك العالم ، وكانت ديارهم كما قلناه بالناحية الشرقية من خليج القسطنطينية بين بلاد الترك ودروب الشام ، ثم استولى على ما وراء ذلك من بلاد الترك والعراق والهند ، ثم جال أرمينية وما وراءها من بلاد الشام وبلاد مقدونية ومصر والاسكندرية ، وكان ملوكهم يعرفون بملوك مقدونية .

وذكر هروشيوش مؤرخ الروم من شعوب هؤلاء الغريقيين بنو لجدمون وبنو أنتناش ، قال : وإليهم ينسب الحكماء الأنتاشيون وهم ينسبون لمدينتهم أجدة أنتاش ، قال : ومن شعوبهم أيضا بنو طمآن ولجدمون كلهم بنو شمالا بن إيشاي ، وقال في موضع آخر : لجدمون أخو شمالا .

وكانت شعوب هذه الأمة قبل الفرس والقبط وبني إسرائيل متفرقة بافتراق شعوبها ، وكان بينهم وبين إخوانهم اللطينيين فتن وحروب ، ولما استفحل ملك فارس لعهد الكنيّة أرادوهم على الطاعة لهم ، فامتنعوا وغزتهم فارس ، فاستصرخوا عليهم بالقبط فسالوهم إلى محاربة الغريقيين حتى أذلّوهم وأخذوا الجزى منهم وولّوا عليهم . ويقال : إن أفريدون ولّى عليهم ابنه ، وأن جدّه الإسكندر لأبيه من أعقابه . ويقال : أن بختنصر لما ملك مصر والمغرب أنفوه بالطاعة وكانوا يحملون خراجهم إلى ملك فارس عدداً من كرات الذهب أمثال البيض ضريبة معلومة عليهم في كل سنة ، ولما فرغوا

من شأن أهل فارس وأنفوا ملكهم بالجزى والطاعة صرفوا وجوهم إلى حرب اللطينيين ، ثم استفحل أمر الإيشائيين من الغريقيين ولم يكن قوامهم إلا الجرمونيون ، فغلبوهم وغلبوا بعدهم اللطينيين والفرناسيين والأركاديين ، واجتمع إليهم سائر شعوب الغريقيين واعتز سلطانهم وصار لهم الملك والدولة .

وقال ابن سعيد : إنَّ الملك استقرَّ بعد يونان في ابنه أغريقش في الجانب الشرقي من خليج قسطنطينية ، وتوالى الملك في ولده وقهروا اللطينيين والروم ودال ملكهم في أرمينية ، وكان من أعظمهم هرقل الجبار بن ملكان بن سلقوس بن أغريقش ، يقال : إنه ضرب الأتاوة على الأقاليم السبعة . وملك بعده ابنه يلاق وإليه تنسب الأمة اليلاقية وهي الآن باقية على بحر سودان . واتصل الملك في عقب يلاق إلى أن ظهر إخوانهم الروم واستبدوا بالملك ، وكان أولهم هردوس بن منطرون بن رومي بن يونان فملك الأمم الثلاثة وصار اسمه لقباً لكل من ملك بعده ، وسمت به يهود الشام كل من قام بأمرها منهم . ثم ملك بعده ابنه هرْمِس ، فكانت له حروب مع الفرس إلى أن قهروه وضربوا عليه الأتاوة ، فاضطرب حينئذ أمر اليونانيين وصاروا دُولاً وممالك . وانفرد الاغريقيون برئيس لهم ، وصنع مثل ذلك اللطينيون ، إلا أنَّ اللقب بملك الملوك كان لملك الروم ، ثم ملك بعده ابنه مَطْرِيُوش فحمل الأتاوة لملك الفرس لاشتغاله بحرب اللطينيين والاغريقيين . وملك بعده ابنه فيلفوش^(١) وكانت أمّه من ولد سَرَم من ولد أفريدون الذي ملكه أبوه على اليونان ، فظهر وهدم مدينة أغريقية وبنى مدينة مقدونية في وسط الممالك بالجانب الغربي من الخليج . وكان محباً للحكمة فلذلك كثر الحكماء في دولته . ثم ملك من بعده ابنه الاسكندر وكان معلمه من الحكماء أرسطو .

وقال هروشيوش : إنَّ أباه فيلفوش إنما ملك بعد الاسكندر بن تراوش أحد ملوكهم العظماء ، وكان فيلفوش صهراً له على أخته لينبادة بنت تراوش ، وكان له منها الإسكندر الأعظم . قال : وكان ملك الإسكندر بن تراوش لعهد أربعة آلاف وثمانمائة من عهد الخليفة ولعهد أربعائة أو نحوها من بناء رومة ، وهلك وهو محاصر لرومة قتله اللطينيون عليها لسبع سنين من دولته . فولي أمر الغريقيين والروم من بعده صهره على أخته لينبادة فيلفوش ابن آمنّة بن هركلش ، واختلفوا عليه فافترق أمرهم

(١) هو فيلبس المقدوني والد الاسكندر .

وحاربهم إلى أن انقادوا وغلبهم على سائر أوطانهم . وأراد بناء القسطنطينية فمنعه
الجرمانيون بما كانت لهم ، فقاتلهم حتى استلحمهم ، واجتمع إليه سائر الروم
والغريقيين من بني يونان ، وملك ما بين المانية وجبال ارمينية . وكان الفرس لذلك
العهد قد استولوا على الشام ومصر فاعتزم فيلفوش على غزو الشام ، فاغتاله في طريقه
بعض اللطينيين وقتله بثار كان له عنده . وولي من بعده ابنه الإسكندر فاستمر على
مطالبة بلاد الشام ، وبعث إليه ملوك فارس في الخراج على الرسم الذي كان لعهد
أبيه فيلفوش ، فبعث إليه الإسكندر إني قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض
الذهب وأكلتها . ثم زحف إلى بلاد الشام واستولى عليها وفتح بيت المقدس وقرب فيه
القربان وذلك لعهد مائتين وخمسين من فتح بختنصر إياها ، وامتنع أهل فارس
لانتراعه إياها من ملكتهم ، فزحف إليه دارا في ستين ألفا من الفرس ولقيه الإسكندر
في ستمائة ألف من قومه فغلبهم وفتح كثيرا من مدن الشام ورجع إلى طرسوس ،
فزحف إليه دارا ولقيه عليها فهزمه الإسكندر وافتتح طرسوس . ومضى وبني
الإسكندرية .

ثم تراحف مع دارا وهزمه وقتله وتخطى إلى فارس فملك بلادها وهدم
مدينة الملك بها وسبى أهلها ، وأشار عليه معلمه أرسطو بأن يجعل الملك في
أسافلهم لتتفرق كلمتهم ويخلص إليه أمرهم ، فكاتب الإسكندر ملوك كل ناحية من
الفرس والنبط والعرب وملك على كل ناحية وتوجه فصاروا طوائف في ملكهم ،
واستبد كل واحد منهم بجهة كان ملكها لعقبه ومعلمه أرسطو هذا من اليونانيين وكان
مسكنه أثينا وكان كبير حكماء الخليفة غير منازع ، أخذ الحكمة عن أفلاطون اليوناني ،
كان يعلم الحكمة وهو ماش تحت الرواق المظلل له من حر الشمس فسمى تلاميذه
بالمشائين . وأخذ أفلاطون عن سقراط ويعرف بسقراط الدن بسكناه في دن من
الخزف اتخذ له رهبانيته ، وقتله قومه أهل يونان مسموما لما نهاهم عن عبادة
الأوثان ، وكان هو أخذ الحكمة عن فيثاغورس منهم ، ويقال : إن فيثاغورس أخذ
عن تاليس حكيم ملطية ، وأخذ تاليس عن لقمان . ومن حكماء اليونانيين
دميقراطيس ، وأنكيثاغورس كان مع حكمته مبرزاً في علم الطب وبعث فيه بئمن
ملك الفرس إلى يونان فامتنع من إيفاده عليه ضئانة به ، وكان من تلامذته جالينوس
لعهد عيسى عليه السلام ومات بصقلية ودفن بها .

ولما استولى الاسكندر على بلاد فارس تخطّاها إلى بلاد السند فملكها وبني بها مدينة سمّاها الإسكندرية ، ثم زحف إلى بلاد الهند فغلب على أكثرها وحاربه فور ملك الهند فانهزم وأخذه الإسكندر أسيراً بعد حروب طويلة ، وغلب على جميع طوائف الهنود وملك بلاد الصين والسند وذلّت إليه الملوك وحملت إليه الهدايا والخراج من كل ناحية ، وراسله ملوك الأرض من أفريقية والمغرب والافرنجة والصقالبة والسودان . ثم ملك بلاد خراسان والترك ، واختط مدينة الإسكندرية عند مصب النيل في البحر الرومي ، واستولى على الملوك يقال : على خمسة وثلاثين ملكاً . وعاد إلى بابل فمات بها ، يقال مسموماً سمّه عامله على مقدونية لأنّ أمّه شكته إلى الاسكندر فتوعده فأهدى له سمّاً وتناوله فمات لإثنتين وأربعين سنة من عمره ، بعد أن ملك إثنتي عشرة سنة ، سبعاً منها قبل مقتل دارا وخمسا بعده .

قال الطبري : ولما مات عرض الملك على ابنه إسكندروس فاختر الرهبانية ، فملك يونان عليهم لوغوس من بيت الملك ولقبه بطليموس . قال المسعودي : ثم سارت هذه التسمية لكل من يملك منهم ومدينتهم مقدونية ويتزلون الاسكندرية ، وملك منهم أربعة عشر ملكاً في ثلثمائة سنة .

وقال ابن العميد : كان قسّم الملك في حياته بين أربعة من أمرائه بطليموس فليادا^(١) كان على الاسكندرية ومصر والمغرب ، وفيلفوس بمقدونية وما إليها من ممالك الروم وهو الذي سمّ الاسكندر ، ودمطرس بالشام ، وسلقنوس^(٢) بفارس والمشرق . فلما مات استبدّ كل واحد بناحيته .

وكتب أرسطو شرح كتاب هرمس وترجمه من اللسان المصري إلى اليوناني ، وشرح ما فيه من العلوم والحكمة والطلسمات . وكتاب الأسطماخيوس يحتوي على عبادة الأول ، وذكر فيه أنّ أهل الأقاليم السبعة كانوا يعبدون الكواكب السيّارة . كل إقليم لكوكب ، ويسجدون له ويُبَخَّرُون ويُقَرَّبُون ويذبحون ، وروحانية ذلك الكوكب تدبرهم بزعمهم . وكتاب الأستماطس يحتوي على فتح المدن والحصون بالطلسمات والحكم ، ومنها طلسمات لانزال المطر وجلب المياه . وكتب الأشطرطاش في الاختيارات على سرى القمر في المنازل والاتصالات ، وكتب أخرى في منافع

(١) وفي نسخة أخرى : بطليموس فلدلغوس .

(٢) وفي نسخة أخرى سَلْقُوس

وخواص الأعضاء الحيوانيات والأحجار والأشجار والحشائش .

وقال هروشيوش : إن الذي ملك بعد الاسكندر صاحب عسكره بطليموس بن لاوي ، فقام بأمرهم ونزل الاسكندرية واتخذها دارا لملكهم . ونهض كلمش بن الاسكندر وأمه بنت دارا ولينبادة أم الاسكندر وساروا إلى صاحب أنطاكية واسمه فشاندر فقتلهم . واختلف الغريقيون على بطليموس وافترق أمره وحارب كل واحد منهم ناحيته ، إلى أن غلبهم جميعاً واستقام أمره ، ثم زحف إلى فلسطين وتغلب على اليهود وأثنى فيهم بالقتل والسبي والأسر ، ونقل رؤساءهم إلى مصر ، ثم هلك لأربعين سنة من ملكه . وولي بعده ابنه فلديغيش ، وأطلق أسرى اليهود من مصر ، ورد الأواني إلى البيت وحباهم بآنية من الذهب وأمرهم بتعليقها في مسجد القدس ، وجمع سبعين من أحبار اليهود ترجموا له التوراة من اللسان العبراني إلى اللسان الرومي واللطيني ، ثم هلك فلديغيش ثمان وثلاثين سنة من ملكه .

وولي بعده ابنه أنطريس ويلقب أيضا بطليموس لقبهم المخصوص بهم إلى آخر دولتهم ، فانعقدت السلم بينه وبين أهل أفريقية على مدعيون ملك قرطاجنة ، ووفد عليه وعقد معه الصلح عن قومه ، وزحف قواد رومة إلى الغريقيين ونالوا منهم . ثم هلك أنطريس لست وعشرين سنة من ملكه ، وولي بعده أخوه فلوباذي فزحف إليه قواد رومة فهزمهم وجال في ممالكهم ، ثم كانت حروبه معهم بعدها سجالا . وزحف إلى اليهود فملك الشام عليهم وولى الولاة من قبله فيهم وأثنى بالقتل والسبي فيهم ، يقال : إنه قتل منهم نحواً من ستين ألفاً ، وهلك لسبع عشرة سنة من ملكه . وولي بعده ابنه إيفانش وعلى عهده كانت فتنة أهل رومة وأهل أفريقية التي اتصلت نحواً من عشرين سنة ، وافتتح أهل رومة صقلية وأجاز قوادهم إلى أفريقية وافتتحوا قرطاجنة ، كما نذكر في أخبارهم ، وهلك إيفانش لأربع وعشرين سنة من دولته . وولي بعده بالاسكندرية ابنه فلوماطر فزحف الغريقيون إلى رومة ، وكان فيهم صاحب مقدونية وأهل أرمينية والعراق وظاهرهم ملك النوبة واجتمعوا لذلك ، فغلبهم الرومانيون وأسروا صاحب مقدونية ، وهلك فلوماطر لخمس وثلاثين سنة من ملكه . وولي بعده ابنه إيرياطش وعلى عهده استفحل ملك أهل رومة واستولوا على الأندلس وأجازوا البحر إلى قرطاجنة بأفريقية فملكوها وقتلوا ملكها أشدريال وخرّبوا مدينتها بعد أن عمرت تسعمائة سنة من بنائها كما نذكر في أخبارها . وزحف أيضا أهل

رومة إلى الغريقيين فغلبوهم وملكوا عليهم مدينتهم قرنطة من أعظم مدنها ، يقال : إنها كانت ثانية قرطاجنة .

ثم هلك إيرياطش لسبع وعشرين سنة من مدته وولي بعده ابنه شوطار سبع عشرة سنة وعلى عهده استفحل ملك أهل رومة ومهدوا الأندلس ، وملك بعده أخوه الاسكندر عشر سنين ، ثم ابنه ديونشيس مائة وثلاثين سنة وعلى عهده استولى الرومانيون على بيت المقدس ووضعوا الجزية على اليهود ، وزحف قيصر يولش^(١) من قوادهم إلى الافرنجة ولياش أيضا من قوادهم إلى الفرس فغلبوهم جميعا وما حولهم إلى أنطاكية واستولوا على ما كان لهم من ذلك . وخرج الترك من بلادهم فأغاروا على مقدونية فردّهم هامس قائد الرومانيين بالمشرق على أعقابهم .

وهلك ديونشيس فوليت بعده ابنته كلابطرة ستين فيا قال هروشيوش لخمسة آلاف ونيف من مبدأ الخليفة ولسبعمئة سنة من بناء رومة ، وعلى عهدها استبد قيصر يولش بملك رومة وغلب عليها القواد أجمع ومحا دولتهم منها وذلك بعد مرجعه من حرب الافرنج ، ثم سار إلى المشرق فملك إلى أرمينية ونازعه مبانث هنالك فهزمه قيصر ، وفرّ مبانث إلى مصر مستنجدا بملكها وهي يومئذ كلابطرة ، فبعثت برأسه إلى قيصر خوفا منه ، فلم يغنها ذلك وزحف قيصر إليها فملك مصر والإسكندرية من كلابطرة هذه وانقرض ملك اليونانيين ، وولى قيصر على مصر والإسكندرية وبيت المقدس من قبله وذلك لسبعمئة أو نحوها من بناء رومة ولخمسة آلاف من مبدأ الخليفة .

وذكر البيهقي : إن كلابطرة زحفت إلى أرض اللطينيين وقهرتهم ، وأرادت العبور إلى الأندلس فحال دونها الجبل الحاجز بين الأندلس والإفرنجة فاستعملت في فتحه الحيل^(٢) والنار حتى نفذت إلى الأندلس ، وإن مهلكها كان على يد أوغسطس يولش^(٣) ثاني القياصرة . وكذا ذكر المسعودي وأنها ملكت لإثنتين وعشرين سنة ، وكان زوجها أنطونيوس مشاركا لها في ملك مقدونية ومصر ، وأن قيصر أوغسطس زحف إليهم فهلك زوجها أنطونيوس في حروبه ، ثم أراد التحكّم في كلابطرة ليستولي

(١) وفي نسخة أخرى : قيصر يوليوس .

(٢) (ورد في تاج العروس : الحول والحيل والحول ، كعنب هو الحذق وجودة النظر والقدرة على دقة التصرف) .

(٣) وفي نسخة أخرى : أوغسطس يوليوس .

على حكمتها إذ كانت بقية الحكماء من آل يونان ، فخطبها وتحيّلت في إهلاكه وإهلاك نفسها بعد أن اتخذت بعض الحيات القاتلة التي بين الشام والحجاز وأطلقتها بمجلسها بين رياحين نصبتها هنالك ، ولمست الحيات فهلكت لحينها وأقامت بمكانها كأنها جالسة ، ودخل أوغسطس لا يشعر بذلك حتى تناول من تلك الرياحين ليشمها فأصابته الحية وهلك لحينه وتمت حيلتها عليه . وانقرض ملك اليونانيين بهلاكها ، وذهبت علومهم إلا ما بقي بأيدي حكمائهم في كتب خزائهم حتى بحث عنها المأمون وأمر باستخراجها فترجمت له من هروشيوش .

وأما ابن العميد فعّد ملوك مصر والإسكندرية بعد الإسكندر أربعة عشر آخرهم كلابطره كلهم يسمون بطليموس ، كما قال المسعودي . ولم يذكر ملوك المشرق منهم بعد الإسكندر ولا ملوك الشام ولا ملوك مقدونية الذين قُسم الملكُ فيهم كما ذكرناه إلا بذكر ملك إنطاكية من اليونانيين ويسمّيه أنطيوخس كما ذكرناه الآن ، وذكر في أسماء ملوك مصر هؤلاء وفي عددهم خلافا كثيرا إلا أنه سمّي كل واحد منهم بطليموس ، فقال في بطليموس الأول : إنه أخو الإسكندر أو مولاه اسمه فلا فادافسد أو أرنداوس أو لوغس أو فيليبس ملك سبعا وقيل أربعين ، قال : وفي عصره بنى سلقیوس وأظنه ملك المشرق منهم قُامة وحلب وقنسرین وسلوقية واللاذقية ، قال : ومنها كان الكوهن الأعظم بالقدس سمعان بن خونيا^(١) وبعده أخوه العازر ، قال : وفي التاسعة من ملك لوغس جاء أنطيوخس المعظم إلى بلاد اليهود واستعبدتهم ، وفي الحادية عشر حارب الروم فغلبوه وأسروه وأخذوا منه ابنه أقفاقس رهينة ، وفي الثالثة عشر تزوج أنطيوخس كلابطره بنت لوغس زوّجها له أبوها وأخذ سورية بلاد المقدس في مهرها ، وفي التاسعة عشر وثب أهل فارس والمشرق على ملكهم فخلعوه وولّوا ابنه ثم هلك لوغس .

قال ابن العميد : بعد مائة وإحدى وثلاثين سنة لليونان ملك بطليموس بن الإسكندروس ويلقب غالب أثور ، وملك مصر والإسكندرية والبلاد الغربية إحدى وعشرين سنة وقيل ثمانيا وثلاثين سنة ويسمّي أيضا فيلادلفوس أي محب أخيه ، وهو الذي استدعى أحبار اليهود وعلماءهم الإثنيين وسبعين يترجموا^(٢) له التوراة وكتب

(١) وفي الانجيل : سمعان بن يونا .

(٢) الاصح ان يقول ليترجموا .

الأنبياء من العبرانية إلى اليونانية وقابلوها بنسخهم فصحت ، وكان من هؤلاء الأخبار سمعان المذكور أولاً وعاش الى أن حمل على ذراعيه في الهيكل ومات ابن ثلثائة وخمسين ، وكان منهم العازر الذي قتله أنطيوخس على امتناعه عن السجود لصنمه وقتله ابن سبعين سنة . ويظهر من هذا أن بطليموس هو تِلْمَاي وإنه من ملوك مقدونية وملك مصر لأن ابن كريون قال : وفي ذلك الزمان كان تِلْمَاي من أهل مقدونية ملك مصر وكان يحب العلوم ، فاستدعى من اليهود سبعين من أحبارهم وترجموا له التوراة وكتب الأنبياء ، وكان في عصره صادوق الكوهن انتهى . وملك خمسا وأربعين سنة .

وملك بعده بطليموس الأرنبا وقيل اسمه رغادي وقيل راكب الأثبر ملك أربعاً وعشرين ، وقيل سبعا وعشرين ، وهو الذي بنى ملعب الخيل بإسكندرية الذي أحرق في عصر زينون قيصر . وملك بعده بطليموس محب أخيه ويقال : أوغسطس ويقال فيلادلفس ملك ست عشرة ، وكان في عصره أخميم الكوهن . وملك بعده بطليموس الصائغ ، ويقال : أخيه^(١) ملك خمس سنين وقيل خمسا وعشرين ، وعلى عهده كان اليهود الكوهن وكان ضالاً غشوماً وقتله بعض خدمه خنقا . وملك بعده بطليموس محب أبيه ، وقيل اسمه كلافاطر^(٢) ملك سبع عشرة سنة وأخذ الجزية من اليهود . وملك بعده بطليموس المظفر وقيل الغالب وقيل محب أمه ملك عشرين وقيل أربعاً وعشرين ، وفي التاسعة عشرة من ملكه خرج متيتيا بن يوحنا بن شمعون الكوهن الأعظم ويعرف بحشمناي من بني يوناداب من نسل هارون ، بعث أنطيوخس ملك انطاكية ابنه ألغائش بالعساكر إلى القدس فاعمل الحيلة في ملكها وقتل العازر والكوهن وحمل بني اسرائيل على السجود لآلهته ، فهرب متيتيا في جماعة من اليهود الى الجبال ، حتى إذا خرجت عساكر يونان رجع إلى القدس ومّر بالمذبح فوجد يهودياً يذبح ختيراً عليه ، وثار باليونانيين فقتل قائدهم وأخرجهم واستبد بملك القدس كما ذكرناه في أخباره .

ثم ملك بطليموس كلاباطر أي محب أبيه خمسا وعشرين سنة وقيل عشرين ، وكان في أيامه بالقدس يهود ابن متيتيا وبعده أخوه يوناداب وبعده أخوه شمعون وبعده

(١) الأصح ان يقول اخوه .

(٢) وفي نسخة أخرى : فيلوباطر .

أخوه هرقانوس واسمه يوحنا وهو أول من تسمى بالملك من بن حشمناي ، وبعث
إبنة يوحنا بالعساكر لقتال قيّدونوس قائد أنطيوخوس فغلبه ، وارتفع عن اليهود الخراج
الذي كانوا يعطونه للملك سورية من أيام فيلفوس^(١) ملك المشرق . وملك بعده
بطليموس أرغادي أي الفاضل وقيل بطليموس الصايغ وقيل سانيطر ملك عشرين
وقيل ثلاثا وعشرين وقيل ثلاثة عشر ، ولعهده جدّد أنطيوخوس بناء أنطاكية وسماها
باسمه ، ولعهده كان مُلكُ هرقانوس على القدس وبنيه الثلاثة وخرّب مدينة السامرة
سبسطية ، ولعهده أيضا زحف أنطيوخوس^(٢) إلى القدس وحاصرها ، فصانعه
هرقانوس بثلاثمائة كرة من الذهب استخرجها من قبر داود عليه السلام .

ثم ملك على مصر والاسكندرية بطليموس المخلص وقيل مقروطون وقيل شعري ملك
ثمانى عشرة وقيل عشرين وقيل سبعا وعشرين ، ولعهده كان الاسكندروس تلميذ بني
هرقانوس سابع بني حشمناي بالقدس ، وكانت فرقة اليهود عندهم ثلاثة : الربانيون
ثم القراون وهم في الانجيل زنادقة^(٣) وهم في الانجيل الكتبة . ثم^(٤) على مصر
بطليموس محب أمّه وقيل الاسكندروس وقيل قيقتس وقيل الاسكندر وقيل ابن
المخلص ملك عشر سنين لا غير ، ولعهده كانت الإسكندرية ملكة على بيت
القدس ، ولعهده بطلت مملكة سورية لمائتين وسبع عشرة سنة من ملك يونان ، وقتل
بطليموس هذا قتله أهل إهراقية وأحرقوه . ثم ملك على مصر بطليموس فيناس وقيل
إيزيس وقيل المنفي ، لأنّ كلابطرة الملكة نفته عن الملك وملك ثمان سنين وقيل ثلاثا
وعشرين يوما وقيل ثمانية عشر يوما ، وبعضهم أسقطه من البطالسة ولم يذكره . ثم
ملك على مصر بطليموس يوناثيش إحدى وعشرين سنة وقيل إحدى وثلاثين وقيل
ثلاثين ، ولعهده كان أرسنبولس وأخوه هرقانوس على القدس .

ثم ملك على مصر كلابطره بنت ديوناثيش ومعنى هذا الاسم الساكنة على الصخرة
ملكث ثلاثين وقيل اثنتين وعشرين وكانت حاذقة ، وفي الثالثة من ملكها حفرت
خليج الإسكندرية وجرى فيه الماء وبنت باسكندرية هيكل زحل والعاروص وبنت

(١) وفي نسخة أخرى : فيلبوس .

(٢) وفي نسخة أخرى : انطيوخوس .

(٣) بياض بالأصل ومكان البياض (ثم الحيسيد) كما في مكان آخر من الكتاب .

(٤) الواضح انه سقطت كلمة اثناء النسخ فتصبح الجملة . «ثم ملك على مصر» .

مقياسا بأحميم وآخر بمدينة أنصناء ، وفي الرابعة من ملكها ملك برومة أغانيوس أول
القياصرة ملك أربعا ثم يوليوس بعده ثلاثا ، ثم أغسطس بن مونوجس فاستولى على
الممالك والنواحي وبلغ خبره إليها فحصنت بلادها وبنت حائطا من الفرما إلى النوبة
شرقي النيل وحائطا آخر من إسكندرية إلى النوبة غربي النيل وهو حائط العجوز لهذا
العهد . وبعث أغسطس العساكر إلى مصر مع قائده أنطريوس ومعه مترداب^(١)
ملك الأرمن ، فخادعت كلابطره أنطريوس وأوعده بتزويجها فقتل رفيقه مترداب
وتزوجها وعصى أغسطس ، فسار أغسطس إليها وملك مصر وقتل كلابطرة وولديها
وقائده بطريوس^(٢) الذي تزوجها . يقال : إنها وضعت له سمّا في مجلسها وأن
أوغسطس تناوله ومات ، والله أعلم . وانقرضت مملكة يونان من مصر والاسكندرية
والمغرب بملكها وصارت هذه الممالك للروم إلى حين الفتح الإسلامي ، انتهى كلام
ابن العميد .

والخلاف الذي ينقله عن جماعة مؤرخيهم يذكر منهم سعيد بن بطريق ويوحنا فم
الذهب والمنجبي وابن الراهب وابو فانيوس . والظاهر أنهم من مؤرخي النصارى
والبقاء لله الواحد القهار سبحانه لا إله غيره ولا معبود سواه .

(١) وفي نسخة أخرى : متردات

(٢) هذا الاسم ورد : أنطريوس وبطريوس في الصفحة ذاتها .

اسكندروس بن الاسكندر بن فيلش بن بطريوس بن هرمس بن هردوس بن هطرون بن رومي — بن نونان
ط ح ز و
اسكندر بن فلش بن آمتة بن سرকাশ الاسكندر بن تراوش
ج ب

د ج
يلاق بن هرقل الجبار بن ملكان بن سلمقوس بن اغريقش — ب

هذا ترتيب البطالسة عند ابن العميد

ب يو يج يب ي في ط ح ز و ه ح ح
كلا بطره بنت ديوناشيش فيناس لسكندروس مقريطون ارغاد بن كلا بطر المظفر كلا بطر الصائغ أوغشطش ارغادي الاسكندروس بن كرياتص

ن
ض

ب في ح ز و كا د ب ا
كلا بطرة بنت ديوناشيش بن شوضان — بن ارباطش بن فلوباطر بن أبي قانش بن قلوباطر — بن فلذايقش بن لوغش

الاسكندر —

ايطر بطش

أول الملوك بمصر والاسكندرية بعد الاسكندر وكل واحد منهم يسمى بطليموس

الخبر عن اللطينيين وهم الكيتم المعروفون بالروم من أمم يونان
وأشياهم وشعوبهم وما كان لهم من الملك والغلب وذكر الدولة
التي فيهم للقياصرة وأولية ذلك ومصايره

هذه الأمة من أشهر أمم العالم وهي ثانية الغريقيين عند هروشيوش ويجمعان في نسب
يونان ، وثالثتهم عند البيهقي ويجمعون في نسب يونان بن علجان بن يافث ، واسم
الروم يشملهم ثلاثتهم لما كان الروم أهل المملكة العظمى منهم ، ومواطن هؤلاء
اللطينيين بالناحية الغربية من خليج القسطنطينية إلى بلاد الافرنجة فيما بين البحر المحيط
والبحر الرومي من شماليه . ومُلْك هذه الأمة قديما ^(١) كانت لهم مدينة اسمها طروبة ،
وذكر هروشيوش أن أول من ملك من اللطينيين أُلْفُس بن شطرنش بن أيوب وذلك
لعهد دائرة بني اسرائيل وقد مرّ ذكرها في آخر الألف الرابع من مبدأ الخليفة . وملك
من بعده ابنه بريامش واتصل الملك في عقب أُلْفُس هذا وإخوته وكان منهم
كرمُنُس بن مرسية بن شيب بن مزكة الذي ألف حروف اللسان اللطيني وأثبتها ولم تكن
قبله ، وذلك على عهد يُوَاثِر بن كلعاد من حكام بني اسرائيل بعد أربعة آلاف
 وخمسين من مبدأ الخليفة .

وكان بين هؤلاء اللطينيين وبين الغريقيين إخوانهم فتن طويلة ، وعلى يدهم خربت
طروبة مدينة اللطينيين لعهد أربعة آلاف ومائة وعشرين من مبدأ الخليفة أيام عبدون
ملك بني اسرائيل وقد مرّ ذكره ، وكان ملكهم يومئذ أناش من عقب بريامش بن
أُلْفُس بن شطرنش ، وولي بعده ابنه أشكانيش بن أناش وهو الذي بنى مدينة ألبا .
ثم اتصل الملك فيهم إلى أن افرق أمرهم ، ثم كان من أعقابهم برقاش أيام انقراض
ملك الكلدانيين ، وصار للمازنيين والقضاعيين على عهد عُزَيَّاه بن أمصيا من ملوك بني
اسرائيل ولعهد أربعة آلاف ومائة وعشرين سنة من مبدأ الخليفة ، فصار الأمر في
اللطينيين لبرقاش هذا بتولية ملك المازنيين ما كان لهم وللسريانيين قبلهم من الصيت
في العالم والتفوق على الملوك بنسبهم وعصيتهم . ثم اتصل الملك لابنه ولخافديه
روملّوس وأماش ^(٢) وهما اللذان اختطا مدينة رومة وذلك لعهد أربعة آلاف وخمسمائة

(١) الاصح ان يقول قديم

(٢) وفي نسخة اخرى : داموس .

سنة من مبدأ الخليفة وعلى عهد حزقيّا بن آحاز ملك بني اسرائيل ، ولأربعمئة ونيف من خراب مدينة طُروبة . وكان طول مدينة رومة من الشمال إلى الجنوب عشرين ميلا في عرض إثني عشر ميلا ، وارتفاع سورها ثمانية وأربعون ذراعا في عرض عشرة أذرع ، وكانت من أحفل مدن العالم ، ولم تزل دار مملكة اللطينيين والقياصرة منهم حتى صبحهم الإسلام وهي في ملكهم .

وكان اللطينيون بعد رُومُلُس وأماش وانقراض عقمهم قد سثموا ولاية الملوك عليهم فعزلوهم وصار أمرهم شورى بين الوزراء وكانوا يسمونهم القنشلش ومعناه الوزراء بلغتهم ، وكان عددهم سبعين على ما ذكر هروشيوش . ولم يزل أمرهم على ذلك مدة سبعمئة سنة إلى أن استبدّ عليهم قيصر يولش^(١) بن غايش أول ملوك القياصرة كما نذكر بعد .

وكانت لهم حروب مع الأمم المجاورة لهم من كل جهة فحاربوا اليونانيين ثم حاربوا الفرس من بعدهم ، واستولوا على الشام ومصر ثم ملكوا جزيرة الاندلس ثم جزيرة صقلية ثم أجازوا إلى أفريقية فملكوها وخرّبوا قرطاجنة ، وأجاز أهل أفريقية إليهم وحاصروا رومة واتصلت الفتنة بينهم عشرين سنة أو نحوها على ما نذكر . وذهب جماعة من الإخباريين إلى أن الروم من ولد عيصو بن إسحق عليه السلام ، قال ابن كريّون : كان لليفاز بن عيصو ولد اسمه صفّوا ولما خرج يوسف من مصر ليدفن أباه يعقوب في مدينة الخليل عليه السلام اعترضه بنو عيصو وقتلوه ، فهزمهم وأسر منهم صفّوا بن أليفاز وبعثه إلى أفريقية ، فصار عند ملكها ، واشتهر بالشجاعة . وحدثت الفتنة بين أغنياس وبين الكيتم وراء البحر فأجاز إليهم أغنياس في أهل أفريقية وأثنى فيهم ، وظهرت شجاعة صفّوا بن أليفاز ، ثم هرب صفّوا إلى الكيتم وعظم بينهم وحسن أثره في أهل أفريقية وفي الأمم المجاورة لكيتم من أموال وغيرها فزوّجوه وملكوه عليهم ، قال : وهو أول من ملك في بلاد أسبانيا ، وأقام ملكا خمسا وخمسين سنة . ثم عدّ ابن كريّون بعد ستة عشر ملكا من أعقابهم آخرهم رُومُلُس باني رومة ، وكان لعهد داود عليه السلام ، وخاف منه فوضع مدينة رومة وبني على جميعها هياكله ونسبت المدينة إليه وسميت بإسمه وسمّى أهلها الروم نسبة إليها .

(١) وفي نسخة ثانية : قيصر يوليوس .

ثم عدّ بعد روملُس خمسة من الملوك اغتصب خامسهم رجلا في زوجه فقتلت نفسها ، وقتله زوجها في الهيكل . وأجمع أهل رومة أن لا يولّوا عليهم ملكا وقدّموا شيوخا ثلثائة وعشرين يدبّرون مُلكَهُمْ ، فاستقام أمرهم كما يجب ، إلى أن تغلب قيصر وسمّى نفسه ملكا ، فصاروا من بعده يسمّون ملوكا انتهى كلام ابن كريون . وهو مناقض لما قاله هروشيوش ، فإنه زعم أن بناء رومة كان لعهد داود عليه السلام ، وهروشيوش قال : إنه كان لعهد حزقيّا رابع عشر ملوك بني يهوذا من لدن داود عليه السلام ، وبين المدّتين تفاوت ، وخبر هروشيوش مقدّم لأن واضعيه مسلمان كانا يترجمان لخلفاء الإسلام بقُرْطُبة وهما معروفان ووضعوا الكتاب . فالله أعلم بحقيقة الأمر في ذلك .

الخبر عن فتنة الكيّم مع أهل أفريقية وتخريب قرطاجنة ثم بناؤها على الكيّم وهم اللطينيون

كان بناء قرطاجنة هذه قبل بناء رومة بإثنتين وسبعين سنة ، قال هروشيوش : على يدي ديدن بن أليثا من نسل عيصوبن إسحق . وكان بها أمير يسمّى ملكون وهو الذي بعث إلى الإسكندر بطاعته عند استيلائه على طرسوس ، ثم صار ملك أفريقية إلى أملاها من ملوكهم فافتتح صقلية وهاجت الحرب بينه وبين الرومانيين وأهل الاسكندرية بسبب أهل سرّدانية^(١) وذلك لخمسين سنة من بناء رومة ، ثم وقعت السلم بينهم وهي السلم التي وفد فيها عتّون من ملوك أفريقية على أنطريطش ملك مقدونية وإسكندرية وهو ملك الروم الأعظم . ثم ولى بقرطاجنة أملاها ابنه أنبيل فأجاز إلى بلاد الإفرنج وغلبهم على بلادهم ، وزحف إليه قواد رومة فوالى عليهم الهزائم وبعث أخاه أشدربال^(٢) إلى الأندلس فملكها ، وخالفه قواد الرومانيين إلى أفريقية بعد أن ملكوا من حصون صقلية أربعين أو نحوها ، ثم أجازوا إلى أفريقية فملكوها وقتلوا غشّول خليفة أنبيل فيها وافتتحوا مدينة جرّدا . وخرج آخرون من قواد رومة إلى الأندلس فهزموا أشدربال واتّبّعوه إلى أن قتلوه . وفرّ أخوه أنبيل عن بلادهم بعد ثلاث عشرة

(١) وهي جزيرة سردينية .

(٢) وفي نسخة أخرى : اشدريال .

سنة من إجازته إليهم ، وبعد أن حاصر رومة وأثنى في نواحيها فلحق بأفريقية ولقيه قواد أهل رومة الذين أجازوا إلى أفريقية فهزموه وحاصروه بقرطاجنة ، حتى سأل الصلح على أن يغرم لهم ثلاثة آلاف قنطار من الفضة فأجابوه إليه .

وسكنت الحرب بينهم ثم ظاهر بعد ذلك أنبيل صاحب أفريقية ملوك السريانيين على حرب أهل رومة فهلك في حربهم مسموما . وبعد أن تخلص أهل رومة من تلك الحروب رجعوا إلى الأندلس فلكوها ، ثم أجازوا البحر إلى قرطاجنة ففتحوها وقتلوا ملكها يومئذ أنبيل وخرّبوها لتسعمائة سنة من بنائها وسبعمائة لبناء رومة .

ثم دارت الحرب بين أهل رومة وملك النوبة ، واستظهر ملك النوبة بالبربر بعد أن هزمه أهل رومة واتبعوه إلى قفصة فلكوها واستولوا على ذخيرتها ، وهي من بناء أركلش الجبار ملك الروم ، وهزمهم أهل رومة فخافهم ملك البربر من ملوك النوبة إلى أن هلك في أسرهم . وكانت هذه الحروب لعهد بطليموس الإسكندر ، بعد أن كان قواد رومة اجتمعوا على بناء قرطاجنة وتجديدها لإثنتين وعشرين سنة من خرابها فعمرت واتصل بها لأهل رومة ملك على ما نذكره بعد إن شاء الله تعالى .

الخبر عن ملوك القياصرة من الكيتم وهم اللطينيون ومبدأ أموارهم ومصاير أحوالهم

لم يزل أمر هؤلاء الكيتم وهم اللطينيون راجعاً إلى الوزراء منذ سبعمائة سنة ، كما قلناه من عهد بناء رومة أو قبلها بقليل كما قال هروشيوش ، تقترع الوزراء في كل سنة فيخرج قائد منهم إلى كل ناحية كما توجه القرعة فيحاربون أمم الطوائف ويفتحون الممالك . وكانوا أولاً يعطون إخوانهم من الروم اليونانيين طاعة معروفة بعد الفتن والمجاربة ، حتى إذا هلك الاسكندر وافترق أمر اليونانيين والروم وفشلت رحبهم وقعت فتنة هؤلاء اللطينيين وهم الكيتم مع أهل أفريقية ، واستولوا عليها مرارا وخرّبوا قرطاجنة ثم بنوها كما ذكرناه . وملكوا الأندلس وملكوا الشام وأرض الحجاز وقهروا العرب بالحجاز وافتتحوا بيت المقدس وأسروا ملكها يومئذ من اليهود وهو أرسطبلوس ابن الإسكندر ثامن ملوك بني حشمناي وغربوه إلى رومة وولّوا قائدهم على الشام ، ثم

حاربوا الغساس فكانت حربهم سجالا ، إلى أن خرج بولس ^(١) بن غايش ومعه ابن عمه لوجيار بن مدكة إلى جهة الأندلس ، وحارب من كان بها من الإفرنج والحلالقة إلى أن ملك برطانية ^(٢) واشبونة ^(٣) ورجع إلى رومة ، واستخلف على الأندلس أكتبيان ابن أخيه يونان . فلما وصل إلى رومة وشعر الوزراء أنه يروم الاستبداد عليهم فقتلوه .

فرحف اكتبيان ابن أخيه من الأندلس فأخذ بثأره وملك رومة واستولى على أرض قسطنطينية وفارس وأفريقية والأندلس ، وعمه يولش ^(٤) هو الذي تسمى قيصر فصار سمة للملوكة من بعده . وأصل هذا الإسم جاشر فعربته العرب إلى قيصر ، ولفظ جاشر مشترك عندهم فيقال جاشر للشعر وزعموا أن يولش ولد شعره نام يبلغ عينيه ، ويقال أيضا للمشقوق جاشر ، وزعموا أن قيصر ماتت أمه وهي مُقْرَبٌ ^(٥) فبُقر بطنها واستخرج يُولُس ، والأول أصح وأقرب إلى الصواب .

وكانت مدة يولس قيصر خمس سنين ، ولما ولى قيصر أكتبيان ^(٦) ابن أخته انفرد بملك الناحية الشمالية من الأرض ، ووفد عليه رسل الملوك بالشرق يرغبون في ولايته ويضربون إليه في السلم فأسعفهم ، ودانت له أقطار الأرض ، وضرب الأتاوة على أهل الآفاق من الصغر . وكان العامل على اليهود بالشام من قبله هيردوس بن أنظفتر ، وعلى مصر ابنه غايش . وولد المسيح لإثنتين وأربعين سنة خلت من ملكه . وهلك قيصر أكتبيان لست وخمسين من ملكه بعد سبعائة وخمسين سنة لبناء رومة وخمسة آلاف ومائتين لمبدأ الخليقة انتهى كلام هروشيوش .

وأما ابن العميد مؤرخ النصارى فذكر عن مبدأ هؤلاء القياصرة أن أمر رومة كان راجعا إلى الشيوخ الذين يُدبّرون أمرهم ، وكانوا ثلثمائة وعشرين رجلا لأنهم كانوا حلفوا أن لا يؤلّوا عليهم ملكا ، فكان تدبيرهم يرجع إلى هؤلاء وكانوا يقدمون واحدا منهم ويسمونه الشيخ ، وانتهى تدبيرهم في ذلك الزمان إلى أغانيوس فدبّرهم أربع

(١) وفي نسخة أخرى : يوليوس بن غايش .

(٢) هي بريتانيا مقاطعة فرنسية تقع في الشمال الغربي .

(٣) وهي لشبونة في الأندلس .

(٤) وهو يوليوس قيصر .

(٥) الحامل التي قرب ولادها (قاموس) .

(٦) هو أوكتاف .

سنين ، وهو الذي سُمي قيصر لأن أمّه ماتت وهو جنين في بطنها فبقروا بطنها وأخرجوه ، ولما كبر انتهت إليه رئاسة هؤلاء الشيوخ برومة أربع سنين ، ثم وليّ من بعده يوليوس قيصر ثلاث سنين ، ثم وليّ من بعده أوغسطس قيصر بن مرنوخس ، قال : ويقال إن أوغسطس قيصر كان أحد قواد الشيخ مدبر رومة ، وتوجه بالعساكر لفتح المغرب والأندلس ففتحها وعاد إلى رومة فملك عليهم ، وطرده الشيخ من رياسته بها وتديره ووافقته الناس على ذلك . وكان للشيخ نائب بناحية المشرق يقال له فمقيوس ، فلما بلغه ذلك زحف بعساكره إلى رومة فخرج إليه أوغسطس فهزمه وقتله واستولى على ناحية المشرق . وسير عساكره إلى فتح مصر مع قائدين من قواده هما أنطونيوس ومرتداب ملك الأرمن بدمشق ، فتوجهوا إلى مصر وبها يومئذ كلابطره الملكة من بقية البطالسة ملوك يونان بالاسكندرية ومصر ، فحصنت بلادها وبنت بعدوتي النيل حائطين مبدؤهما من النوبة إلى الإسكندرية غربا وإلى الفرما شرقا وهو حائط العجوز لهذا العهد . ثم داخلت القائد أنطونيوس وخادعته بالتزويج فتزوجها وقتل رفيقه مرتداب وعصي على أوغسطس ، فزحف إليه وقتله وملك مصر وقتل كلابطره وولديها وكانا يسميان الشمس والقمر ، وملك مصر والإسكندرية وذلك لإثنتي عشرة سنة من ملكه .

قال ولائتين وأربعين سنة من ملك أوغسطس ولد المسيح بعد مولد يحيى بثلاثة أشهر . وذلك لتمام خمسة آلاف وخمسمائة سنة من سني العالم ولائتين وثلاثين من ملك هيردوس بالقدس ، وقيل لخمس وثلاثين من مملكته ، والكل متفقون على أنها لائتين وأربعين من ملك أوغسطس . قال : وسياقة التاريخ تقتضي أنها خمسة آلاف وخمسمائة شمسية من مبدأ العالم لأن من آدم إلى نوح ألفا وستمائة ، ومن نوح إلى الطوفان ستمائة ، ومن الطوفان إلى إبراهيم ألفا وإثنتين وسبعين سنة ، ومن إبراهيم إلى موسى أربعمائة وخمسا وعشرين ، ومن موسى إلى داود عليها السلام سبعمائة وستين ، ومن داود إلى الاسكندر سبعمائة وستين سنة ، ومن الاسكندر إلى مولد المسيح ثلثمائة وتسع عشرة سنة . هكذا ذكر ابن العميد وأنها تواريخ النصارى وفيها نظر ، ويظهر من كلامه أن قيصر الذي سمّاه أوغسطس ، وذكر أن المسيح ولد لائتين وأربعين من ملكه هو الذي سمّاه هيردوس قيصر أكتيان وجعل مهلكه لخمس ألف ومائتين من مبدأ الخليقة . وعند ابن العميد أن ملكه لخمس ألف وخمسمائة وخمسة عشرة

والله أعلم بالحق من ذلك .

ثم وَلِيَّ من بعد طباريش^(١) قيصر وكان وادعا واستولى على النواحي ، وعلى عهده كان شأن المسيح وبغى اليهود عليه ورفع الله من الأرض ، وأقام الحواريون من بعده واليهود يضطهدونهم ويحبسونهم على إظهار أمرهم ، وكان بلاطس النبطي الذي كان قائدا على اليهود يسعى إلى طباريش بأخبار المسيح وبغى اليهود عليه وعلى يوحنا المعمدان ، وتبعته الحواريون من بعده بالأذية ، وأراه^(٢) أنهم على حق فأمر بتخلية سبيلهم ، وهمم بالأخذ بدينهم فمنعه من ذلك قومه . ثم قبض على هيردوس وأحضره إلى رومة ثم نفاه إلى الأندلس فمات بها ، ثم وَلِيَّ مكانه أغرباس ابن أخيه ، وافترق الحواريون في الآفاق لإقامة الدين وحمل الأمم على عبادة الله . ثم قتل طباريش قيصر أغرباس ملك اليهود إلى أشْر من حالهم وقتلوا أتباع الحواريين من الروم .

ومات طباريش لثلاث وعشرين من ملكه بعد أن جدّد مدينة طبرية ، فيما قال ابن العميد ، واشتقَّ اسمها من اسمه وملك من بعده غاينس قيصر . وقال هيروشيوش : هو أخو طباريش وسمّاه غاينس فليفة من أكتبيان ، وقال : هو رابع القياصرة وأشدّهم وأراد اليهود على نصب وثنه بيت المقدس فمنعوه . وقال ابن العميد : ووقعت في أيامه شدّة على النصارى وقتل يعقوب أخاه يوحنا من الحواريين وحبس بطرس رئيسهم ثم هرب إلى انطاكية فأقام بها ، وقدم هيراديوس بطركا عليها وهو أوّل البطارقة فيها . ثم توجه إلى رومة لستين من ملك غاينس فدبرها خمسا وعشرين سنة ونصب فيها الأساقفة ، وتنصّرت امرأة من بيت الملك فعصدت النصارى ، ولقي النصارى الذين بالقدس شداً من اليهود وكان الأسقف عليهم يومئذ يعقوب بن يوسف الخطيب . وقال ابن العميد عن المسيحي : إن فيلقُس^(٣) ملك مصر غزا اليهود لأوّل سنة من ملك غاينس واستعبدتهم سبع سنين ، قال وفي الرابعة من ملكه أمر عامله على اليهود بسورية وهي أورشليم . وهي بيت المقدس — أن ينصب الأصنام في محاريب اليهود ، ووثب عليه بعض قوّاده فقتله .

وملك من بعده قلوديش قيصر ، قال هروشيوش : هو ابن طباريش وعلى عهده

(١) هو طيار يوس .

(٢) الضمير يعود إلى الله .

(٣) وفي نسخة ثانية : فيليس .

كتب متى الحواري إنجيله في بيت المقدس بالعبرانية ، قال ابن العميد : ونقله يوحنا ابن زبدي إلى الرومية ، قال : وفي أيامه كتب بطرس رأس الحواريين إنجيله بالرومية ونسبه إلى مرقس تلميذه ، وكتب لوقا من الحواريين إنجيله بالرومية وبعث به إلى بعض الأكابر من الروم وكان لوقا طيباً . ثم عظم الفساد بين اليهود ولحق ملكهم أغرباش برومة فبعث معه أقلوديش عساكر الروم فقتلوا من اليهود خلقاً ، وحملوا إلى أنطاكية ورومة منهم سيياً عظيماً وخربت القدس وانجلى أهلها فلم يؤلّ عليهم القياصرة أحداً لخرابها ، وافترقت اليهود على فرق كثيرة أعظمها سبعة . قال ولسبع من ملك أقلوديش دخلت بطريقة من الروم في دين النصارى على يد شمعون الصفا ، وسمعت منه بالصليب ، فجاءت إلى القدس لإظهاره ، ورجعت إلى رومة .

وهلك أقلوديش قيصر لأربع عشرة سنة من ملكه وملك من بعده ابنه نيرون . قال هروشيوش : هو سادس القياصرة ، وكان غشوماً فاسقاً ، وبلغه أن كثيراً من أهل رومة أخذوا بدين المسيح فنكر ذلك وقتلهم حيث وجدوا ، وقتل بطرس رأس الحواريين ، وأقام أريوس بطركاً برومة مكان بطرس من بعد خمس وعشرين سنة مضت لبطرس في كرسيها وهو رأس الحواريين ورسول المسيح إلى رومة ، وقتل مرقس الإنجيلي بالإسكندرية لإثنتي عشرة سنة من ملكه وكان هنالك منذ سبع سنين بها مساعداً إلى النصرانية بالإسكندرية ومصر وبرقة والمغرب ، وولي مكانه حنانياً^(١) ويسمى بالقبطية جنبار وهو أول البطارقة بها واتخذ معه الأقسمة الإثني عشر .

قال ابن العميد عن المسيحي : وفي الثانية من ملك نيرون عزل بلخس القاضي ، كان على اليهود من جهة الروم ، وولي مكانه قسطنس القاضي ، وقتل بوثرار رئيس الكهنوتية بالمقدس ، ومات القاضي قسطنس فثار اليهود على من كان بالمقدس من النصارى وقتلوا أسقفهم هنالك وهو يعقوب بن يوسف النجار ، وهدموا البيعة وأخذوا الصليب والخشبتيين ودفنوها إلى أن استخرجتها هلاثة أم قسطنطين كما تذكر بعد . وولي مكان يعقوب النجار ابن عمه شمعون بن كنابا ، ثم ثار بهم اليهود وأخرجوهم من المقدس لعشر من ملك نيرون فأجازوا الأردن وأقاموا هنالك . وبعث نيرون قائده أسباشيانس ، وأمر بقتل اليهود وخراب القدس وتحصن اليهود منه وبنوا عليهم ثلاثة حصون ، وحاصروهم أسباشيانس وخرّب جميع حصونهم وأحرقها وأقام عليهم سنة

(١) وفي الإنجيل : حننيا .

كاملة . وقال هروشيوش : إن نيرون قيصر انتقض عليه أهل مملكته فخرج عن طاعته أهل بَرطَانِيَّة من أرض الجوف ، ورجع أهل أرمينية والشام الى طاعة الفرس . فبعث صهره على أخته وهويشبشيان بن لوجيه فسار إليهم في العساكر وغلبهم على أمرهم . ثم زحف الى اليهود بالشام وكانوا قد انتقضوا فحاصروهم بالقدس ، وبينما هو في حصاره إذ بلغه موت نيرون لأربع عشرة سنة من ملكه ، ثار به جماعة من قواده فقتلوه ، وكان قد بعث قائدا الى جهة الجوف والأندلس ، فافتتح بَرطَانِيَّة ورجع إلى رومة بعد مهلك نيرون قيصر فملكه الروم عليهم ، وأنه قتل أخاه يشبشيان فأشار عليه أصحابه بالانصراف إلى رومة . وبشره رئيس اليهود وكان أسيراً عنده بالملك ، ويظهر أنه يوسف بن كَرِيَّون الذي مر ذكره ، فانطلق إلى رومة وخلف ابنه طيطش على حصار القدس فافتتحها وخرّب مسجدها وعمرائها كما مر ذكره . قال : وقتل منهم نحو من ستمائة ألف ألف^(١) مرتين وهلك في حصارها جوعاً نحو هذا العدد ، وبيع من سراريهم في الآفاق نحو من تسعين ألفاً ، وحمل منهم إلى رومة نحو من مائة ألف استبقاهم لفتيان الروم يتعلمون المقاتلة فيهم ضرباً بالسيوف وطعناً بالرمح . وهي الجَلَوَةُ الكُبْرَى كانت لليهود بعد ألف ومائة وستين سنة من بناء بيت المقدس ولخمسـة آلاف ومائتين وثلاثين من مبدأ الخليقة ولثمانمائة وعشرين من بناء رومة . فكان معه إلى أن افتتحها وكان المستبد بها بعد مهلك نيرون قيصر ، وانقطع ملك آل يُولس قيصر لمائة وست عشرة سنة من مبدأ دولتهم ، واستقام ملك يشبشيان في جميع ممالك الروم وتسمى قيصر كما كان من قبل اهـ . كلام هروشيوش .

وقال ابن العميد : إن أسباشيانس لما بلغه وهو محاصر للقدس أن نيرون هلك ، ذهب بالعساكر الذين معه ، وبشره يوسف بن كَرِيَّون كهنون طبرية من اليهود بأن مصير ملك القياصرة إليه ، ثم بلغه أن الروم بعد مهلك نيرون ملكوا غليان بن قيصر فأقام عليهم تسعة أشهر ، وكان رديء السيرة ، وقتله بعض خدمه غيلة ، وقدموا عوضه أنون ثلاثة أشهر ثم خلعه ، وملكوا أبطالس ثمانية أشهر ، فبعث أسباشيانس وهو

(١) انتقد ابن خلدون في مقدمته لهذا التاريخ اخبار المؤرخين الواهية البعيدة عن المعقول ، وهذا العدد الذي ذكره ابن خلدون بعيد جدا عن المعقول ، لأن الستمائة ألف ألف مكررة يعني انها تساوي ١٢٠٠ مليون وهذا رقم خيالي وربما تكون كلمة الألف الثانية مكررة من الناسخ فيكون العدد ستمائة ألف مكررة اي حوالي مليون ومائتي ألف . وهو رقم معقول .

الذي سمّاه هروشيوش يشبشيان قائدٍ إلى رومة فحاربوا أبطناش وقتلوه . وسار أسباشيانس إلى رومة وبعث إليه طيطش المحاصر للقدس بالأموال والغنائم والسبي ، قال وكانت عدّة القتلى ألف ألف والسبي تسعمائة ألف ، واحتمل الخوارج الذين كانوا في نواحي القدس مع الأسرى ، وكان يُلقى منهم كل يوم للسباع فرائس إلى أن فنوا . قال : ولما ملك طيطش بيت المقدس رجع النصارى الذين كانوا عبروا إلى الأردن فبنوا كنيسة بالمقدس وسكنوا ، وكان الأسقف فيهم سمعان بن كلوبا ابن عم يوسف النجار وهو الثاني من أساقفة المقدس .

ثم هلك أسباشيانس وهويشبشيان لتسع سنين من ملكه وملك بعده ابنه طيطش قيصر ستين وقيل ثلاثا . قال ابن العميد : لأربعمئة من ملك الاسكندر . وقال هروشيوش : كان متفنا في العلوم ملترما للخير عارفا باللسان الغريقي واللطيني ، وولي بعده أخوه دومريان خمس عشرة سنة ، قال هروشيوش : وهو ابن أخت نيرون قيصر ، قال : وكان غشوما كافرا وأمر بقتل النصارى فعّل خاله نيرون ، وحبس يوحنا الحواري ، وأمر بقتل اليهود من نسل داود حذرا أن يملكوا ، وهلك في حروب الإفرنج وسمّاه ابن العميد دانسطيانوس ، وقال : ملك ست عشرة سنة وقيل تسعا ، وكان شديدا على اليهود وقتل أبناء ملوكهم ، وقيل له إن النصارى يزعمون أن المسيح يأتي ويملك فأمر بقتلهم ، وبعث^(١) عن أولاد يهوذا بن يوسف من الحواريين وحملهم إلى رومة مقيدّين ، وسألهم عن شأن المسيح ، فقالوا إنّا يأتي عند انقضاء العالم فخلّى سبيلهم . وفي الثالثة من دولته طرد بطرك إسكندرية لسبع وثمانين سنة للمسيح ، وقدم مكانه مَلَمُوا فأقام ثلاث عشرة سنة ومات فولى مكانه كَرَمَاهُو .

قال ابن العميد عن المسيحي : ولعهده كان أمر ليونيوس صاحب الطلّسات برومة ، فنفى ذوسطيالوس جميع الفلاسفة والمنّجمين من رومة وأمر أن لا يُغرس بها كرم ، ثم هلك ذوسطيالوس ، وهو الذي سمّاه هروشيوش دُومَرِيَان ، وقال : هلك في حروب الإفرنج ، وملك بعده بَرَمَا ابن أخيه طيطش نحو من ستين وسمّاه ابن العميد تاوداس ، وقال : إن المسيحيّ سمّاه قارون ، قال : ويسمّى أيضا برسطوس ، وقال ملك على الروم سنة أوسنة ونصفا وأحسن السيرة وأمر بردّ من كان منفيا من النصارى وخلاهم ودينهم ورجع يوحنا الإنجيلي إلى أفسُس بعد ست سنين . وقال هروشيوش :

(١) مقتضى السياق : وبحث .

أطلقه من السجن . قال : ولم يكن له وَلَدٌ فعهد بالملك إلى طَرِيَّانُس من عظماء قَوَّاده وكان من أهل مالقة فولي بعده وتسمّى قيصر . قال ابن العميد : وإسمه أنديانوس ، وسمّاه المسيحي طرينوس وملك على الروم باتفاق المؤرخين سبع عشرة سنة ، وقتل سمعان بن كلاويّا أسقف بيت المقدس وأغناطيوس بطرك أنطاكية . ولقي النصراني في أيامه شدّة وتبع أئمتهم بالقتل واستعبد عامّتهم ، وهو ثالث القياصرة بعد نيرون في هذه الدولة . ولعهده كتب يوحنا إنجيله برومة في بعض الجزائر السادسة من ملكه وكان قد رجع اليهود إلى بيت المقدس فكثروا بها وعزموا على الانتفاض ، فبعث عساكره وقتل منهم خلقا كثيرا . وقال هروشيوش : إنّ الحرب طالت بينه وبين اليهود ، فخرّبوا كثيرا من المدن إلى عسقلان ثم إلى مصر والإسكندرية فانهزموا هنالك وقتلوا وزحفوا بعدها إلى الكوفة ، فأُتِخَنَ فيهم بالقتل وخضد من شوكتهم .

قال ابن العميد : وفي تاسعة من ملكه مات كوثبانو بطرك الإسكندرية لإحدى عشرة سنة من ولايته ، ووليّ مكانه أمرغُو إتنّي عشرة سنة أخرى^(١) . وقال بطليموس صاحب كتاب المجسطي : إنّ شيلوش الحكيم رصد برومة في السنة الأولى من ملك طَرِنْيُوس وهو أندريانوس^(٢) لأربعمائة وإحدى وعشرين للإسكندر ولثمانمائة وخمسة وأربعين لبختنصر . وقال ابن العميد : خرج عليه خارجيّ ببابل فهلك في حروبه لتسع عشرة سنة من ولايته كما قلناه ، فوليّ من بعد أندريانوس إحدى وعشرين سنة ، وقال ابن العميد عن ابن بطريق عشرين سنة . وقال هروشيوش : إنّهُ أُتِخَنَ في اليهود ، ثم بنى مدينة المقدس وسمّاها إيلياء . وقال ابن العميد : كان شديداً على النصراني وقتل منهم خلقاً ، وأخذ الناس بعبادة الأوثان ، وفي ثامنة ملكه خرب بيت المقدس وقتل عامّة أهلها وبنى على باب المدينة عمودا وعليه لوح نقش فيه مدينة إيلياء . ثم زحف إلى الخارجيّ الذي خرج على طرينوس قبله فهزمه إلى مصر وألزم أهل مصر حفر خليج من مجرى النيل إلى مجرى القلزم وأجرى فيه الحلو^(٣) ، ثم أرتد بعد ذلك ، وجاء الفتح والدولة الإسلامية فالزمهم عمرو بن العاص حفره حتى جرى فيه الماء ثم انسد لهذا العهد .

(١) وفي نسخة أخرى : عشر سنوات أخرى .

(٢) هو أدريانوس .

(٣) ربما يكون قد سقط من النسخ كلمة الماء فتصبح الجملة : « وأجرى فيه الماء الحلو » .

وكان أندريانوس هذا قد بنى مدينة القدس ورجع إليها اليهود وبلغه أنهم يرومون الانتفاض ، وأنهم ملكوا عليهم زكريّا من أبناء الملوك ، فبعث إليهم العساكر وتبعهم بالقتل وخرّب المدينة حتى عادت صحراء ، وأمر أن لا يسكنها يهودي ، وأسكن اليونان بيت المقدس ، وكان هذا الخراب لثلاث وخمسين سنة من خراب طيطش الذي هو الحلوة الكبرى . وامتلاً القدس من اليونان وكانت النصارى يترددون إلى موضع القبر والصليب يصلّون فيه ، وكانت اليهود يرمون عليه الزبل والكناسات ، فمنعهم اليونان من الصلاة فيه وبنوا هنالك هيكلًا على اسم الزهرة .

وقال ابن العميد عن المسيحي : وفي الرابعة من ملك أندريانوس بطل الملك من الرّها وتداولتها القضاة من قبل الروم ، وبنى أندريانوس بمدينة أثينوس^(١) بيتا ورتب فيه جماعة من الحكماء لمدرسة العلوم ، قال : وفي خامسة ملكه قدم نسطس بطركا على إسكندرية وكان حكيماً فاضلاً فلبث إحدى عشرة سنة ثم مات ، وقدم مكانه أمانيق في سادسة عشر من ملك أندريانوس فلبث إحدى عشرة سنة وهو سابع البطارقة . ثم مات أندريانوس لإحدى وعشرين من ملكه كما مرّ ، وولي ابنه أنطونيش . قال هروشيوش : ويسمى قصر الرحيم . وقال ابن العميد : ملك اثنتين وعشرين . وقال الصعديّون إحدى وعشرين . قال : وفي خامسة ملكه قدم مرتيانو بطركاً بإسكندرية وهو الثامن منهم ، فلبث تسع سنين ومات ، وكان فاضل السيرة . وقدم بعده كلوتيّانو فلبث أربع عشرة سنة ، ومات في سابعة ملكه أوراليانوس بعده وكان محبوباً . وقال بطليموس صاحب المجسطي : إنه رصد الاعتدال الخريفي في ثلاثة ملك أنطونيوس ، فكان لأربعمئة وثلاث وستين بعد الإسكندر .

ثم هلك أنطونيوس لإثنتين وعشرين كما مرّ ، فملك من بعده أوراليانس . قال هروشيوش : وهو أخو أنطونيوس وسمّاه أوراليس وأنطونيوس الأصغر ، وقال : كانت له حروب مع أهل فارس وبعد أن غلبوا على أرمينية وسورية من ممالكه فدفعهم عنها وغلبهم في حروب طويلة ، وأصاب الأرض على عهده وباءٌ عظيمٌ ، وقحط الناس ستين ، واستسقى لهم النصارى فأمطروا وارتفع الوباء والقحط بعد أن كان اشتدّ على النصارى وقتل منهم خلقاً ، وهي الشدة الرابعة من بعد نيرون . قال ابن العميد : وفي السابعة من ملكه قدم على الإسكندرية البطرك أغريبوس ،

(١) هي مدينة أثينا .

فلبث إثني عشر سنة ومات في تاسعة عشر من ملك أنطونيوس الأصغر ، قال وفي أيامه ظهرت مبتدعة من النصارى واختلفت أقوالهم وكان منهم ابن ديسان وغيره ، فجاهدهم أهل الحق من الأساقفة وأبطلوا بدعتهم .

وهلك أنطونيوس هذا لتسع عشرة من ملكه . وفي عشرة ملكه ظهر أردشير بن بابك أول ملوك الساسانية واستولى على مَلِكِ الفُرس ، وكان صاحب الحضرة متملكاً على السواد فغلبه وملك السواد وقتله وقصّته معروفة . وكان لعهد جالينوس المشهور بالطب وكان رَبيُّ معه ، فلما بلغه أنه مَلِكٌ على الروم قدم عليه من بلاد اليونان وأقام عنده ، وكان لعهد أيضاً ديمقراطس الحكيم ، ولأول سنة من ملكه قدم بليانس بطركاً على إسكندرية وهو الحادي عشر من بطاركتها فلبث فيهم عشر سنين ومات . وولي مكانه ديمتريوس فلبث فيهم ثلاثاً وثلاثين سنة ومات كمودة قيصر لثلاثة عشر كما قلناه . فولي من بعده وَرْمَتِيلُوس ثلاثة أشهر . قال ابن العميد : وسماه ابن بطريق فَرَطُنُوش . وقال : وملك ثلاثة أشهر وسماه غيره فَرَطِيخُوس . وسماه الصعيديون بَرَطَانُوس ومدة ملكه باتفاقهم شهران . وقال هروشيوش : اسمه اللبيس بن طيجليس وهو عم كمودة قيصر ، قال وولي سنة واحدة وقتله بعض قواده وأقام في الملك ستة أشهر وقتل .

قال ابن العميد : وملك بعده يوليانس قيصر شهرين ومات ، ثم ولي سوريانوس قيصر وسماه بعضهم سورس^(١) وسماه هروشيوش طبأريش بن أرنت بن أنطونيش ، واختلفوا في مدته ، فقال ابن العميد عن ابن بطريق : سبع عشرة سنة ، وقال المسيحي : ثمان عشرة ، وعن أبي فانيوس ستة عشرة ، وعن ابن الراهب ثلاث عشرة ، وعن الصعيديين ستين . قال وملك في رابعة من ملك أردشير واشتد على النصارى وقتل فيهم وسار إلى مصر والإسكندرية فقتلهم وهدم كنائسهم وشردهم كل مشرد ، وبني بالإسكندرية هيكلًا سماه هيكل الآله . قال هروشيوش : وهي الشدة الخامسة من بعد شدة نيرون . قال : ثم انتقض عليه اللطينيون ولم يزل محصوراً إلى أن هلك . وملك من بعده أقطونيش . قال ابن العميد عن ابن بطريق : ست سنين ، وعن المسيحي : سبع سنين . وسماه أنطونيش قُسْطُس . قال : وكان ابتداء ملكه عندهم لخمس وعشرين وخمسمائة من ملك

(١) وفي نسخة أخرى : سويرس .

الإسكندر ، ولعهده سار أردشير ملك الفرس إلى نصيبين فحاصرها وبنى عليها حصنا ، ثم بلغه أن خارجا خرج عليه بخراسان ، فاجفل عنهم بعد المصالحة على أن لا يتعرضوا لحصنه ، فلما رحل بنوا من وراء الحصن وادخلوه في مدينتهم ، ورجع أردشير فنازلهم وامتنعوا عليه ، فأشار بعض الحكماء بأن يجمع أهل العلم فيدعون الله دعوة رجل واحد ، ففعلوا فملك الحصن لوقته . وقال هروشيوش : لما ولي أنطونيش ضعف عن مقاومة الفرس فغلبوا على أكثر مدن الشام ونواحي أرمينية وهلك في حروبهم وولي بعده مفريق بن مركة وقتله قواد رومة لسنة من ملكه وكذا قال ابن العميد ، وسمّاه ابن بطريق بقرونشوش ، والمسيحي هرقليانوس . قالوا جميعاً : وملك من بعده أنطونيش . قال ابن العميد عن ابن بطريق وابن الراهب : ثلاث سنين ، وعن المسيحي والصعيديين : أربع سنين ، قال : وفي أول سنة من ملكه بنيت مدينة عمان بأرض فلسطين ، وملك سابور بن أردشير مدنا كثيرة من الشام . ومات أنطونيش فملك من بعده إسكندروس لثلاث وعشرين من ملك سابور بن أردشير فملك على الروم ثلاث عشرة سنة وكانت أمّه محبة في النصارى . وقال هروشيوش : ملك عشرين سنة وكانت أمّه نصرانية وكانت النصارى معه في سعة من أمرهم . قال ابن العميد : وفي سابعة ملكه قدم^(١) تاوكلا بطركا بالإسكندرية وهو الثالث عشر من البطارقة فلبث فيهم ست عشر سنة ومات . قال هروشيوش : ولعشر من ملكه غزا فارس فقتل سابور بن أردشير وانصرف ظافراً فثار عليه أهل رومة وقتلوه .

وملك من بعده مخشميان بن لوجية ثلاث سنين ، ولم يكن من بيت الملك وإنما ولوه لأجل حرب الإفرنج واشتدّ على النصارى الشدة السادسة من بعد نيرون . وأمّا ابن العميد فسمّاه فقيموس ووافق على الثلاث سنين في مدّته وعلى ما لقي النصارى منه ، وأنه قتل منه سرحبوس في سلمية وواجوس في بلس على الفرات ، وقتل بطرك انطاكية فسمع أسقف بيت المقدس بقتله فهرب وترك الكرسي . قال : وفي ثالثة ملكه ملك سابور بن أردشير خلاف ما زعم هروشيوش من أنه قتله .

ثم هلك فقيموس أرشميان وولي من بعده يוניوس ثلاثة أشهر وقتل فيما قال ابن العميد ، وقال : سمّاه أبو فانيوس لوكس قيصر وابن بطريق بلينايوس ولم يذكره

(١) بمعنى مضى على وجوده زمن طويل .

هروشيوش . ثم ملك غرديانوس قيصر ، قال ابن العميد عن ابن بطريق وابن الراهب : أربع سنين ، وعن المسيحي والصعديين : ست سنين ، وسمّاه أبوفانيوس فودينوس والصعديون قرطانوس . قال : وكان ملكه لإحدى وخمسين وخمسمائة من ملك الإسكندر . وقال هروشيوش : غرديار بن بليسان . قال : وملك سبع سنين وطالت خروبه مع الفرس وكان ظافرا عليهم وقتله أصحابه على نهر الفرات ، قال وولي بعده فلفش^(١) بن أولياق بن أنطونيش سبع سنين وهو ابن عم الإسكندر الملك قبله وأول من تنصّر من ملوك الروم . وقال ابن العميد عن الصعديين : ملك ست سنين وقيل تسع سنين ، وكان ملكه لخمس وخمسين وخمسمائة من ملك الإسكندر وآمن بالمسيح . وفي أول سنة من ملكه قدم دنوشيوش بطركا بالإسكندرية وهو رابع عشر البطارقة بها فلبث تسع عشرة سنة ، ولعهد فلفش هذا قدم غرديانوس أسقفا على بيت المقدس بعد هروب مركيوس ثم عاد من هروبه فأقام شريكاً معه سنة واحدة ، ومات غرديانوس فانفرد مركيوش أسقفاً بيت المقدس عشر سنين ، قال : وقتل فلفش قيصر قائداً من قواده يقال له دافيس وملك مكانه خمس سنين . وقال عن المسيحي وابن الراهب سنة ، وعن ابن بطريق سنتين . قال : وكان يعبد الأصنام ولقي النصارى منه شدة ، وكان من أولاد الملوك ، وقتل بطرك رومة وأجاز من مدينة قرطاجنة إلى مدينة أفسس وبنى بها هيكلاً وحمل النصارى على السجود له ، قال : وفي أيامه كانت قصة فتية أهل الكهف وظهروا بعده في أيام تاودوسيوس . وأمّا هروشيوش فسمّاه داجية بن مخشميان ، وقال : ملك سنة واحدة ، وكانت على النصارى في أيامه الشدة السابعة ، وقتل بطرك رومة منهم .

وولي من بعده غالش قيصر سنتين واستباح في قتل النصارى وباء عظيم أقفلت له المدن . وقال هروشيوش : هو غالش بن يولياش ، وقال ابن بطريق : إن يولياش كان شريكاً له في ملكه ومات قبله . قال ابن العميد : إحدى عشرة سنة لسبعين وخمسمائة من ملك الإسكندر . وقال هروشيوش وابن بطريق : ملك خمس عشرة سنة وإسمه غالوش ، وقال المسيحي : خمس عشرة سنة ، وسمّاه داقبوس وغاليوش ابنه . وقال آخرون : اسمه أورليوش وملك خمس سنين . وقال أبوفانيوس : إسمه غلبوس وملك أربع عشرة سنة . وقال الصعديون ملك كذلك وإسمه أوراليونوس .

(١) وفي نسخة أخرى : فيلبس .

قال ابن العميد : وكان يعبد الأصنام ولقي النصارى منه شدة في أول سنة من ملكه قدم مكتميش^(٢) بطركا بالإسكندرية وهو الخامس عشر من بطاركتها فلبث إثنتي عشرة سنة ومات ، وفي خامسة ملكه قدم إسكندروس أسقفا بيت المقدس ثم قتله بعد سبع سنين وبعث ابنه في عساكر الروم لغزو الفرس ، فانهزم وحمل أسيراً إلى كسرى بهرام فقتله . وقال هرشيوش : ولي غلينوس خمسة عشر سنة فاشتد على النصارى الأمر وقتلهم وقتل معهم بطرك بيت المقدس ، وكانت له حروب مع الفرس أسره في بعضها ملكهم سابور ثم من عليه وأطلقه ، ووقع في أيامه برومة وباء عظيم فرفع طلبه عن النصارى بسببه ، وفي أيامه خرج القوط من بلادهم وتغلبوا على بلاد الغريقيين ومقدونية وبلاد النبط ، وكان هؤلاء القوط يعرفون بالسنسبين وكانت مواطنهم في ناحية بلاد السريانيين ، فخرجوا لعهد غلينوش هذا وغلبوا كما قلناه على بلاد الغريقيين ومقدونية وعلى مريّة .

وهلك غلينوش قتيلاً على يد قواد رومة ، ثم ملك أقاويدوش قيصر سنة واحدة ، وقال ابن العميد عن المسيحي سنة وتسعة أشهر لثمانين وخمسمائة للإسكندر . وفي أول سنة من ملكه قدم يونس السميصاني بطركاً بأنطاكية فلبث ثمان سنين وكان يقول بالوحدانية ويحدد الكلمة بالروح ، ولما مات اجتمع الأساقفة بأنطاكية وردوا مقالته . وقال هرشيوش : ولي بعد غلينوش فلوديش بن يلازيان بن موكله فنسبه هكذا ، وقال فيه من عطاء القواد . ولم يكن من بيت الملك ودفع القوط المتغلبين عن مقدونية من منذ خمس عشرة سنة عليها ، ومات لستين من ملكه وهذا كما قال المسيحي .

وقال هرشيوش : ولي بعده أخوه نطيل سبع عشرة يوماً وقتله بعض القواد ، ولم يذكر ذلك ابن العميد . ثم ملك بعده أوريليانس ست سنين وسمّاه ابن بطريق أوراليوس والمسيحي أرينوس وأبوفانيوس أوليوس وهرشيوش أوليان بن بلنسيان . وقال : ملك خمس سنين ، قال ابن العميد : وفي الرابعة من ملكه قدم تاوناً بطركاً بالإسكندرية سادس عشر البطاركة فلبث عشر سنين . وكان النصارى يقيمون الدين خفية ، فلما صار بطركاً قابل الروم ولاطفهم بالهدايا فأذنوا له في بناء كنيسة مريم وأعلنوا فيها بالصلاة ، قال : وفي سادسة ملكه ولد قسطنطين . وقال هرشيوش : إن

(٢) وفي نسخة أخرى : مكسيموس .

أورليان بن بلنسيان هذا حارب القوط فظفر بهم وجدّد بناء رومة واشتدّ على النصارى
تاسعة بعد نيرون ثم قتل . فولي بعده طائيش بن إلياس وملك قريبا من السنة . وقال
ابن العميد : اسمه طافسوس وملك ستة أشهر . وقال ابن بطريق : اسمه طافساس
وملك تسعة أشهر .

ثم ملك فروفش قيصر خمس سنين ، وقال أبو فانيوس : اسمه فروش ، وقال ابن
بطريق وابن الراهب والصعيدون ست سنين ، وقال المسيحيّ سبع سنين وسمّاه
الأكيوس وأرفيوس ، وسمّاه ابن بطريق بروش ، وسمّاه هروشيوش فاروش بن
أنطويش . قال : وتغلب على كثير من بلاد الفرس ، وقال ابن العميد : كان ملكه
لسابعة من ملك سابور ذي الأكتاف ولخمسائة وإثنتين وتسعين من ملك
الاسكندر ، وكان شديداً على النصارى وقتل منهم خلقاً كثيراً وهلك هو وأبناءه في
الحرب .

وقال هروشيوش : ولما هلك فاروش وليّ من بعده ابنه مناربان وقُتل لحينه ، ولم
يذكره ابن العميد . ثم ملك بقلاديانوش إحدى وعشرين سنة ، وقال المسيحيّ :
عشرين سنة ، وقال غيره : ثمانى عشرة سنة ، وملك لخمسائة وخمس وتسعين
للالسكندر ، وقال غيرهم : كان اسمه عريبطاً وارتقى في أطوار الخدمة عند القياصرة
إلى أن استخلصه فاريوش وجعله على خيله وكان حسن المزمار . ويقال أن الخيل
كانت ترقص طرباً لمزاميره ، وعشقتة بنت فاريوش الملك ، ولما مات أبوها وإخوتها
ملكها الروم عليهم فتزوجته وسلمت له في الملك ، فاستولى على جميع ممالك الروم وما
والاها ، وقسطنطش ابن عمه على بلاد أسيّا وبيزنطية ، وأقام هو بأنطاكية وله الشام
ومصر إلى أقصى المغرب . وفي تاسعة عشر من ملكه انتفض أهل مصر والاسكندرية
فقتل منهم خلقاً ورجع إلى عبادة الأصنام وأمر بغلق الكنائس ، ولقي النصارى منه
شدة وقتل القسيس مارجرس^(١) وكان من أكابر أبناء البطارقة ، وقتل ملقوس منهم
أيضاً . وفي عاشر ملكه قدم ماربطرس بطركا بالاسكندرية فلبث عشر سنين وقتله ،
وجعل مكانه تلميذه إسكندروس ، وكان كبير تلامذته أريوش كثيراً لمخالفة^(٢) له
فسخطه وطرده ، ولما مات ماربطرس رجع أريوش عن المخالفة فأدخله إسكندروس
إلى الكنيسة وصيّره قساً .

(١) هو القديس مارجرس. (٢) ومقتضى السياق «وكان كبير تلامذته أريوش يوشي به كثيراً لمخالفته له».

قال ابن العميد : وفي أيام دِقْلَادِيَانُوس خرج قُسْطَنْطِشُ ابن عمّه ونائبه على بيزنطيا وأشيّاً ورأى هلاّنة ، وكانت تنصّرت على يد أسقف الرّها ، فأعجبته وتزوّجها وولدت له قُسْطَنْطِين ، وحضر المنّجسون لولادته فأخبروا بملكه ، فأجمع ديقلاديانوس على قتله فهرب إلى الرّها . ثم جاء بعد موت ديقلاديانوس فوجد أباه قُسْطَنْطِش قد ملك على الروم فتسلّم الملك من يده على ما نذكر ، وهلك ديقلاديانوس لعشرين سنة من ملكه ولستمائة وستة عشرة سنة من ملك الإسكندر وملك من بعده ابنه مقسيانوس^(١) قال ابن بطريق : سبع سنين ، وقال المسيحي وابن الراهب : سنة واحدة . قالوا وكان شريكه في الملك مَقْطُوس ، وكان أشدّ كفراً من ديقلاديانوس ، ولقي النصاري منها شدة وقتلا منهم خلقاً كثيراً ، وفي أول سنة من ملكه قدّم الإسكندروس تلميذ مار بطرس الشهير بطركا بالإسكندرية ، فلبث فيهم ثلاثاً وعشرين سنة .

وعلى عهد مقسيانوس تذكر تلك الخرافة بين المؤرخين من أن سابور ملك الفُرس دخل أرض الروم متنكراً ، وحضر مكان مقسيانوس وسجنه في جلد بقرة وسار إلى مملكة فارس وسابور في ذلك الجلد وهرب منه ، ولحق بفارس وهزم الروم ، في حكاية مستحيلة وكلها أحاديث خرافة . والصحيح منه أن سابور سار إلى مملكة الروم فخرج إليه مقسيانوس واستولى على ملكه كما نذكر بعد . وأمّا هروشيوش فلما ذكر مَنَارَبَانَ قيصر بن قاريوس وآته ملك بعد أبيه وقتل لحينه ، ثم قال وقام بملكهم ديوقاريان وثار من قاتله ، خرج عليه أَقْرِيرُ بن قاريوس فقتله ديوقاريان بعد حروب طويلة ، ثم انتقض عليه أهل ممالكه وثار الثوار ببلاد الإفرنجية والأندلس وأفريقية ومصر ، وسار إليه سابور ذو الأكتاف فدفع ديوقاريان إلى هذه الحروب كلها مخشميان هركوريش وصيّره قيصر ، فبدأ أولاً ببلاد الإفرنجية فغلب الثوار بها وأصلحها وكان الثائر الذي بالأندلس قد ملك برطانية سبع سنين فقتله بعض أصحابه ورجعت برطانية إلى ملك ديوقاريان ، ثم استعمل مخشميان خليفة ديوقاريان صهره قسطنطش وأخاه مَخْشَمِس ابني وليتنوس ، فمضى مخشمس إلى أفريقية وقهر الثوار بها وردّها إلى طاعة الرومانيين ، وزحف ديوقاريان قيصر الأعظم إلى مصر والإسكندرية فحصر الثائر بها إلى أن ظفر به وقتله ، ومضى قسطنطش إلى اللّمانيين في ناحية بلاد الإفرنج فظفر بهم بعد حروب طويلة . وزحف مخشميان خليفة ديوقاريان إلى سابور ملك الفرس

(١) هو مكسيانوس .

فكانت حروبه معه سجلاً حتى غلبه وأصاب منه ، واستأصل مدينة غُورَةَ والكوفة من بلاده سبيّاً وقتلاً ورجع إلى رومة . ثم سرحه ديوقاريان قيصر إلى حروب أهل غَالِش من الإفرنجة ، فأُتخَنَ فيهم قتلاً وسبيّاً ، ثم اشتدَّ ديوقاريان على النصاري الشدّة العاشرة بعد نيرون وأُتخَنَ فيهم بالقتل ودام ذلك عليهم عشر سنين .

ثم اعتزل ديوقاريان وخليفته مخشميان المُلك ورفضاه ودفعاه إلى قسطنطش بن وليتنوش وأخيه مَخْشَمِس ويسمى غلاريس ، فاقسما ملك الرومانيين ، فكان لمخشمس غلاريس ناحية الشرق وكان لقسطنطش ناحية المغرب وكانت أفريقية وبلاد الأندلس وبلاد الإفرنج في ملكته^(١) . وهلك ديوقاريان ومخشميان معترلين عن الملك بناحية الشام وأقام قُسْطَنْطِش في الملك ، ثم هلك ببرطانية وأقام بملك اللطينيين من بعده ابنه قُسْطَنْطِش . انتهى كلام هروشيوش .

ويظهر أن هذا الملك الذي سمّاه ابن العميد ديقلاديانوس هو الذي سمّاه هروشيوش ديوقاريان ، والخبر من بعد ذلك متشابه والأسماء مختلفة ولا يخفى عليك وضع كل إسم في مكانه من الآخر والله سبحانه وتعالى أعلم .

الخبر عن القياصرة المنتصرة من اللطينيين وهم الكيتم واستفعال ملكهم بقسطنطينية ثم بالشام بعدها إلى حين الفتح الإسلامي ثم بعد إلى إنقراض أمرهم

هؤلاء الملوك القياصرة المنتصرة من أعظم ملوك العالم وأشهرهم وكان لهم الاستيلاء على جانب البحر الرومي من الأندلس إلى رومة إلى القسطنطينية إلى الشام إلى مصر والإسكندرية إلى أفريقية والمغرب ، وحاربوا التُّرك والفرس بالمشرق والسودان بالمغرب من النوبة فمن وراءهم . وكانوا أولاً على دين المجوسية ، ثم بعد ظهور الحواريين ونشر دين النصرانية بأرضهم وتسلطهم عليهم بأرضهم مرة بعد أخرى أخذوا بدينهم . وكان أول من أخذ به قُسْطَنْطِش بن قسطنطش بن وليتنوس^(٢) وأمه هلانه بنت مخشميان قيصر خليفة ديوقاريان قيصر الثالث والثلاثون من القياصرة ، وقد

(١) الأصح ان يقول ملكه .

(٢) هو وليتنوس .

مَرَّ ذَكَرَهُ آتِئاً . وَإِنَّمَا سَعَى هَذَا الدِّينَ دِينَ النَّصْرَانِيَّةِ نَسَبَةً إِلَى نَاصِرَةِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا مَسْكَنُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا رَجَعَ مِنْ مِصْرَ مَعَ أُمِّهِ . وَأَمَّا نَسَبُهُ إِلَى نَصْرَانٍ فَهُوَ مِنْ أُنْبِيَةِ الْمُبَالِغَةِ وَمَعْنَاهُ أَنَّ هَذَا الدِّينَ فِي غَيْرِ أَهْلِ عَصَابَةِ فَهَوْدِينَ مِنْ يَنْصُرُهُ مِنْ أَتْبَاعِهِ .

وَيَعْرِفُ هَؤُلَاءِ الْقِيَاصَةَ بَنِي الْأَصْفَرِ وَبَعْضُ النَّاسِ يَنْسِبُهُمْ إِلَى عِيصُو بْنِ إِسْحَقَ وَقَدْ أَنْكَرَ ذَلِكَ الْمُحَقِّقُونَ وَأَبُوهُ . وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ عِنْدَ ذِكْرِ إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ لِإِسْحَقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْنٌ آخَرٌ غَيْرُ يَعْقُوبَ وَاسْمُهُ عِيصَابُ ، وَكَانَ بَنُوهُ يَسْكُنُونَ جِبَالِ السَّرَّاءِ مِنَ الشَّامِ إِلَى الْحِجَازِ ، وَقَدْ بَادُوا جَمَلَةً إِلَّا أَنَّ قَوْمًا يَذْكُرُونَ أَنَّ الرُّومَ مِنْ وَلَدِهِ وَهُوَ خَطَأٌ وَإِنَّمَا وَقَعَ لَهُمْ هَذَا الْغَلَطُ لِأَنَّ مَوْضِعَهُمْ كَانَ يُقَالُ لَهُ أُرُومٌ فَظَنُّوا أَنَّ الرُّومَ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، لِأَنَّ الرُّومَ إِنَّمَا نُسِبُوا إِلَى رُومُلُسَ بَانِي رُومَةَ وَرَبَّمَا يَحْتَجُّونَ بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ لِلْحَرِثِ بْنِ قَيْسٍ : هَلْ لَكَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ ؟ وَلَا حُجَّةَ فِيهِ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَرِيدَ بَنِي عِيصَابَ عَلَى الْحَقِيقَةِ لِأَنَّ قَصْدَهُ كَانَ إِلَى نَاحِيَةِ السَّرَّاءِ وَهُوَ مَسْكَنُ بَنِي عِيصُو (قُلْتُ) : مَسْكَنُ عِيصُو هَؤُلَاءِ كَانَ يُقَالُ لَهُ أَيْدُومُ ، بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ إِلَى الظَّاءِ أَقْرَبُ فَعَرَّبَتْهَا الْعَرَبُ رَاءَ ، وَمِنْ هُنَا جَاءَ الْغَلَطُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ يُقَالُ لَهُ يَسْعُونُ أَيْضاً وَالْأَسْمَانُ فِي التَّوْرَةِ .

قَالَ ابْنُ الْعَمِيدِ : خَرَجَ قُسْطَنْطِينُ الْمُؤْمِنُ عَلَى مَقْسِيَانُوسَ فَهَزَمَهُ ، وَرَجَعَ إِلَى رُومَةَ وَازْدَحَمَ الْعَسْكَرَ عَلَى الْجَسْرِ فَوَقَعَ بِهِمْ فِي الْبَحْرِ وَغَرِقَ مَقْسِيَانُوسُ مَعَ مَنْ غَرِقَ ، وَدَخَلَ قُسْطَنْطِينُ رُومَةَ وَمَلَكَهَا بَعْدَ أَنْ أَقَامَ مَلِكاً عَلَى بِيْزَنْطِيَّةٍ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ سِتَّةَ عَشْرِينَ سَنَةً ، فَبَسَطَ الْعَدْلَ وَرَفَعَ الْجُورَ . وَخَرَجَ قَائِدَهُ يَسْكُنُ نَاحِيَةَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ ، وَوَلَّاهُ عَلَى رُومَةَ وَأَعْمَالِهَا وَأَلْزَمَهُ بِإِكْرَامِ النَّصَارَى ، ثُمَّ انْتَقَضَ عَلَيْهِ وَقَتْلُ النَّصَارَى وَعَبْدُ الْأَصْنَامِ ، وَكَانَ فِيمَنْ قَتَلَ مَارْيَادِسَ بَطْرِكَ بَطَارِقَةَ ، فَبَعَثَ قُسْطَنْطِينُ الْعَسَاكِرَ إِلَى رُومَةَ لِحَرْبِهِ فَسَاقُوهُ أَسِيراً وَقَتْلَهُ .

ثُمَّ تَنَصَّرَ قُسْطَنْطِينُ فِي مَدِينَةِ نِيقِيَا لِإِثْنَتَيْ عَشَرَ مِنْ مَلَكَهْ وَهَدَمَ بَيْوتَ الْأَصْنَامِ وَبَنَى الْكَنَائِسَ ، وَلِتَاسَعَ عَشْرَةَ مِنْ مَلَكَهْ كَانَ مَجْمَعُ الْأَسَاقِفَةِ بِمَدِينَةِ نِيقِيَةِ وَنَفَى أَرِيُوسَ ، كَمَا ذَكَرْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ قَبْلِ وَأَنَّ رَئِيسَ هَذَا الْمَجْمَعِ كَانَ إِسْكَندَرُوسُ بَطْرِكَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ ، وَفِي الْخَامِسَةِ عَشَرَ مِنْ رِيَاسَتِهِ تَوَفَّى بَعْدَ الْمَجْمَعِ بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ . وَقَالَ ابْنُ بَطْرِيْقٍ كَانَتْ وَلَايَةُ إِسْكَندَرُوسَ فِي الْخَامِسَةِ مِنْ مَلِكِ قُسْطَنْطِينِ وَبَقِيَ سِتَّةَ عَشْرَةَ

سنة وقتل في السادسة والعشرين من ملك ديقلاديانوس وأنه كان على عهد أوسانيوس أسقف قيساريّة . قال المسيحيّ : مكث بطركا ثلاثا وعشرين وكسر صنم النحاس الذي هو هيكل زحل بإسكندرية ، وجعل مكانه كنيسة فهدمها العبيديّون عند ملكهم إسكندرية . وقال ابن الراهب : إنّ إسكندروس البطرك وليّ أول سنة من ملك قسطنطين فكث اثنتي عشرة سنة وعلى عهده جاءت هلاكة أم قسطنطين لزيارة بيت المقدس وبنت الكنائس وسألت عن موضع الصليب فأخبرها مقاريوس الأسقف : إنّ اليهود أهالوا عليه التراب والزبل فأحضرت الكهنوتية وسألتهن عن موضع الصليب وسألتهن رفع ما هنالك من الزبل ثم استخرجت ثلاثة من الخشب وسألت أيتها خشبة المسيح ، فقال لها الأسقف : علامتها أنّ الميت يحيا بمسيحها ، فصدقت ذلك بتجربتها ، واتخذوا ذلك اليوم عيداً لوجود الصليب ، وبنت على الموضع كنيسة القيامة^(١) ، وأمرت مقاريوس الأسقف ببناء الكنائس وكان ذلك لثلاثمائة وثمان وعشرين من مولد المسيح عليه السلام .

وفي حادية وعشرين من ملك قسطنطين كان مهلك اسكندروس البطرك ، ووليّ مكانه تلميذه أثناسيوس كانت أمّه تنصّرت على يده فربى ابنها عنده وعلمه ووليّ بطركا مكانه وسعى به أصحاب أريوش إلى الملك بعده مرتين بقي فيها على كرسيه ثم رجع . وحمل قسطنطين اليهود بالقدس على النصرانية فأظهروها وافتتحوا في الامتناع من أكل الخنزير ، فقتل منهم خلقاً وتنصّر بعضهم ، فزعموا أنّ أخبار اليهود نقصوا من سني مواليد الآباء نحو من ألف وخمسمائة سنة ليبتلوا بحجّ المسيح في السوابيع التي ذكر دانيال أنّ المسيح يظهر عندها ، وأنها لم يحن وقتها وأنّ التوراة الصحيحة هي التي فسّرها السبعون من أخبار اليهود^(٢) .

ملك مصر . وزعم ابن العميد أن قسطنطين أحضرها واطلع منها على النقص الذي قاله ، قال : وهي التوراة التي بيد النصارى الآن .

قال ثم أمر قسطنطين بتجديد مدينة بيزنطية وسمّاها قسطنطينية بإسمه وقسم ممالكه بين أولاده ، فجعل لقسطنطين قسطنطينية وما والاها ، لقسطنطين الآخر بلاد الشام إلى أقصى المشرق ، ولقسطنطوس الثالث رومة وما والاها . قال وملك خمسين سنة منها

(١) هي كنيسة القيامة .

(٢) بياض بالأصل ومقتضى السياق : فسرها السبعون من أخبار اليهود وأرسلوها إلى ملك مصر .

ست وعشرون بيزنطية قبل غلبة مقسميانوس ومنها أربع وعشرون بعد استيلائه على الروم ، وتنصر في إثنتي عشرة من آخر ملكه ، وهلك لستمائة وخمسين للإسكندر . قال هروشيوش : كان قسطنطين بن قسطنطش على دين المجوسية ، وكان شديداً على النصارى ، ونفى بطرك رومة فدعا عليه وابتلى بالجدام ، ووصف له في مداواته أن ينغمس في دماء الأطفال ، فجمع منهم لذلك عدداً ثم أدركته الرقة عليهم فأطلقهم ، فرأى في منامه من يحضه على الاقتداء بالبطرك فردّه إلى رومة وبرىء من الجدام . وجنح من حينئذ إلى دين النصرانية ، ثم خشي خلاف قومه في ذلك ، فارتحل إلى القسطنطينية ونزلها وشيّد بناءها وأظهر ديانة المسيح ، وخالف أهل رومة فرجع إليهم وغلبهم على أمرهم وأظهر دين النصرانية ، ثم جاهد الفُرس حتى غلبهم على كثير من ممالكهم . ولعشرين سنة من ملكه خرجت طائفة من القوط إلى بلاده فأغاروا وسبوا وزحف إليهم وأخرجهم من بلاده . ثم رأى في منامه عرباً وبنوداً على تمثال الصليبان وقائلاً يقول هذه علامة الظفر لك ، فخرجت أمه هالكة إلى بيت المقدس لطلب آثار المسيح وبنت الكنائس في البلدان ورجعت ثم هلك قسطنطين لإحدى وثلاثين سنة من ملكه اهـ . كلام هروشيوش .

ثم ولي قسطنطين الصغير بن قسطنطين وسمّاه هروشيوش قسطنطش . قال ابن العميد : ملك أربعاً وعشرين سنة وكان أخوه قسطنطوس برومية بولاية أبيهما في خامسة من ملك قسطنطين بعث العساكر فقتل مقنيطوس وأتباعه وولى على رومة من جهته فكانت له صاغية إلى أريوش فأخذ بمذهبه ، وغلبت تلك المقالة على أهل قسطنطينية وأنطاكية ومصر والإسكندرية ، وغلب أتباع أريوش على الكنائس ووثبوا على بطرك اسكندرية ليقتلوه فهرب كما مرّ ، ثم هلك لأربع وعشرين سنة من ملكه . وولي ابن عمه يولياش . وقال هروشيوش بن منخشمطش قال : وملك سنة واحدة . وقال ابن العميد : ملك ستين باتفاق لثلاثة من ملك سابور وكان كافراً وقتل النصارى وعزلهم عن الكنائس وأطرحهم من الديوان وسار لقتال الفرس فمات من سهم أصابه . وقال هروشيوش : تورط في طريقه في مفازة ضلّ فيها عن سبيله فتقبض عليه أعداؤه وقتلوه .

قال هروشيوش : وولي بعده بليان بن قسطنطي سنة أخرى ، وزحف إلى الفرس ومَلِكُهُمْ يومئذ سابور ، فحجم عن لقائهم ، فصالحهم ورجع وهلك في طريقه . ولم

يذكر ابن العميد بليان هذا وإنما قال : مَلَك من بعد يوليانوس الملك يوشانوس واحدة باتفاق في سادسة عشر من ملك سابور ، وكان مقدّم عساكر يوليانوس ، فلما قتل اجتمعوا إليه وبايعوه واشترط عليهم الدخول في النصرانية فغلبوه ، وأشار سابور بتوليته ونصب له صليبا في العسكر ، ولما ولي نزل على نصيبين للفرس ونقل الروم الذي بها إلى آمد ورجع إلى كرسي مملكتهم ، فردّ الأساقفة إلى الكنائس ، ورجع فيمن رجع أثناشيوس بطرك اسكندرية ، وطلب منه أن يكتب له أمانة أهل مجمع نيقية ، فجمع الأساقفة وكتبوها وأشار عليه بلزومها . ولم يذكر هروشيوش يوشانوش هذا وذكر مكانه آخر قال : وسماه بلنسيان بن قسطنطش . قال : وقاتل أمّا من القوط والافرنجة وغيرهم ، قال : وافترق القوط في أيامه فرقتين على مذهبي أريوش وأمانة نيقية ، قال : وفي أيامه ولي داماشر بطركا برومة ثم هلك بالفالج ، وملك بعده أخوه واليس أربع سنين وعمل على مذهب أريوش واشتدّ على أهل الأمانة وقتلهم . وثار عليه بأهل أفريقية بعض النصارى مع البربر فأجاز إليهم البحر وحاربهم فظفر بالثائر وقتله بقرطاجنة ، ورجع إلى قسطنطينية فخارب القوط والأُم من ورائهم وهلك في حروبهم .

وقال ابن العميد في قيصر الذي قتل واليس وسماه واليطنوس : إنه ملك اثنتي عشرة سنة فيما حكاه ابن بطريق وابن الراهب ، وحكى عن المسيحي خمسة عشر سنة ، وأن أخاه والياش كان شريكه في الملك وأنه كان مباينا وأنه ملك لستمائة وست وسبعين لاسكندروسبع عشرة لسابور كسرى . قال : وفي أيامه وثب أهل اسكندرية على أثناشيوس البطرك ليقتلوه فهرب وقدموا مكانه لوقيوس وكان على رأي أريوش ، ثم اجتمع أهل الأمانة بعد خمسة أشهر ورجعوه إلى كرسيه وطرّدوا لوقيوس ، وأقام أثناشيوس بطركاً إلى أن مات ، فولوا بعده تلميذه بطرس ستين ، ووثب به أصحاب لوقيوس فهرب ورجع لوقيوس إلى الكرسي فأقام ثلاث سنين . ثم وثب به أهل الأمانة ورجعوا بطرس وما لسنة من رجعته ولقي من داريانوس قيصر ومن أصحاب أريوش شدائد ومحناً . وقال المسيحي : كان واليطنوس يدين بالأمانة ، وأخوه واليش يدين بمذهب أريوش أخذه عن ثاودكيس أسقف القسطنطينية ، وعاهده على إظهاره ، فلما ملك نفى جميع أساقفة الأمانة وسار أريوس أسقف أنطاكية بإذنه إلى الاسكندرية ، فحبس بطرس البطرك وأقام مكانه أريوش من أهل سميساط ،

وهرب بطرس من السجن وأقام برومة .

وكانت بين والبطينوس قيصر وبين سابور كسرى فتنة وحروب وهلك في بعض حروبه معهم ، وولي بعده أخوه واليش . قال ابن العميد عن ابن الراهب : ستين ، وعن أبي فانيوس ثلاث سنين وسمّاه والاس . وقال : هو أبو الملكين اللذين تركا الملك وترهبّا وسمّى مكسينموس ودوقاديوس ، قال : وفي الثانية من ملكه بعث طماناوس أخا بطرس بطركا على إسكندرية فلبث فيهم سبع سنين ومات ، وفي سادسة ملكه كان المجمع الثاني بقسطنطينية وقد مرّ ذكره . وفي أيام واليش قيصر هذا مات بطرك قسطنطينية فبعث أغريوس أسقف يزناورا وولّاه مكانه فوليه أربع سنين ومات . ثم خرج على واليش خارج من العرب فخرج إليه فقتل في حروبه .

ثم ولي أغراديانوس قيصر ، قال ابن العميد : وهو أخو واليش وكان والنطوس . بن واليش شريكا له في الملك وملك سنة واحدة ، وقال عن أبي فانيوس ستين ، وعن ابن بطريق ثلاث سنين ، وذكر عن ابن المسيحي وابن الراهب : أن تاوداسيوس الكبير كان شريكا لها وأن ابتداء ملكهم لستمائة وتسعين من ملك الاسكندر ، وأنه ردّ جميع ما نفاه واليش قبله من الأساقفة إلى كرسيه وخلّى كل واحد مكانه .

ومات أغراديانوس وابن أخيه في سنة واحدة ، قال ابن العميد . وملك بعدهما تاوداسيوس سبع عشرة سنة باتفاق لستمائة وتسعين من ملك الاسكندر ولا إحدى وثلاثين من ملك سابور كسرى ، وفي سادسة ملكه مات أثناشيوس ، بطرك اسكندرية فولّى مكانه كاتبه تاوفيلّا ، وكان بطرك القسطنطينية يوحنا فم الذهب ، وأسقف قبرص أبوفانيوس كان يهوديا وتنصّر . قال : وكان لتاوداسيوس ولدان أرقاديوس وبرباريوس ، قال : وفي خامسة عشر من ملكه ظهر الفتية السبعة أهل الكهف الذين قاموا أيام دقيانوس ولبثوا في نومهم ثلثمائة سنة وتسع سنين كما قصّه القرآن ، ووجد معهم صندوق النحاس والصحيفة التي أودع البطريق فيها خبرهم ، وبلغ الأمر إلى قيصر تاوداسيوس فبعث في طلبهم فوجدهم قد ماتوا ، فأمر أن يبنى عليهم كنيسة ويتخذ يوم ظهورهم عيداً . قال المسيحي : وكان أصحاب أريوس قد استولوا على الكنائس منذ أربعين سنة فأزالهم عنها ونفاهم وأسقط من عساكره كل من يدين بتلك المقالة ، وعقد المجمع الثاني بقسطنطينية لمائتين وخمسين سنة من مجمع نيقية ، وقرّره الأمانة الأولى بنيقية وعهدوا أن لا يزداد فيها ولا ينقص . وفي خامسة

عشر من ملكه مات سابور بن سابور وملك بعده بهرام . ثم هلك تاوداسيوس لسبع عشرة سنة من ملكه .

وأما هروشيوش فقال بعد ذكر واليش : وملك بعده وليطانش ابن أخيه فلنسيان ست سنين وهو الموفى أربعين عدداً من ملوك القياصرة ، قال واستعمل طودوشيش بن أنطيونش بن لوخيان على ناحية المشرق فملك الكثير منها ، ثم هم أهل رومة على قائدهم فقتلوه وخلعوا وليطانش الملك ، فلحق بطودوشيش بالمشرق فسلم إليه في الملك ، فأقبل طودوشيش إلى رومة وقتل الثائر بها واستقل بملك القياصرة ، وهلك لأربع عشرة سنة من ولايته ، فولي ابنه أركاديش . ويظهر من كلام هروشيوش أن طودوشيش هو تاوداسيوس الذي ذكره ابن العميد ، لأنها متفقان في أن ابنه أركاديش ومتقاربان في المدة ، ففعل وليطانش الذي ذكره هروشيوش هو أغراديانوس الذي ذكره ابن العميد اهـ .

قال ابن العميد : وملك أركاديش ولد تاوداسيوس الأكبر ثلاث عشرة سنة باتفاق في الثالثة ملك بهرام بن سابور وكان مقبلاً بالقسطنطينية ، وولي أخاه أنوريش على رومة ، قال : وولد لأركاديش ابنٌ سمّاه طودوشيش باسم أبيه ، ولما كبر طلب معلمه أريانوس ليعلم ولده ، فهرب إلى مصر وترهب ، ورغبه بالمال فأبى وأقام في مغارة بالجبل المقطم على قرية طراً ثلاث سنين ، ومات فبنى الملك على قبره كنيسة وديراً يسمى دير القصير ، ويقال : دير البغل . وفي أيامه غرق أبوفانيوس بمرجه إلى قبرص ، ومات يوحنا فم الذهب بطرك القسطنطينية وكان نفاه أركاديش بموافقة أبي فانيوس ، ودعا كل منهما على صاحبه فهلكا . وفي التاسعة من ملك أركاديش مات بهرام بن سابور وملك ابنه يزدجرد .

ثم هلك أركاديش وملك من بعده طودوشيش الأصغر ابن أركاديش ثلاث عشرة سنة ، وولي أخاه أنوريش على رومة ، فاقسما ملك اللطينيين ، وانتقض لعهديهما قومس أفريقية وخالفه إلى طاعة القياصرة فحدثت بأفريقية فتنة لذلك . ثم غلب القومس أخاه فلحق بقبرص وترهب بها ، ثم زحف القوط إلى رومة وفر عنها أنوريش فحاربوها ودخلوها عنوة واستباحوها ثلاثاً وتجاؤا عن أموال الكنائس . قال : ولما هلك أركاديش قيصر استبد أخوه أنوريش بالملك خمس عشرة سنة وأحسن في دفاع القوط عن رومة وهلك ، فولي من بعده طودوشيش ابن أخيه أركاديش ولم يذكر ابن

العميد أنوديش وإنا ذكر بعد أركاديش ابنه طودوشيش وسمّاه الأصغر ، قال :
وملك إثنين وأربعين سنة باتفاق في خامسة ملك يزدجرد ، وكانت بينه وبين الفرس
حروب كثيرة . قال : وفي أول سنة من ملكه مات تاوفلا بطرك إسكندرية فولي
مكانه كيرلوس ابن أخته ، في سابعة عشر من ملكه قدم نسطوريش بطركاً
بالقسطنطينية فأقام أربع سنين وظهرت عنه العقيدة التي دان بها وقد تقدّمت ،
وبلغت مقالته إلى كيرلس بطرك الإسكندرية ، فخاطب في ذلك بطرك رومة
وأنطاكية وبيت المقدس ، ثم اجتمعوا بمدينة أفسيس في مائتي أسقف وأجمعوا على
كفرنسطوريش ونفوه ، فترّل أخميم من صعيد مصر وأقام بها سبع سنين ، وأخذ
بمقالته نصارى الجزيرة والموصل إلى الفرات ثم العراق وفارس إلى المشرق ، وولى
طودوشيش بالقسطنطينية مقسيموس عوضاً عن نسطورس فأقام بها ثلاث سنين . وفي
ثامنة وثلاثين من ملك طودوشيش الأصغر مات كيرلس بطرك الإسكندرية وولى
مكانه ديسقُرس ، ولقي شدائد من مرقيان الملك بعده . وفي سادسة عشرة من ملك
طودوشيش الأصغر مات يزدجرد كسرى وولى ابنه بهرام جور ، وكانت بينه وبين
خاقان ملك الترك وقائع ثم عدل عن حروبهم ودخل إلى أرض الروم فهزمه طودوشيش
وملك ابنه يزدجرد . قال هروشيوش : وفي أيام طودوشيش الأصغر تغلب القوط على
رومة وملكوها وهلك ملكهم أبطريك كما نذكر في أخبارهم ، ثم صالحوا الروم على أن
يكون لهم الأندلس فانقلبوا إليها وتركوا رومة انتهى .

قال ابن العميد : ثم ملك مرقيان بعده ست سنين باتفاق وتزوج أخت طودوشيش ،
وسمّاه هروشيوش مرقيان بن مليكة . قالوا : وكان في أيامه الجمع الرابع بمقدونية ،
وقد تقدّم ذكره ، وإنّه كان بسبب ديقوس بطرك إسكندرية وما أحدث من البدعة
في الأمانة ، فأجمعوا على نفيه وجعلوا مكانه برطارس ، وافترقت النصارى إلى ملكيّة
وهم أهل الأمانة فنسبوا إلى مرقيان قيصر الملك الذي جمعهم وعهد بأن لا يقبل ما
اتفق عليه أهل الجمع الخلقدوني ، وإلى يعقوبية وهم أهل مذهب ديسقوس وتقدّم
الكلام في تسميتهم يعقوبية ، وإلى نسطورية وهم نصارى المشرق . وفي أيام مرقيان
سكن شمعون الحبّيس الصومعة بأنطاكية وترهب وهو أول من فعل ذلك من
النصارى ، وعلى عهده مات يزدجرد كسرى .

ومات مرقيان قيصر لست سنين من ملكه وملك بعده لاؤن الكبير . قال ابن العميد :

لسبعمئة وسبعين من ملك الاسكندر ولثانية من ملك نيرون ، ملك ست عشرة سنة . ووافقه هروشيوش على مدته ، وقال فيه ليون بن شمخلية . قال ابن العميد : وكان على مذهب الملكية ولما سمع أهل اسكندرية بموت مركيان وثبوا على برطارس البطرك فقتلوه بعد ست سنين من ولايته وأقاموا مكانه طيمانوس ، وكان يعقوبياً فجاء قائد من قسطنطينية بعد ثلاث سنين من ولايته فنفاه ، وأبدل عنه سورس من الملكية وأقام تسع سنين . ثم عاد طيمانوس بالأمر لاون قيصر^(١) ، ويقال : إنه بقي بطركاً اثنتين وعشرين سنة . ولثانية عشر من ملك لاون زحف الفرس إلى مدينة آمد وحاصروها وامتنعت عليهم ، وفي أيامه مات شمعون الحبيس صاحب العمود .

ثم هلك لاون قيصر لست عشرة سنة من ملكه . قال ابن العميد : وولي من بعده لاون الصغير وهو أبو زينون الملك بعده . وقال ابن بطريق : هو ابن سينون وكان يعقوبياً وملك سنة واحدة . ولم يذكره هروشيوش وإنما ذكر زينون الملك بعده ، وسماه سينون بالسین المهملة . وقال ملك سبع عشرة سنة . وقال ابن العميد مثله ولثمانية عشر من ملك نيرون ولسبعمئة وسبع وثمانين للإسكندر ، قال : وكان يعقوبياً وخرج عليه ولده ورجل من قرابته وحاربها عشرين شهراً ثم قتلها واتباعها ودخل قسطنطينية ووجد بطركها وكان رديء العقيدة قد غير كتب الكنيسة وزاد ونقص ، فكتب زينون قيصر إلى بطرك رومة وجمع الأساقفة فناظروه ونفوه . وفي سابعة ملك زينون مات طيمانوس بطرك اسكندرية فولي مكانه بطرس وهلك بعد ثمان سنين ، فولي مكانه أثناسيوس وهلك لسبع سنين وكان قيماً ببعض البيع في بطركيته . قال المسيحي : وفي أيام زينون احترق ملعب الخيل الذي بناه بطليموس الأرنباء بالإسكندرية . وقال ابن بطريق : وفي أيام زينون هاجت الحرب بين نيرون والهياطلة وهزموه في بعض حروبهم ، ورد الكرة عليه بعض قواده كما في أخبارهم ، ومات نيرون وتنازع الملك ابنه قياد ويلاش . وفي عاشر من ملك زينون غلب يلاش أخاه واستقل بالملك ولحق أخوه قياد بخاقان ملك الترك ، ثم هلك يلاش لأربع سنين ورجع قياد واستولى على مملكة فارس وذلك في أربعة عشر من ملك زينون فأقام ثلاثاً وأربعين سنة .

وهلك زينون لسبع عشرة من ولايته ، فملك بعده نسطاس سبعا وعشرين سنة في

(١) مقتضى السياق : بالأمر لاون قيصر .

أربعة من ملك قيادة ولثمانمائة وثلاث للإسكندر ، وكان يعقوبياً وسكن حماة ولذلك أمر أن تُشِيدَ وتُحَصَّنَ فبنيت في سنتين . وعهد لأول ملكه أن يقتل كل امرأة كاتبة ، وفي الثالثة ملكه أمر ببناء مدينة في المكان الذي قتل فيه دارا فوق نصيبين . ثم وقعت الحرب بينه وبين الأكاسرة وخرب قياد مدينة آمد ونازلت عساكر الفرس إسكندرية وأحرقوا ما حولها من البساتين والحصون ، وقتل بين الأمتين خلق كثير . وفي سادسة ملكه مات أثناسيوس بطرك الاسكندرية فصير مكانه يوحنا وكان يعقوبياً ومات لتسع سنين ، فصير بعده يوحنا الحسن ومات بعد إحدى عشرة . وفي أيام نسطاس قدم ساريوس بطركاً بأنطاكية وكان كلاهما على أمة ديسقوس . وفي سابعة وعشرين من ملك نسطاس قدم ساريوس بطركاً بأنطاكية . ومات يوحنا بطرك اسكندرية فولّى مكانه ديسقوس الحديد ومات لستين ونصف .

وقال سعيد بن بطريق : إن إيليا بطرك المقدس كتب إلى نسطاس قيصر يسأله الرجوع إلى الملكية ويوضح له الحق في مذهبهم ، وصبا إليه في ذلك جماعة من الرهبان ، فأحضرهم وسمع كلامهم وبعث إليهم بالأموال للصدقات وعمارة الكنائس . وكان بقسطنطينية رجل على رأي ديسقوس فمضى إلى نشطانش قيصر ومضى وأشار عليه باتباع مذهب ديسقوس وأن يرفض المجمع الخلقدوني . فقبل ذلك منه وبعث إلى جميع أهل مملكته ، وبلغ ذلك بطرك أنطاكية فكتب إلى نشطانش قيصر بالملامة على ذلك فغضب ونفاه ، وجعل مكانه بأنطاكية سويوس وبلغ ذلك إلى إيليا بطرك القدس ، فجمع الرهبان ورؤساء الديور في نحو عشرة آلاف ولعنوا سويوس وأجرموه والملك نشطانش معه . فنفاه نشطانش إلى إيليا وذلك في ثلاثة وعشرين من ملكه ، فاجتمع جميع البطارقة والأساقفة من الملكية وأجرموا نشطانش الملك وسويوس وديسقوس إمام اليعقوبية ونسطورس . قال ابن بطريق : وكان لسويوس تلميذ اسمه يعقوب البرادعي يطوف البلاد داعياً إلى مقالة سويوس وديسقوس فنسب اليعاقبة إليه . وقال ابن العميد : وليس كذلك لأن اليعاقبة سُمُّوا بذلك من عهد ديسقوس كما مرّ .

ثم هلك نشطانش لسبع وعشرين من ملكه ، وملك بعده يشطيانش قيصر لثمانية وثلاثين من ملك قياد بن نيرون ولثمانية وثلاثين للإسكندر ، وملك تسع سنين باتفاق . وقال هروشيوش سبعا . وقال المسبحي : كان معه شريك في ملكه اسمه

يشطيان . وفي ثالثة ملكه غزت الفرس بلاد الروم فوقعت بين الفرس والروم حروب كثيرة ، وزحف كسرى في آخرها لثمانية من ملك يشطيانش ومعه المنذر ملك العرب ، فبلغ الرها وغلب الروم وغرق من الفريقين في الفرات خلق كثير وحمل الفرس أسارى الروم وسبائهم ، ثم وقع الصلح بينهما بعد موت قيصر . وفي تاسعة ملكه أجاز البربر من المغرب إلى رومة وغلبوا عليها . قال ابن بطريق : وكان يشطيانش على دين الملكيّة فرد كل من نفاه نشطاناش قبله منهم ، وصير طيمانوس بطركاً بالإسكندرية وكان يعقوبياً فلبث فيهم ثلاث سنين ، وقيل سبع عشرة سنة . وقال ابن الراهب : كان يشطيانش خلقدونياً ونفى طيمانوس البطرك عن إسكندرية وجعل مكانه أيوليناريوس وكان ملكياً ، وعقد مجمعا بالقسطنطينية يريد جمع الناس على رأي الخلقدونية مذهبه ، وأحضر شاوירش بطرك أنطاكية وأساقفة المشرق فلم يوافقوه ، فاعتقل بطرك أنطاكية سنين ثم أطلقه فسار إلى مصر وبقي مختفيا في الديور . ثم وصل أيوليناريوس بطرك إسكندرية ومعه كتاب الأمانة الخلقدونية ، فقبل الناس منه وتبعوا مذهبه فيها وصاروا إليه .

وهلك يشطيانش لتسع سنين من ملكه ثم ملك يشطيانش قيصر لإحدى وأربعين من ملك قياد ولثمانمائة وأربعين للإسكندر وكان ملكياً وهو ابن عمّ يشطيانش الملك قبله . وقال المسبحي : بل كان شريكه كما مرّ وملك أربعين سنة بإتفاق . وقال أبو فانيوس : ثلاثاً وثلاثين . وفي سابعة ملكه غزا كسرى بلاد الروم وأحرق إيليا وأخذ الصليب الذي كان فيها ، وفي حادية عشر من ملكه عصت السامريّة عليه فغزاهم وخرب بلادهم ، وفي سادسة عشر من ملكه غزا الحارث بن جبلة أمير غسان والعرب بيرة الشام وغزا بلاد الأكاسرة وهزم عساكرهم وخرب بلادهم ولقيه بعض مرازمة كسرى فهزمهم وردّ السبي منهم ، ثم وقع الصلح بين فارس والروم وتوادعوا . وفي خمس وثلاثين من ملك يشطيانش عهد بأن يتخذ عيد الميلاد في رابع وعشرين من كانون ، وعيد الغطاس^(١) في ست منه ، وكانا من قبل ذلك جميعا في سادس كانون . وقال المسبحي : أراد يشطيانش حمل الناس على رأي الملكيّة ، فأحضر طيمانوس بطرك اسكندرية وكان يعقوبياً ، وأراده على ذلك فامتنع فهم بقتله ، ثم أطلقه فرجع إلى مصر مختفيا ثم نفاه بعد ذلك وجعل مكانه بولس ، وكان ملكياً فلم

(١) عيد الظهور الالهي عند المسيحيين .

يقبله اليعاقبة وأقام على ذلك سنين .

قال سعيد بن بطريق : ثم بعث قيصر قائداً من قواده اسمه يوليناريوس وجعله بطرك
إسكندرية فدخل الكنيسة بزيّ الجند ثم لبس زيّ البطارقة و قدّس . فهموا به فصار
إلى سياستهم فاقصروا ثم حملهم على رأي اليعقوبية وقتل من امتنع وكانوا مائتين .
وفي أيام يشطينانش هذا ثار السامرة بأرض فلسطين وقتلوا النصارى وهدموا كنائسهم
فبعث العساكر وأثنوا فيهم وأمر ببناء الكنائس كما كانت ، وكانت كنيسة بيت لحم
صغيرة فأمر بأن يوسع فيها فبنيت كما هي لهذا العهد . وفي عهده كان المجمع الخامس
بقسطنطينية بعد مائة وثلاث وستين من المجمع الخلقدوني ولتاسعة وعشرين من
ملك يشطينانش وقد مر ذكر ذلك . وفي عهد قيصر هذا مات أيوليناريوس القائد
الذي جعل بطركاً بإسكندرية لسبع عشرة سنة من ولايته ، وهو كان رئيس هذا
المجمع ، وجعل مكانه يوحنا وكان أمانياً وهلك لثلاث سنين ، وانفرد اليعاقبة
بالإسكندرية وكان أكثرهم القبط و قدّموا عليهم طودوشوش بطركاً لبث فيهم اثنتين
وثلاثين سنة ، وجعل الملكية بطركهم داقيانوس و طردوا طودوشوش من كرسيه ستة
أشهر ، ثم أمر يشطينانش قيصر بأن يعاد فأعيد وطلب منه المغامسة أن يقدم دقيانوش
بطرك الملكية على الشمامسة فأجابهم . ثم كتب يشطينانش إلى طودوشوش البطرك
باجتماع المجمع الخلقدوني أو يترك البطركية ، فتركها ونفاه وجعل مكانه بولس التنسي
فلم يقبله أهل إسكندرية ولا ما جاء به . ثم مات وغلقت كنائس القبط اليعقوبية
ولقوا شداً من الملكية ومات طودوشوش البطرك في سابعة وثلاثين من ملكة
يشطينانش وجعل مكانه بإسكندرية بطرس ومات بعد ستين .

قال ابن العميد : وسار كسرى أنوشروان في مملكة يشطينانش قيصر إلى بلاد الروم
وحاصر أنطاكية وفتحها وبنى قبالتها مدينة سماها رومة ونقل إليها أهل أنطاكية . ثم
هلك يشطينانش وملك بعده يوشطونش قيصر لست وثلاثين من ملك أنوشروان
ولثمانمائة وثمانين للإسكندر فملك ثلاثة عشر سنة . وقال هروشيوش إحدى عشرة
سنة . ولثانية من ملكه مات بطرس ملك إسكندرية فجعل مكانه داميانوفكث ستاً
وثلاثين سنة وخربت الديور على عهده ، وفي الثانية عشر من ملكه مات كسرى
أنوشروان بعد أن كان بعث العساكر من الديلم مع سيف بن ذي يزن من التابعة
ففتحوا اليمن وصارت للأكاسرة . ثم هلك يوشطونش قيصر لإحدى عشرة أو ثلاث

عشرة من ملكه . وملك بعده طباريش قيصر لثالثة من ملك هُرْمُز ابن أنوشروان ولثمانمائة وإثنتين وتسعين لئاسكندر ، فملك ثلاث سنين عند ابن بطريق وابن الراهب ، وأربعاً عند المسيحي . ولعهده انتقض الصلح بين الروم وفارس واتصلت الحرب ، وانتهت عساكر الفرس إلى رأس عين الخابور ، فثار إليهم موريق من بطارقة الروم فهزمهم ، ثم جاء طباريش قيصر على أثره فعظمت الهزيمة واستحر^(١) القتل في الفرس وأسر الروم منهم نحواً من أربعة آلاف غرّبهم إلى جزيرة قبرص ، ثم انتقض بهرام مرزبان هُرْمُز كسرى وطرده عن الملك بمنجوع من تخوم بلاد الروم وبعث بالصريخ إلى طباريش قيصر ، فبعث إليه المدد من الفرسان والأموال . يقال كان عسكر المدد أربعين ألفاً فسار هُرْمُز ولقيه بهرام بين المدائن وواسط فانهزم واستبيح ، وعاد هُرْمُز إلى ملكه وبعث إلى طباريش بالأموال والهدايا أضعاف ما أعطاه ، ورد إليه ما كانت الفرس أخذته من بلادهم وسألهم^(٢) وغيرها ، ونقل من كان فيها من الفرس إلى بلاده . وسأله طباريش بأن يبني هيكلين للنصارى بالمدائن وواسط فأجابه إلى ذلك .

ثم هلك طباريش قيصر وملك من بعده موريكش قيصر في السادسة لهرمز ولثمانمائة وخمس وتسعين لئاسكندر وملك عشرين سنة بإتفاق المؤرخين فأحسن السيرة . وفي حادية عشر من ملكه بلغه عن بعض اليهود بأنطاكية أنه بال^(٣) على صورة المسيح ، فأمر بقتلهم ونفيهم . ولعهده انتقض على هرمز كسرى قريه بهرام وخلعه واستولى على ملكه وقتله ، وسار ابنه أبرويز إلى موريكش قيصر صريخاً فبعث معه العساكر ورد أبرويز إلى ملكه ، وقتل بهرام الخارج عليه وبعث إليه بالهدايا والتحف كما فعل أبوه من قبله مع القياصرة ، وخطب أبرويز من موريكش قيصر ابنته مريم فزوجه إياها

(١) وفي نسخة أخرى : واستمر .

(٢) كذا بياض بالأصل واتفق كل من الطبري وابن الأثير على القول : « وخاف بهرام سطوة هرمز وخاف مثل ذلك من كان معه من الجنود فخلعوا هرمز وأقبلوا نحو المدائن ، فأظهروا الامتناع مما كان من هرمز ، وإن ابنه أبرويز أصلح للملك منه ، وساعدهم على ذلك بعض من كان بحضرة هرمز ، فهرب أبرويز بهذا السبب إلى أذربيجان خوفاً من هرمز ، فاجتمع إليه هناك عدة من المرازية والاصبيذين فأعطوه بيعتهم ، ووثب العظماء والأشراف بالمدائن وفيهم بندي وبسطام خالا أبرويز فخلعوا هرمز واستولوا على الملك ، ثم جرت بينه وبين بهرام حروب اضطرت أبرويز إلى الهرب إلى الروم مستغيثاً بملكها فأخبره واستتب له الملك . (الطبري ج ٢ ص ١٨) .

(٣) وفي نسخة أخرى : انهم بالوا .

وبعث معها من الجهاز والأمتعة والأقشة ما يضيق عنه الحصر .

ثم وثب على موريكش بعض مماليكه بمداخلة قريه البطريق قوقاص فدسه عليه فقتله وملك على الروم وتسمى قيصر وذلك لتسمائة وأربع عشرة للإسكندر وخمس عشرة لأبرويز ، فملك ثماني سنين وقتل أولاد موريكش وافلت صغير منهم فلهق بطور سينا وترهب ومات هنالك . وبلغ ابرويز كسرى ما جرى على موريكش وأولاده فجمع عساكره وقصد بلاد الروم ليأخذ ثأر صهره ^(١) ، وبعث عساكره مع مرزبان خزرويه إلى القدس وعهد إليه بقتل اليهود وخراب البلد . وبعث مرزبان آخر إلى مصر والإسكندرية ، وجاء بنفسه في عساكر الفرس إلى القسطنطينية وحاصرها وضيق عليها ، وأما خزرويه المرزبان فسار إلى الشام وخرّب البلاد . واجتمع يهود طبرية والخليل وناصرة وصور وأعانوا الفرس على قتل النصارى وخراب الكنائس ، فنهبوا الأموال وأخذوا قطعة من الصليب ، وعادوا إلى كسرى بالسبي وفيهم ذخرياً بطرك القدس ، فاستوهبته مريم بنت موريكش من زوجها أبرويز فوهبه إياها مع قطعة الصليب . ولما خلت الشام من الروم واجتمع الفرس على القسطنطينية ، تراسل اليهود من القدس والخليل وطبرية ودمشق وقبرص ، واجتمعوا في عشرين ألفاً وجاءوا إلى صور ليملكوها ، وكان فيها من اليهود نحو من أربعة آلاف فتقبض بطركها عليهم وقيدهم ، وحاصروهم عساكر اليهود وهدموا الكنائس خارج صور والبطرك يقتل المقيدون ويرمي برؤوسهم إلى أن فنوا ، وارتحل كسرى عن القسطنطينية جاثياً فأجفل اليهود عن صور وانهزموا .

وقال ابن العميد : وفي رابعة من قوقاص قيصر قديم يوحنا الرحوم بطركاً على الملكية باسكندرية ومصر ، وإنما سمي الرحوم لكثرة رحمته وصدفته ، وهو الذي عمل بیمارستان للمرضى بإسكندرية . ولما سمع بمسير الفرس هرب مع البطريق الوالي بإسكندرية إلى قبرص فمات بها لعشر سنين من ولايته ، وخلا كرسي الملكية بإسكندرية سبع سنين . وكان اليعاقبة باسكندرية قدّموا عليهم في أيام قوقاص قيصر بطركاً اسمه أنشطانيوش مكث فيهم اثنتي عشرة سنة ، واسترد ما كانت الملكية استولت عليه من الكنائس اليعقوبية ، وجاء أثناسيوس بطرك أنطاكية بالهدايا سروراً بولايته ، فتلقيه هو بالأساقفة والرهبان ، واتخذت الكنيسة بمصر والشام وأقام عنده

(١) موريكش هو حمي أبرويز اي والد زوجته . ومقتضى السياق ليأخذ بثأر حميه .

أربعين يوماً ورجع إلى مكانه . ومات أنسطانيوش بعد إثنتي عشرة من ولايته لثلاثمائة وثلاثين من ملك ديقلاديانوس .

ولما انتهى أبرويز في حصار القسطنطينية نهايته وضيق عليها وعدموا الأقوات ، واجتمع البطارقة بعلوقيا وبعثوا السفن مشحونة بالأقوات مع هرقل أحد بطارقة الروم ، ففرحوا به ، ومالوا إليه وداخلهم في الملك ، وأن قواص سبب هذه الفتنة ، فثاروا عليه وقتلوه وملكوا هرقل ، وذلك لتسمائة وإثنتين وعشرين للإسكندر ، فارتحل أبرويز عن القسطنطينية راجعاً إلى بلاده ، وملك هرقل بعد ذلك إحدى وثلاثين سنة ونصف عند المسيحي وابن الراهب ، وإثنتين وثلاثين عند ابن بطريق . وكانت ملكته أول سنة من الهجرة . وقال هروشيوش : لتسع وسماء هرقل بن هرقل بن أنطونيش .

ولما تملك هرقل بعث أبرويز بالصلح بوسيلة قتلهم موريكش فأجابهم على تقرير الضريبة عليهم فامتنعوا فحاصروهم ست سنين أخرى إلى الثمان التي تقدمت ، وجهدهم الجوع فخادعهم هرقل بتقرير الضريبة على أن يفرج عنهم حتى يجمعوا له الأموال . وضربوا الموعد معه ستة أشهر ، ونقض هرقل فخالف كسرى إلى بلاده ، واستخلف أخاه قسطنطين على قسطنطينية ، وسار في خمسة آلاف من عساكر الروم إلى بلاد فارس فخرّب وقتل وسبي وأخذوا بني أبرويز كسرى من مريم بنت موريكش وهما قبّاد وشيروه . ومرّ بحُلوان^(١) وشهرزود إلى المدائن ودجلة ورجع إلى أرمينية ، ولما قرب من القسطنطينية ، وارتحل أبرويز كسرى إلى بلاده فوجدها خراباً وكان ذلك مما أضعف من مملكة الفرس وأوهنها .

وخرج هرقل لتاسعة من ملكه لجمع الأموال ، وطلب عامل دمشق منصور بن سرحون فاعتذر بأنه كان يحمل الأموال إلى كسرى ، فعاقبه واستخلص منه مائة ألف دينار وأبقاه على عمله . ثم سار إلى بيت المقدس وأهدى إليه اليهود فأمّنهم أولاً ثم عرفه الأساقفة والرهبان بما فعلوه في الكنائس ، ورآها خراباً وأخبروه بمن قتلوه من النصارى ، فأمر هرقل بقتلهم فلم ينج منهم إلا من اختفى أو أبعد المفرّ إلى الجبال والبراري ، وأمر بالكنائس فبنيت .

وفي العاشرة من ملكه قدم أندراسكون بطركاً لليعاقبة بإسكندرية فأقام ست سنين

(١) مدينة قديمة في العراق العجمي .

خَرِبَتْ فِيهَا الدِّيُورُ ، ثُمَّ مَاتَ فَجَعَلَ مَكَانَهُ بَنِيَامِينَ فَمَكَثَ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَمَاتَ ،
وَالْفُرسُ يَوْمَئِذٍ قَدْ مَلَكُوا مِصْرَ وَالْإِسْكَانْدَرِيَّةَ . وَأَمَّا هِرَقْلُ فَسَارَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى
مِصْرَ وَمَلَكَهَا وَقَتَلَ الْفُرسَ ، وَوَلَّى عَلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فُوسَ وَكَانَ أَمَانِيًّا وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ
الْبَطْرِكَةِ وَالْوَلَايَةِ . وَرَأَى بَنِيَامِينَ الْبَطْرِكَ فِي نَوْمِهِ شَخْصًا يَقُولُ قُمْ فَاخْتَفِ إِلَى أَنْ يَحْوزَ
غَضَبَ الرَّبِّ فَاخْتَفَى ، وَتَقَبَّضَ هِرَقْلُ عَلَى أَخِيهِ مِينَا وَأَرَادَهُ عَلَى الْاِخْتِذِ بِالْأَمَانَةِ
الْخَلْقَدُونِيَّةِ فَامْتَنَعَ فَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ وَرَمَى بِجَسَدِهِ فِي الْبَحْرِ . ثُمَّ عَادَ هِرَقْلُ إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةِ
بَعْدَ أَنْ جَمَعَ الْأَمْوَالَ مِنْ دِمَشْقَ وَحَمَصَ وَحِمَاةَ وَحَلَبَ وَعَمَرَ الْبِلَادَ ، إِلَى أَنْ مَلَكَ
مِصْرَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَفَتَحَهَا لِثَلَاثَةِ وَسَبْعٍ وَخَمْسِينَ لَدِيْقْلَادِيَانُوسَ ، وَكَتَبَ لِبَنِيَامِينَ
الْبَطْرِكَ بِالْأَمَانِ فَرَجَعَ إِلَى إِسْكَانْدَرِيَّةِ بَعْدَ أَنْ غَابَ عَنْ كُرْسِيِّهِ ثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةٍ .

قَالَ ابْنُ الْعَمِيدِ : وَانْتَقَلَ التَّارِيخُ إِلَى الْهَجْرَةِ لِإِحْدَى عَشْرَةِ مِنْ مَلَكَ هِرَقْلُ وَذَلِكَ
لِتِسْعِمَائَةِ وَثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ لِلْإِسْكَانْدَرِ وَسِتْمَائَةِ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ لِلْمَسِيحِ . قَالَ الْمَسْعُودِيُّ :
وَقِيلَ إِنَّ مَوْلَدَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ لِعَهْدِ نِشْطِيَانَشِ الثَّانِي الَّذِي ذَكَرَ إِيَّاهُ نَوْسْطِيُونُسُ
الَّذِي بَنَى كَنِيسَةَ الرَّهَا وَأَنَّ مَلَكَهَ كَانَ عَشْرِينَ سَنَةً . ثُمَّ مَلَكَ هِرَقْلُ بْنُ نَوْسْطِيُونُسَ
خَمْسَ عَشْرَةِ سَنَةً وَهُوَ الَّذِي ضَرَبَ السِّكَّةَ الْهَرَقْلِيَّةَ ، وَبَعْدَهُ مَوْرِقُ بْنُ هِرَقْلَ ، قَالَ :
وَالْمَشْهُورُ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ الْهَجْرَةَ وَأَيَّامَ الشَّيْخِينَ كَانَ مَلَكَ الرُّومِ لِهَرَقْلَ . قَالَ : وَفِي كُتُبِ
السِّرِّ أَنَّ الْهَجْرَةَ كَانَتْ عَلَى عَهْدِ قَيْصَرَ بْنِ مَوْرِقَ ، ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُ إِبْنُهُ قَيْصَرُ بْنُ قَيْصَرَ
أَيَّامَ أَبِي بَكْرَ ، ثُمَّ هِرَقْلُ بْنُ قَيْصَرَ أَيَّامَ عَمْرُو عَلَيْهِ كَانَ الْفَتْحُ وَهُوَ الْمَخْرَجُ مِنَ الشَّامِ ،
قَالَ وَمُدَّةُ مَلَكَهِمْ إِلَى الْهَجْرَةِ مِائَةٌ وَخَمْسَ وَسَبْعُونَ سَنَةً .

قَالَ الطَّبْرِيُّ : مُدَّةُ مَا بَيْنَ عِمَارَةِ الْمَقْدِسِ بَعْدَ تَخْرِيْبِهِ بِخَتْنَصْرٍ إِلَى الْهَجْرَةِ عَلَى قَوْلِ
النَّصَارَى أَلْفُ سَنَةٍ وَتَرْيِدُ ، وَمِنْ مَلَكَ الْإِسْكَانْدَرِ إِلَيْهَا تِسْعِمَائَةُ وَنِيفَ وَعَشْرِينَ سَنَةً ،
وَمِنْهُ إِلَى مَوْلَدِ عِيسَى ثَلَاثَةُ وَثَلَاثَ سِنِينَ ، وَعَمْرُهُ إِلَى رَفْعِهِ إِثْنَانِ وَثَلَاثُونَ سَنَةً ، وَمِنْ
رَفْعِهِ إِلَى الْهَجْرَةِ خَمْسِمِائَةٍ وَخَمْسَ وَثَمَانُونَ سَنَةً . وَقَالَ هِرُوشِيُوشُ إِنَّ مَلَكَ هِرَقْلَ
كَانَتْ الْهَجْرَةُ فِي تَاسِعَتِهِ وَسَمَّاهُ هِرَقْلُ بْنُ هِرَقْلَ بْنِ أَنْطُونِيُوسَ لِسِتْمَائَةِ وَإِحْدَى عَشْرَةَ
مِنْ تَارِيخِ الْمَسِيحِ ، وَلَأَلْفَ وَمِائَةَ مِنْ بِنَاءِ رُومَةَ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

الخبر عن ملوك القياصرة من لدن هرقل والدولة الإسلامية الى حين انقراض أمرهم وتلاشي أحوالهم

قال ابن العميد وفي الثانية من الهجرة بعث أبرويز عساكره إلى الشام والجزيرة فملكها ، وأثنى في بلاد الروم ، وهدم كنائس النصارى واحتمل ما فيها من الذهب والفضة والآنية ، حتى نقل الرخام الذي كان بالمباني ، وحمل أهل الرها على رأي يعقوبية باغراء طيب منهم كان عنده فرجعوا إليه وكانوا ملكية . وفي سابعة الهجرة بعث عساكر الفرس ومقدمهم مرزبان شهريار فدوخ بلاد الروم وحاصر القسطنطينية ، ثم تغير له فكتب إلى المرازبة معه بالقبض عليه ، واتفق وقوع الكتاب بيد هرقل فبعث به إلى شهريار فانتقض ومن معه ، وطلبوا هرقل في المدد فخرج معهم بنفسه في ثلثمائة ألف من الروم وأربعين ألفاً من الخزر الذين هم التركمان ، وسار إلى بلاد الشام والجزيرة وافتتح مدائنهم التي كان ملكها كسرى من قبل وفيما افتتح أرمينية ، ثم سار إلى الموصل فلقية جموع الفرس وقائدهم المرزبان فانهزموا وقتل . وأجفل أبرويز عن المدائن واستولى هرقل على ذخائر ملكهم ، وكان شيرويه بن كسرى محبوساً فأخرجه شهريار وأصحابه وملكوه وعقدوا مع هرقل الصلح ، ورجع هرقل إلى آمد بعد أن ولّى أخاه تدأوس على الجزيرة والشام ، ثم سار إلى الرها ورد النصارى اليعاقبة إلى مذهبهم الذي أكرهوا على تركه وأقام بها سنة كاملة .

وعن غير ابن العميد : وفي آخر سنة ست (١) من الهجرة كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل كتابه من المدينة مع دحية الكلبي يدعو به إلى الإسلام ، ونصه على ما وقع في صحيح البخاري «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين .» ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا إشهدوا بأننا مسلمون» .

فلما بلغه الكتاب جمع من كان بأرضه من قريش وسأهم عن أقربهم نسباً منه فأشاروا

(١) قوله ست أي وكان وصوله إلى هرقل سنة سبع كما صوّبه ابن حجر (قاله نصر) .

إلى أبي سفيان بن حرب ، فقال لهم : إني سائله عن شأن هذا الرجل فاستمعوا ما يقوله . ثم سأل أبا سفيان عن أحوال تجب أن تكون للنبي صلى الله عليه وسلم أويتره عنها ، وكان هرقل عارفاً بذلك ، فأجابه أبو سفيان عن جميع ما سألته من ذلك . فرأى هرقل أنه نبي لا محالة مع أنه كان حَزْأً ينظر في علم النجوم ، وكان عنده علم من القرآن الكائن قبل المِلة بظهور الملة والعرب ، فاستيقن بنبوته وصحة ما يدعو إليه حسبما ذكره البخاري في صحيحه .

وكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحرث بن أبي شمر الغساني ملك غسان بالبلقاء من أرض الشام وعامل قيصر على العرب مع شجاع بن وهب الأسدي يدعوهم إلى الإسلام ، قال شجاع : فأتيته وهو بغوطة دمشق يهيم التزل لقيصر حين جاء من حمص إلى إيلياء ، فشغل عني إلى أن دعاني ذات يوم وقرأ كتابي وقال : من ينتزع مني ملكي أنا سائر إليه ولو كان باليمن . ثم أمر بالخيول تتعل ، وكتب بالخبر إلى قيصر ، فنهاه عن المسير ثم أمرني بالانصراف وزودني بمائة دينار .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الثامنة من الهجرة جيشه إلى الشام وهي غزوة مؤتة كان المسلمون فيها ثلاثة آلاف وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب فجعفر فعبدا لله بن رواحة . فأنهوا إلى معان من أرض الشام ، ونزل هرقل صاب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم . وانضمت إليه جموع جذام والغيد وبهram وبلي ، وعلى بلي مالك بن زافلة ، ثم زحف المسلمون إلى البلقاء ولقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب على مؤتة فكان التحريض والشهادة ، واستشهد زيد ثم جعفر ثم عبدا لله ، وانصرف خالد بن الوليد بالناس فقدموا المدينة . ووجد النبي صلى الله عليه وسلم على من قتل من المسلمين ولا كوجدته على جعفر بن أبي طالب لأنه كان تِلَادَه .

ثم أمر بالناس في السنة التاسعة بعد الفتح وحنين والطائف أن يتهيؤوا لغزو الروم فكانت غزوة تبوك ، فبلغ تبوك وأتاه صاحب أيلة وجرباء وأذرح وأعطوا الجزية وصاحب أيلة يومئذ يوحنا بن روبة بن نفاعة أحد بطون جذام وأهدى له بغلة بيضاء ، وبعث خالد بن الوليد إلى دومة الجندل وكان بها أكيدر بن عبد الملك فأصابوه بضواحيها في ليلة مُقْمِرَة فأسروه وقتلوا أخاه وجاؤا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحقن دمه وصالحه على الجزية وردّه إلى قريته . وأقام بتبوك بعض عشرة ليلة وقفل إلى المدينة وبلغ خبر يوحنا إلى هرقل فأمر بقتله وصلبه عند قريته اهـ من غير ابن العميد .

ورجعنا إلى كلامه قال : وفي الثالثة عشرة من الهجرة جهّز أبو بكر العساكر من المسلمين العرب لفتح الشام : عمرو بن العاص لفلسطين ، ويزيد بن أبي سفيان لحمص ، وشرحيل بن حسنة للبلقاء ، وقائدهم أبو عبيدة بن الجراح . وبعث خالد بن سعيد بن العاص إلى سَمَاوَة فلقية ماهاب البطريق في جموع الروم ، فهزمهم خالد إلى دمشق ونزل مرجع^(١) الصفراء ، ثم أخذوا عليه الطريق ونازلوه ثانية فتجهز إلى جهة المسلمين وقتل ابنه . وبعث أبو بكر خالد بن الوليد بالعراق يسير إلى الشام أميراً على المسلمين فسار ونزل معهم دمشق وفتحوها كما نذكر في الفتوحات . وزحف عمرو بن العاص إلى غيره ولقيته الروم هنالك فهزمهم وتحصّنوا بيت المقدس وقيسارية .

ثم زحف عساكر الروم من كل جانب في مائتين وأربعين ألفاً والمسلمون في بضع وثلاثين ألفاً ، والتقوا باليرموك فانهزم الروم وقتل منهم من لا يحصى وذلك في خامسة عشر من الهجرة . ثم تتابعت عليهم الهزائم ونازل أبو عبيدة وخالد بن الوليد حمص فصالحوهم على الجزية . ثم سار خالد إلى قنسرين فلقية منيَّاس البطريق في جموع الروم فهزمهم ، وقتل منهم خلق كثير وفتح قنسرين ودوخ البلاد ، ثم سار عمرو بن العاص وشرحيل بن حسنة فحاصروا مدينة الرملة وجاء عمر بن الخطاب إلى الشام فعقد لأهل الرملة الصلح على الجزية ، وبعث عمرًا وشرحيل لحصار بيت المقدس فحاصروها ، ولما أجهدهم البلاء طلبوا الصلح على أن يكون أمانهم من عمر نفسه ، فحضر عندهم وكتب أمانهم ونصه : «بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب لأهل إيلياء إنهم آمنون على دمائهم وأولادهم ونسائهم وجميع كنائسهم لا تسكن ولا تهدم» اهـ .

ودخل عمر بن الخطاب بيت المقدس وجاء كنيسة القيامة^(٢) فجلس في صحنها ، وحان وقت الصلاة فقال للبرك أريد الصلاة ، فقال له : صلّ موضعك ، فامتنع وصلى على الدرجة التي على باب الكنيسة منفرداً ، فلما قضى صلاته قال للبرك لو صليت داخل الكنيسة أخذها المسلمون بعدي وقالوا هنا صلى عمر ، وكتب لهم أن لا يجمع على الدرجة للصلاة ولا يؤذن عليها . ثم قال للبرك أرني موضعاً أبني فيه

(١) وفي نسخة ثانية : موضع الصفراء .

(٢) هي كنيسة القيامة .

مسجداً فقال : على الصخرة التي كلم الله عليها يعقوب ، ووجد عليها دماً كثيراً فشرع في إزالته وتناوله بيده يرفعه في ثوبه ، واقتدى به المسلمون كافة فزال لحينه ، وأمر ببناء المسجد . ثم بعث عمرو بن العاص إلى مصر فحاصرها وأمدّه بالزبير بن العوام في أربعة آلاف من المسلمين فصالحهم المقوقس^(١) على الجزية ، ثم سار إلى الاسكندرية فحاصرها وافتتحها .

وفي السابعة عشر من الهجرة جاء ملك الروم إلى حمص في جموع النصرانية وبها أبو عبيدة فهزمهم واستلحمهم ، ورجع هرقل إلى أنطاكية ، وقد استكمل المسلمون فتح فلسطين وطبرية والساحل كله . واستنفر العرب المنتصرة من غسان ولخم وجذام وقدم عليهم ماهاب البطريق وبعثه للقاء العرب ، وكتب إلى عامله على دمشق منصور بن سرحون أن يمدّه بالأموال ، وكان يحقد عليه نكبته من قبل ، واستصفى ماله حين أفرج الفرج عن حصاره بالقسطنطينية لأول ولايته ، فاعتذر العامل للبطريق عن المال وهون عليه أمر العرب . فسار من دمشق للقائهم ونازلهم بجابية الخولان ، ثم اتبعه العامل ببعض مالٍ جهزه للعساكر ، وجاء العسكر ليلاً وأوقد المشاعل وضرب الطبول ونفخ البوقان ، فظنهم الروم عسكر العرب جاؤا من خلفهم وأنهم أحيط بهم ، فأجفلوا وتساقطوا في الوادي وذهبوا طوائف إلى دمشق وغيرها من ممالك الروم ، ولحق ماهاب بطور سيناء وترهب إلى أن هلك . واتبع المسلمون الفل مع منصور إلى دمشق وحاصروها ستة أشهر فرقوا على أبوابها . ثم طلب منصور العامل الأمان للروم من خالد فأمنه ، ودخل المدينة من الباب الشرقي ، وتسامع الروم الذين بسائر الأبواب فهربوا وتركوها ، ودخل منها الامراء الآخرون عنوة ومنصور ينادي بأمان خالد ، فاختلف المسلمون قليلا ثم اتفقوا على أمان الروم الذين كانوا بالإسكندرية بعد ان افتتحها عمرو بن العاص ركبوا إليه البحر ووافوه بها .

ثم هلك هرقل لإحدى وعشرين من الهجرة ولاحدى وثلاثين من ملكه ، فملك على الروم بقسطنطينية قسطنطين وقتله بعض نساء أبيه لسته أشهر من ملكه ، وملك أخوه هرقل بن هرقل ، ثم تشاءم به الروم فخلعوه وقتلوه وملكوا عليهم قسطنطينوس بن قسطنطين ، فملك ست عشرة سنة ومات لسابعة وثلاثين من الهجرة . وفي أيامه غزا

(١) وهو قيرس وزير هرقل وبطريق الاسكندرية ومتولي شؤون مصر لما فتحها عمرو بن العاص سنة ٦٣٩ م .

معاوية بلاد الروم سنة أربع وعشرين وهو يومئذ أمير على الشام في خلافة عمر بن الخطاب ، فدوّخ البلاد وفتح منها مدناً كثيرة وقفل ، ثم أغزى عساكر المسلمين إلى قبرص في البحر ففتح منها حصونا وضرب الجزية على أهلها سنة سبع وعشرين . وكان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية كتب لبنيامين بطرك اليعاقبة بالأمان ، فرجع بعد ثلاث عشرة من مغيبه ، وكان ولّاه هرقل في أول الهجرة كما قدمنا . وملك الفرس مصر والاسكندرية عشر سنين عند حصار قسطنطينية أيام هرقل ، ثم غاب عن الكرسي عندما ملك الفرس وقدموا الملكيّة ، وبقي غائباً ثلاث عشرة سنة أيام الفرس عشرة وثلاث من ملكة المسلمين ، ثم أمّنه عمرو بن العاص فعاد ثم مات في تاسعة وثلاثين من الهجرة ، وخلفه في مكانه أغاثوا فملك سبع عشرة سنة .

ولما هلك قسطنطينوس بن قسطنطين في سابعة وثلاثين من الهجرة كما قلناه ملك على الروم في القسطنطينية ابنه يوطيانوس فمكث إثني عشرة سنة وتوفي سنة خمسين ، فملك بعده طيباريوس ومكث سبع سنين ، وفي أيامه غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية في عساكر المسلمين وحاصرها مدة ثم أفرج عنها ، واستشهد أبو أيوب الأنصاري في حصارها ودفن في ساحتها^(١) ، ولما قفل عنها توعدهم بتعطيل كنائسهم بالشام إن تعرّضوا لقبره .

ثم قتل طيباريوس قيصر سنة ثمان وخمسين وملك أوغسطس قيصر ، وفي أيام ولايته مات أغاثوا بطرك اليعاقبة القبط باسكندرية وقدم مكانه يوحنا . ثم قتل أوغسطس قيصر ذبحه بعض عبيده سنة^(٢) ، وملك ابنه أصطفانيوس وكان لعهد عبد الملك بن مروان . وفي سنة خمس وستين من الهجرة زاد عبد الملك في المسجد الأقصى وأدخل الصخرة في الحرم . ثم خلع أصطفانيوس ثم ملك بعده لاون ومات

(١) وفي الكامل ج ٣ ص ٤٥٩ : «وتوفي أبو أيوب الأنصاري عند القسطنطينية فدفن بالقرب من سورها ، فأهلها يستسقون به ...» .

(٢) لم يحدد ابن الأثير السنة التي ملك فيها أوغسطس ولا السنة التي توفي فيها وهناك تباين في الأسماء يقول : «ثم ملك قسطنطين بن قسط ثلاث عشرة سنة بعض أيام معاوية وأيام يزيد وابنه معاوية ومروان بن الحكم وصدرًا من أيام عبد الملك . ثم ملك اسطيناس المعروف بالأخرم تسع سنين أيام عبد الملك ثم خلعه الروم وخرموا أنفه ، ثم ملك بعده لونطيش ثلاث سنين أيام عبد الملك ...» . أما ابن أبي أصيبعة فيقول في كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء عن اوسابيوس القيسراني الذي كان اسقف قيسارية : «وملك بعد يوليوس قيصر أوغسطس قيصر وكانت مدته ستا وخمسين سنة وستة أشهر وفي سنة ثلاث وأربعين من ملكه ولد المسيح عليه السلام» .

سنة ثمان وسبعين ، وملك طياريوس سبع سنين ومات سنة ست وثمانين ، فملك سِطْيَانُوس وذلك في أيام الوليد بن عبد الملك ، وهو الذي بنى مسجد بني أمية بدمشق ، يقال إنه أنفق فيه أربعمئة صندوق في كل صندوق أربعمئة عشر ألف دينار ، وكان فيه من جملة الفعلة إثنا عشر ألف مَرْحَم ، ويقال كانت فيه ستمئة سلسلة من الذهب لتعليق القناديل فكانت تغشى عيون الناظرين وتفتن المسلمين فأزالها عمر بن عبد العزيز وردّها إلى بيت المال . وكان الوليد لما اعتزم على الزيادة في المسجد أمر بهدم كنيسة النصارى وكانت ملاصقة للمسجد فأدخلها فيه ، وهي معروفة عندهم بكنيسة ماريوحنا ، ويقال إن عبد الملك طلبهم في ذلك فامتنعوا ، وإن الوليد بذل لهم فيها أربعين ألف دينار فلم يقبلوا ، فهدمها ولم يعطهم شيئاً ، وشكوا أمرها إلى عمر بن عبد العزيز وجاءه بكتاب خالد بن الوليد وعهده أن لا تحرب كنائسهم ولا تسكن ، فراودهم على أخذ الأربعين ألفاً التي بذل لهم الوليد فأبوا ، فأمر أن تردّ عليهم فعظم ذلك على الناس ، وكان قاضيه أبو داريس^(١) الخولاني فقال لهم : تتركون هذه الكنيسة في الكنائس التي في^(٢) العنوة في المدينة والا هدمناها ، فأذعنوا وكتب لهم عمر الأمان على ما بقي من كنائسهم . وفي سنة ست وسبعين بعث كاتب الخراج إلى سليمان بن عبد الملك بأن مقياس حلوان بطل فأمر ببناء مقياس في الجزيرة بين الفسطاط والجزيرة فهو لهذا العهد . وفي سنة إحدى ومائة من الهجرة ملك تِدَاوُس على الروم سنة ونصف ، ثم ملك بعده لاون أربعاً وعشرين سنة ، وبعده ابنه قسطنطين . وفي سنة ثلاث عشرة ومائة غزا هشام بن عبد الملك الصائفة اليسرى ، وأخوه سليمان الصائفة اليمنى ، ولقيهم قسطنطين في جموع الروم فانهزموا وأخذ أسيراً ثم أطلقوه بعد . وفي أيام مروان بن محمد وولاية موسى بن نصير لقي النصارى بالإسكندرية ومصر شدةً وأخذوا بغرامة المال واعتقل بطرك الإسكندرية ابي ميخايل ، وطلب بجملة من المال فبدلوا موجودهم وانطلقوا يستسعون ما يحصل لهم من الصدقة ، وبلغ ملك النوبة ما حل بهم فرحف في مائة ألف من العساكر إلى مصر ، فخرج إليه عامل مصر ، فرجع من غير قتال . وفي أيام

(١) وفي نسخة أخرى : أبو داريس الخولاني .

(٢) كذا بياض بالأصل ولم يذكر ابن الأثير ولا الطبري ومقتضى سياق الجملة : « في الكنائس التي تركت لكم وكانت من الأماكن التي أخذت عنوة في المدينة » .

هشام ردّت كنائس الملكيّة من أيدي اليعاقبة ، وولي عليهم بطرك قريبا من مائة سنة ، كانت رياسة البطرك فيها لليعاقبة وكانوا يبعثون الأساقفة للنواحي ، ثم صارت النوبة من ورائهم للحبشة يعاقبة .

ثم ملك بالقسطنطينية رجل من غير بيت الملك اسمه جرجس ، فبقي أيام السفّاح والمنصور وأمره مضطرب ، ثم مات وملك بعده قسطنطين بن لاون وبنى المدن وأسكنها أهل أرمينية وغيرها . ثم مات قسطنطين بن لاون وملك ابنه لاون ، ثم هلك لاون وملك بعده نقفور .

وفي سنة سبع وثمانين ومائة غزا الرشيد هرّقله ودوّخ جهاتها ، وصالحه نقفور ملك الروم على الجزية فرجع إلى الرقة وأقام شاتياً وقد كلب البرد ، وأمن نقفور من رجوعهم فانتقض ، فعاد إليه الرشيد وأناخ عليه حتى قرّر المودعة والجزية عليه ورجع . ودخلت عساكر الصائفة بعدها من درب الصفصاق فدوّخوا أرض الروم ، وجمع نقفور ولقيهم فكانت عليه هزيمة شنعاء قتل فيها أربعون ألفاً ونجا نقفور جريحاً . وفي سنة تسعين ومائة دخل الرشيد بالصائفة إلى بلاد الروم في مائة وخمسة وثلاثين ألفاً سوى المطوعة ، وبث السرايا في الجهات ، وأناخ على هرّقله ففتحها ، وبلغ سببها ستة عشر ألفاً . وبعث نقفور بالجزية فقبل وشرط عليهم أن لا يعمر هرّقله .

وهلك نقفور في خلافة الأمين وولي ابنه أسْتَبْران قيصر ، وغزا المأمون سنة خمس عشرة ومائتين إلى بلاد الروم ففتح حصونا عدّة ورجع إلى دمشق . ثم بلغه أن ملك الروم غزا طرسوس والمصيصة وقتل منها نحواً من ألف وستمائة رجل ، فرجع وأناخ على أنطاوغا حتى فتحها صلحاً ، وبعث المعتصم ففتح ثلاثين من حصون الروم ، وبعث يحيى بن أكرم بالعساكر فدوّخ أرضهم ، ورجع المأمون إلى دمشق . ثم دخل بلاد الروم وأناخ على مدينة لؤلؤة مائة يوم وجّهز إليها العساكر مع عجيف مولاه ، ورجع ملك الروم فنازل عجيفا ، فأمدّه المأمون بالعسكر فرحل عنه ملك الروم وافتتح لؤلؤة صلحاً . ثم سار المأمون إلى بلاد الروم ففتح سلّوس والبروة وبعث ابنه العباس بالعساكر فدوّخ أرضهم وبنى مدينة الطويلة ميلاً في ميل وجعل لها أربعة أبواب . ثم دخل غازياً بلاد الروم ومات في غزاته سنة ثمان عشرة ومائتين . وفي أيامه غلب قسطنطين على مملكة الروم وطرّد ابن نقفور عنها ، وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين فتح المعتصم عمورية وقصّتها معروفة في أخباره . اهـ كلام ابن العميد . وأغفلنا من

كلامه أخبار البطارقة من لدن فتح الاسكندرية لأننا رأينا مستغنى عنه وقد صارت بطركيتهم الكبرى التي كانت بالإسكندرية بمدينة رومة ، وهي هنالك للملكية ويسمونه البابا ومعناه أبوا الآباء ، وبقي ببلاد مصر بطرك اليعاقبة على المعاهدين من النصارى بتلك الجهات وعلى ملوك النوبة والحبشة .

وأما المسعودي فذكر ترتيب هؤلاء القياصرة من بعد الهجرة والفتح كما ذكره ابن العميد ، قال : والمشهور بين الناس أن الهجرة وأيام الشيخين كان ملك الروم فيها هرقل ، قال : وفي كتب أهل السير أن الهجرة كانت على عهد قيصر بن مورك ، ثم كان بعده ابنه قيصر بن قيصر أيام أبي بكر ، ثم هرقل بن قيصر أيام عمر ، وعليه كان الفتح وهو المخرج من الشام أيام أبي عبيدة وخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان فاستقر بالقسطنطينية . وبعده مورك بن هرقل أيام عثمان ، وبعده مورك بن مورك أيام علي ومعاوية ، وبعده قلفط بن مورك آخر أيام معاوية وأيام يزيد ومروان بن الحكم وكان معاوية يرأسه ويرأسل أباه مورك ، وكانت تختلف إليه علامة نياق وبشره مورك بالملك وأخبره أن عثمان يقتل وأن الأمر يرجع إلى معاوية ، وهادى ابنه قلفط حين سار إلى حرب علي رضي الله عنه ، ثم نزلت جيوش معاوية مع ابنه الزيد قسطنطينية وهلك عليها في حصاره أبو أيوب الأنصاري . ثم ملك من بعد قلفط بن مورك لاؤن بن قلفط أيام عبد الملك بن مروان ، وبعده جيرون بن لاؤن أيام الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز . ثم غشيهم المسلمون في ديارهم وغزوهم في البر والبحر ، ونازل مسلمة القسطنطينية ، واضطرب ملك الروم وملك عليهم جرجيس بن مرعش وملك تسع عشرة سنة ولم يكن من بيت الملك . ولم يزل أمرهم مضطرباً إلى أن ملك عليهم قسطنطين بن ألبون وكانت أمه مستبدة عليه لمكان صغره ، ومن بعده نقفور بن استيراق أيام الرشيد وكانت له معه حروب وغزاه الرشيد فأعطاه الانقياد ودفع إليه الجزية ، ثم نقض العهد فتجهز الرشيد إلى غزوه ونزل هرقله وافتتحها سنة تسعين ومائة وكانت من أعظم مدائن الروم ، وانقاد نقفور بعد ذلك وحمل الشروط . وملك بعده استيراق بن نقفور أيام الأمين ، وغلب عليه قسطنطين ابن قلفط وملك أيام المأمون ، وبعده نوفيل أيام المعتصم واسترد زبطه ونازل عمورية وافتتحها وقتل من كان بها من أمم النصرانية . ثم ملك ميخايل بن نوفيل أيام الواثق والمتوكل والمتنصر والمستعين ، ثم تنازع الروم وملكوا عليهم نوفيل بن ميخايل ،

ثم غلب على الملك بسيل الصقلي ولم يكن من بيت الملك وكان ملكه أيام المعتز والمهتدي وبعضاً من أيام المعتمد ، ومن بعده إليون بن بسيل بقية أيام المعتمد وصدرًا من أيام المعتضد . ومن بعده الاسكندروس ونقموا سيرته فخلعوه وملكوا أخاه لاوي بن إليون بقية أيام المعتضد والمكتفي وصدرًا من أيام المقتدر ، ثم هلك وملك ابنه قسطنطين صغيرًا وقام بأمره أرمنوس بطريق البحر وزوجه ابنته ويسمى الدُمستق وهو الذي كان يحارب سيف الدولة ملك الشام من بني حمدان ، واتصل ذلك أيام المقتدر والظاهر والراضي والمتقي . وافترق أمر الروم وأقام بعض بطارقهم ويعرف أستفانس في بعض النواحي وخطب بالملك أرمنوس بطركاً بكرسي القسطنطينية . إلى هنا انتهى كلام المسعودي . وقال عقبه : فجميع سني الروم المنتصرة من أيام قسطنطين بن هلانة إلى عصرنا وهو حدود الثلاثمائة والثلاثين للهجرة خمسمائة سنة وسبع سنين ، وعدد ملوكهم أحد وأربعون ملكاً ، قال : فيكون ملكهم إلى الهجرة مائة وخمسة وسبعين سنة . اهـ كلام المسعودي .

وفي تاريخ ابن الأثير : إن أرمانوس لما مات ترك ولدين صغيرين ، وكان الدُمستق على عهده قوقاش وملك ملطية من يد المسلمين بالأمان سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وكان أمر الثغور لسيف الدولة بن حمدان ، وملك قوقاش مرعش وعزرورية وحصونها وأوقع بجاية طرسوس مراراً ، وسار سيف الدولة في بلادهم فبلغ خرشنة وصارخة ودوخ البلاد وفتح حصونا عدة ثم رجع . ثم ولي أرمانوس نقفور دُمستقا ، وإسم الدُمستق عندهم على من يلي شرقي الخليج حيث ملك ابن عثمان لهذا العهد ، فأقام نقفور دُمستقا ، وهلك أرمانوس وترك ولدين صغيرين ، وكان نقفور غائباً في بلاد المسلمين فلما رجع اجتمع إليه زعماء الروم وقدموه لتدبير أمر الولدين وألبسوه التاج ، وسار إلى بلاد المسلمين سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة إلى حلب فهزم سيف الدولة وملك البلد وحاصر القلعة فامتنعت عليه ، وقتل ابن أخت الملك في حصارها فقتل جميع الأسرى الذين عنده .

ثم بنى سنة ست وخمسين مدينة بقيسارية ليجلب منها على بلاد الإسلام ، فخافه أهل طرسوس واستأمنوا إليه فسار إليهم وملكها بالأمان وملك المصيصة عنوة . ثم بعث أخاه في العساكر سنة تسع وخمسين إلى حلب فملكها ، وهرب أبو المعالي بن سيف الدولة إلى البرية ، وصالحه مرعويه بعد أن امتنع بالقلعة ورجع . ثم أن أم

الملكين إبنى أرمانيوس اللذين كانا مكفولين له ، استوحشت منه وداخلت في قتله ابن الشمشق فقتله سنة ستين . وقام إبن أرمانيوس الأكبر وهو بسيل بتدبير ملكه ، وجعل ابن الشمشق دُستقاً وقام على الأورق أخي نقفور ، وعلى ابنه وزديس بن لاون واعتقلها . وسار إلى الرها وميافارقين ، وعاث في نواحيهما ، وصانعه أبو تغلب بن حمدان صاحب الموصل بالمال فرجع . ثم خرج سنة إثنين وستين ، فبعث أبو تغلب ابن عمه أبا عبدالله بن حمدان فهزمه وأسره وأطلقه . وكان لأُم بسيل أخ قام بوزارتها فتحيل في قتل ابن الشمشق بالسُّم .

ثم ولي بسيل بن أرمانيوس سيقلاروس دُستقاً ، فعصى عليه سنة خمس وستين وطلب الملك لنفسه ، وغلبه بسيل . ثم خرج على بسيل وُرد بن منير من عطاء البطارقة ، واستجاش بأبي تغلب بن حمدان وملكوا الأطراف ، وهزم عساكر بسيل مرة بعد مرة ، فأطلق ورديس لاون وهو ابن أخي نقفور من معقله وبعثه في العساكر لقتاله فهزمه ورديس ، ولحق ورد بن منير بميافارقين صريخاً بعصد الدولة ، وراسله بسيل في شأنه فجنح عضد الدولة إلى بسيل وقبض على ورديس واعتقله ببغداد ، ثم أطلقه ابنه صمصام الدولة لخمس سنين من اعتقاله ، وشرط عليه إطلاق أسرى المسلمين ، والتزول عن حصون عدة من معاقل الروم ، وأن لا يغير على بلاد الإسلام . وسار فاستولى على ملطية ومضى إلى القسطنطينية فحاصرها وقتل ورديس بن لاون ، واستنجد بسيل بملك الروم وزوجه أخته ثم صالح ورداً على ما بيده . ثم هلك ورد بعد ذلك بقليل واستولى بسيل على أمره وسار إلى قتال البلغار فهزمهم وملك بلادهم وعاث فيها أربعين سنة . واستمدّه صاحب حلب أبو الفضائل بن سيف الدولة ، فلما زحف إليه منجوتكين صاحب دمشق من قبل الخليفة بمصر سنة إحدى وثمانين ، فجاء بسيل لمده وهزمه منجوتكين ورجع مهزوماً ورجع منجوتكين إلى دمشق ، ثم عاود الحصار فجاء بسيل صريخاً لأبي الفضائل فأجفل منجوتكين من مكانه على حلب ، وسار إلى حمص وشيزر فملكها وحاصر طرابلس ، وصالحه ابن مروان على ديار بكر . ثم بعث الدوقس الدُستق إلى أمامه فبعث إليه صاحب مصر أبا عبدالله بن ناصر الدولة بن حمدان في العساكر فهزمه وقتله .

ثم هلك بسيل سنة عشر وأربعمائة لنيف وسبعين من ملكه وملك بعده أخوه قسطنطين وأقام تسعاً ثم هلك عن ثلاث بنات ، فملك الروم عليهم الكبرى منهن وأقام بأمرها

ابن خالها أرمأنوس وتزوجت به فاستولى على مملكة الروم . وكان خاله ميخايل مُتَحَكِّمًا في دولته ومُدَاخِلًا لأهله فمالت إليه الملكة وحملته على قتل أرمأنوس ، فقتله واستولى على الأمر . ثم أصابه الصرع واذاه فعمد لابن أخته وإسمه ميخايل أيضاً وكان أرمأنوس قد خرج سنة إحدى وعشرين إلى حلب في ثلاثة آلاف مقاتل ، ثم خار عن اللقاء فاضطرب ورجع واتبعه العرب فنهبوا عساكره ، وكان معه ابن الدوقس من عطاء البطارقة فارتاب وقبض عليه . وخرج سنة إثنين وعشرين وأربعمئة في جموع الروم فملك الرها وسروج وهزم عساكر ابن مروان .

ولما ملك ميخايل سار إلى بلاد الإسلام فلقبه الدربري صاحب الشام من قبل العلوية فهزمه واقتصر الروم بعدها عن الخروج إلى بلاد الإسلام . وملك ميخايل ابن أخته كما قلناه وقبض على أخواله وقرباتهم وأحسن السيرة في المملكة ، ثم طلب زوجته في الخلع فأبت ، فنفاها إلى بعض الجزائر واستولى على المملكة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمئة . ونكر عليه البترك ما وقع فيه فهم بقتله ودخل بعض حاشيته في ذلك ، ونمى الخبر إلى البترك فنادى في النصرانية بخلعه وحاصره في قصره واستدعى الملكة التي خلعها ميخايل من مكانها وأعادوها إلى الملك فنفت ميخايل كما نفاها أولاً . ثم اتفق البترك والروم على خلع الملكة بنت قسطنطين وملكوا اختها الأخرى تودورة وسلموا ميخايل لها ، ثم وقعت الفتنة بين شيعة تودورة وشيعة ميخايل واتصلت ، وطلب الروم أن يملكوا عليهم من يمحو هذه الفتنة وأقرعوا على المرشحين فخرجت القرعة على قسطنطين منهم فلكوه أمرهم ، وتزوج بالملكة الصغيرة تودورة وجعلت اختها الكبرى على ما بذلته لها وذلك سنة أربع وثلاثين وأربعمئة .

ثم توفي قسطنطين سنة ست وأربعين ، وملك على الروم أرمأنوس وقارن ذلك بظهور الدولة السلجوقية واستيلاء طغرل بك على بغداد ، فردد الغزو إليهم من ناحية أذربيجان ، ثم سار ابنه الملك ألب أرسلان وملك مدناً من بلاد الكرخ^(١) منها مدينة آي وأثنى في بلادهم . ثم سار ملك الروم إلى منبج وهزم ابن مرداس وابن حسان وجموع العرب ، فسار ألب أرسلان إليه سنة ثلاث وستين وخرج أرمأنوس في مائتي ألف من الروم والعرب والدوس والكرخ ونزل على نواحي أرمينية ، فزحف إليه ألب أرسلان من أذربيجان فهزمه وحصل في أسره ثم فاداه على مال يعطيه وأجرؤه عليه وعقد معه

(١) وفي نسخة أخرى : بلاد الكرخ .

صلحاً . وكان أرمانيوس لما انهزم وثب ميخائيل بعده على مملكة الروم ، فلما انطلق من الأسر ورجع دفعه ميخائيل عن الملك والتزم أحكام الصلح الذي عقده مع البارسلان وترهب أرمانيوس إلى هنا انتهى كلام ابن الأثير .

ثم استفحل ملك الافرنج بعد ذلك واستبدوا بملك رومة وما وراءها ، وكان الروم لما أخذوا بدين النصرانية حملوا عليه الأمم المجاورين لهم طوعاً وكُرهاً ، فدخل فيه طوائف من الأمم منهم الأرمن وقد تقدم نسبهم إلى ناحور أخي ابراهيم عليه السلام وبلادهم أرمينية وقاعدتها خلاط ، ومنهم الكرج وهم من شعوب الروم وبلادهم الخزر ما بين أرمينية والقسطنطينية شمالاً في جبال ممتنعة ، ومنه الجرکس في جبال بالعدوة الشرقية من بحر نيطش وهم من شعوب الترك ، ومنهم الروس في جزائر بحر نيطش وفي عدوته الشمالية ومنه البلغار نسبة إلى مدينة لهم في العدوة الشمالية أيضاً من بحر نيطش ، ومنهم البرجان أمة كبيرة متوغلون في الشمال لا تعرف أخبارهم لبعدها ، وهؤلاء كلهم من شعوب الترك .

وأعظم من أخذ به من الأمم الافرنج وقاعدة بلادهم فرنجة ، ويقولون فرنسة بالسين وملكهم الفرنسييس ، وهم في بسائط على عدوة البحر الرومي من شماليه وجزيرة الأندلس من ورائهم في المغرب تفصل بينهم وبينها جبال متوعدة ذات مسالك ضيقة يسمونها البون وساكنها الجلالقة من شعوب الافرنج ، وهؤلاء فرنسة أعظم ملوك الافرنجة بالعدوة الشمالية من هذا البحر ، واستولوا من الجزيرة البحرية منه على صقلية وقبرص وأقريطش وجنوة ، واستولوا أيضاً على قطعة من بلاد الأندلس إلى برشلونه ، واستفحل ملكهم بعد القياصرة الأول .

ومن أمم الافرنجة البنادقة وبلادهم حفا في خليج يخرج من بحر الروم متضايقاً إلى ناحية الشمال ومغرباً بعض الشيء على سبعمائة ميل من البحر وهذا الخليج مقابل لخليج القسطنطينية ، وفي القرب منه وعلى ثمان مراحل من بلاد جنوة ، ومن ورائها مدينة رومة حاضرة الافرنجة ومدينة ملكهم وبها كرسي البطرک الأكبر الذي يسمونه البابا . ومن أمم الافرنجة الجلالقة وبلادهم الأندلس وهؤلاء كلهم دخلوا في دين النصرانية تبعاً للروم إلى من دخل فيه منهم من أمم السودان والحبشة والنوبة ، ومن كان على مملكة الروم من برايرة العدوة بالمغرب مثل نغراوة وهوارة بأفريقية والمصامدة بالمغرب الأقصى ، واستفحل ملك الروم ودين النصرانية .

ولما جاء الله بالإسلام وغلب دينه على الأديان وكانت مملكة الروم قد انتشرت في حفا في البحر الرومي من عُدُوَّتَيْهِ ، فانتزعوا منهم لأوّل أمرهم عُدُوَّتَهُ الجَنُوبِيَّةَ كُلَّهَا من الشام ومصر وأفريقية والمغرب وأجازوا من خليج طَنْجَة فملكوا الأندلس كُلَّهَا من يد القوط والحلالقة وضعف أمر الروم وملكهم بعد الانتهاء إلى غايته شأن كل أمة . ثم شغل الافرنجة بما دهمهم من العرب في الأندلس والجزائر بما كانوا يتخيمونهم ويردّون الصوائف إلى بسائطهم أيام عبد الرحمن الداخل وبنيه الأندلس ، وعبد الله الشيعي وبنيه بأفريقية . وملكوا عليهم جزائر البحر الرومي التي كانت لهم مثل صِقْلِيَّة ومَيُورِقَة ودَانِيَّة وأخواتها ، إلى أن فشل ربح الدولتين وضعف مُلْكُ العرب ، فاستفحل الافرنجة ورجعت لهم واسترجعوا ما ملكه المسلمون إلّا قليلاً بسيف البحر الرومي مضائق العرض في طول أربع عشرة مرحلة واستولوا على جزائر البحر كُلَّهَا ، ثم سموا إلى الشام وبيت المقدس مسجد أنبيائهم ومطلع دينهم فسربوا إليه آخر المائة الخامسة ، وتواثبوا على الأمصار والحصون وسواحله . ويقال : إنّ المُسْتَنْصِر العُبيديّ هو الذي دعاهم لذلك وحرّضهم عليه لما رجا فيه من اشتغال ملوك السلجوقيّة بأمرهم ، وإقامتهم سداً بينه وبينهم عندما سموا إلى ملك الشام ومصر . وكان مَلِكُ الافرنجة يومئذ اسمه بَرْدَوِيل ^(١) وصهره زجار ^(٢) ملك صقليّة من أهل طاعته ، فتظاهروا على ذلك وساروا إلى القسطنطينية سنة إحدى وتسعين ليجعلوها طريقاً إلى الشام ، فمنعهم ملك الروم يومئذ ثم أجازهم على أن يعطوه مَلَطِيَّة إذا ملكوها فقبلوا شرطه . ثم ساروا إلى بلاد ابن قَلْطَمِش ، وقد استولى يومئذ على مَرِيَّة وأعمالها وأرزن الروم وأقصر وسيواس ، وافتتح تلك الأعمال كُلَّهَا عند هبوب ريح قومه على السُلجوقيّة ، ثم حدثت الفتنة بينهم وبين الروم بالقسطنطينية ، واستنجد كل منهم بملوك المسلمين في ثغور الشام والجزيرة ، وعظمت الفتن في تلك الآفاق ودامت الحال على ذلك نحو من مائة سنة ومُلْكُ الروم بالقسطنطينية في تناقص واضمحلال . وكان زجار صاحب صِقْلِيَّة يغزو القسطنطينية من البحر ويأخذ ما يجد في مرساها من سفن التجار وشواني ^(٣) المدينة ، ولقد دخل جرجي بن ميخايل صاحب أسطوله الى

(١) وهو بودوان .

(٢) وفي نسخة اخرى : روجيه .

(٣) الشونة : المركب المعد للجهاد .

مينا القسطنطينية سنة أربع وأربعين وخمسمائة ورمى قصر الملك بالسهم ، فكانت تلك أنكى على الروم من كل ناحية .

ثم كان استيلاء الإفرنج على القسطنطينية آخر المائة السادسة وكان من خبرها أن ملك الروم بالقسطنطينية أصهر إلى الفرنسييس عظيم ملوك الإفرنج في أخته فزوّجها له الفرنسييس وكان له منها ابن ذكر ، ثم وثب بملك الروم أخوه فسَمَلَهُ وملك القسطنطينية مكانه . ولحق الإبن بخاله الفرنسييس صريحاً^(١) به على عمه فوجده قد جهز الأساطيل لارتجاع بيت المقدس ، واجتمع فيها ثلاثة من ملوك الإفرنجة بعساكرهم دُوقُس البنادقة صاحب المراكب البحرية وفي مراكبه كان ركوبهم ، وكان شيخاً أعمى نقاداً ذا ركب والمركس^(٢) مقدّم الفرنسييس وكيدفليد وهو أكبرهم ، فأمر الفرنسييس بالجوّاز على القسطنطينية ليصلحوا بين ابن اخته وبين عمه ملك الروم ، فلما وصلوا إلى مرسى القسطنطينية ، خرج عمه وحاربهم فهزموه ودخلوا البلد وهرب إلى أطراف البلد وقتل حاضروه وأضرمو النار في البلد ، فاشتغل الناس بها وأدخل الصبي بشيعته ، فدخل الإفرنج معه وملكوا البلد وأجلسوا الصبي في ملكه وساء أثرهم في البلد ، وصادروا أهل النعم وأخذوا أموال الكنائس ، وثقلت وطأتهم على الروم فعقلوا الصبي وأخرجوهم واستدعوا ملكهم عم الصبي من مكان مقره وملكوه عليهم .

وحاصروهم الإفرنج فاستنجد بسليمان بن قليج أرسلان صاحب قونية وبلاد الروم شرقي الخليج ، وكان في البلد خلق من الإفرنج ، فقبل أن يصل سليمان ثاروا فيها وأضرمو النيران حتى شغل بها الناس ، وفتحوا الأبواب فدخل الإفرنج واستباحوها ثمانية أيام حتى أقفرت ، واعتصم الروم بالكنيسة العظمى منها وهي مموقيا^(٣) . ثم خرجت جماعة القسيسين والأساقفة والرهبان ، وفي أيديهم الإنجيل والصلبان فقتلوهم أجمعين ، ولم يراعوا لهم ذمة ولا عهداً ، ثم خلعوا الصبي واقترعوا ثلاثتهم على الملك فخرجت القرعة على كيدفليد كبيرهم فملكوه على القسطنطينية وما يجاورها ، وجعلوا لدُوقُس البنادقة الجزائر البحرية مثل أقريطش ورودس وغيرهما ، وللمركيس مقدم

(١) أي مستغيثاً .

(٢) الدوقس وهو الدوق والمركس هو المركيز .

(٣) هي كنيسة آيا صوفيا اهـ .

الفرنسييس البلاد التي في شرقي الخليج . ثم تغلب عليها بطريق من بطارقة الروم اسمه لشكري ودفع عنها الإفرنج وبقيت بيده واستولى بعدها على القسطنطينية ، وكان اسمه ميخائيل ، وفي كتاب المؤيد صاحب حجة أنه أقام ببعض الحصون . ثم بنيت القسطنطينية وملكها وفر الإفرنج في مراكبهم وملك الروم وقتل الذي كان ملكاً قبله ، وتوفي سنة إحدى وثمانين وستمائة وعقد معه الصلح المنصور قلاوون صاحب مصر والشام لذلك العهد .

قال : وملك بعده ابنه مائند ويلقب الدوقس وشهرتهم جميعاً للشكري^(١) ثم انقضت دولة بني قليج أرسلان ، وملك أعمالهم التتر كما نذكر في أخبارهم ، وبني للشكري ملوكاً على القسطنطينية إلى هذا العهد ، وملك شرقي الخليج بعد انقضاء دولة التتر من بلاد الروم ابن عثمان جوق أمير التركمان ، وهو الآن متحكّم على صاحب القسطنطينية ومتغلب على نواحيه من سائر جهاته . هذا ما بلغنا من أخبار الروم من أول دولتهم منذ يونان والقياصرة لهذا العهد . والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

الخبر عن القوط وما كان لهم من الملك بالأندلس الى حين الفتح الإسلامي وأولية ذلك ومصايره

هذه الأمة من أمم أهل الدولة العظيمة المعاصرة لدول الطبقة الثانية من العرب وقد ذكرناهم عقب اللطينيين لأن الملك صار إليهم من بينهم كما ذكرناه ، وسياقة الخبر عنهم أنهم كانوا يعرفون في الزمن القديم بالسييسيين^(٢) نسبة إلى الأرض التي كانوا يعمّرونها بالمشرق فيما بين الفرس واليونان ، وهم في نسبهم إخوة الصين من ولد ماغوغ بن يافث ، وكانت لهم مع الملوك السريانيين حروب موصوفة زحف إليهم فيها مؤمن مالي ملك سريان فدافعوه لعهد إبراهيم الخليل عليه السلام ، ثم كانت لهم حروب مع الفرس عند تخريب بيت المقدس وبناء رومة ، ثم غلبهم الاسكندر وصاروا في ملكته واندرجوا في قبائل الروم ويونان . ثم لما ضعف أمر الروم بعد الاسكندر وتغلبوا على بلاد الغريقين ومقدونية ونبطة أيام غلبنوش بن بارايان من ملوك القياصرة وكانت

(١) وفي نسخة ثانية : السلكري .

(٢) وهم السكيثيون .

بينه^(١) وبينه حروب سجال ، ثم غلبهم القياصرة من بعده وظفروا بهم ، حتى اذا انتقل القياصرة إلى القسطنطينية وفشل أمرهم برومة زحف إليها هؤلاء القوط واقتحموها عنوة فاستباحوها . ثم خرجوا عنها أيام طودوشيش بن أركادش^(٢) بعد حروب كثيرة ، وكان أميرهم لذلك العهد أنطرك كما ذكرناه ، ومات لعهد طودوشيش وأراد أن يجعل اسمه سمة الملوك برومة منهم مكان سمة قيصر ، فاختلف عليه أصحابه في ذلك فرجع عنه ، ثم صالح الرومانيين على أن يكون له ما يفتح من بلاد الأندلس لما كان أمر الرومانيين قد ضعف عن الأندلس ولحق بها ثلاث طوائف من الغريقين فاقسموا ملكها وهم الأييون والشوانيون والقندلش وباسم قندلس سميت الأندلس .

وكان بالأندلس من قبلهم الأرباريون من ولد طوال بن يافث وهم إخوة الأنطاليس ، سكنوها من بعد الطوفان وصاروا إلى طاعة أهل رومة ، حتى دخل إليهم هؤلاء الطوالع من الغريقين عندما اقتحم القوط مدينة رومة وغلبوا الأمم الذين كانوا بها من ولد طوال . وقد يقال : إن هؤلاء الطوالع كلهم من ولد طوال بن يافث وليسوا من الغريقين ، واقتسم هؤلاء الطوالع ملكها وكانت جليقية لقندلش ولشبونة وماردة وطليطلة ومرسية لشوانش وكانوا أشرافهم . وكانت أشيلية وقرطبة وجيان وطالعة للأيتق وأميرهم عند ريقش أخو لشيقش أربعين سنة حين زحف إليهم القوط من رومة ، وكان قد ولي عليهم بعد أطفانش ملك آخر منهم اسمه طشريك وقتله الرومانيون ، وولي مكانه منهم ماسية ثلاث سنين وزوج أخته من طودوشيش ملك الرومانيين وصالحه على أن يكون له ما يفتحه من الأندلس . ثم مات وولي مكانه لزريق ثلاث عشرة سنة وهو الذي زحف إلى الأندلس وقتل ملوكها وطرده الطوائف الذين كانوا بها فأجازوا إلى طنجة وتغلبوا على بلاد البربر وصرفوا البربر الذين كانوا بالعدوة عن طاعة القسطنطين إلى طاعتهم ، فلم يزالوا على ذلك إلى دولة يشتيانش^(٣) نحواً من ثمانين سنة ، ثم هلك طورديق^(٤) ملك القوط بالأندلس وولي مكانه^(٥)

(١) مقتضى السياق : كانت بينهم وبينه .

(٢) وفي نسخة أخرى : طودوسيوس بن أركاديوس .

(٣) وهو يوستينانوس .

(٤) وفي نسخة أخرى : طوريق .

(٥) بياض بالأصل وهو أدولف .

سبع عشرة سنة ، وانتقض عليه البسكتيس^١ إحدى طوائف القوط فرحف إليهم وردّهم إلى طاعته ثم هلك .

وولي بعده الديك ثلاثاً وعشرين سنة ، وكانت الافرنج لعهدده قد طمعوا في ملك الأندلس وأن يغلبوا عليها القوط ، فجمعوا لهم وملكوا على أنفسهم منهم ، فرحف إليهم الديك في أمم القوط إلى أن توغل في بلاد الافرنج فغلبوه وقتلوه وعامة أصحابه . وكانت القوط قبل دخولهم إلى الأندلس فرقتين كما ذكرنا في دولة بَلَنْسِيَّان بن قسطنطين من القياصرة المنتصرة ، وكانت إحدى الفرقتين قد أقامت بمكانها من نواحي رومة فلما بلغهم خبر الديك صاحب الأندلس منهم امتعضوا لذلك ، وكان أميرهم طورديك منهم ، فرحف إلى الافرنج وغلبهم على ما كانوا يملكونه من الأندلس ، ودخل القوط الذين كانوا بالأندلس في طاعته فولّى عليهم ابنه أشتريك ورجع إلى مكانه من نواحي رومة ، فرحف الافرنج إلى محاربة أشتريك حتى غلبوه على طُلُوسَة من ناحيتهم .

وهلك أشتريك بعد خمس سنين من ملكه وولي عليهم بعده بَشْلِيْقَش أربع سنين ، ثم بعده طودريق إحدى وستين سنة وقتله بعض أصحابه بأشيلية ، وولي بعده أبرليق خمس سنين ، وبعده طُودِس ثلاث عشرة سنة ، وبعده طُودُشْكُلُ ستين ، وبعده أَيْلَة خمس سنين وانتقض عليه أهل قُرْطُبَة فحاربهم وتغلب عليهم . وبعده طَنْجَاد خمس عشرة سنة ، وبعده لَيْوَلَة سنة واحدة ، وبعده كَوْبَلِيدَة ثماني عشرة سنة وانتقضت عليه الأطراف فحاربهم وسكنهم ونكر عليه النصارى تثليث أريش وراودوه على الأخذ بتوحيدهم الذين^(١) يزعمونه فأبى وحاربهم فقتل . وولي ابنه زَدْرِيق ست عشرة سنة ورجع إلى توحيد النصارى بزعمهم وهو الذي بنى البلاد المنسوبة إليه بِقُرْطُبَة . ولما هلك ولي بعده على القوط لِيُوبَة ستين ، وبعده تَبْدِيْقَا عُنْدَمَار ستين ، وبعده شيشوط ثماني سنين وعلى عهدده كان هِرْقُل ملك قسطنطينية والشام ، ولعهدده كانت الهجرة .

وهلك شيشوط ملك القوط وولي بعده زَدْرِيق آخر منهم ثلاثة أشهر ، وبعده شَتْلَة ثلاث سنين ، وبعده سنشادش خمس سنين ، وبعده خنشوند سبع سنين ، وبعده وجنشوند ثلاثاً وعشرين سنة ، ولهذا العصور ابتداء ضعف الاحكام للقوط . وبعده

(١) مقتضى السياق : الذي .

مانيه ثمان سنين ، وبعده لوري ثمان سنين ، وبعده ايقه ست عشرة سنة ، وبعده غطسة أربع عشرة سنة وهو الذي وقع من قصته مع ابنه يليان عامل طنجة ما وقع . ثم بعده زذريق سنتين وهو الذي دخل عليه المسلمون وغلبوه على ملك القوط وملكوا الأندلس ، ولذلك العهد كان الوليد بن عبد الملك حسباً نذكره عند فتح الأندلس إن شاء الله تعالى .

هذه سياقة الخبر عن هؤلاء القوط نقلته من كلام هروشيوش وهو أصح ما رأيناه في ذلك والله سبحانه وتعالى الموفق المعين بفضلته وكرمه لا رب غيره ولا مأمول إلا خيره .

الطبقة الثالثة من العرب وهم العرب التابعة للعرب وذكر افاريقهم وأنسابهم وممالكهم وما كان لهم من الدول على اختلافها والبادية والرحالة منهم وملكها

هذه الأمة من العرب البادية أهل الخيام الذين لا اغلاق لهم لم يزلوا من أعظم أمم العالم وأكثر أجيال الخليقة ، يكثرون الأمم تارة وينتهي إليهم الغز والغلبة بالكثرة فيظفرون بالملك ويغلبون على الأقاليم والمدن والأمصار ، ثم يهلكهم الترفه والتنعم ويغلبون عليهم ويقتلون ويرجعون إلى باديتهم ، وقد هلك المتصدرون منهم للرياسة بما باشروه من الترف ونضارة العيش وتصيير الأمر لغيرهم من أولئك المبعدين عنهم بعد عصور أخرى . هكذا سَنَّ الله في خلقه وللبادية منهم مع من يجاورهم من الأمم حروب ووقائع في كل عصر وجيل بما تركوا من طلب المعاش ، وجعلوا طلب المعاش رزقهم في معاشهم بترصد السبيل وانتهاج متاع الناس .

ولما استفحل الملك للعرب في الطبقة الأولى للعالمية ، وفي الثانية للتبابعة ، وكان ذلك عن كثرتهم فكانوا منتشرين لذلك العهد باليمن والحجاز ثم بالعراق والشام ، فلما تقلص ملكهم وكانوا^(١) بالعراق منهم بقية أقاموا ضاحين^(٢) من ظل الملك . يقال في مبدأ كونهم هنالك أن بختنصر لما سلطه الله على العرب وعلى بني اسرائيل بما كانوا من بغيتهم وقتلهم الأنبياء ، قتل أهل الوبر بناحية عدن اليمن نبيهم شعيب بن ذي

(١) الأصح ان يقول : وكان بالعراق منهم بقية .

(٢) بمعنى بعيدين .

مَهْدَمَ عَلَى مَا وَقَعَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : « فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ » .
فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى إِرْمِيَاءَ بْنِ حَزَقِيَّا وَبَرْخِيَّا أَنْ يُسَيِّرَا بِخَتْنَصْرٍ إِلَى الْعَرَبِ الَّذِينَ لَا أَغْلَاقَ
لَبُيُوتِهِمْ أَنْ يَقْتُلَ وَلَا يَسْتَحْيِيَ وَيَسْتَلْحِمَهُمْ أَجْمَعِينَ وَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَثَرًا ، وَقَالَ
بِخَتْنَصْرٍ : وَأَنَا رَأَيْتُ مِثْلَ ذَلِكَ . وَسَارَ إِلَى الْعَرَبِ ، وَقَدْ نَظَّمَ مَا بَيْنَ أَيْلَةٍ وَالْأَيْلَةِ خِيَلًا
وَرِجَالًا ، وَتَسَامَعَ الْعَرَبُ بِأَقْطَارِ جَزِيرَتِهِمْ وَاجْتَمَعُوا لِلْقَائِهِ ، فَهَزَمَ عَدْنَانُ أَوَّلًا ثُمَّ
اسْتَلْحَمَ الْبَاقِينَ وَرَجَعَ إِلَى بَابِلَ ، وَجَمَعَ السَّبَايَا فَأَنْزَلَهُمْ بِالْأَنْبَارِ ثُمَّ خَالَطَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
النَّبْطَةُ .

وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : إِنَّ بِخَتْنَصْرٍ لَمَّا نَادَى بِغَزْوِ الْعَرَبِ افْتَتَحَ أَمْرَهُ بِالْقَبْضِ عَلَى مَنْ كَانَ
فِي بِلَادِهِ مِنْ تِجَّارِهِمْ لِلْمِيرَةِ وَأَنْزَلَهُمُ الْحِيرَةَ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي الْعَسَاكِرِ فَرَجَعَتْ
قَبَائِلُ مِنْهُمْ إِلَيْهِ آثَرُوا الْأَذْعَانَ وَالْمَسَالِمَةَ ، وَأَنْزَلَهُمُ بِالْسَّوَادِ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ ، وَابْتَنَوْا
مَوْضِعَ عَسْكَرِهِمْ وَسَمَوْهُ الْأَنْبَارَ ، ثُمَّ أَنْزَلَهُمُ الْحِيرَةَ فَسَكَنُوهَا سَائِرَ أَيَّامِهِ وَرَجَعُوا إِلَى
الْأَنْبَارِ بَعْدَ مَهْلِكِهِ .

قَالَ الطَّبْرِيُّ : إِنَّ تَبْعًا أَبَا كَرِبَ لَمَّا غَزَا الْعِرَاقَ أَيَّامَ أَرْدَشِيرَ بِهِمْ كَانَتْ طَرِيقُهُ عَلَى
جَبَلِ طِيٍّ وَمِنْهُ إِلَى الْأَنْبَارِ ، وَانْتَهَى إِلَى مَوْضِعِ الْحِيرَةِ لَيْلًا ، فَتَحِيرَ وَأَقَامَ فَسَمِيَ
الْمَكَانَ الْحِيرَةَ . ثُمَّ سَارَ لَوَجْهِهِ وَخَلَّفَ هُنَاكَ قَوْمًا مِنَ الْأَزْدِ وَلُحْمَ وَجُدَامَ وَعَامِلَةَ
وَقَضَاعَةَ ، وَطَنُوا وَبَنُوا وَلَحِقَ بِهِمْ نَاسٌ مِنْ طِيٍّ وَكَلْبٍ وَالسَّكُونِ وَإِيَادَ وَالْحَرِثِ بْنِ
كَعْبٍ فَكَانُوا مَعَهُمْ .

وَقِيلَ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْأَوَّلِ : خَرَجَ تَبْعٌ فِي الْعَرَبِ حَتَّى تَحِيرُوا بِظَاهِرِ الْكُوفَةِ فَتَزَلَّ بِهَا
ضَعْفَاءُ النَّاسِ فَسَمِيَتْ الْحِيرَةُ ، وَلَمَّا رَجَعَ وَوَجَدَهُمْ قَدْ اسْتَوْطَنُوا ، تَرَكَهُمْ هُنَاكَ
وَفِيهِمْ مِنْ كُلِّ قَبَائِلِ الْعَرَبِ مِنْ هُذَيْلٍ وَلُحْمٍ وَجُعْفَى وَطِيٍّ وَكَلْبٍ وَبَنِي لَحْيَانَ مِنْ
جُرْهُمَ .

قَالَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ : لَمَّا مَاتَ بِخَتْنَصْرٍ انْتَقَلَ الَّذِينَ أَسْكَنَهُمْ بِالْحِيرَةِ إِلَى الْأَنْبَارِ وَمَعَهُمْ
مِنْ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي مَعَدٍّ وَانْقَطَعَتْ طَوَالِ الْعَرَبِ مِنَ الْيَمَنِ عَنْهُمْ ، ثُمَّ
كَثُرَ أَوْلَادُ مَعَدٍّ وَفَرَّقَتْهُمْ الْعَرَبُ ، وَخَرَجُوا يَطْلُبُونَ الْمَنْسَعَ وَالرِّيفَ فِيمَا يَلِيهِمْ مِنْ بِلَادِ
الْيَمَنِ وَمِشَارِفِ الشَّامِ ، وَنَزَلَتْ قَبَائِلُ مِنْهُمْ الْبَحْرَيْنِ وَبِهَا يَوْمُئِذٍ قَوْمٌ مِنَ الْأَزْدِ نَزَلُوهَا
أَيَّامَ خُرُوجِ مَزْيَقِيَاءَ مِنَ الْيَمَنِ ، وَكَانَ الَّذِينَ أَقْبَلُوا مِنْ تَهَامَةٍ مِنَ الْعَرَبِ مَالِكٌ وَعَمْرُو
إِبْنَا فَهْمٍ بَنِي تَيْمٍ بَنِي أَسَدٍ بَنِي وَبَرَةَ بَنِي قُضَاعَةَ وَابْنُ أَخِيهِمَا مَالِكُ بْنُ زَهِيرٍ وَابْنُ عَمْرُو

بن فهم في جماعة من قومهم والخنفار بن الحيق بن عمرو بن معد بن عدنان في قفص كلها ولحق بهم غطفان بن عمرو بن لطان بن عبد مناف بن بعدم بن دعي بن أياد بن أرقص بن صبيح بن الحارث بن أفصى بن دعي وزهير بن الحرث بن أليل بن زهير بن أياد ، واجتمعوا بالبحرين وتحالفوا على المقام والتناصر وأنهم يد واحدة ، وكان هذا الاجتماع والحلف أزمان الطوائف ، وكان ملكهم قليلا ومفترقا وكان كل واحد منهم يغير على صاحبه ويرجع على أكثر من ذلك . فتطلعت نفوس العرب بالبحرين إلى ريف العراق ، وطمعوا في غلب الأعاجم عليه أو مشاركتهم فيه ، واهتبلوا الخلاف الذي كان بين الطوائف وأجمع رؤسائهم المسير إلى العراق . فسار منهم الأول الخنفار بن الحيق في أشلاء قفص بن معد ومن معهم من أخلاط الناس ، فوجدوا بأرض بابل إلى الموصل بني إرم بن سام الذين كانوا ملوكاً بدمشق ، وقيل لها من أجلهم دِمَشْقُ إرم وهم من بقايا العرب الأولى ، فوجدوهم يقاتلون ملوك الطوائف ، فدفعوهم عن سواد العراق ، فارتفعوا عنه إلى أشلاء قفص ، هؤلاء ينسبون إلى عمرو بن عدي بن ربيعة جد بني المنذر عند نسبة مضر ، وفي قول حماد الراوية كما يأتي ذكره . ثم طلع مالك وعمرو ابنا فهم وابن مالك بن زهير من قضاة وغطفان بن عمرو وصبح بن صبيح وزهير بن الحرث من أياد فيمن معهم من غسان وحلفائهم بالأنبار ، وكلهم تنوخ كما قدمنا ، فغلبوا بني إرم ودفعوهم عن جهات السواد . وجاء على أثرهم نَمَارَة بن قيس ونَمَارَة بن لخم نجدة من قبائل كِنْدَة ، فنزلوا الحيرة وأوطنوها ، وأقامت طالعة الأنبار وطالعة الحيرة لا يدينون للأعاجم ولا تدين لهم حتى مرّ بهم تبع وترك فيهم ضَعْفَة عساكره كما تقدّم ، وأوطنوا فيهم من كل القبائل كما ذكرنا جَعْفٌ وطِيٌّ وتميمٌ وبني لحيان من جرهم . ونزل كثير من تنوخ ما بين الحيرة والأنبار بادين في الخيام لا يأوون إلى المدن ولا يخالطون أهلها ، وكانوا يُسمّون عرب الضاحية ، وأول من ملك منهم أزمان الطوائف مالك بن فهم ، وبعده أخوه عمرو ، وبعده ابن أخيه جُذَيْمَة الأبرش كما يأتي ذكر ذلك كله .

وكان أيضا ولد عمرو مزقياء بعد خروجه من اليمن بالأزد قومه عند خروجه أنذرهم بسيل العرم في القصة المشهورة ، وقد انتشروا بالشام والعراق وتحلف من تحلف منهم بالحجاز وهم خزاعة ، فنزلوا مرّ الظهران وقاتلوا جرهما بمكة فغلبوهم عليها ، ونزل نصر بن الأزد عُمان ، ونزلت غسان جبال الشراة ، وكانت لهم حروب مع بني معد

إلى أن استقروا هنالك في التخوم بين الحجاز والشام ، هذا شأن من أوطن العراق والشام من قبائل سبا ، تشاءم منهم أربعة وبقي باليمن ستة وهم مذجح وكندة والأشعريون وحمير وأنمار وهو أبو خثعم وبجيلة ، فكان الملك لهؤلاء باليمن في حمير ثم التبابعة منهم ، ويظهر من هذا أن خروج مزريقاء والأزد كان لأول ملك التبابعة أو قبله بيسير .

وأما بنو معد بن عدنان فكان إرميا وبرخيا لما أوحى إليهما بغزو بختنصر العرب ، وأمرهما الله أن يستخرجا معد بن عدنان لأن من ولده محمداً صلى الله عليه وسلم ، أخرجه آخر الزمان أختم به النبيين وأرفع به من الضعة ، فأخرجاه على البراق وهو ابن إثني عشرة سنة ، وذهبا به إلى حران فربي عندهما . وغزا بختنصر العرب واستلحمهم وهلك عدنان وبقيت بلاد العرب خراباً ، ثم هلك بختنصر فخرج معد بن عدنان مع أنبياء بني اسرائيل ، فحجّوا جميعاً وطفق يسأل عمن بقي من ولد الحرث بن مضاض الجرهمي . وكانت قبائل دوس^(١) أكثر جرهم على يده فقيل له بقي جرهم بن جلهم^(٢) ، فتزوج ابنته معانة وولدت له نزار بن معد .

قال السهيلي : وكان رجوع معد إلى الحجاز بعدما رفع الله بأسه عن العرب ، ورجعت بقاياهم التي كانت بالشواحق إلى مجالاتهم بعد أن دوخ بختنصر بلادهم وخرّب معمرهم واستأصل خضورا وأهل الرس التي كانت سطوة الله بالعرب من أجلهم . اهـ . كلام السهيلي .

ثم كثر نسل معد في ربيعة ومضر وأياد ، وتدافعوا إلى العراق والشام ، وتقدّم منهم أشلاء قفص — كما ذكرنا — وجاؤا على أثرهم ، فترلوا مع أحياء اليمانية الذين ذكرناهم قبل ، وكانت لهم مع تّبّع حروب وهو الذي يقول :

لست بالتّبّع اليماني إن لم تركض الخيل في سواد العراق
أو تؤدّي ربيعة الخرج قسراً لم تعقها موانع العواق
ثم كان بالعراق والشام والحجاز أيام الطوائف ومن بعدهم في أعقاب ملك التبابعة اليمانية والعدنانية ملك ودول بعد أن درست الأجيال قبلهم وتبدلت الأحوال السابقة

(١) كذا بياض بالأصل : وفي تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٩١ : وسأل عمن بقي من ولد الحرث بن مضاض الجرهمي وهو الذي قاتل دوس العتق فافنى أكثر جرهم على يديه فقيل له : بقي جرهم بن جلهم .
(٢) وفي الكامل اسمه : جوشم بن جلهم .

لعصرهم ، فاستحق بذلك أن يكون جيلاً منفرداً عن الأوّل ، وطبقة مباينة للطبقات السالفة . ولما لم يكن لهم أثر في إنشاء العروبيّة كما للعرب العاربة ، ولا في لغتها عنهم كما في المستعربة ، وكانوا تبعاً لمن تبعهم في سائر أحوالهم استحقوا التسمية بالعرب التابعة للعرب . واستمرت الرياسة والملك في هذه الطبقة اليمنية أزمنة وآماداً بما كانت صبغتها لهم من قبل وأحياء مضر وربيعة تبعاً لهم ، فكان الملك بالحيرة للخم في بني المنذر ، وبالشام لغسان في بني جفنة ، ويثرب كذلك في الأوس والخزرج ابني قبيلة . وما سوى هؤلاء من العرب فكانوا ظواغن بادية وأحياء ناجعة ، وكانت في بعضهم رياسة بدوية وراجعة في الغالب إلى أحد هؤلاء ، ثم نبضت عروق الملك في مضر وظهرت قريش على مكة ونواحي الحجاز أزمنة عرف فيها منهم ودانت الدول بتعظيمهم . ثم صبح الإسلام أهل هذا الجيل وأمرهم على ما ذكرناه فاستحالت صبغة الملك إليهم ، وعادت الدول لمضر من بينهم ، واختصت كرامة الله بالنبوة بهم ، فكانت فيهم الدول الإسلامية كلّها ، إلّا بعضاً من دولها قام بها العجم اقتداء بالملّة وتمهيداً للدعوة حسبما نذكر ذلك كله .

فلنأت الآن بذكر قبائل هذه الطبقة من قحطان وعدنان وقضاعة ، وما كان لكل واحدة منها من الملك قبل الإسلام وبعده : ومن كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني في أخبار خزيمة بن نهد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة قال : كان بدء تفرّق بني إسماعيل من تهامة ونزوعهم عنها إلى الآفاق وخروج من خرج منهم عن نسبه ، أنّ قضاعة كانوا مجاورين لتزار وكان خزيمة بن نهد فاسقاً متعرّضاً للنساء ، فشيب بفاطمة بنت يذكر وهو عامر بن عترة ، وذكرها في شعره حيث يقول :

إذا الجوزاء أردفت الثريــــــــــــــــا	ظننت بآل فاطمة الظنونا
وحالت دون ذلك من هموم	هموم تخرج الشجر الرينــــــــــــــــا
أرى إبنه يذكر ظعنت فحلّت	جنوب الحزن يا شحطاً مبينا
وسخط ذلك يذكر خشية خزيمة على نفسه فاغتاله وقتله ، وانطفت نار يذكر ولم يصح على خزيمة شيء تتوجه به المطالبة على قضاعة حتى قال في شعره :	
فاه كان عند رضاب العصير	ففيها يُعلّ به الزنجيل
قتلت أباهما على حبّهما	فتبخل إن بخلت أو تقيـل

فلما سمعت نزار شعر خزيمه بن نهـد وقتله يد كـر بن عـترة ، ثاروا مع قضاة وتساندوا مع
أحياء العرب الذين كانوا معهم ، وكانت هذه مع نزار ونسبها يومئذ كندة بن جنادة
بن معدّ ، وجيرانهم يومئذ أجأ بن عمرو بن أدّ بن أدد ابن أخي عدنان بن أدد .
وكانت قضاة تتسب إلى معدّ ومعدّ إلى عدنان ، والأشعريون إلى الأشعر بن أدد
أخي عدنان ، وكانوا يظعنون من تهامة إلى الشام ومنازلهم بالصفاء . وكانت عسقلان
من ولد ربيعة ، وكانت قضاة ما بين مكة والطائف ، وكندة من العمد إلى ذات
عرق ، ومنازل أجأ والأشعر ومعدّ ما بين جدّة والبحر . فلما اقتتلوا هزمت نزار قضاة
وقتل خزيمه وخرجوا مفترقين ، فسارت تيم اللات من قضاة وبعض بني ربيعة منهم
وفرقة من الأشعريين نحو البحرين ، ونزلوا هجر وأجلوا من كان بها من النبط
وملكوها . وكانت الزرقاء بنت زهير كاهنة منهم فتكهنـت لهم بتزول ذلك المكان
والخروج عن تهامة وقالت في شعرها :

ودّع تهامة لا وداع مخالف بـذمـامه لكن قلبي وملام
لا تنكري هجراً مقام غريبة لن تعدمي من ظاعنين تهام
ثم تكهنـت لهم في سجع بأنهم يقيمون بهجر حتى ينق غراب أبقع عليه خلخال ذهباً
ويقع على نخلة وصفتها فيسيرون إلى الحيرة ، وكان في سجعها مقام وتنوخ فسُميت
تلك القبائل تنوخ من أجل هذه اللفظة . ولحق بهم قوم من الأزد فدخلوا في تنوخ
وأصاب بقية قضاة الموتان ، وسارت فرقة من بني حلوان فتزلوا عبقرة من أرض
الجزيرة ونسج نساؤهم البرود العبقرية من الصوف والبرود التريدية إليهم لأنهم بنو
تريد ، وأغارـت عليهم الترك فأصابوا منهم ، وأقبل الحرث بن قراد البهراني ليستجيش
بني حلوان فعرض له أبان بن سليح صاحب العين فقتله الحرث ولحقت بهرا بالترك ،
فاستنقذوا ما أخذوه من بني تريد وهزموهم وقال الحرث :

كأن الدهر جمّع في ليالٍ ثلاث بينهم بشهر زور
صففنا للأعاجم من معدّ صُفوفاً بالجزيرة كالسعير
وسارت سليح بن عمرو^(١) بن الحاف وعليهم الهدرجان بن مسلمة ، حتى نزلوا
فلسطين على بني أدينة بن السميدع بن عاملة ، وسارت أسلم بن الحاف وهي عُدرة
ونهدّ وحويكة وجهينة حتى نزلوا بين الحجر ووادي القرى ، وأقامت تنوخ بالبحرين

^(١) قوله سليح بن عمرو يأتي في مكان آخر سليح بن عمران قاله نصر .

سنين . ثم أقبل الغراب بحلقتي الذهب ووقع على النخلة ونعق كما قالت الزرقاء فذكروا قولها وارتحلوا إلى الحيرة فقتلوها وهم أول من اختطها ، وكان رئيسهم مالك بن زهير واجتمع إليه ناس كثيرة من بسائط القرى ، وبنوا بها المنازل وأقاموا زماناً ثم أغار عليهم سابور الأكبر وقتلوه ، وكان شعارهم يا لبلاد الله فسموا العباد . وهزمهم سابور فافترقوا ، وسار أهل المهبط منهم مع الضيزن بن معاوية التنوخي فقتل بالحضر الذي بناه الساطرون الجرمقاني ، فأقاموا عليه . وأغار حنير على قضاة فأجلوهم وهم كلب . وخرج بنو زيان بن تغلب بن حلوان فلاحقوا بالشام ، ثم أغارت عليهم كنانة بعد ذلك بحين واستباحوهم فلاحقوا بالساوة وهي إلى اليوم منازلهم . اهـ كلام صاحب الأغاني (قلت) : وأحياء جدّهم لهذا العهد ما بين عترة وقلته وفلسطين إلى معان من أرض الحجاز .

الخبر عن أنساب العرب من هذه الطبقة الثالثة واحدة واحدة وذكر مواطنهم ومن كان له الملك منهم

إعلم أنّ جميع العرب يرجعون إلى ثلاثة أنساب وهي عدنان وقحطان وقضاة : فأما عدنان : فهو من وُلد إسماعيل بالاتفاق ، إلّا ذكر الآباء الذين بينه وبين إسماعيل فليس فيه شيء يرجع إلى يقينه ، وغير عدنان من وُلد إسماعيل قد انقرضوا فليس على وجه الأرض منهم أحد .

وأما قحطان : فقليل من وُلد إسماعيل وهو ظاهر كلام البخاري في قوله ، باب نسبة اليمن إلى إسماعيل ، وساق في الباب قوله صلى الله عليه وسلم لقوم من أسلم يناضلون : «ارموا يا بني إسماعيل فإنّ أباكم كان رامياً» . ثم قال : وأسلم بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة يعني وخزاعة من سبأ والأوس والخزرج منهم ، وأصحاب هذا المذهب على أنّ قحطان ابن الهُميسع بن أبين بن قيذار بن نبت بن إسماعيل . والجمهور على أنّ قحطان هو يقطن^(١) المذكور في التوراة في ولد عابر وأن حضرموت من شعوب قحطان .

(١) ورد في التوراة : «وولد لعابر ابنان اسم أحدهما فالج لانه في ايامه انقسمت الارض واسم اخيه يقطان» الفصل العاشر من سفر التكوين .

وأما قُضاعة : فقليل إنها حمير قاله ابن اسحق والكلبي وطائفة . وقد يحتاج لذلك بما رواه ابن لُهيعة عن عُقبة بن عامر الجهني قال : يا رسول الله ممن نحن ؟ قال : أنتم من قُضاعة بن مالك . وقال عمرو بن مرة وهو من الصحابة :

نحن بنو الشيخ العجّاز الأزهري * قُضاعة بن مالك بن حمير النسب المعروف غير المنكر * وقال زهير : قُضاعية وأختها مُضريّة ، فجعلها أخوين . وقال : إنهما من حمير بن معدّ بن عدنان . وقال ابن عبد البر : وعليه الأكثر ، ويروي عن ابن عباس وابن عمرو وجبير بن مطعم وهو اختيار الزبير بن بكار وابن مُصعب الزُبيري وابن هشام . قال السهيلي : والصحيح أن أم قُضاعة وهي عبكرة مات عنها مالك بن حمير وهي حامل بقُضاعة فتزوجها معدّ وولدت قُضاعة فتكنى به ونسب إليه وهو قول الزبير . اهـ كلام السهيلي . وفي كتب الحكماء الأقدمين من يونان مثل بطليموس وهروشيوش ذكر القُضاعيتين والخبر عن حروبهم ، فلا يعلم أهم أوائل قُضاعة هؤلاء وأسلافهم أو غيرهم ، وربما يشهد للقول بأنهم من عدنان وأن بلادهم لا تتصل ببلاد اليمن وإنما هي ببلاد الشام وبلاد بني عدنان . والنسب البعيد يحيل الظنون ولا يرجع فيه إلى يقين .

ولنبداً بقحطان وبطونها : لما أن الملك الأقدم للعرب كان في نسب سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان ومنه تشعب بطون حمير بن سبأ وكهلان بن سبأ وينفرد بنو حمير بالملك وكان منهم التابعة أهل الدولة المشهورة وغيرهم كما نذكر . فلنبداً بذكر حمير أولاً من القحطانية ، ونذكر بعدهم قُضاعة لانتسابهم في المشهور إلى حمير ، ثم نتبعهم بذكر كهلان إخوان حمير من القُضاعية ، ثم نرجع إلى ذكر عدنان .

الخبر عن حمير من القحطانية وبطونها وتفرع شعوبها

قد تقدّم لنا ذكر الشعوب من حمير الذين كان لهم الملك قبل التابعة فلا حاجة لنا إلى إعادة ذكرهم . وتقدّم لنا أن حمير بن سبأ كان له من الولد تسعة وهم : الهُميسع ومالك وزيد وعريب ووائل ومشروح ومعد يكرب وأوس ومرة ، فبنو مرة دخلوا إلى حضرموت ، وكان من حمير أبين بن زهير بن الغوث بن أبين بن الهُميسع ابن حمير وإليهم تنسب عدن أبين ، ومنهم بنو الأملاك وبنو عبد شمس وهما إبنائ وائل ابن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير ، وعريب وأبين إخوان . ومن بني عبد

شمس بنو شرعَب بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس ، وقد تقدّم قول من ذهب إلى أن جشم وعبد شمس أخوان وهما إبنائا وائل ، والصحيح ما ذكرناه هنا فلنرجع وبنو خيران وشعبان وهما إبنائا عمرو أخي شرعَب بن قيس وزيد الجمهور بن سهل أخي خيران وشعبان ، ورابعهم حسان القيل بن عمرو وقد مرّ ذكره ، ومن زيد الجمهور ذو رعين وإسمه يريم بن زيد بن سهل وإليه ينسب عبد كلال الذي تقدّم ذكره في ملوك التباة . والحارث وعريب إبنائا عبد كلال بن عريب بن يشرح بن مدان بن ذي رعين وهما اللذان كتب لهما النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهم كعب بن زيد الجمهور ويلقب كعب الظلم وأبناء سبأ الأصغر بن كعب وإليه ينتهي نسب ملوك التباة . ومن زيد الجمهور بنو حضور بن عدي بن مالك بن زيد وقد مرّ ذكرهم . وتقول اليمن إن منهم كان شعيب بن ذي مهدم النبي الذي قتله قومه ، فغزاهم بختنصر فقتلهم . وقيل بل هو من حضور بن قحطان الذي إسمه في التوراة يقطن . ومنهم أيضا بنو ميثم وبنو حالة إبن سعاد بن عوف بن عدي بن مالك أخي ذي رعين ، وعوف هذا أخو حضور وأخوه أحاطة وميثم بنو حراز بن سعاد ، فمن ميثم كعب الأحبار وقد مرّ ذكره ، وهو كعب بن ماته بن هلسوع بن ذي هجري بن ميثم . ومن أحاطة رهط ذي الكلاع وهو السميقة بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن يزيد وهو ذو الكلاع الأكبر بن النعمان بن أحاطة ، ومن عمرو بن سعد الخبائر والسحول بنو سودة بن عمرو بن الغوث بن سعد يحصب ، وذو أصبح أبرهة بن الصباح ، وكان من ملوك اليمن لعهد الإسلام وقد مرّ ذكره ونسبه ، ومنهم مالك بن أنس إمام دار الهجرة وكبير فقهاء السلف وهو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر وهو نافع بن عمرو بن الحرث بن عثمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث وهو ذو أصبح وإبنائه يحيى ومحمد وأعمامه أويس ، وأبو سهل والربيع ، وكانوا حلفاء لبني تيم من قريش . ومن زيد الجمهور مرثد بن علس بن ذي جدن بن الحرث ابن زيد وهو الذي استجاشه امرؤ القيس على بني أسد قاتلي أبيه .

ومن بني سبأ الأصغر الأوزاع وهم بنو مرثد بن زيد بن شدد بن زرعة بن سبأ الأصغر ، ومن إخوان هؤلاء الأوزاع بنو يعفر الذين استبدوا بملك اليمن كما يأتي عند ذكر ملوك اليمن في الدولة العباسية ، وهو يعفر بن عبد الرحمن بن كريب بن عثمان بن الوضاح بن إبراهيم بن مانع بن عون بن تدرص بن عامر بن ذي مغار البطين بن

ذي مرايش بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن شدد بن زرعة . وكان آخر ملوك بني يعفر هؤلاء باليمن أبو حسان أسعد بن أبي يعفر إبراهيم بن محمد بن يعفر ملك أبو ابراهيم صنعاء وبني قلعة كحلان باليمن ، وورث ملكه بنوه من بعده إلى أن غلب عليهم الصليحيون من همدان بعدوة العبيديين من الشيعة كما نذكر في أخبارهم . ومن زيد الجمهور ملوك التبابعة وملوك حمير من ولد صيفي بن سبأ الأصغر بن كعب بن زيد .

قال ابن حزم : فمن ولد صيفي هذا تبع وهو تبان وهو أيضا أسعد أبو كرب بن كليكرب وهو تبع بن زيد وهو تبع بن عمرو وهو تبع ذو الأذعار بن أبرهة وهو تبع ذو المنار بن الرايش بن قيس بن صيفي ، قال : فولد تبع أسعد أبو كرب حسان ذومعاهر وتبع زرعة وهو ذونواس الذي تهود وهود أهل اليمن ، ويسمى يوسف ، وقتل أهل نجران من النصاري . وعمرو بن سعد وهو موثبان ، قال : ومن هؤلاء التبابعة شمر يرعش بن ياسرينعم بن عمرو ذي الأذعار ، وأفريقش بن قيس بن صيفي ، وبلقيس بنت إيلي أشرح بن ذي جدن بن إيلي أشرح بن الحرث بن قيس بن صيفي . قال : وفي أنساب التبابعة تخليط واختلاف ولا يصح منها ومن أخبارهم إلا القليل . اهـ . ومن زيد الجمهور ذويزن بن عامر بن أسلم بن زيد . وقال ابن حزم : إن عامر هو ذويزن ، قال ومن ولده : سيف بن النعمان بن عفير بن زرعة بن عفير بن الحرث بن النعمان بن قيس بن عبيد بن سيف بن ذي يزن ، الذي استجاش كسرى على الحبشة وأدخل الفرس إلى اليمن . هذه بطون حمير وأنسابها وديارهم باليمن من صنعاء إلى ظفار إلى عدن ، وأخبار دولهم قد تقدمت والله وارث الأرض ومن عليها وهو غير الوارثين .

ونلحق بالكلام في أنساب حمير بن سبأ أنساب حضرموت وجرهم وما ذكره النسابون من شعوبها : فإنهم يذكرونهما مع حمير لأن حضرموت وجرهم إخوة سبأ كما وقع في التوراة وقد ذكرناه ولم يبق من ولد قحطان بعد سبأ معروف العقب غير هذين . فأما حضرموت فقد تقدم ذكرهم في العرب البائدة ومن كان منهم من الملوك يومئذ ، ونبئنا هنالك أن منهم بقية في الأجيال المتأخرة اندرجوا في غيرهم فلذلك ذكرناهم في هذه الطبقة الثالثة . قال ابن حزم : ويقال إن حضرموت هو ابن يقطن أخي قحطان والله أعلم . وكان فيهم رياسة إلى الإسلام ، منهم وائل بن حجر له

صُحْبَةُ وَهُوَ وَاثِلُ بْنُ حُجْرَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ مَسْرُوقِ بْنِ وَاثِلِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَوْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ شَرْحِبِيلِ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ مَالِكِ بْنِ مَرَّةَ بْنِ حَمِيرَ بْنِ زَيْدِ بْنِ لَابِي بْنِ مَالِكِ بْنِ قُدَامَةَ بْنِ أُعْجَبَ بْنِ مَالِكِ بْنِ لَابِي بْنِ قَحْطَانَ ، وَابْنَهُ عُلْقَمَةَ بْنِ وَاثِلِ . وَسَقَطَ عِنْدَهُ بَيْنَ حُجْرَ أَبِي وَاثِلِ وَسَعِيدِ ابْنِ مَسْرُوقِ أَبِ إِسْمِهِ سَعْدٌ وَهُوَ ابْنُ سَعِيدِ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ : وَيَذَكُرُ بَنُو خَلْدُونَ الْأَشْبِيلِيَّونَ فَيَقَالُ إِنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ الْجَبَّارِ بْنِ عُلْقَمَةَ بْنِ وَاثِلِ وَمِنْهُمْ عَلِيُّ الْمَنْدَرِ بْنِ مُحَمَّدِ وَابْنُهُ بَقْرَمُونَةُ وَأَشْبِيلِيَّةُ ، اللَّذَيْنِ قَتَلَهُمَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَجَّاجِ اللَّخْمِيِّ غِيلَةً ، وَهُمَا ابْنَا عَثْمَانَ أَبِي بَكْرٍ بْنِ خَالِدِ بْنِ عَثْمَانَ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مَخْلُوفِ الْمَعْرُوفِ بِخَلْدُونَ الدَّخْلِ الْمَشْرِقِ . وَقَالَ غَيْرُهُ فِي خَلْدُونَ الْأَوَّلِ : إِنَّهُ ابْنُ عَمْرٍو بْنِ خَلْدُونَ . وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي خَلْدُونَ : إِنَّهُ ابْنُ عَثْمَانَ بْنِ هَانِيءَ بْنِ الْخَطَّابِ بْنِ كَرِيبِ بْنِ مَعْدِيكَرْبِ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ وَاثِلِ بْنِ حُجْرَ . وَقَالَ غَيْرُهُ : خَلْدُونَ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بْنِ هَانِيءَ بْنِ كَرِيبِ بْنِ مَعْدِيكَرْبِ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ وَاثِلِ . قَالَ ابْنُ حَزْمٍ : وَالصَّدْفُ مِنْ بَنِي حَضْرَمُوتَ وَهُوَ الصَّدْفُ^(١) بْنُ أَسْلَمَ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَضْرَمُوتَ الْأَكْبَرِ ، قَالَ : وَمِنْ حَضْرَمُوتَ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ الَّذِي وَلَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَحْرَيْنِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى أَنْ تَوَفَّى سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ ، وَهُوَ الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِةَ بْنِ حَمَّادِ بْنِ مَالِكِ حَلِيفِ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ وَأَخُوهُ مَيْمُونُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ ابْنِ الصَّدْفِ . فَيَقَالُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمَّادِ بْنِ أَكْبَرَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَكْبَرَ بْنِ عَرِيبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ الصَّدْفِ ، قَالَ وَأَخْتُ الْعَلَاءِ الصَّعْبَةُ بِنْتُ الْحَضْرَمِيِّ أُمِّ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَهـ .

وَأَمَّا جُرَّهْمُ فَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : إِنَّهُمْ أُمَّتَانِ أُمَّةٌ عَلَى عَهْدِ عَادٍ وَأُمَّةٌ مِنْ وَلَدِ جُرَّهْمِ بْنِ قَحْطَانَ ، وَلَمَّا مَلَكَ يَعْزُبُ بْنُ قَحْطَانَ الْيَمَنَ مَلَكَ أَخُوهُ جُرَّهْمُ الْحِجَازَ ، ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ عَبْدُ يَالِيلِ بْنِ جَرَّهْمَ ، ثُمَّ ابْنُهُ جَرَّهْمُ بْنُ عَبْدِ يَالِيلِ ، ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَدَانِ بْنِ جَرَّهْمَ ، ثُمَّ ابْنُهُ نَفِيلَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانِ ، ثُمَّ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنُ نَفِيلَةَ ، ثُمَّ ابْنُهُ مِضَاضُ بْنُ عَبْدِ الْمَسِيحِ ، ثُمَّ ابْنُهُ عَمْرٍو بْنُ مِضَاضٍ ، ثُمَّ أَخُوهُ الْحَرِثُ بْنُ مِضَاضٍ ، ثُمَّ ابْنُهُ عَمْرٍو بْنُ الْحَرِثِ ، ثُمَّ أَخُوهُ بَشَرُ بْنُ الْحَرِثِ ، ثُمَّ مِضَاضُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ مِضَاضٍ . قَالَ وَهَذِهِ الْأُمَّةُ الثَّانِيَةُ هُمُ الَّذِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ إِسْمَاعِيلُ وَتَزَوَّجَ فِيهِمْ أَهـ .

(١) وولد الصدف حريماً بالضم ويدعى بالاحروم وجذاًما ويدعى بالاجزوم كما في القاموس (قاله نصر) .

الخبر عن قضاة وبطونها والامام ببعض الملك الذي كان فيها

قد تقدّم آنفاً ذكر الخلاف الذي في قضاة هل هم لحمير أو لعدنان ونقلنا الحجاج
لكلا المذهبين وأتينا بذكر أنسابهم تالية حمير ترجيحاً للقول بأنهم منهم ، وعلى هذا
فقليل هو قضاة بن مالك بن حمير . وقال ابن الكلبي : قضاة بن مالك بن عمرو
بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير . وكان قضاة فيما قال ابن سعيد ملكاً على بلاد
الشحر ، وصارت بعده لابنه الحاف ثم لابنه مالك . ولم يذكر ابن حزم في ولد
الحاف مالكا . قال ابن سعيد وكانت بين قضاة وبين وائل بن حمير حروب ، ثم
استقل ببلاد الشحر مهرة بن حيدان بن الحاف بن قضاة وعرفت به ، قال وملك
بنو قضاة أيضا نجران ثم غلبهم عليها بنو الحرث بن كعب بن الأزد وساروا إلى
الحجاز فدخلوا في قبائل معد ، ومن هنا غلط من نسبهم إلى معد اهـ .

ولندكر الآن تشعب البطون من قضاة : اتفق النسّابون على أن قضاة لم يكن له
من الولد إلا الحافي ومنه سائر بطونهم ، وللحافي ثلاثة من الولد : عمرو وعمران
وأسلم بضم اللام قاله ابن حزم .

فمن عمرو بن الحافي حيدان وبلي وبهرا ، فمن حيدان مهرة ، ومن بلي جماعة من
مشاهير الصحابة : منهم كعب بن عجرة وخديج بن سلامة وسهل بن رافع وأبو بردة
ابن نيار ، ومن بهرا جماعة من الصحابة أيضا منهم : المقداد بن عمرو وينسب إلى
الأسود بن عبد يغوث بن وهب خال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخي أمه وتبناه
فنسب إليه . ويقال إن خالد بن برمك مولى بني بهرا .

ومن أسلم سعد هذيم وجهينة ونهد بنو زيد بن ليث بن سود بن أسلم ، فجهينة ما
بين ينبع ويثرب إلى الآن في متسع من برية الحجاز وفي شمالهم إلى عقبة ايلة مواطن
بلى وكلاهما على العدو الشرقية من بحر القلزم وأجاز منهم أمم إلى العدو الغربية
وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكثروا هنالك سائر الأمم وغلبوا على بلاد
النوبة وفرّقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم وحاربوا الحبشة فأرهبوهم إلى هذا العهد . ومن
سعد هذيم بنو عذرة المشهورون بين العرب في المحبة ، كان منهم جميل بن عبد الله بن

معمر وصاحبه بُثينة بنت حبابا . قال ابن حزم : كان لأبيها صحبة ومنهم عروة بن حزام وصاحبه عفرا . ومن بني عذرة كان رزاح بن ربيعة أخو قصي بن كلاب لأمه وهو الذي استظهر قصي به وبقومه على بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم فغلبهم على الاجازة بالناس من عرفة ، وكانت مفتاح رياسته في قريش .

ومن عمران بن الحافي بنو سليح وهو عمرو بن حلوان بن عمران ، ومن بني سليح الضجاعم بنو ضجعم بن سعد بن سليح كانوا ملوكاً بالشام للروم قبل غسان . ومن بني عمران بن الحافي بنو جرم بن زبّان بن حلوان بن عمران بطن كبير وفيهم كثير من الصحابة ومواطنهم ما بين غزة وجبال الشراة من الشام ، وجبال الشراة من جبال الكرك . ومن تغلب بن حلوان بنو أسد وبنو النمر وبنو كلب قبائل ضخمة كلهم بنو وبرة بن تغلب ، فمن النمر بنو خشين بن النمر ومن بني أسد بن وبرة تنوخ وهم فهم بن تيم اللات بن أسد منهم مالك بن زهير بن عمرو بن عمرو بن فهم وعليه تنخت تنوخ ، وعلى عهد أبيه مالك بن فهم كما مروا وكانوا حلفاء لبني حزم . فتنوخ على ثلاثة أبطن : بطن اسمه فهم وهم هؤلاء ، وبطن اسمه نزار وهم ليس نزار لهم بوالد لكنهم من بطون قضاعة كلها ومن بني تيم اللات ومن غيرهم بطون ثلاث يقال لهم الأحلاف من جميع قبائل العرب من كندة ولخم وجذام وعبد القيس اهـ كلام ابن حزم . ومن بني أسد بن وبرة بنو القين واسمه النعمان بن جسر بن شيع اللات بن أسد ومن بني كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بنو كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب ، قبيلة ضخمة فيها ثلاثة بطون بنو عدي وبنو زهير وبنو عليم ، وبنو جناب بن هبل ابن عبد الله بن كنانة بطون ضخمة ومنهم عبدة بن هبيل شاعر قديم ويقول فيه بعض الناس ابن حرام ، وهو الذي عنى امرؤ القيس بقوله * نبكي الديار كما بكى ابن حرام * وقد قيل إنه من بكر بن وائل ، وقال هشام بن السائب الكلبي : إذا سئلوا بم بكى ابن حرام الديار أنشدوا خمسة أبيات من كلمات امرئ القيس المشهورة * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

ويقولون إن بقيتها لامرئ القيس بن حجر ، وهذا امرؤ القيس بن حرام شاعر قديم دثر شعره لأنه لم يكن للعرب كتاب لبداتها ، وإنما بقي من أشعارهم ما ذكره رواة الإسلام وقيدوه من رواية الكتاب من محفوظ الرجال .

ومن بني عدي بنو حصين بن ضمضم بن عدي ، كانت منهم نائلة بنت الفرافصة بن

الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحرث بن حُصْن امرأة عثمان بن عفّان ، ومنهم أبو الخطّار الحُسام بن ضِرَار بن سلامان بن جشم بن ربيعة بن حُصْن أمير الأندلس ، ومنسبة بن شُحيم بن منجاش بن مزغور بن منجاش بن هزيم بن عديّ بن زهير ، وابن ابنه حُسان بن مالك بن بحدل الذي قام بمروان يوم مَرَجَ راهط وكانت رئاسة الإسلام في كلب لبني بحدل هؤلاء ومن عقبهم بنو مُنقذٍ ملوك شيزر .

ومن بني زهير بن جناب حنظلة بن صفوان بن توبل بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شراحيل بن هرير بن أبي جابر بن زهير ولي أفريقية لهشام . ومن عليم بن جناب بنو مَعْقِل وربما يقال إنّ عرب المَعْقِل الذين بالمغرب الأقصى لهذا العهد وفي زمانه يتسبون فيهم .

ومن بطون كَلْب بن عوف بن بكر بن عوف بن كعب بن عوف بن عامر بن عوف دَحِيَّة بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج بن عامر بن بكر بن عامر بن عوف صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أتاه جبريل عليه السلام في صورته . ومنصور بن جهور بن حفر بن عمرو بن خالد بن حارثة بن العُبَيْد بن عامر بن عوف القائم مع يزيد بن الوليد وولاه الكوفة ، وحِب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف سُبَيّ أبوه زيد في الجاهلية وصار إلى خديجة فوهبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وجاءه أبوه وخيره النبي صلى الله عليه وسلم فاختره على أبيه وأهله وأقام في كفالة النبي صلى الله عليه وسلم ثم أعتقه ، وربى ابنه أسامة في بيته ومع مواليه وأخباره مشهورة .

ومن بني كلب ثم من بني كنانة بن بكر بن عوف النسابة ابن الكلبي وهو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحرث بن عبد العزى بن امرئ القيس . قال ابن حزم : هكذا ذكره ابن الكلبي في نسبه وأرى أمراً القيس هذا هو عامر بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن عُدرة وقد مرّ بقية نسبه ، وكان لقضاة هؤلاء ملك ما بين الشام والحجاز إلى العراق في أيلة وجبال الكرك إلى مشارف الشام واستعملهم الروم على بادية العرب هنالك ، وكان أول الملك فيهم في تنوخ وتتابع فيهم فيما ذكر المسعودي ثلاثة ملوك : النعمان بن عمر ، وثم ابنه عمرو بن النعمان ، ثم ابنه الحواريّ بن عمرو ، ثم غلبهم على أمرهم سُلَيْح من بطون قضاة

وكانت رياستهم في ضَجْعَم بن مَعَدَّ منهم . وقارن ذلك استيلاء طَيْطِشَ من القياصرة على الشام فولاهم ملوكاً على العرب من قبله يجبون له من ساحتهم إلى أن وليَ منهم زيادة بن هُبُولَةَ بن عمرو بن عوف بن ضجعم . وخرجت غسان من اليمن فغلبوهم على أمرهم وصار ملك العرب بالشام لبني جفنة وانقرض ملك الضجاعم حسبما نذكر .

وقال ابن سعيد : سار زيادة بن هُبُولَةَ بمن أبقى السيف منهم بعد غسان إلى الحجاز فقتله حَجْرُ آكل المِرار الكِنْدِيُّ ، كان على الحجاز من قبل التبابعة ، وأفنى بقيتهم فلم ينج منهم إلا القليل ، قال : ومن الناس من يطلق تنوخ على الضجاعة ودؤس الذين تنخوا بالبحرين أي أقاموا ، قال وكان لبني العبيد بن الأبرص بن عمر بن أشجع بن سليح مُلْكٌ يتوارثونه بالحَضَر آثاره باقية في برية سنجار وكان آخرهم الضيزن بن معاوية بن العبيد المعروف عند الجرامقة بالساطرون وقصته مع سابور ذي الجنود من الأكاسرة معروفة ، قال وكان لقُضاعة ملك آخر في كلب بن وبرة يتداولونه مع السكون من كِنْدَةَ ، فكانت لكلب دومة الجندل وتبوك ودخلوا في دين النصرانية وجاء الإسلام والدولة في دومة الجندل لأكيدر بن عبد الملك بن السكون ، ويقال إنه كِنْدِيُّ من ذرية الملوك الذين ولّاهم التبابعة على كلب ، فأسره خالد بن الوليد وجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فصالح على دُومَة ، وكان في أول من ملكها دَجَانَةُ بن قَنَافَةَ بن عديّ بن زهير بن جناب ، قال : وبقيت بنو كلب الآن في خلق عظيم على خليج القسطنطينية منهم مسلمون ومنهم منتصرون . اهـ الكلام في أنساب قُضاعة .

قال ابن حزم : وجميع قبائل العرب فهي راجعة إلى أب واحد جاش ثلاث قبائل : وهي تنوخ والعتي وغسان ، فأما تنوخ فقد ذكرناهم ، وأما العتي فهم من حَجْر حَمِير ومن حجر من ذي رعين ومن سعد العشيرة ومن كِنانة بن خزيمة ومنهم زيد بن الحرث العتي من حجر حمير وهو مولى عبد الرحمن بن القاسم وخالد بن جنادة المصري صاحب مالك بن أنس ، وهو مولى زُبَيْد المذكور من أسفل ، وأما غسان فإنهم من بني أب لا يدخل بعضهم في هذا النسب ويدخل فيهم من غيرهم . وسموا العُتقا لأنهم اجتمعوا ليفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فظفر بهم فأعتقهم ، وكانوا جماعة من بطون شتى . وسموا تنوخ لأنّ التُّنوخ الإقامة فتحالفوا على الإقامة بموضعهم

بن زيد بن مالك بن

مهر بن جيدان بن عمرو

بن

مره بن عمرو بن مالك بن قضاة بن الحلف بن عمران بن

عمر بن عمرو بن الشيخ بن سليح

بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم

جهم بن زيان

ب

بنو عذرة بن سعد بن هذيم

اللا بن اسلم

النعمان بن جسر بن شيخ

الملك من تنوخ العتي

فهم بن نعم

ب

الحوازي بن عمرو بن النعمان بن عمرو

صبيح بن معد بن عمرو

خيشن بن الف

سواد بن قلم الملك

ملك الحضر من بني الميثل

بنو عوف بن كعب بن عوف بن كعب بن عوف بن عامر —

مفضل بن علي —
 من بني عدي نائلة بنت انراقصة

بنو عوف بن كعب بن عوف بن كعب بن عوف بن عامر —

من بني كنانة بنو الكلابي

ملك دومة الجندل هو وبنوه
 من عقيقة بنو منقذ ملوك شير

بالشام وهم من بطون شتى . وأما غسان فإنهم أيضاً طوائف نزلوا بماء يقال له غسان
فنسبوا اليه اهـ كلام ابن حزم .

الخبر عن بطون كهلان من القحطانية وشعوبهم واتصال بعضها مع بعض وانقضائها

هؤلاء بنو كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان اخوة بني حمير بن سبا ،
وتداولوا معهم الملك أول أمرهم ، ثم انفرد بنو حمير به وبقيت بطون بني كهلان تحت
ملكيتهم باليمن . ثم لما تقلص ملك حمير بقيت الرياسة على العرب البادية لبني كهلان
لما كانوا بادين لم يأخذ ترف الحضارة منهم ولا أدركهم الهرم الذي أودى بحمير ، إننا
كانوا أحياء ناجعة في البادية والرؤساء والأمراء في العرب إننا كانوا منهم . وكان لكندة
من بطونهم ملك باليمن والحجاز ، ثم خرجت الأزد من شعوبهم أيضاً من اليمن مع
مزيقيا وافترقوا بالشام ، وكان لهم ملك بالشام في بني جفنة ، وملك يثرب في الأوس
والخزرج ، وملك بالعراق في بني فهم . ثم خرجت لخم وطيء من شعوبهم أيضاً
من اليمن ، وكان لهم ملك بالحيرة في آل المنذر حسباً نذكر ذلك كله .

وأما شعوبهم فهي كلها تسعة من زيد بن كهلان في مالك بن زيد وعريب بن زيد ،
فمن مالك بطون همدان وديارهم لم تزل باليمن في شرقيه ، وهم بنو أوسلة ، وهو
همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الجبار بن مالك بن زيد بن نوف بن
همدان . ومن شعوب حاشد بنويام بن أصغى بن مانع بن مالك بن جشم بن حاشد
ومنها طلحة بن مصرف . ولما جاء الله بالإسلام إفرق كثير من همدان في ممالكه ،
وبقي منهم من بقي باليمن ، وكانوا شيعة لعلي كرم الله وجهه ورضي عنه عندما شجر
بين الصحابة وهو المنشد فيهم متمثلاً :

فلو كنت بواباً على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

ولم يزل التشيع دينهم أيام الإسلام كلها ، ومنهم كان علي بن محمد الصليحي من بني
يام القائم بدعوة العبيديين باليمن في حصن حرار من بني يام وهو من بطونهم وهو من
بني يام من بطون حاشد ، فاستولى عليه وورث ملكه لبيته حسباً نذكره في أخبارهم .
وكانت بعد ذلك وقبله دولة بني الرسى أيام الزيدية بصعدة فكانت على يدهم

وبمُظَاهَرَتِهِمْ ، ولم يزل التشيع دينهم لهذا العهد .

وقال البيهقي : وتفرّقوا في الإسلام فلم تبق لهم قبيلة وبرية إلا باليمن وهم أعظم قبائله وهم عصبة المعطي من الزيدية القائلين بدعوته باليمن ، وملكوا جملة من حصون اليمن باليمن ، ولهم بها إقليم بكيل وإقليم حاشد من بطونهم .

قال ابن سعيد : ومن همدان بنو الزريع وهم أصحاب الدعوة والملك في عدن والحيرة وهم زيدية وإخوة همدان الهان بن مالك بن زيد بن أوسلة ومن مالك بن زيد أيضاً الأزدي وهو أزد بن الغوث بن نبت بن مالك وخثعم وبجيلة ابنا أنمار بن أراش أخي الأزدي بن الغوث . وقد يقال أنمار هو ابن نزار بن معدّ وليس بصحيح ، فأما الأزدي فبطن عظيم مُتَّسِعٌ وشعوب كثيرة ، فمنهم بنو دؤس من بني نصر بن الأزدي وهو دؤس بن عدّثان بالثاء المثلثة ابن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحرث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزدي بطن كبير ، ومنهم كان جُذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دؤس وديارهم بنوا حي عمان ، وكان بعد دوس وجُذيمة مُلْكٌ بَعُمَّانَ في إخوانهم بني نصر بن زهران بن كعب ، كان منهم قبيل الإسلام المستكبر بن مسعود بن الحرار بن عبد الله بن مُغُولَة بن شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن زهران ، والذي أدرك الإسلام منهم جيفر بن الجئلندي بن كركر بن المستكبر وأخوه عبد الله ملك عُمان ، كتب إليهما النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، واستعمل على نواحيهما عمرو بن العاص .

ومن الأزدي ثم من بني مازن بن الأزدي بنو عمرو مزيقيا بن عامر ويلقب ماء السماء ابن حارثة الغَطْرِيفُ ابن امرئ القيس البهلُولُ ابن ثعلبة بن مازن بن الأزدي ، وعمرو هذا وآباؤه كانوا ملوكا على بادية كهلان باليمن مع حِمِيرٍ واستفحل لهم الملك من بعدهم . وكانت أرض سبأ باليمن لذلك العهد من أرفه البلاد وأخصبها وكانت مدافع للسيول المنحدرة بين جبلين هنالك ف ضرب بينهما سدّ بالصخر والقار يحبس سيول العيون والأمطار حتى يصرفوه من خروق في ذلك السدّ على مقدار ما يحتاجون إليه في سقيهم ، ومكث كذلك ما شاء الله أيام حمير ، فلما تقلّص ملكهم وانحلّ نظام دولتهم وتغلّب بادية كهلان على أرض سبأ وانطلقت عليها الأيدي بالعبث والفساد وذهب الحفظة القائمون بأمر السدّ نذروا بخرابه ، وكان الذي نذر به عمرو مزيقيا مَلِكُهُمْ لَمَّا رأى من اختلال أحواله . ويقال : إنّ أخاه عمران الكاهن أخبره ، ويقال طريقة

الكاهنة . وقال السهيلي : طريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عمرو وهي طريفة بنت الخير الحميريّة لعهدده .

وقال ابن هشام : عن أبي زيد الأنصاري أنه رأى جرذاً تحفر السدّ فعلم أنه لا بقاء للسدّ مع ذلك فأجمع النقلة من اليمن وكاد قومه بأن أمر أصغر بنيه أن يلطمه إذا أغلظ له ففعل فقال لا أقيم في بلد يلطمني فيها أصغر ولدي وعرض أمواله فقال أشرف اليمن اغتنموا غنصة عمرو فاشتروا أمواله وانتقل في ولده وولد ولده فقال الأزدي لا تتخلف عن عمرو فتجشموا للرحلة وباعوا أموالهم وخرجوا معه وكان رؤساءهم في رحلتهم بنو عمرو مزيقيا ومن إليهم من بني مازن ففصل الأزدي من بلادهم باليمن إلى الحجاز .

قال السهيلي : كان فصولهم على عهد حسّان بن تَبَّان أسعد من ملوك التبابعة ولعهده كان خراب السدّ . ولما فصل الأزدي من اليمن كان أول نزولهم ببلاد عكّ ما بين زيد وزمّج ، وقتلوا ملك عكّ من الأزدي ثم افترقوا إلى البلاد ، ونزل بنو نصر بن الأزدي بالشراة وعُمان ، ونزل بنو ثعلبة بن عمرو مزيقيا بيثرب ، وأقام بنو حارثة بن عمرو بمر الظهران بمكة وهم فيما يقال خزاعة ، ومروا على ماء يقال له غسّان بين زيد وزمّج فكل من شبه منه من بني مزيقيا سُمِّيَ به ، والذين شربوا منه بنو مالك وبنو الحرث وبنو جفنة وبنو كعب فكلهم يسمون غسّان ، وبنو ثعلبة العتقاء لم يشربوا منه فلم يسمّوا به ، فمن ولد جفنة ملوك الشام الذين يأتي ذكرهم ودولتهم بالشام . ومن ولد ثعلبة العتقاء الأوس والخزرج ملوك يثرب في الجاهلية وسند كرههم ، ومن بطن عمرو مزيقيا بنو أفصى بن حارثة بن عمرو ويقال إنه أفصى بن عامر بن قَمْعَة بلا شك ابن إلياس بن مضر . قال ابن حزم : فإن كان أسلم بن أفصى منهم فمن بني أسلم بلا شك وبنو أبان وهو سعد بن عديّ بن حارثة بن عمرو ، وبنو العتيك من الأزدي عُمران بن عمرو .

وأما بُجيلة فبلادهم في سُرّوات البحرين والحجاز إلى تَبَّالَة وقد افترقوا على الآفاق أيام الفتح فلم يبق منهم بمواطنهم إلا القليل ، ويقدم الحاج منهم على مكة في كل عام عليهم أثر الشُظف ويعرفون من أهل الموسم بالسُرّو^(١) ، وأما حالهم لأوّل الفتح الإسلامي فمعروف ورجالاتهم مذكورة ، فمن بطون بجيلة قَسْر وهو مالك بن عبقر بن

(١) السرو من : سرا بسرو وسرواً ، كان سريّاً أي صاحب مروءة وسخاء (القاموس) .

أَنَارَ وَبَنُو أَحْمَسُ بْنُ الْغُوثِ بْنِ أَمَّارٍ .

وَأَمَّا بَنُو عَرِيبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ فَهُمْ طِيٌّ وَالْأَشْعَرِيُّونَ وَمَذْحَجٌ وَبَنُو مَرَّةٍ وَأَرْبَعَتُهُمْ بَنُو أَدَدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ يَشْجَبِ بْنِ عَرِيبٍ ، فَأَمَّا الْأَشْعَرِيُّونَ فَهُمْ بَنُو أَشْعَرَ وَهُوَ نَبَتْ بِنُ أَدَدٍ وَبِلَادُهُمْ فِي نَاحِيَةِ الشَّامِ مِنْ زَيْدٍ وَكَانَ لَهُمْ ظُهُورٌ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ ثُمَّ افْتَرَقُوا فِي الْفَتْوحَاتِ وَكَانَ لِمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ بِالْيَمَنِ حُرُوبٌ مَعَ ابْنِ زِيَادٍ لِأَوَّلِ إِمَارَتِهِ عَلَيْهَا أَيَّامَ الْمَأْمُونِ ثُمَّ ضَعُفُوا عَنْ ذَلِكَ وَصَارُوا فِي عَدَدِ الرِّعَايَا .

وَأَمَّا بَنُو طِيٍّ بِنُ أَدَدٍ فَكَانُوا بِالْيَمَنِ وَخَرَجُوا مِنْهُ عَلَى أَثَرِ الْأَزْدِ إِلَى الْحِجَازِ وَنَزَلُوا سُمَيْرًا وَفَيْدَ فِي جَوَارِ بَنِي أَسَدٍ ، ثُمَّ غَلِبُوهُمْ عَلَى أَجَا وَسَلْمَى^(١) وَهُمَا جَبَلَانِ مِنْ بِلَادِهِمْ فَاسْتَقَرَّوْا بِهِمَا وَافْتَرَقُوا لِأَوَّلِ الْإِسْلَامِ فِي الْفَتْوحَاتِ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَمِنْهُمْ فِي بِلَادِهِمْ الْآنَ أُمٌّ كَثِيرَةٌ مَلَأُوا السَّهْلَ وَالْجَبَلَ حِجَازًا وَشَامًا وَعِرَاقًا يَعْنِي قِبَائِلَ طِيٍّ هَؤُلَاءِ وَهُمْ أَصْحَابُ الدَّوْلَةِ فِي الْعَرَبِ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي الْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ مِنْهُمْ سَنْبَسُ وَالثَّعَالِبُ بِطَنَانِ مَشْهُورَانِ ، فَسَنْبَسُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ شَيْلٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْغُوثِ بْنِ طِيٍّ وَمَعَهُمْ بَخْتَرُ بْنُ ثَعْلٍ ، قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ وَمِنْهُمْ زَيْدُ بْنُ مَعْنٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَسٍّ بْنُ سَلَامَانَ بْنِ ثَعْلٍ وَهُمْ فِي بَرِّيَّةِ سَنْجَارٍ ، وَالثَّعَالِبُ بَنُو ثَعْلَبَةَ بْنِ رُومَانَ بْنِ جُنْدُبِ بْنِ خَارِجَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قِطْرَةَ بْنِ طِيٍّ ، وَثَعْلَبَةُ بْنُ جَدْعَا بْنِ ذَهْلٍ بْنِ رُومَانَ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَمِنْهُمْ بَنُو لَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ مَنَازِلُهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْجَبَلَيْنِ وَيَنْزِلُونَ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِمْ مَدِينَةَ يَثْرِبَ ، وَالثَّعَالِبُ الَّذِينَ بِصَعِيدِ مِصْرَ مِنْ ثَعْلَبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْغُوثِ بْنِ طِيٍّ . قَالَ ابْنُ حَزْمٍ : لَامُ بْنُ طَرِيفٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ ثُمَامَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَدْعَا وَمِنْ الثَّعَالِبِ بَنُو ثَعْلَبَةَ بْنِ ذَهْلٍ بْنِ رُومَانَ ، وَبِحِجَافِ بَنِيَامِينَ وَالشَّامِ بَنُو صَخْرٍ وَمِنْ بَطْنِهِمْ غَزِيَّةُ الْمَرْهُوبِ صَوْلَتُهُمْ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ . وَهُمْ بَنُو غَزِيَّةَ بْنِ أَفْلَتَ بْنِ مَعْبَدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَسٍّ بْنِ سَلَامَانَ بْنِ ثَعْلٍ وَبَنُو غَزِيَّةَ كَثِيرُونَ وَهُمْ فِي طَرِيقِ الْحَاجِّ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَنَجْدٍ ، وَكَانَتْ الرِّيَاسَةُ عَلَى طِيٍّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لِبَنِي هَنْيَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْغُوثِ بْنِ طِيٍّ وَهُمْ رَمْلِيُّونَ وَإِخْوَتُهُمْ جَبَلِيُّونَ ، وَمِنْ وَلَدِهِ إِيَّاسُ بْنُ قَبِيصَةَ الَّذِي أَدَالَ بِهِ كِسْرَى أَبْرُويزَ النُّعْمَانَ الْمُنْذِرَ حِينَ قَتَلَهُ وَأَنْزَلَ طِيًّا بِالْحِيرَةِ مَكَانَ لَحْمِ قَوْمِ النُّعْمَانَ وَوَلَّى عَلَى الْعَرَبِ مِنْ إِيَّاسًا هَذَا ، وَهُوَ إِيَّاسُ بْنُ قَبِيصَةَ بْنِ أَبِي يَعْفُرَ بْنِ النُّعْمَانَ بْنِ خَبِيبِ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ الْحَوَيْرِثِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ سَعْدِ بْنِ هَنْيَ ، فَكَانَتْ

(١) (فِي فَجْرِ الْإِسْلَامِ ص ٨) أَجَا وَسَلْمَى وَهُمَا الْمَعْرُوفَانِ الْآنَ بِجَبَلِ شَمَّرَ ، وَقَدْ سَكَنَتَهَا طِيٌّ قَبْلَ الْإِسْلَامِ .

لهم الرياسة إلى حين انقراض ملك الفرس . ومن عقب إياس هذا بنوربيعة بن علي بن مُفرح بن بَدْر بن سالم بن قِصَّة بن بدر بن سميع ، ومن ربيعة شعب آل مُراد وشعب آل فضل ، وآل فضل شعبان آل علي وآل مُهنا فعلي ومُهنّا إبنّا فضل ، وفضل ومُراد إبنّا ربيعة وسميع الذين ينسبون إليه من عَقْب قبيصة بن أبي يعفر ، ويزعم كثير من جهلة البادية إنه الذي جاءت به العباسة أخت الرشيد من جعفر بن يحيى زعماء كاذباً لا أصل له . وكانت الرياسة على طيء أيام العبيديّين لبني المُفرح ، ثم صارت لبني مُراد بن ربيعة وكلهم ورثوا أرض غسان بالشام وملكهم على العرب ، ثم صارت الرياسة لبني عليّ وبني مُهنا إبنّي فضل بن ربيعة اقتسموها مدّة ، ثم انفرد بها لهذا العهد بنو مُهنا الملوك على العرب إلى هذا العهد بمشارف الشام والعراق وبرية نجد ، وكان ظهورهم لأمر الدولة الأيوبية ومن بعدهم من ملوك الترك بمصر والشام ويأتي ذكرهم ، والله وارث الأرض ومن عليها .

وأما مذحج وإسمه مالك بن زيد بن أدَد بن زيد بن كهلان ، ومنهم مُراد وإسمه يَخَابِر بن مذحج ، ومنهم سعد العشيرة بن مذحج بطن عظيم لهم شعوب كثيرة ، منهم جعفر بن سعد العشيرة وزُيَيْد بن صعب بن سعد العشيرة . ومن بطون مذحج النخع ورّها ومسيلة وبنو الحرث بن كعب ، فأما النخع فهو جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج ومسيلة إبن عامر بن عمرو بن علة ، وأما رّها فهو ابن مَنبّه بن حرب بن علة . وبقي من مذحج وبرية ينجعون مع أحياء طيء في جملة أيام بني مُهنا مع العرب بالشام زمن أحلافهم وأكثرهم من زبيد . وأما بنو الحرث فالحرث أبوهم ابن كعب بن علة وديارهم بنواحي نَجْران يجاورون بها بني ذهل بن مزيقيا من الأزد وبني حارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد وكان نَجْران قبلهم لجرهم ، ومنهم كان ملكها الأفعى الكاهن الذي حكم بين ولد نزار بن معدّ لما تنافروا إليه بعد موت نزار وإسمه الغلّس بن غمر ماء بن هَمْدان بن مالك بن مُستتاب بن زيد بن وائل بن حمير وكان داعيةً لسليمان عليه السلام بعد أن كان والياً لبلقيس على نَجْران ، وبعثته إلى سليمان فصدّق وآمن وأقام على دينه بعد موته . ثم نزل نَجْران بنو الحرث بن كعب بن علة بن جلد بن مذحج فغلبوا عليها بني الأفعى . ثم خرجت الأزد من اليمن فمروا بهم وكانت بينهم حروب ، وأقام من أقام في جوارهم من بني نصر بن الأزد وبني ذهل بن مزيقيا واقتسموا الرياسة فنَجْران معهم . وكان من بني الحرث

كعب هؤلاء المذحجين بنو الزيات وإسمه يزيد بن قطن بن زياد بن الحرث بن مالك بن كعب بن الحرث وهم بيت مذحج وملوك نجران وكانت رياستهم في عبد المدان بن الديان ، وانتهت قبيل البعثة إلى يزيد بن عبد المدان ، ووفد أخوه عبد الحجر بن عبد المدان على النبي صلى الله عليه وسلم على يد خالد بن الوليد وكان ابن أخيه يزيد بن عبد الله بن عبد المدان خال السفاح ، وولاه نجران واليمامة .

وقال ابن سعيد : ولم يزل الملك بنجران في بني عبد المدان ، ثم في بني أبي الجواد منهم ، وكان منهم في المائة السادسة عبد القيس بن أبي الجواد ، ثم صار الأمر نذا العهد إلى الأعاجم شأن النواحي كلها بالمشرق ، ثم من بطون الحرث بن كعب بنو معقل وهو ربيعة بن الحرث بن كعب ، وقد يقال إن المعقل الذين هم بالمغرب الأقصى لهذا العهد إنما هم من هذا البطن وليسوا من معقل بن كعب القضاة ويتوعد هذا أن هؤلاء المعقل جميعاً يتسبون إلى ربيعة ، وربيعة إسم معقل هذا كما رأيت والله تعالى أعلم .

وأما بنو مرة بن أدد إخوة طيء ومذحج والأشعرية فهم أبطن كثيرة وتنتهي كلها إلى الحرث بن مرة ، مثل خولان ومعاقر ولخم وجذام وعاملة وكندة . فأما معاقر فهم بنو يعفر بن مالك بن الحرث بن مرة وافترقوا في الفتوحات وكان منهم المنصور بن أبي عامر صاحب هشام بالأندلس . وأما خولان وإسمه أفكل بن عمرو بن مالك وعمرو أخو يعفر وبلادهم في جبال اليمن من شرقيهم ، وافترقوا في الفتوحات وليس منهم اليوم وبرية إلا باليمن وهم لهذا العهد ، وهم مدان أعظم قبائل العرب باليمن ولهم الغلب على أهلهم والكثير من حصونه . وأما لخم وإسمه مالك بن عدي بن الحرث بن مرة فبطن كبير متسع ذو شعوب وقبائل منهم الدار بن هاني بن حبيب بن نمار بن لخم ، ومن أكبرهم بنو نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحرث بن مسعود بن مالك بن عُم بن أنمار بن لخم ، ويقال نمار وهم رهط آل المنذر وحافده عمرو بن عدي بن نصر هو ابن أخت جذيمة الوضاح الذي أخذ بثأره من الزبا قاتلته . وولي الملك على العرب للأكاسرة بعد خاله جذيمة وأنزلوه بالحيرة حسبما يأتي الخبر عن ملكه وملك بنيهم ومن شعوب بني لخم هؤلاء كان بنو عبادة ملوك أشيلية ويأتي ذكرهم . وأما جذام وإسمه عمرو بن عدي أخو لخم بن عدي فبطن متسع له شعوب كثيرة مثل غطفان وأمصى وبنو حرام بن جذام وبنو ضبيب وبنو مخزومة وبنو بعجة بنو نفاثة وديارهم حوالي أيلة

من أول أعمال الحجاز إلى التنبع بن أطراف يثرب ، وكانت لهم رياسة في معان وما حولها من أرض الشام لبني النافرة من نفائة ثم لفروة بن عمرو بن النافرة منهم ، وكان عاملاً للروم على قومه وعلى من كان حوالي معان من العرب ، وهو الذي بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء . وسمع بذلك قيصر فأغرى به الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان فأخذه وصلبه بفلسطين ، وبقيتهم اليوم في مواطنهم الأولى في شعبين من شعوبهم يعرف أحدهما بنو عائذ وهم ما بين بلبس من أعمال مصر إلى عقبة أيلة إلى الكرك من ناحية فلسطين ، وتعرف الثانية بنو عقبة وهم من الكرك إلى الأزلم من برية الحجاز . وضمان السابلة ما بين مصر والمدينة النبوية إلى حدود غزة من الشام عليهم ، وغزة من مواطن جرّم إحدى بطون قضاة كما مر ، وبأفريقية لهذا العهد منهم وبرية كبيرة يتجمعون مع ذياب بن سليم بنواحي طرابلس .

وأما عاملة وإسمه الحرث بن عدي وهم إخوة لخم وجذام وإنا سمي الحرث عاملة بأمة القضاة وهم بطن متسع ومواطنهم بيرة الشام . وأما كندة وإسمه ثور بن عفير بن عدي وعفير أخو لخم وجذام ، وتعرف كندة الملوك لأن الملك كان لهم على بادية الحجاز من بني عدنان كما نذكر ، وبلادهم ببال اليمن مما يلي حضرموت ومنها دمون التي ذكرها امرؤ القيس في شعره ، وبطونهم العظيمة ثلاثة : معاوية بن كندة ومنه الملوك بنو الحرث بن معاوية الأصغر ابن ثور بن مرتع بن معاوية والسكون وسكسك وابنهما أشرش بن كندة ، ومن السكون بطن تجيب وهم بنو عدي وبنو سعد بن أشرش بن شبيب بن السكون وتجب اسم أمها . وكان للسكون ملك بدومة الجندل وكان عليها عبد المغيث بن أكيدر بن عبد الملك بن عبد الحق بن أعمى بن معاوية ابن حلاوة بن أمامة بن شكامة بن شبيب بن السكون بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك خالد بن الوليد فجاء به أسيراً ، وحقق صلى الله عليه وسلم دمه وصالحه على الجزية وردّه إلى موضعه . ومن معاوية بن كندة بنو حجر ابن الحرث الأصغر ابن معاوية بن كندة منهم حجر آكل المرار ابن عمرو بن معاوية وهو حجر أبو الملوك ابن كندة الذين يأتي ذكرهم ، والحرث الولادة أخو حجر وكان من عقبه الخارجين باليمن المسلمين طالب الحق وكان أباضياً وسيأتي ذكره ، ومنهم الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية وجبلّة بن عدي بن ربيعة بن معاوية

بن الحرث الأكبر جاهليّ إسلامي ، وابنه محمد بن الأشعث وابنه عبد الرحمن بن الأشعث القائم على عبد الملك والحجاج وهو مشهور ، وابن عمهم أيضاً ابن عديّ وهو الأذمر بن عديّ بن جبلة له صحبة فيما يقال ، وهو الذي قتله معاوية على الثورة بأخيه زياد وخبره معروف .

هذه قبائل اليمن من قحطان استوفينا ذكر بطونهم وأنسابهم ونرجع الآن إلى ذكر من كان الملك منهم بالشام والحجاز والعراق حسبما نقصه ، والله تعالى المعين بكرمه ومنه لا ربّ غيره ولا خير إلاّ خيره .

الخبر عن ملوك الحيرة من آل المنذر من هذه الطبقة وكيف
انساق الملك اليهم ممن قبلهم وكيف صار إلى طيء من
بعدهم

أمّا أخبار العرب بالعراق في الجيل الأول وهم العرب العاربة فلم يصل إلينا تفاصيلها وشرح حالها ، إلا أن قوم عاد والعماليقة ملكوا العراق ، والمسند في بعض الأقوال أن الضحّاك بن سنان منهم كما مرّ . وأمّا في الجيل الثاني وهم العرب المستعربة فلم يكن لهم به مستبدّ وإنما كان ملكهم به بدوياً ورياستهم في أهل الطواغن . وكان ملك العرب كما مرّ في التبابعة من أهل اليمن ، وكانت بينهم وبين فارس حروب وربّا غلبوهم على العراق وملكوه أو بعضه كما مرّ ، لكن اليمن لم يغلبوا ثانياً على ما ملكوا منه ، وقد مرّ إيقاع بختنصر وإثخنانه فيهم ما تقدّم . وكان في سواد العراق وأطراف الشام والجزيرة الأرمنيون من بني إرم بن سام ، ومن كان من بقية عساكر ابن تبع من جعفر طيء وكلب وتميم وغيرهم من جرّهم ، ومن نزل معهم بعد ذلك من تنوخ ونمارة بن لخم وقنص بن معدّ ومن إليهم كما قدّمنا ذكر ذلك . وكان ما بين الحيرة والفرات إلى ناحية الأنبار موطن لهم وكانوا يسمّون عرب الضاحية ، وكان أوّل من ملك منهم في زمن الطوائف مالك بن فهم بن تميم الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن قضاعة ، وكان منزله مما يلي الأنبار . وملك من بعده أخوه عمرو بن فهم . ثم ملك من بعدهما جذيمة الأبرش اثنتي عشرة سنة ، وقد تقدّم أنه صهرهما وأنّ مالك بن زهير بن عمرو بن فهم زوّجه أخته وصاروا حلفاء مع الأزديّ من قوم جذيمة

ونسب جذيمة في الأزد إلى بني زهران ، ثم إلى دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران ، وهو جذيمة بن ملك بن فهم بن غنم بن دوس هكذا قال ابن الكلبي . ويقال : إنه من وبار بن أميم بن لاوذ بن سام ، وكان بنو زهران من الأزد خرجوا قبل خروج مزيقيا من اليمن ونزلوا بالعراق وقيل ساروا من اليمن مع أولاد جفنة بن مزيقيا ، فلما تفرق الأزد على المواطن نزل بنو زهران هؤلاء بالشراة وعُمان وصار لهم مع الطوائف ملك ، وكان مالك بن فهم هذا من ملوكهم . وكان بشاطيء الفرات من الجانب الشرقي عمرو بن الظرب بن حسان بن أدينة من ولد السُميدع بن هوثر من بقايا العمالقة ، فكان عمرو بن الظرب على مشارف الشام والجزيرة ، وكان منزله بالمضيق بين الخابور وقرقيسا فكانت بينه وبين مالك بن فهم حروب هلك عمرو في بعضها ، وقامت بملكه من بعده ابنته الزباء بنت عمرو واسمها نائلة عند الطبري وميسون عند ابن دريد .

قال السُّهيلي : ويقال إنا الزباء الملكة كانت من ذرية السُميدع بن هوثر من بني قطورا أهل مكة ، وهو السُميدع بن مُرثد بالثاء المثلثة ابن لاي بن قطور بن كركي بن عملاق ، وهي بنت عمرو بن أدينة بن الظرب بن حسان . وبين حسان هذا والسُميدع آباء كثيرة ليست بصحيحة لبعد زمن الزباء من زمن السُميدع انتهى كلام السُّهيلي .

ولم تزل الحرب بين مالك بن فهم وبين الزباء بنت عمرو إلى أن أُلجأها إلى أطراف مملكتها ، وكان يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم على كثير مما في أيديهم . قال أبو عبيدة : وهو أول ملك كان بالعراق من العرب وأول من نصب المجانيق وأوقد الشموع وملك ستين سنة . ولما هلك قام بأمره من بعده جذيمة الوضاح ويقال له الأبرش ، وكان يكنى بأبي مالك وهو منادم الفرقددين . قال أبو عبيدة : كان جذيمة بعد عيسى بثلاثين سنة فملك أزمان الطوائف خمسا وسبعين سنة وأيام أردشير كلها خمسة عشر سنة وثمانين سنين من أيام سابور ، وكان بينه وبين الزباء سلم وحرب ، ولم تزل تحاول الثأر منه بأبيها حتى تحيلت عليه وأطمعته في نفسها فخطبها وأجابته ، وأجمع المسير إليها وأبى عليه وزيره قصير بن سعد ، فعصاه ودخل إليها ولقيته بالجنود وأحس بالشر ، فنجا قصير ودخل جذيمة إلى قصرها فقطعت رواهشه^(١) وأجرت دمه إلى أن

(١) الرواهش : العروق الكبيرة في باطن الذراعين .

هلك في حكاية منقولة في كتب الأخباريين .

قال الطبري : وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأياً وأبعدهم مغاراً وأشدّهم حزمًا وأول من استجمع له الملك بأرض العراق وسرى بالجيوش ، وكان به برص فكنوا عنه بالوضّاح إجلالا له ، وكانت منازلها بين الحيرة والأنبار وهيت ونواحيها وعين التمر^(١) وأطراف البر إلى العمق والقطقطانية وجفنة ، وكانت تجبى إليه الأموال وتقد إليه الوفود ، وغزا في بعض الأيام طسما وجديساً في منازلهم باليمامة ، ووجد حسّان بن تبع قد أغار عليهم فانفكاً هو راجعاً بمن معه ، وأتت خيول حسّان على سرايا فأجاحوها . وكان أكثر غزو جذيمة للعرب العاربة ، وكان قد تكهن وادعى النبوة ، وكانت منازل إياد بعين أباغ سميت باسم رجل من العماقة نزل بها وكان جذيمة كثيراً ما يغزوهم حتى طلبوا مسالمته ، وكان بينهم غلام من لخم من بني أختهم وكانوا أخوالاً له وهو عديّ بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحرث بن مسعود بن مالك بن عمرو بن نمارة بن لخم ، وكان له جمال وضرب وطلبه منهم جذيمة فامتنعوا من تسليمه إليه ، فألح عليهم بالغزو وبعث إياد من سرق لهم صنمين كانا عند جذيمة يدعو بهما ويستسقى بهما وعرفوه أنّ الصنمين عندهم وأنهم يردّونها بشريطة رفع الغزو عنهم ، فأجابهم إلى ذلك بشريطة أن يبعثوا مع الصنمين عديّ بن نصر فكان ذلك . ولما جاءه عديّ بن نصر استخلصه لنفسه وولاه شرابه ، وهويته رقاش أخته فراسلته فدافعها بالخشية من جذيمة ، فقالت له اخطبني منه إذا أخذت الخمر منه وأشهد عليه القوم ففعل ، وأعرس بها من ليلته ، وأصبح مضرجاً بالخلق . وراب جذيمة شأنه ثم أعلم بما كان منه فعرض على يديه أسفاً ، وهرب عديّ فلم يظهر له أثر ، ثم سألها في أبيات شعر معروفة فأخبرته بما كان منه فعرف عذرها وكفت ، وأقام عديّ في أخواله إياد إلى أن هلك ، وولدت رقاش منه غلاماً وسمته عمراً وربى عند خاله جذيمة وكان يستظرفه ثم استهوته الجن فغاب وضرب له جذيمة في الآفاق إلى أن ردّه عليه وإفدّان من العتقا ، ثم من قضاة وهما مالك وعقيل ابنا فارج بن مالك بن العنّس أهديا له طرُفاً ومتاعاً ، ولقيا عمرا بطريقهما وقد ساءت حاله وسألاه فأخبرهما باسمه ونسبه فأصلحا من شأنه وجاء به إلى جذيمة بالحيرة فسّر به وسرّت أمّه . وحكم الرجلين فطلبوا منادمتهم فأسعفها وكانا ينادمانه حتى ضرب المثل بهما وقيل ندماني

(١) تقع في الجنوب الغربي من كربلاء .

جذيمة ، والقصة مبسوبة في كتب الاخباريين بأكثر من هذا .

قال الطبري : وكان ملك العرب بأرض الحيرة ومشارف الشام عمرو بن ظرب بن حسان بن أدينة بن السُميدع بن هوثر العُمَلاقِي ، فكانت بينه وبين جذيمة حرب قتل فيها عمرو بن الظرب وفُضت جموعه . وملك بعدة ابنته الزبَاء واسمها نائلة وجنودها بقايا العُمَاقَة من عاد الأولى ومن نَهْد وسُلَيْح إبني حُلوان ومن كان معهم من قبائل قُضاعة ، وكانت تسكن على شاطئ الفرات وقد بنت هنالك قصراً وتُرَبَّعُ عند بطن الحجاز وتُصَيِّفُ بتدمر . ولما استحکم لها الملك أجمعت أخذ الثأر من جذيمة بأبيها فبعثت إليه توهمه الخطبة وأنها امرأة لا يليق بها الملك فيجمع ملكها إلى ملكه ، فطمع في ذلك ووافقه قومه ، وأبى عليه منهم قصير بن سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن أربى بن نمارة بن لخم وكان حازماً ناصحاً ، وحذره عاقبة ذلك ، فعصاه واستشار ابن اخته عمرو بن عدي فوافقه فاستخلفه على قومه ، وجعل على خيوله عمرو بن عبد الجحْن ، وسار هو على غربي الفرات إلى أن نزل رحبة مالك بن طوق وأتته الرسل منها بالألطف والهدايا ، ثم استقبلته الخيول فقال له قصير : إن أحاطت بك الخيول فهو الغدر فاركب فرسك العصا وكانت لا تجارى . فأحاطت به الخيول ودخل جذيمة على الزبَاء فقطعت رواهشه فسال دمه حتى نزف ومات ، وقدم قصير على عمرو بن عدي وقد اختلف عليه قومه ومال جماعة منهم إلى عمرو بن عبد الجحْن فأصلح أمرهم حتى انقادوا جميعاً لعمرو بن عدي ، وأشار عليه بطلب الثأر من الزبَاء بخاله جذيمة . وكانت الكاهنة قد عرفت ما بملكها وأعطتها علامات عمرو فحذرته وبعثت رجلاً مصوراً يصور لها عمراً في جميع حالاته ، فسار إليه متنكراً واختلط بحشمه وجاء إليها بصورته فاستثبته وتيقنت أن مهلكها منه ، واتخذت نفقاً في الأرض من مجلسها إلى حصن داخل مدينتها . وعمد عمرو إلى قصير فجذع أنفه بمواطاة منه على ذلك فلحق بالزبَاء يشكو ما أصابه من عمرو وأنه اتهمه بمداخلة الزبَاء في أمر خاله جذيمة ، وما رأيت بعد ما فعل بي أنكى له من أن أكون معك . فأكرمه وقربته حتى إذا رضي منها من الوثوق به أشار عليها بالتجارة في طرف العراق وأمتعته فأعطته مالاً وعيراً ، وذهب إلى العراق ولقي عمرو بن عدي بالحيرة فجهزه بالطرف والأمتعة كما يرضيها ، وأتاها بذلك فازدادت به وثوقاً وجهّزته بأكثر من الأولى ، ثم عاد الثالثة وحمل بُغَاة الجند من أصحاب عمرو في الغرائر على الجمال

وعمرؤ فيهم ، وتقدّم فبشرها بالعر وبكثرة ما حمل إليها من الطرف ، فخرجت تنظر فأنكرت ما رآته في الجمال من التكاثر^(١) ، ثم دخلت العير المدينة فلما توسطت أنيخت وخرج الرجال ، وبادر عمرو إلى النفق فوقف عنده ، ووضع الرجال سيوفهم في أهل البلد . وبادرت الزبّاء إلى النفق فوجدت عمراً قائماً عنده فلاحمها بالسيف وماتت ، وأصاب ما أصاب من المدينة وانكفاً راجعاً .

قال الطبري : وعمرو بن عديّ أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب ، وأول من تجده أهل الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق ، وإليه ينسبون وهم ملوك آل نصر . ولم يزل عمرو بن عدي ملكاً حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة مستبداً منفرداً يغزوهم ويغنم ، وتفد عليه الوفود ولا يدين لملوك الطوائف ولا يدينون له حتى قدم أردشير بن بابك في أهل فارس .

قال الطبري : وإنما ذكرنا في هذا الموضع أمر جذيمة وابن أخته عمرو بن عدي لما قدّمناه عند ذكر ملوك اليمن ، وأنهم لم يكن لهم ملك مستفحل وإنما كانوا طوائف على المخاليف يغير كل واحد على صاحبه إذا استغفله ، ويرجع خوف الطلب حتى كان عمرو بن عديّ فاتصل له ولعقبه الملك على من كان بنواحي العراق وبادية الحجاز بالعرب ، فاستعبله ملوك فارس على ذلك إلى آخر أمرهم . وكان أمر آل نصر هؤلاء ومن كان من ولاية الفرس وعماهم على العرب معروفاً مثبتاً عندهم في كنائسهم وأشعارهم .

وقال هشام بن الكلبي : كنت أستخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من ولي منهم لآل كسرى وتاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة . وأما ابن اسحق فذكر في آل نصر ومصيرهم إلى العراق أنّ ذلك كان بسبب الرؤيا التي رآها ربيعة بن نصر وعبرها الكاهنان شقّ وسطيح ، وفيها أن الحبشة يغلبون على ملكهم باليمن ، قال : فجهّز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرّزاذ فأسكنهم الحيرة ، ومن بقية ربيعة بن نصر كان النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر . وقد يقال إنّ المنذر من أعقاب ساطرون ملك الحضرمين تنوخ قضاة ، رواه ابن اسحق من علماء الكوفة ورواه عن جبّير بن مطعم قال : لما أتى عمر رضي الله عنه بسيف النعمان دعا بجبّير بن مطعم ،

(١) الطرد والمدافعة (قاموس) .

وكان أنسب قريش لقريش والعرب ، تعلمه من أبي بكر رضي الله عنه فسلمه إياه ، ثم قال : ممن كان النعمان يا جبير ؟ قال : كان من أسلاف قنص بن معد . قال السهيلي : كان ولد قنص بن معد انتشروا بالحجاز ف وقعت بينهم وبين بني أبيهم حرب وتضايق بالبلاد وأجدبت الأرض ، فساروا نحو سواد العراق وذلك في أيام ملوك الطوائف قاتلهم الأردوانيون وبعض ملوك الطوائف وأجلوهم عن السواد وقتلوهم ، إلا أشلاء لحقت بقبائل العرب ودخلوا فيهم فانتسبوا إليهم . قال الطبري : حين سأله عمر عن النعمان قال : كانت العرب تقول من أشلاء قنص بن معد وهم من ولد عجم بن قنص إلا أن الناس صحفوا عجم وجعلوا مكانه لحم . قال ابن اسحق : وأما سائر العرب فيقولون النعمان بن المنذر رجل من لحم ربي بين ولد ربيعة بن نصر أمه .

ولما هلك عمرو بن عدي ولي بعده على العرب وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ، ويقال له البدء ، وهو أول من تنصر من ملوك آل نصر وعمال الفرس ، وعاش فيما ذكر هشام بن الكلبي مائة وأربعة عشر سنة ، منها أيام سابور ثلاثاً وعشرين سنة ، وأيام هرمز بن سابور سنة واحدة ، وأيام بهرام بن هرمز ثلاث سنين ، وأيام بهرام بن ثمانى عشرة سنة ، ومن أيام سابور سبعون سنة . وهلك لعهد فولي مكانه ابنه عمرو بن امرئ القيس البدء ، فأقام في ملكه ثلاثين سنة بقية أيام سابور بن سابور ، ثم ولي مكانه أوس بن قلام العمليقي فيما قال هشام بن محمد ، وهو من بني عمرو بن عملاق ، فأقام في ولايته خمس سنين ثم سار به جحجبا بن عتيك بن لحم فقتله وولي مكانه . ثم هلك في عهد بهرام بن سابور ، وولى من بعده امرؤ القيس بن عمرو خمساً وعشرين سنة وهلك أيام يزدجرد الأثيم ، فولي مكانه ابنه النعمان بن امرئ القيس وأمّه شقيقة بنت ربيعة بن ذهب بن شيبان وهو صاحب الخورنق ، ويقال إن سبب بنائه إياه أن يزدجرد الأثيم دفع إليه ابنه بهرام جور ليربيه وأمره ببناء هذا الخورنق مسكناً له وأسكنه إياه ، ويقال : إن الصانع الذي بناه كان اسمه سنمار وإنه لما فرغ من بنائه ألقاه من أعلاه فمات من أجل محاورة وقعت اختلف الناس في نقلها والله أعلم بصحتها ، وذهب ذلك مثلاً بين العرب في قبح الجزاء ووقع في أشعارهم منه كثير . وكان النعمان هذا من أفحل ملوك آل نصر وكانت له سنانان إحداهما للعرب والأخرى للفرس ، وكان يغزو ما

العرب بالشام ويدّوخوا ، وأقام في ملكه ثلاثين سنة ثم زهد وترك الملك ولبس المسوح وذهب فلم يوجد له أثر .

قال الطبري : وأمّا العلماء بأخبار الفرس فيقولون إنّ الذي تولّى تربية بهرام هو المنذر بن النعمان بن امرئ القيس ، دفعه إليه يزدجرد الأثيم لإشارة كانت عنده فيه من المنجمين ، فأحسن تربيته وتأديبه وجاءه بمن يلقنه الخلال من العلوم والآداب والفروسية والنقابة^(١) حتى اشتمل على ذلك كله بما رضىه ، ثم رده إلى أبيه فأقام عنده قليلاً ولم يرض بحاله ، ووفد على أبيه وافد قيصر وهو أخوه قياودس ، فقصده بهرام أن يسأل له من أبيه الرجوع إلى بلاد العرب فرجع ، ونزل على المنذر . ثم هلك يزدجرد فاجتمع أهل فارس وولوا عليهم شخصاً من ولد أردشير وعدلوا عن بهرام لمرباه بين العرب وخلّوه عن آداب العجم ، وجهّز المنذر العساكر لبهرام لطلب ملكه ، وقدم ابنه النعمان فحاصر مدينة الملك ثم جاء على أثره بعساكر العرب وبهرام معه فأذعن له فارس وأطاعوه ، واستوهب المنذر ذنوبهم من بهرام فعفا عنهم واجتمع أمره . ورجع المنذر إلى بلاده وشغل باللهو وطمع فيه الملوك حوله ، وغزاه خاقان ملك الترك في خمسين ألفاً من العساكر ، وسار إليه بهرام فأنتهى إلى أذربيجان ثم إلى أرمينية . ثم ذهب يتصيد وخلف أخوه نرسي على العساكر فرماه أهل فارس بالحبس وأنه خار عن لقاء الترك ، فراسلوا خاقان في الصلح على ما يرضاه فرجع عنهم . وانتهى الخبر بذلك إلى بهرام فسار في اتباعه ونيته فانفض بعسكره وقتله بيده ، واستولى بهرام على ما في العساكر من الأثقال والذراري وظفر بتاج خاقان واكليه وسيفه بما كان فيه من الجواهر واليواقيت ، وأسر زوجته ، وغلب على ناحية من بلاده فولّى عليها بعض مرازبته وأذن له في الجلوس على سرير الفضة وأغزى ما وراء النهر فدانوا بالجزية ، وانصرف إلى أذربيجان فجعل سيف خاقان واكليه معلقاً بيت النار وأخدمه خاتون امرأة خاقان ، ورفع الخراج عن الناس ثلاث سنين شكراً لله تعالى على النصر ، وتصدّق بعشرين ألف ألف درهم مكرّرة مرّتين ، وكتب بالخبر إلى النواحي وولّى أخاه نرسي على خراسان واستوزر له بهر نرسي بن بدارة بن فرخزاد ، ووصل الطبري نسبه من هنا بعد أربعة فكان رابعهم أشك بن دارا وأغزى بهرام أرض الروم في أربعين ألفاً فأنتهى إلى القسطنطينية ورجع .

(١) سلوك طرق الجبال (قاموس) .

قال هشام بن الكلبي : ثم جاء الحرث بن عمرو بن حجر الكندي في جيش إلى بلاد معدّ والحيرة وقد تبع بن حسان بن تبع ، فسار إليه النعمان بن امرئ القيس بن الشقيقة وقاتله فقتل النعمان وعدة من أهل بيته وأنهزم أصحابه ، وأفلت المنذر بن النعمان الأكبر وأمه ماء السماء امرأة من اليمن ، وتشتت ملك آل النعمان ، وملك الحرث بن عمرو ما كانوا يملكونه . وقال غير هشام بن الكلبي : إن النعمان الذي قتله الحرث هو ابن المنذر بن النعمان وأمه هند بنت زيد مناة بن زيد الله بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وهو الذي أسرته فارس ، ملك عشرين سنة منها في أيام فيروز بن يزدجرد عشرين وأيام يلاوش بن يزدجرد أربع سنين وفي أيام قباد بن فيروز ست سنين .

قال هشام بن محمد الكلبي : ولما ملك الحرث بن عمرو ملك آل النعمان بعث إليه قباد يطلب لقاءه وكان مضعفاً فجاءه الحرث وصالحه على أن لا يتجاوز بالعرب الفرات ، ثم استضعفه فأطلق العرب للغارة في نواحي السواد وراء الفرات فسأله اللقاء بآبائه ، واعتذر إليه أشطاز العرب وأنه لا يضبطهم إلا المال فأقطعه جانباً من السواد ، فبعث الحرث إلى ملك اليمن تبع يستنهضه بغزو فارس في بلادهم ويخبره بضعف ملكهم ، فجمع وسار حتى نزل الحيرة وبعث ابن أخيه شمرا ذا الجناح إلى قباد فقاتله واتبع إلى الري فقتله ، ثم سار شمرا إلى خراسان وبعث تبع ابنه حسان إلى الصغد وأمرهما معا أن يدونا أرض الصين ، وبعث ابن أخيه يعفر إلى الروم فحاصر القسطنطينية حتى أعطوا الطاعة والأتاوة ، وتقدم إلى رومة فحاصرها . ثم أصابهم الطاعون ووهنوا له فوثب عليهم فقتلوهم جميعاً . وتقدم شمرا إلى سمرقند فحاصرها واستعمل الحيلة فيها فملكها ، ثم سار إلى الصين وهزم الترك ووجد أخاه حسان قد سبقه إلى الصين منذ ثلاث سنين فأقاما هنالك إحدى وعشرين سنة إلى أن هلك ، قال : والصحيح المتفق عليه أنها رجعا إلى بلادهما بما غنماه من الأموال والذخائر وصنوف الجواهر والطيوب . وسار تبع حتى قدم مكة ونزل شعب حجاز وكانت وفاته باليمن بعد أن ملك مائة وعشرين سنة ، ولم يخرج أحد بعده من ملوك اليمن غازياً . ويقال : إنه دخل في دين اليهود للأخبار الذين خرجوا معه من يثرب . وأما ابن اسحق فعنده أن الذي سار إلى المشرق من التبابعة تبع الأخير وهو تبان أسعد أبو كرب .

قال هشام بن محمد : وولّى أنوشروان بعد الحرث بن عمرو المنذر بن النعمان الذي أفلت يوم قتل أبوه ونزل الحيرة وأبوه النعمان الأكبر ، فلما قوي سلطان أنوشروان واشتد أمره بعث إلى المنذر فملكه الحيرة وما كان يليه الحرث بن عمرو آكل المزار فلم يزل كذلك حتى هلك . قال : وملك العرب من قبل الفرس بعد الأسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر وأمه ماوية بنت النعمان سبع سنين ، ثم ملك بعده النعمان بن الأسود ابن المنذر وأمه أم الملك أخت الحرث بن عمرو أربع سنين ، ثم استخلف أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدي بن الذميلة بن ثور بن أسد بن أري بن نمارة بن لخم ثلاث سنين ، ثم ملك المنذر بن امرئ القيس وهو ذو القرنين لصفيرتين كانتا له من شجره وأمه ماء السماء بنت عوف بن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر بن الضبيب بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط فملك تسعاً وأربعين سنة ، ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر وأمه هند بنت الحرث بن عمرو بن حجر آكل المزار ست عشرة سنة وثمان سنين من ملكه كان عام الفيل الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ولي عمرو بن هند شقيقه قابوس أربع سنين : سنة منها أيام أنوشروان وثلاثة أيام ابنه هرمز^(١) .

ثم ولي بعده أخوهما المنذر أربع سنين ، ثم ولي بعده النعمان بن المنذر وهو أبو قابوس إثنين وعشرين سنة منها ثمان سنين أيام هرمز وأربع عشرة أيام^(٢) أبرويز ، وفي أيام النعمان هذا اضحمل ملك آل نصر بالجزيرة وعليه انقرض ، وهو الذي قتله كسرى أبرويز وأبدل منه في الولاية على الحيرة والعرب باياس بن قبيصة الطائي ، ثم ردّ رياسة الحيرة لمرازمة فارس إلى أن جاء الإسلام وذهب ملك فارس . وكان الذي دعا أبرويز إلى قتله سعاية زيد بن عدي العبّادي فيه عند أبرويز بسبب أن النعمان قتل أباه عدي بن زيد ، وسياقة الخبر عن ذلك أن عدي بن زيد كان من تراجمة أبرويز وكان سبب قتل النعمان أن أباه وهوزيد بن حمّاد بن أيوب بن محروب بن عامر بن

(١) هنا عبارة ساقطة من الناسخ . أما الطبري فيقول :

«ولي قابوس بن المنذر أربع سنين من ذلك في زمن أنوشروان ثمانية أشهر وفي زمن هرمز بن أنوشروان ثلاث سنين وأربعة أشهر» ج ٢ ص ١٥٦ .

(٢) هنا أيضاً سقطت عبارة من الناسخ وعند الطبري «ثم ولي بعد النعمان بن المنذر أبو قابوس إثنين وعشرين سنة من ذلك في زمن هرمز بن أنوشروان سبع سنين وثمانية أشهر وفي زمن كسرى أبرويز بن هرمز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر» . ج ٢ ص ١٥٦ .

قيصة بن امرئ القيس بن زيد مناة والد عديّ هذا كان جميلاً شاعراً خطيباً وقارئاً كتاب العرب والفرس ، وكانوا أهل بيت يكونون مع الأكاسرة ويقطعونهم القطائع على أن يترجموا عندهم عن العرب ، وكان المنذر بن المنذر لماً ملك جعل ابنه النعمان في حجر عديّ فأرضعه أهل بيته ورباه قوم من أشراف الحيرة ينسبون إلى لخم ويقال لهم بنو مُرسي ، وكان للمنذر بن المنذر عشرة سوى النعمان يقال لهم الأشاهب لجمالهم ، وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش قصيراً أمّه سلمى بنت وائل بن عطية من أهل فدك كانت أمة للحرث بن حصن بن ضمضم بن عديّ بن جناب بن كلب ، وكان قابوس بن المنذر الأكبر عمّ النعمان بعث إلى أنوشروان بعديّ بن زيد وإخوته فكانوا في كتابه يترجمون له ، فلما مات المنذر أوصى على ولده إياس بن قيصة الطائي وجعل أمره كله بيده فأقام على ذلك شهراً ، ونظر أنوشروان فيمن يملكه على العرب وشاور عديّ بن زيد واستنصحه في بني المنذر فقال بقيتهم في بني المنذر بن المنذر ، فاستقدمهم كسرى وأنزلهم على عديّ ، وكان هواه مع النعمان ، فجعل يرعى إخوته تفضيلهم عليه ، ويقول لهم : إن أشار عليكم كسرى بالملك وبمن يكفوه أمر العرب تكفلوا بشأن ابن أخيكم النعمان ، ويسر للنعمان أن سأل كسرى عن شأن إخوته أن يتكفله ويقول : إن عجزت عنهم فأنا عن سواهم أعجز . وكان مع أخيه الأسود بن المنذر رجل من بني مُرسي الذين ربوهم إسمه عديّ بن أوس بن مُرسي فنصحه في عديّ وأعلمه أنه يغشه فلم يقبل . ووقف كسرى على مقالاتهم ، فقال إلى النعمان وملّكه وتوجه بقيمة ستين ألف دينار ورجع إلى الحيرة ملكاً على العرب ، وعديّ بن أوس في خدمته ، وقد أضمر السعاية بعديّ بن زيد فكان يظهر الثناء عليه ويتواصى به مع أصحابه وأن يقولوا مثل قوله ، إلا أنه يستصغر النعمان ويزعم أنه ملكه وأنه عامله حتى آسفوه بذلك ، وبعث إليه في الزيارة فاتاه وحبسه ثم ندم وخشي عاقبة إطلاقه فجعل يمينه . ثم خرج النعمان إلى البحرين وخالفه جفنة ملك غسان إلى الحيرة وغار عليها ونال منها ، وكان عديّ بن زيد كتب إلى أخيه عند كسرى يشعره بطلب الشفاعة من كسرى إلى النعمان ، فجاء الشفيع إلى الحيرة وبها خليفة النعمان ، وجاء إلى عديّ فقال له : أعطني الكتاب أبعثه أنا ولازمي أنت هنا لئلا أقتل . وبعث أعداؤه من بني ببيعة إلى النعمان بأن رسول كسرى دخل عنده فبعث من قتله . فلما وفد وفد كسرى في الشفاعة أظهر له الإجابة وأحسن له بأربعة آلاف دينار

وجارية وأذن له أن يخرج من محبسه فوجده قد مات منذ ليل ، فجاء إلى النعمان
مُثراً^(١) فقال : والله لقد تركته حياً . فقال : وكيف تدخل إليه وأنت رسول إليّ ؟
فطرده فرجع إلى كسرى وأخبره بموته وطوى عنه ما كان من دخوله إليه .

ثم ندم النعمان على قتله ، ولقي يوماً وهو يتصيد ابنه زيداً فاعتذر إليه من أمر أبيه ، وجهّزه
إلى كسرى ليكون خليفة أبيه على ترجمة العرب . فأعجب به كسرى وقربه وكان أثيراً
عنده ، ثم إن كسرى أراد خطبة بنات العرب فأشار عليه عديّ بالخطبة في بني منذر
فقال له كسرى : اذهب إليهم في ذلك ، فقال : إنهم لا ينكحون العجم ويستربون
في ذلك فابعث معي من يفقه العربية فلعلي آتيك بغرضك . فلما جاء إلى النعمان قال
لزيد : أما في غير السواد وفارس ما يغنيكم عن بناتنا ؟ وسأل الرسول عن العير فقال
له زيد : هي البقر . ثم رجعا إلى كسرى بالخبيبة ، وأغراه زيد فغضب كسرى وحقد
على النعمان . ثم استقدمه بعد حين لبعض حاجاته وقال له : لا بدّ من المشافهة لأنّ
الكتاب لا يسعها . ففطن فذهب إلى طيء وغيرهم من قبائل العرب ليمنعوه ، فأبوا
وفرقوا من معاداة كسرى ، إلّا بني رواحة بن سعد من بني عبس ، فإنهم أجابوه لو
كانوا يغنون عنه فعذرهم ، وانصرف عنهم إلى بني شيبان بذي قار والرياسة فيهم
لهانئ بن مسعود بن عامر بن الخطيب بن عمرو المزدكف ابن أبي ربيعة بن ذهل
بن شيبان ، ولقيس بن خالد بن ذي الخدين . وعلم أن هانئاً يمنعوه وكان كسرى قد
أقطعه ، فرجّع إليه النعمان ماله ونعمه وحلقته وهي سلاح ألف فارس شاكة ،
وسار إلى كسرى ، فلقاه زيد بن حدي بساباط وتبين الغدر ، فلما بلغ إلى كسرى
قيّده وأودعه السجن إلى أن هلك فيه بالطاعون ودعا ذلك إلى واقعة ذي قار بين
العرب وفارس .

وذلك أن كسرى لما قتل النعمان استعمل إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة مكان
النعمان ليده التي أسلفها طيء عند كسرى يوم واقعة بهرام على أبرويز ، وطلب من
النعمان فرسه ينجو عليها فأبى واعترضه حسان بن حنظلة بن جنة الطائي وهو ابن عم
إياس بن قبيصة فأركبه فرسه ونجا عليه ، ومرّ في طريقه بإياس فأهدى له فرساً
وجزوراً ، فرعى له أبرويز هذه الوسائل وقدم إياساً مكان النعمان . وهو إياس بن
قبيصة بن أبي عفر بن النعمان بن جنة . فلما هلك النعمان بعث إياس إلى هانئ بن

(١) ثربه ثرباً : لأمه ، قبح عليه فعله (قاموس) .

مسعود في حلقة النعمان ، ويقال كانت أربعمائة درع وقيل ثمانمائة ، فمنعها هانيء وغضب كسرى وأراد استئصال بكر بن وائل ، وأشار عليه النعمان بن زرعة من بني تغلب أن يمهّل إلى فصل القيظ عند ورودهم مياه ذي قار . فلما قاطوا ونزلوا تلك المياه جاءهم النعمان بن زرعة يخبرهم في الحرب واعطاء اليد فاختراروا الحرب ، اختاره حنظلة بن سنان العجلي وكانوا قد ولّوه أمرهم وقال لهم إنما هو الموت قتلاً إن أعطيتم باليد أو عطشاً إن هربتم وربما لقيكم بنو تميم فقتلوكم . ثم بعث كسرى إلى إياس بن قبيصة أن يسير إلى حربهم ويأخذه معه مسالح فارس وهم الجند الذين كانوا معه بالقططانية وبارق وتغلب ، وبعث إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الخدين وكان على طف شقران أن يوافي إياساً ، فجاءت الفرس معها الجنود والأفيال عليها الأساورة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالمدينة فقال : اليوم انتصف العرب من العجم ونصروا ، وحفظ ذلك اليوم فإذا هو يوم الواقعة .

ولما تواقف الفريقان جاء قيس بن مسعود إلى هانيء وأشار عليه أن يفرّق سلاح النعمان على أصحابه ففعل ، واختلف هانيء بن مسعود وحنظلة بن ثعلبة بن سنان ، فأشار هانيء بركوب الفلاة وقطع حنظلة حزم الرجال وضرب على نفسه وآلى أن لا يفرّ . ثم استقوا الماء لنصف شهر ، واقتتلوا وهرب العجم من العطش واتبعهم بكر وعجل ، فاصطف العجم وقاتلوا وصبروا وراسلت إياد بكر بن وائل إنّا نفرّ عند اللقاء فصحبوهم ، واشتدّ القتال وقطعوا الآمال حتى سقطت الرجال إلى الأرض ثم حملوا عليهم ، واعترضهم يزيد بن حمّاد السكوني في قومه كان كميناً أمامهم فشدّوا على إياس بن قبيصة ومن معه من العرب فولّت إياد منهزمة ، وانهزمت الفرس وجاوزوا الماء في حرّ الظهرية في يوم قائف فهلكوا أجمعين قتلاً وعطشاً . وأقام إياس في ولاية الحيرة مكان النعمان ومعه الهمرجان من مرازية فارس تسع سنين ، وفي الثامنة منها كانت البعثة وولي بعده على الحيرة آخر من المرازية اسمه زاذويه بن ماهان الهمداني سبع عشرة سنة إلى أيام بوران بنت كسرى . ثم ولي المنذر بن النعمان بن المنذر وتسميه العرب الغرور الذي قتل بالبحرين يوم أجداث .

ولما زحف المسلمون إلى العراق ونزل خالد بن الوليد الحيرة حاصرهم بقصورها فلما أشرفوا على الهلكة خرج إليهم إياس بن قبيصة في أشراف أهل الحيرة وأتقى من خالد والمسلمين بالجزية ، فقبلوا منه وصالحهم على مائة وستين ألف درهم ، وكتب لهم

خالد بالعهد والأمان وكانت أول جزية بالعراق . وكان فيهم هانيء بن قبيصة أخو
إياس بن قبيصة بالقصر الأبيض ، وعدي بن عدي العبادي ابن عبد القيس ، وزيد
بن عدي بقصر العدسيين ، وأهل نصر بن عدس من قصور الحيرة وهو بنو عوان بن
عبد المسيح بن كلب بن وبرة وأهل قصر بني ببيعة لأنه خرج على قومه في بردين
أخضرين فقالوا : يا حارث ما أنت إلا ببيعة خضراء وعبد المسيح هذا هو المعمر وهو
الذي بعثه كسرى أبرويز إلى سطيح في شأن رؤيا المرزبان .

ولما صالح إياس بن قبيصة المسلمين وعقد لهم الجزية سخطت عليه الأكاسرة
وعزلوه ، فكان ملكه تسع سنين ولسته منها وثمانية أشهر كانت البعوث ، وولي حينئذ
الخلافة عمر بن الخطاب وعقد لسعد بن أبي وقاص على حرب فارس ، فكان من
أول عمل يزيد جرد أن أمر مرزبان الحيرة أن يبعث قابوس بن قابوس بن المنذر وأغراه
بالعرب ووعدته بملك آبائه ، وقال له : ادع العرب وأنت على من أجابك منهم كما
كان آبائك ، فنهض قابوس إلى القادسية ونزلها وكاتب بكر بن وائل بمثل ما كان
للنعمان فكاتبهم مقاربة ووعداً ، وانتهى الخبر إلى المثنى بن حارثة الشيباني عقب
مهلك أخيه المثنى وقبل وصول سعد ، فأسرى من ذي قار وبيت قابوس بالقادسية
ففض جمعه وقتله ، وكان آخر من بقي من ملوك آل نصر بن ربيعة وانقرض أمرهم
مع زوال ملك فارس . أهد كلام الطبري وما نقله عن هشام بن الكلبي .

وقد كان المغيرة بن شعبة تزوج هنداً بنت النعمان ، وسعد بن أبي وقاص تزوج صدقة
بنت النعمان ، وخبرهما معروف ذكره المسعودي وغيره . وعدة ملوك آل نصر عند
هشام بن الكلبي عشرون ملكاً ومدتهم خمسمائة وعشرون سنة ، وعند المسعودي
ثلاث وعشرون ملكاً ومدتهم ستمائة وعشرون سنة . قال : وقد قيل إن مدة عمران
الحيرة إلى أن خربت عند بناء الكوفة خمسمائة سنة ، قال : ولم يزل عمرانها يتناقص
إلى أيام المعتضد ثم أقفرت . وفيما نقله بعض الإخباريين أن خالد بن الوليد قال لعبد
المسيح : أخبرني بما رأيت من الأيام ؟ قال : نعم . قال : رأيت المرأة من الحيرة
تضع مكتلها على رأسها ثم تخرج حتى تأتي الشام في قرى متصلة وبساتين ملتفة وقد
أصبحت اليوم خراباً والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

هذا ترتيب الملوك من ولد نصر بن ربيعة بن كعب بن عمرو بن عدي الأول منهم وهو
الترتيب الذي ذكره الطبري عن ابن الكلبي وغيره ، وبين الناس فيه خلاف في

ترتيب ملوكهم ، بعد اتفاقهم على أن الذي ملك بعد عمرو بن عديّ ابنه امرؤ القيس ثم ابنه عمرو بن امرئ القيس وهو الثالث منهم . قال علي بن عبد العزيز الجرجاني في أنسابه بعد ذكر عمرو هذا : ثم ثار أوس بن قلام العِمَلَقِيّ وملك فثار به جحجب بن عتيك اللّخميّ فقتله وملك ، ثم ملك من بعده امرؤ القيس البدء بن عمرو الثالث ، ثم ملك من بعده ابنه النعمان الأكبر ابن امرئ القيس بن الشقيقة وهو الذي ترك الملك وساح ، ثم ملك من بعده ابنه المنذر ، ثم ابنه الأسود بن المنذر ، ثم أخوه المنذر بن المنذر ، ثم النعمان بن الأسود بن المنذر ، ثم أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عديّ بن الذميل بن ثور بن أسنش بن زبي بن نمارة بن لحم ، ثم ملك من بعده امرؤ القيس بن النعمان الأكبر ، ثم ابنه امرؤ القيس ، ثم كان أمر الحرث بن عديّ الكندي حتى تصالحها وتزوج المنذر بنته هنداً فولدت له عمراً ، ثم ملك بعد المنذر عمرو بن هند ، ثم قابوس بن المنذر أخوه ، ثم المنذر بن المنذر أخوه الآخر ، ثم ابنه النعمان بن المنذر . هكذا نسبه الجرجاني وهو موافق لترتيب الطبري إلا في الحرث بن عمرو الكندي فإن الطبري جعله بعد النعمان الأكبر بن امرئ القيس وابن المنذر ، والجرجاني جعله بعد المنذر بن امرئ القيس بن النعمان وبين هذا المنذر والمنذر بن النعمان الأكبر خمسة من ملوكهم فيهم أبو يعفر بن الذميل ، فآله أعلم بالصحيح من ذلك .

وأما المسعودي فخالف ترتيبهم فقال : بعد النعمان الأكبر ابن امرئ القيس وسمّاه قائد الفرس ملك خمسا وستين سنة ، ثم ملك ابنه المنذر خمسا وعشرين سنة وهذا مثل ترتيب الطبري والجرجاني . ثم خالفها وقال : وملك النعمان بن المنذر الحيرة وهو الذي بنى الخورنق خمسا وثلاثين سنة ، وملك الأسود بن النعمان عشرين سنة ، وملك ابنه المنذر أربعين سنة وأمه ماء السماء من النمر بن قاسط من ربيعة وبها عرف ، وملك ابنه عمرو بن المنذر أربعاً وعشرين سنة ، ثم ملك بعده أخوه النعمان وأمه مامة وقتله كسرى وهو آخرهم . هكذا ساق المسعودي نسق ملوكهم ونسبهم وهو مخالف لما ذكره الطبري والجرجاني .

وقال السهيلي : كان للمنذر بن ماء السماء من الولد المملكين عمرو والنعمان وكان عمرو لهند بنت الحرث آكل المرار قال : وكان عمرو هذا من أعظم ملوك الحيرة ويعرف بمُحَرِّق لأنه حرق مدينة المُلهم عند اليمامة ، وكان يملك من قبل كِسرى

أنوشروان ، ومن بعده ملك أخوه النعمان بن المنذر وأمه مامة وقتله كسرى ابرويز بن هرمز بن أنوشروان لموجدة وجدها بسعاية زيد بن عديّ بن زيد العبادي ، وساق قصة مقتله وولاية إياس بن قبيصة الطائي من بعده وما وقع بعد ذلك من حرب ذي قار وغلب العرب فيها على العجم إلى آخرها . فإله أعلم بالصحيح في ترتيب ملوكهم .

وقال ابن سعيد : أول حديثهم في الملك أن بني نمارة كانوا جنداً للعالمقة بأطراف الشام والجزيرة وكانوا مع الزبّاء ، ولما قتلت جذيمة قام عمرو بن عديّ منهم بثأره ، وكان ابن أخته حتى أدركه وقتلها وبني الحيرة على فرع من الفرات في أرض العراق .

وقال صاحب تواريخ الأمم : ملك مائة وثمانية وعشرين سنة أيام ملوك الطوائف ، وبعده امرؤ القيس بن عمرو ، ولما مات ولّى أردشير بن سابور على الحيرة أوس بن قلام من العالمقة ، ثم كان ملك الحيرة فوليا امرؤ القيس بن عمرو بن امرئ القيس المعروف بمُحَرِّق قال وهو المذكور في قصيدة الأسود بن يعفر التي على رويّ الدال .

وبعده ابنه النعمان بن شقيقة وهي من بني شيبان وجعل معه كسرى والياً للفرس وهو باني الخورتق والسريز على مياه الفرات ، وملك إلى أن ساح وترهّد ثلاثين سنة ، وذكره عديّ بن زيد في شعره . وملك بعده ابنه المنذر وهو الذي سعى لبهرام جور في الملك حتى تم له وملك أربعاً وأربعين سنة ، وملك بعده ابنه الأسود ، ثم أخوه المنذر بن المنذر ثم النعمان بن الأسود وغضب عليه كسرى وولّى مكانه الذميل بن لخم من غربييت الملك ، ثم عاد الملك إليهم فولّى امرؤ القيس بن النعمان الأكبر وهو ابن الشقيقة وهو الذي غزا بكر بن وائل ، وملك بعده ابنه المنذر بن ماء السماء وهي أمّه أخت كليب سيد وائل وطالبه قباد باتباع مَزْدَك على الزندقة فأبى ، وولّى مكانه الحرث بن عمرو ابن حجر الكندي ، ثم ردّه أنوشروان إلى ملك الحيرة وقتله الحرث الأعرج الغساني يوم حليلة كما يأتي . وملك بعده ابنه عمرو بن هند وهي ^(١) مامة عمة امرئ القيس بن حجر المعروف بمُضْطَرِط الحجارة لشدة بأسه ، وهو مُحَرِّقُ الثاني حرق بني دَارِم من تميم لأنهم قتلوا أخاه وحلف لِيَحْرِقَنَّ منهم مائة فحرقهم وملك ستة عشرة سنة أيام أنوشروان ، فتك به في رواق بين الحيرة والفرات عمرو بن كلثوم سيد تغلب ونهبوا حياؤه ^(٢) . وملك بعده أخوه قابوس بن هند وكان أعرج وقتله بعض بني يشكر فولّى

(١) يعني أن أمه مامة وقد مرّ ذكره من قبل .

(٢) بمعنى النبات .

أنوشروان على الحيرة بعض مرازمة الفرس فلم تستقم له طاعة العرب ، فولّى عليهم المنذر بن المنذر بن ماء السماء فخرج إلى جهة الشام طالباً ثأراً أبيه من الحرث الأعرج الغساني فقتله الحرث أيضاً يوم أباغ . وملك بعده ابنه النعمان بن المنذر وكان ذميماً أشقر أبرش ، وهو أشهر ملوك الحيرة وعليه كثرت وفود العرب وطلبه بثأر أبيه ، وحرد من بني جفنة حتى أسر خلقاً كثيراً من أشرافهم ، وحمله عدي بن زيد على أن تنصر وترك دين آبائه ، وحبس عدياً فشفع كسرى فيه بسعاية أخ له كان عنده فقتله النعمان في محبسه ، ثم نشأ ابنه زيد بن عدي وصار ترجيماً لكسرى ، فأغراه بالنعمان وحضر مع كسرى أبرويز في وقعة بين الفرس والروم وانهمزت الفرس ونجا النعمان على فرسه التخوم بعد أن طلبه منه كسرى ينجو عليه فأعرض عنه ، ونزل له إياس بن قبيصة الطائي عن فرسه فنجا عليه ، ووفد عليه النعمان بعد ذلك فقتله وولّى على الحيرة إياس بن قبيصة ، فلم تستقم له طاعة العرب وغضبوا لقتل النعمان ، وكان لهم على الفرس يوم ذي قار سنة ثلاث من البعثة ، ومات إياس وصارت الفرس يولّون على الحيرة منهم إلى أن ملكها المسلمون .

وذكر البيهقي : أن دين بني نصر كان عبادة الأوثان ، وأول من تنصر منهم النعمان بن الشقيقة وقيل بل النعمان الأخير . وملك العرب بتلك الجهات ابنه المنذر فقتله جيش أبي بكر رضي الله عنه . وفي تواريخ الأمم أن جميع ملوك الحيرة من بني نصر وغيرهم خمسة وعشرون ملكاً في نحو ستمائة سنة والله أعلم ، وهذا الترتيب مساوٍ لترتيب الطبري والجرجاني والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

المذنب بن النعمان بن المذنب

النعمان الاسود

المندر بن امرئ القيس

المنذر بن المنذر

بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي

أوس بن قلام العمليقي
جحجب بن عتيك اللخمي

ابن نصر بن ربيعة

— تہا ایا یستوی بنہ سقا
تہا بنی ایا بنہ عمرو بنہ تہا

—الشمس عليه السلام أبو يعقوب بن

(هذه الشجرة على ما عند الطبري والجرجاني وابن سويد)

ملوك كندة

الخبر عن ملوك كندة من هذه الطبقة ومبدأ أمرهم
وتصاريف أحوالهم

قال الطبري عن هشام بن محمد الكلبي : كان يخدم ملوك حمير أبناء الأشراف من حمير وغيرهم وكان ممن يخدم حسّان بن تبع عمرو بن حجر سيد كندة لوقته وأبوه حجر هو الذي تسمّيه العرب آكل المِرار وهو حجر بن عمرو بن معاوية بن الحرث الأصغر ابن معاوية بن الحرث الأكبر ابن معاوية بن كندة ، وكان أخا حسّان بن تبع لأُمّه ، فلما دَوَّخ حسّان بلاد العرب وسار في الحجاز وهمّ بالإنصراف ولّى على معدّ بن عدنان كلّها أخا حجر بن عمرو هذا وهو آكل المِرار ، فدانوا له وسار فيهم أحسن سيرة ، ثم هلك وملك من بعده ابنه عمرو المقصور .

قال الطبري عن هشام : ولما سار حسّان إلى جدّيس خلفه على بعض أمور ملكه في حمير ، فلما قتل حسّان وولي بعده أخوه عمرو بن تبع وكان ذا رأيٍ ونبلٍ ، فأراد أن يكرم عمرو بن حجر بما نقصه من ابن أخيه حسّان ، فزوَّجه بنت أخيه حسّان بن تبع ، وتكلّمت حمير في ذلك وكان عندهم من الأحداث التي ابتلوا بها أن يتزوَّج في ذلك البيت أحد من العرب سواهم ، فولدت بنت حسّان لعمرو بن حجر الحرث بن عمرو . وملك بعد عمرو بن تبع عبد كلال بن متون أصغر أولاد حسّان ، واستهوت الجنّ منهم تبع بن حسّان فولوا عبد كلال مخافة أن يطمع في ملكهم أحد من بيت الملك ، فولي عبد كلال لسُرورَ حمة ، وكان على دين النصرانية الأولى وكان ذلك يسوء قومه ، ودعا إليه رجل من غسّان قدم عليه من الشام ، ووَثب حمير بالغسّاني فقتلوه . ثم رجع تبع بن حسّان من استهواء الجنّ وهو أعلم الناس بنجم وأعقل من يعلم في زمانه وأكثرهم حديثاً عما كان ويكون ، فملك على حمير وهابته حمير والعرب ، وبعث بابن أخته الحرث بن عمرو بن حجر الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معدّ والحيرة وما والاها ، فسار إلى النعمان بن امرئ القيس بن الشقيقة فقاتله فقتل النعمان وعدّة من أهل بيته وهزم أصحابه ، وأفلت المنذر بن النعمان الأكبر وأُمّه ماء السماء امرأة من النمر بن قاسط وذهب ملك آل النعمان وملك الحرث بن عمرو وما

وفي كتاب الأغاني قال : لما ملك قباذ ، وكان ضعيف الملك ، توثبت العرب على المنذر الأكبر ابن ماء السماء وهو ذو القرنين ابن النعمان بن الشقيقة فأخرجوه ، وإنما سمي ذا القرنين لذؤابتين كانتا له ، فخرج هاربا منهم حتى مات في إياد ، وترك ابنه المنذر الأصغر فيهم وكان أنكى ولده ، وجاءوا بالحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار فملكوه على بكر وحشدوا له وقاتلوا معه ، وظهر على من قاتله من العرب . وأبى قباذ أن يمد المنذر بجيش فلما رأى ذلك كتب إلى الحرث بن عمرو : إني في غير قومي وأنت أحق من ضمني وأنا متحول إليك فحولته وزوجه بته هنداً .

وقال غير هشام بن محمد : ان الحرث بن عمرو لما ولي على العرب بعد أبيه اشتدت وطأته وعظم بأسه ونازع ملوك الحيرة وعليهم يومئذ المنذر بن امرئ القيس وبين لهم إذ ولي كسرى قباذ بعد أبيه فيروز بن يزدجرد وكان زنديقاً على رأي ماني ، فدعا المنذر إلى رأيه فأبى عليه وأجابه الحرث بن عمرو فملكه على العرب وأنزله بالحيرة ، ثم هلك قباذ وولي ابنه أنوشروان فردّ ملك الحيرة إلى المنذر ، وصالحه الحرث على أن له ما وراء نهر السواد فاقسما ملك العرب . وفرق الحرث ولده في معدّ فملك حجراً على بني أسد ، وشرحيل على بني سعد والرباب ، وسلمة على بكر وتغلب ، ومعديكرب على قيس وكنانة . ويقال : بل كان سلمة على حنظلة وتغلب ، وشرحيل على سعد والرباب وبكر ، وكان قيس بن الحرث سيارة أي قوم نزل بهم فهو ملكهم . وفي كتاب الأغاني إنه ملك ابنه شرحيل على بكر بن وائل ، وحنظلة على بني أسد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب وغلفا وهو معديكرب على قيس ، وسلمة بن الحرث على بني تغلب والنمر بن قاسط والنمر بن زيد مناة . أهد كلام الأغاني .

فأما شرحيل : فإنه فسد ما بينه وبين أخيه سلمة واقتتلوا بالكلاب ما بين البصرة والكوفة ، على سبع من اليمامة وعلى تغلب السفاح وهو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تميم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب ، وسبق إلى الكلاب سفيان بن مجاشع بن دارم من أصحاب سلمة في تغلب مع إخوته لأمه . ثم ورد سلمة وأصحابه فاقتتلوا عامة يومهم ، وخذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل ، وانصرفت بنو سعد وأتباعها عن تغلب ، وصبر بنو بكر وتغلب ليس معهم غيرهم إلى الليل ، ونادى منادي سلمة في ذلك اليوم من يقتل شرحيل ولقاتله مائة من الإبل ،

فقتل شرحبيل في ذلك اليوم قتله عصيم بن النعمان بن مالك بن غياث بن سعد بن زهير بن بكر بن حبيب التغلبي . وبلغ الخبر إلى أخيه معديكرب فاشتدّ جزعه وحزنه على أخيه وزاد ذلك حتى اعتراه منه وسواس هلك به ، وكان معتزلاً عن الحرث ومنع بنو سعد بن زيد مناة عيال شرحبيل وبعثوا بهم إلى قومهم ، فعل ذلك عوف بن شحنة بن الحرث بن عطار بن عوف بن معد بن كعب . وأما سلمة ، فإنه فلج فمات .

وأما حجر بن الحرث : فلم يزل أميراً على بني أسد إلى أن بعث رسله في بعض الأيام لطلب الأتاوة من بني أسد فمنعوها وضربوا الرسل ، وكان حجر بتهامة فبلغه الخبر ، فسار إليهم في ربيعة وقيس وكنانة فاستباحهم وقتل أشرافهم وسرواتهم وحبس عبيد ابن الأبرص في جمع منهم فاستعطفه بشعر بعث به إليه فسرحه وأصحابه وأوفدهم ، فلما بلغوا إليه هجموا عليه بيته فقتلوه وتولّى قتله علباء بن الحرث الكاهلي كان حجر قتل أباه ، وبلغ الخبر امرئ القيس فحلف أن لا يقرب لذة حتى يدرك بثأره من بني أسد ، وسار صريحاً إلى بني بكر وتغلب فنصروه وأقبل بهم فأجفل بنو أسد ، وسار إلى المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة وأوقع امرؤ القيس في كنانة فأثنى فيهم ، ثم سار في اتباع بني أسد إلى أن أعيا ولم يظفر منهم بشيء ورجعت عنه بكر وتغلب ، فسار إلى مؤثر الخير بن ذي جدن من ملوك حمير صريحاً بنصره بخمسمائة رجل من حمير ويجمع من العرب سواهم ، وجمع المنذر لامرئ القيس ومن معه ، وأمدّه كسرى أنوشروان بجيش من الأساورة والتقوا فانهزم امرؤ القيس ، وفرت حمير ومن كان معه ونجا بدمه وما زال يتنقل في القبائل والمنذر في طلبه وسار إلى قيصر صريحاً فأمدّه ، ثم سعى به الطمّاح عند قيصر أنه يشبب بيته ، فبعث إليه بحلّة مسمومة كان فيها هلاكه ودفن بأنقرة .

قال الجرجاني ولا يعلم لكندة بعد هؤلاء ملوك اجتمع لهم أمرها وأطيع فيها سوى أنهم قد كان لهم رياسة ونباهة وفيهم سؤدد حتى كانت العرب تسميهم كندة الملوك ، وكانت الرياسة يوم جبلة على العساكر لهم ، فكان حسّان بن عمرو بن الجهور على تميم ومعاوية بن شرحبيل بن حصن على بني عامر والجهور هو معاوية بن حجر آكل المرار أخو الملك المقصور عمرو بن حجر . والله وارث الارض ومن عليها .

وفي كتاب الأغاني : أن امرئ القيس لما سار إلى الشام نزل على السموأل بن عاديا

بالأبلى بعد إيقاعه ببني كنانة على أنهم بنو أسد وتفرق عنه أصحابه كراهيةً لفعله ، واحتاج إلى الهرب فطلبه المنذر بن ماء السماء وبعث في طلبه جموعاً من إياد وبهرا وتنوخ وجيوشاً من الأساورة أمده بهم أنوشروان ، وخذلته حمير وتفرقوا عنه فالتجأ إلى السموأل ومعه أدرع خمسة مسمّاة كانت لبني آكل المِرار يتوارثونها ، ومعه بنته هند وابن عمه يزيد بن الحرث بن معاوية بن الحرث ومال وسلاح كان بقي معه والربيع بن ضُبُع بن نِزارة ، وأشار عليه الربيع بمدح السموأل فمدحه ونزل به ، فضرب لابنته قبة وأنزل القوم في مجلس له براح ، فمكثوا ما شاء الله . وسأله امرؤ القيس أن يكتب له إن الحرث بن أبي شمر يوصله إلى قيصر ففعل واستصحب رجلاً يدلّه على الطريق وأودع ابنته وماله وأدراعه السموأل ، وخلف ابن عمه يزيد بن الحرث مع ابنته هند ونزل الحرث بن ظالم غازياً على الأبلى ، ويقال الحرث بن أبي شمر ويقال ابن المنذر ، وبعث الحرث بن ظالم ابنه يتصيد ويهدّده بقتله فأبى من اخفار ذمته وقتل ابنه فضرب به المثل في الوفاء بذلك ^(١) .

وأما نسب السموأل فقال ابن خليفة عن محمد بن سالم البَيْكَنْدِيّ عن الطوسي عن ابن حبيب : إنه السموأل بن عريض بن عاديا بن حيا ، ويقال إن الناس يدرجون عريضاً في النسب ونسبه عمرو بن شبة ولم يذكر عريضاً ، وقال عبدالله بن سعد عن دارم بن عِقَال : من ولد السموأل بن عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو ابن عامر مزيقيا وهذا عندي محال لأن الأعشى أدرك سريج بن السموأل وأدرك الإسلام ، وعمرو مزيقيا قديم لا يجوز أن يكون بينه وبين السموأل ثلاثة آباء ولا عشرة ، وقد قيل إن أمه من غسان وكلهم قالوا هو صاحب الحصن المعروف بالأبلى بتيما المشهور بالزباء ، وقيل من ولد الكوهن بن هارون ، وكان هذا الحصن لجدّه

(١) الواقع ان ابن السموأل هو الذي كان في رحلة صيد ، وعند عودته الى الحصن وجده محاصراً ، فالقى قائد الحملة القبض عليه ونادى والده السموأل ليرى ابنه ، واطل السموأل فرأى ابنه اسيراً والسيف فوق عنقه ، فهدد القائد السموأل بقتل ابنه اذا لم يسلم الأمانة ولكن السموأل ابى تسليم الأمانة وبذلك يقول الأعشى :

كن كالسموأل اذا طاف الهام به في جحفل كهزيغ الليل جرار
اذ سامه خطي خسف فقال له : قل ما تشاء فإني سامع حار
فقال : غدر وثكل انت بينهما فاختر ومما فيها حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له : اقتل أسيرك اني مانع جاري

عاديا ، واحتفر فيه أروية عذبةً وتنزل به العرب فتصيبها وتمتار من حصنه وتقيم هنالك سوقاً اهـ كلام الأغاني .

وقال ابن سعيد : كِنْدَةُ لَقَبٌ لثور بن عفير بن الحرث بن مُرَّة بن أدد بن يشجب بن عبيد الله بن زيد بن كهلان ، وبلادهم في شرقي اليمن ، ومدينة ملكهم دَمُون ، وتوالى الملك منهم في بني معاوية بن عترة ، وكان التبابعة يصاهرونهم ويولونهم على بني معدّ ابن عدنان بالحجاز ، فأول من وليّ منهم حجر آكل المرار ابن عمرو بن معاوية الأكبر وولاهُ تُبَع بن كِرب الذي كسا الكعبة ، ووليّ بعده ابنه عمرو بن حجر ، ثم ابنه الحرث المقصور وهو الذي أبى أن يترندق مع قَبَّاذ ملك الفرس فقتل في بني كلب ونهب ماله ، وكان قد وليّ أولاده على بني معدّ فقتل أكثرهم ، وكان على بني أسد منهم حجر بن الحرث فجار عليهم فقتلوه ، وتجرد للطلب بثأره ابنه امرؤ القيس ، وسار إلى قيصر فأغراه به الطماح الأسديّ . وقال : إنه يتغزل بينات الملوك فألبسه حُلَّة مسمومةً تقطع بها . وقال صاحب التواريخ ، إنَّ الملك انتقل بعدهم إلى بني جبلة بن عديّ بن ربيعة بن معاوية الأكرمين ، واشتهر منهم قيس بن معديكرب بن جبلة ومنه الأعشى وابنته العمرّدة من مرّة الإنس ولها في قتال المسلمين أخبار في الردة ، وأسلم أخوها الأشعث ثم ارتد بعد الوفاة واعتصم بالحبر ، ففتحته جيش أبي بكر رضي الله عنه وجيء به إليه أسيراً فنّ عليه وزوجه أخته وخرج من نسله بنو الأشعث المذكورون في الدولة الأموية .

ومن بطون كِنْدَةِ السكون والسكاسك ، وللسكاسك مجالات شرقي اليمن متميزة وهم معروفون بالسحر والكهانة ، ومنهم تَجِيبُ بطن كبير كان منهم بالأندلس بنو صُمَادِح وبنو ذي النون وبنو الأفطس من ملوك الطوائف . والله تعالى وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين لا ربّ غيره .

امرؤ القيس بن حجر — بن الحارث بن عمرو بن حجر بن معاوية بن الحارث الاصفر ابن معاوية بن الحارث الاكبر ابن معاوية بن كندة
 معد يكرب — شرحبيل —
 رستم —
 —

الخبر عن أبناء جفنة ملوك غسان بالشام من هذه الطبقة وأوليتهم ودولهم وكيف انساق الملك اليهم ممن قبلهم

أول مُلْك كان للعرب بالشام فيما علمناه للعمالقة ، ثم لبني إرم بن سام ويعرفون بالأرمانيين . وقد ذكرنا خلاف الناس في العمالقة الذين كانوا بالشام هل هم من ولد عمليق بن لاوذ بن سام أو من ولد عماليق بن أليفاز بن عيصو ، وأن المشهور والمتعارف أنهم من عمليق بن لاوذ . كان بنو إرم يومئذ باديةً في نواحي الشام والعراق ، وقد ذكروا في التوراة ، وكان لهم مع ملوك الطوائف حروب كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك كله من قبل ، وكان آخر هؤلاء العمالقة ملك السُمَيْدَع بن هوثر وهو الذي قتله يوشع بن نون حين تغلب بنو إسرائيل على الشام ، وبقي في عقبه ملك في بني الظرب بن حسان من بني عاملة العماليق ، وكان آخرهم ملكا الزبّا بنت عمرو بن السُمَيْدَع . وكانت قُضاعة مجاورين لهم في ديارهم بالجزيرة وغلبوا العمالقة لما فشل ربحهم . فلما هلكت الزبّا وانقرض أمر بني الظرب بن حسان ، ملك أمر العرب تنوخ من بطون قُضاعة ، وهم تنوخ بن مالك بن فهم بن تيم الله بن الأسود بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة ، وقد تقدّم ذكر نزولهم بالحيرة والأنبار ومحاورتهم للأرمانيين . فملك من تنوخ ثلاثة ملوك فيما ذكر المسعودي : النعمان بن عمرو ، ثم ابنه عمرو بن النعمان ، ثم أخوه الحوار بن عمرو ، وكانوا مملكين من قبل الروم . ثم تلاشى أمر تنوخ واضمحَلَّ وغلبت عليهم سُلَيْح من بطون قُضاعة ، ثم الضجاعِم منهم من ولد ضَجْعَم بن سعد بن سليح واسمه عمرو بن حُلوان بن عمران بن الحاف فتنصّروا وملّكتهم الروم على العرب وأقاموا على ذلك مدّة ، وكان نزولهم ببلاد مؤاب من أرض البلقاء . ويقال : إنّ الذي ولّى سليح على نواحي الشام هو قيصر طيطش بن قيصر ماهان .

قال ابن سعيد : كان لبني سليح دولتان في بني ضجعَم وبني العبيد ، فأما بنو ضجعَم فملكوا إلى أن جاءهم غسان فسلبوهم ملكهم ، وكان آخرهم زياد بن الهبولة سار بمن أبقى السيف منهم إلى الحجاز فقتله والي الحجاز للتبابعة حجر آكل المرار . قال : ومن النسّابين من يطلق تنوخ على بني ضجعَم ودوس الذين تنخّوا بالبحرين أي أقاموا ، ثم

سار الضجاعم إلى برية الشام ودوس إلى برية العراق . قال : وأما بنو العبيد بن الأبرص بن عمرو بن أشجع بن سليح فتوارثوا الملك بالحضر الذي آثاره باقية في برية سنجار ، والمشهور منهم الضيزن بن معاوية بن العبيد المعروف عند الجرامقة بالساطرون وقصته مع سابور معروفة اهـ كلام ابن سعيد . ثم استحالت صبغة الرياسة عن العرب لحميم وصارت إلى كهلآن إلى بلاد الحجاز ، ولما فصلت الأزد من اليمن كان نزولهم ببلاد عك ما بين زبيد وزمّع فحاربوهم وقتلوا ملك عك قتله ثعلبة بن عمرو مزيقيا . قال بعض أهل اليمن ، عك بن عدنان بن عبدالله بن أدد . قال الدارقطني : عك بن عبدالله بن عدنان بالثاء المثناة وضم العين ولا خلاف أنه بنونين كما لم يختلف في دوس بن عدنان قبيلة من الأزد أنه بالثاء المثناة . ثم نزلوا بالظهران وقتلوا جرهم بمكة ، ثم افترقوا في البلاد فترل بنو نصر بن الأزد الشراة وعُمان ونزل بنو ثعلبة بن عمرو مزيقيا بيثرب وأقام بنو حارثة بن عمرو وتمر الظهران بمكة وهم يقال لهم خزاعة .

وقال المسعودي : سار عمرو مزيقيا حتى اذا كان الشراة بمكة أقام هنالك بنو نصر بن الأزد وعمران الكاهن ، وعدي بن حارثة بن عمرو بالأزد حتى نزلوا بين بلاد الأشعريين وعك على ماء يقال له غسان بين وادين يقال لها زبيد وزمّع فشربوا من ذلك الماء فسمّوا غسان ، وكانت بينهم وبين معدّ حروب إلى أن ظفرت بهم معدّ فأخرجوهم إلى الشراة وهو جبل الأزد الذين هم به وهم على تخوم الشام ما بينه وبين الجبال مما يلي أعمال دمشق والأردن .

قال ابن الكلبي : ولد عمرو بن عامر مزيقيا جفنة ومنه الملوك والحرث وهو مُحرق أول من عاقب بالنار ، وثعلبة وهو العنقا ، وحارثة وأبا حارثة ومالك وكعباً ووداعة وهو في همدان وعوفا ودهل وائل ودفع ذهل إلى نجران ومنه أسقف عبيدة وذهلأ وقيسا درج هؤلاء الثلاثة وعمران بن عمرو فلم يشرب ابو حارثة ولا عمران ولا وائل ماء غسان فليس يقال لهم غسان . وبقي من أولاد مزيقيا ستة شربوا منه فهم غسان وهم : جفنة وحارثة وثعلبة ومالك وكعب وعوف ، ويقال إن ثعلبة وعوفا لم يشربا منه ، ولما نزلت غسان الشام جاورا الضجاعم وقومهم من سليح ورئيس غسان يومئذ ثعلبة بن عمرو بن المجالد بن الحرث بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد ، ورئيس الضجاعم يومئذ داود اللثقي بن هبولة بن عمرو بن عوف بن

ضجعم . وكانت الضجاعم هؤلاء ملوكاً على العرب عمالاً للروم كما قلناه ، يجمعون ممن نزل بساحتهم لقيصر ، فغلبتهم غسان على ما بأيديهم من رياسة العرب لما كانت صِبْغَةَ رياستهم الحميرية قد استحالت وعادت إلى كهلان وبطونها وعرفت الرياسة منها باليمن قبل فصولهم ، وربما كانوا أولى عدّة وقوّة ، وإنّا العزة للكاثر *

وكانت غسان لأوّل نزولها بالشام طالبا ملوك الضجاعم بالأتاوة فمانعتهم غسان فاقتتلوا فكانت الدائرة على غسان ، وأقرّت بالصغار وأدت الأتاوة حتى نشأ جذع بن عمرو^(١) بن المحالد بن الحرث بن عمرو بن المحالد بن الحرث بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد ، ورجال سليح من ولد رئيسهم داود اللثق وهو سبطه بن المنذر بن داود ويقال بل قتله . فالتقوا فغلبتهم غسان وأقادتهم وتفردوا بملك الشام وذلك عند فساد كان بين الروم وفارس ، فخاف ملك الروم أن يعينوا عليه فارساً ، فكتب إليهم واستدناهم ورئيسهم يومئذ ثعلبة بن عمرو أخو جذع بن عمرو ، وكتبوا بينهم الكتاب على أنه إن دهمهم أمر من العرب أمدّهم بأربعين ألفاً من الروم وإن دهمه أمر أمدته غسان بعشرين ألفاً ، وثبت ملكهم على ذلك وتوارثوه . أوّل من ملك منهم ثعلبة بن عمرو فلم يزل ملكها إلى أن هلك وولي مكانه منهم ثعلبة بن عمرو مزيقيا .

قال الجرجاني : وبعد ثعلبة بن عمرو ابنه الحرث بن ثعلبة يقال إنه ابن مارية ، ثم بعده ابنه المنذر بن الحرث ، ثم ابنه النعمان بن المنذر بن الحرث ، ثم أبو بشر بن الحرث بن جبلة بن الحرث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، هكذا نسبه بعض النسّاب ، والصحيح أنه ابن عوف بن الحرث بن عوف بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن ، ثم الحرث الأعرج ابن أبي شمر ، ثم عمرو بن الحرث الأعرج ، ثم المنذر بن الحرث الأعرج ، ثم الأيهم بن جبلة بن الحرث بن جبلة بن الحرث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، ثم ابنه جبلة .

وقال المسعودي : أوّل من ملك منهم الحرث بن عمرو مزيقيا ، ثم بعده الحرث بن ثعلبة بن جفنة وهو ابن مارية ذات القرطين ، وبعده النعمان بن الحرث بن جفنة بن الحرث ، ثم أبو شمر بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن الحارث ، ثم ملك بعده أخوه المنذر بن الحارث ، ثم أخوه جبلة بن الحارث ، ثم بعده عوف بن أبي شمر ، ثم

(١) انظر مجمع الامثال في قوله خذ من جذع ما أعطاك اهـ .

بعده الحارث بن أبي شمر وعلى عهده كانت البعثة وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم فيمن كتب إليه من ملوك تهامة والحجاز واليمن وبعث إليه شجاع بن وهب الأسدي يدعو إلى الإسلام ويرغبه في الدين كذا عند ابن اسحق . وكان النعمان بن المنذر على عهد الحارث بن أبي شمر هذا وكانا يتنازعا في الرياسة ومذاهب المدح ، وكانت شعراء العرب تفد عليهما مثل الأعشى وحسان بن ثابت وغيرهما .
(ومن شعر حسان) رضي الله تعالى عنه في مدح أبناء جفنة :

لله دُرٌّ عَصَابَةٌ نَا دَمْتُهُمْ يَوْمًا يَجْلَقُ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
أَوْلَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرُ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ
يَغْشَوْنَ حَتَّى مَّا تَهَرَّ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
ثم ملك بعد الحارث بن أبي شمرا ابنه النعمان ، ثم ملك بعده جبلة بن الأيهم بن جبلة ، وجبلة جدّه هو الذي ملك بعد أخويه شمر والمنذر .

وقال ابن سعيد : أول من ملك من غسان بالشام وأذهب ملك الضجاعم جفنة بن مزيقيا . ونقل عن صاحب تواريخ الأمم : لما ملك جفنة بنى جلق وهي دمشق وملك خمسا وأربعين سنة ، واتصل الملك في بنيه إلى أن كان منهم الحارث الأعرج ابن أبي شمر وأمه مارية ذات القرطين من بني جفنة بنت الهانيء المذكورة في شعر حسان بأرض البلقاء ومعان . قال ابن قتيبة : وهو الذي سار إليه المنذر بن ماء السماء من ملوك الحيرة في مائة ألف ، فبعث إليه الحارث مائة من قبائل العرب فيهم ليبد الشاعر وهو غلام ، فأظهروا أنهم رسل في الصلح حتى إذا أحاطوا برواق المنذر فتكوا به وقتلوا جميع من كان معه في الرواق وركبوا خيولهم ، فمنهم من نجا ومنهم من قتل . وحملت غسان على عسكر المنذر وقد اختطوا فهزموهم ، وكانت حليلة بنت الحارث تحرّض الناس وهم منهزمون على القتال فسمي يوم حليلة^(١) ، ويقال إن النجوم ظهرت فيه بالنهار من كثرة العجاج . ثم توالى الملك في ولد الحارث الأعرج إلى أن ملك منهم جفنة بن المنذر بن الحارث الأعرج وهو مُحَرَّقُ لأنه حرق الحيرة دار ملك آل النعمان ، وكان جوالاً في الآفاق وملك ثلاثين سنة . ثم كان ثالثه في الملك النعمان

(١) جاء في «أيام العرب» أن غسان أوشكت على الهزيمة فخرجت حليلة بالعطر على الجنود وأخذت ترشهم به وتحرضهم على قتل المنذر ، وتعد القتال بانها ستزوجه فبعث ذلك الحامسة في القلوب ، واندفعت غسان في القتال حتى تغلبت على المناذرة .

بن عمرو بن المنذر الذي بنى قصر السويداء وقصر حارث عند صيدا وهو مذكور في شعر النابغة^(١) ولم يكن أبوه ملكا وإنما كان يغزو بالجيوش^(٢)، ثم ملك جبلة بن النعمان وكان منزله بصفين وهو صاحب عين أباغ يوم كانت له الهزيمة فيه على المنذر بن المنذر ابن ماء السماء وقتل المنذر في ذلك اليوم، ثم اتصل الملك في تسعة منهم بعده وكان العاشر أبو كرب النعمان بن الحارث الذي رثاه النابغة وكان منزله بالجولان من جهة دمشق، ثم ملك الأيهم بن جبلة بن الحارث وكان له رأي في الإفساد بين القبائل حتى أفنى بعضهم بعضا فعل ذلك بيني جسر وعاملة وغيرهم وكان منزله بتدمر وملك بعده منهم خمسة، فكان السادس منهم إبنه جبلة بن الأيهم وهو آخر ملوكهم أهد. كلام ابن سعيد.

واستفحل ملك جبلة هذا وجاء الله بالإسلام وهو على ملكه، ولما افتتح المسلمون الشام أسلم جبلة وهاجر إلى المدينة، واستشرف أهل المدينة لمقدمه حتى تطاول النساء من خدورهن لرؤيته لكرم وفادته، وأحسن عمر رضي الله عنه نزله وأكرم وفادته وأجله بأرفع رتب المهاجرين، ثم غلب عليه الشقاء ولطم رجلاً من المسلمين من فزارة وطيء فضل إزاره وهو يسحبه في الأرض، ونابذه إلى عمر رضي الله عنه في القصاص فأخذته العزة بالإثم، فقال له عمر رضي الله عنه: لا بد أن أقيده منك، فقال له: اذن أرجع عن دينكم هذا الذي يقاد فيه للسوقة من الملوك، فقال له عمر رضي الله عنه: اذن أضرب عنقك، فقال أمهلي الليلة حتى أرى رأيي، واحتمل رواحله وأسرى فتجاوز الدروب إلى قيصر ولم يزل بالقسطنطينية حتى مات سنة عشرين من الهجرة. وفيما تذكره الثقات أنه ندم ولم يزل باكيا على فعلته تلك وكان فيما يقال يبعث بالحوائر إلى حسان بن ثابت لما كان منه في مدح قومه ومدحه في الجاهلية. وعند ابن هشام أن شجاع بن وهب إنما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبلة.

قال المسعودي: جميع ملوك غسان بالشام أحد عشر ملكاً وقال: إن النعمان والمنذر إخوة جبلة وأبي شمر وكلهم بنو الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة ملكوا كلهم.

(١) وفي أبيات النابغة وردت حارب لا حارث حيث يقول:

لئن كان للقصرين: قصر بخلق وقصر بصيداء الذي عند حارب

(٢) وفي نسخة ثانية: الجيش.

قال : وقد ملك الروم على الشام من غير آل جفنة مثل : الحارث الأعرج وهو أبو شمر بن عمرو بن الحارث بن عوف وعوف هذا جدّ ثعلبة بن عامر قاتل داود اللثقي ، وملكوا عليهم أيضا أبا جبيلة بن عبد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج بن ثعلبة بن مزيقيا وهو أبو جبيلة الذي استصرخه مالك بن العجلان على يهود يثرب حسبما نذكر بعد .

وقال ابن سعيد عن صاحب تواريخ الأمم : إنّ جميع ملوك بني جفنة إثنان وثلاثون ومدّتهم ستمائة سنة ، ولم يبق لغسان بالشام قائمة ، وورث أرضهم بها قبيلة طيء . قال ابن سعيد : وأمراؤهم بنو مرا وأما الآن فأمراؤهم بنو مهنا وهما معا لربيعة بن عليّ ابن مفرّج بن بدر بن سالم بن عليّ بن سالم بن قصة بن بدر بن سميع . وقامت غسان بعد منصرفها من الشام بأرض القسطنطينية حتى انقرض ملك القياصرة ، فتجهزوا إلى جبل شركس ، وهو ما بين بحر طبرستان وبحر نيطنش الذي يمدّه خليج القسطنطينية ، وفي هذا الجبل باب الأبواب وفيه من شعوب الترك المنتصرة الشركس وأركس واللاص وكسا ومعهم أخلاط من الفرس ويونان ، والشركس غالبون على جميعهم ، فأنحازت قبائل غسان إلى هذا الجبل عند انقراض القياصرة والروم وتحالفوا معهم واختلطوا بهم ودخلت أنساب بعضهم في بعض ، حتى ليزعم كثير من الشركس أنّهم من نسب غسان . والله حكمة بالغة في خلقه والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين لا انقضاء لملكه ولا ربّ غيره .

النعمان

جبله بن الاعم بن جبله — بن الحرث بن جبله — بن مارية — بن الحرث بن ثعلبة — بن عمرو بن جفنة بن عمرو بن مزريقا

المنذر بن الحرث بن أبي شمر

بن مارية

أول من ولي منهم ثعلبة بن عمرو بن جفنة وهو أخو جذع بن عمرو
ثعلبة بن عمرو بن المجالد بن الحرث بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن
بن الأزد

(هكذا ترتيب أنسابهم وترتيب ملوكهم عند الجرجاني)

النعمان بن الحرث
بن

جيلة بن الاهيم بن جفنة

عوف بن أبي شمر — المنذر

النعمان بن الحرث

الحرث — جفنة — بن عمرو بن مزينة

هكذا أنسابهم وترتيبهم عند المسعودي رحمه الله

هكذا انسابهم وترتيبهم عند ابن سعد رحمه الله

جبله بن الایم بن سادس بعد الایم

أبو كرب النعمان —

— قتل المنذر بن المنذر
يوم عين أباغ

جبله —

جفنة —

جفنة الثالث —

الاعرج أمه مارية ذات القرطين منهم وسار اليه المنذر بن
ماء السماء ولم يكن ملكا وانما كان قائدا فقتل يوم حليلة

الخبر عن الاوس والخزرج أبناء قيلة من هذه الطبقة ملوك
يثرّب دار الهجرة وذكر أوليتهم والالمام بشأن نصرتهم وكيف
انقراض أمرهم

قد ذكرنا فيما تقدّم شأن يثرب وأنها من بناء يثرب بن فانية بن مهلهل بن إرم بن عيّيل
ابن عوص وعيّيل أخو عاد . وفيما ذكر السهيلي : أن يثرب بن قائد بن عيّيل بن
مهلايل بن عوص بن عمليق بن لاوذ بن إرم ، وهذا أصح وأوجه . وقد ذكرنا
كيف صار أمر هؤلاء لآخوانهم جاسم من الأُمّ العمايقة وأن ملكهم كان يسمّى الأُرّقم
وكيف تغلب بنو إسرائيل عليه وقتلوه وملكوا الحجاز دونه كله من أيدي العمايقة ،
ويظهر من ذلك أن الحجاز لعهدهم كان أهلاً بالعمران وجميع مياحه ، يشهد
بذلك أن داود عليه السلام لما خلع بنو إسرائيل طاعته وخرجوا عليه بابنه أشبوش
فرّ مع سبط يهوذا إلى خيبر وملك ابنه الشام وأقام هو وسبط يهوذا بخير سبع سنين
في ملكه ، حتى قتل ابنه وعاد إلى الشام . فيظهر من هذا أن عمران كان متصلاً
بيثرب وبجوازها إلى خير . وقد ذكرنا هنالك كيف أقام من بني إسرائيل من أقام
بالحجاز وكيف تبعهم يهود خير وبنو قريظة .

قال المسعودي : وكانت الحجاز إذ ذاك أشجر بلاد الله وأكثرها ماءً فترلوا بلاد يثرب
واتخذوا بها الأموال وبنوا الآطام^(١) والمنازل في كل موطن ، وملكوا أمر أنفسهم ،
وانضاف إليهم قبائل من العرب نزلوا معهم واتخذوا الأطم والبيوت وأمرهم راجع إلى
ملوك المقدس من عقب سليمان عليه السلام . قال شاعر بني نعيم :

ولو نطق يوماً قباءً لخبرتُ بأنّا نزلنا قبل عادٍ وتبع
وأطامنا عاديةً مشمخرةً تلوحُ فتنعى من يُعادي ويمنع

فلما خرج مزيقيا من اليمن وملك غسان بالشام ثم هلك ، وملك ابنه ثعلبة العنقاء ثم
هلك ثعلبة العنقاء ، وولي أمرهم بعد ثعلبة عمرو ابن أخيه جفنة سخط مكانه ابنه
حارثة فأجمع الرحلة إلى يثرب ، وأقام بنو جفنة بن عمرو ومن انضاف إليهم بالشام ،
ونزل حارثة يثرب على يهود خير وسأهم الحلف والجوار على الأمان والمنعة فأعطوه من

(١) الآطام : ج أطم وهي القلعة .

ذلك ما سأل . قال ابن سعيد : وملك اليمن يومئذ شَرِيبُ بن كعب فكانوا باديةً لهم إلى أن انعكس الأمر بالكثرة والغلبة .

ومن كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني قال : بنو قريظة وبنو النضير الكاهنان من ولد الكوهن بن هرون عليه السلام ، كانوا بنواحي يثرب بعد موسى عليه السلام وقبل تفرق الأزد من اليمن بسيل العرم ونزول الأوس والخزرج يثرب وذلك بعد الفجار . ونقل ذلك عن علي بن سليمان الأخفش بسنده إلى العماري قال : ساكنوا المدينة العماليق وكانوا أهل عدوان وبغي ، وتفرقوا في البلاد ، وكان بالمدينة منهم بنو نعيم وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو نظرون ، وملك الحجاز منهم الأرقم ما بين تيماء إلى فدك وكانوا ملوك المدينة ولهم بها نخل وزرع ، وكان موسى عليه السلام قد بعث الجنود إلى الجبابة يغزونهم ، وبعث إلى العمالة جيشاً من بني إسرائيل وأمرهم أن لا يستبقوا أحداً فأبقوا ابناً للأرقم ضنوا به على القتل ، فلما رجعوا بعد وفاة موسى عليه السلام وأخبروا بني إسرائيل بشأنه فقالوا هذه معصية لا تدخلوا علينا الشام ، فرجعوا إلى بلاد العمالة ونزلوا المدينة وكان هذا أولية سكنى اليهود يثرب . وانتشروا في نواحيها واتخذوا بها الآطام والأموال والمزارع ولبثوا زماناً ، وظهر الروم على بني إسرائيل بالشام وقتلوههم وسبوا ، فخرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو يهدل هاربين إلى الحجاز وتبعهم الروم فهلكوا عطشاً في المفازة بين الشام والحجاز . وسُمي الموضع ثمر الروم . ولما قدم هؤلاء الثلاثة المدينة نزلوا العالية فوجدوها واية^(١) وارتادوا . ونزل بنو النضير مما يلي البهجان ، وبنو قريظة وبنو يهدل على نهروز . وكان ممن سكن المدينة من اليهود حين نزلها الأوس والخزرج بنو الشقمة . وبنو ثعلبة وبنو زرعة وبنو قينقاع وبنو يزيد وبنو النضير وبنو قريظة وبنو يهدل وبنو عوف وبنو عصص ، وكان بنو يزيد من بلي وبنو نعيم من بلي وبنو الشقمة من غسان . وكان يقال لبني قريظة وبني النضير الكاهنان كما مر . فلما كان سيل العرم وخرجت الأزد نزلت أزد شنوءة الشام بالسراة وخزاعة بطوي ، ونزلت غسان بصرى^(٢) وأرض الشام ، ونزلت أزد عُمان الطائف ، ونزلت الأوس والخزرج يثرب نزلوا في ضرار بعضهم بالضاحية وبعضهم بالقرى مع أهلها ، ولم يكونوا أهل نَعَمٍ وشاء لأن المدينة كانت ليست بلاد مرعى ، ولا نخل

(١) اي وجدوها مويثة ، نزل بها الوباء .

(٢) وتعرف ببصرى الشام .

لهم ولا زرع إلا الأعذاق اليسيرة والمزرعة يستخرجها من الموات والأموال لليهود فلبثوا حيناً . ثم وفد مالك بن عجلان إلى أبي جُبيلة الغساني وهو يومئذ ملك غسان فسأله فأخبره عن ضيق معاشهم ، فقال : ما بالكم لم تغلبوهم حين غلبنا أهل بلدنا ؟ ووعدته أنه يسير إليهم فينصرهم ، فرجع مالك وأخبرهم أن الملك آبا جيلة يزورهم فأعدوا له نُزلاً فأقبل ونزل بذي حرص ، وبعث إلى الأوس والخزرج بقدمه ، وخشي أن يتحصن منه اليهود في الآطام فاتخذ حائراً وبعث إليهم فجاءوه في خواصهم وحشمهم ، وأذن لهم في دخول الحائر وأمر جنوده فقتلوهم رجلاً رجلاً إلى أن أتوا عليهم ، وقال للأوس والخزرج : إن لم تغلبوا على البلاد بعد قتل هؤلاء فلا حرقنكم ورجع إلى الشام فأقاموا في عداوة مع اليهود . ثم أجمع مالك بن العجلان وصنع لهم طعاماً ودعاهم فامتنعوا لغدره أبي جُبيلة ، فاعتذر لهم مالك عنها وأنه لا يقصد نحو ذلك فأجابوه وجاءوا إليه فغدرهم وقتل منهم سبعة وثمانين من رؤسائهم ، وفطن الباقون فرجعوا وصورت اليهود بالحجاز مالك بن العجلان في كنائسهم وبيعهم وكانوا يلعنونه كلما دخلوا . ولما قتلهم مالك ذلّوا وخافوا وتركوا مشي بعضهم إلى بعض في الفتنة كما كانوا يفعلون من قبل ، وكان كل قوم من اليهود قد لجأوا إلى بطن من الأوس والخزرج يستنصرون بهم ويكونون لهم أحلافاً أه كلام الأغاني .

وكان لحارثة بن ثعلبة ولدان أحدهما أوس والآخر خزرج ، وأمهما قيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة وقيل بنت كاهن بن عذرة من قُضاعة ، فأقاموا كذلك زماناً حتى أثروا وامتنعوا في جانبهم وكثر نسلهم وشعوبهم ، فكان بنو الأوس كلهم لمالك بن الأوس منهم خطمة بن جشم بن مالك وثلعة ولوذان وعوف كلهم بنو عمرو بن عوف بن مالك ، ومن بني عوف بن عمرو حنش ومالك وكلفة كلهم بنو عوف ، ومن مالك بن عوف معاوية وزيد . فمن زيد عُبَيْد وَضْبِيعَة وَأُمَيَّةُ ومن كلفة بن عوف جحججاً بن كلفة ومن مالك بن الأوس أيضاً الحارث وكعب ابنا الخزرج بن عمرو ابن مالك ، فمن كعب بنو ظفر ومن الحارث بن الخزرج حارثة وجشم ، ومن جشم بنو عبد الأشهل ، ومن مالك بن الأوس أيضاً بنو سعد وبنو عامر ابنا مرة بن مالك فبنوا سعد الجعادرة ، ومن بني عامر عطية وأمية ووائل كلهم بنو زيد بن قيس بن عامر ، ومن مالك بن الأوس أيضاً أسلم وواقف بنو امرئ القيس بن مالك فهذه بطون الأوس .

وأما الخزرج فخمسة بطون من كعب وعمرو وعوف وجشم والحارث ، فمن كعب بن الخزرج بنو ساعدة بن كعب ، ومن عمرو بن الخزرج بنو النجار وهم تيم الله بن ثعلبة بن عمرو وهم شعوب كثيرة : بنو مالك وبنو عدي وبنو مازن وبنو دينار كلهم بنو النجار ، ومن مالك بن النجار مبدول وإسمه عامر وغانم وعمرو ، ومن عمرو عدي ماوية ، ومن عوف بن الخزرج بنو سالم والقواقل وهما عوف بن عمرو بن عوف . والقواقل ثعلبة ومريضخة بنو قوقل بن عوف ، ومن سالم بن عوف بنو العجلان بن زيد بن عصم بن سالم وبنو سالم بن عوف ، ومن جشم بن الخزرج بنو غضب بن جشم وتريد بن جشم ، فمن غضب بن جشم بنو بياضة وبنو زريق إبنا عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب ، ومن تريد بن جشم بنو سلمة بن سعد بن علي بن راشد بن ساردة بن تريد ، ومن الحارث بن الخزرج بنو خدرة وبنو حرام إبنا عوف بن الحارث بن الخزرج . فهذه بطون الخزرج .

فلما انتشر يثرب هذان الحَيَّان من الأوس والخزرج وكثروا يهود ، خافوهم على أنفسهم ، فنقضوا الحلف الذي عقده لهم وكان الغزة يومئذ يثرب لليهود ، قال قيس بن الحطيم :

كُنَّا إِذَا رَابِنَا قَوْمٌ بِمَظْلَمَةٍ شَدَّتْ لَنَا الْكَاهِنَانِ الْخَيْلَ وَاعْتَرَمُوا
 بَنُو الرَّهْمُونَ وَوَأَسُونَا بِأَنْفُسِهِمْ بَنُو الصَّرِيخِ فَقَدْ عَفَّوْا وَقَدْ كَرَمُوا
 ثُمَّ نَتَجَ فِيهِمْ بَعْدَ حِينَ مَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانِ وَقَدْ ذَكَرَ نَسَبَ الْعَجْلَانِ ، فَعَظُمَ شَأْنُ
 مَالِكٍ وَسَوَّدَهُ الْحَيَّانُ ، فَلَمَّا نَقَضَ يَهُودُ الْحَلْفَ وَاقَعَهُمْ وَأَصَابَ مِنْهُمْ وَلَحِقَ بِأَبِي جُبَيْلَةَ
 مَلِكُ غَسَّانَ بِالشَّامِ وَقِيلَ بَعَثَ إِلَيْهِ الرُّتْقُ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فَقَدِمَ عَلَيْهِ
 فَأَنشَدَهُ :

أَقْسَمْتُ أَطْعَمُ مَنْ رَزَقِي قَطْرَةً حَتَّى تَكْثُرَ لِلنَّجَاةِ رَحِيلُ
 حَتَّى أَلَاقِي مَعْشَرًا أَتَى لَهُمْ خَيْلٌ وَمَالُهُمْ لَنَا مَبْدُولُ
 أَرْضٌ لَنَا تُدْعَى قِبَائِلَ سَالِمٍ وَحَبِيبُ فِيهَا مَالِكُ وَسَلُولُ
 قَوْمٌ أُولُو عِزٍّ وَعِزَّةٌ غَيْرُهُمْ إِنَّ الْغَرِيبَ وَلَوْ يَغْزُ ذَلِيلُ

فأعجبه وخرج في نصرتهم . وأبو جبيعة هو ابن عبد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج ، كان حبيب بن عبد حارثة وأخوه غانم إبنا الجشمي ساروا مع غسان إلى الشام وفارقوا الخزرج . ولما خرج أبو جبيعة إلى يثرب

لنصرة الأوس والخزرج لقيه أبناء قيلة وأخبروه أنّ يهود علموا بقصده فتحصّنوا في
آطامهم فوري^(١) عن قصده باليمن ، وخرجوا إليه فدعاهم إلى صنع أعده لرؤسائهم
ثم استلحمهم ، فعزت الأوس والخزرج من يومئذ وتفرّقوا في عالية يثرب وسافلتها
يتبّؤون منها حيث شاؤوا ، وملكّت أمرها على يهود ، فذلت اليهود وقلّ عددهم وعلت
قدم أبناء قيلة عليهم ، فلم يكن لهم امتناع إلّا بحصونهم وتفرّقهم أحزاباً على الحَيّين
إذا اشتجرا .

وفي كتاب ابن اسحق : إنّ تبعاً أبا كَرَب غزا المشرق فرّ بالمدينة وخلف بين أظهرهم
إبناً له فقتل غيلة ، فلما رجع أجمع على تحريبها واستئصال أهلها ، فجمع له هذا
الحي من الأنصار ورئيسهم عمرو بن ظَلّة ، وظلة أمّه وأبوه معاوية بن عمرو . قال ابن
اسحق : وقد كان رجل من بني عديّ بن النجّار ويقال له أحمر نزل بهم تُبّع ،
وقال : إنّما التمر لمن أبره . فزاد ذلك تُبّعاً حنقا عليهم فاقتتلوا . وقال ابن قتيبة في هذه
الحكاية إنّ الذي عدا على التُّبّعي هو مالك بن العجلان ، وأنكره السهيلي ، وفرّق
بين القصتين بأنّ عمرو بن ظلة كان لعهد تُبّع ومالك بن العجلان لعهد أبي جُبيلة
واستبعد ما بين الزمانين . ولم يزل هذان الحَيّان قد غلبوا اليهود على يثرب . وكان
الاعتزاز والمنعة تعرف لهم في ذلك ، ويدخل في حلفهم من جاورهم من قبائل مُضَر
وكانت قد تكون بينهم في الحَيّين فِتَنٌ وحروبٌ ويستصرخ كل بمن دخل في حلفه من
العرب ويهود .

قال ابن سعيد : ورحل عمرو بن الإطنابة من الخزرج إلى النعمان بن المنذر ملك
الحيرة فملكه على الحيرة ، واتصلت الرياسة في الخزرج والحرب بينهم وبين الأوس ،
ومن أشهر الوقائع التي كانت بينهم يوم بُعث قبل المبعث ، كان على الخزرج فيه
عمرو بن النعمان بن صلاة بن عمرو بن أمية بن عامر بن بياضة ، وكان على الأوس
يومئذ حضير الكتائب ابن سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد
الأشهل . وكان حلفاء الخزرج يومئذ أشجّ من غطفان وجهينة من قضاة ، وحلفاء
الأوس مزينة من أحياء طلحة بن إياس وقريظة والنضير من يهود ، وكان الغلب
صدر النهار للخزرج ثم نزل حضير وحلف لا أركب أو أقتل ، فتراجعت الأوس
وحلفاؤها وانهمز الخزرج ، وقتل عمرو بن النعمان رئيسهم . وكان آخر الأيام بينهم ،

(١) أي أخفى قصده .

وصبحهم الإسلام وقد سثموا الحرب وكرهوا الفتنة ، فأجمعوا على أن يتوجوا عبدالله ابن أبي بن سلول . ثم اجتمع أهل العقبة منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة ودعاهم إلى نصره الإسلام ، فجاءوا إلى قومهم بالخبر كما نذكر وأجابوا واجتمعوا على نصرته ، ورئيس الخزرج سعد بن عبادة والأوس سعد بن معاذ . قالت عائشة : كان يوم بُعث يوما قدّمه الله لرسوله ، ولما بلغهم خبر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وما جاء به من الدين وكيف أعرض قومه عنه وكذبوه وآذوه وكان بينهم وبين قريش إخاء قديم وصهر ، فبعث أبو قيس بن الأسلت من بني مرة بن مالك بن الأوس ثم من بني وائل منهم وإسمه صيفي بن عامر بن شحم بن وائل وكان يحبهم لمكان صهره فيهم ، فكتب إليهم قصيدة يعظم لهم فيها الحرمه ويذكر فضلهم وحلمهم وينهاهم عن الحرب ، ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكرهم بما رفع الله عنهم من أمر الفيل وأولها :

أيا راكباً إمّا عرضت فبلغن مقالة أوسي لؤي بن غالب
تناهز خمساً وثلاثين بيتاً ذكرها ابن اسحق في كتاب السير ، فكان ذلك أول ما ألقح بينهم من الخير والإيمان .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يش من إسلام قومه يعرض نفسه على وفود العرب وحجاجهم أيام الموسم أن يقوموا بدين الإسلام وينصره حتى يبلغ ما جاء به من عند الله وقريش يصدّونهم عنه ويرمونهم بالحنون والشعر والسحر كما نطق به القرآن ، وبينما هو في بعض المواسم عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج ست نفر إثنان من بني غانم بن مالك وهما : أسعد بن زرارة بن عدي بن عبيد الله بن ثعلبة بن غانم ابن عوف بن الحرث بن رفاعه بن سواد بن مالك بن غانم وهو ابن عفراء ، ومن بني زريق بن عامر : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ، ومن بني غانم بن كعب بن سلمة بن سعد بن عبدالله بن عمرو بن الحرث بن ثعلبة بن الحرث ابن حرام بن كعب بن غانم كعب بن رثاب بن غانم وقطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غانم بن سواد بن غانم وعقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب ابن غانم . فلما لقيهم قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج ! قال : أمّن موالي يهود ؟ قالوا : نعم ! فقال : ألا تجلسون أكلمكم ؟ فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن ، فقال بعضهم لبعض : تعلموا والله إنه

النبي الذي تعدكم يهوديه فلا يسُبِّقَنَّكُمْ إليه ، فأجابوه فيما دعاهم وصدقوه وآمنوا به وأرجأوا الأمر في نصرته إلى لقاء قومهم ، وقدموا المدينة فذكروا لقومهم شأن النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام ففشا فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم وافى الموسم في العام المقبل اثنا عشر منهم فوافوه بالعقبة وهي العقبة الأولى ، وهم : أسعد بن زرارة ، وعوف بن الحرث وأخوه معاذ ابنا عَفْرَاء ، ورافع بن مالك ابن العجلان ، وعُقبة بن عامر من الستة الأولى ، وستة آخرون منهم من بني غانم بن عوف من القواقل : منهم عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غانم ، ومن بني زريق ذكوان بن عبد القيس بن خلدة بن مُخلد بن عامر بن زريق والعبّاس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان ، هؤلاء التسعة من الخزرج وأبو عبد الرحمن بن زيد بن ثعلبة بن خزيمة بن أصرم بن عمرو بن عمار من بني عَصِيَّة من بَلِيّ إحدى بطون قُضاعة حليف لهم ، ومن الأوس رجلا الهيثم بن التيهان واسمه مالك بن التيهان بن مالك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهر وعويم بن ساعدة من بني عمرو بن عوف . فبايعوه على الإسلام بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض الحرب ، ومعناه أنه حينئذ لم يؤمر بالجهاد وكانت البيعة على الإسلام فقط ، كما وقع في بيعة النساء على أن لا يُشْرِكَنَّ بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن الآيات ، وقال لهم : فإن وفيتم فلکم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحدة في الدنيا فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه في الدنيا إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر . وبعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي يقريهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين ، فكان يصلي بهم ، وكان منزله على أسعد بن زرارة .

وغلب الإسلام في الخزرج وفشا فيهم وبلغ المسلمون من أهل يثرب أربعين رجلاً فجمعوا ، ثم أسلم من الأوس سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل وابن عمه أُسَيْد بن حضير الكتائب وهما سيدا بني عبد الأشهل ، وأوعب الإسلام بني عبد الأشهل وأخذ من كل بطن من الأوس ما عدا بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف وهي أوس أمّه من الأوس من بني حارثة ، ووقف بهم عن الإسلام أبو قيس بن الأسلت يرى رأيه حتى مضى صدر من الإسلام ولم يبق دار من

دور أبناء قيلة إلا وفيها رجال ونساء مسلمون .

ثم رجع مصعب إلى مكة ، وقدم المسلمون من أهل المدينة معه فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق فبايعوه ، وكانوا ثلثمائة وسبعين رجلا وامرأتين ، بايعوه على الإسلام وأن يمنعوه ممن أرادوه بسوء ولو كان دون ذلك القتل ، وأخذ عليهم النقباء اثني عشر تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . وأسلم ليلئذ عبدالله بن عمرو بن حرام وأبو جابر بن عبدالله ، وكان أول من بايع البراء بن معرور من بني تزييد بن جشم من الخزرج . وصرخ الشيطان بمكانهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنطست^(١) قريش الخبر فوجدوه قد كان فخرجوا في طلب القوم ، وأدركوا سعد بن عبادة وأخذوه وربطوه حتى أطلقه جبير بن مطعم بن عديّ ابن نوفل والحرث بن حرب بن أمية بن عبد شمس لجوار كان له عليهما بيلده . فلما قدم المسلمون المدينة أظهروا الإسلام ثم كانت بيعة الحرب حتى أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال ، فبايعوه على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأثرته عليهم ، وأن لا ينازعوا الأمر أهله وأن يقوموا بالحق أينما كانوا ولا يخافوا في الله لومة لائم . ولما تمت بيعة العقبة وأذن الله لنبيه في الحرب أمر المهاجرين الذين كانوا يؤذون بمكة أن يلحقوا بإخوانهم من الأنصار بالمدينة ، فخرجوا أرسالا وأقام هو بمكة ينتظر الإذن في الهجرة فهاجر من المسلمين كثير سماءهم ابن اسحق وغيره .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيمن هاجر هو وأخوه زيد وطلحة بن عبيدالله وحمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأنيسة وأبو كبشة موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وعثمان بن عفان رضي الله عنهم . ثم أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فهاجر وصحبه أبو بكر رضي الله عنه ، فقدم المدينة ونزل في الأوس على كلثوم بن مطعم بن امرئ القيس بن الحرث بن زيد بن عبيد بن مالك بن عوف . وسيد الخزرج يومئذ عبدالله بن أبي ابن سلول وأبي هو ابن مالك بن الحرث بن عبيد وإسم أم عبيد سلول وعبيد هو ابن مالك بن سالم بن غانم بن عوف بن غانم بن مالك بن النجار ، وقد نظموا له الخرز ليملكوه على الحيين ، فغلب على أمره واجتمعت أبناء قيلة كلهم على الإسلام ، فضغن لذلك لكنه أظهر أن يكون له إسم منه ، فأعطى الصفقة وطوى على النفاق

(١) تنطست : أي تجسست عن الاخبار وبحث عنها . (قاموس) .

كما يذكر بعد . وسيد الأوس يومئذ أبو عامر بن عبد عمرو بن صيفي بن النعمان أحد بني ضبيعة بن زيد ، فخرج إلى مكة هارباً من الإسلام حين رأى اجتماع قومه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بغضاً في الدين ، ولما فتحت مكة فرّ إلى الطائف ، ولما فتح الطائف فرّ إلى الشام فمات هنالك .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب الأنصاري حتى ابنتى مساكنه ومسجده ثم انتقل إلى بيته . وتلاحق به المهاجرون واستوعب الإسلام سائر الأوس والخزرج وسمّوا الأنصار يومئذ بما نصروا من دينه ، وخطبهم النبي صلى الله عليه وسلم وذكّرهم وكتب بين المهاجرين والأنصار كتاباً وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم شرط لهم كما يفيد كتاب ابن اسحق فلينظر هنالك . ثم كانت الحرب بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قومه فغزاهم وغزوه وكانت حروبهم سجلاً ، ثم كان الظهور والظفر لرسول الله صلى الله عليه وسلم آخرًا كما نذكر في سيرته صلى الله عليه وسلم ، وصبر الأنصار في المواطن كلها واستشهد من أشرافهم ورجالاتهم كثير هلكوا في سبيل الله وجهاد عدوّه . ونقض أثناء ذلك اليهود الذين يثرب على المهاجرين والأنصار ما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهره عليه ، فأذن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فيهم وحاصرهم طائفة بعد أخرى ، وأمّا بنو قينقاع فإنهم تشاوروا مع المسلمين بسيوفهم وقتلوا مسلماً ، وأمّا بنو النضير وقريظة فمنهم من قتله الله وأجلّاه ، وأمّا بنو النضير فكان من شأنهم بعد أخذو بعد بئر معونة جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية العامريين اللذين قتلها عمرو بن أمية من القرى ، ولم يكن علم بعقدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسباً نذكره ، فهمّوا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءهم لذلك خديعة منهم ومكرًا ، فحاصرهم حتى نزلوا على الجلاء وأن يحملوا ما استقلت به الإبل من أموالهم إلا الحلقة^(١) وافترقوا في خيبر وبني قريظة .

وأمّا بنو قريظة فظاهروا قريشاً في غزوة الخندق فلما فرج الله كما نذكره حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة حتى نزلوا على حكمه وكلمته وشفع الأوس فيهم ، وقالوا تهيبهم لنا كما وهبت بني قينقاع للخزرج ، فردّ حكمهم إلى سعد بن معاذ وكان جريحاً في المسجد أثبت في غزوة الخندق ، فجاء

(١) الدرر .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بِمَ تَحْكُمُ فِي هَؤُلَاءِ بَعْدَ أَنْ اسْتَحْلَفَ الْأَوْسَ أَنَّهُمْ رَاضُونَ بِحُكْمِهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَضْرِبُ الْأَعْنَاقَ وَتُسَبِّي الْأَمْوَالَ وَالذَّرِيَّةَ ، فَقَالَ حَكَمْتُ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ . فَقَتَلُوا عَنْ آخِرِهِمْ وَهُمْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالتَّسْمَاءِ .

ثُمَّ خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ بَعْدَ الْحُدُيَّةِ سَنَةً سِتْ فَحَاصَرَهُمْ وَافْتَتَحَهَا عَنُودَ وَضَرَبَ رِقَابَ الْيَهُودِ وَسَبَى نِسَاءَهُمْ ، وَكَانَ فِي السَّبْيِ صَفِيَّةُ بِنْتُ حِطِّي بْنِ أَخْطَبَ ، وَكَانَ أَبُوهَا قَتَلَ مَعَ بَنِي قَرِظَةَ وَكَانَتْ تَحْتَ كِنَانَةَ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ وَقَتْلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ غَزَاهُ مِنَ الْمَدِينَةِ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سِتَّةِ نَفَرٍ فَبَيْتَهُ . فَلَمَّا افْتَتَحَتْ خَيْبَرَ اصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ وَقَسَمَ الْغَنَائِمَ فِي النَّاسِ مِنَ الْقَمْحِ وَالتَّمْرِ ، وَكَانَ عَدَدُ السَّهَامِ الَّتِي قُسِّمَتْ عَلَيْهَا أَمْوَالُ خَيْبَرَ أَلْفَ سَهْمٍ وَثَمَانِمِائَةَ سَهْمٍ بَرَجَاهُمْ وَخَيْلَهُمُ الرِّجَالُ أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَالْخَيْلُ مِائَتَانِ . وَكَانَتْ أَرْضُهُمُ الشَّقِّ وَنَطَاطُ الْكُتَيْبَةِ ، فَحَصَلَتْ الْكُتَيْبَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْخُمْسُ فَفَرَّقَهَا عَلَى قَرَابَتِهِ وَنِسَائِهِ وَمَنْ وَصَلَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَعْمَلَ أَهْلَ خَيْبَرَ عَلَى الْمَسَافَةِ وَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى أَجْلَاهُمْ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَلَمَّا كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ سَنَةً ثَمَانٍ وَغَزْوَةُ حُنَيْنٍ عَلَى أَثَرِهَا وَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغَنَائِمَ فِيمَنْ كَانَ يَسْتَأْلِفُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ قُرَيْشٍ وَسَوَاهِمَ ، وَجَدَ الْأَنْصَارَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَقَالُوا : سَيُوفُنَا تَقَطَّرُ مِنْ دِمَائِهِمْ وَغَنَائِمُنَا تَقَسَّمُ فِيهِمْ مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا ظَنُّوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا فَتَحَ بِلَادَهُ وَجَمَعَ عَلَى الدِّينِ قَوْمَهُ إِنَّهُ سَيَقِيمُ بِأَرْضِهِ وَلَهُ غَنِيَّةٌ عَنْهُمْ . وَسَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ الْمُنَافِقِينَ . وَبَلَغَ ذَلِكَ كُلَّهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَمَعَهُمْ وَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا الَّذِي بَلَغَكُمْ عَنِي ؟ فَصَدَقُوهُ الْحَدِيثَ ، فَقَالَ : أَلَمْ تَكُونُوا ضَلَالًا فَهَذَا كُمْ اللَّهُ بِي ، وَعَالَةٌ فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ وَمَتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمْ اللَّهُ ؟ فَقَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ آمَنَ . فَقَالَ : «لَوْ شِئْتُ لَقَلَّمْتُ جَسْتَنَا طَرِيدًا فَأَوْيْنَاكَ وَمَكْذِبًا فَصَدَّقْنَاكَ وَلَكِنَّ اللَّهَ إِنِّي لِأَعْطِيَ رِجَالًا اسْتَأْلَفَهُمْ عَلَى الدِّينِ وَغَيْرِهِمْ أَحَبَّ إِلَيَّ ، أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَنْقَلِبَ النَّاسُ بِالْإِسْلَامِ وَتَنْقَلِبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رِحَالِكُمْ ؟ أَمَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا آمِنًا الْأَنْصَارَ ، النَّاسُ دِثَارٌ وَأَنْتُمْ شَعَارٌ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شَعْبًا وَسَلَكَ الْأَنْصَارُ شَعْبًا لَسَلَكَتُ شَعْبَ الْأَنْصَارِ» . فَفَرَحُوا بِذَلِكَ وَرَجَعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَثْرِبَ فَلَمْ يَزَلْ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ

إلى أن قبضه الله إليه .

ولما كان يوم وفاته صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة بن كعب ودعت الخزرج إلى بيعة سعد بن عباد ، وقالوا لقريش : منا أمير ومنكم أمير ضنا بالأمر أو بعضه فيهم لما كان من قيامهم بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وامتنع المهاجرون ، واحتجوا عليهم بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بالأنصار في الخطبة ولم يخطب بعدها . قال : أوصيكم بالأنصار إنهم كرشي^(١) وعيبي^(٢) وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فأوصيكم بأن تحسنوا إلى محسنهم وتتجاوزوا عن مسيئهم فلو كانت الأمانة لكم لكانت ولم تكن الوصية بكم فحججهم . فقام بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج فبايع لابي بكر واتبعه الناس ، فقال حباب بن المنذر بن الجموح بن حرام بن كعب بن غانم بن سلمة بن سعد يا بشير أنفست بها ابن عمك يعني الأمانة ، قال لا والله ولكني كرهت أن أنازع الحق قوماً جعله الله لهم . فلما رأى الأوس ما صنع بشير بن سعد وكانوا لا يريدون الأمر للخزرج قاموا فبايعوا أبا بكر ، ووجد سعد فتخلف عن البيعة ولحق بالشام إلى أن هلك وقتله الجنّ فيما يزعمون وينشدون من شعر الجنّ .

نحن قتلنا سيّد الخزرج سعد بن عباد ضربناه بسهم فلم تُخطِ قواده وكان لابنه قيس من بعده غناء في الأيام * وأثراً في فتوحات الإسلام * وكان له إنحياش إلى عليّ في حروبه مع معاوية ، وهو القائل لمعاوية بعد مهلك عليّ رضي الله عنه وقد عرض به معاوية في تشيعه فقال : والآن ماذا يا معاوية ؟ والله إن القلوب التي أبغضناك بها لني صدورنا ، وإن السيوف التي قاتلناك بها لعلّ عواتقنا . وكان أجود العرب وأعظمهم جثماً ، يقال : إنه كان إذا ركب تخط رجلاه الأرض .

ولما ولي يزيد بن معاوية وظهر من عسفه وجوره وإدالته الباطل من الحق ما هو معروف ، امتعضوا للدين وبايعوا لعبدالله بن الزبير حين خرجوا بمكة ، واجتمعوا على حنظلة بن عبدالله الغسيل ابن أبي عامر بن عبد عمرو بن صيفي بن النعمان بن مالك

(١) كرش الرجل : صار له جيش بعد انفراده .

(٢) العيبة من الرجل موضع سره .

ابن صيفي بن أمية بن ضبيعة بن زيد ، وعقد ابن الزبير لعبدالله بن مطيع بن إياس على المهاجرين معهم ، وسرح يزيد إليهم مسلم بن عقبة المري ، وهو عقبة بن رباح ابن أسعد بن ربيعة بن عامر بن مرة بن عوف ابن سعد بن دينار بن بغيض بن ريث ابن غطفان ، فيمن فرض عليه من بعوث الشام والمهاجرين . فالتقوا بالحرّة ، حرّة بني زهرة ، وكانت الدبرة على الأنصار واستلحمهم جنود يزيد ، ويقال إنه قتل في ذلك اليوم من المهاجرين والأنصار سبعون بدرياً وهلك عبدالله بن حنظلة يومئذ فيمن هلك ، وكانت إحدى الكبر التي أتاها يزيد .

واستفحل ملك الإسلام من بعد ذلك واتسعت دولة العرب ، وافترت قبائل المهاجرين والأنصار في قاصية الثغور بالعراق والشام والأندلس وأفريقية والمغرب حامية ومرابطين ، فافترق الحيّ أجمع من أبناء قيلة وافترت وأقفرت منهم يثرب ، ودرسوا فيمن درس من الأمم . وتلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . لا خالق سواه ولا معبود إلا إياه ولا خير إلا خيره ولا ربّ غيره ، وهو نعم المولى ونعم النصير . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

معاوية بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن ثعلبة بن مزينة
عدي غانم

مازن
عدي
الله بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن ثعلبة بن مزينة
مهم

المعجلان بن زيد بن سالم بن عنبس بن مالك بن حارثة بن ثعلبة بن مزينة
عدي غانم

بياضة بن عامر بن زيد بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم
سلمة بن سعد بن علي بن راشد بن ساردة بن يزيد

ساعدة بن كعب
الغزير بن حارثة بن ثعلبة بن مزينة
الغزير بن حارثة بن ثعلبة بن مزينة

الخبر عن بني عدنان وأنسابهم وشعوبهم وما كان لهم من الدول والملك في الاسلام وأولية ذلك ومصايره

قد تقدّم لنا أن نسب عدنان إلى إسماعيل عليه السلام باتفاق من النسابين ، وأنّ الآباء بينه وبين إسماعيل غير معروفة ، وتنقلب في غالب الأمر مخلطة مختلفة بالقلّة والكثرة في العدد حسبما ذكرناه ، فأما نسبه إليه فصحيحة في الغالب ونسب النبيّ صلى الله عليه وسلم منها إلى عدنان صحيح باتفاق من النسابين . وأما بين عدنان وإسماعيل فبين الناس فيه إختلاف كثير ، فقليل من وُلد نابت بن إسماعيل وهو عدنان بن أدّ المقدم ابن ناحور بن تنوخ بن يعرب بن يشجب بن نابت قاله البيهقي ، وقيل من ولد قيذار ابن إسماعيل وهو عدنان بن أدّ بن اليسع بن الهُميسع بن سلامان بن نبت بن حمل ابن قيذار قاله الجرجاني علي بن عبد العزيز النسابة ، وقيل عدنان بن أدّ بن يشجب ابن أيوب بن قيذار ، ويقال إنّ قُصَيّ بن كلاب كان يومي شعره بالانتساب إلى قيذار .

ونقل القرطبيّ عن هشام بن محمد فيما بين عدنان وقيذار نحواً من أربعين أباً ، وقال سمعت رجلاً من أهل تدمر من مسلمة يهود ومن قرأ كتبهم يذكر نسب معدّ بن عدنان إلى إسماعيل من كتاب إرمياء النبي عليه السلام وهو يقرب من هذا النسب في العدد والأسماء إلا قليلاً ، ولعل الخلاف إنما جاء من قبل اللغة لأنّ الأسماء ترجمت من العبرانية . ونقل القرطبي عن الزبير بن بكار بسنده إلى ابن شهاب فيما بين عدنان وقيذار قريباً من ذلك العدد ، ونقل عن بعض النسابين أنه حفظ لمعدّ بن عدنان أربعين أباً إلى إسماعيل ، وأنه قابل ذلك بما عند أهل الكتاب في نفسه فوجده موافقاً وإنما خالف في بعض الأسماء ، قال : واستمليته فأملاه عليّ ونقله الطبريّ الى آخره . ومن النسابين من يعدّ بين عدنان وإسماعيل عشرين أو خمسة عشر ونحو ذلك . وفي الصحيح عن أم سلمة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : معدّ بن عدنان بن أدّ بن زيد بن برّ بن أعراق الثراء . قالت أم سلمة : وزيد هو الهُميسع وبرّ هو نبت أو نابت وأعراق الثرى هو إسماعيل ، وقد تقدّم هذا أول الكتاب ، وأنّ السُّهيليّ ردّ تفسير أم سلمة وقال : ليس المراد بالحديث عدّ الآباء بين معدّ وإسماعيل وإنما معناه معنى

قوله في الحديث الآخر : أنتم بنو آدم وآدم من التراب ، وعضد ذلك باتفاق النسّابين على بعد المدة بين عدنان وإسماعيل بحيث يستحيل في العادة أن يكون بينهما أربعة آباء أو خمسة أو عشرة إذ المدة أطول من هذا كله بكثير . وكان لعدنان من الولد على ما قال الطبري ستة : الربُّ وهو عكَّ وعرق وبه سميت عرق اليمن وأدو أبي الضحّاك وعبق وأمهم مهّد ، قال هشام بن محمد هي من جدّيس وقيل من طسّم وقيل من الطواسيم من نسل لفشان بن إبراهيم .

قال الطبري : ولما قتل أهل حَضُورا شعيب بن مههم نبهم أوحى الله إلى إرميا وأبرخيا من أنبياء بني إسرائيل بأن يأمر بختنصر يغزو العرب ويعلماه أن الله سلّطه عليهم ، وأن يحتملا معدّ بن عدنان إلى أرضهم ويستنقذاه من الهلكة لما أرادته من شأن النبوة المحمدية في عقبه ، كما مرّ ذلك من قبل ، فحملاه على البراق ابن إثني عشرة سنة وخلصا به إلى حرّان فأقام عندهما وعلماه علم كتابهما ، وسار بختنصر إلى العرب فلقيه عدنان فيمن اجتمع إليه من حَضُورا وغيرهم بذات عرق فهزمهم بختنصر وقتلهم أجمعين ، ورجع إلى بابل بالغنائم والسبي وألقاها بالأنبار . ومات عدنان عقب ذلك وبقيت بلاد العرب خرابا حقا من الدهر حتى إذا هلك بختنصر خرج معدّي أنبياء بني إسرائيل إلى مكّة ، فحجّوا وحج معهم ووجد أخويه وعمومته من بني عدنان قد لحقوا بطوائف اليمن وتزوجوا فيهم ، وتعطف عليهم أهل اليمن بولادة جرّهم فرجعهم إلى بلادهم ، وسأل عمن بقي من أولاد الحرث بن مضاض الجرهمي فقبل له بقي جرّهم بن جلّه فتزوج ابنته معانة وولدت له نزار بن معدّ .

وأما مواطن بني عدنان هؤلاء فهي مختصة بنجد ، وكلها بادية رحالة إلا قريشا بمكّة ، ونجد هو المرتفع من جانبي الحجاز وطوله مسيرة شهر من أول السروات التي تلي اليمن إلى آخرها المطلّة على أرض الشام مع طول تهامة ، وأوله في أرض الحجاز من جهة العراق العذيب مما يلي الكوفة وهو ماء لبني تميم ، وإذا دخلت في أرض الحجاز فقد أنجذت ، وأوله من جهة تهامة الحجاز حُضن ولذلك يقال أنجد من رأى حُضناً . قال السُّهيلي : وهو جبل متصل بجبل الطائف الذي هو أعلى نجد تبيض فيه النُشور ، قال : وسكانه بنو جشم بن بكر وهو أول حدود نجد ، وأرض تهامة من الحجاز في قرب نجد مما يلي بحر القلزم في سمّت مكّة والمدينة وتيمّا وأيلة وفي شرقها بينها وبين جبل نجد غير بعيد ، منها العوالي وهي ما ارتفع عن هذه الأرض ، ثم تعلو

عن السروات ثم ترتفع إلى نجد وهي أعلاها . والعوالي والسروات بلاد تفصل بين تهامة ونجد متصلة من اليمن إلى شام كسروات الخيل تخرج من نجد منفصلة من تهامة داخلية في بلاد أهل الوبر . وفي شرقي هذا الجبل برية نجد ما بينه وبين العراق متصلة باليمامة وعُمان والبحرين إلى البصرة ، وفي هذه البرية مشاتي للعرب تشوبها منهم خلق أحياء لا يحصيهم إلا خالقهم .

قال السهيلي : واختص بنجد من العرب بنو عدنان لم تراحمهم فيه قحطان إلا طيء من كهلان فيما بين الجبلين سلمى وأجأ ، واقترب أيضاً من عدنان في تهامة والحجاز ، ثم في العراق والجزيرة ، ثم افترقوا بعد الإسلام على الأوطان . وأما شعوبهم فمن عدنان عكّ ومعدّ فواطن عكّ في نواحي زبيد ، ويقال عكّ بن الديث بالدال غير منقوطة والثاء مثلثة ابن عدنان ، ويقال أن عكّا هذا هو ابن عدنان بالثاء المثلثة ابن عبدالله من بطون الأزد ومن عكّ بن عدنان بنو عايق بن الشاهد بن علقمة بن عكّ بطن متسع كان منهم في الإسلام رؤساء وأمراء .

وأما معدّ فهو البطن العظيم ومنه تناسل عقب عدنان كلهم ، وهو الذي تقدّم الخبر عنه بأن إرمياء النبي من بني إسرائيل أوحى الله إليه أن يأمر بختنصر بالانتقام من العرب وأن يحمل معدّا على البراق أن تصيبه النقمة لأنه مستخرج من صلبه نبياً كريماً خاتماً للرسل فكان كذلك ، ومن ولده إياد ونزار ويقال وقنص وأنمار ، فأما قنص فكانت له الأمانة بعد أبيه على العرب وأراد إخراج أخيه نزار من الحرم ، فأخرجوه^(١) أهل مكة وقدموا عليه نزاراً . ولما احتضر قسّم ماله بين ولديه فجعل لربيعة الفرس ، ولمضر القبة الحمراء ، ولأنمار الحمار ، ولإياد عند من جعله من ولده الحلمة والعصا . ثم تحاكموا في هذا الميراث إلى أفعى نجران في قصة معروفة ليست من غرض الكتاب .

وأما إياد فتشعبوا بطوناً كثيرة وتكاثر بنو إسماعيل وانفرد بنو مضر بن نزار برياسة الحرم وخرج بنو إياد إلى العراق ، ومضى أنمار إلى السروات بعد بنيهِ في اليمانية وهم : خثعم وبجيلة ، ونزلوا بأريافه وكان لهم في بلاد الأكاسرة آثار مشهورة إلى أن تابع لهم الأكاسرة الغزو وأبادوهم ، وأعظم ما باد^(٢) منهم سابور ذو الأكتاف هو الذي

(١) الصحيح ان يقول : أخرجه .

(٢) الصحيح اعظم ما أباد منهم حسب مقتضى السياق .

استلحمهم وأفناهم .

وأما نزار فمِنه البطنان : العظمان ربيعة ومُضر ، ويقال : إنَّ إِياداً يرجعون إلى نِزار وكذلك أنمار ، فأما ربيعة فديارهم ما بين الجزيرة والعراق وهم ضُبَيْعة وأسد إبنا ربيعة ، ومن أسد عترة وجديلة إبنا أسد فعترة بلادهم في عين التمر في برية العراق على ثلاثة مراحل من الأنبار ثم انتقلوا عنها إلى جهات خيبر فهم هنالك ، وورثت بلادهم غزيرة من طيء الذين لهم الكثرة والأماراة بالعراق لهذا العهد ، ومن عترة هؤلاء بأفريقية حي قليل مع رياح من بني هلال بن عامر ، ومنهم أحياء مع طيء ينتجعون ويشتون في برية نجد .

وأما جديلة فمنهم عبد القيس وهَنْبُ إبنا أفصى بن دَعْمِي بن جديلة ، فأما عبد القيس وكانت مواطنهم بتهامة ثم خرجوا إلى البحرين وهي بلاد واسعة على بحر فارس من غربيه ، وتتصل باليمامة من شرقيها ، وبالبصرة من شماليها ، وبعُمان من جنوبها ، وتعرف ببلاد هجر ومنها القطيف وهجر والعسير وجزيرة أوال والأحسا ، وهجر هي باب اليمن من العراق وكانت أيام الأكاسرة من أعمال الفرس وممالكهم وكان بها بشر كثير من بكر بن وائل وتميم في باديتها ، فلما نزل معهم بنو عبد القيس زاحموهم في ديارهم تلك وقاسموهم في الوطن ووفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأسلموا ، ووفد منهم المنذر بن عائد بن المنذر بن الحارث بن النعمان بن زياد بن نصر ابن عمرو بن عوف بن جُذَيْمة بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن بكر ، وذكروا أنه سيدهم وقائدهم إلى الإسلام فكانت له صحبة ومكانة من النبي صلى الله عليه وسلم . ووفد أيضاً الجارود بن عمرو بن حنش بن المُعَلَّى بن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة بن جُذَيْمة ، وثعلبة أخو عوف بن جُذَيْمة وفد في عبد القيس سنة تسع مع المنذر بن ساوي من بني تميم وسيأتي ذكره ، وكان نصرانياً فأسلم وكانت له أيضاً صحبة ومكانة . وكان عبد القيس هؤلاء من أهل الردة بعد الوفاة ، وأمروا عليهم المنذر بن النعمان الذي قتل كسرى أباه ، فبعث إليهم أبو بكر بن العلا بن الحضرمي في فتح البحرين وقتل المنذر . ولم تزل رياسة عبد القيس في بني الجارود أولاً ثم في إبنه المنذر وولاه عمر على البحرين ثم ولّاه على إصطخر ، ثم عبد الله بن زياد ولّاه على الهند ثم ابنه حكيم بن المنذر وتردد على ولاية البحرين قبل ولاية العراق .

وَأَمَّا هَنْبُ بْنُ أَفْصَى فَمِنْهُمْ النِّمْرُ وَوَائِلُ ابْنَا قَاسِطِ بْنِ هَنْبٍ . فَأَمَّا بَنُو النِّمْرِ بْنِ قَاسِطِ فَبِلَادِهِمْ رَأْسُ الْعَيْنِ ، وَمِنْهُ صُهَيْبُ بْنُ سَنَانِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَبْدِ عَمْرِو بْنِ عَقِيلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ جَنْدَلَةَ بْنِ جُذَيْمَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَسْلَمِ بْنِ أَوْسِ مَنَاةَ بْنِ النِّمْرِ بْنِ قَاسِطِ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَشْهُورِ ، وَيَنْسَبُ إِلَى الرُّومِ ، وَكَانَ سَنَانُ أَبُوهُ اسْتَعْمَلَهُ كَسْرَى عَلَى الْأَبْلَةِ ، وَكَانَ لِبَنِي النِّمْرِ بْنِ قَاسِطِ شَأْنٌ فِي الرَّدَّةِ مَذْكُورٌ ، وَمِنْهُمْ ابْنُ الْقَرْيَةِ الْمَشْهُورُ بِالْفَصَاحَةِ أَيَّامَ الْحِجَّاجِ ، وَمَنْصُورُ بْنُ النِّمْرِ الشَّاعِرُ مَادِحُ الرِّشِيدِ . وَأَمَّا بَنُو وَائِلِ فَبَطْنٌ عَظِيمٌ مَتَسِعَ أَشْهُرُهُمْ بَنُو تَغْلِبَ وَبَنُو بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَهُمَا اللَّذَانِ كَانَتَا بَيْنَهُمَا الْحُرُوبُ الْمَشْهُورَةُ الَّتِي طَالَتْ فِيمَا يُقَالُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَلِبَنِي تَغْلِبَ شُهْرَةٌ وَكَثْرَةٌ وَكَانَتْ بِلَادُهُمْ بِالْجَزِيرَةِ الْفُرَاتِيَّةِ بِجِهَاتِ سِنْجَارٍ وَنَضِيبِينَ وَتَعْرِفُ بِدِيَارِ رِبِيعَةٍ ، وَكَانَتِ النَّصْرَانِيَّةُ غَالِبَةً عَلَيْهِمْ لِمُجَاوَرَةِ الرُّومِ . وَمِنْ بَنِي تَغْلِبَ عَمْرُو بْنُ كَلْثُومِ الشَّاعِرُ ، وَهُوَ عَمْرُو بْنُ كَلْثُومِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عِتَابِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَهِيرِ بْنِ جِشْمِ بْنِ بَكْرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَانِمِ بْنِ تَغْلِبَ وَأُمُّهُ هِنْدُ بِنْتُ مَهْلَهْلٍ ، وَمِنْ وَلَدِهِ مَالِكُ بْنُ طُوقِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عِتَابِ بْنِ زَافَرِ بْنِ شَرِيحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَلْثُومٍ وَإِلَيْهِ تَنْسَبُ رَحْبَةُ مَالِكِ بْنِ طُوقِ عَلَى الْفُرَاتِ ، وَعَاصِمُ بْنُ النِّعْمَانِ عَمُّ عَمْرِو بْنِ كَلْثُومٍ هُوَ الَّذِي قَتَلَ شَرْحِبِيلَ بْنَ الْحَرِثِ الْمَلِكَ آكَلَ الْمِرَارَ يَوْمَ الْكَلَابِ . وَمِنْ بَنِي تَغْلِبَ كَلِيبُ وَمُهْلَهْلُ ابْنَا رِبِيعَةٍ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ زَهِيرِ بْنِ جِشْمٍ ، وَكَانَ كَلِيبُ سَيِّدَ بَنِي تَغْلِبَ وَهُوَ الَّذِي قَتَلَهُ جَسَّاسُ بْنُ مَرَّةَ بْنِ ذُهْلٍ بْنِ شَيْبَانَ وَكَانَ مَتْرُوجًا بِأُخْتِهِ فَرَعْتَ نَاقَةَ الْبَسُوسِ فِي حِمَى كَلِيبَ فَرَمَاهَا بِسَهْمٍ فَأَثْبَتَهَا ، وَقَتَلَهُ جَسَّاسٌ لِأَنَّ الْبَسُوسَ كَانَتْ جَارَتَهُ ، فَقَامَ أَخُو كَلِيبَ وَهُوَ مُهْلَهْلُ بْنُ الْحَرِثِ كَمَنْ بَرِيَاةُ تَغْلِبَ وَطَلَبَ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ بِثَارِ كَلِيبَ فَاتَّصَلَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَأَخْبَارُهَا مَعْرُوفَةٌ ، وَطَالَ عَمْرُ مُهْلَهْلٍ وَتَغَرَّبَ إِلَى الْيَمَنِ فَقَتَلَهُ عَبْدَانُ لَهُ فِي طَرِيقِهِ ، وَبَنُو شُعْبَةَ الَّذِينَ بِالطَّائِفِ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ وَلَدِ شُعْبَةَ بْنِ مُهْلَهْلٍ . وَمِنْ تَغْلِبَ الْوَلِيدُ بْنُ طَرِيفِ بْنِ عَامِرِ الْخَارِجِيِّ وَهُوَ مِنْ بَنِي صَيْفِي بْنِ حَيٍّ بْنِ عَمْرِو بْنِ بَكْرِ بْنِ حَبِيبٍ وَهُوَ الَّذِي رَثَتْهُ أُخْتُهُ لَيْلَى بِقَوْلِهَا :

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالِكَ مُورِقاً كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ
فَتَى لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ التُّقَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَا وَسُيُوفٍ
خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ إِلَى الْوَغَى وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفٍ
فَلَوْ كَانَ هَذَا الْمَوْتُ يَقْبَلُ فِدْيَةً فَدَيْنَاهُ مِنْ سَادَاتِنَا بِأَلُوفٍ

ومنهم بنو حمدان ملوك الموصل والجزيرة أيام المُنْتَقِي ، ومن بعده من خلفاء العباسيين
وسياقي ذكرهم في أخبار بني العباس وهم بنو حمدان من بني عدي بن أسامة بن
غانم بن تغلب ، كان منهم سيف الدولة الملك المشهور .

وأما بكر بن وائل ففيهم الشهرة والعدد فمنهم يشكر بن بكر بن وائل وبنو عكابة بن
صعب بن علي بن بكر بن وائل ومنهم بنو حنيفة وبنو عجل إبن لُجيم بن صعب .
ففي بني حنيفة بطون متعددة أكثرهم بنو الدَّوْل بن حنيفة ، فيهم البيت والعدد
ومواطنهم باليمامة وهي من أوطان الحجاز كما هي نَجْرَان من اليمن ، والشرقي منها يوالي
البحرين وبني تميم والغرب يوالي أطراف اليمن والحجاز ، والجنوب نجران والشمال
أرض نجد وطول اليمامة عشرون مرحلة ، وهي على أربعة أيام من مكة بلاد نخل
وزلع وقاعدتها حجر بالفتح ، وبها بلد اسمه اليمامة ، ويسمى أيضاً جو باسم الزرقا ،
وكانت مقراً للملوك قبل بني حنيفة ، واتخذ بنو حنيفة بعدها بلد حجر وبقي كذلك في
الإسلام . وكانت مواطن اليمامة لبني همدان بن يَعْفَر بن السُّكْسُك بن وائل بن حَمِير
غلبوا على من كان بها من طَسَم وجديس كان آخر ملوكهم بها فيما ذكره الطبري قَرطُ
ابن يَعْفَر ، ثم هلك فغلب عليها بعده طسم وجديس وكانت منهم الزرقا أخت
رياح بن مرة ابن طسم كما تقدّم في أخبارهم . ثم استولى على اليمامة آخر بنو حنيفة
وغلبوا عليها طسماً وجديساً وكان ملكها منهم هوزة بن علي بن ثمامة بن عمرو بن عبد
العزى بن شحيم بن مرة بن الدَّوْل بن حنيفة ، وتوجه كسرى وابن عمه عمرو بن
عمرو بن عبد الله بن عمرو بن عبد العزى ، قاتل المنذر بن ماء السماء يوم عين أباغ .
وكان منهم ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن الدَّوْل بن حنيفة
ملك اليمامة عند المبعث وثبت عند الردّة . ومنهم الخارجي نافع بن الأزرق بن قيس
بن صبرة بن ذهل بن الدَّوْل بن حنيفة وإليه تُنسب الأزارقة ، ومنهم محلم بن سبيع بن
مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن الدَّوْل بن حنيفة صاحب مُسَيْلَمَة الكذاب ، وهو من بني
عدي بن حنيفة ، وهو مسلمة بن ثمامة بن كُثَيْر بن حبيب بن الحرث بن عبد الحرث بن
عدي ، وأخبار مسلمة في الردّة معروفة وسياقي الخبر عنها .

وأما بنو عجل بن لُجيم بن صعب وهم الذين هزموا الفرس بموتة يوم ذي قار كما مرّ ،
فمنازلهم من اليمامة إلى البصرة وقد دثروا ، وخلفهم في اليوم في تلك البلاد بنو عامر
المُتَفِق بن عقيل بن عامر ، وكان منهم بنو أبي دُلف العجلي ، كانت لهم دولة

بِعِرَاقِ الْعَجْمِ يَأْتِي ذِكْرُهَا .

وَأَمَّا عُكَّابَةُ بْنُ صَعْبِ بْنِ عَلِي بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فَهُنَا تَيْمُ اللَّهِ وَقَيْسُ ابْنَا ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَّابَةَ
وَشَيْبَانَ بْنِ ذُهْلٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، بَطُونُ ثَلَاثَةِ عَظِيمَةٍ ، وَأَوْسَعُهَا وَأَكْثَرُهَا شُعُوبًا بَنُو
شَيْبَانَ ، وَكَانَتْ لَهُمْ كَثْرَةٌ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ شَرْقِي دَجْلَةٍ فِي جِهَاتِ الْمَوْصِلِ ، وَأَكْثَرُ
أُتَمَّةِ الْخَوَارِجِ فِي رِبْعَةٍ مِنْهُمْ ، وَسَيِّدُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مُرَّةُ بْنُ ذُهْلٍ بْنِ شَيْبَانَ كَانَ لَهُ
أَوْلَادُ عَشْرَةِ نَسْلُوا عَشْرَةَ قَبَائِلَ أَشْهَرَهُمْ : هَمَّامٌ وَجَسَّاسٌ ، وَسَادَهُمَا بَعْدَ أَبِيهِ . وَقَالَ
ابْنُ حَزْمٍ : تَفَرَّعَ مِنْ هَمَّامٍ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ بَطْنًا . وَأَمَّا جَسَّاسٌ فَقَتَلَ كُلِّيبًا زَوْجَ أُخْتِهِ وَهُوَ
سَيِّدُ تَغْلِبَ حِينَ قَتَلَ نَاقَةَ الْبَسُوسِ جَارَتَهُ ، وَأَقَامَ ابْنُ كُلِّيبٍ عِنْدَ بَنِي شَيْبَانَ إِلَى أَنْ كَبُرَ
وَعَقِلَ أَنْ جَسَّاسًا خَالَهُ هُوَ الَّذِي قَتَلَ أَبَاهُ فَقَتَلَهُ وَرَجَعَ إِلَى تَغْلِبَ ، فَمِنْ وَلَدِ جَسَّاسٍ
بَنُو الشَّيْخِ كَانَتْ لَهُمْ رِيَاسَةٌ بَآمِدٍ وَانْقَطَعَتْ عَلَى يَدِ الْمُعْتَصِدِ . وَمِنْ بَنِي شَيْبَانَ هَانِيٌّ
بْنُ مَسْعُودٍ الَّذِي مَنَعَ حَلْقَةَ النُّعْمَانِ مِنْ أَبْرُويزَ لَمَّا كَانَتْ وَدِيعَةً عِنْدَهُ ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ
يَوْمَ ذِي قَارٍ وَهُوَ هَانِيٌّ بْنُ مَسْعُودٍ بْنُ عَامِرٍ بْنِ أَبِي رِبْعَةٍ بْنِ ذُهْلٍ بْنِ شَيْبَانَ ، وَمِنْهُمْ
الضُّحَّاكُ بْنُ قَيْسِ الْخَارِجِيِّ الَّذِي بَوَّعَ أَيَّامَ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَى مَذْهَبِ الصُّفَرِيَّةِ
وَمَلِكِ الْكُوفَةِ وَغَيْرِهَا ، وَبَايَعَهُ بِالْخِلَافَةِ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ مِنْهُمْ سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ بْنُ
عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَقَتَلَهُ آخِرًا مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ . وَهُوَ
الضُّحَّاكُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الْحَصِينِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ
عُوفٍ بْنِ رِبْعَةٍ بْنِ مُحَلِّمٍ بْنِ ذُهْلٍ بْنِ شَيْبَانَ ، وَسَيَّأَتِي الْإِلْمَامُ بِخَبْرِهِ . وَمِنْهُمْ الْمُشَنَّى بْنُ
حَارِثَةَ الَّذِي فَتَحَ سَوَادَ الْعِرَاقِ أَيَّامَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍو وَأَخُوهُ الْمُعَنَّى بْنُ حَارِثَةَ . وَمِنْهُمْ
عُمَرَانُ بْنُ حَطَّانٍ مِنْ أَعْلَامِ الْخَوَارِجِ . وَهَذَا انْقِضَاءُ الْكَلَامِ فِي رِبْعَةِ بْنِ نَزَارٍ وَاللَّهُ
الْمَعِينُ .

* وأما مُضَر بن نِزار * وكانوا أهل الكثرة والغلب بالحجاز من سائر بني عدنان وكانت لهم رياسة بمكة فيجمعهم فخذان عظيمان وهما خندف وقيس ، لأنه كان له من الولد إثنان : إلياس وقيس عيلان عبد حضنه قيس فنسب إليه ، وقيل هو فرس ، وقد قيل إن عيلان هو ابن مُضَر واسمه إلياس وإن له إبنين قيس ودهم ، وليس ذلك بصحيح ، وكان لإلياس ثلاثة من الولد مُدركة وطابخة وقعة لامرأة من قضاة تُسمى خندف فانتسب بنو إلياس كلهم إليها ، وانقسمت مُضَر إلى خندف وقيس عيلان . فأما قيس فتشعبت إلى ثلاث بطون من كعب وعمرو وسعد بنيه الثلاثة ، فمن عمرو بنو فهم وبنو عدوان ابني عمرو بن قيس ، وعدوان بطن متسع وكانت منازلهم الطائف من أرض نجد نزحوا بعد إياد العمالقة ثم غلبتهم عليها ثقيف فخرجوا إلى تهامة ، وكان منهم عامر بن الظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان حكم العرب في الجاهلية ، وكان منهم أيضاً أبو سيارة الذي يدفع بالناس في الموسم ، وعميلة بن الأعزل بن خالد بن سعد بن الحرث بن ريش بن زيد بن عدوان ، وبأفريقية لهذا العهد منهم أحياء بادية بالقفر يظعنون مع بني سليم تارة ومع رياح بن هلال بن عامر أخرى .

ومن بني فهم بن عمرو فيما ذكر البيهقي بنو طرود بن فهم بطن متسع كانوا بأرض نجد ، وكان منهم الأعشى ، وليس منهم الآن بها أحد ، وبأفريقية لهذا العهد حي يظعنون مع سليم ورياح ، وانقضى الكلام في بني عمرو بن قيس .
وأما سعد بن قيس فمنهم غني وباهلة وغطفان ومرة ، فأما غني فهم بنو عمرو بن أعصر بن سعد ، وأما باهلة فمنهم بنو مالك بن أعصر بن سعد صاحب خراسان المشهور ، ومنهم أيضاً الأصمعي راوية العرب المشهور وهو عبد الملك بن علي بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مطر بن رياح بن عمرو بن عبد شمس بن أعيا بن سعد بن عبد غانم بن قتيبة بن معن بن مالك .

وأما بنو غطفان بن سعد : فبطن عظيم متسع كثير الشعوب والبطون ومنازلهم بنجد ما يلي وادي القرى وجبلي طيء ، ثم افترقوا في الفتوحات الإسلامية واستولت عليها قبائل طيء وليس منهم اليوم عمودة رجالة في قطر من الأقطار إلا ما كان لفزارة ورواحة في جوار هيب ببلاد برقة . وبنو غطفان بطون ثلاثة : منهم أشجع بن ريث ابن غطفان ، وعبس بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وذبيان . فأما أشجع فكانوا

عرب المدينة يثرب وكان سيدهم معقل بن سنان من الصحابة ، وكان منهم نعيم بن مسعود بن أنيف بن ثعلبة بن قنديل بن خلاوة بن سبيع بن أشجع الذي شئت جموع الأحزاب عن النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى آخرين مذكورين منهم ، وليس لهذا العهد منهم بنجد أحد إلا بقايا حوالي المدينة النبوية ، وبالمغرب الأقصى منهم حي عظيم الآن يظعنون مع عرب المعقل بجهات سجلماسة ووادي ملوية ولهم عدد وذكر . وأما بنو عبس فبيتهم في بني عدّة بن قطيعة كان منهم الربيع بن زياد وزير النعمان ، ثم إخوتهم بنو الحرث بن قطيعة كان منهم زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن آزر بن الحرث سيدهم ، وكانت له السيادة على غطفان أجمع ، وله بنون أربعة منهم : قيس ساد بعده على عبس ، وابنه زهير هو صاحب حرب داحس والغبراء فرسين كانت إحداهما وهي داحس لقيس والأخرى وهي الغبرا لحذيفة بن بدر سيد فزارة فأجرياها وتشامّا في الحكم بالسبق فتشاجرا وتحاربا وقتل قيس حذيفة ودامت الحرب بين عبس وفزارة وأخوة قيس بن زهير الحرث وشاس ومالك وقتل مالك في تلك الحرب ، وكان منهم الصحابي المشهور حذيفة بن اليمان بن حسل بن جابر بن ربيعة بن جروة بن الحرث بن قطيعة ومن عبس بن جابر بنو غالب بن قطيعة ، ثم عنزة بن معاوية بن شدّاد بن مراد بن مخزوم بن مالك بن غالب الفارس المشهور وأحد الشعراء الستة في الجاهلية ، وكان بعده من أهل نسبه وقرباته الخطيئة الشاعر المشهور وإسمه جرّول بن أوس بن جؤبة بن مخزوم ، وليس بنجد لهذا العهد أحد من بني عبس ، وفي أحياء زغبة من بني هلال لهذا العهد أحياء ينتسبون إلى عبس ، فما أدري من عبس هؤلاء أم هو عبس آخر من زغبة نسبوا إليه .

وأما ذبيان بن بغيض : فلهم بطون ثلاثة : مرة وثعلبة وفزارة ، فأما فزارة فهم خمسة شعوب : عديّ وسعد وشمخ ومازن وظالم . وفي بدر بن عديّ كانت رياستهم في الجاهلية ، وكانوا يرأسون جميع غطفان ، ومن قيس وإخوتهم بنو ثعلبة بن عديّ كان منهم حذيفة بن بدر بن جؤبة بن لوزان بن ثعلبة بن عديّ بن فزارة الذي راهن قيس بن زهير العبسي على جري داحس والغبرا وكانت بسبب ذلك الحرب المعروفة ، ومن ولده عيينة بن حصن بن حذيفة الذي قاد الأحزاب إلى المدينة وأغار على المدينة لأوّل بيعة أبي بكر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمّيه الأحمق المطاع ، ومنهم أيضا الصحابي المشهور سُمرة بن جندب بن هلال بن خديج بن

مرة بن خرق بن عمرو بن جابر بن خُشين ذي الرأسين بن لاي بن عصيم بن شمش بن فزارة ، ومن بني سعد بن فزارة يزيد بن عمرو بن هُبيرة بن معية بن سُكين بن خديج بن بغيض بن مالك بن سعد بن عديّ بن فزارة وليّ العراقين هو وأبوه أيام يزيد بن عبد الملك ومروان بن محمد ، وهو الذي قتله المنصور بعد أن عاهده ، ومن بني مازن بن فزارة هرم بن قطبة أدرك الإسلام وأسلم ، إلى آخرين يطول ذكرهم ولم يبق بنجد منهم أحد . وقال ابن سعيد : إنّ أبرق الحنّان وأبانا من وادي القرى من معالم بلادهم ، وإنّ جيرانهم من طيء مولدها لهذا العهد ، وإنّ بأرض بركة منهم إلى طرابلس قبائل رواحة وهيب وفزان . قلت : وبأفريقية والمغرب لهذا العهد أحياء كثيرة اختلطوا مع أهله ، فمنهم مع المقل بالمغرب الأقصى أحياء كثيرة لهم عدد وذكر بالمقل إلى الإستظهار بهم حاجة ، ومنهم مع بني سليم بن منصور بأفريقية طائفة أخرى أحلاف لأولاد أبي الليل من شعوب بني سليم يستظهرون بهم في مواقف حروبهم ويولّونهم على ما يتولونه للسلطان من أمور باديتهم نيابة عنهم شأن الوزراء في الدول ، وكان من أشهرهم معن بن معاطن وزير حمزة بن عمر بن أبي الليل أمير الكعوب بعده حسبما نذكره في أخبارهم ، وربما يزعم بنو مُرين أمراء الزاب لهذا العهد أنّهم منهم ، ويتسبون إلى مازن بن فزارة ، وليس ذلك بصحيح ، وهو نسب مصون يتقرّب به إليهم بعض البدو من فزارة هؤلاء طمعاً فيما بأيديهم لمكانهم من ولاية الزاب والانفراد بحبائمه ومصانعة الناس بوفرها ، فلهجونهم بذلك ترفعاً على أهل نسبهم بالحقيقة من الأثابج ، كما يذكر لكونه تحت أيديهم ومن رعاياهم .

وأما بنو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان فمنهم هرم بن سنان بن غيظ بن مرة وهو سيدهم في الجاهلية الذي مدحه زهير بن أبي سلمى ، ومنهم أيضاً الفاتك وهو الحرث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ فتك بخالد بن جعفر بن كلاب وشرحيل بن الأسود بن المنذر ، وحصل ابن الحرث في يد النعمان بن المنذر فقتله ، وشاعره في الجاهلية النابغة زياد بن عمرو الذبياني أحد الشعراء الستة . ومنهم أيضاً مُسلم بن عقبة بن رياح بن أسعد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن يربوع قائد يزيد بن معاوية صاحب يوم الحرّة على أهل المدينة إلى آخرين يطول ذكرهم . وهذا آخر الكلام في بني غطفان وبلادهم بنجد مما يلي وادي القرى ، وبها من المعالم أبني والحاجر والهباءة وأبرق الحنّان ، وتفرّقوا على بلاد الإسلام في الفتوحات ولم يبق لهم

في تلك البلاد ذكر ، ونزلت بها قبائل طيء وبانقضاء ذكرهم انقضى بنو سعد بن قيس .
وأما خصفة بن قيس : فتفرع منهم بطنان عظيمان وهما بنو سليم بن منصور وهوازن بن منصور ، وهوازن بطون كثيرة يأتي ذكرها ، ويلحق بهذين البطين بنو مازن بن منصور وعددهم قليل ، وكان منهم عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نشيب بن وهب بن زيد بن مالك بن عبد عوف بن الحرث بن مازن الصحابي المشهور الذي بنى البصرة لعمر بن الخطاب ، وإليه ينسب العُتبيون الذين سادوا بخراسان ، ويلحق أيضا بنو محارب بن خصفة . فأما بنو سليم فشعوبهم كثيرة منهم بنو ذكوان بن رفاعه بن الحرث بن رجا بن الحارث بن بهثة بن سليم ، وإخوتهم بنو عبس بن رفاعه الذين منهم عباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد عبس الصحابي المشهور الذي أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين في المؤلفة قلوبهم ، ثم زاده حين غضب استقلالاً لعطائه وأنشد الأبيات المعروفة في السير ، وكان أبوه مرداس تزوج الخنساء وولدت منه .

ومن بني سليم أيضا بنو ثعلبة بن بهثة بن سليم ، كان منهم عبيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الأعور والي أفريقية ، وجده أبو الأعور من قواد معاوية وإسمه عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد بن قائف بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان بن ثعلبة ، والرود بن خالد بن حذيفة بن عمرو بن خلف بن مازن بن مالك بن ثعلبة وكان على بني سليم يوم الفتح ، وعمرو بن عتبة بن منقذ بن عامر بن خالد كان صديقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وأسلم ثلاث أبو بكر وبلال فكان يقول كنت يومئذ ربع الإسلام^(١) . ومن بني سليم أيضاً بنو علي بن مالك بن امرئ القيس بن بهثة وبنو عَصِيَّة بن خفاف بن امرئ القيس ، وهما اللذان لعنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) أهل بئر معونة وقتلهم إياهم . ومن

(١) أما الطبري فيقول في ج ٢ ص ٢١٤ : « قال حدثني عمرو بن عبسة ، قال : أتيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو نازل بعُكاظ ، قلت : يا رسول الله من تبعك على هذا الأمر؟ قال : اتبعني عليه رجلان حر وعبد ، أبو بكر وبلال ، قال فاسلمت عند ذلك قال فلقد رأيتني اذ ذاك ربع الإسلام .
وكذلك أورد ابن الاثير القصة عن عمرو بن عبسة . إلى أن قال : فلقد رأيتني رابع الإسلام ، وهكذا يستدل لنا أن اسم هذا الرجل هو عمرو بن عبسة وليس عمرو بن عتبة .

(٢) المعنى غير منسجم وربما تكون سقطت بعض الكلمات اثناء النسخ وهذه القصة مذكورة عند الطبري في ج ٣ ص ٣٣ وفي غيره من كتب التاريخ والسير ومقتضى السياق : « لعنهما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم وافاه الخبر عن أهل بئر معونة وقتلهم إياهم .

شعوب عُصَيَّة الشريد وإسمه عمرو بن يقظة بن عُصَيَّة . وقال ابن سعيد : الشريد بن رياح بن ثعلبة بن عُصَيَّة الذين كانت منهم الخنساء وأخواها صخر ومعاوية ابنا عمرو بن الحرث بن الشريد والشريد بيت سُليم في الجاهلية ، قال ابن سعيد كان عمرو بن الشريد يمسك بيده إبنه صخرًا ومعاوية في الموسم فيقول : أنا أبو خيري مُضر ومن أنكر فليعتبر فلا ينكر أحد وابنته الخنساء الشاعرة وقد تقدّم ذكرها ، وحضرت بأولادها حروب القادسية . وبنو الشريد لهذا العصر في جملة بني سُليم في أفريقية ولهم شوكة وصوله ، ومنهم إخوة عُصَيَّة بن خفاف الذين كان منهم الخفاف كبير أهل الردة الذي أحرقه أبو بكر بالنار واسمه إياس بن عبدالله بن أليل بن سلمة بن عميرة .

ومن بني سليم أيضاً بنو بهز بن امرئ القيس بن بهثة كان منهم الحجاج بن علاط بن خالد بن نديرة^(١) بن حنتر بن هلال بن عبد ظفر بن سعد بن عمرو بن تميم بن بهز الصحابي المشهور ، وابنه نصر بن حجاج الذي نفاه عمر عن المدينة ، إلى آخرين من سليم يطول ذكرهم . قال ابن سعيد : ومن بني سليم بنو زغبة بن مالك بن بهثة كانوا بين الحرمين ثم انتقلوا إلى المغرب فسكنوا بأفريقية في جوار إخوتهم بني ذياب بن مالك ثم صاروا في جوار بني كعب . ومن بني سليم بنو ذياب بن مالك ومنازلهم ما بين قابس وبرقة ، يجاورون مواطن يعهّب ، وبجهة المدينة خلق منهم يؤذون الحاج ويقطعون الطريق . وبنو سليمان بن ذياب في جهة قرآن وودّان ورؤساء ذياب لهذا العهد الجوّاري ما بين طرابلس وقابس ، وبيتهم بنو صابر والمحامد بنواحي فاس وبيتهم في بني رصاب بن محمود وسيأتي ذكرهم .

ومن بني سليم بنو عوف بن بهثة : ما بين قابس وبلد العنّاب من أفريقية وجرما ، هم مرداس وعلاق فأما مردّاس فرياستهم في بني جامع لهذا العهد ، وأما علاق فكان رئيسهم الأوّل في دخولهم أفريقية رافع بن حمّاد ، ومن أعقابه بنو كعب رؤساء سليم لهذا العهد بأفريقية ، ومن بني سليم بنو يعهّب بن بهثة إخوة بني عوف بن بهثة وهم ما بين السدرة من برقة إلى العدوّة الكبيرة ثم الصغيرة من حدود الإسكندرية ، فأوّل ما يلي الغرب منهم بنو أحمد لهم أجدابية وجهاتها وهم عدد يرهبهم الحاج ويرجعون إلى شماخ ، وقبائل شماخ لها عدد واسماء متميزة ولها العز في بيت لكونها جازت المَحْصَب من بلاد برقة مثل المَرَج وطميثا ودرنا ، وفي المشرق عن بني أحمد إلى

(١) وهو الحجاج بن علاط بن خالد بن نوييرة .

العقبة الكبيرة ، وأما الصغيرة فسال ومُحَارِب والرياسة في هذين القيلتين لبني عِزَّاز وهُيب بخلاف سائر سليم لأنها استولت على إقليم طويل خربت مدنه ولم يبق فيه مملكة ولا ولاية إلا لأشياخها وتحت أيديهم خلق من البرابرة واليهود زراعاً وتجاراً .

وأما رواحة وفزارة اللذين في بلاد هُيب فهم من غطفان وهذا آخر الكلام في بني سليم بن منصور وكانت بلادهم في عالية نجد بالغرب وخيبر ومنها حرّة بني سليم ، وحرّة النار بين وادي القرى وتيماً ، وليس لهم الآن عدد ولا بقية في بلادهم ، وبأفريقية منهم خلق عظيم كما يأتي ذكره في أخبارهم عند ذكر الطبقة الرابعة من العرب .

وأما هوازن بن منصور ففيهم بطون كثيرة يجمعهم ثلاثة أجرام كلهم لبكر بن هوازن وهم بنو سعد بن بكر وبنو معاوية بن بكر وبنو مُنَبِّه بن بكر :

فأما بنو سعد بن بكر ، وهم إظهار النبي صلى الله عليه وسلم أرضعته منهم حليلة بنت أبي ذؤيب بن عبد الله بن سحنة بن ناصرة بن عُصَيَّة بن نصر بن أسعد ، وبنوها عبد الله وأنيسة والشيا بنو الحرث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملاذ بن ناصرة ، وحصلت الشيا في سبي هوازن فأكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وردّها إلى قومها وكان فيها أثر عضة عضها إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تحمله .

فأما بنو مُنَبِّه بن بكر ففيهم ثقيف ، وهم بنو قسي بن مُنَبِّه بطن عظيم متسع ، منهم بنو جهم بن ثقيف كان منهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن حبيب بن الحرث بن مالك بن حطيط صاحب لوائهم يوم حنين وقتل يومئذ كافراً وكان من ولده أمير الأندلس لسليمان بن عبد الملك وهو الحر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان ، ومنهم بنو عوف بن ثقيف ويعرفون بالأحلاف ، ففيهم بنو سعد بن عوف كان منهم عتبان بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف الذي وضعته ثقيف رهينة عند أبي مكسورة وأخوه معتب ، كان من بنيه عروة بن مسعود بن معتب الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه داعياً إلى الإسلام فقتلوه ، وهو أحد عظيمي القريتين ، ومن بنيه أيضاً الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب صاحب العراقين لعبد الملك وابنه الوليد ، ومنهم يوسف بن عُمر بن محمد بن عبد الحكم والي العراقين لهشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد وكثير من قومه كانوا ولاية بالعراق والشام واليمن ومكة . ومن بني معتب أيضاً غيلان بن مسلمة بن معتب

كانت له وفادة على كسرى ، ومنهم بنو غبرة بن عوف الذين منهم الأخنس بن شريق ابن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العري بن غيرة بن عوف بن ثقيف ، والحرث بن كلدة بن عمرو بن علاج طيب العرب ، وأبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عُمير بن عوف بن غيرة الصحابي المقتول يوم الجسر من أيام القادسية ، وبانه المختار بن أبي عبيد الذي ادعى النبوة بالكوفة وكان عاملاً عليها لعبدالله بن الزبير فانتقض عليه ودعا لمحمد بن الحنفية ثم ادعى النبوة ، ومنهم أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عُمير في آخرين يطول ذكرهم . ومواطن ثقيف كانت بالطائف وهي مدينة من أرض نجد قريباً من مكة ثم جلس في شرقها وشمالها وهي على قمة الجبل كانت تسمى واج وبوج ، وكانت في الجاهلية للعمالقة ثم نزلتها ثمود قبل وادي القرى ، ومن ثم يقال : إن ثقيفاً كانت من بقايا ثمود ، يقال : إن الذي سكنها بعد العمالقة عدوان وغلبهم عليها ثقيف وهي الآن دارهم كذا ذكره السهيلي . ويقال : إنهم موال لهوازن ويقال إنهم من إباد . ومن أعمال الطائف سوق عكاظ والعرج ، وعكاظ حجر بين اليمن والحجاز ، وكانت سوقها في الجاهلية يوماً في السنة يقصدها العرب من الأقطار فكانت لهم موسماً^(١) .

وأما بنو معاوية بن بكر بن هوازن فقيمهم بطون كثيرة منهم بنو نصر بن معاوية الذين منهم مالك بن سعد بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر قائد المشركين يوم حنين وأسلم وحسن إسلامه . ومنهم بنو جشم بن معاوية ، ومن جشم غزيرة رهط دريد بن الصمة^(٢) ومواطنهم بالسروات وهي بلاد تفصل بين تهامة ونجد متصلة من اليمن إلى الشام كسروات الجبل وسروات جشم متصلة بسروات هذيل ، وانتقل معظمهم إلى الغرب وهم الآن به كما يأتي ذكره في الطبقة الرابعة من العرب ، ولم يبق بالسروات منهم إلا من ليس له صولة ، ومنهم بنو سلول ومنهم بنو مرة بن صعصعة بن معاوية وإنما عرفوا بأهمهم سلول ، وكانوا في الغرب كثيراً وفي

(١) سوق للعرب بين نخلة والطائف ، كانت تقوم هلال ذي القعدة ، وتستمر عشرين يوماً أو شهراً ، تجتمع فيها قبائل العرب فيتناشدون ويتفاخرون . يؤنث ، يذكر فالتأنيث لغة الحجاز والتذكير لغة تميم . قد تابع المؤلف لغة الحجاز .

(٢) وفي نسخة ثانية : غزيرة رهط بن دريد الصمة . وهو القائل :
وهل لنا إلا من غزيرة أن نموت
غويت وإن ترشد غزيرة أرشد

الغرب منهم كثير لهذا العهد . ومنهم فيما يزعم العرب بنو يزيد أهل وطن حمزة غربي بجاية وبعض أحياء بُجَيل عياض . كما نذكر منهم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية جرم كبير من أجرام العرب لهم بطون أربعة . نمير وربيعة وهلال وسؤاة ، فأما نمير بن عامر فهم إحدى جمرات العرب وكانت لهم كثرة وعزة في الجاهلية والإسلام ودخلوا إلى الجزيرة الفراتية وملكوا حرار وغيرها ، واستلحمهم بنو العباس أيام المعتز فهلكوا ودمروا . وأما سؤاة بن عامر فشعوبهم في رباب من سمرّة بن سؤاة ، فمنهم جابر بن سمرّة بن جنادة بن جندب بن رباب الصحابي المشهور ، ومن بطن رباب هؤلاء حيّ بأفريقية ينجعون مع رياح بن هلال ويعرفون بهذا النسب كما يأتي في أخبار هلال من الطبقة الرابعة . وأما هلال بن عامر فبطون كثيرة كانوا في الجاهلية بنجد ثم ساروا إلى الديار المصرية في حروب القرامطة ، ثم ساروا إلى أفريقية أجازهم الوزير البارزي في خلافة المستنصر العبيديّ لحرب المُعزّ بن باديس ، فملك عليه ضواحي أفريقية ، ثم زاحمهم بنو سليم فساروا إلى الغرب ما بين بونة وقسنطينة ، إلى البحر المحيط ، وكان لهلال خمسة من الولد : شعبة وناشرة ونهيك وعبد مناف وعبدالله ، وبطونهم كلها ترجع إلى هؤلاء الخمسة ، فكان من بني عبد مناف زينب أمّ المؤمنين بنت خزيمة بن الحارث بن عبدالله بن عمرو بن عبدالله بن عبد مناف ، وكان من بني عبدالله ميمونة أمّ المؤمنين بنت الحارث بن حزن بن بحير بن هَرَم بن ربيعة بن عبدالله . قال ابن حزم : ومن بطون بني هلال بنو قُرّة وبنو نعجة الذين بين مصر وأفريقية ، وبنو حرب الذين بالحجاز ، وبنو رياح الذين أفسدوا أفريقية .

وقال ابن سعيد : وجيل بني هلال مشهور بالشام وقد صار عربيه حرائر وفيه قلعة صرخد مشهورة * قال : وقبائلهم في العرب ترجع لهذا العهد إلى أثبج ورياح وزغبة وقارع . فأما الأثبج فمنهم سراح بجهة بَرْقَة ، وعياض بجبل القلعة المسمّى لهم ولغيرهم . وأما رياح فبلادهم بنواحي قُسنطينة والسلم والزاب ، ومنهم عُتْبة بنواحي بجاية ، ومنهم بالمغرب الأقصى خلق كثير كما يأتي في أخبارهم . وأما زغبة فإنهم في بلاد زناتة خلق كثير . وأما قارع فإنهم في المغرب الأقصى مع المعقل وقرة وجشم . وبنو قُرّة كانت منازلهم ببرقة وكانت رياستهم أيام الحاكم العبيديّ لما مضى ابن مقرب ، ولما بايعوا لأبي ركة من بني أميّة بالأندلس وقتله الحاكم سلط عليهم العرب والجيوش فأفنوهم ، وانتقل جلهم إلى المغرب الأقصى ، فهم مع جَشم

هنالك كما يأتي ذكره ويأتي الكلام في نسب هلال وشعوبهم ومواطنهم بالمغرب الأوسط وأفريقية عند الكلام عليهم في الطبقة الرابعة .

وأما بنو ربيعة بن عامر فبطون كثيرة وعامتتها ترجع إلى ثلاثة من بنيه وهم عامر وكراب وكعب ، وبلادهم بأرض نجد الموالية لتهامة بالمدينة وأرض الشام ، ثم دخلوا إلى الشام وافترق منهم على ممالك الإسلام فلم يبق منهم بنجد أحد . فمن عامر بن ربيعة بنو التكماء وهو ربيعة بن عامر بن ربيعة الذي اشترك إبنه حندج مع خالد بن جعفر بن كلاب في قتل زهير بن جذيمة العبسي ، وبنو ذي السهمين معاوية بن عامر بن ربيعة وهو ذو الحجر عوف بن عامر بن ربيعة ، وبنو فارس الضحيا عمرو بن عامر بن ربيعة منهم خدّاش بن زهيرة بن عمرو من فرسان الجاهلية وشعرائها .

وأما بنو كلاب بن ربيعة فمنهم بنو الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب وبنو ربيعة المجنون ابن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب وبنو عمرو بن كلاب . قال ابن خزم : يقال : إن منهم بني صالح بن مردّاس أمراء حلب ، ومن بني كلاب بنو رواس واسمه الحرب بن كلاب ، وبنو الضباب واسمه معاوية بن كلاب الذين منهم شهر بن ذي الجحوش^(١) بن الأعور بن معاوية قاتل الحسين بن عليّ ، ومن عقبه كان الصّهيل ابن حاتم بن شمر وزير عبد الرحمن بن يوسف الفهري بالأندلس ، وبنو جعفر بن كلاب الذين منهم عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر وعمّه أبو عامر بن مالك ملاعب الأسنة وربيعة بن مالك وتبع المعتبرين وأبوه لييد بن ربيعة شاعر معروف مشهور . وكانت بلاد بني كلاب حمى ضرية والرّبذة في جهات المدينة وفدك والعوالي ، وحمى ضرية هي حمى كليب وائل نباته النضر تسمن عليه الخيل والإبل ، وحمى الرّبذة هو الذي أخرج عليه عثمان أبا ذر رضي الله عنهما . ثم انتقل بنو كلاب إلى الشام فكان لهم في الجزيرة الفراتية صيت وملك وملكوا حلب وكثيرا من مدن الشام ، تولى ذلك منهم بنو صالح بن مردّاس ، ثم ضعفوا فهم الآن تحت خفارة العرب المشهورين بالشام وهنالك بالأمانة من طيء . قال ابن سعيد وكان لهم في الإسلام دولة باليمامة .

ومن بني كعب بن ربيعة بطون كثيرة منهم : الحرّيش بن كعب بطن كان منهم مطرف بن عبد الله بن الشخير بن عوف بن وقدان بن الحرّيش الصحابي المشهور ،

(١) وهو : شمر بن ذي الجحوش .

ويقال : إنَّ منهم ليلي التي شَبَّ بها قيس بن عبدالله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة الشاعر ، مَدَحَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وعبدالله بن الحشرج بن الأشهب بن ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة الذي غلب على ناب فارس أيام الزبير وعم أمه زياد بن الأشهب الذي وفد على عليٍّ ليصلح بينه وبين معاوية ، ومالك بن عبدالله بن جعدة الذي أجاز قيس بن زهير العبسي . وبنو قُشَيْر بن كعب منهم مُرَّة بن هُبيرة بن عامر بن مسلمة الخير بن قشير وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فولَّاه صدقات قومه ، وكلثوم بن عياض بن رُصُوح بن الأعور بن قُشير الذي ولي أفريقية ، وابن أخيه بلخ بن بشر . ومن بني قشير بخراسان أعيان منهم أبو القاسم القشيري صاحب الرسالة ، ومنهم عريسة الأندلس بنو رشيق ملكها منهم عبد الرحمن بن رشيق وأخرج منها ابن عمارة ، ومنهم الصِّمَّة بن عبدالله من شعراء الحماسة . وبنو العجلان بن عبدالله بن كعب وشاعرهم تميم بن مُقبل . وبنو عقيل بن كعب وهم بطون كثيرة منهم : بنو المُتَفَق بن عامر بن عقيل . ومن أعقاب بني المُتَفَق هؤلاء العرب المعروفون في المغرب بالخلط . قال علي بن عبد العزيز الجرجاني : الخلط بنو عوف وبنو معاوية إبننا المُتَفَق بن عامر بن عقيل انتهى .

قال ابن سعيد : ومنازل المُتَفَق ^(١) الآجام التي بين البصرة والكوفة والأماراة منهم في بني معروف . قلت والخلط لهذا العهد في أعداد جشم بالمغرب ، ومن بني عقيل بن كعب بنو عبادة بن عقيل ، منهم الأخيل وإسمه كعب بن الرِّحَال بن معاوية بن عبادة ، ومن عقبه ليل الأخيلية ^(٢) بنت حذيفة بن سداد بن الأخيل .

وذكر ابن قتيبة : أن قيس بن المُلُوح المجنون منهم . وبنو عبادة هؤلاء لهذا العهد فيما قال ابن سعيد بالجزيرة الفراتية فيما يلي العراق ، ولهم عدد وذكر ، وغلب منهم على الموصل وحلب في أواسط الخامسة قریش بن بدران بن مُقلد فملكها هو وابنه مُسلم بن قریش من بعده ، ويسمى شرف الدولة ، وتوالى الملك في عقب مسلم بن قریش منهم إلى أن انقرضوا . قال ابن سعيد : ومنهم لهذا العهد بقية بين الحازر والزاب يقال لهم عرب شرف الدولة ، ولهم إحسان من صاحب الموصل وهم في تجمل وعز إلا أن عددهم قليل نحو مائة فارس . ومن بني عقيل بن كعب خفاجة بن عمرو بن عقيل

(١) تسمى الآن في العراق (المتفك) ويطلقونها خاصة على لواء الناصرية .

(٢) وفي نسخة ثانية : ليلي الأخيلة .

وانتقلوا في قرب من هذه العصور إلى العراق والجزيرة ولهم بيادية العراق دولة ، ومن بني عامر بن عقيل بنو عامر بن عوف بن مالك بن عوف ، وهم إخوة بني المُتفق وهم ساكنون بجهات البصرة وقد ملكوا البحرين بعد بني أبي الحسن ملكوها من تغلب . قال ابن سعيد : وملكوا أرض اليمامة من بني كلاب ، وكان ملكهم لعهد الخمسين من المائة السابعة عصفور وبنوه وقد انقضى الكلام في بطون قيس عيلان . والله المعين لا ربَّ غيره ولا خيرٌ إلاَّ خيره وهو نِعَمُ المولى ، ونِعَمُ النصير ، وهو حسبي ونِعَمَ الوكيل . وأسأله الستر الجميل آمين .

وأما بطون خندف بن الياس بن مضر ولد إلياس مدركة وطابخة وقعة وأمهم امرأة من قُضاعة اسمها خندف فانتسب وُلِدُ إلياس كلهم إليها ، فمن بطون قُمة أسلم وخزاعة ، فأسلم بنو أفصى بن عامر بن قُمة ، وخزاعة بن عمرو بن عامر بن لحي وهو ربيعة ابن عامر بن قُمة واسمه حارثة . وعمرو بن لحي هو أول من غير دين إسماعيل وعبد الأوثان وأمر العرب بعبادتها ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم : « رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار » يعني أحشاه . ومواطنهم بأحساء مكة في مر الظهران وما يليه وكانوا حلفاء لقريش . ودخلوا عام الحديبية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا مما ^(١) صالح قريشاً عليه ثم نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، فغزا قريشاً وغلبهم على أمرهم وافتتح مكة وكان عام الفتح . وقد يقال : إن خزاعة هؤلاء من غسان وأنهم بنو حارثة بن عمرو مزيقيا ، وأنهم أقاموا بمر الظهران حين سارت غسان إلى الشام وتخرجوا عنهم فسموا خزاعة ، وليس ذلك بصحيح كما ذكر . وكان لخزاعة ولاية البيت قبل قريش في بني كعب بن عمرو بن لحي ، وانتهت إلى حليل بن حبشية بن سلول وهو الذي أوصى بها لقصي بن كلاب حين زوجه ابنته حبي بنت حليل . ويقال : إن أبا غبشان بن حليل واسمه المُحترش باع الكعبة من قصي بزق وخمر وفيه جرى المثل المعروف . يقال : أخسر صفقة من أبي غبشان . ومن وُلِدَ حليل بن حبشية كان كرز بن علقمة بن علال بن حُريرة بن عبد فهم بن حليل ، الذي قفا أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى الغار ، ورأى عليه نسج العنكبوت وعش الإمامة ببيضها فرخوا عنه .

ولخزاعة هؤلاء بطون كثيرة منهم بنو المُصطلق بن سعد بن عمرو بن لحي ، وبنو كعب بن عمرو . ومنهم عمران بن الحُصين صحابي ، وسليمان بن صُرد أمير التوابين القائمين بثار الحسين ، ومالك بن الهيثم من نقباء بني العباس وبنو عدي بن عمرو ، ومنهم جويرية بنت الحارث أم المؤمنين ، وبنو مليح بن عمرو ، ومنهم طلحة الطلحات ، وكثير الشاعر صاحب عزة وهو ابن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن مخلد بن سبيع بن خثعمة بن سعد بن مليح . وبنو عوف بن عمرو ومنهم العباد أهل الحيرة وهم بنو جُهينة بن عوف . ومن إخوة خزاعة بنو أسلم بن أفصى بن عامر بن قُمة وبنو مالك بن أفصى ، وماثان بن أفصى . فمن أسلم سلمة بن الأكوع

(١) الأصح ان يقول : ممن .

الصحابي ودغل وبنو الشيص الشاعران ومحمد بن الأشعث قائد بني العباس ، ومن ذلك مالك بن سليمان بن كثير من دعاة بني العباس قتله أبو مسلم . وأما طابخة فلهم بطون كثيرة أشهرها ضبة والرباب ومزينة وتميم ، ويطون صغار إخوة تميم ، منهم صوفة ومحارب .

فأما بنو تميم بن مرفهم : بنو تميم بن مرف بن أد بن طابخة ، وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة وانتشرت إلى الغذيب من أرض الكوفة ، وقد تفرقوا لهذا العهد في الحواضر ولم تبق منهم باقية ، وورث منازلهم الحيات العظمان بالشرق لهذا العهد غزية من طيء وخفاجة من بني عقيل بن كعب . وليم بطون كثيرة منهم الحارث بن تميم وفيهم ينسب المسيب بن شريك الفقيه وهم قليل ، وبنو العنبر الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقات ، وزفر الفقيه ابن ذهيل ابن قيس بن مسلم بن قيس بن مكل بن ذهل بن ذؤيب بن جذيمة بن عمرو بن جيجور بن جندب بن العنبر صاحب أبي حنيفة ، والناسك الفاضل عامر بن عبد قيس بن ثابت بن بشامة بن حذيفة بن معاوية بن الجون بن كعب بن جندب وربيعة ابن رفيع بن سلمة بن محلم بن صلاة بن عبدة بن عدي بن جندب ، وبنو الهجيج بن عمرو بن تميم وبنو أسيد بن عمير . وكان منهم أبو هالة هند بن زرارة بن النباش بن عدي بن نمير بن أسيد الصحابي المشهور ، وحنظلة بن الربيع بن صيني بن رياح ابن الحرث بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحليم^(١) المشهور أكثم بن صيني بن رياح ، ويحيى بن أكثم قاضي المأمون من ولد صيني بن رياح . وبنو مالك بن عمرو بن تميم منهم النضر بن شميل ابن خرشة بن يزيد بن كلثوم بن عبدة بن زهير بن عروة بن جميل بن حجر بن خزاعي بن مازن بن مالك النحوي المحدث ، وسلم بن أخوز بن أريد بن محزر بن لاي بن مهل بن ضباب بن حجة بن كاية بن حرقوص بن مازن بن مالك صاحب الشرطة لنصر بن سيار وقاتل يحيى بن زيد بن زين العابدين ، وأخوه هلال بن أخوز قاتل آل المهلب ، وقطري بن الفجاءة ، واسم الفجاءة جعونة بن يزيد بن زياد بن جتر بن كاية بن حرقوص الخارجي الأزرق سلم عليه بالخلافة عشرين سنة ، ومالك بن الرب بن جوط بن قرط بن حسيل بن ربيعة بن كنانة بن حرقوص

(١) الصحيح : الحكيم لا الحليم حسب شهرة أكثم بن صيني .

صاحب القصيدة المشهورة نعى بها نفسه وبعث بها إلى قومه وهو في خراسان في بعث
عثمان بن عفان وأولها :

دعاني الهوى من أهل ودّي ورفقتي بذي الشّيطين^(١) فالتفت ورائيا
يقولون لا تبع^(٢) وهم يدفنونني وأين مكان البعد إلا مكانيا
وبنو عمرو بن العلاء بن عمار بن عدنان بن عبيد الله بن الحصي بن الحرث بن جلهم
ابن خزاعي بن مازن بن مالك ، وبنو الحرث بن عمرو بن تميم وهم الحبطات منهم
عباد بن الحصين بن يزيد بن أوس بن سيف بن عدم بن جبلة بن قيار بن سعد بن
الحرث وهو الملقّب بالحبط لعظم بطنه ، وبنو امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم
وكان منهم زيد بن عديّ بن زيد بن أيوب بن مخوف بن عامر بن عطية بن امرئ
القيس صاحب النعمان بن المنذر بالحيرة الذي سعى به إلى كسرى حتى قتله ومقاتل بن
حسان بن ثعلبة بن أوس بن إبراهيم بن أيوب بن مخوف صاحب قصر بني مقاتل بن
منصور بالحيرة ولاهز بن قريط بن سريّ بن الكاهن بن زيد بن عصية من دعاة بني
العباس الذي قتله أبو مسلم لندارته لنصر بن سيار . وبنو سعد بن زيد مناة بن تميم
منهم الأبناء كان منهم روبة بن العجاج بن روبة بن لبيد بن صخر بن كنيف بن عمير
ابن حيّ بن ربيعة بن سعد بن مالك بن سعد ، وعبد بن الطيب الشاعر . وبنو منقر
ابن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، كان منهم قيس بن
عاصم بن سنان بن خالد بن منقر ولآه رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات
قومه ، وكان من ولده مئة صاحبة ذي الرمة بنت مقاتل بن طلحة بن قيس بن
عاصم . ومن بني منقر عمرو بن الأهم صحابي وبنو مرة بن عبيد بن مقاعس ،
منهم الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين بن حفص بن عبادة بن التّزال بن مرة
وأبو بكر الأبهريّ المالكيّ ، وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح بن عمرو بن
حفص بن عمرو بن مُصعب بن الزبير بن سعد بن كعب بن عبادة بن التّزال . وبنو
صُريم بن مقاعس ، منهم عبد الله بن أباض رئيس الأباضية من الخوارج ،
وعبد الله بن صفّار رئيس الصّفرية ، والبرك بن عبد الله الذي اشترط بقتل معاوية
وضربه فجرحه . وبنو عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة منهم ، ثم من بني بهدلة

(١) الشّيطين : مثني شيط بتشديد الياء اهـ .

(٢) تبع : من بعد بمعنى هلك ومات .

ابن عوف الزبرقان واسمه الحُصين بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة وأويس ابن أخيه حنظلة الذي أسر هوزة بن علي الحنفي . ومن بني عطارد بن عوف كرب بن صفوان بن شخمة بن عطارد الذي كان يجيز بأهل الموسم في الجاهلية . ومن بني قُرَيْع بن عوف بن كعب جعفر الملقب أنف الناقة وكان ولده يغضبون منها إلى أن مدحهم الحُطَيْثَةُ بقوله :

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ ومن يُسَوِّي بَأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبُ (١)
وبنو الحرث الأعرج بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، كان منهم زهرة بن جثوية بن عبدالله بن قتادة بن مُرثد بن معاوية بن قطن بن مالك بن أرتم بن جشم بن الحرث الذي أبلى في القادسية وقتل الجالينوس أمير الفرس ، وقتله هو بعد ذلك أصحاب شبيب الخارجي مع عتاب بن ورقا وبنو مالك بن سعد بن زيد مناة ، كان منهم الأغلب بن سالم بن عقال بن خفافة بن عباد بن عبدالله بن مُحَرث بن سعد بن حرام بن سعد بن مالك أبو الولاة بأفريقية لبني العباس ، وبنو ربيعة بن مالك بن زيد مناة كان منهم عروة بن جرير بن عامر بن عبد بن كعب بن ربيعة أول خارجي قال : لا حكم إلا لله يوم صفين . ويعرف بأن أباه نسبه إلى أمه . ومن بني حنظلة بن مالك البراجم وهم بنو عمرو . والظلم وغالب وكلبة وقيس كلهم بنو حنظلة كان منهم ضابئ بن الحرث بن أرطاة بن شهاب بن عبيد بن جنادل (٢) بن قيس وابن عُمير بن ضابئ الذي قتله الحجاج . وبنو ثعلبة بن يربوع بن حنظلة كان منهم بمراثيه المشهورة ، وبنو الحرث بن يربوع منهم الزبير بن الماحور أمير الخوارج وأخوه عثمان وعلي وهم بنو بشير بن يزيد الملقب بالماحور بن الحارث بن ساحق بن الحرث بن سليط بن يربوع وكلهم أمراء الأزارقة ، وبنو كليب بن يربوع كان منهم جرير الشاعر ابن عطية بن الخطفي وهو حذيفة بن بدر بن سلم بن عوف بن كليب . وبنو العنبر بن يربوع منهم كانت سجاح المتنبة بنت أويس بن جوين بن سامة بن عنبر . وبنو رياح كان منهم شُبث بن ربيعي بن حصين بن عُميم بن ربيعة بن زيد بن رياح كان منهم رياح أسلم ثم سار مع الخوارج ثم رجع عنهم تائباً ، ومعقل بن قيس أوفده عمار بن ياسر على عمر بتفح تستر ، وعتاب بن ورقاء بن الحارث بن عمرو بن همام بن رياح

(١) فأصبحوا بعد مدحه يفتخرون به .

(٢) وفي نسخة أخرى : جندال .

أمير أصبهان وقتله شبيب الخارجي . وبنو طهية بن مالك وهم بنو أبي سود وعوف ابني مالك . وبنو دارم بن مالك بن حنظلة كان منهم ثم من بني نهشل بن دارم بن حازم بن خزيمة بن عبدالله بن حنظلة نضلة بن حدثان بن مطلق بن أصحر بن نهشل صاحب الشرطة لبني العباس . ومن بني مجاشع بن دارم الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع ، والفرزدق بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال والحتات بن يزيد بن علقمة الذي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان . ومن بني عبدالله بن دارم المنذر بن ساوى بن عبدالله بن زيد بن عبد مناة بن دارم صاحب هجر ومن بني غرس بن زيد بن عبدالله بن دارم حاجب بن زرارة بن غرس وابنه عطارد وبنوهم ، كان فيهم رؤساء وأمراء وانقضى الكلام في تميم .

وأما بنو مزينة : وهم بنو مر بن أد بن طابخة بن إلياس واسم ولده عثمان وأوس وأمهما مزينة فسُمي جمع ولديهما بها ، فكان منهم زهير بن أبي سلمى وهوربيعة بن أبي رباح بن قرة بن الحرث بن مازن بن خلاوة بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن لاظم بن عثمان أحد الشعراء الستة ، وابناه بُجير وكعب الذي مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والنعمان بن مقرن بن عامر بن صبح بن هجيم بن نصر بن حبشية بن كعب بن عفراء بن ثور بن هرمة ، وأخوه سويد الذي قتل يوم نهاوند ، ومعقل بن يسار بن عبدالله بن معير بن حراق بن لابي بن كعب بن عيد ثور الصحابي المشهور .
وأما الرباب : وهم بنو عبد مناة بن أد بن طابخة فمن بنيه تميم وعدي وعوف وثور ، وسُموا الرباب لأنهم غمَسوا في الرُب أيديهم في حلف على بني ضبة ، وبلادهم جوار بني تميم بالدهنا ، وفي أشعارهم ذكر حزوى وعالج من معالمها . وتفرقوا لهذا العهد ولم يبق منهم أحد هنالك . وكان من بني تميم بن عبد مناة المستورد بن علقمة بن الفريس بن صباري بن نشبة بن ربيع بن عمرو بن عبدالله بن لؤي بن عمرو بن الحرث بن تميم الخارجي قتله معقل بن قيس الرياحي في إمارة المغيرة بن شعبة ، وابن باخمة ورد بن مجالد بن علقمة حضر مع عبد الرحمن بن ملجم في قتل عليّ وقتل ، وقطام بنت بجنة بن عدي بن عامر بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن ذهل بن تميم التي تزوجها عبد الرحمن بن ملجم ومهرها قتل عليّ فيما قيل حيث يقول :

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المصمم (١)
 وكانت خارجية وقتل أبوها شحمة وعمها الأخضر يوم النهروان . ومن بني عدي بن
 عبد مناة ذي الرمة الشاعر ، وهو غيلان بن عقبة بن بهس بن مسعود بن حارثة بن
 عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ثعلبة بن ربيعة بن ملكان بن
 عدي . ومن بني ثور بن عبد مناة ويسمى أطل سفيان الثوري ، وهو سفيان بن
 سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبدالله بن منقر بن نصر بن الحارث بن ثعلبة
 بن عامر بن ملكان بن ثور وأخواه عمرو والمبارك والربيع بن خثيم الفقيه .
 وأما ضبة : فهم بنو ضبة بن أد وكانت ديارهم جوار بني تميم إخوانهم بالناحية الشمالية
 التهامية من نجد ، ثم انتقلوا في الإسلام إلى العراق بجهة النعمانية وبها قتلوا المشي
 الشاعر . فمنهم ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بجالة بن ذهل بن
 مالك بن بكر بن أسعد بن ضبة سيد بني ضبة في الجاهلية ، وبقيت سيادتهم في
 بنيه ، وكان له ثمانية عشر ولداً ذكراً شهدوا معه يوم القريتين ، وابنه حصين كان مع
 عائشة يوم الحمل ، ومن ولده القاضي أبو شبرمة عبدالله بن شبرمة بن الطفيل بن
 حسّان بن المنذر بن ضرار بن عنيسة بن اسحق بن شمر بن عبس بن عنيسة بن شعبة
 ابن المختبر بن عامر بن العباب بن حسل بن بجالة المذكور في قواد بني العباس ولي
 مصر أيام المتوكل . ويقال : إن الديلم من بني باسل بن ضبة بن أد والله أعلم .
 وأما صوفة : فهم بنو الغوث بن مر بن أد كانوا يحجزون بالحاج في الموسم لا يجوز أحد
 حتى يجوزوا ثم انقضوا عن آخرهم في الجاهلية ، وورث ذلك آل صفوان بن شحمة
 من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، وقد مر ذكر ذلك وانقضى بنو طابخة بن
 إلياس .

وأما مدركة بن إلياس فهم بطون كثيرة أعظمها هذيل والقارة وأسد وكنانة وقريش .
 فأما هذيل : فهم بنو هذيل بن مدركة ، وديارهم بالسروات ، وسراهم متصلة بجبل
 غزوان المتصل بالطائف ، ولهم أماكن ومياه في أسفلها من جهات نجد وتهامة وبين

(١) وفي كتاب : The Religion of the Shiah لمؤلفه دوايت . م دونالدسن

ثلاثة آلاف وعبد وقينه ————— وضرب علي بالحسام المسمم
 فلا مهر أعلى من علي وإن علا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم
 وربما تكون هذه الرواية أصح لأن الحسام الذي قتل به الإمام كان مسموماً .

مكة والمدينة ، ومنها الرجيع وبئر معونة . وهم بطنان سعد بن هذيل ولحيان بن هذيل : فمن بني سعد بن هذيل أبو بكر الشاعر ، والحطيئة فيما يقال ، وعبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن الحارث بن تميم بن سعد الصحابي المشهور . وأخواه عتبة وعميس ، وبنوه عبد الرحمن وعُتبة ، والمسعودي المؤرخ ابن عتبة وهو علي بن الحسين بن علي بن عبدالله بن زيد بن عتبة بن عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود ، ومن عتبة أخيه عتبة بن عبيدالله بن زيد بن عتبة فقيه المدينة . وقد افترقوا في الإسلام على الممالك ولم يبق لهم حي يطرف . وبأفريقية منهم قبيلة بنوحي باجة يعسكرون مع جند السلطان ويؤدون المغرم .

وأما بنو أسد : فمنهم بنو أسد بن خزيمة بن مدركة ، بطن كبير متسع ذو بطون ، وبلادهم فيما يلي الكرخ من أرض نجد وفي مجاورة طيء ، ويقال : إن بلاد طيء كانت لبني أسد ، فلما خرجوا من اليمن غلبوهم على أجا وسلمى وجاؤا واصطلحوا وتجاوروا لبني أسد والتغلبية وواقصة وغاضرة . ولهم من المنازل المسماة في الأشعار غاضرة والنعف ، وقد تفرقوا من بلاد الحجاز على الأقطار ولم يبق لهم حي وبلادهم الآن فيما ذكر ابن سعيد لطيء وبني عقيل الأمراء ، كانوا بأرض العراق والجزيرة وكانوا في الدولة السلجوقية قد عظم أمرهم وملكوا الحلة وجهاتها ، وكان بها منهم الملوك بنو مرين الدين ألف الهباري أرجوزته المعروفة به في السياسة . ثم اضمحل ملكهم بعد ذلك وورث بلادهم بالعراق خفاجة . وكانت بنو أسد بطوناً كثيرة ، كان منها بنو كاهل قاتل حجر بن عمر والملك والد امرئ القيس ، وبنو غنم بن دودان بن أسد منهم : عبيدالله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم الذي أسلم ثم تنصر ومات نصرانياً ، وأخته زينب أم المؤمنين رضي الله عنها ، وعكاشة بن محصن بن حدثان بن قيس بن مرة بن كثير الصحابي المشهور . وبنو ثعلبة بن دودان بن أسد منهم : الكُميت الشاعر ابن زيد بن الأخنس بن ربيعة بن امرئ القيس بن الحرث بن عمرو بن مالك بن سعد بن ثعلبة ، وضرار بن الأزور وهو مالك بن أويس بن خزيمة بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة الصحابي ، قاتل مالك بن نويرة ، والحضرمي بن عامر بن مجمع بن مواله بن همام بن صحب بن القيس بن مالك وافدهم على النبي صلى الله عليه وسلم . وبنو عمرو بن قعيد بن

الحارث بن ثعلبة بن دودان منهم : الطَّمَاح بن قيس بن طريف بن عمرو بن قعيد الذي سعى عند قيصر في هلاك امرئ القيس ، وطليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن حجون بن فقعس بن طريف بن عمر والذي كان كاهناً وادعى النبوة ثم أسلم .

وفي بني أسد بطون يطول ذكرها .

وأما القارة وعكل : فهم بنو الهون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس إخوة بني أسد وكانوا حلفاء لبني زهرة بن قريش .

وأما كنانة فهم كنانة بن خزيمة بن مدركة إخوة بني أسد ، وديارهم بجهات مكة ، وفيهم بطون كثيرة وأشرفها قريش ، وهم بنو النضر بن كنانة وسيأتي ذكرهم . ثم بنو عبد مناة بن كنانة وبنو مالك بن كنانة . فمن بني عبد مناة : بنو بكر وبنو مرة وبنو الحرث وبنو عامر ، فمن بني بكر بنو ليث بن بكر منهم بنو الملوّح بن يعمر وهو الشداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث . ومنهم الصعب بن جثامة بن قيس بن الشداخ الصحابي المشهور ، والشاعر عروة بن أدينة بن يحيى بن مالك بن الحرث بن عبد الله ابن الشداخ ، ومنهم بنو شجع بن عامر بن ليث بن بكر ومنهم أبو واقد الليثي الصحابي وهو الحرث بن عوف بن أسيد بن جابر بن عديدة بن عبد مناة بن شجع ، وبنو سعد بن ليث بن بكر منهم أبو الطفيل عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو بن جابر بن خميس بن عدي بن سعد آخر من بقي ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم مات سنة سبع ومائة وواثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب بن عبدة بن سعد الصحابي المشهور ، وبنو جذع بن بكر بن ليث بن بكر : منهم أمير خراسان نصر بن سيار بن رافع بن عدي بن ربيعة بن عامر بن عوف بن جندع ورافع بن الليث بن نصر القائم بسمرقند أيام الرشيد بدعوة بني أمية ثم استأمن إلى المأمون . ومن بني عبد مناف بنو عريج بن بكر بن عبد مناف وبنو الدليل بن بكر : منهم الأسود بن رزق بن يعمر بن نافثة بن عدي بن الدليل الذي كان بسببه فتح مكة . وسارية بن زنيم بن عمرو بن عبد الله بن جابر بن محبة بن عبد بن عدي بن الدليل الذي ناداه عمر فيما اشتهر من المدينة وهو بالعراق يقاتل وأبو الأسود واضع النحو وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو بن جندب بن يعمر بن حليس بن نافثة بن عدي . وبنو ضمرة بن بكر : منهم عامرة بن مخشى بن خويلد عبد بن نهم بن يعمر

بن عوف بن جري بن ضمرة الذي وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه
وعمر بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن عبيد بن ناشرة بن كعب بن جري
الصحابي ، والبراض بن قيس بن رافع بن قيس بن جري الفاتك قاتل عروة
الرحال ابن عتبة بن جعفر بن كلاب وكان بسببها حرب الفجار . ومن ضمرة غفار
بن مليل بن ضمرة بطن كان منهم أبو ذر الغفاري الصحابي وهو جندب بن جنادة
بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار ، وصاحبه كثير الشاعر الذي تشبب بغزة بنت
جميل بن حفص بن إياس بن عبد العزى بن حاجب غافر بن غفار ومنهم كلثوم بن
الحصين بن خالد بن معيسير بن بدر بن خميس بن غفار واستخلفه النبي صلى الله
عليه وسلم على المدينة في غزوة الفتح . وبنو مدلج بن مرة بن عبد مناة : منهم سراقه بن
مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن مالك بن تيم بن مدلج الذي اتبع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بجعالة قريش ليرده فظهرت فيه الآية وصرفه الله تعالى عنه
ومجزز المدلجي الذي سر النبي صلى الله عليه وسلم بقيافته في أسامة وزيد وهو
مجزز بن الأعور بن جعد بن معاذ بن عتارة بن عمرو بن مدلج . وبنو عامر بن عبد
مناة منهم بنو مساحق بن الأفرم بن جذيمة بن عامر الذين قتلهم خالد بن الوليد
بالغميصا ووداهم النبي صلى الله عليه وسلم وأنكر فعل خالد . وبنو الحارث بن عبد
مناة منهم الحليس بن علقمة بن عمرو بن الأوقع بن عامر بن جذيمة بن عوف بن
الحارث الذي عقد حلف الأحابيش مع قريش وأخوه تيم الذي عقد حلف القارة
معهم . وبنو فراس بن مالك بن كنانة : منهم فارس العرب ربيعة بن المكدم بن
عامر بن خويلد بن جذيمة بن علقمة بن جذل الطعان بن فارس . وبنو عامر بن ثعلبة
بن الحارث بن مالك بن كنانة : منهم نساء الشهور في الجاهلية قام الإسلام فيهم على
جنادة بن أمية بن عوف بن قلع بن جذيمة بن فقيم بن علي بن عامر وكل من صارت
إليه هذه المرتبة كان يسمى القلمس وأول من نسا الشهور : سمير بن ثعلبة بن الحارث
وكان منهم الرماحس بن عبد العزيز بن الرماحس بن الرساس بن واقد بن وهب بن
هاجر بن عز بن وائلة بن الفاكه بن عمرو بن الحرث ولأه عبد الرحمن الداخل حين
جاء إلى الأندلس على الجزيرة وشذونة وامتنع بها ثم زحف إليه ففر إلى العدو وبها
مات . وكان له بالأندلس عقب ولهم في الدولة الأموية ذكر وولايات كان منها على
الأساطيل فكان لهم فيها غناء وكانوا يغزون سواحل العبيدتين بأفريقية فتعظم نكايتهم

فـيـها . و هو وارث الأرض ومن عليها و هو خير الوارثين لا ربّ غيره ولا خير إلّا خيره ،
ولا يرجى إلّا آياه ولا معبود سواه ، و هو نعم المولى ، و نعم النصير ، وأسأله السـتر
الجميل ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم . و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين . و الحمد لله رب العالمين ، حمداً دائماً
كثيراً ، والله ولي التوفيق .

وأما قريش وهم وُلد النضر بن كنانة بن فَهْر بن مالك بن النضر ، والنضر هو الذي يسمّى قريشاً ، قيل للتقرّش وهو التجارة ، وقيل تصغير قرش وهو الحوت الكبير المفترس دواب البحر . وإنما انتسبوا إلى فهر لأنّ عقب النضر منحصر فيه لم يعقب من بني النضر غيره ، فهذا وجه القول بأنّ قريشاً من بني فَهْر بن مالك أعني انحصار نسبهم فيه ، وأما الذي اسمه قريش فهو النضر . فولد فَهْر غالب والحارث ومحارب فبنو محارب بن فَهْر من قريش الظواهر منهم الضحّاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمرو بن شيبان بن مُحارب صاحب مرج راهط ، قاتل فيه مروان بن الحكم حين بويج له بالخلافة وقتل . وضَرَار بن الخطّاب بن مِرْدَاس بن كُثَيّر بن عمرو آكل السُقْف^(١) ابن حبيب بن عمرو بن شيبان الفارس المشهور في الصحابة ، وأبوه الخطّاب بن مِرْدَاس سيد الظواهر في الجاهلية ، وكان يأخذ المرباع منهم وحضر حروب الفجّار ، وابنه من فرسان الإسلام وشعرائه . وعبد الملك بن قطي بن نهشل بن عمرو بن عبد الله بن وهب بن سعد بن عمرو آكل السُقْف شهد يوم الحرة وعاش حتى ولي الأندلس وصلبه أصحاب بلخ بن بشر القشيري ، وكرز بن جابر بن حنّس ابن لاجب بن حبيب بن عمرو بن شيبان قتل يوم الفتح وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسار بنو الحرث بن فهر من الظواهر ، منهم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن وهب بن ضبّة بن الحرث من العشيرة وأمير المسلمين بالشام عند الفتح ، وعُقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ضرب بن الحرث فاتح أفريقية ومؤسس القيروان بها ، ومن عقبه عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عُقبة والي أفريقية أبوه حبيب بن عُقبة هو قاتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ، ويوسف بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة صاحب الأندلس وعليه دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك فقتله وولياها هو وبنوه من بعده .

وأما غالب بن فَهْر وهو في عمود النسب الكريم فولد تيم الأدرم وولدين فبنو تيم الأدرم من الظواهر وهم بادية ، كان منهم ابن خطل الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله يوم الفتح فقتل وهو متعلّق بأستار الكعبة ، وهو هلال بن عبد الله بن عبد مناة بن أسعد بن جابر بن كبير بن تيم الأدرم .

وأما لؤي بن غالب في عمود النسب الكريم فولد كعباً وعامراً وبطوناً أخرى يختلف

(١) ج سقيفة : بمعنى البعير .

في نسبها إلى لؤي خزيمة وسامة وسعد وجشم ، وهو الحارث وعوف وهم من قريش الظواهر على أقل ، فمنهم خزيمة بن لؤي وبنو سامة بن لؤي ، ويقال ليس بنو سامة من قريش وهم بعمان . ويقال : إن منهم بني سامان ملوك ما وراء النهر . فأما بنو عامر بن لؤي فهم شقير حسل بن عامر ومعيص بن عامر فمن بني معيص بشر بن أرطاة وهو عويمر عمران بن الحليس بن يسار بن نزار بن معيص بن عامر وهو أحد قواد معاوية ، ومكرز بن حفص بن الأحنف بن علقمة بن عبد الحارث بن مُنْقَذ بن عمرو بن معيص من سادات قريش الذي أجار أبا جندل بن سهيل فردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو عمرو بن قيس بن زائدة بن جندب الأصم ابن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد معيص ، وهو ابن خال خديجة وأمه أم كلثوم عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم .

ومن بني حسل عامر بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن جبيب بن خزيمة بن مالك بن حسل بن عامر أمير المسلمين في فتح أفريقية أيام عثمان وولي مصر وكان كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى مكة ثم جاء اثباً وحسنت حاله وقصته معروفة ، وحويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل له صحبة ، وعبد عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك صاحب الحُدَيْبِيَّة وأخوه السكران ، وابنه أبو جندل سهيل واسمه العاصي وهو الذي جاء في قيوده يوم صلح الحُدَيْبِيَّة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فردّه وقصته معروفة . وزُمعة بن قيس بن عبد شمس ، وابنه عبد بن زُمعة ، وبنته سودة بنت زُمعة أم المؤمنين وكانت زوجة السكران ابن عمها ، ثم تزوّجها بعده رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما كعب بن لؤي وهو في عمود النسب الكريم فولده مَرَّة وهُصَيْص وعديّ وهم قريش البطاح أي بطائح مكة ، فمن ابن كعب هُصَيْص بن كعب بن لؤي بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب منهم العاصي بن وائل بن هشام بن سعيد بن سَهْم ، وابناه عمرو وهشام إنا العاصي ، وعبد الرحمن بن معيص بن أبي وداعة وهو الحارث بن سعيد بن سعد بن سهم قارىء أهل مكة ، وإسماعيل بن جامع بن عبد المطلب بن أبي وداعة مفتي مكة ونبه ومنبه إنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سَهْم قتل يوم بدر كافرين وألقيا في القليب ، وقتل يومئذ العاصي بن مُنْبَه ، وكان له ذو

الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعبدالله بن الزبيري بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم كان يؤذي بشعره ثم أسلم وحسن إسلامه ، وحذافة بن قيس أبو الأخنس وخنيس ، وكان خنيس على حفصة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبدالله بن حذافة من مهاجرة الحبشة وهو الذي مضى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى . وبنو جُمح بن عمرو بن هُصيص بن كعب ، كان منهم أمية بن خلف بن وهب بن حذافة قتل يوم بدر وأخوه أبي قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بيده وابنه صفوان بن أمية أسلم يوم الفتح وابنه عبدالله بن صفوان قتل مع الزبير وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة وإخوته قدامة والسائب وعبدالله مهاجرون بدريون وإخوتهم زينب بنت مظعون أم حفصة .

وبنو عدي بن كعب : منهم زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن زراح بن عدي^(١) . رفض الأوثان في الجاهلية والترم الحنيفية ملّة إبراهيم إلى أن قتل بقرية من قرى البلقاء قتله لَحْم أو جُدَام ، وابنه سعيد بن زيد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة . وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، وابنه عبدالله وعاصم وعبيدالله وغيرهم ، وخارجة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبيدالله بن عويج بن عدي بن كعب الذي قتله الحروري بمصر يظنه عمرو بن العاص^(٢) وقال : أردت عمراً وأراد الله خارجة فصارت مثلاً . وأبو الجهم بن حذيفة بن غانم صاحب النفل يوم حنين ومطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة بن عوف بن عبيد بن عويج صحابي ، وابنه عبدالله بن مطيع كان على المهاجرين يوم الحرة قتل مع ابن الزبير بمكة .

وأما مرة بن كعب وهو من عمود النسب الكريم فكان له من الولد كِلَاب وتيم ويقظة .

فأما تيم بن مرة فمنهم : عبدالله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم سيد قريش في الجاهلية وتنسب إليه الدار المشهورة يومئذ بمكة . ومنهم أبو بكر الصديق وإسمه عبدالله بن أبي قحافة وهو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب وابناه عبد

(١) وفي نسخة أخرى : زراح بن عدي .

(٢) وهذه المناسبة قال الشاعر :

وليتها اذ فدت عمر الخارجة فدت علياً بمن شئت من البشر

الرحمن ومحمد * وطلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب قتل يوم الجمل
وابنه محمد السجّاد وأعقابهم كثيرة .

وبنويقظة بن مرة منهم : بنو مخزوم بن يقظة بن مرة فمنهم صيفي بن أبي رفاعه وهو
أمية بن عائذ بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم ، قتل هو أخوه بيدركافراً ، والأرقم بن
أبي الأرقم وإسمه عبد مناف بن أبي جندب ، وإسمه أسد بن عبدالله بن عمرو بن
مخزوم صاحبي بدري كان يجتمع بداره النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون سرّاً قبل
أن يفشوا الإسلام ، وأبوسلمة عبدالله بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمرو
بن مخزوم من قدماء المهاجرين كان زوج أم سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم ،
والفاكه بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم وإسمه أبوقيس قتل يوم بدر كافراً ،
وأبو جهل بن هشام بن المغيرة وإسمه عمر وقتل يومئذ كافراً وابنه عكرمة صحابي ،
والحارث بن هشام بن المغيرة أسلم وحسن إسلامه وله عقب كثير مشهورون ، وأبو أمية
بن أبي حذيفة بن المغيرة قتل يوم بدر كافراً وبنته أم سلمة أم المؤمنين وهشام بن أبي
حذيفة من مهاجرة الحبشة ، وعبدالله بن أبي ربيعة وهو عمرو بن المغيرة من
الصحابة من ولده الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة المعروف بالقبّاع ، والوليد بن
المغيرة مات بمكة كافراً وابنه خالد بن الوليد سيف الله صاحب الفتوحات
الإسلامية ، وسعيد بن المسيّب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران
بن مخزوم تابعي ، وأبوه المسيّب من أهل بيعة الرضوان .

وأما كلاب بن مرة من عمود النسب الكريم فولد له قُصَيّ وزهرة فبنو زهرة بن
كلاب منهم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أم النبي صلى الله عليه وسلم وابن
أخيها عبدالله بن الأرقم بن عديغوث بن وهب ، وسعد بن أبي وقاص وإسمه مالك
بن وهب بن عبد مناف أمير المسلمين في فتح العراق ، وهاشم ابن أخيه عتبة من
الأمراء يومئذ ، وابنه عمرو بن سعيد الذي بعثه عبدالله بن زياد لقتال الحسين وقتله
المختار بن أبي عبيد ، وأخوه محمد بن سعد قتله الحجاج بن أبي الأشعث ، والمسور
ابن مخزومة بن نوفل بن وهب صحابي وأبوه من المؤلفة قلوبهم ، وعبدالله بن عوف بن
عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة وابنه سلمة وله عقب كثير .

وأما قُصَيّ بن كلاب من عمود النسب الكريم ، وهو الذي جمع أمر قريش وأثل
مجدهم ، فولد له عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى .

فبنو عبد الدار كان منهم النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار ، أسير يوم بدر مع المشركين ، ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومراً بالصفراء أمر به فضرب عنقه هنالك . ومُصعب بن عمرو بن هاشم بن عبد مناف صحابي بدري استشهد يوم أحد وكان صاحب اللواء ، ومن عقبه كان عامر بن وهب القائم بسر قسطة من الأندلس بدعوة أبي جعفر المنصور ، وقتله يوسف بن عبد الرحمن الفهري أمير الأندلس قبل عبد الرحمن الداخل . ومنهم أبو السنابل بن بعكك بن السباق بن عبد الدار صحابي مشهور ، ومنهم عثمان بن طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار الذي دفع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح مفتاح الكعبة ، وقيل إنها دفعه إلى أخيه شيبة وصارت حجابة البيت إلى بني شيبة بن طلحة من يومئذ .

وبنو عبد العزى بن قصي منهم أبو البختري العاصي بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ، أراد التملك على قريش من قبل قيصر فمنعوه فرجع عنهم إلى الشام ، وسجن من وجد بها من قريش ، وكان في جملتهم أبو أحيحة سعيد بن العاص فدخلت قريش إلى عمرو بن جفنة الغساني ، فسمّ عثمان بن الحويرث ومات بالشام . وهبّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، كان من عقبه عمر بن عبد العزيز بن المنذر بن الزبير بن عبد الرحمن بن هبّار صاحب السند وليها في ابتداء الفتنة إثر قتل المتوكل ، وتداول أولاده ملكها إلى أن انقطع أمرهم على يد محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وما دون النهر من خراسان ، وكانت قاعدتهم المنصورة ، وكان جدّه المنذر بن الربيع قد قام بقرقيسيا أيام السفّاح فأسير وصُلب . وإسماعيل بن هبّار قتله مُصعب بن عبد الرحمن غيلة ، وهبّار كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ابنه عوف أسلم فدحه وحسن إسلامه . وعبد الله بن زمعة بن الأسود له صحبة وتزوج زينب بنت أبي سلمة من أم سلمة أم المؤمنين . وخديجة أم المؤمنين بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ، والزبير بن العوام بن خويلد أحد العشرة ، وابناه عبد الله ومُصعب . وحكيم بن حزام بن خويلد عاش ستين سنة في الإسلام وباع داره والندوة من معاوية بمائة ألف ، وابنه هشام بن حكيم .

وأما عبد مناف وهو صاحب الشوكة في قريش وسمام الشرف وهو في عمود النسب الكريم ، فولد له عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفل . وكان بنو هاشم وبنو عبد

شمس متقاسمين رياسة بني عبد مناف والبقية أحلاف لهم فبنو المطلب أحلاف لبني هاشم وبنو نوفل أحلاف لبني عبد شمس .

فأما بنو عبد شمس فمنهم العبلات وهم بنو أمية الأصغر وبنته الثريا صاحبة عمرو بن أبي ربيعة وهي سيدة القريض المغني وبنو ربيعة بن عبد شمس : منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، ومن عتبة ابنه الوليد وقتل يوم بدر كافرا ، وأبو حذيفة صحابي وهو مولى سالم قتل يوم اليمامة ، وهند بنت عتبة أم معاوية رضي الله عنها . وبنو عبد العزى بن عبد شمس : منهم أبو العاصي بن الربيع بن عبد العزى صهر النبي وكانت له منها أمانة تزوجها علي بعد فاطمة رضي الله عنها . وبنو أمية الأكبر بن عبد شمس منهم سعيد بن أبي أحيحة العاصي بن أمية مات كافرا ، وابنه خالد بن سعيد قتل يوم اليرموك ، وسعيد بن العاص بن سعيد قديم الإسلام ولي صنعاء واستشهد في فتح الشام ، وابنه سعيد قتل يوم اليرموك ، وسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ولي الكوفة لعثمان ، وابنه عمر والأشدر القائم على عبد الملك وقتله ، وأمير المؤمنين عثمان بن عفان بن العاص بن أمية ، ومروان بن الحكم بن أبي العاص ، وأعقابهم الخلفاء الأولون في الإسلام والملوك بالأندلس معروفون يأتي ذكرهم عند أخبار دولهم . وأبو سفيان بن حرب بن أمية وأبناؤه معاوية أمير المؤمنين ويزيد وحنظلة وعتبة وأم حبيبة أم المؤمنين ، وعقب معاوية بين الخلفاء والإسلام بين معروف يذكرون عند ذكرهم . وعتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية ولأه رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة إذ فتحها فلم يزل عليها إلى أن مات يوم ورود الخبر بموت أبي بكر الصديق . ومنهم بنو أبي الشوارب القضاة ببغداد من عهد المتوكل إلى المقتدر ، وهم بنو أبي عثمان بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص وعقبة بن أبي معيط واسمه أبان بن عمرو بن أمية قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر صبورا ، وابنه الوليد صحابي ولي الكوفة وهو الذي حدث على الخمر بين يدي عثمان ، وابنه أبو قطيفة الشاعر ، ومن عقبه بن أبي معيط المعيطي الذي بويج بدانية من شرق الأندلس بايع له ما ملكها مجاهد زمان الفتنة بعد المائة الرابعة في آخر الدولة الأموية ، وهو عبد الله بن عبد الله بن عبيد الله بن الوليد بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن عبد العزيز بن خالد بن عثمان بن عبد الله بن عبد العزيز بن خالد بن عقبه بن أبي معيط .

وبنو نوفل بن عبد مناف : منهم جُبَيْر بن مُطْعَم بن عديّ بن نوفل الصحابي المشهور ، وأبوه مطعم هو الذي نُوّه به النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم الطائف ومات قبل بدر ، وطُعَيْمة بن عديّ قتل يوم بدر كافراً ، ومولاه وحشي هو الذي قتل يوم أحد حمزة بن عبد المطلب .

وبنو المطلب بن عبد مناف منهم قيس بن مخزّمة بن المطلب صحابي ، وابنه عبد الله بن قيس مولى يسار جد محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازي ، ومسطح وهو عوف بن أثاثة بن عبّاد بن المطلب أحد من تكلم بالأفك وهو ابن خالة أبي بكر الصديق ، وركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب كان من أشدّ الرجال ، وصارعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصّره وكانت آية من آياته . والسائب بن عبد يزيد وكان يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسر يوم بدر ومن عقبه الشافعيّ محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب .

وأما بنو هاشم بن عبد مناف فسيدهم عبد المطلب بن هاشم ، ولم يذكر من عقبه إلاّ عقب عبد المطلب هذا ، وكان بنوه عشرة عبد الله أبو النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو أصغرهم ، وحمزة ، والعبّاس وأبو طالب ، والزبير ، والمقوم ويقال اسمه الغيداق ، وضرار وحجل ، وأبو لهب ، وقثم والزبير لا عقب لهما . وعقب حمزة انقرض فيما قال ابن عزم . ومن عقب أبي لهب ابنه عتبة صحابي . وأما عقب العبّاس وأبي طالب فأكثر من أن يحصر ، والبيت والشرف من بني العبّاس في عبد الله بن العبّاس ، ومن بني أبي طالب في علي أمير المؤمنين وبعده أخوه جعفر رضي الله عنهم أجمعين ، وسند ذكر من مشاهيرهم عند ذكر أخبارهم ودولهم ما فيه كفاية إن شاء الله تعالى .

هذا آخر الكلام وفي أنساب قريش وانقضى بتامها الكلام في أنساب مضر وعدنان فلنرجع الآن إلى أخبار قريش وسائر مضر وما كان لهم من الدول الإسلامية . والله المستعان لا ربّ غيره ، ولا خير إلاّ خيره ، ولا معبود سواه ولا يرجى إلاّ إياه ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، وأسأله الستر الحميل .

عبد المطلب بن هاشم	المطلب	ريبعة
بن عبد مناف	نوفل	بن عبد المطلب
بن قصي	عبد الدار	عبد المطلب
بن كلاب	مخزوم بن يقظة	بن عبد المطلب
بن مرة	مسهم بن عمرو	بن عبد المطلب
بن كعب	عامر	بن عبد المطلب
بن لؤي	سامة	بن عبد المطلب
بن غالب	نعم الادرم	بن عبد المطلب
بن فهر	محارب	بن عبد المطلب
بن مالك	الحارث	بن عبد المطلب
بن النضر		بن عبد المطلب
بن كنانة		بن عبد المطلب
آخر قريش		بن عبد المطلب

الخبر عن قريش من هذه الطبقة وملكهم بمكة وأولية
أمرهم وكيف صار الملك اليهم فيها ممن قبلهم من
الأمم السابقة

قد ذكروا عند الطبقة الأولى أن الحجاز وأكناف العرب كانت ديار العماقة من ولد
عمليق بن لاوذ وأنهم كان لهم ملك هنالك ، وكانت جرهم أيضاً من تلك الطبقة
من ولد يقطن بن شالغ بن أرفخشذ ، وكانت ديارهم اليمن مع إخوانهم
حَضْرَمُوت . وأصاب اليمن يومئذ قحط فقرّوا نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى وعثروا في
طريقهم بإسماعيل مع أمّه هاجر عند زمزم ، وكان من شأنه وشأنهم معه ما ذكرناه
عند ذكر إبراهيم عليه السلام . ونزلوا على قَطُورًا من بقية العماقة ، وعليهم يومئذ
السُمَيْدَع بن هُوَثِر بقاء مثلثة ابن لاوي بن قَطُورًا بن ذُكْر بن عِمْلَاق أو عمليق .
واتصل خبر جرهم من ورائهم من قومهم باليمن وما أصابوا من النجعة بالحجاز فلحقوا
بهم ، وعليهم مضاض بن عمرو بن سعيد بن الرقيب بن هَنْء بن نَبْت بن جرهم ،
فتزلوا على مكة بقيقعان وكانت قَطُورًا أسفل مكة . وكان مضاض يُعشر من دخل
مكة من أعلاها والسُمَيْدَع من أسفلها ، هكذا عند ابن اسحق والمسعودي أن قَطُورًا
من العماقة ، وعند غيرهما أن قَطُورًا من بطون جرهم وليسوا من العماقة . ثم افترق أمر
قَطُورًا وجرهم وتنافسوا الملك واقتتلوا وغلبهم المضاض وقتل السُمَيْدَع وانقضت
العرب العاربة قال الشاعر :

مضى آل عِمْلَاقٍ فلم يبقَ مِنْهُمْ حَقِيرٌ ولا ذُو عِزَّةٍ مُتَشَاوِسٌ
عَتَوْا فَادَّالَ الدَّهْرُ مِنْهُمْ وَحُكْمُهُ عَلَى النَّاسِ هَذَا وَاعْذُ وَبَيَّاسٌ
ونشأ إسماعيل صلوات الله عليه بين جرهم وتكلم بلغتهم وتزوج منهم حرًا بنت سعد بن
عوف بن هَنْء بن نَبْت بن جرهم ، وهي المرأة التي أمره أبوه بتطليقها لما زاره ووجده
غائبًا فقال لها : قولي لزوجك فليغير عتبه ، فطلقها وتزوج بنت أخيها مامة بنت
مُهْلِل بن سعد بن عوف ، ذكر هاتين المرأتين الواقدي في كتاب انتقال النور ،
وتزوج بعدهما السيدة بنت الحرث بن مضاض بن عمرو بن جرهم . ولثلاثين سنة من
عمر إسماعيل قدم أبوه الحجاز فأمر ببناء الكعبة البيت الحرام ، وكان الحجر زرباً لغنم

إسماعيل فرغ قواعدها مع ابنه إسماعيل وصيرها خلوة لعبادته ، وجعلها حجاً للناس كما أمره الله ، وانصرف إلى الشام فقُبِضَ هنالك كما مرّ . وبعث الله إسماعيل إلى العمالة وجُرَّهُم وأهل اليمن فأمن بعض وكفر بعض إلى أن قبضه الله ودفن بالحجر مع أمه هاجر ويقال آجر ، وكان عمره فيما يقال مائة وثلاثين سنة وعهد بأمره لابنه قيذار : ومعنى قيذار صاحب الإبل وذلك لأنه كان صاحب إبل أبيه إسماعيل كذا قال السهيلي ، قال غيره معناه الملك . ويقال : إنما عهد لابنه نابت فقام ابنه بأمر البيت وولياها ، وكان ولده فيما ينقل أهل التوراة كما نقل إثني عشر : قيذار ينايوت ادبييل^(١) مبسام مشمع دوما مسّا حدد^(٢) ديماطور ياقيس قدما^(٣) أمهم السيدة بنت مضاض قاله السهيلي . وهكذا وقعت أسماؤهم في الإسرائيليات ، والحروف مخالفة للحروف العربية بعض الشيء باختلاف المخارج ، فلهذا يقع الخلاف بين العلماء في ضبط هذه الألفاظ ، وقد ضبط ابن اسحق تما منهم بالطاء والياء وضبطه الدارقطني بالضاد المعجمة والميم قبل الياء كأنها تأنيث أضم وذكر ابن اسحق ديمّا . وقال البكري به سميت دومة الجندل لأنه كان نزلها وذكر أن الطور يبطون ابن إسماعيل .

ثم هلك نابت بن إسماعيل ، وولى أمر البيت جدّه الحرث بن مضاض ، وقيل وليها مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هنء ابن نبت بن جرهم ، ثم ابنه الحرث بن عمرو . ثم قسمت الولاية بين ولد إسماعيل بمكة وأخوالهم من جرهم ولاية البيت لا ينازعهم وُلد إسماعيل إعظماً للحرم أن يكون به بغي أو قتال . ثم بغت جرهم في البيت ، ووافق بغيهم تفرق سباً ونزول بني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر أرض مكة ، فأرادوا المقام مع جرهم فنعموهم واقتلوا فغلبهم بنو حارثة ، وهم فيما قيل خزاعة ، وملكوا البيت عليهم ، ورئيسهم يومئذ عمرو بن لحي وشرد بقية جرهم . ولحي هذا هو ربيعة بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقيا بن عامر ، وقيل : إنما ثعلبة بن حارثة بن عامر . وفي الحديث «رأيت عمرو بن لحي يجرّ قصبه في النار»

(١) وفي نسخة ثانية : قيايوت أدبيل .

(٢) وفي نسخة ثانية : حدار .

(٣) وهذه هي أسماء بني إسماعيل عن التوراة : بنايوت ، قيذار ، أدبيل ، مبسام ، مشماع ، دومة ، مسّا ، حدار ، تما ، يطور ، ناغيث ، قدمه . هؤلاء بنو إسماعيل وهذه أسماؤهم بحسب احويتهم وحظائرهم اثنا عشر زعيماً لقبائلهم . سفر التكوين : الفصل الخامس والعشرون .

يعني أحشاه ، لأنه الذي بحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامي وغير دين إسماعيل ودعا الى عبادة الأوثان . وفي طريق آخر رأيت عمرو بن عامر . قال عياض المعروف في نسب أبي خزاعة ، هذا هو عمرو بن لحي بن قمعة بن إلياس وإنا عامر إسم أبيه أخو قمعة ، وهو مدركة بن إلياس ، وقال السهيلي : كان حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر خلف على أم لحي بعد أبيه قمعة ولحي تصغير وإسمه ربيعة تبناه حارثة وانتسب إليه فالنسب صحيح بالوجهين ، وأسلم بن أفصى بن حارثة أخو خزاعة .

وعن ابن اسحق أن الذي أخرج جرهم من البيت ليست خزاعة وحدها ، وإنا تصدّى للنكير عليهم خزاعة وكنانة . وتولى كبره بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وبنو غبشان بن عبد عمرو بن بوى بن ملكان بن أفصى بن حارثة فاجتمعوا لحربهم واقتتلوا ، وغلبهم بنو بكر وبنو غبشان بن كنانة وخزاعة على البيت ونفوهم من مكة . فخرج عمرو ، وقيل عامر بن الحرث بن مضاض الأصغر ، بمن معه من جرهم إلى اليمن بعد أن دفن حجر الركن وجميع أموال الكعبة بزَمَزَم . ثم أسفوا على ما فارقوا من أمر مكة وحزنوا حزناً شديداً . وقال عمرو بن الحرث وقيل عامر :

كان لم يكن بين الجُحون إلى الصفا
بلى نحنُ كنّا أهلها فأزالنا
وكنّا ولاية البيت من بعد نابت
ملكنا فعزّزنا فأعظم ملكنا
ألم تنكحوا من خير شخص علمته
فإن تشي الدنيا علينا بحالها
فأخرجنا منها الملك بقُدرة
أقول إذا نـام الخلي ولم أنم
وبدلت منها أوجهها لا أحبها
وصرنا أحاديثاً وكنّا بغبطة
فساحت دموع العين تبكي لبلدة
ونبكي لبيت ليس يؤذي حاميه
وفيه وحوش لا ترام أنيسة
أنيسٌ ولم يسمر بمكّة سامرٌ
صروفُ الليالي والحدودُ العوائرُ
نطوفُ فما تحظى لدينا المكائرُ
فليس لحي عندنا ثم فاخر
فأبناؤنا منّا ونحن الأصاهرُ
فإن لها حالاً وفيها التّشاجرُ
كذلك يا للناس تجري المقادرُ
أذا العرش لا يبعدُ سهيلٌ وعامرُ
قبائلُ منها حميرٌ وبحائرُ
بذلك عضّتنا السنون الغوايرُ
بها حرمٌ آمنٌ وفيها المشاعرُ
يظل بها أمناً وفيها العصافرُ
إذا خرجت منه فليست تُقادرُ

ثم غلبت بنو حبشية على أمر البيت بقومهم من خزاعة ، واستقلوا بولايتها دون بني بكر

عبد مناة ، وكان الذي يليها لآخر عهدهم عمرو بن الحرث وهو غبشان .
وذكر الزبير : أنَّ الذين أخرجوا جرَّهم من البيت من ولد إسماعيل هم إياد بن نزار .
ومن بعد ذلك وقعت الحرب بين مُضَر وإياد فأخرجتهم مُضَر ، ولما خرجت إياد قلعوا
الحجر الأسود ودفنوه في بعض المواضع ، ورأت ذلك امرأة من خُزاعة فأخبرت
قومها فاشتروا على مُضَر إن دلّوهم عليه أن لهم ولاية البيت دونهم ، فوقوا لهم
بذلك . وصارت ولاية البيت لخُزاعة إلى أن باعها أبو غبشان لقُصي . ويذكر أن
من وليها منهم عمرو بن لُحي ونصب الأصنام وخاطبه رجل من جرَّهم :

يا عمرو لا تظلم بمكة إنها بلدٌ حرامٌ
سائلٌ بعادٍ أين هم - وكذاك تحترمُ الأنامُ
وهي العالِقُ الذين لهم بها كان السوامُ

وكانت ولاية البيت لخُزاعة وكان لمُضَر ثلاث خِصال : الإجازة بالناس يوم عرفة
لبنِي الغوث بن مرة إخوتهم وهو صَوْفة ، والإفاضة بالناس غداة النحر من جمع إلى
منى لبني زيد بن عديّ وانتهى ذلك منهم إلى أبي سيارة عُميرة بن الأعزل بن خالد
بن سعد بن الحرث بن كانس بن زيد فدفع من مزدلفة أربعين سنة على حمار ،
ونسء الشهور الحرم ، كان لبني مالك بن كنانة وانتهى إلى القُلُمس كما مرّ . وكان إذا
أراد الناس الصدور من مكة قال : اللهم إني أحللت أحد الصغرين ونسأت الآخر
للعام المقبل قال عمرو بن قيس من بني فراس :

ونحنُ الناسُ على معَدٍ شهورُ الحِلِّ نجعلُها حرامًا
قال ابن اسحق : فأقام بنو خُزاعة وبنو كنانة على ذلك مدّة الولاية لخُزاعة دونهم كما
قلناه . وفي أثناء ذلك تشعبت بطون كنانة ومن مُضَر كلها وصاروا جرماً وبيوتات
متفرقين في بطن قومهم من بني كنانة ، وكلهم إذ ذاك أحياء حلول بظواهرها .
وصارت قريش على فرقتين : قريش البطاح وقريش الظواهر . فقريش البطاح ولد
قُصيّ بن كلاب وسائر بني كعب بن لُؤي ، وقريش الظواهر من
سواهم وكانت خُزاعة بادية لكنانة ، ثم صار بنو كنانة لقريش ،
ثم صارت قريش الظواهر بادية لقريش البطاح ، وقريش الظواهر من
كان على أقل من مرحلة ، ومن الضواحي ما كان على أكثر من

ذلك . وصار من سوى قريش وكنانة من قبائل مُضَر في الضواحي أحياء بادية ، وظعوناً ناجعة من بطون قيس ، وخنذف من أشجع وعبس وفزارة ومرة وسليم وسعد بن بكر وعامر بن صعصعة وثقيف . ومن تميم والرباب وضبي بني أسد وهذيل والقارة وغير هؤلاء من البطون الصغار ، وكان التقدّم في مُضَر كلها لكنانة ثم لقريش ، والتقدّم في قريش لبني لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، وكان سيدهم قُصَيّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي كان له فيهم شرف وقراة وثروة وولد . وكان له في قُضاعة ثم في بني عروة بن سعد بن زيد من بطونهم نسب ظئر ورحم كلاله كانوا من أجلها فيه شيعة ، وذلك بما كان ربيعة بن حرام بن عُدرة قدم مكة قبل مهلك كلاب بن مرة . وكان كلاب خلف قُصَيّا في حجر أمّه فاطمة بنت سعد بن باسل بن خثعمة الأسدي من اليمن فتزوجها ربيعة وقُصَيّ يومئذ فطيم فاحتملته إلى بلاد بني عُدرة وتركت ابنها زهرة بن كلاب لأنه كان رجلاً بالغاً ، وولدت لربيعة بن حزام رزاح بن ربيعة . ولما شبّ قُصَيّ وعرف نسبه رجع إلى قومه ، وكان الذي يلي أمر البيت لعهدده من خزاعة حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو ، فأصهر إلى قُصَيّ في ابنته حُبَيّ فأنكحه إياها فولدت له عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد قُصَيّ . ولما انتشر ولد قُصَيّ وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل ، فرأى قُصَيّ أنه أحق بالكعبة وبأمر مكة وخزاعة وبني بكر لشرفه في قريش . ولما كثرت قريش سائر الناس واعتزت عليهم وقيل أوصى له بذلك حليل ، ولما بدا له ذلك مشى في رجالات قريش ودعاهم إلى ذلك فأجابوه ، وكتب إلى أخيه رزاح في قومه عُدرة مستجيشاً بهم فقدم مكة في إخوته من ولد ربيعة ومن تبعهم من قُضاعة في جملة الحاج مجعاً نصر قُصَيّ .

قال السهيلي : وذكر غير ابن اسحق أن حليلاً كان يعطي مفاتيح البيت بئته حُبَيّ حين كبر وضعف فكانت بيدها ، وكان قُصَيّ ربما أخذها يفتح البيت للناس ويغلقه . فلما هلك حليل أوصى بولاية البيت إلى قُصَيّ وأبت خزاعة أن يمضي ذلك لقُصَيّ ، فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خزاعة وأرسل إلى رزاح أخيه يستنجد به عليهم .

وقال الطبري : لما أعطى حليل مفاتيح الكعبة لابنته حُبَيّ لما كبر وثقل قالت : اجعل ذلك لرجل يقوم لك به . فجعله إلى أبي غُبْشان سليمان بن عمرو بن لؤي بن ملكان

بن قُصَيٍّ ، وكانت له ولاية الكعبة . ويقال : إنَّ أبا غبشان هو ابن حليل باعه من قُصَيٍّ بزقٍ خمر ، قيل فيه : «أخسر من صفقة أبي غبشان» . فكان من أول ما بدؤا به نقض ما كان لصوفة من إجازة الحاج ، وذلك أنَّ بني سعد بن زيد مناة بن تميم كانوا يلون الإجازة للناس بالحج من عرفة ينفر الحاج لنفرهم ويرمون الجمار لرميهم ، ورثوا ذلك من بني الغوث بن مرة ، كانت أمه من جرهم وكانت لا تلد ، فنذرت إن ولدت أن تتصدق به على الكعبة عبداً يخدمها ، فولدت الغوث وخلي أخواله من جرهم بينه وبين من نafسه بذلك ، فكان له ولولده وكان يقال لهم صَوْفَة .

وقال السهيلي : عن بعض الإخباريين : إنَّ ولاية الغوث بن مرة كانت من قبل ملوك كِنْدَة ، ولما انقرضوا ورث بالتعدد بنو سعد بن زيد مناة ، ولما جاء الإسلام كانت تلك الإجازة منهم لكرب بن صفوان بن حتات بن سجنة وقد مر ذكره في بطون تميم . فلما كان العام الذي أجمع فيه قُصَيٌّ الإنفراد بولاية البيت وحضر إخوته من عُدرة ، تعرّض لبني سعد أصحاب صوفة في قومهم من قريش وكنانة وقضاعة عند الكعبة ، فلما وقفوا للإجازة قال : لا نحن أولى بهذا منكم فتناجزا وغلبهم قُصَيٌّ على ما كان بأيديهم ، وعرفت خزاعة وبنو بكر عند ذلك أنَّه سيمنعهم من ولاية البيت كما منع الآخرين ، فأنحازوا عنه وأجمعوا لحربه وتناجزوا وكثر القتل ، ثم صالحوه على أن يحكموا من أشرف العرب ، وتنافروا إلى يَعمُر بن عوف بن كعب بن عمرو بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فقضى لقُصَيٍّ عليهم ، فولى قُصَيٌّ البيت وقر بمكة وجمع قريشاً من منازلهم بين كنانة إليها وقطعها أرباعاً بينهم ، فأنزل كل بطن منهم بمنزله الذي صبحهم^(١) به الإسلام وسمي بذلك مجمعاً قال الشاعر :

قُصَيٌّ لعمري كان يُدعى مُجمِعاً به جمع الله القبائل من فُهر
فكان أول من أصاب من بني لؤي بن غالب ملكاً أطاع له به قومه ، فصار له لواء الحرب وحجابه البيت ، وتيمنت قريش برأيه فصرفوا مشورتهم إليه في قليل أمورهم وكثيرها ، فاتخذوا دار الندوة إزاء الكعبة في مشاوراتهم وجعل بابها إلى المسجد فكانت مجتمع الملاء من قريش في مشاوراتهم ومعاقدهم . ثم تصدّى لإطعام الحاج وسقايته لما رأى أنهم ضيف الله وزوار بيته ، وفرض على قريش خراجاً يؤدونه إليه .

(١) صَبَحَ : اتاهم صباحاً . وَصَبَحَ : كان وضياً . وَصَبَحَ : كان مشرقاً وجميلاً .

زيادة على ذلك كانوا يردفونه به فحاز شرفهم كله ، وكانت الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء له . ولما أسنَّ قُصَيٌّ وكان بكره عبدُ الدار وكان ضعيفاً ، وكان أخوه عبد مناف شرف عليه في حياة أبيه ، فأوصى قُصَيٌّ لعبد الدار بما كان له من الحجابة واللواء والندوة والرفادة والسقاية يجبر له بذلك ما نقصه من شرف عبد مناف ، وكان أمره في قومه كالدين المتبّع لا يعدل عنه . ثم هلك وقام بأمره في قومه بنوه من بعده . وأقاموا على ذلك مدّة وسلطان مكّة لهم وأمر قريش جميعاً ، ثم نفس بنو عبد مناف على بني عبد الدار ما بأيديهم ونازعوهم ، فافترق أمر قريش وصاروا في مظاهرة بني قُصَيٍّ بعضهم على بعض فرقتين . وكان بطون قريش قد اجتمعت لعهدا ذلك إثني عشر بطناً : بنو الحرث بن فهر ، وبنو مُحارب بن فهر ، وبنو عامر بن لؤي ، وبنو عديّ بن كعب ، وبنو سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب ، وبنو جُمح بن عمرو بن هُصيص ، وبنو تيم بن مُرّة ، وبنو مخزوم بن يقظة بن مُرّة ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو أسد بن عبد العزّى بن قُصَيٍّ ، وبنو عبد الدار ، وبنو عبد مناف بن قُصَيٍّ .

فأجمع بنو عبد مناف انتراع ما بأيدي بني عبد الدار مما جعل لهم قُصَيٌّ ، وقام بأمرهم عبد شمس أسنَّ ولده واجتمع له من قريش : بنو أسد بن عبد العزّى ، وبنو زهرة ، وبنو تيم ، وبنو الحرث . واعتزل بنو عامر ، وبنو المحارب الفريقين . وصار الباقي من بطون قريش مع بني عبد الدار وهم : بنو سَهْم ، وبنو جُمح ، وبنو عديّ ، وبنو مخزوم . ثم عقد كل من الفريقين على أحلافه عقداً مؤكداً ، وأحضر بنو عبد مناف وحلف قومهم عند الكعبة جفنة مملوءة طيباً غمسوا فيها أيديهم تأكيداً للحلف ، فسمي «حلف المُطَيِّبين» . وأجمعوا للحرب وسوّوا بين القبائل وأن بعضهما إلى بعض ، فعبت بنو عباد لبني أسد ، وبنو جُمح لبني زهرة ، وبنو مخزوم لبني تيم ، وبنو عديّ لبني الحرث . ثم تداعوا للصلح على أن يسلموا لبني عبد مناف السقاية والرفادة ، ويختص بنو عبد الدار بالحجابة واللواء فرضي الفريقان وتحاجز الناس .

وقال الطبري قيل ورثها من أبيه . ثم قام بأمر بني عبد مناف هاشم ليساره وقراره بمكّة ، وتقلب أخيه عبد شمس في التجارة إلى الشام ، فأحسن هاشم ما شاء في إطعام الحاج وإكرام وفداهم . ويقال : إنه أوّل من أطعم الثريد الذي كان يطعم فهو

ثريد قريش الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . والثريد لهذا العهد ثريد الخبز بعد أن يطبخ في المقلاة والتنور وليس من طعام العرب ، إلا أن عندهم طعاماً يسمونه البازين يتناوله الثريد لغة ، وهو ثريد الخبز بعد أن يطبخ في الماء عجينا رطباً إلى أن يتم نضجه ، ثم يدلكونه بالمغرفة حتى تتلاحم أجزاؤه وتتلازج . وما أدري هل كان ذلك الطعام كذلك أولاً إلا أن لفظ الثريد يتناوله لغة .

ويقال : إن هاشم بن عبد المطلب أول من سنّ الرحلتين في الشتاء والصيف للعرب ذكره ابن اسحق ، وهو غير صحيح ، لأن الرحلتين من عوائد العرب في كل جيل لمراعي إبلهم ومصالحها لأن معاشهم فيها ، وهذا معنى العرب وحقيقتهم أنه الجبل الذي معاشهم في كسب الإبل والقيام عليها في ارتياد المرعى وانتجاع المياه والنتاج والتوليد وغير ذلك من مصالحها ، والفرار بها من أذى البرد عند التوليد إلى القفار ودفعها ، وطلب التلول في المصيف للحبوب وبرد الهواء ، وتكونت على ذلك طبائعهم فلا بد لهم منها ظعنوا أو أقاموا وهو معنى العروبية ، وشعارها أن هاشماً لما هلك وكان مهلكه بغزة من أرض الشام ، تخلف عبد المطلب صغيراً يثرب فأقام بأمره من بعده ابنه المطلب ، وكان ذا شرف وفضل ، وكانت قريش تسميه الفضل لسماحته ، وكان هاشم قدم يثرب فتزوج في بني عدي وكانت قبله عند أحيحة بن الجلاح بن الحرّيش بن جحجبا بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك سيد الأوس لعهدده ، فولدت عمرو بن أحيحة ، وكانت لشرفها تشتري أمرها بيدها في عقد النكاح ، فولدت عبد المطلب فسمته شيبه ، وتركه هاشم عندها حتى كان غلاماً . وهلك هاشم فخرج إليه أخوه المطلب فأسلمته إليه بعد تعسف واغتياب به ، فاحتمله ودخل مكة فرفده على بعيه فقالت قريش : هذا عبد ابتاعه المطلب ، فسمي شيبه عبد المطلب من يومئذ .

ثم أن المطلب هلك بردمان من اليمن ، فقام بأمر بني هاشم بعده عبد المطلب بن هاشم ، وأقام الرفادة والسقاية للحاج على أحسن ما كان قومه يقيمونه بمكة من قبله ، وكانت له وفادة على ملوك اليمن من حمير والحبشة ، وقد قدّمنا خبره مع ابن ذي يزن ومع أبرهة . ولما أراد حفر زمزم للرؤيا التي رآها ، اعترضته قريش دون ذلك ، ثم حالوا بينه وبين ما أراد منها ، فنذر لئن ولد له عشرة من الولد ثم يبلغوا معه

حتى يمنعوه لِيُنْحَرَنَ أحدهم قرباناً لله عند الكعبة ، فلما كملوا عشرة ضرب عليهم القداح عند هُبَلِ الصنم العظيم الذي كان في جوف الكعبة على البئر التي كانوا ينحرون فيها هدايا الكعبة ، فخرجت القداح على ابنه عبدالله والد النبي صلى الله عليه وسلم ، وتخير في شأنه ، ومنعه قومه من ذلك ، وأشار بعضهم وهو المغيرة بن عبدالله بن مخزوم بسؤال العرّافة التي كانت لهم بالمدينة على ذلك ، فألفوها بخير وسألوها . فقالت : قربوه وعشراً من الإبل وأجبلوا القداح فإن خرجت على الإبل فذلك وإلا فزيدوا في الإبل حتى تخرج عليها القداح وانحروها حينئذ فهي الفدية عنه وقد رضي إلهكم . ففعلوا وبلغت الإبل مائة فنحروها عبد المطلب ، وكانت من كرامات الله به . وعليه قوله صلى الله عليه وسلم «أنا ابن الذبيحين» يعني عبدالله أباه وإسماعيل بن إبراهيم جدّه اللذين قربا للذبح ، ثم فديا بذبح الأنعام .

ثم إن عبد المطلب زوج ابنه عبدالله بآمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فدخل بها وحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثه عبد المطلب يمتار لهم تمرات فأتى هنالك ، فلما أبطأ عليهم خبره بعث في أثره . وقال الطبري : عن الواقدي : الصحيح أنه أقبل من الشام في حي لقريش ، فترل بالمدينة ومرض بها ومات . ثم أقام عبد المطلب في رياسة قريش بمكة والكون يصغي للملك العرب والعالم يتمخض بفصال النبوة ، إلى أن وضع نور الله من أفقهم ، وسرى خبر السماء إلى بيوتهم ، واختلفت الملائكة إلى أحيائهم ، وخرجت الخلافة في أنصباؤهم ، وصارت الغزاة لمُضَرٍّ ولسائر العرب بهم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وعاش عبد المطلب مائة وأربعين سنة وهو الذي احتفر زمزم .

قال السهيلي : ولما حفر عبد المطلب زمزم استخرج منه تمثالي غزالين من ذهب وأسيافاً كذلك ، كان ساسان ملك الفرس أهداها إلى الكعبة ، وقيل سابور . ودفنها الحرث بن مضاخ في زمزم لما خرج بجُرْهُم من مكة ، فاستخرجها عبد المطلب ، وضرب الغزالين حلية للكعبة فهو أول من ذهب حلية الكعبة بها ، وضرب من تلك الأسياف باب حديد وجعله للكعبة . ويقال : إن أول من كسى الكعبة واتخذ لها غَلَقاً تَبَعُ إلى أن جعل لها عبد المطلب هذا الباب . ثم اتخذ عبد المطلب حوضاً لزمزم يستقي منه ، وحسده قومه على ذلك وكانوا يخربونه بالليل ، فلما غمّه ذلك رأى في النوم قائلاً يقول : «قل لا أحلها لمغتسل وهي لشارب حلّ وبلّ فاذا قلتها فقد كفيتم» .

فكان بعد إذا أرادها أحد بمكروه رمى بداء في جسده ، ولما علموا بذلك تناهوا عنه .
وقال السهيلي : أول من كسا البيت المسوح والخصف والأنطاع تبع الحميري . ويروى
أنه لما كساها انتقض البيت فزال ذلك عنه ، وفعل ذلك حين كساه الخصف فلما
كساه الملاء والوصائل قبله وسكن . ومن ذكر هذا الخبر قاسم بن ثابت في كتاب
الدلائل . وقال ابن اسحق : أول من كسا البيت الديباج الحجاج . وقال الزبير بن
بكار بل عبد الله بن الزبير أول من كساها ذلك . وذكر جماعة منهم الدارقطني : أن نثيلة
بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب كانت أضلت العباس صغيراً فنذرت إن
وجدته أن تكسو الكعبة ، وكانت من بيت مملكة ، فوفت بنذرهما .

هذه أخبار قريش ومُلْكُهم بمكة ، وكانت ثقيف جيرانهم بالطائف يساجلونهم في
مذاهب العروية وينازعونهم في الشرف ، وكانوا من أوفر قبائل هوازن ، لأن ثقيفاً هو
قسي بن منبه بن بكر بن هوازن ، وكانت الطائف قبلهم لعدوان الذين كان فيهم
حكيم العرب عامر بن الظرب بن عمرو بن عبّاد بن يشكر بن بكر بن عدوان وكثر
عددهم حتى قاربوا سبعين ألفاً ، ثم بغى بعضهم على بعض فهلكوا وقل عددهم ،
وكان قسي بن منبه صهراً لعامر بن الظرب ، وكان بنوه بينهم فلما قل عدد عدوان
نغلب عليهم ثقيف وأخرجوهم من الطائف وملكوه إلى أن صبحهم الإسلام به . على ما
نذكره والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين والبقاء لله وحده وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أمر النبوة والهجرة في هذه الطبقة الثالثة وما كان من اجتماع العرب على الاسلام بعد الاباية والحرب

لما استقر أمر قريش بمكة على ما استقر ، وافترقت قبائل مضر في أدنى مدن الشام
والعراق ومادونها من الحجاز فكانوا ظعوناً واحياء ، وكان جميعهم بمسغبة وفي جهد
من العيش بحرب بلادهم وحرب فارس والروم على تلول العراق والشام ، وأربابها
ينزلون حاميتهم بثغورها ، ويجهزون كتائبهم بتخومها ، ويؤلّون على العرب من
رجالاتهم وبيوت العصائب منهم من يسومهم القهر ، ويحملهم على الإنقياد حتى
يؤتوا جباية السلطان الأعظم وإتاوة ملك العرب ، ويؤدّوا ما عليهم من الدماء

والطوائل من يسترهن^(١) أبناءهم على السلم وكف العادية ، ومن انتجاع الأرباب وميرة الأقوات ، والعساكر من وراء ذلك توقع بمن منع الخراج وتستأصل من يروم الفساد . وكان أمر مُضَر راجعاً في ذلك إلى ملوك^(٢) كِنْدَةَ بني حِجْرٍ آكل المزار منذ ولّاه عليهم تُبَع حَسَّان كما ذكرناه ، ولم يكن في العرب مُلْكٌ إلّا في آل المنذر بالحيرة للفرس وفي آل جُهَيْنَةَ بالشام للروم وفي بني حِجْرٍ هؤلاء على مُضَر والحجاز . وكانت قبائل مضر مع ذلك بل وسائر العرب أهل بغي وإلحاد ، وقطع للأرحام ، وتنافس في الردى ، وإعراض عن ذكر الله ، فكانت عبادتهم الأوثان والحجارة ، وأكلهم العقارب والخنافس والحيات والجعلان ، وأشرف طعامهم أوبار الإبل إذا أمروها في الحرارة في الدم ، وأعظم عزهم وفادة على آل المنذر وآل جُهَيْنَةَ وبني جعفر^(٣) ونجعة من ملوكهم ، وإنما كان تنافسهم المؤودة والسائبة والوصيلة والحامي .

فلما تأذن الله بظهورهم واشترأت إلى الشرف هوادي أيامهم وتم أمر الله في إعلاء أمرهم^(٤) وهبت ريح دولتهم وملة الله فيهم ، تبدت تبشير الصباح من أمرهم وأونس الخير والرشد في خلاهم وأبدل الله بالطيب الخبيث من أحوالهم وشرهم ، واستبدلوا بالذلّ عزاً وبالمآثم متاباً وبالشرّ خيراً ، ثم بالضلالة هدى وبالمسغبة شبيغاً ورياً وإيالة وملكاً . وإذا أراد الله أمراً يسر أسبابه فكان لهم من العز والظهور قبل المبعث ما كان ، وأوقع بنو شيان وسائر بكر^(٥) بن وائل وعبس بن غطفان بطيء ، وهم يومئذ ولاية العرب بالحيرة وأميرها منهم قبيصة بن إياس ومعه الباهوت^(٦) صاحب مسلحة كسرى ، فأوقعوا بهم الواقعة المشهورة بذي قار والتحمت عساكر الفرس ، وأخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالمدينة ليومها وقال : « اليوم انتصفت العرب من العجم وبني نصر » . ووفد حاجب بن زرارة من بني تميم على كسرى في طلب الانتجاع والمسيرة بقومه في اباب^(٧) العراق ، فطلب الأساورة منه

(١) وفي نسخة ثانية : ويسترهنوا .

(٢) وفي النسخة الباريسية : (أمراء كندة) .

(٣) وفي النسخة الباريسية : بني حجر .

(٤) وفي النسخة الباريسية : يدهم .

(٥) وفي النسخة الباريسية : مضر .

(٦) وفي النسخة الباريسية : ابناهوت .

(٧) وفي النسخة الباريسية : أرياف .

الرهن على عاداتهم ، فاعطاهم قوسه واستكبر عن استرھان ولده ، توقعوا (١) منه عجزاً عما سواها وانتقلت خلال الخير من العجم ورجالات فارس فصارت أغلب في العرب حتى كان الواحد منهم همّة بخلافه (٢) وشرفه الشرّ والسفسفة على أهل دول العجم . وانظر فيما كتب به عمر إلى أبي عبيدة بن المثنى حين وجهه إلى حرب فارس : « انك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والحيرة (٣) تقدم على أقوام قد جرؤا على الشرّ فعلموه وتناسوا الخير فجعلوه فانظر كيف تكون » اهـ . وتنافست العرب في خلال وتنازعوا في المجد والشرف حسبا هو مذكور في أيامهم وأخبارهم . وكان حظ قريش من ذلك أوفر على نسبة حظهم من مبعثه (٤) وعلى ما كانوا ينتحلونه من هدى آبائهم ، وانظر ما وقع في حلف الفضول حيث اجتمع بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة وبنو تميم ، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى تردّ عليه مظلّمته ، وسمّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول . وفي الصحيح عن طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعي به في الاسلام لأجبت » . ثم ألقى الله في قلوبهم إلتماس الدين وإنكار ما عليه قومهم من عبادة الأوثان ، حتى لقد اجتمع منهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وعثمان بن الحويرث بن أسد ، وزيد بن عمرو بن نفيل من بني عدي بن كعب عمّ عمر بن الخطاب ، وعبيدالله بن جحش من بني أسد بن خزيمة ، وتلاوموا في عبادة الأحمجار والأوثان وتواصوا بالنفر في البلدان بالتماس الحنيفيّة دين ابراهيم نبيهم . فأما ورقة فاستحكم في النصرانية وابتغى من أهلها الكتب حتى علم من أهل الكتاب ، وأمّا عبيدالله بن جحش فأقام على ما هو عليه حتى جاء الإسلام فأسلم وهاجر إلى الحبشة فتنصر وهلك نصرانياً وكان يمرّ بالمهاجرين بأرض الحبشة فيقول : فقحنا وصأصأتم أي أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر مثل ما يقال في الجرّ واذا فتح عينيه فقح واذا أراد ولم يقدر صأصأ ، وأمّا عثمان بن الحويرث فقدم على ملك الروم قنصر فتنصر وحسنت منزلته عنده ،

(١) وفي النسخة الباريّة : فرجعوا منه عجزاً عن سواها .

(٢) وفي نسخة ثانية : بخلافه .

(٣) وفي النسخة الباريّة : والخيانة الحميرية .

(٤) وفي النسخة الباريّة : مغبته .

وأما زيد بن عمرو فما هم أن يدخل^(١) في دين ولا اتباع كتاباً واعتزل الأوثان والذبائح والميتة والدم ونهى عن قتل المؤودة وقال : أعبد ربّ إبراهيم وصرّح بعيب آلهتهم وكان يقول : اللهم لو أني أعلم أيّ الوجوه أحب إليك لعبدتك^(٢) ولكن لا أعلم ثم يسجد على راحته . وقال ابنه سعيد وابن عمه عمر بن الخطاب : يا رسول الله استغفر الله لزيد بن عمرو قال : نعم انه يبعث أمة واحدة .

ثم تحدّث الكهّان والحزاة قبل النبوة وأنها كائنة في العرب وأن ملكهم سيظهر ، وتحدّث أهل الكتاب من اليهود والنصارى بما في التوراة والإنجيل من بعث محمد وامته ، وظهرت كرامة الله بقريش ومكة في أصحاب الفيل ارهاصاً بين يدي مبعثه . ثم ذهب ملك الحبشة من اليمن على يد ابن ذي يزن من بقية التبابعة ، ووفد عليه عبد المطلب يهنيه عند استرجاعه ملك قومه من أيدي الحبشة ، فبشره ابن ذي يزن بظهور نبيّ من العرب وأنه من ولده في قصة معروفة . وتحيّن الأمر لنفسه كثير من رؤساء العرب يظنه فيه ، ونفروا إلى الرهبان والأخبار من أهل الكتاب يسألونهم ببلدتهم يعلم ذلك^(٣) ، مثل أمية بن أبي الصلت الشقيّ وما وقع له في سفره إلى الشام مع أبي سفيان بن حرب وسؤاله الرهبان ومفاوضته أبا سفيان فيما وقف عليه من ذلك ، يظن أن الأمر له أو لأشراف قریش من بني عبد مناف حتى تبين لها خلاف ذلك في قصة معروفة ، (ثم رجعت) الشياطين عن استماع خبر السماء في أمره واصغى الكون لاستماع أنبائه .

المولد الكريم وبدء الوحي

ثم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل ، لأربعين سنة من ملك كسرى أنوشروان وقيل لثمان وأربعين ، ولثمانمائة واثنين وثمانين لذي القرنين . وكان عبد الله أبوه غائباً بالشام وانصرف فهلك بالمدينة ، وولد سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مهلكه بأشهر قلائل ، وقيل غير ذلك . وكفله جدّه عبد المطلب بن هاشم وكفالة الله من ورائه ، واتمس له الرضعاء واسترضع في بني سعد من بني هوازن ، ثم في بني نصر بن سعد أرضعته منهم حليلة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحرث بن شحنة بن رزاح بن ناظرة بن خصفة بن

(١) وفي النسخة الباريسية : فلم يدخل دين .

(٢) وفي النسخة الباريسية : عبدتك به .

(٣) وفي نسخة ثانية : من ذلك .

قيس^(١) ، وكان ظئره^(٢) منهم الحارث بن عبد العزى وقد مر ذكرهما في بني عامر بن صعصعة ، وكان أهله يتوسمون فيه علامات الخير والكرامات من الله ، ولما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم شق الملكين بطنه واستخراج العلقة السوداء من قلبه وغسلهم حشاه وقلبه بالثلج ما كان ، وذلك لرابعة من مولده ، وهو خلف البيوت يرعى الغنم فرجع إلى البيت منتقع^(٣) اللون ، وظهرت خليمة على شأنه فخافت أن يكون أصابه شيء من اللمم^(٤) فرجعت إلى أمه . واسترابت آمنة برجعتها إياه بعد حرصها على كفالته فأخبرتها الخبر ، فقالت : كلاً والله لست أخشى عليه . وذكرت من دلائل كرامة الله له وبه كثيراً .

وأزارته أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أخوال جدّه عبد المطلب من بني عدي بن النجار بالمدينة ، وكانوا أخوالاً لها أيضاً . وهلك عبد المطلب لثمان سنين من ولادته ، وعهد به إلى ابنه أبي طالب فأحسن ولايته وكفالته ، وكان شأنه في رضاعه وشبابه ومرباه عجباً . وتولّى حفظه وكلاءته من مفارقة أحوال الجاهلية ، وعصمته من التلبس بشيء منها حتى لقد ثبت أنه : مرّ بعرس مع شباب قريش ، فلما دخل على القوم أصابه غشي النوم ، فما أفاق حتى طلعت الشمس وافترقوا . ووقع له ذلك أكثر من مرة . وحمل الحجارة مع عمه العباس لبنيان الكعبة وهما صبيان ، فأشار عليه العباس بحملها في إزاره ، فوضعه على عاتقه وحمل الحجارة فيه وانكشف ، فلما حملها على عاتقه سقط مغشياً عليه ، ثم عاد فسقط فاشتعل إزاره وحمل الحجارة كما كان يحملها . وكانت بركاته تظهر بقومه وأهل بيته ورضعائه في شؤونهم كلها .

وحمله عمه أبو طالب إلى الشام وهو ابن ثلاث عشرة وقيل ابن سبع عشرة ، فرّوا ينجياً الراهب عند بصرى فعان الغمامة تظله والشجر^(٥) تسجد له ، فدعا القوم وأخبرهم بنبوته وبكثير من شأنه في قصة مشهورة . ثم خرج ثانية إلى الشام تاجراً بمال خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى مع غلامها ميسرة ومروا بنسطور الراهب ، فرأى ملكين يظلاّنه من الشمس فأخبر ميسرة بشأنه ، فأخبر بذلك خديجة فعرضت

(١) وفي النسخة الباريسية : قصية بن نصر .

(٢) طارت المرأة على ولد غيرها : عطفها عليه — طارت المرأة : اتخذت ولداً ترضعه (قاموس) .

(٣) وفي نسخة ثانية : ممتقع اللون .

(٤) اللمم : الجنون (قاموس) .

(٥) وفي النسخة الباريسية : والحجر .

نفسها عليه ، وجاء أبو طالب فخطبها الى أبيها فزوجه ، وحضر الملا من قريش ،
وقام أبو طالب خطيباً فقال : « الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل
وضئضي (١) معدّ وعنصر مضر وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا امناً بيته
وسواس حرمة وجعلنا الحكماء على الناس وأن ابن أخي محمد بن عبد الله من قد علمتم
قربته وهو لا يوزن بأحدٍ إلا رجح به فان كان في المال قلّ فإنّ المال ظلّ زائلٌ وقد
خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالي كذا وكذا
وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل » . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ
ابن خمس وعشرين سنة وذلك بعد الفجار بخمس عشرة سنة .

وشهد بنيان الكعبة لخمس وثلاثين من مولده حين أجمع كل قريش على هدمها
وبنائها ، ولما انتهوا الى الحجر تنازعوا أيهم يضعه وتداعوا للقتال ، وتحالف بنو عبد
الدار على الموت (٢) ثم اجتمعوا وتشاوروا ، وقال أبو أمية حكموا أول داخل من باب
المسجد فتراضوا على ذلك . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذا
الأمين ، وبذلك كانوا يسمّونه ، فتراضوا به وحكموه . فبسط ثوبا ووضع فيه الحجر
وأعطى قريشا أطراف الثوب ، فرفعوه حتى أدنوه من مكانه ، ووضعوه عليه السلام
بيده (٣) . وكانوا أربعة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، والأسود بن المطلب بن أسد
بن عبد العزى ، وأبو حذيفة بن المغيرة بن عمر بن مخزوم ، وقيس بن عدي
السهمي . ثم استمرّ على أكمل الزكاء والطهارة في أخلاقه ، وكان يعرف بالأمين ،
وظهرت كرامة الله فيه وكان اذا أبعده في الجلاء لا يمرّ بحجر ولا شجر إلا ويسلم عليه .

بدء الوحي

ثم بدىء بالرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم تحدّث
الناس بشأن ظهوره ونبوّته ، ثم حببت إليه العبادة والخلوة بها فكان يتزوّد للإنفراد
حتى جاء الوحي بحراء لأربعين سنة من مولده وقيل لثلاث وأربعين . وهي حالة يغيب

(١) الاصل والعدن (قاموس) .

(٢) وفي النسخة الباريية : . وتحالف بنو عبد الدار وبنو عدي على الموت .

(٣) وفي النسخة الباريية : واعطى اشراف قريش جنباته فرفعوه حتى أدنوه من مكانه وفي الكامل ج ٢ ص

٤٥ : فقال : هلمّوا إليّ ثوبا ، فأوتي به ، فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه ثم قال : لتأخذ كل قبيلة
بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا . فلمّا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بُني عليه .

فيها عن جلسانه وهو كائن معهم ، فأحياناً يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه ويعي قوله ، وأحياناً يلقي عليه القول ، ويصبيه أحوال الغيبة عن الحاضرين من الغط والعرق وتصبيه كما ورد في الصحيح من أخباره ، قال : وهو أشد علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال . وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول . فأصابته تلك الحالة بغار حراء وألقى عليه : «اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم» . وأخبر بذلك كما وقع في الصحيح . وآمنت به خديجة وصدقته وحفظت عليه الشأن . ثم خطب بالصلاة وأراه جبريل طهرها ، ثم صلى به وأراه سائر أفعالها . ثم كان شأن الاسراء من مكة الى بيت المقدس من الأرض الى السماء السابعة الى سدرة المنتهى وأوحى إليه ما أوحى ، ثم آمن به عليّ ابن عمه أبي طالب وكان في كفالته من أزمة أصابت قريشا وكفل العباس جعفرأ أخاه ، فجعفر أسن^(١) عيال أبي طالب . فأدركه الاسلام وهو في كفالته فآمن وكان يصلي معه ، في الشعاب مختفياً من أبيه حتى اذ ظهر عليهما أبو طالب دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا أستطيع فراق ديني ودين آبائي ، ولكن لا ينهض اليك شيء تكره ما بقيت ، وقال لعليّ : إزمه فإنه لا يدعو إلا لخير .

فكان أول من أسلم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ، ثم أبو بكر ، وعليّ بن أبي طالب ، كما ذكرنا ، وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلال بن حمامة مولى أبي بكر ، ثم عمر بن عنبسة السلمي ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية . ثم أسلم بعد ذلك قوم من قريش اختارهم الله لصحابه من سائر قومهم وشهد لكثير منهم بالجنة . وكان أبو بكر محبباً سهلاً وكانت رجالات قريش تألفه فأسلم على يديه من بني أمية عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، ومن عشيرة بني عمرو بن كعب بن سعد بن تيم طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو ، ومن بني زهرة بن قصي سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهب بن مناف بن زهرة وعبد الرحمن بن عوف بن عوف بن عبد الحرث بن زهرة ، ومن بني أسد بن عبد العزى الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد وهو ابن صفية عمة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أسلم من بني الحرث بن فهر أبو عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال

(١) وفي النسخة الباريية : فجعفر من عيال أبي طالب .

بن أهيب بن ضبة بن الحرث ، ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب أبو سلمة عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح وأخوه قدامة ، ومن بني عدي سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد الله بن قرط بن رياح^(١) بن عدي وزوجته فاطمة أخت عمر بن الخطاب بن نفيل وأبوه زيد هو الذي رفض الأوثان في الجاهلية ودان بالتوحيد وأخبر صلى الله عليه وسلم أنه يبعث يوم القيامة أمة وحده . ثم أسلم عُمَيْرُ أخو سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه ابن غافل بن حبيب بن شمع بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة حليف بني زهرة ، كان يرعى غنم عقبة بن أبي معيط وكان سبب إسلامه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حلب من غنمه شاة حائلاً فدرّت^(٢) . ثم أسلم جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب وامراته أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن ملك بن قحافة الخثعمي ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس واسمه مهشم ، وعامر بن فهيرة أزدي وفهيرة أمه مولاة أبي بكر . وأفد بن عبد الله بن عبد مناف تميمي من حلفاء بني عدي . وعمار بن ياسر عنسي بن مذحج مولى أبي مخزوم^(٣) وصهيب بن سنان من بني النمر بن قاسط حليف بني جدعان . ودخل الناس في الدين أرسالا وفشا الاسلام وهم يتتحلون^(٤) به ويذهبون إلى الشعاب فيصلون . ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بأمره ويدعوه إلى دينه بعد ثلاث سنين من مبدأ الوحي ، فصعد على الصفا ونادى يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش ، فقال : لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني ؟ قالوا : بلى . قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . ثم نزل قوله وأنذر عشيرتك الأقربين . وتردد إليه الوحي بالندارة^(٥) ، فجمع بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون على طعام

(١) وفي النسخة الباريسية : ابن رزاح .

(٢) وفي نسخة ثانية : فعدّت .

(٣) وفي نسخة ثانية : مولى لبني مخزوم .

(٤) وفي نسخة ثانية : يستجعون به .

(٥) الأصح ان يقول الوحي التزير أي الوحي القليل .

صنعه لهم عليّ بن أبي طالب بأمره ، ودعاهم إلى الاسلام ورغبهم وحذرهم وسمعوا كلامه وافترقوا .

ثم إن قريشاً حين صدع وسب الآلهة وعابها نكروا ذلك منه ونابدوه واجمعوا على عداوته ، فقام أبو طالب دونه محامياً ومانعاً ، ومشت إليه رجال قريش يدعونه إلى النصفة عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ، وأبو البختري (٣) بن هشام بن الحرث ابن أسد بن عبد العزى ، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة ابن أخي الوليد ، والعاصي بن وائل بن هشام بن سعد بن سهم ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن علي بن حذيفة بن سعد بن سهم ، والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة . فكلّموا أبا طالب وعادوه فردّهم ردّاً جميلاً ، ثم عادوا إليه فسألوه النصفة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته بمحضرهم وعرضوا عليه قولهم فتلا عليهم القرآن وأياهم من نفسه وقال لأبي طالب : يا عمّاه لا أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه . واستعبر وظنّ أنّ أبا طالب بداله في أمره ، فرقّ له أبو طالب وقال يا ابن أخي قل ما أحببت فوالله لا أسلمك أبداً .

هجرة الحبشة

ثم افترق أمر قريش وتعاهد بنو هاشم وبنو المطلب مع أبي طالب على القيام دون النبي صلى الله عليه وسلم ووثب كل قبيلة على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم (٢) واشتدّ عليهم العذاب ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى أرض الحبشة فراراً بدينهم ، وكان قريش يتعاهدونها بالتجارة فيحمدونها ، فخرج عثمان بن عفّان وامراته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم وأبو حذيفة بن كتبة بن ربيعة مُرَاغماً لأبيه وامراته سهلة بنت سهيل بن عمرو بن عامر بن لؤي والزبير بن العوام ومصعب بن عمير بن عبد شمس وابو سبرة بن أبي رهم (٣) بن عبد العزى العامري من بني عامر بن لؤي وسهيل بن بيضاء من بني الحرث بن فهر وعبد الله بن مسعود وعامر بن

(١) هو نجاء معجمه بوزن جعفري كما في شرح القاموس — قاله نصر .

(٢) وفي النسخة الباريسية : ويعيونهم .

(٣) وفي نسخة ثانية : ابن أبي هاشم .

ربيعة العتري حليف بني عدي وهو من عتربن وائل ليس من عترة وامراته ليلي بنت أبي خيثمة . فهؤلاء الأحد عشر رجلاً كانوا أول من هاجر إلى أرض الحبشة ، وتتابع المسلمون من بعد ذلك ، ولحق بهم جعفر بن أبي طالب وغيره من المسلمين . وخرجت قريش في آثار الأولين إلى البحر فلم يدركوهم ، وقدموا إلى أرض الحبشة فكانوا بها ، وتتابع المسلمون في اللحاق بهم ، يقال إن المهاجرين إلى أرض الحبشة بلغوا ثلاثة وثمانين رجلاً . فلما رأت قريش النبي صلى الله عليه وسلم قد امتنع بعمه وعشيرته وأنهم لا يسلمونه طفقوا يرمونه عند الناس ممن يفد على مكة بالسحر والكهانة والحنون والشعريومون بذلك صدهم عن الدخول في دينه ، ثم انتدب جماعة منهم لمجاهرتة صلى الله عليه وسلم بالعداوة والاذاية^(١) ، منهم : عمه أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب أحد المستهزئين ، وابن عمه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وعقبة بن أبي معيط أحد المستهزئين ، وأبو سفيان من المستهزئين ، والحكم بن أبي العاص بن أمية من المستهزئين أيضا ، والنضر بن الحرث من بني عبد الدار ، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى من المستهزئين وابنه زمعة ، وأبو البختري العاص بن هشام ، والأسود بن عبد يغوث ، وأبو جهل بن هشام وأخوه العاص وعمهما الوليد وابن عمهم قيس بن الفاكه بن المغيرة ، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة ، والعاص بن وائل السهمي وابنا عمه نبيه ومنبه ، وأميمة وأبي ابنا خلف بن جمح . وأقاموا يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويتعرضون له بالاستهزاء والاذاية حتى لقد كان بعضهم ينال منه بيده ، وبلغ عمه حمزة يوماً أن أبا جهل بن هشام تعرض له يوماً بمثل ذلك وكان قوي الشكيمة ، فلم يلبث أن جاء إلى المسجد وأبوجهل في نادي قريش ، حتى وقف على رأسه وضربه وشجّه ، وقال له : تشتم محمداً وأنا على دينه ؟ وثار رجال بني مخزوم إليه فصدّهم أبو جهل وقال دعوه فاني سببت ابن أخيه سباً قبيحاً . ومضى حمزة على إسلامه ، وعملت قريش أن جانب المسلمين قد اعتر بحمزة فكفّوا بعض الشرّ بمكانه فيهم ، ثم اجتمعوا وبعثوا عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة إلى النجاشي يسلم إليهم من هاجر إلى أرضه من المسلمين فنكر النجاشي رسالتهم وردّهما مقبوحين .

ثم أسلم عمر بن الخطاب وكان سبب إسلامه أنه بلغه أن أخته فاطمة أسلمت مع

(١) وفي نسخة ثانية : الأذى وهي اصح ولا وجود لكلمة الاذاية فيما بين ايدينا من كتب اللغة .

زوجها سعيد ابن عمه زيد ، وأن خباب بن الأرت عندهما يعلمهما القرآن ، فجاء إليهما منكراً وضرب أخته فشجّها ، فلما رأت الدم قالت : قد أسلمنا وتابعنا محمداً فافعل ما بدا لك ! ، وخرج إليه خباب من بعض زوايا البيت فذكره ووعظه ، وحضرته الانابة فقال له : اقرأ عليّ من هذا القرآن ، فقرأ من سورة طه وأدركته الخشية فقال له : كيف تصنعون اذا أردتم الإسلام ؟ فقالوا له وأروه الطهور . ثم سأل على مكان النبي صلى الله عليه وسلم فدل عليه ، فطرقهم في مكانهم ، وخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مالك يا ابن الخطاب ؟ فقال : يا رسول الله جئت مسلماً ، ثم تشهد شهادة الحق ودعاهم إلى الصلاة عند الكعبة فخرجوا وصلوا هنالك ، واعتز المسلمون باسلامه . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه : اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين يعنيه أو أبا جهل .

ولما رأت قريش فشوا الاسلام وظهوره أهمهم ذلك ، فاجتمعوا وتعاهدوا على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم ، وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها في الكعبة ، وانحاز بنو هاشم وبني المطلب كلهم بكافرهم ومؤمنهم فصاروا في شعب أبي طالب محصورين متجنين ، حاشا أبي لهب فإنه كان مع قريش على قومهم ، فبقوا كذلك ثلاث سنين لا يصل إليهم شيء ممن أراد صلتهم إلا سراً ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل على شأنه من الدعاء إلى الله والوحي عليه متتابع . إلى أن قام في نقض الصحيفة رجال من قريش كان أحسنهم في ذلك أثراً هشام بن عمرو بن الحرث من بني حسل بن عامر بن لؤي ، لقي زهير بن أبي أمية بن المغيرة وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب فعيره باسلامه أخواله إلى ما هم فيه ، فأجاب إلى نقض الصحيفة . ثم مضى إلى مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وذكر رحم هاشم والمطلب ثم إلى أبي البختري^(١) بن هشام وزمعة بن الأسود فأجابوا كلهم ، وقاموا في نقض الصحيفة ، وقد بلغهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الصحيفة أكلت الأرضة كتابتها كلها حاشا أسماء الله ، فقاموا بأجمعهم فوجدوها كما قال ، فخزوا ونقض حكمها .

ثم أجمع أبو بكر الهجرة وخرج لذلك فلقيه ابن الدغنة^(٢) فردّه ، ثم اتصل

(١) البختري بوزن الجعفري ، والخاء معجمة على ما في شرح القاموس (قاله نصر) .

(٢) وفي نسخة أخرى : ابن الدغينة .

بالمهاجرين في أرض الحبشة خبر كاذب بأن قريشا قد أسلموا ، فرجع إلى مكة قوم منهم عثمان بن عفان وزوجته وأبو حذيفة وامراته وعبدالله بن عتبة بن غزوان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف ومصعب بن عمير وأخوه والمقداد بن عمرو وعبدالله بن مسعود وأبو سلمة بن عبد الأسد وامراته أم المؤمنين وسلمة بن هشام بن المغيرة وعمار بن ياسر وبنو مظعون عبدالله وقدامة وعثمان وابنه السائب وخنيس بن حذافة وهشام بن العاص وعامر بن ربيعة وامراته وعبدالله بن مخزومة من بني عامر بن لؤي وعبدالله بن سهل بن السكران بن عمرو وسعد بن خولة وأبو عبيدة بن الجراح وسهيل بن بيضاء وعمرو بن أبي سرح ، فوجدوا المسلمين بمكة على ما كانوا عليه مع قريش من الصبر على أذاهم ، ودخلوا إلى مكة بعضهم مختفياً وبعضهم بالجوار ، فأقاموا إلى أن كانت الهجرة إلى المدينة بعد أن مات بعضهم بمكة .

ثم هلك أبو طالب وخديجة وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين فعظمت المصيبة ، وأقدم عليه سفهاء قريش بالاذاية والاستهزاء وإلقاء القاذورة^(١) في مصلاه . فخرج إلى الطائف يدعوهم إلى الاسلام والنصرة والمعونة وجلس إلى عبد ياليل بن عمر بن عمير وأخويه مسعود وحبيب وهم يومئذ سادات ثقيف وأشرافهم ، وكلمهم فأسأوا الرد ، وئس منهم فأوصاهم بالكتمان فلم يقبلوا واغروا به سفاهم فاتبعوه حتى ألقاوه إلى حائط عتبة وشيبة ابني ربيعة ، فأوى إلى ظله حتى اطمأن ثم رفع طرفه إلى السماء يدعو : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين أنت ربي إلى من تكلني إلى بغيض يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصالح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » .

ولما انصرف من الطائف إلى مكة بات بنخلة ، وقام يصلي من جوف الليل ، فمر به نفر من الجن وسمعوا القرآن . ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة في جوار المطعم بن عدي بعد أن عرض ذلك على غيره من رؤساء قريش فاعتذروا بما قبله منهم . ثم قدم عليه الطفيل بن عمر والدوسي فأسلم ودعا قومه فأسلم بعضهم ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل الله له علامة للهداية فجعل في وجهه نوراً ثم

(١) وفي نسخة أخرى : القاذورات .

دعا له فنقله إلى سوطه وكان يعرف بذى النور .

وقال ابن حزم : ثم كان الإسراء إلى بيت المقدس ثم إلى السموات ، ولقي من لقي من الأنبياء ، ورأى جنة المأوى وسدرة المنتهى في السماء السادسة ، وفرضت الصلاة في تلك الليلة . وعند الطبري الإسراء وفرض الصلاة كان أول الوحي .

ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على وفود العرب في الموسم يأتيهم في منازلهم ليعرض عليهم الإسلام ويدعوهم إلى نصره ويتلو عليهم القرآن ، وقريش مع ذلك يتعرضونهم بالمقابح إن قبلوا منه وأكثرهم في ذلك أبو لهب . وكان من الذين عرض عليهم في الموسم بنو عامر بن صعصعة من مضر وبنو شيبان وبنو حنيفة من ربيعة وكندة من قحطان وكلب من قضاعة وغيرهم من قبائل العرب ، فكان منهم من يحسن الإستماع والعذر ، ومنهم من يعرض ويصرح بالأذية ، ومنهم من يشترط الملك الذي ليس هو من سبيله فرددّ صلى الله عليه وسلم الأمر إلى الله . ولم يكن فيهم أقبح ردّاً من بني حنيفة . وقد ذكر الله الخير في ذلك كله للأنصار ، فقدم سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف بن الأوس ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فلم يبعد ولم يجب ، وانصرف إلى المدينة فقتل في بعض حروبهم وذلك قبل بعث . ثم قدم بمكة أبو الحيسر أنس بن رافع في فتية من قومه من بني عبد الأشهل يطلبون الحلف ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فقال إياس بن معاذ منهم وكان شاباً حدثاً : هذا والله خير مما جئنا له ، فأنهره أبو الحيسر فسكت . ثم انصرفوا إلى بلادهم ولم يتم لهم الحلف ومات إياس فيقال : إنه مات مسلماً .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي عند العقبة في الموسم ستة نفر من الخزرج وهم : أبو أمامة اسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك^(١) ابن النجار ، وعوف بن الحرث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم وهو ابن عفراء ، ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زيد بن مالك بن غصبة بن جشم بن الخزرج ، وطبقة بن عامر بن حيدرة بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد ابن مراد بن يزيد بن جشم ، وعقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة ، وجابر بن عبد الله بن رثاب بن

(١) وفي النسخة الباريية : سلمة .

نعمان بن سلمة^(١) بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة . فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، وكان من صنع الله لهم أن اليهود جيرانهم كانوا يقولون إن نبياً يبعث وقد أظلم زمانه ، فقال بعضهم لبعض هذا والله النبي الذي تحدثكم به اليهود فلا يسبقونا إليه . فآمنوا وأسلموا وقالوا إنا قد قدمنا فيهم^(٢) حروباً فتصرف وندعوهم إلى ما دعوتنا إليه فعسى الله أن يجمع كلمتهم بك فلا يكون أحد أعز منك ، فانصرفوا إلى المدينة ودعوا إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر النبي صلى الله عليه وسلم . حتى إذا كان العام القابل قدم مكة من الأنصار اثنا عشر رجلاً منهم خمسة من الستة الذي ذكرناهم ، ما عدا جابر بن عبد الله فإنه لم يحضرها ، وسبعة من غيرهم وهم : معاذ بن الحرث أخو عوف بن الحرث المذكور وقيل إنه ابن عفراء ، وذكوان بن عبد قيس بن خالدة ، وخالد بن مخلد بن عامر بن زريق ، وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهد بن ثعلبة بن صرمة بن أصرم بن عمرو بن عبادة بن عصبية من بني حبيب ، والعباس ابن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو ابن عوف هؤلاء عشرة من الخزرج . ومن الأوس : أبو الهيثم مالك بن التيهان وهو من بني عبد الأشهل بن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمر ابن مالك بن أوس ، وعويم بن ساعدة من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس بن حارثة . فبايع هؤلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة على بيعة النساء ، وذلك قبل أن يفرض الحرب ، على الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أن لا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يفتروا الكذب . فلما حان انصرافهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم ومصعب بن عمير يدعوهم إلى الإسلام ويعلم من أسلم منهم القرآن والشرائع ، فنزل بالمدينة على أسعد بن زرارة ، وكان مصعب يؤمهم وأسلم على يديه خلق كثير من الأنصار . وكان سعد بن معاذ وأسعد بن زرارة ابنا الخالة ، فجاء سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير^(٣) إلى أسعد بن زرارة وكان جاراً لبني عبد الأشهل ، فانكروا عليه فهداهما الله إلى الإسلام ، وأسلم

(١) وفي النسخة الباريية : ابن سنان .

(٢) وفي نسخة ثانية : بينهم .

(٣) وفي نسخة ثانية : الحصين .

باسلامها جميع بني عبد الأشهل في يوم واحد الرجال والنساء . ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها المسلمون رجال ونساء حاشا بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف ، بطون من الأوس وكانوا في عوالي المدينة ، فأسلم منهم قوم سيدهم أبو قيس صيفي بن الأسلت الشاعر فوقف بهم عن الاسلام حتى كان الخندق فأسلموا كلهم .

العقبة الثانية

ثم رجع مصعب المذكور ابن عمير إلى مكة وخرج معه إلى الموسم جماعة ممن أسلم من الأنصار للقاء النبي صلى الله عليه وسلم في جملة قوم منهم لم يسلموا بعد ، فوافوا مكة وواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق ، ووافوا ليلة ميعادهم إلى العقبة متسللين عن رحالهم سرا ممن حضر من كفار قومهم ، وحضر معهم عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر وأسلم تلك الليلة ، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يمنعوه ما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزهرهم وأن يرحل إليهم هو وأصحابه . وحضر العباس بن عبد المطلب ، وكان على دين قومه بعد ، وإنما توثق للنبي صلى الله عليه وسلم وكان للبراء بن معرور في تلك الليلة المقام المحمود في الإخلاص والتوثق لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أول من بايع . وكانت عدة الذين بايعوا تلك الليلة ثلاثاً وسبعين رجلاً وامرأتين ، واختار منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ، وقال لهم : أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي .

فمن الخزرج من أهل العقبة الأولى : أسعد بن زرارة ، ورافع بن مالك ، وعبادة ابن الصامت . ومن غيرهم سعد بن الربيع بن عمر بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس ، ومالك بن مالك ، وثعلبة بن كعب بن الخزرج ، وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس ، والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة ، وعبد الله بن عمرو بن حرام^(١) أبو جابر ، وسعد بن عبادة بن دليم^(٢) بن حارثة بن لودان بن عبد ، ود بن يزيد بن ثعلبة بن الخزرج بن

(١) وفي نسخة ثانية : حزام

(٢) وفي نسخة ثانية : ديلم .

ساعدة . وثلاثة من الأوس وهم : أسيد بن حضر بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، وسعد بن خيثمة بن الحارث ^(١) بن مالك بن الأوس ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . وقد قدّم أبو الهيثم بن التيهان مكان رفاعة هذا والله أعلم . ولما تمت هذه البيعة أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجوع إلى رحالهم فرجعوا ، ونمي الخبر إلى قريش فغدت الجلة ^(٢) منهم على الأنصار في رحالهم فعاتبوهم ، فأنكروا ذلك وحلفوا لهم ، وقال لهم عبدالله بن أبي بن سلول ما كان قومي ليتفقوا على مثل هذا وأنا لا أعلمه ، فانصرفوا عنه وتفرق الناس من منى ، وعلمت قريش صحة الخبر فخرجوا في طلبهم ، فأدركوا سعد بن عبادة فجاءوا به إلى مكة يضربونه ويحرقونه بشعره حتى نادى بجبير بن مطعم والحارث بن أمية وكان يحيرهما ببلده فخلصاه مما كان فيه . وقد كانت قريش قبل ذلك سمعوا صائحاً يصيح ليلاً على جبل أبي قبيس :

فأن يسلم السعدان يصبح محمد بمكة لا يخشى خلاف مخالف
فقال أبو سفيان السعدان سعد بكر وسعد هذيم فلما كان في الليلة القابلة سمعوه يقول :
أيا سعد : سعد الأوس كن أنت ناصراً ويا سعد سعد الخزرجين ^(٣) الغطارف
أجيباً إلى داعي الهدى وتمنياً على الله في الفردوس منية عارف
فإن ثواب الله للطالب الهدى جنان من الفردوس ذات فارف

فقال هما والله سعد بن عبادة وسعد بن معاذ .

ولما فشا الاسلام بالمدينة وطفق أهلها يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، تعاقدت على أن يفتنوا المسلمين عن دينهم فأصابهم من ذلك جهد شديد . ثم نزل قوله تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » . فلما تمت بيعة الأنصار على ما وصفناه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ممن هو بمكة بالهجرة إلى المدينة ، فخرجوا أرسالاً وأول من خرج أبو سلمة بن عبد الأسد ونزل في

(١) وفي النسخة الباريسية : الحارث .

(٢) وفي نسخة ثانية : الخلّة .

(٣) وفي نسخة ثانية : الخزرجي .

قبا ، ثم هاجر عامر بن ربيعة حليف بني عدي^(١) بامراته ليلي بنت أبي خيثمة بن غانم ، ثم هاجر جميع بني جحش من بني أسد بن خزيمه ونزلوا بقبا على عكاشة بن محصن وجماعة من بني أسد حلفاء بني أمية كانت فيهم زينب بنت جحش أم المؤمنين وأختها حمنة وأم حبيبة ، ثم هاجر عمر بن الخطاب وعياش^(٢) بن أبي ربيعة في عشرين راكباً فنزلوا في العوالي في بني أمية بن زيد وكان يصلي بهم سالم مولى أبي حذيفة . وجاء أبو جهل بن هشام فخدع عياش بن أبي ربيعة وردّه إلى مكة فحبسوه حتى تخلص بعد حين ورجع . وهاجر مع عمر أخوه وسعيد ابن عمه زيد وصهره علي بنته حفصة أم المؤمنين خنيس^(٣) بن حذافة السهمي وجماعة من حلفاء بني عدي ، نزلوا بقبا على رفاعه بن عبد المنذر من بني عوف بن عمرو .

ثم هاجر طلحة بن عبيد الله فنزل هو وصهيب بن سنان على حبيب بن أساف في بني الحرث بن الخزرج بالسلم ، وقيل بل نزل طلحة على أسعد بن زرارة . ثم هاجر حمزة بن عبد المطلب ومعه زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحليفه أبو مرثد كنان بن حصن الغنوي فنزلوا في بني عمر وبن عوف بقبا على كلثوم بن الهدم ، ونزل جماعة من بني المطلب بن عبد مناف فيهم مسطح بن اثالة ومعه خباب بن الارت مولى عتبة بن غزوان في بني المسجلان بقبا ، ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع في بني الحرث بن الخزرج ، ونزل الزبير بن العوام وأبوسبرة بن أبي رهم بن عبد العزى على المنذر بن محمد بن عتبة بن أحيحة الجلاح في دار بني جحجبا ، ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ في بني عبد الأشهل ، ونزل أبو حذيفة بن عتبة ومولاه سالم وعتبة ابن غزوان المازني على عباد بن بشر من بني عبد الأشهل ، ولم يكن سالم عتيق أبي حذيفة وإنما أعتقته امرأة من الأوس كانت زوجا لأبي حذيفة إسمها بثينة بنت معاذ فتبناه ونسب إليه . ونزل عثمان بن عفان في بني النجار على أوس أخي حسان بن ثابت . ولم يبق أحد من المسلمين بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أبو بكر وعلي بن أبي طالب فإنهما أقاما بأمره وكان صلى الله عليه وسلم ينتظر أن يؤذن له في الهجرة .

(١) وفي النسخة الباريسية : عامر بن ربيعة بن عدي .

(٢) وفي نسخة ثانية : عباس .

(٣) وفي نسخة ثانية : جحش .

الهجرة

ولما علمت قريش أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صار له شيعة وأنصار من غيرهم وأنه يجمع على اللحاق بهم وأن أصحابه من المهاجرين سبقوه إليهم تشاوروا ما يصنعون في أمره ، واجتمعت لذلك مشيختهم في دار الندوة : عتبة وشيبة وأبوسفيان من بني أمية وطعيمة بن عدي وجبير بن مطعم والحارث بن عامر من بني نوفل والنضر بن الحارث من بني عبد الدار وأبو جهل من بني مخزوم ونبيه ومنبه ابنا الحجاج من بني سهم وأمّية بن خلف من بني جمح ، ومعهم من لا يعدّ من قريش . فتشاوروا في حبسه أو إخراجه عنهم ، ثم اتفقوا على أن يتخيروا من كل قبيلة منهم فتى شاباً جلدًا فيقتلونه جميعاً فيتفرق دمه في القبائل ولا يقدر بنو عبد مناف على حرب جميعهم . واستعدوا لذلك من ليلتهم وجاء الوحي بذلك إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى أرصدهم على باب منزله أمر علي بن أبي طالب أن ينام على فراشه ويتوشح ببرده ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فطمس الله تعالى على أبصارهم ووضع على رؤسهم تراباً وأقاموا طول ليلهم ، فلما أصبحوا خرج إليهم عليّ فعلموا أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قد نجا ، وتواعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر الصديق ، واستأجر عبدالله بن أريقط الدولي من بني بكر بن عبد مناف ليدلّ بهما إلى المدينة وينكب عن الطريق العظمى ، وكان كافراً وحليفاً للعاص بن وائل ، لكنهما وثقا بامرّه^(١) وكان دليلاً بالطرق .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من خوخة في ظهر دار أبي بكر ليلاً ، وأتيا الغار الذي في جبل ثور بأسفل مكة فدخلوا فيه ، وكان عبدالله بن أبي بكر يأتيهما بالأخبار ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وراعي غنمه يريح غنمه عليهما ليلاً ليأخذ حاجتهما من لبنها ، وأسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام . وتقفى^(٢) عامرا بالغنم أثر عبدالله^(٣) ، ولما فقدته قريش اتبعوه ومعهم القائف فقاف الاثر حتى وقف عند الغار وقال هنا انقطع الأثر ! وإذا بنسج العنكبوت على فم الغار فاطمأنوا إلى ذلك ورجعوا ، وجعلوا مائة ناقة لمن ردّهما عليهم .

(١) وفي نسخة ثانية : بأمانته .

(٢) وفي نسخة ثانية : نقض .

(٣) وفي النسخة الباريسية : اثر عبدالله والماء .

ثم أتاهما عبدالله بن أريقط بعد ثلاث براحتيهما^(١) فركبا، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة، واتبهما أسماء بسفرة لها وشقت نطاقها وربطت السفرة فسميت ذات النطاقين. وحمل أبو بكر جميع ماله نحو ستة آلاف درهم، ومروا بسراقة بن مالك بن جعشم فاتبعهم ليردهم، ولما رأوه دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه في الأرض، فنادى بالأمان وأن يقفوا له. وطلب من النبي أن يكتب له كتاباً فكتبه أبو بكر بأمره، وسلك الدليل من أسفل مكة على الساحل أسفل من عسفان^(٢) وأمج وأجاز قديداً إلى العرج ثم إلى قبا من عوالي المدينة. ووردوها قريباً من الزوال يوم الإثنين لإثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، وخرج الأنصار يتلقونه وقد كانوا ينتظرونه حتى إذا^(٣) قلصت الظلال رجعوا إلى بيوتهم. فتلقوه مع أبي بكر في ظل نخلة، ونزل عليه السلام بقبا على سعد بن خيثمة، وقيل على كلثوم بن الهدم^(٤)، ونزل أبو بكر بالسبخ في بني الحرث بن خزرج على خبيب بن أسد، وقيل على خارجة بن زيد. ولحق بهم علي رضي الله عنه من مكة بعد أن ردّ الودائع للناس التي كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم، فترل معه بقبا. وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك أياماً ثم نهض لما أمر الله وأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاها في المسجد هنالك ورغب إليه رجال بني سالم أن يقيم عندهم، وتبادروا إلى خطام ناقته اغتناماً لبركته. فقال عليه السلام: خلّوا سبيلها فإنها مأمورة، ثم مشى والأنصار حواله إلى أن مرّ بدار بني بياضة، فتبادر إليه رجالهم يتدرون خطام الناقة، فقال: دعوها فإنها مأمورة. ثم مرّ بدار بني ساعدة فتلقاه رجال وفيهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمر وودعوه كذلك وقال لهم مثل ما قال للآخرين. ثم إلى دار بني حارثة^(٥) بن الخزرج فتلقاه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبدالله بن رواحة. ثم مرّ ببني عدي بن النجار أخوال عبد المطلب ففعلوا وقال لهم مثل ذلك، إلى أن أتى دار بني مالك بن النجار فبركت ناقته على باب مسجده اليوم وهو يومئذ لغلامين منهم في حجر معاذ بن عفراء إسمها سهل وسهيل وفيه خرب ونخل وقبور للمشركين ومربد، ثم

(١) وفي نسخة ثانية: براحتيهما.

(٢) وفي النسخة الباريية: من غسان.

(٣) وفي نسخة ثانية: إلى أن.

(٤) وفي النسخة الباريية: ابن المنذر.

(٥) وفي النسخة الباريية: بني الحرث.

بركت الناقة وبقي على ظهرها ولم ينزل فقامت ومشيت غير بعيد ولم يشنها ، ثم التفتت خلفها ورجعت إلى مكانها الأول فبركت واستقرت ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها . وحمل أبو أيوب رحله إلى داره فنزل عليه وسأل عن المربد وأراد أن يتخذه مسجداً ، فاشتراه من بني النجار بعد أن وهبوه إياه فأبى من قبوله ، ثم أمر بالقبور فنبشت وبالنخل فقطعت ، وبني المسجد باللبن وجعل عضادتيه الحجارة وسواريه جذوع النخل وسقفه الجريد ، وعمل فيه المسلمون حسبة^(١) لله عز وجل . ثم وداع اليهود وكتب بينه وبينهم كتاب صلح وموادعة شرط فيه لهم وعليهم . ثم مات اسعد بن زرارة وكان نقيباً لبني النجار فطلبوا إقامة نقيب مكانه ، فقال أنا نقيبكم ، ولم يخص بها منهم آخر دون آخر فكانت من مناقبهم . ثم لما رجع عبدالله بن أريقط إلى مكة أخبر عبدالله بن أبي بكر بمكانه فخرج ومعه عائشة أخته وأمها أم رومان ومعهم طلحة بن عبيدالله^(٢) فقدموا المدينة وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر وبني بها في منزل أبي بكر بالسنع . وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم أبا رافع إلى بناته وزوجته سودة بنت زمعة فحملاهن^(٣) إليه من مكة ، وبلغ الخبر بموت أبي أحيحة والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل من مشيخة قريش . ثم آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، فأخى بين جعفر بن أبي طالب وهو بالحبيشة ومعاذ بن جبل ، وبين أبي بكر الصديق وخارجة بن زيد ، وبين عمر بن الخطاب وعثمان بن مالك من بني سالم^(٤) ، وبين أبي عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ ، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، وبين الزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش ، وبين طلحة بن عبيدالله وكعب بن مالك ، وبين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت أخي حسان ، وبين سعيد بن زيد وأبي بن كعب ، وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب ، وبين أبي حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر بن وقش من بني عبد الأشهل ، وبين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان العنسي حليف بني عبد الأشهل وقيل بل ثابت بن قيس بن شماس ، وبين أبي ذر الغفاري

(١) وفي النسخة الباريسية : حسنة .

(٢) وفي النسخة الباريسية : عبدالله .

(٣) الاصح ان يقول حملهن .

(٤) وفي نسخة اخرى : بني سهم .

والمندرين عمرو من بني ساعدة ، وبين حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد الغزى ، وعويم بن ساعدة من بني عمرو بن عوف ، وبين سلمان الفارسي وأبي الدرداء ، وعمير بن بلتعة من بني الحرث بن الخزرج (١) وبين بلال بن حمامة وأبي رويحة الخثعمي (٢) .

ثم فرضت الزكاة ويقال وزيد في صلاة الحاضر (٣) ركعتين فصارت أربعاً بعد أن كانت ركعتين سفيراً وحضراً . ثم أسلم عبدالله بن سلام وكفر جمهور اليهود ، وظهر قوم من الأوس والخزرج منافقون يظهرون الإسلام مراعاة لقومهم من الأنصار ويصرون الكفر ، وكان رؤسهم من الخزرج عبدالله بن أبي بن سلول والجد بن قيس ، ومن الأوس الحرث بن سهيل بن الصامت وعباد بن حنيف ومربع بن قيظي وأخوه أوس من أهل مسجد الضرار . وكان قوم من اليهود أيضاً تعوذوا بالإسلام وهم يبطنون الكفر منهم : سعد بن حنيس (٤) وزيد بن اللصيت (٥) ورافع بن خزيمة ورفاعة بن زيد ابن التابت وكنانة بن خبورا (٦) .

الغزوات

(الابواء) : ولما كان شهر صفر بعد مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة خرج في مائتين من أصحابه يريد قريشاً وبني ضمرة ، واستعمل على المدينة سعد بن عباد ، فبلغ ودان والأبواء ولم يلقهم . واعترضه مخشى بن عمر وسيد بني ضمرة بن عبد منات بن كنانة وسأله موادة قومه فعقد له ، ورجع إلى المدينة ولم يلق حرباً . وهي أول غزاة غزاها بنفسه ، ويسمى بالأبواء وبودان المكانان اللذان انتهى إليهما ، وهما متقاربان بنحو ستة أميال ، وكان صاحب اللواء فيها حمزة بن عبد المطلب . (بواط :) ثم بلغه أن عير قريش نحو ألفين وخمسمائة فيها أمية بن خلف ، ومائة رجل من قريش ذاهبة إلى مكة ، فخرج في ربيع الآخر لاعتراضها واستعمل على المدينة

(١) في هامش الأصل سقط أبو عمير اهـ قاله نصر .

(٢) وفي النسخة البارسية : ازويغة الخثعمي .

(٣) وفي النسخة البارسية : في صلاة الحضر .

(٤) وفي نسخة ثانية : حنيس .

(٥) وفي نسخة ثانية : زيد بن اللطيت .

(٦) وفي نسخة ثانية : كنانة بن حيورتا .

السائب بن عثمان بن مظعون . وقال الطبري : سعد بن معاذ فأنتهى إلى بواط ولم يلقهم ورجع إلى المدينة .

غزوة العشيرة : ثم خرج في جمادى الأولى غازيا قريشا ، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد فسلك عن جانب من الطريق إلى أن لقي الطريق بصخوريات اليمام إلى العشيرة من بطن ينبع ، فأقام هنالك بقية جمادى الأولى وليلة من جمادى الثانية ووادع بني مدلج ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق حرباً .

بدر الأولى^(١) وأقام بعد العشيرة نحو عشر ليال ثم أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة ، فخرج في طلبه حتى بلغ ناحية بدر ، وفاته كرز فرجع إلى المدينة .

(البعوث) : وفي هذه الغزوات كلها غزا بنفسه وبعث فيما بينها بعوثاً نذكرها (فمنها) : بعث حمزة بعد الأبواء ، بعثه في ثلاثين راكباً من المهاجرين إلى سيف

البحر فلقى أبا جهل في ثلثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني^(٢) ولم يكن قتال . ومنها بعث عبدة بن الحرث بن المطلب في ستين راكباً

وثمانين من المهاجرين فبلغ ثنية المزار^(٣) ولقي بها جمعاً عظيماً من قريش كان عليهم عكرمة بن أبي جهل وقيل مكرز بن حفص بن الأحنف ولم يكن بينهم قتال . وكان

مع الكفار يومئذ من المسلمين المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان ، خرجا مع الكفار ليجد السبيل إلى اللحاق بالنبي صلى الله عليه وسلم فهربا إلى المسلمين وجاءا معهم .

وكان بعث حمزة وعبدة متقاربين ، واختلف أيهما كان قبل إلا أنها أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الطبري إن بعث حمزة

كان قبل ودان في شوال لسبعة أشهر من الهجرة . ومنها بعث سعد^(٤) بن أبي وقاص في ثمانية رهط من المهاجرين يطلب كرز بن جابر حين أغار على سرح المدينة فبلغ

المزار ورجع .

ومنها بعث عبد الله بن جحش إثر مرجعه من بدر الأولى في شهر رجب بعثه بثمانية من المهاجرين وهم أبو حذيفة بن عتبة وعكاشة بن محصن بن أسد بن خزيمة وعتبة

(١) وفي النسخة الباريية : العشيرة بدر الأولى .

(٢) وفي نسخة ثانية : عدي بن صجر الجهني .

(٣) وفي النسخة الباريية : ثنية المرة .

(٤) وفي النسخة الباريية : سعيد

بن غزوان بن مازن بن منصور وسعد بن أبي وقاص وعامر بن ربيعة العتري حليف بني عدي وواقد بن عبدالله بن زيد مناة بن تميم وخالد بن البكير بن سعد بن ليث وسهيل بن بيضا^(١) بن فهر بن مالك ، وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ولا يكره أحداً من أصحابه ، فلما قرأ الكتاب بعد يومين وجد فيه أن تمضي حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف وترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم ، فأخبر أصحابه وقال : حتى ننزل النخلة بين مكة والطائف ومن أحب الشهادة فليهنض ولا أستكره أحداً . فمضوا كلهم وضل لسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان في بعض الطريق بعير لهما كانا يعتقبانه فتخلفا في طلبه ونفر الباقيون إلى نخلة ، فمّرت بهم عير لقريش تحمل تجارة فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبدالله بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيّسان مولاهاهم وذلك آخر يوم من رجب ، فتشاور المسلمون وتخرج بعضهم الشهر الحرام ثم اتفقوا واغتنموا الفرصة فيهم ، فرمى واقد بن عبدالله^(٢) عمرو بن الحضرمي فقتله وأسرّوا عثمان بن عبدالله والحكم بن كيّسان وأفلت نوفل ، وقدموا بالعير والأسيرين وقد أخرجوا الخمس فعزلوه . فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم فعلهم ذلك في الشهر الحرام ، فسقط في أيديهم ثم أنزل الله تعالى « يستلونك عن الشهر الحرام قتال فيه » الآية إلى قوله « حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » . فسرى عنهم وقبض النبي صلى الله عليه وسلم الخمس وقسم الغنيمة وقبل الفداء في الأسيرين ، وأسلم الحكم بن كيّسان منها ، ورجع سعد وعتبة سالمين إلى المدينة . وهذه أول غنيمة غنمت في الإسلام وأول غنيمة ختمت في الإسلام وقتل عمرو بن الحضرمي هو الذي هيج^(٣) وقعة بدر الثانية .

صرف القبلة : ثم صرفت القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة على رأس سبعة عشر شهراً من مقدمه المدينة ، خطب بذلك على المنبر وسمعه بعض الأنصار فقام فصلى ركعتين إلى الكعبة ، قاله ابن حزم . وقيل على رأس ثمانية عشر شهراً ، وقيل ستة عشر ، ولم يقل غير ذلك .

غزوة بدر الثانية : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إلى رمضان من السنة

(١) وفي نسخة ثانية : بن مضاخ

(٢) وفي النسخة الباريية : عبدالله بن واقد .

(٣) وفي نسخة ثانية : هاج .

الثانية ، ثم بلغه أن عيراً لقريش فيها أموال عظيمة مقبلة من الشام إلى مكة معها ثلاثون أو أربعون رجلاً من قريش عميدهم أبو سفيان ومعه عمرو بن العاصي ومخرمة بن نوفل ، فندب عليه السلام المسلمين إلى هذه العير وأمر من كان ظهره حاضراً بالخروج ، ولم يحتفل في الحشد لأنه لم يظن قتالاً ، واتصل خروجه بأبي سفيان ، فاستأجر ضَمْضَمَ بن عمرو الغفاريّ وبعثه إلى أهل مكة يستنفرهم لغيرهم فنفروا وأرعبوا إلا يسيراً منهم أبو لهب . وخرج صلى الله عليه وسلم لثمان خلون من رمضان واستخلف على الصلاة عمرو بن أمّ مكتوم وردّ أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة ، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ، ودفع إلى عليّ راية ، وإلى رجل من الأنصار أخرى يقال كانتا سوداوين . وكان مع أصحابه صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعون بعيراً يعتقبونها فقط . وجعل على الساقة قيس بن أبي صَعْصَعَة من بني النجّار ، وراية الأنصار يومئذ مع سعد بن معاذ فسلكوا نقب المدينة إلى ذي الحليفة ثم انتهوا إلى صخيرات يمام^(١) ثم إلى بئر الروحاء ، ثم رجعوا ذات اليمين عن الطريق إلى الصفراء .

وبعث عليه السلام قبلها بسَبَسَ بن عمرو الجهني حليف بني ساعدة وعديّ بن أبي الزغباء^(٢) الجهني حليف بني النجّار إلى بدر يتجسّسون أخبار أبي سفيان وغيره . ثم تنكّب عن الصفراء يميناً وخرج على وادي دَقْرَان ، فبلغه خروج قريش ونفيرهم ، فاستشار أصحابه ، فتكلّم المهاجرون وأحسنوا ، وهو يريد ما يقوله الأنصار وفهموا ذلك . فتكلّم سعد بن معاذ وكان فيما قال : « لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك فسر بنا يا رسول الله على بركة الله » فسرّ بذلك ، وقال : « سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين » .

ثم ارتحلوا من دَقْرَان إلى قريب من بَدْر وبعث عليّاً والزبير وسعداً في نفر يلتمسون الخبر فأصابوا غلامين لقريش ، فأتوا بهما وهو عليه السلام قائم يصليّ ، وقالوا : نحن سقاة قريش فكذبوهما كراهية في الخبر ورجاء أن يكونا من العير للغنيمة وقلة المؤنة ، فجعلوا يضربونهما فيقولان نحن من العير . فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكر عليهم ، وقال للغلامين : أخبراني أين قريش . فأخبراه أنّهم وراء الكثيب^(٣)

(١) وفي نسخة أخرى : تمام .

(٢) وفي النسخة الباريسية : الدغاء .

(٣) الكثيف : التل من الرمل وفي النسخة الباريسية الكثيف وهو الصفيح من الحديد (قاموس) .

وأنهم ينحرون يوماً عشراً من الابل ويوماً تسعاً . فقال عليه السلام : القوم بين التسعمائة والألف . وقد كان بسبس وعديّ الجهنيان مضياً يتجسّسان ولا خبر حتى نزلا وأناخا قرب الماء واستقيا في شينّ لهما ومحدي بن عمرو من جهينة بقربهما ، فسمع عديّ جارية من جوارى الحي تقول لصاحبها العير تأتي غداً أو بعد غد وأعمل لهم وأقضيك الذي لك وجاءت إلى محدي بن عمرو فصدقها ، فرجع بسبس وعديّ بالخبر . وجاء أبو سفيان بعدهما يتجسّس الخبر فقال لمحدي هل أحسست أحداً فقال راكبين أناخا يميلان لهذا التل فاستقيا الماء ، ونهضا فأتى أبو سفيان مناخهما وفتت من أبعاد رواحلها ، فقال هذه والله علائف يثرب فرجع سريعاً وقد حذر وتنكب بالعرير إلى طريق الساحل فنجا وأوصى إلى قريش بأنا قد نجونا بالعرير فارجعوا . فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر ونقيم به ثلاثاً وتهابنا العرب أبداً ، ورجع الأخنس بن شريق بجميع بني زهرة وكان حليفهم ومطاعاً فيهم ، وقال : إنما خرجتم تمنعون أموالكم وقد نجت فارجعوا . وكان بنو عديّ لم ينفروا مع القوم ، فلم يشهد بدرًا من قريش عدويّ ولا زهريّ .

وسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا إلى ماء بدر وثبطهم عنه مطر نزل وبله مما يليهم وأصاب مما يلي المسلمين دهس^(١) الوادي ، وأعانهم على السير ، فترل عليه السلام على أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة ، فقال له الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح : « الله أنزلك بهذا المنزل فلا تتحوّل عنه أم قصدت الحرب والمكيدة ؟ فقال عليه السلام : لا بل هو الرأي والحرب . فقال يا رسول الله ليس هذا بمنزل ، وإنما نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونبني عليه حوضاً فنملؤه ونغور القلب كلها فنكون قد منعناهم الماء . فاستحسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم بنوا له عريشاً يكون فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأتيه^(٢) من ربه النصر ، ومشى يريهم مصارع القوم واحداً واحداً ، ولما نزل قريش مما يليهم بعثوا عمير بن وهب الجمحيّ يحذر^(٣) له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً فيهم فارسان الزبير والمقداد ، فحزّروهم وانصرف وخبرهم الخبر ، ورام حكيم بن حزام

(١) الدهس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب (قاموس) .

(٢) وفي النسخة الباريّة : يكون فيه رسول الله (صلعم) واثقاً من ربه النصر .

(٣) وفي نسخة أخرى : يحذر .

وعتبة بن ربيعة أن يرجعا بقريش ولا يكون الحرب ، فأبى أبو جهل وساعده
المشركون ، وتواقفت الفتتان .

وعُدَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف بيده ورجع إلى العريش ومعه أبو بكر
وحده ، وطفق يدعو ويلح وأبو بكر يقاوله ويقول في دعائه اللهم أن تهلك هذه
العصابة لا تعبد في الأرض اللهم أنجز لي ما وعدتني ، وسعد بن معاذ وقوم معه من
الأنصار على باب العريش يحمونه وأخفق^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم انتبه
فقال أشر يا أبا بكر فقد أتى نصر الله . ثم خرج يحرض الناس ، ورمى في وجوه القوم
بحفنة من حصى وهو يقول : شأهت الوجوه . ثم تراحفوا فخرج عتبة وأخوه شيبه
وابنه الوليد يطلبون البراز فخرج إليهم عبيدة بن الحرث وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن
أبي طالب فقتل حمزة وعلي شيبه والوليد وضرب عتبة عبيدة فقطع رجله فمات وجاء
حمزة وعلي إلى عتبة فقتلاه . وقد كان برز إليهم عوف ومعوذ ابنا عفراء وعبدالله بن
رواحه من الأنصار فأبوا إلا قومهم ، وجال القوم جولة فهزم المشركون وقتل منهم
يومئذ سبعون رجلا فن مشاهيرهم : عتبة وشيبه ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وحنظلة بن
أبي سفيان بن حرب وابنا سعيد بن العاص عبيدة والعاص ، والحرث بن عامر بن
نوفل وابن عمه طعيمة بن عدي وزمعة بن الأسود وابنه الحرث وأخوه عقيل بن
الأسود وابن عمه أبو البختري بن هشام ونوفل بن خويلد بن أسد وأبو جهل بن
هشام ، اشترك فيه معاذ ومعوذ ابنا عفراء ووجده عبدالله بن مسعود وبه رمق فحز
رأسه ، وأخوه العاص بن هشام وابن عمهما مسعود بن أمية وأبوقيس بن الوليد بن
المغيرة وابن عمه أبوقيس بن الفاكه ، ونيبه ومنبه ابنا الحجاج ، والعاصي بن
منبه وأميه بن خلف وابنه علي وعمير بن عثمان عم طلحة .

وأسر العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب
والسائب بن عبد يزيد من بني المطلب وعمرو بن أبي سفيان بن حرب وأبو العاص
بن الربيع وخالد بن أسيد بن أبي العيص وعدي بن الخيار من بني نوفل وعثمان بن
عبد شمس ابن عم عتبة بن غزوان وأبو عزيز أخو مصعب بن عمير وخالد بن هشام
ابن المغيرة وابن عمه رفاعه^(٢) بن أبي رفاعه وأميه بن أبي حذيفة بن المغيرة والوليد

(١) وفي النسخة الباريسية : وطفق .

(٢) وفي النسخة الباريسية : وابن عمه حمير .

بن الوليد أخو خالد وعبد الله وعمرو ابنا أبي بن خلف وسهيل بن عمرو في آخرين
مذكورين في كتب السير .

واستشهد من المسلمين ، من المهاجرين : عبيدة بن الحارث بن المطلب وعمير بن أبي
وقاص وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نفلة الخزاعي حليف بني زهرة وصفوان بن
بيضاء من بني الحرث بن فهر ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصابه
سهم فقتله ، وعافل بن البكير الليثي حليف بني عدي من الأنصار . ثم من الأوس :
سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر . ومن الخزرج : يزيد بن الحارث^(١) بن
الخزرج وعمير بن الحام من بني سلمة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحض على
الجهاد ويرغب في الجنة وفي يده تمرات يأكلهن فقال : بخ بخ أما بيني وبين الجنة
إلا أن يقتلني هؤلاء ثم رمى بهنّ وقاتل حتى قتل ، ورافع بن المعلّى من بني حبيب
بن عبد حارثة وحارثة بن سراقة من بني النجّار وعوف ومعوذ ابنا عفراء .

ثم انجلت الحرب وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلى المشركين فسحبوا إلى القلب
وطم عليهم التراب ، وجعل على النفل^(٢) عبد الله بن كعب بن عمرو بن مبدول بن
عمر بن غنم بن مازن بن النجّار ، ثم انصرف إلى المدينة فلما نزل الصفراء قسم الغنائم
كما أمر الله ، وضرب عنق النضر بن الحرث بن كلدة من بني عبد الدار ، ثم نزل عرق
الظبية فضرب عنق عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية وكان في الأسارى ومرّ
إلى المدينة فدخلها ثمان بقين من رمضان .

غزوة الكدر : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه إلى المدينة اجتماع
غطفان فخرج يريد بني سليم بعد سبع ليال من منصرفه ، واستخلف على المدينة
سبّاع بن عرفطة الغفاري أو ابن أمّ مكتوم ، فبلغ ماء يقال له الكدر وأقام عليه ثلاثة
أيام ثم انصرف ولم يلق حرباً ، وقيل إنه أصاب من نعمهم ورجع بالغنيمة ، وإنه
بعث غالب بن عبد الله الليثي في سرية فنالوا منهم وانصرفوا بالغنيمة . وأقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى ذي الحجة ، وفدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر
أسارى بدر .

(١) وفي النسخة الباريية : يزيد من الحرث من بني الحرث بن الخزرج .

(٢) وفي النسخة الباريية : البقل .

غزوة السويق : ثم إنَّ أبا سفيان لما انصرف من بدر نذر أن يغزو المدينة فخرج في مائتي راكب حتى أتى بني النضير ليلاً ، فتواري عنه جيُّ بن أخطب ولقيه سلام بن مشكم وقراه^(١) وأعلمه بخبر الناس ، ثم رجع ومرَّ بأطراف المدينة فحرق نخلاً وقتل رجلين في حرث لهما ، فنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، واستعمل على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ، وبلغ الكدر^(٢) وفاته أبو سفيان والمشركون وقد طرحوا السويق من أزوادهم ليتخففوا ، فأخذها المسلمون فسميت لذلك غزوة السويق . وكانت في ذي الحجة بعد بدر بشهرين .

ذى أمر : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر المحرم غازياً غطفان واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فأقام بنجد صفر وانصرف ولم يلق حرباً .
نجران : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ربيع الأول يريد قريشاً واستخلف ابن أمّ مكتوم فبلغ نجران معدناً في الحجاز ولم يلق حرباً . وأقام هنالك إلى جمادى الثانية من السنة الثالثة وانصرف إلى المدينة .

قتل كعب بن الأشرف : وكان كعب بن الأشرف رجلاً من طيء وأمه من يهود بني النضير ، ولما أصيب أصحاب بدر ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة مبشرين إلى المدينة ، جعل يقول : ويلكم أحق هذا ؟ وهؤلاء أشرف العرب وملوك الناس ، وإن كان محمد أصاب هؤلاء فبطن الأرض خير من ظهرها . ثم قدم مكة ونزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي ، وعنده عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص بن أمية ، فجعل يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد الأشعار ويبكي على أصحاب القليب ، ثم رجع إلى المدينة فشبب بعاتكة ثم شبب بنساء المسلمين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يقتل كعب بن الأشرف ، فانتدب لذلك محمد بن مسلمة وملكبان بن سلامة بن وقش وهو أبو نائلة من بني عبد الأشهل أخو كعب من الرضاة وعباد بن بشر بن وقش والحرث بن بشر بن معاذ وأبو عبس بن جبر من بني حارثة ، وتقدّم إليه ملكان بن سلامة وأظهر له انحرافاً عن النبي صلى الله عليه وسلم عن إذنٍ منه ، وشكا إليه ضيق الحال ورام أن يبيعه وأصحابه طعاماً ويرهنون سلاحهم . فأجاب إلى ذلك ورجع إلى أصحابه ،

(١) وفي النسخة الباريية : سلام بن مسلم ونهاه .

(٢) وفي نسخة ثانية : الكرز .

فخرجوا وشيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد^(١) في ليلة قراء ، وأتوا كعباً فخرج إليهم من حصنه ومشوا غير بعيد ثم وضعوا عليه سيوفهم ، ووضع محمد بن مسلمة معولاً كان معه في ثنته^(٢) فقتله . وصاح عدو الله صيحة شديدة اندعر لها أهل الحصون التي حواله ، وأوقدوا النيران ، ونجا القوم وقد جرح منهم الحرث بن أوس ببعض سيوفهم فترفه الدم وتأخر ، ثم وافاهم بجرة العريض آخر الليل ، وأتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ، وأخبروه وتفل على جرح الحرث فبرأ . وأذن للمسلمين في قتل اليهود لما بلغه أنهم خافوا من هذه الفعلة ، وأسلم حينئذ حويصة بن مسعود ، وقد كان أسلم قبله أخوه محيصة بسبب قتل بعضهم .

غزوة بني قينقاع : وكان بنو قينقاع لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر وقف بسوق بني قينقاع في بعض الأيام فوعظهم وذكرهم ما يعرفون من أمره في كتابهم ، وحذّره ما أصاب قريشاً من البطشة ، فأساءوا الردّ وقالوا : لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا يعرفون الحرب فأصبت منهم والله لئن جرّبتنا لتعلمنّ أنا نحن الناس . فأنزل الله تعالى : « وإما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء » . وقيل بل قتل مسلم يهودياً بسوقهم في حق ، فثاروا على المسلمين ونقضوا العهد ونزلت الآية . فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر ، وقيل أبا لبابة ، وكانوا في طرف المدينة في سبعمائة مقاتل منهم ثلثمائة دارع ، ولم يكن لهم زرع ولا نخل إنما كانوا تجاراً أو صاغة يعملون بأموالهم ، وهم قوم عبد الله بن سلام . فحصرهم عليه السلام خمس عشرة ليلة لا يكلم أحداً منهم حتى نزلوا على حكمه فكتفهم ليقتلوا ، فشفع فيهم عبد الله بن أبي بن سلول وألح في الرغبة^(٣) حتى حقن له رسول الله صلى الله عليه وسلم دماءهم ، ثم أمر بإجلائهم وأخذ ما كان لهم من سلاح وضياع^(٤) ، وأمر عبادة بن الصامت فمضى بهم إلى ظاهر ديارهم ولحقوا بخيبر ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمس من الغنائم وهو أول خمس

(١) وفي نسخة أخرى : الغرقد وفي النسخة الباريسية : العرقد .

(٢) الثنة : شعرات مؤخر رجل الفرس (قاموس) والأصح أن يقول ثنته : أي اسنان مقدّم الفم . وفي النسخة الباريسية : في قبته .

(٣) وفي نسخة أخرى : الرغبة : أي الطمع .

(٤) وفي النسخة الباريسية : صياغة .

أخذه ، ثم انصرف إلى المدينة وحضر الأضحى فصلى بالناس في الصحراء وذبح بيده شاتين ويقال أنها أول أضحيته صلى الله عليه وسلم .

سرية زيد بن حارثة إلى قردة : وكانت قريش من بعد بدر قد تحوّلوا من اعتراض المسلمين غيرهم في طريق الشام وصاروا يسلكون طريق العراق ، وخرج منهم تجّار فيهم أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية واستجاروا بفرات بن حيان من بكر بن وائل فخرج بهم في الشتاء وسلك بهم على طريق العراق ، وانتهى خبر العير إلى النبي صلى الله عليه وسلم وما فيها من المال وآنية الفضة ، فبعث زيد بن حارثة في سرية فاعترضهم وظفر بالعر وأتى بفرات بن حيان العجلي أسيراً فتعوز بالاسلام وأسلم . وكان خمس هذه الغنيمة عشرين ألفاً .

قتل ابن أبي الحقيق : كان سلام بن أبي الحقيق هذا من يهود خيبر وكنيته أبو رافع ، وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويحزب عليهم الأحزاب ، مثلاً أو قريباً من كعب بن الأشرف ، وكان الأوس والخزرج يتصاولان تصاول الفحلين في طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذب عنه والنيل من أعدائه ، لا يفعل أحد القبيلتين شيئاً من ذلك إلا فعل الآخرون مثله . وكان الأوس قد قتلوا كعب بن الأشرف كما ذكرناه ، فاستأذن الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل ابن أبي الحقيق نظير ابن الأشرف في الكفر والعداوة ، فأذن لهم . فخرج إليهم من الخزرج ثم من بني سلمة^(١) ثمانية نفر منهم : عبدالله بن عقيل ومسعر بن سنان وأبو قتادة والحرث بن ربيعي الخزاعي من حلفائهم في آخرين ، وأمر عليهم عبدالله بن عقيل ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، وخرجوا في منتصف جمادى الآخرة من سنة ثلاث ، فقدموا خيبر ، وأتوا دار ابن أبي الحقيق في عليّة له بعد أن انصرف عنه سمره ونام ، وقد أغلقوا الأبواب من حيث أفضوا كلها عليهم ، ونادوه ليعرفوا مكانه بصوته ، ثم تعاوروه بسيوفهم حتى قتلوه ، وخرجوا من القصر وأقاموا ظاهره حتى قام الناعي على سور القصر فاستيقنوا موته ، وذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر . وكان أحدهم قد سقط من درج العلية فأصابه كسر في ساقه فسبح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرأ^(٢) .

(١) وفي النسخة الباريية : من بني ساعدة سلمة .

(٢) وفي نسخة ثانية : فبرئت .

غزوة أحد

وكانت قريش بعد واقعة بدر قد توامروا^(١) وطلبوا من أصحاب العير أن يعينوهم بالمال ليتجهزوا به لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعانوهم ، وخرجت قريش بأحايشها وحلفائها وذلك في شوال من سنة ثلاث ، واحتملوا الظعن التماساً للحفيظة وأن لا يفروا ، وأقبلوا حتى نزلوا ذا الحليفة قرب أحد ببطن السبخة مقابل المدينة على شفير وادٍ هنالك ، وذلك في رابع شوال . وكانوا في ثلاثة آلاف فيهم سبعمائة ذارع ومائتا فرس وقائدهم أبوسفيان ومعهم خمس عشرة امرأة بالدفوف يبكين قتلى بدر . وأشار صلى الله عليه وسلم على أصحابه بأن يتحصنوا بالمدينة ولا يخرجوا وإن جاؤا فقاتلوهم على أفواه الأزقة ، وأقر^(٢) ذلك على رأي عبدالله بن أبي بن سلول ، وألح قوم من فضلاء المسلمين ممن أكرمه الله بالشهادة فلبس لامته وخرج ، وقدم أولئك الذين ألحوا عليه وقالوا : يا رسول الله إن شئت فاقعد . فقال : ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل . وخرج في ألف من أصحابه ، واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة ببقية المسلمين بالمدينة . فلما سار بين المدينة وأحد انخزل عنه عبدالله بن أبي في ثلث الناس مغاضباً لمخالفة رأيه في المقام ، وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حرة بني حارثة ومريين الحوائط وأبو خيثمة من بني حارثة يدل به حتى نزل الشعب من أحد مستنداً إلى الجبل ، وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زرع المسلمين وتهايا للقتال في سبعمائة فيهم خمسون فارساً وخمسون رامياً ، وأمر على الرماة عبدالله بن جبير من بني عمرو بن عوف والأوس أخوخوات ، ورتبهم خلف الجيش ينضحون بالنبل لئلا يأتوا المسلمين من خلفهم ، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير من بني عبد الدار ، وأجاز يومئذ سمرة بن جندب الفزاري ورافع بن خديج من بني حارثة في الرماة وسنها خمسة عشر عاماً ، ورد أسامة بن زيد وعبدالله بن عمر بن الخطاب ومن بني مالك بن النجار زيد بن ثابت وعمرو بن حرام ومن بني حارثة البراء بن عازب وأسيد بن ظهير ، ورد عرابة بن أوس وزيد بن أرقم وأبا سعيد الخدري سن جميعهم يومئذ أربعة عشر عاماً . وجعلت قريش على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ،

(١) ربما قصد المؤرخ تأمروا .

(٢) وفي نسخة أخرى : وافقا .

وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل . وأعطى عليه السلام سيفه بحقه إلى أبي دجانة سماك بن خرشة من بني ساعدة وكان شجاعاً بطلاً يخال عند الحرب . وكان مع قريش ذلك اليوم والد حنظلة غسيل الملائكة أبو عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك ابن النعمان في طليعة^(١) وكان في الجاهلية قد ترهب وتنسك ، فلما جاء الإسلام غلب عليه الشقاء وفر إلى مكة في رجال من الأوس وشهد أحد مع الكفار ، وكان يعد قريش في إنحراف الأوس إليه لما أنه سيدهم ، فلم يصدق ظنه ، ولما ناداهم وعرفوه ، قالوا : لا أنعم الله لك علينا يا فاسق . فقاتل المسلمين قتالاً شديداً . وأبلى يومئذ حمزة وطلحة وشيبة وأبو دجانة والنضر بن أنس^(٢) بلاءً شديداً ، وأصيب جماعة من الأنصار مقبلين غير مدبرين واشتد القتال وانهمز قريش أولاً ، فخلت الرماة عن مراكزهم ، وكرّ المشركون كرة وقد فقدوا متابعة الرماة فانكشف المسلمون واستشهد منهم من أكرمه الله ، ووصل العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتل مصعب بن عمير صاحب اللواء دونه حتى قتل ، وجرح رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه وكسرت ربايعيته اليمنى السفلى بحجر ، وهشمت البيضة في رأسه ، يقال إن الذي تولى ذلك عتبة بن أبي وقاص وعمرو بن قبيصة الليثي . وشدّ حنظلة الغسيل على أبي سفيان ليقتله فاعترضه شدّاد بن الأسود الليثي من شعوب فقتله وكان جنباً ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الملائكة غسلته . وأكبت الحجارة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سقط من بعض حفر هناك ، فأخذ علي بيده واحتضنه طلحة حتى قام ، ومضّ الدم من جرحه مالك بن سنان الخدري والد أبي سعيد ، ونشبت حلقتان من حلق المغفر في وجهه صلى الله عليه وسلم فانتزعها أبو عبيدة بن الجراح فندرت ثنيته فصار اهتـم^(٣) . ولحق المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرّ دونه نفر من المسلمين فقتلوا كلهم ، وكان آخرهم عمار بن يزيد بن السكن . ثم قاتل طلحة حتى أجهض^(٤) المشركون وأبو دجانة يلي النبي صلى الله عليه وسلم بظهره وتقع فيه النبل فلا يتحرك^(٥) ، وأصابت عين قتادة

(١) وفي نسخة ثانية : من ضبيعة .

(٢) وفي النسخة الباريسية : النضر بن شميل .

(٣) ويقال : ائرم بدل اهتـم اهـ .

(٤) اجهض : بمعنى أبعد المشركين .

(٥) وفي نسخة ثانية : فلا يترك

ابن النعمان من بني ظفر فرجع وهي على وجنته ، فردها عليه السلام بيده فصحت وكانت أحسن عينيه .

وانتهى النضر بن أنس إلى جماعة من الصحابة وقد دهشوا وقالوا : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فما تصنعون في الحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه . ثم استقبل الناس وقاتل حتى قتل ووجد به سبعون ضربة . وجرح يومئذ عبد الرحمن بن عوف عشرين جراحة بعضها في رجله فخرج منها . وقتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم قتله وحشي مولى جبير بن مطعم بن عدي ، وكان قد جاعله على ذلك بعتقه فرآه يبارز سباع بن عبد العزى فرماه بحربة من حيث لا يشعر فقتله . ونادى الشيطان ألا أن محمداً قد قتل ، لأن عمرو بن قبيصة كان قد قتل مصعب بن عمير يظن أنه النبي صلى الله عليه وسلم ، وضربته أم عمارة نسيبة بنت كعب بن أبي (١) مازن ضربات فتوفي (٢) منها بدرعيه وخشي المسلمون لما أصابه ووهنو لصريح الشيطان . ثم إن كعب بن مالك الشاعر من بني سلمة عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى بأعلى صوته يبشر الناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : أنصت ، فاجتمع عليه المسلمون ونهضوا معه نحو الشعب ، فيهم أبو بكر وعمر وعلي والزبير والحارث بن الصمة (٣) الأنصاري وغيرهم ، وأدركه أبي بن خلف في الشعب ، فتناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة وطعنه بها في عنقه ففكر أبي منهزماً ، وقال له المشركون ما بك من بأس ، فقال : والله لو بصق علي لقتلني وكان صلى الله عليه وسلم قد توعدده بالقتل فمات عدو الله بسرف (٤) مرجعهم إلى مكة . ثم جاء علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالماء فغسل وجهه ونهض فاستوى على صخرة من الجبل وحانت الصلاة فصلى بهم قعوداً . وغفر الله للمنهزمين من المسلمين ونزل : إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان (الآية) وكان منهم عثمان بن عفان وعثمان بن أبي عقبة الأنصاري .

(١) وفي نسخة ثانية : من بني مازن .

(٢) وفي نسخة ثانية : توفي .

(٣) وفي النسخة الثانية : الصامت .

(٤) سرف القوم جاوزهم (القاموس) وسرف مكان بين مكة والمدينة . والمرجح انه سقطت كلمة اثناء في الجملة .

واستشهد في ذلك اليوم حمزة كما ذكرناه وعبد الله بن جحش ومصعب بن عمير في خمسة وستين معظمهم من الأنصار ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفنوا بدمائهم وثيابهم في مضاجعهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم . وقتل من المشركين إثنان وعشرون منهم الوليد بن العاص بن هشام وأبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن جمح ، وكان أسريوم بدر فنّ عليه وأطلقه بلا فداء على أن لا يعين عليه فنقض العهد وأسريوم أحد وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه صبراً ، وأبي بن خلف قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وصعد أبو سفيان الجبل حتى أطلّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونادى بأعلى صوته : الحرب : سجال يوم أحد بيوم بدر ، أعل هبل . وانصرف وهو يقول موعدكم العام القابل . فقال عليه السلام قولوا له هو بيننا وبينكم .

ثم سار المشركون إلى مكة ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة ، وكانت هند وصواحبها قد جدّ عنه وبقرن عن كبده فلا كتبها ولم تسغها ، ويقال إنه لما رأى ذلك في حمزة قال لئن أظفرتني الله بقريش لأمثلنّ بثلاثين منهم . ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة . ويقال إنه قال لعليّ لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا .

غزوة حمراء الأسد : ولما كان يوم أحد سادس عشر شوال ، وهو صبيحة يوم أحد ، أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج لطلب العدو وأن لا يخرج إلا من حضر معه بالأمس ، وفسح لجابر بن عبد الله ممن سواهم ، فخرج وخرجوا على ما بهم من الجهد والجراح وصار عليه السلام متجلداً مرهباً للعدوّ ، وانتهى إلى حمراء الأسد على ثمانية أميال من المدينة وأقام بها ثلاثاً ، ومرّ به هناك معبد بن أبي معبد الخزاعي سائراً إلى مكة ، ولقي^(١) أبا سفيان وكفّار قريش بالروحاء فأخبرهم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم وكانوا يرومون الرجوع إلى المدينة ففت ذلك في أعضادهم وعادوا إلى مكة .

بعث الرجيع : ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر متّم الثلاثة من الهجرة نفر من عضل والقارة بني الهون من خزيمة إخوة بني أسد ، فذكروا أن فيهم

(١) وفي النسخة الباريسية : ولحق .

اسلاماً ورغبوا أن يبعث فيهم من يفقههم في الدين ، فبعث معهم ستة رجال من أصحابه : مرثد بن أبي مرثد الغنوي^(١) ، وخالد بن البكير الليثي ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح من بني عمرو بن عوف ، وخبيب بن عدي من بني جحجبا بن كلفة ، وزيد بن الدثنة بن بياضة بن عامر ، وعبدالله بن طارق حليف بني ظفر ، وأمر عليهم مرثداً منهم . ونهضوا مع القوم حتى اذا كانوا بالرجيع وهو ماء لهذيل قريباً من عسفان غدروا بهم ، واستصرخوا هذيلاً عليهم فغشوهم في رحالهم ففرعوا إلى القتال فأمنوهم وقالوا : إنا نريد نصيب بكم فداء من أهل مكة ، فامتنع مرثد وخالد وعاصم من أمنهم وقاتلوا حتى قتلوا ، ورموا رأس عاصم لبييعوه من سلافة بنت سعد ابن شهيد وكانت نذرت أن تشرب فيه الخمر لما قتل ابنها من بني عبد الدار يوم أحد ، فأرسل الله الدبر^(٢) فحمت عاصماً منهم فتركوه إلى الليل فجاء السيل فاحتمله . وأما الآخرون فأسروهم وخرجوا بهم إلى مكة ولما كانوا بمر الظهر ان انتزع ابن طارق يده من القران وأخذ سيفه فرموه بالحجارة فمات ، وجاؤا بخبيب وزيد إلى مكة فباعوهما إلى قريش فقتلوهما صبراً .

غزوة بئر معونة : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر هذا ملاعب الأسنة أبو براء عمر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فدعاه إلى الاسلام ، فلم يسلم ولم يبعد ، وقال يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال إني أخاف^(٣) عليهم . فقال أبو براء أنا لهم جار . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم : المنذر بن عمرو من بني ساعدة في أربعين من المسلمين ، وقيل في سبعين ، منهم الحرث بن الصمة ، وحرام بن ملحان خال أنس ، وعامر^(٤) بن فهيرة ، ونافع بن بديل بن ورقاء . فنزّلوا بئر معونة بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم ، وبعثوا حرام بن ملحان بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل فقتله ، ولم ينظر في كتابه ، واستعدى عليهم بني عامر فأبوا لجوار أبي براء إياهم ، فاستعدى بني سليم فنهضت منهم عصية ورعل

(١) وفي نسخة ثانية : الغنمي .

(٢) الدبر بفتح الدال وسكون الموحدة : الزنا براه .

(٣) وفي النسخة الباريسية : اخشى .

(٤) وفي النسخة الباريسية : عمرو .

وذكوان وقتلوهما عن آخرهم ، وكان سرحهم إلى جانب منهم ومعهم المنذر بن أحيحة^(١) من بني الجلاح وعمرو بن أمية الضمري فنظرا إلى الطير تحوم على العسكر ، فأسرعا إلى أصحابهما فوجداهما في مضاجعهم ، فأما المنذر بن أحيحة فقاتل حتى قتل ، وأما عمرو بن أمية فجز عامر بن الطفيل ناصيته حين علم أنه من مضر لرقبة كانت عن أمه ، وذلك لعشر بقين من صفر وكانت مع الرجيع في شهر واحد . ولما رجع عمرو بن أمية لقي في طريقه رجلين من بني كلاب أو بني سليم فتزلا معه في ظل كان فيه معها عهد من النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم به عمرو فانتسبا له في بني عامر أو سليم فعدا عليهما لما ناما وقتلها ، وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال لقد قتلت قتيلين لأذنيهما .

غزوة بني النضير : ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير مستعيناً بهم في دية هذين القتيلين فأجابوا ، وقعد عليه السلام مع أبي بكر وعمر وعليّ ونفر من أصحابه إلى جدار من جدرانهم ، وأراد بنو النضير رجلاً منهم على الصعود إلى ظهر البيت ليلقي على النبي صلى الله عليه وسلم صخرة ، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب منهم . وأوحى الله بذلك إلى نبيه فقام ، ولم يشعر أحداً ممن معه واستبطأوه ، واتبعوه إلى المدينة . فأخبرهم عن وحي الله بما أراد به يهود وأمر من أصحابه بالتهيو لحربهم . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، ونهض في شهر ربيع الأول أول السنة الرابعة من الهجرة ، فتحصنوا منه بالحصون فحاصروهم ست ليال وأمر بقطع النخل وإحراقها ، ودس إليهم عبدالله بن أبي المنافقون إنا معكم قتلتكم أو أخرجتم ، فغروهم^(٢) بذلك ثم خذلوهما كرهاً وأسلموهم . وسأل عبدالله من النبي صلى الله عليه وسلم أن يكف عن دمائهم ويحليهم بما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح ، واحتمل إلى خير من أكابرهم حيي بن أخطب وابن أبي الحقيق فدانت لهم خير ، ومنهم من سار إلى الشام ، وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالهم بين المهاجرين الأولين خاصة ، وأعطى منها أبا دجانة وسهل بن حنيف كانا فقيرين . وأسلم من بني النضير يامين بن عمير بن جحاش ، وسعيد بن وهب فأحرزا أموالهما بإسلامهما . وفي هذه الغزاة نزلت سورة الحشر .

(١) وفي النسخة البارسية : المنذر بن محمد بن الجلاح .

(٢) وفي نسخة ثانية : فغروهم .

غزوة ذات الرقاع : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بني النضير إلى جمادى من السنة الرابعة ، ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري ، وقيل عثمان بن عفان ، ونهض حتى نزل نجداً فلقى بها جمعا من غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب ، إلا أنهم خاف بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين صلاة الخوف ، وسميت ذات الرقاع لأن أقدامهم نقت وكانوا يلقون عليها الخرق . وقال الواقدي : لأن الجبل الذي نزلوا به كان به سواد وبياض وحمرة رقاعاً فسميت بذلك وزعم أنها كانت في المحرم .

غزوة بدر الصغرى الموعد : كان أبو سفيان نادى يوم أحد كما قدّمناه بموعد بدر من قابل وأجابوه بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان في شعبان من هذه السنة الرابعة خرج لميعاده واستعمل على المدينة عبدالله بن عبد الله بن أبي بن سلول ، ونزل في بدر وأقام هناك ثمان ليال وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل الظهران أو عسفان ، ثم بدا له في الرجوع واعتذر بأن العام عام جذب .

غزوة دومة الجندل : خرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول من السنة الخامسة وخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري . وسببها أنه عليه السلام بلغه أن جمعاً تجمعوا بها فغزاهم ، ثم انصرفوا من طريقه قبل أن يبلغ دومة الجندل ولم يلق حرباً . وفيها وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم عينة^(١) بن حصن أن يرعى بأراضي المدينة لأنّ بلاده كانت أجذبت ، وكانت هذه قد أخصبت بسحابة وقعت فأذن له في رعيها .

غزوة الخندق

كانت في شوال من السنة الخامسة ، والصحيح أنها في الرابعة ، ويقويه أن ابن عمر يقول ردّني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة ثم أجازني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فليس بينهما إلا سنة واحدة وهو الصحيح ، فهي قبل دومة الجندل بلا شك . وكان سببها أن نفراً من اليهود منهم : سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وسلام بن مشكم وحيي بن أخطب من بني

(١) وفي النسخة الباريسية : عتبة .

النضير وهود^(١) ابن قيس وأبو عمارة^(٢) من بني وائل ، لما انجلى بنو النضير إلى خيبر خرجوا إلى مكة يحزبون الأحزاب ويحرضون على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرغبون من اشرب إلى ذلك بالمال . فأجابهم أهل مكة إلى ذلك ، ثم مضوا إلى غطفان وخرج بهم عيينة بن حصن على أشجع ، وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من كنانة وغيرهم . ولما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بحفر الخندق على المدينة وعمل فيه بيده والمسلمون معه ، ويقال إن سلمان أشار به . ثم أقبلت الأحزاب حتى نزلوا بظاهر المدينة بجانب أحد ، وخرج عليه السلام في ثلاثة آلاف من المسلمين ، وقيل في تسعمائة فقط وهو راجل بلا شك^(٣) . وخلف على المدينة ابن أم مكتوم فتزل بسطح سلع والخندق بينه وبين القوم وأمر بالنساء والذراري فجعلوا في الأطام ، وكان بنو قريظة مواد عين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم حيي وأغراهم فنقضوا العهد ومالوا مع الأحزاب ، وبلغ أمرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعث سعد بن معاذ وسعد ابن عباد وخوات^(٤) بن جبير وعبد الله بن رواحة يستخبرون الأمر ، فوجدوهم مكاشفين بالغدر والنيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشاتمهم سعد بن معاذ وكانوا أحلافه وانصرفوا . وكان صلى الله عليه وسلم قد أمرهم إن وجدوا الغدر حقاً أن يخبروه تعريضاً لئلا يفتوا في أعضاء الناس ، فلما جاؤا إليه قالوا يا رسول الله عضل والقارة يريدون غدرهم بأصحاب الرجيع ، فعظم الأمر وأحيط بالمسلمين من كل جهة ، وهم بالفشل بنو حارثة وبنو سلمة معتذرين بأن بيوتهم عورة خارج المدينة ثم ثبتهم الله .

ودام الحصار على المسلمين قريباً من شهر ولم تكن حرب . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن والحرث بن عوف أن يرجعا ولهما ثلثا ثمار^(٥) المدينة ، وشاور في ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عباد فأبيا ، وقالوا : يا رسول الله أشيء أمرك الله به فلا بدّ منه أم شيء تحبه فتصدقه فتصنعه لك أم شيء تصنعه لنا ؟ فقال : بل

(١) وفي نسخة ثانية : وهو ابن قيس .

(٢) وفي النسخة الباريسية : عمار .

(٣) وفي النسخة الباريسية : وهو الأصح .

(٤) وفي نسخة ثانية : خوان .

(٥) وفي النسخة الباريسية : ثلث ثمر المدينة .

أصنعه لكم إني رأيت أن العرب رمتكم عن قوس واحدة ، فقال سعد بن معاذ : قد كنا معهم على الشرك والأوثان ولا يطمعون منا بشمرة إلا شراء^(١) وبيعاً فحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا والله لا نعطيهم إلا السيف . فصلب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتمادى الأمر ، وظهر فوارس من قريش إلى الخندق وفيهم : عكرمة بن أبي جهل ، وعمرو بن عبدود من بني عامر بن لؤي ، وضرار بن الخطاب من بني محارب فلما رأوا الخندق قالوا هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها . ثم اقتحموا من مكان ضيق حتى جالت خيلهم بين الخندق وطلع ، ودعوا إلى البراز ، وقتل علي بن أبي طالب عمرو بن عبدود ، ورجعوا إلى قومهم من حيث دخلوا .

ورمي في بعض تلك الأيام سعد بن معاذ بسهم فقطع عنه الأكحل ، يقال رماه حبان بن قيس بن العرقة وقيل أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم ، ويروى أنه لما أصيب جعل يدعو : « اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقى لها فلا قوم أحب إليّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وأخرجوه ، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة » .

ثم اشتدّ الحال وأتى نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فقال : يا رسول الله اني أسلمت ولم يعلم قومي فمروني بما تشاء ، فقال إنما أنت رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة . فخرج فأتى بني قريظة وكان صديقهم في الجاهلية ، فنقم لهم في قريش وغطفان وأنهم إن لم يكن الظفر لحقوا ببلادهم وتركوكم ، ولا تقدرّون على التحول عن بلدكم ولا طاقة لكم بمحمد وأصحابه ، فاستوثقوا منهم برهن أبناءهم حتى يصابروا معكم . ثم أتى أبا سفيان وقريشاً فقال لهم : إن اليهود قد ندموا وراسلوا محمداً في الموعدة على أن يسترهنوا أبناءكم ويدفعوهم إليه . ثم أتى غطفان وقال لهم مثل ما قال لقريش . فأرسل أبو سفيان وغطفان إلى بني قريظة في ليلة سبت إنا لسنا بدار مقام فأعدوا للقتال ، فاعتذر اليهود بالسبت ، وقالوا : مع ذلك لا نقاتل حتى تعطونا أبناءكم . فصدق القوم خبر نعيم ، وردوا إليهم بالاباية من الرهن والحث على الخروج ، فصدق أيضاً بنو قريظة خبر نعيم وأبوا القتال . وأرسل الله على قريش وغطفان ريحاً عظيمة أكفأت قدورهم وآبئتهم وقلعت أبنيتهم وخيامهم ، وبعث عليه

(١) وفي النسخة الباريسية : الاخرى وبيعاً .

السلام حذيفة بن اليمان عيناً فأتاه بخبر رحيلهم وأصبح وقد ذهب الأحزاب ورجع إلى المدينة .

(غزوة بني قريظة) ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه جبريل بالهوض إلى بني قريظة وذلك بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم ، فأمر المسلمين أن لا يصلي أحد العصر إلا في بني قريظة ، وخرج وأعطى الراية علي بن أبي طالب ، واستخلف ابن أم مكتوم ، وحاصروهم صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة ، وعرض عليهم سيدهم كعب بن أسد إحدى ثلاث إمّا : الإسلام ، وإمّا تبیت النبي صلى الله عليه وسلم ليلة السبت ليكون الناس آمنين منهم ، وإمّا قتل الذراري والنساء ثم الاستماتة . فأبوا كل ذلك وأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليهم أبا لبابة بن عبد المنذر بن عمرو بن عوف لأنهم كانوا حلفاء الأوس ، فأرسله واجتمع إليه الرجال والنساء والصبيان فقالوا : يا أبا لبابة ترى لنا أن ننزل على حكم محمد ، قال نعم ، وأشار بيده في حلقه أنه الذبح . ثم رجع فندم وعلم أنه أذنب فانطلق على وجهه ، ولم يرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وربط نفسه إلى عمود في المسجد ينتظر توبة الله عليه وعاهد الله أن لا يدخل أرض بني قريظة مكاناً خان فيه ربه ونبيّه ، وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لو أتاني لاستغفرت له فأما بعد ما فعل فما أنا بالذي أطلقه حتى يتوب الله عليه فتزلت توبته ، فتولّى عليه السلام إطلاقه بيده بعد أن أقام مرتبطاً بالجذع ست ليال لا يحل إلا للصلاة .

ثم نزل بنو قريظة على حكم النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم بعضهم ليلة نزولهم وهم نفر أربعة من هذيل إخوة قريظة والنضير ، وفر عنهم عمرو بن سعد القرظي ولم يكن دخل معهم في نقض العهد فلم يعلم أين وقع . ولما نزل بنو قريظة على حكمه صلى الله عليه وسلم طلب الأوس أن يفعل فيهم ما فعل بالخزرج في بني النضير ، فقال لهم : ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى . قال : فذلك إلى سعد بن معاذ وكان جريحاً منذ يوم الخندق وقد أنزله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة في المسجد ليعوده من قريب ، فأتى به على حمار فلما أقبل على المجلس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم : قوموا إلى سيدكم . ثم قالوا : يا سعد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولّاك حكم مواليك ، فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، قالوا : نعم . قال : فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتسبي الذراري والنساء وتقسم

الأموال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة . ثم أنه أمر فأخرجوا إلى سوق المدينة وخندق لهم بها خنادق وضربت أعناقهم فيها وهم بين الستائة والسبعائة رجل ، وقتلت فيهم امرأة واحدة بنانة امرأة الحكم القرظي وكانت طرحت على خلاد^(١) بن سويد بن الصامت رحي من فوق الحائط فقتلته . وأمر عليه السلام بقتل من أنبت^(٢) منهم . ووهب لثابت بن قيس بن الشماس ولد الزبير بن ياطا فاستحيا منهم عبد الرحمن بن الزبير كانت له صحبة ، وبعد أن كان ثابت استوهب من النبي صلى الله عليه وسلم الزبير وأهله وماله فوهبه ذلك فمر الزبير عليه يده وأبى إلا الشدّ مع قومه اغتباطاً بهم قبحه الله . ووهب عليه السلام لأم المنذر بنت قيس من بني النجار رفاعه بن سَمَوَّال القرظي فأسلم رفاعه وله صحبة .

وقسم صلى الله عليه وسلم أموال بني قريظة فأسهم للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهماً ، وكانت خيل المسلمين يومئذ ستة وثلاثين فارساً ، ووقع في سهم النبي صلى الله عليه وسلم من سبيهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة من بني عمرو بن قريظة فلم تزل في ملكه حتى مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فتح بني قريظة آخر ذي القعدة من السنة الرابعة . ولما تم أمرهم أجيب دعوة سعد بن معاذ فانفجر عرقه ومات فكان ممن استشهد يوم الخندق في سبعة آخرين من الأنصار ، وأصيب من المشركين يوم الخندق أربعة من قريش فيهم : عمرو بن عبدود وابنه حسّل ونوفل بن عبد الله بن المغيرة^(٣) ، ولم تغز كفار قريش المسلمين مذ يوم الخندق . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى من السنة الخامسة لستة أشهر من فتح بني قريظة فقصد بني لحيان يطالب بثار عاصم بن ثابت وخبيب بن عدي وأهل الرجيع ، وذلك إثر رجوعه من دومة الجندل ، فسلك على طريق الشام أولاً ثم أخذ ذات اليسار إلى صخيرات اليمام ، ثم رجع إلى طريق مكة وأجد السير حتى نزل منازل لبني بين أمج وعسفان فوجدهم قد حذروا وامتنعوا بالجبال ، وفاتتهم الغرة فيهم فخرج في مائتي راكب إلى المدينة .

(١) وفي نسخة ثانية : خلال .

(٢) وفي نسخة ثانية : اثبت .

(٣) وفي نسخة ثانية : المريرة .

غزوة الغابة وذي قرد وبعد قفوله والمسلمين إلى المدينة بليال أغار عيينة بن حصن الفزاري في بني عبد الله من غطفان فاستلحموا^(١) القاح النبي صلى الله عليه وسلم بالغابة ، وكان فيها رجل من بني غفار وامراته فقتلوا الرجل وحملوا المرأة ، ونذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي وكان ناهضاً ، فعلاً ثنية الوداع وصاح بأعلى صوته نذيراً بهم ، ثم اتبعهم واستنقذ ما كان بأيديهم ، ولما وقعت الصيحة بالمدينة ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثرهم ، ولحق به المقداد بن الأسود وعباد^(٢) بن بشر وسعد بن زيد من بني عبد الأشهل . وعكاشة بن محصن ومحرز بن نضلة الأسدي وأبو قتادة من بني سلمة في جماعة من المهاجرين والأنصار ، وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد وانطلقوا في اتباعهم حتى أدركوهم ، فكانت بينهم جولة قتل فيها محرز بن نضلة قتله عبد الرحمن بن عيينة وكان أول من لحق بهم . ثم ولّى المشركون منهزمين وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء يقال له ذو قرد ، فأقام عليه ليلة ويومها^(٣) ونحر ناقة من لقاحه المسترجعة ثم قفل إلى المدينة . غزاة بني المصطلق : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شعبان من هذه السنة السادسة ، ثم غزا بني المصطلق من خزاعة لما بلغه أنهم مجتمعون له وقائدهم الحرث بن أبي ضرار أبو جويرية^(٤) أمّ المؤمنين ، فخرج إليهم واستخلف أبا ذر الغفاري ، وقيل نميلة بن عبد الله الليثي ولقيهم بالمريسيع^(٥) من مياههم ما بين قديد والساحل فتراحفوا وهزمهم الله وقتل من قتل منهم وسبي النساء والذرية وكانت منهم جويرية بنت الحرث سيدهم ، ووقعت في سهم ثابت بن قيس ، فكاتبها ، وأدّى عليه السلام عنها وأعتقها وتزوجها . وأصيب في هذه الغزاة هشام بن صبابه الليثي من بني ليث بن بكر قتله رجل من رهط عبادة بن الصامت غلطاً يظنه من العدو ، وفي مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الغزاة ، وفيها قال عبد الله بن أبي بن سلول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل لمشجرة وقعت بين جهجاه بن

(١) وفي النسخة الباريسية : فاكسحوا .

(٢) وفي النسخة الباريسية : عباس .

(٣) وفي نسخة ثانية : ويومين .

(٤) وفي النسخة الباريسية : جويرة .

(٥) وفي نسخة ثانية : بالمريسيع .

مسعود الغفاري أجير عمر بن الخطاب وبين سنان ابن واقد^(١) الجهني حليف بني عوف بن الخزرج ، فتشاوروا^(٢) وتباهوا ، فقال ما قال ، وسمع زيد بن أرقم مقالته ، وبلغها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونزلت سورة المنافقين وتبرأ منه ابنه عبدالله ، وقال : يا رسول الله أنت والله الأعز وهو الأذل وإن شئت والله أخرجته . ثم اعترض أباه عند المدينة ، وقال : والله لا تدخل حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذن له ، وحينئذ دخل ، وقال يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل أبي وإني أخشى أن تأمر غيري فلا تدعني نفسي أن أقاتله ، وإن قتلتك قتلت مؤمنا بكافر ، ولكن مرني بذلك فأنا والله أحمل إليك رأسه . فجزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا وأخبره أنه لا يصل إلى أبيه سوء .

وفيهما قال أهل الافك ما قالوا في شأن عائشة مما لا حاجة بنا إلى ذكره وهو معروف في كتب السير ، وقد أنزل الله القرآن الحكيم ببراءتها وتشريفها . وقد وقع في الصحيح أن مراجعته وقعت في ذلك بين سعد بن عباد وسعد بن معاذ وهو وهم ينبغي التنبيه عليه ، لأن سعد بن معاذ مات بعد فتح بني قريظة بلا شك داخل السنة الرابعة وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة بعد عشرين شهرا من موت سعد ، والملاحاة بين الرجلين كانت بعد غزوة بني المصطلق بأزيد من خمسين ليلة . والذي ذكر ابن إسحق عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله وغيره أن المقاتل لسعد بن عباد إنما هو أسيد بن الحضير^(٣) والله أعلم .

ولما علم المسلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم تروج جويرية ، أعتقوا كل ما كان في أيديهم من بني المصطلق أصهار^(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأطلق بسببها مائة من أهل بيتها ، ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بني المصطلق بعد إسلامهم بعامين الوليد بن عقبة بن أبي معيط لقبض صدقاتهم ، فخرجوا يتلقونه ، فخافهم على نفسه ورجع ، وأخبر أنهم هموا بقتله . فتشاور المسلمون في غدرهم ثم جاء وفد منهم منكبين ما كان من رجوع الوليد قبل لقيهم ، وأنهم إنما خرجوا تلقية

(١) وفي النسخة الباريسية : بن وفد .

(٢) وفي النسخة الباريسية : فتشاوروا .

(٣) وفي نسخة ثانية : ابن الحضري .

(٤) وفي النسخة الباريسية : لصهر رسول الله (صلم) .

وكرامة وروده . فقبل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ونزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن - إءكم فاسق الآية .

عمرة الحديبية

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السادسة وفي ذي القعدة منها معتمراً بعد بني المصطلق بشهرين ، واستنفر الأعراب حوالي المدينة فأبطأ أكثرهم فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ، واتبعه من العرب فيما بين الثلاثمائة بعد الألف إلى الخمسمائة ، وساق الهدي وأحرم من المدينة ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً . وبلغ ذلك قريشاً فأجمعوا على صدّه عن البيت وقتاله دونها ، وقدّموا خالد بن الوليد في خيل إلى كراع الغميم ، وورد خبرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعسفان ، فسلك على ثنية المزار حتى نزل الحديبية من أسفل مكة وجاء من ورائهم ، فكرّ خالد في خيله إلى مكة . فلما جاء صلى الله عليه وسلم إلى مكة بركت ناقته ، فقال الناس خلأت ، فقال : ما خلأت وما ذاك لها بخلق^(١) ولكن حبسها حابس الفيل ، ثم قال : والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها . ثم نزل واشتكى الناس فقد الماء فأعطاهم سهماً من كنانته غرزوه في بعض القلب^(٢) من الوادي ، فجاش الماء حتى كفى جميع الجيش ، يقال نزل به البراء بن عازب . ثم جرت السفراء بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفّار قريش ، وبعث عثمان بن عفان بينهما رسولاً ، وشاع الخبر أنّ المشركين قتلوه ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وجلس تحت شجرة فبايعوه على الموت وأن لا يفروا ، وهي بيعة الرضوان ، وضرب عليه السلام بيسراه على يمينه وقال هذه عن عثمان . ثم كان سهيل ابن عمرو آخر من جاء من قريش فقاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن ينصرف عامه ذلك ويأتي من قابل معتمراً ويدخل مكة وأصحابه بلا سلاح حاشا السيوف في القرب ، فيقيم بها ثلاثاً ولا يزيد ، وعلى أن يتصل الصلح عشرة أعوام يتداخل فيه الناس ويأمن بعضهم بعضاً ، وعلى أن من هاجر من الكفار إلى المسلمين من رجل أو امرأة أن يرد إلى قومه ومن ارتدّ من المسلمين إليهم لم يردوه .

(١) وفي نسخة ثانية : وما هو لها بخلق .

(٢) وفي نسخة ثانية : بعض القلوب .

فعظم ذلك على المسلمين حتى تكلم فيه بعضهم ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم علم أن هذا الصلح سبب لأمن الناس وظهور الإسلام ، وأن الله يجعل فيه فرجاً للمسلمين وهو أعلم بما علمه ربه . وكتب الصحيفة عليّ ، وكتب في صدرها هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبى سهيل عن ذلك وقال لو تعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّاً أن يمحوها ، فأبى وتناول هو الصحيفة بيده ومحا ذلك وكتب محمد بن عبد الله . ولا يقع في ذهنك من أمر هذه الكتابة ريب فإنها قد ثبتت في الصحيح ، وما يعترض في الوهم من أن كتابته قاذحة في المعجزة فهو باطل ، لأن هذه الكتابة إذا وقعت من غير معرفة بأوضاع الحروف ولا قوانين الخطّ وأشكالها بقيت الأمية على ما كانت عليه ، وكانت هذه الكتابة الخاصة من إحدى المعجزات انتهى .

ثم أتى أبو جندل بن سهيل يرسف في قيوده وكان قد أسلم ، فقال سهيل : هذا أول ما نقاضي عليه . فردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيه وعظم ذلك على المسلمين ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أبا جندل أن الله سيجعل له فرجاً ، وبينما هم يكتبون الكتاب إذ جاءت سرية من جهة قريش قيل ما بين الثلاثين والأربعين يريدون الإيقاع بالمسلمين ، فأخذتهم خيول المسلمين وجاؤا بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقهم فإليهم ينسب العتقيون^(١) .

ولما تم الصلح وكتابه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحروا ويحلقوا فتوقفوا ، فغضب حتى شكى إلى زوجته أم سلمة فقالت : يا رسول الله أخرج وانحر واحلق فإنهم تابعوك^(٢) . فخرج ونحر وحلق رأسه حينئذ خراش بن أمية الخزاعي ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وما فتح من قبله فتح كان أعظم من هذا الفتح . قال الزهري : لما كان القتال حيث لا يلتقي الناس^(٣) . فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس بعضهم بعضاً فالتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد بالإسلام أحداً يفعل شيئاً إلا دخل عليه^(٤) ، فلقد دخل في دينك السنتين في الإسلام مثلاً قبل ذلك أو أكثر .

(١) وفي نسخة ثانية : العتقيون .

(٢) وفي نسخة ثانية : متابعوك .

(٣) وفي النسخة الباريية : إنما كان القتال حيث يتغي الناس .

(٤) وفي نسخة ثانية : دخل فيه .

ولما رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لحقه أبو بصير^(١) عتبة بن أسيد بن جارية^(٢) هارباً وكان قد أسلم وحبسه قومه بمكة وهو ثقيفي من حلفاء بني زهرة ، فبعث إليه الأزهر بن عبد عوف عمّ عبد الرحمن بن عوف والأخنس بن شريق سيد بني زهرة رجلاً من بني عامر بن لؤي مع مولى لهم ، فأسلمه النبي صلى الله عليه وسلم فاحتملاه . فلما نزلوا بذى الحليفة أخذ أبو بصير السيف من أحد الرجلين ، ثم ضرب به العامري فقتله وفرّ الآخر ، وأتى أبو بصير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد وفّت ذمتك وأطلقني الله فقال عليه السلام : ويلمه^(٣) مسعر حرب لو كان له رجال . ففطن أبو بصير من لحن هذا القول أنه سيرده ، وخرج إلى سيف البحر على طريق قريش إلى الشام ، وانضاف إليه جمهور من يفرّ عن قريش ممن أراد الإسلام فأذوا قريشاً وقطعوا على رفاقهم وسابلتهم ، فكتبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يضمهم بالمدينة .

ثم هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وجاء فيها أخوها عمارة والوليد ، فنعى الله من ردّ النساء وفسخ ذلك الشرط المكتتب ، ثم نسخت براءة ذلك كله وحرم الله حينئذ على المسلمين إمساك الكوافر في عصمتهم فانفسخ نكاحهن .

ارسال الرسل الى الملوك

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين الحديبية ووفاته رجلاً من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم دعوة إلى الله عز وجل ، فبعث سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبدودّ أخا بني عامر بن لؤي إلى هوزة^(٤) بن عليّ صاحب اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر ابن ساوى أخي بني عبد القيس صاحب البحرين ، وعمرو بن العاص إلى جيفر بن جلندي^(٥) بن عامر بن جلندي صاحب عمان ، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الاسكندرية فأدّى إليه كتاب رسول الله

(١) وفي النسخة الباريسية : أبو نصر .

(٢) وفي نسخة ثانية : ابن حارثة .

(٣) أصله : ويل أمه اهـ .

(٤) وفي النسخة الباريسية : هدوة .

(٥) وفي النسخة الباريسية : إلى جبير بن خليل .

صلى الله عليه وسلم وأهدى المقوقس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع جوارٍ منهن مارية أم إبراهيم ابنه .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر وهو هرقل ملك الروم ، فوصل إلى بصرى وبعثه صاحب بصرى إلى هرقل ، وكان يرى في ملاحظتهم أن ملك الختان قد ظهر ، فقرأ الكتاب وإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم^(١) الروم السلام على من اتبع الهدى . أمّا بعد أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين . وفي رواية «إثم الأكارين عليك تعيا بحمله» . فطلب من في مملكته من قوم النبي صلى الله عليه وسلم فأحضروا له من غزّة ، وكان فيهم أبو سفيان فسأله كما وقع في الصحيح ، فأجابه وسلم^(٢) أحواله وتفرّس صحة أمره ، وعرض على الروم أتباعه فأبوا ونفروا فلاطفهم بالقول وأقصر . ويروى عن ابن اسحق أنه عرض عليهم الجزية ، فأبوا فعرض عليهم أن يصلحوا بأرض سورية . قالوا وهي أرض فلسطين والأردن ودمشق وحمص وما دون الدرب وما كان وراء الدرب فهو الشام فأبوا .

قال ابن اسحق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب الأسدي أخا بني أسد بن خزيمة إلى الحرث بن شمر الغساني صاحب دمشق ، وكتب معه : «السلام على من اتبع الهدى وآمن به أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك» . فلما قرأ الكتاب قال : من يتزع ملكي أنا سائر إليه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : باد ملكه .

قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، وكتب معه كتاباً : «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة ، سلام عليك فاني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم الطيبة البتول الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاته على طاعته تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا ومعه نفر

(١) وفي النسخة الباريسية : ملك الروم .

(٢) وفي نسخة أخرى : وعلم .

من المسلمين فإذا جاؤك قاقروهم ودع التجري وإني أدعوك وجنودك إلى الله فلقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى». فكتب إليه النجاشي «إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم ابن الحر^(١) سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته أحمد الله الذي لا إله إلا هو الذي هدانا للإسلام أمّا بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فما ذكرت من أمر عيسى فرب السماء والأرض ما تزيد بالرأي على ما ذكرت أنه كما قلت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصداقاً فقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت لله رب العالمين وقد بعثت إليك بابني أرخا^(٢) الأصحم فإني لا أملك إلا نفسي إن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله ، فإني أشهد أن الذي تقول حق والسلام عليك يا رسول الله». فذكر أنه بعث ابنه في ستين من الحبشة في سفينة ففرقت بهم . (وقد جاء) أنه أرسل إلى النجاشي^(٣) ليزوجه أم حبيبة ، وبعث إليها بالخطبة جاریته فأعطتها أوصاحاً وفتحاً ووكلت خالد بن سعيد بن العاص فزوجها ، ودفع النجاشي إلى خالد بن سعيد أربعمئة دينار لصادقها ، وجاءت إليها بها الجارية فأعطتها منها خمسين مثقالاً ، فردت الجارية ذلك بأمر النجاشي . وكانت الجارية صاحبة دهنه وثيابه وبعث إليها نساء النجاشي بما عندهن من عود وعنبر وأركبها في سفينتين مع بقية المهاجرين ، فلقوا النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر ، وبلغ أبا سفيان تزويج أم حبيبة منه فقال : ذلك الفحل الذي لا يقدر أنفه .

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه السنة إلى كسرى ، وبعث بالكتاب عبد الله بن حذافة السهمي وفيه : «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله أمّا بعد فإني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً أسلم تسلم فإن أبیت فعليك إثم المجوس .» فمّزق كسرى كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مّزق الله ملكه . وفي رواية ابن اسحق بعد قوله «وآمن بالله ورسوله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى

(١) وفي النسخة الباريية : ابن الحر .

(٢) وفي النسخة الباريية : أرعاز .

(٣) وفي النسخة الباريية : وعن الواقدي انه ارسل الى النجاشي .

الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين فإن أبيت فأثم الأريسين عليك : » قال فلما قرأه مزقه ، وقال يكتب إليّ هذا وهو عبيدي ! قال : ثم كتب كسرى إلى باذان وهو عامله على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدتين فليأتيا ، به فبعث باذان قهرمانه بانويه وكان حاسباً كاتباً بكتاب فارس ومعه خرخرسة من الفرس ، وكتب إليه معها أن ينصرف إلى كسرى ، وقال لقهرمانه : اختر الرجل وعرفني بأمره . وأول ما قدما الطائف سألوا عنه فقيل هو بالمدينة . وفرح من سمع بذلك من قريش وكانوا بالطائف ، وقالوا قطب له كسرى وقد كفيتموه . وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فكلمه بانويه^(١) وقال : إن شاهنشاه قد كتب إلى الملك باذان أن يبعث إليك من يأتيه بك وبعثني لتنطلق معي ويكتب معه فينفعلك وإن أبيت فهو من علمت ويهلك قومك ويخرب بلادك . وكانا قد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقالا : أمرنا به ربنا يعنون به كسرى . فقال لهما : لكن ربي أمرني باعفاء لحيتي وقص شاربي لم أؤخرهما إلى غد . وجاءه الوحي بأن الله سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله^(٢) ليلة كذا من شهر كذا لعشر مضي من جمادى الأولى سنة سبع ، فدعاهما وأخبرهما فقالا : هل تدري ما تقول ؟ يحزنانه عاقبة هذا القول ، فقال إذهبا وأخبراه بذلك عني وقولا له إن ديني وسلطاني يبلغ ما بلغ ملك كسرى وإن أسلمت أعطيتك ما تحت يدك وملكتك على قومك من الأنبياء ، وأعطى خرخرسة منطقة فيها ذهب وفضة كان بعض الملوك أهداها له . فقدما على باذان وأخبراه فقال ما هذا كلام ملك ما أرى الرجل إلا نبياً كما يقول ونحن ننتظر مقالته . فلم ينشب^(٣) باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه : « أما بعد فإني قد قتلت كسرى ولم أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم وتسخيرهم في ثغورهم فإذا جاءك كتابي هذا فخذلي الطاعة ممن قبلك وأنظر الرجل الذي كان كسرى كتب فيه إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه » . فلما بلغ باذان الكتاب وأسلمت الأبناء معه من فارس ممن كان منهم باليمن ، وكانت حمير تسمى خرخرسة ذا المفخرة للمنطقة التي

(١) وفي النسخة الباريسية : أبوبويه .

(٢) وفي نسخة ثانية : يسلط على كسرى ابنه شيرويه فيقتله .

(٣) أي لم يلبث .

أعطاه إياها النبي صلى الله عليه وسلم والمنطقة بلسانهم المفخرة ، وقد كان بانويه قال لبازان ما كلمت رجلاً قط أهيب عندي منه ، فقال : هل معه شرط ؟ قال : لا (قال الواقدي) وكتب إلى المقوقس عظيم القبط يدعوه إلى الإسلام فلم يسلم .

غزوة خيبر

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازياً إلى خيبر في بقية المحرم آخر السنة السادسة^(١) وهو في ألف وأربعمائة راجل ومائتي فارس ، واستخلف نميلة بن عبد الله الليثي ، وأعطى راية لعلي بن أبي طالب ، وسلك على الصهباء حتى نزل بواديها إلى الرجيع ، فحيل بينهم وبين غطفان وقد كانوا أرادوا إمداد يهود خيبر ، فلما خرجوا ذلك قذف الله في قلوبهم الرعب لحس سمعوه من ورائهم فانصرفوا وأقاموا في أماكنهم . وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح حصون خيبر حصناً حصناً فافتتح أولاً منها حصن ناعم ، وألقيت على محمود بن سلمة من أعلاه رchy فقتلته . ثم افتتح القموص حصن ابن أبي الحقيق ، وأصيبت منهم سبايا كانت منهن صفية بنت حيي ابن أخطب ، وكانت عروساً عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق فوهبها عليه السلام لدحية ، ثم ابتاعها منه بسبعة أرؤس ووضعها عند أم سلمة حتى اعتدت وأسلمت ثم أعتقها وتزوجها . ثم فتح حصن الصعب بن معاذ ، ولم يكن بخير أكثر طعاماً وودكاً منه . وآخر ما افتتح من حصونهم الوطيح والسلام حصرهما بضع عشرة ليلة . ودفع إلى علي الراية في حصار بعض حصونهم ففتحها ، وكان أرمد فتفل في عينه صلى الله عليه وسلم فبرأ .

وكان فتح بعض خيبر عنوة وبعضها وهو الأكثر صلحاً على الجلاء ، فقسمها صلى الله عليه وسلم وأقر اليهود على أن يعملوها بأموالهم وأنفسهم ولهم النصف من كل ما تخرج من زرع أو تمر يقرهم على ذلك ما بداله ، فبقوا على ذلك إلى آخر خلافة عمر فبلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات فيه : « لا يبقى دينان بأرض العرب ، فأمر باجلائهم عن خيبر وغيرها من بلاد العرب » . وأخذ المسلمون ضياعهم من مغانم خيبر فتصرفوا فيها ، وكان متولي قسمتها بين أصحابها جابر بن صخر من بني

(١) هذا منقول عن مالك بناء على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقى وهو ربيع وعلى المشهور محرم هو أول سنة سبع كما في المواهب — قاله نصر .

سلمة ، وزيد بن ثابت^(١) من بني النجار ، واستشهد من المسلمين جماعة تنيف على العشرين من المهاجرين والأنصار منهم عامر بن الأكوع وغيره .

وفي هذه الغزاة حرّمت لحوم الحمر الأهلية فاكفت القدور وهي تفور بلحمها . وفيها أهدت اليهودية زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم^(٢) إلى النبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية ، وجعلت السم في الذراع منها وكان أحب اللحم إليه ، فتناوله ولاك منه مضغة ثم لفظها ، وقال : إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم ، وأكل معه بشر بن البراء بن معرور وازدرد لقمته فمات منها . ثم دعا باليهودية فاعترفت ولم يقتلها لإسلامها حينئذ على ما قيل ، ويقال إنه دفعها إلى أولياء بشر فقتلوها .

قدوم مهاجرة الحبشة : وكان مهاجرة الحبشة قد جاء جماعة منهم^(٣) إلى مكة قبل الهجرة حين سمعوا بإسلام قريش ثم هاجروا إلى المدينة ، وجاء آخرون منهم قبل خيبر بسنتين ، ثم جاء بقيتهم إثر فتح خيبر . بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأنهم ليقدمهم عليه ، فقدم جعفر بن أبي طالب وامراته أسماء بنت عميس وبنوهما عبدالله ومحمد وعون ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية وامراته أمينة بنت خلف وابناهما سعيد ، وأم خالد وعمرو بن سعيد بن العاص ، ومعيف^(٤) بن أبي فاطمة حليف أبي سعيد بن العاص ولي بيت المال لعمر ، وأبو موسى الأشعري حليف آل عتبة بن ربيعة والأسود بن نوفل بن خويلد ابن أخي خديجة ، وجهم بن قيس بن شرحبيل بن عبد الدار وابناه عمر وخزيمة ، والحرث بن خالد بن صخر بن تميم ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان من بني جمح ، ومحنة بن حذاء^(٥) الزبيدي حليف بني سهم ولي لرسول الله صلى الله عليه وسلم الأخماس ، ومعر بن عبدالله بن نضلة من بني عدي ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عامر بن لؤي ، وأبي عمرو مالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس ، فكان هؤلاء آخر من بقي بأرض الحبشة . ولما قدم جعفر على النبي صلى الله عليه وسلم

(١) وفي نسخة أخرى : زيد بن سلمة .

(٢) وفي النسخة الباريسية : سلام بن مكثم .

(٣) وفي النسخة الباريسية : قد جاء من جاء منهم .

(٤) وفي نسخة أخرى : معيقب .

(٥) وفي نسخة أخرى : جون .

يوم فتح خيبر قبل ما بين عينيه والتزمه ، وقال : ما أدري بأيهما أنا أسربفتح خيبر أم
بقدوم جعفر ؟!

فتح فذك ووادي القرى

ولما اتصل بأهل فذك شأن أهل خيبر بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه
الأمان على أن يتركوا الأموال ، فأجابهم إلى ذلك فكانت خالصة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ، مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فلم يقسمها ووضعها حيث أمره
الله . ثم انصرف عن خيبر إلى وادي القرى فافتتحها عنوة وقسمها ، وقتل بها غلامه
مدغماً ، قال فيه لما شهد له الناس بالجنة : كلا إن^(١) الشملة التي أخذها يوم خيبر
من المغانم قبل القسم لتشتعل عليه ناراً ثم رحل إلى المدينة في شهر صفر .

عمرة القضاء

وأقام صلى الله عليه وسلم بعد خيبر إلى انقضاء شوال من السنة السابعة ثم خرج في
ذي القعدة لقضاء العمرة التي عاهده عليها قريش يوم الحديبية وعقد لها الصلح ،
وخرج ملأً من قريش عن مكة عداوة لله ولرسوله وكرها في لقائه ، ففضى عمرته
وتزوج بعد أحلاله بميمونة بنت الحرث من بني هلال بن عامر^(٢) خالة ابن عباس
ونخالد بن الوليد ، وأراد أن يني بها ، وقد تمت الثلاث التي عاهده قريش على المقام
بها وأوصوا إليه بالخروج وأعجلوه عن ذلك ، فبنى بها بسرف .

غزوة جيش الامراء

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منصرفه من عمرة القضاء إلى جمادى الأولى
من السنة الثامنة ثم بعث الأمراء إلى الشام ، وقد كان أسلم قبل ذلك عمرو بن
العاص ونخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة وهم من كبراء قريش . وقد
كان عمرو بن العاص مضى عن قريش إلى النجاشي يطلبه في المهاجرين الذين
عنده ، ولقي هنالك عمرو بن أمية الضمري وافد النبي صلى الله عليه وسلم ، فغضب

(١) وفي نسخة أخرى : كلاله

(٢) وفي نسخة أخرى : بن علي

النجاشي لما كلمه في ذلك ، فوفقه الله وريء^(١) الحق فأسلم وكنم اسلامه ، ورجع إلى قريش ولقي خالد بن الوليد فأخبره فتفاوضا ، ثم هاجرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلما .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً مع بعث الشام وأمر على الجيش مولاه زيد بن حارثة وكانوا نحواً من ثلاثة آلاف ، وقال إن أصابه قدر فالأمير جعفر بن أبي طالب ، فإن أصابه قدر فالأمير عبدالله بن رواحة ، فإن أصيب فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلونه أميراً عليهم . وشيعهم صلى الله عليه وسلم وودعهم ، ونهضوا حتى انتهوا إلى معان من أرض الشام ، فأتاهم الخبر بأن هرقل ملك الروم قد نزل مؤاب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ومائة ألف من نصارى العرب البادين هنالك من لحم وجذام وقبائل قضاعة من بهرا وبلي والقيس وعليهم مالك بن زاحلة من بني أراشة . فأقام المسلمون في معان ليلتين يتشاورون في الكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتظار أمره ومدده ، ثم قال لهم عبدالله بن رواحة أنتم إنما خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا إلى^(٢) جموع هرقل عند قرية مؤتة ورتبوا الميمنة والميسرة ، واقتتلوا فقتل زيد بن حارثة ملاقياً بصدرة الرماح والراية في يده ، فأخذها جعفر بن أبي طالب وعقر فرسه ثم قاتل حتى قطعت يمينه فأخذها بيساره فقطعت فقتل كذلك وكان ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأخذها عبدالله بن رواحة وتردد عن النزول بعض الشيء ثم صمم إلى العدو فقاتل حتى قتل .

فأخذ الراية ثابت بن أفرم^(٣) من بني العجلان وناولها لخالد بن الوليد فأنحاز بالمسلمين ، وأندر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل هؤلاء الأمراء قبل ورود الخبر وفي يوم قتلهم ، واستشهد مع الأمراء جماعة من المسلمين يزيدون على العشرة أكرمهم الله بالشهادة ، ورجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأحزنه موت جعفر ولقيهم خارج المدينة وحمل عبدالله بن جعفر بين يديه على دابته وهو صبي وبكى عليه واستغفر له وقال : أبدله الله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة ، فسمي ذا الجناحين .

(١) وفي نسخة أخرى : رأى

(٢) وفي إحدى النسخ : فانطلقوا فهي إحدى الحسينين إما ظهوره وإما شهادتنا موافقوه ونهضوا إلى تخوم البلقاء فلقوا جموع هرقل .

(٣) وفي النسخة الباريسية : ثابت بن أرقم وفي نسخة أخرى : ثابت بن أقرن .

فتح مكة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عقد الصلح بينه وبين قريش في الحديبية أدخل خزاعة في عقده المؤمن منهم والكافر ، وأدخلت قريش بني بكر بن عبد مناة ابن كنانة في عقدها وكانت بينهم تراث في الجاهلية وذحول كان فيها الأول للأسود بن رزن^(١) من بني الدئل بن بكر بن عبد مناة وثأرهم^(٢) عند خزاعة لما قتلت حليقتهم مالك بن عباد الحضرمي ، وكانوا قد عدوا^(٣) على رجل من خزاعة فقتلوه في مالك بن عباد حليفهم ، وعدت خزاعة على سلمى وكلثوم وذؤيب بن الأسود بن رزن فقتلوههم وهم أشراف بني كنانة ، وجاء الإسلام فاشتغل الناس به ونسوا أمر هذه الدماء ، فلما انعقد هذا الصلح من الحديبية وأمن الناس بعضهم بعضاً ، فاغتم بنو الدئل هذه الفرصة في إدراك الثأر من خزاعة بقتلهم بني الأسود بن رزن ، وخرج نوفل بن معاوية الدؤلي فيمن أطاعه من بني بكر بن عبد مناة وليس كلهم تابعه ، وخرج معه بعضهم وخرجوا منهم وانحجزوا في دور مكة ودخلوا دار بديل بن ورقاء الخزاعي ، ورجع بنو بكر وقد انتقض العهد فركب بديل بن ورقاء وعمرو بن سالم في وفد من قومهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستغيثين مما أصابهم به بنو الدئل بن عبد مناة وقريش ، فأجاب صلى الله عليه وسلم صريخهم وأخبرهم : بأن أبا سفيان يأتي يشدّ العقد ويزيد في المدّة وأنه يرجع بغير حاجة .

وكان ذلك سبباً للفتح وندم قريش على ما فعلوا ، فخرج أبو سفيان إلى المدينة ليؤكد العقد ويزيد في المدّة ، ولقي بديل بن ورقاء بعسفان فكتبه الخبر وورى له عن وجهه ، وأتى أبو سفيان المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة فطوت دونه فراش النبي صلى الله عليه وسلم وقالت لا يجلس عليه مشرك ، فقال لها قد أصابك بعدي شراً بنية . ثم أتى المسجد وكلم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجبه ، فذهب إلى أبي بكر وكلمه أن يتكلم في ذلك فأبى ، فلقى عمر فقال : والله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به ، فدخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة وابنه الحسن صبيّاً

(١) وفي نسخة أخرى : بن رزق .

(٢) وفي النسخة الباريسية : دم عند خزاعة .

(٣) وفي نسخة أخرى : عقدوا .

فكلمه فيما أتى له فقال عليّ : ما نستطيع أن نكلمه في أمر عزم عليه ، فقال لفاطمة يا بنت محمد أما تأمري ^(١) إبنك هذا ليجير بين الناس فقالت لا يجير أحد على رسول الله ، فقال له عليّ يا أبا سفيان أنت سيد بني كنانة فقم وأجر وارجع إلى أرضك ، فقال ترى ذلك مغنياً عني شيئاً ؟ قال : ما أظنه ولكن لا أجد لك سواه . فقام أبو سفيان في المسجد فنادى : ألا إني قد أجرت بين الناس ثم ذهب إلى مكة وأخبر قريشاً ، فقالوا ما جئت بشيء وما زاد ابن أبي طالب على أن لعب بك . ثم أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سائر إلى مكة ، وأمر الناس بأن يتجهزوا ، ودعا الله أن يطمس الأخبار عن قريش ، وكتب إليهم حاطب بن أبي بلتعة بالخبر مع ظعينة قاصدة إلى مكة ، فأوحى الله إليه بذلك فبعث عليّاً والزبير والمقداد إلى الظعينة فأدركوها بروضة خاخ وفتشوا رحلها فلم يجدوا شيئاً ، وقالوا : رسول الله أصدق ، فقال عليّ : لتخرجن الكتاب أو لتلقين الحوائج ، فأخرجته من بين قرون رأسها . فلما قرىء على النبي صلى الله عليه وسلم قال ما هذا يا حاطب ؟ فقال يا رسول الله والله ما شككت في الإسلام ولكني ملصق في قريش فأردت عندهم يدا يحفظوني ^(٢) بها في مخلف أهلي وولدي ، فقال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال : وما يدريك يا عمر لعل الله أطلع على أهل بدر فقال إعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم .

وخرج صلى الله عليه وسلم لعشر خلون من رمضان من السنة الثامنة في عشرة آلاف فيهم : من سُلِّم ألف رجل وقيل سبعمائة ، ومن مزينة ألف ، ومن غفار أربعمائة ، ومن أسلم أربعمائة ، وطوائف من قريش وأسد وتميم وغيرهم ، ومن سائر القبائل جموع وكتائب الله من المهاجرين والأنصار . واستخلف أبا رهم الغفاري على المدينة ، ولقيه العباس بذي الحليفة وقيل بالحجفة مهاجراً ، فبعث رحله إلى المدينة وانصرف معه غازياً ، ولقيه بنيق ^(٣) العقاب أبو سفيان بن الحرث وعبد الله بن أبي أمية مهاجرين واستأذنا فلم يؤذن لهما ، وكلمته أم سلمة فأذن لهما ، وأسلما فصار حتى نزل مر الظهران ، وقد طوى الله أخباره عن قريش إلا أنهم يتوجسون الخيفة .

(١) الاصح ان يقول : اما تأمرين .

(٢) الاصح ان يقول : يحفظونني .

(٣) وفي نسخة أخرى : بشق .

وخشى العباس تلافي قريش إن فاجأهم الجيش قبل أن يستأمنوا ، فركب بغلة النبي صلى الله عليه وسلم وذهب يتجسس ، وقد خرج أبو سفيان وبديل بن ورقاء وحكيم ابن حزام يتحسسون الخبر ، وبينما العباس قد أتى الأراك ليلقى من السابلة من ينذر أهل مكة إذ سمع صوت أبي سفيان وَبُدَيْلٍ وقد أبصرا نيران العساكر ، فيقول بُدَيْلٌ : نيران بني خزاعة ، فيقول أبو سفيان : خزاعة أذلّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها . فقال العباس : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس والله إن ظفر بك ليقتلنك واصباح قريش فارتدّ خلفي . ونهض به إلى المعسكر ومر بعمر فخرج يشتدّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، فسبقه العباس على البغلة ودخل على أثره فقال : يا رسول الله هذا عدوّ الله أبو سفيان أمكن الله منه بلا عهد فدعني أضرب عنقه ، فقال العباس : قد أجرته فزاره عمر ، فقال العباس : لو كان من بني عديّ ما قلت هذا ولكنه من عبد مناف ، فقال عمر : والله لإسلامك كان أحب إليّ من إسلام الخطّاب لأنّي أعرف أنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس أن يحمله إلى رحله ويأتيه به صباحاً ، فلما أتى به قال له صلى الله عليه وسلم : ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلاّ الله ؟ فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد علمت لو كان معه إله غيره أغنى عنا ، فقال : ويحك ألم يأن لك أن تعلم أنّي رسول الله ، قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أمّا هذه ففي النفس منها شيء^(١) . فقال له العباس : ويحك أسلم قبل أن يضرب عنقك فأسلم . فقال العباس : يا رسول الله إنّ أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً . قال : نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن .

ثم أمر العباس أن يوقف أبا سفيان بخطم الوادي ليرى جنود الله ففعل ذلك ، ومرّت به القبائل قبيلة قبيلة ، إلى أن جاء مركب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار ، عليهم الدروع البيض ، فقال من هؤلاء ؟ فقال العباس : هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار . فقال : لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً : فقال : يا أبا سفيان إنها النبوة ، فقال : هي إذاً ! فقال له العباس : النجاء إلى قومك . فأتى مكة

(١) وفي نسخة أخرى : في النفس منها حتى الآن شيئاً .

وأخبرهم بما أحاط بهم ويقول النبي صلى الله عليه وسلم من أتى المسجد أو دار أبي سفيان أو أغلق بابه .

ورتب الجيش وأعطى سعد بن عبادة الراية فذهب يقول : اليوم يوم الملحمة * اليوم تستحل الحرمة * وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأمر علياً أن يأخذ الراية منه ، ويقال أمر الزبير . وكان على الميمنة خالد بن الوليد وفيها أسلم وغفار ومزينة وجهينة ، وعلى الميسرة الزبير ، وعلى المقدمة أبو عبيدة بن الجراح . وسرّب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيوش من ذي طوى ، وأمرهم بالدخول إلى مكة : الزبير من أعلاها ، وخالد من أسفلها ، وأن يقاتلوا من تعرض لهم . وكان عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو قد جمعوا للقتال ، فناوشهم أصحاب خالد القتال ، واستشهد من المسلمين كرز بن جابر من بني محارب ، وخنيس بن خالد من خزاعة ، وسلمة بن جهينة ، وانهزم المشركون وقتل منهم ثلاثة عشر وأمن النبي صلى الله عليه وسلم سائر الناس .

وكان الفتح لعشر بقين من رمضان ، وأهدر دم جماعة من المشركين سمّاهم يومئذ منهم : عبد الغزى بن خطلي من بني تميم ، والأدوم بن غالب كان قد أسلم وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقاً ومعه رجل من المشركين فقتله وارتدّ ولحق بمكة وتعلق يوم الفتح بأستار الكعبة فقتله سعد بن حريث المخزومي وابو برزة الأسلمي . ومنهم : عبدالله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتدّ ولحق بمكة ونميت عنه أقوال ، فاخفى يوم الفتح وأتى به عثمان بن عفان وهو أخوه من الرضاعة فاستأمن له فسكت عليه السلام ساعة ثم أّمّنه ، فلما خرج قال لأصحابه هلاً ضربتم عنقه ، فقال له بعض الأنصار هلاً أومأت إليّ ، فقال : ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين . ولم يظهر بعد إسلامه إلا خيراً وصلاً واستعمله عمر وعثمان . ومنهم الحويرث بن نفيل^(١) من بني عبد قُصي كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقتله علي بن أبي طالب يوم الفتح . ومنهم مقيس بن صبابة كان هاجري غزوة الخندق ثم عدا على رجل من الأنصار كان قتل أخاه قبل ذلك غلطاً ووداه فقتله وفرّ إلى مكة مرتدّاً ، فقتله يوم الفتح نُمَيْلَة بن عبدالله الليثي وهو ابن عمه . ومنهم قيتا ابن خطلي كانتا تغنيان بهجو النبي صلى الله عليه وسلم فقتلت إحداهما

(١) قوله نفيل وفي المواهب نقيده .

واستؤمن للأخرى فأمنها . ومنهم مولاة لبني عبد المطلب إسمها سارة واستؤمن لها فأمنها رسول الله صلى الله عليه وسلم . واستجار رجلاً من بني مخزوم بأُمّ هانئ بنت أبي طالب يقال إنها الحرث بن هشام وزهير بن أبي أمية أخو أم سلمة فأمنتهما ، وأمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمانها فأسلما .

ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالكعبة وأخذ المفتاح من عثمان بن طلحة بعد أن مانعت دونه أم عثمان ثم أسلمته ، فدخل الكعبة ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة وأبقى له حجابة البيت فهي في ولد شيبة إلى اليوم . وأمر بكسر الصور داخل الكعبة وخارجها ، وبكسر الأصنام حوالها ، ومَرَّ عليها وهي مشدودة بالرصاص يشير إليها بقضيب في يده وهو يقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ، فما بقي منهم ^(١) صنم إلا خرَّ على وجهه . وأمر بلالاً فأذن على ظهر الكعبة ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بباب الكعبة ثاني يوم الفتح وخطب خطبته المعروفة ، ووضع مآثر الجاهلية إلا سِدانة البيت وسقاية الحاج ، وأخبر أن مكة لم تحلَّ لأحد قبله ولا بعده ، وإنما أحلت له ساعة من نهار ثم عادت كحرمتها بالأمس ^(٢) ، ثم قال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا إن كل مأثرة أو دم أو مال يدعى في الجاهلية فهو تحت قدميَّ هاتين إلا سِدانة الكعبة وسقاية الحاج ، ألا وإن قتل الخطأ مثل العمد بالسوط والعصا فيها الدية مغلظة منها أربعون في بطونها أولادها ، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم خلق من تراب » . ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى » إلى آخر الآية . يا « معشر قريش ويا أهل مكة ما ترون إني فاعل فيكم ؟ » قالوا : خيراً أخ كريم ، ثم قال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » . وأعتقهم على الإسلام وجلس لهم فيما قيل على الصفا فبايعوه على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ، ولما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء ، أمر عمر بن الخطاب أن يبايعهن واستغفر لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه كان لا يمس امرأة حلالاً ولا حراماً .

(١) الأصح ان يقول منها

(٢) وفي النسخة الباريسية : ثم اعيدت لحرمتها بالامس .

وهرب صفوان بن أمية إلى اليمن واتبعه عمير بن وهب من قومه بأمان النبي صلى الله عليه وسلم له فراجع وأنظره أربعة أشهر ، وهرب ابن الزبير الشاعر إلى نجران ورجع فأسلم ، وهرب هبيرة بن أبي وهب المخزومي زوج أم هانيء إلى اليمن فمات هنالك كافراً . ثم بعث النبي صلى الله عليه وسلم السرايا حول مكة ولم يأمرهم بقتال ، وفي جملتهم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة فقتل منهم وأخذ ذلك عليه ، وبعث إليهم علياً بمال فودى لهم قتلاهم ورد عليهم ما أخذ لهم . ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً إلى العُزَّى بيت بنخلة كانت مضر من قريش تعظمه وكنانة وغيرهم ، وسدنته بنو شيبان من بني سُليم حلفاء بني هاشم فهدمه . ثم إن الأنصار توقفوا إلى أن يقيم صلى الله عليه وسلم داره بعد أن فتحها فأغمهم ذلك وخرجوا له ، فخطبهم صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أن المحيا محياهم والمات مماتهم فسكتوا لذلك واطمأنوا .

غزوة حنين

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة ليلة وهو يقصر الصلاة فبلغه أن هوازن وثقيف جمعوا له وهم عامدون إلى مكة وقد نزلوا حنيناً ، وكانوا حين سمعوا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يظنون أنه إنما يريدهم ، فاجتمعت هوازن إلى مالك بن عوف من بني النضير^(١) ، وقد أوعب معه بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وبني جشم بن معاوية ، وبني سعد بن بكر وناسا من بني هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية والأحلاف ، وبني مالك بن ثقيف بن بكر ، ولم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب . وفي جشم دريد بن الصمة بن بكر بن علقمة ابن خزاعة بن أزية بن جشم رئيسهم وسيدهم شيخ كبير ليس فيه إلا ليؤتم برأيه ومعرفته . وفي ثقيف سيدان ليس لهم في الأحلاف إلا قارب بن الأسود بن مسعود ابن معتب^(٢) ، وفي بني مالك ذو الخمار سُبَيْع بن الحرث بن مالك وأخوه أحمر . وجميع أمر الناس إلى مالك بن عوف .

فلما أتاهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة أقبلوا عامدين إليه ، وأسار

(١) وفي النسخة الباريية : من بني نصر .

(٢) وفي النسخة الباريية : بن مغيث .

مالك مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم يرى أنه أثبت لموقفهم ، فترلوا بأوطاس ، فقال دُرَيْد بن الصمة لمالك : مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير ويعار الشاء وبكاء الصغير ، فقال : أموال الناس وأبنائهم سقنا معهم ليقاتلوا عنها ، فقال راعي ضأن : والله وهل يردّ المنهزم شيء ؟ إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسلاحه وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك . ثم سأل عن كعب وكلاب وأسف لغيابهم وأنكر على مالك رأيته ذلك ، وقال : لم تصنع بتقديم بيضة^(١) هو ازن إلى نحر الخيل شيئاً أرفعهم إلى ممتنع بلادهم ، ثم ألق الصبيان على متون الخيل فان كانت لك لحق بك من وراءك وإن كانت لغيرك كنت قد أحرزت^(٢) أهلك ومالك . وأبى عليه مالك واتبعه هو ازن .

ثم بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله بن أبي جرد^(٣) الأسلمي يستعلم خبر القوم فجاءه وأطلعاه على جليّة الخبر وأنهم قاصدون إليه ، فاستعار رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفوان بن أمية مائة درع وقيل أربعائة وخرج في اثني عشر ألفاً من المسلمين عشرة آلاف الذين صحبوه من المدينة وألفان من مسلمة الفتح ، واستعمل على مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ومضى لوجهه . وفي جملة من اتبعه عباس بن مرداس ، والضحاك بن سفيان الكلابي ، وجموع من عبس وذبيان ، ومزينة وبني أسد . ومرّ في طريقه بشجرة سدر خضراء ، وكان لهم في الجاهلية مثلها يطوف بها الأعراب ويعظمونها ويسمونها ذات أنواط ، فقالوا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال لهم : قلت كما قال قوم موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، والذي نفسي بيده لتركن سنن من كان قبلكم واجرم من ذلك^(٤) .

ثم نهض حتى أتى وادي حنين من أودية تهامة أوّل يوم^(٥) من شوال من السنة الثامنة وهو وادي حزن^(٦) ، فتوسطوه في غبش الصبح وقد كمنت هو ازن في جانبيه فحملوا

(١) وفي نسخة أخرى : نقيضة .

(٢) وفي النسخة الباريسية : اجرت .

(٣) وفي نسخة ثانية : أبي حدود .

(٤) وفي نسخة ثانية : وزجرهم عن ذلك .

(٥) قوله أوّل يوم ولعل الصواب كما في غير هذا الكتاب سادس يوم اهـ . وانتهى الى خير عاشره (قاله نصر) .

(٦) وفي النسخة الباريسية : وادي حروت .

على المسلمين حملة رجل واحد ، فولّى المسلمون لا يلوي أحد على أحد ، وناداهم صلى الله عليه وسلم فلم يرجعوا . وثبت معه أبو بكر وعمر وعلي والعبّاس وأبوسفيان بن الحرث وابنه جعفر والفضل وقثم إبننا العبّاس وجماعة سواهم ، والنبيّ صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء دلّدل والعبّاس آخذ بشكائهم وكان جهير الصوت فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينادي بالأنصار وأصحاب الشجرة قيل وبالمهاجرين ، فلمّا سمعوا الصوت وذهبوا ليرجعوا فصدّهم إزدحام الناس^(١) عن أن يثنوا رواحلهم ، فاستقاموا وتناولوا سيوفهم وتراسهم واقتحموا عن الرواحل راجعين إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وقد اجتمع منهم حواليه نحو المائة فاستقبلوا هوازن والناس متلاحقون^(٢) ، واشتدّت الحرب وحمي الوطيس وقذف الله في قلوب هوازن الرعب حين وصلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يملكوا أنفسهم ، فولّوا منهزمين ولحق آخر الناس وأسرى هوازن مغلوله بين يديه . وغنم المسلمون عيالهم وأموالهم واستحزّ^(٣) القتل في بني مالك من ثقيف فقتل منهم يومئذ سبعون رجلاً في جملتهم : ذو الخمار وأخوه عثمان ابنا عبد الله بن ربيعة بن الحرث بن حبيب سيدا هم ، وأمّا قارب بن الأسود سيد الأحلاف من ثقيف ففرّ بقومه منذ أول الأمر وترك رايته فلم يقتل منهم أحد ، ولحق بعضهم بنخلة . وهرب مالك بن عوف النصري مع جماعة من قومه فدخلوا الطائف مع ثقيف ، وانحازت طوائف هوازن إلى أوطاس^(٤) واتبعتهم طائفة من خيل المسلمين الذين توجهوا من نخلة فأدركوا فيهم دريد بن الصمة فقتلوه ، يقال قتله ربيعة بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة بن يربوع بن سماك بن عوف بن امريء القيس . وبعث صلى الله عليه وسلم إلى من اجتمع بأوطاس من هوازن أبا عامر الأشعري عم أبي موسى فقاتلهم ، وقتل بسهم رماه به سلمة بن دريد بن الصمة فأخذ أبو موسى الراية وشدّ على قاتل عمه فقتله . وانهمز المشركون واستحزّ^(٥) القتل في بني رباب من بني نصر بن معاوية ، وانفضت جموع أهل هوازن كلها . واستشهد

(١) وفي نسخة ثانية : المنهزمين .

(٢) وفي النسخة الباريسية : لاحقون .

(٣) وفي النسخة الباريسية : واستمر .

(٤) وفي النسخة الباريسية : إلى واسط .

(٥) وفي النسخة الباريسية : وانهمز القوم واستمر القتل .

من المسلمين يوم الخميس أربعة منهم أيمن بن أم أيمن أخو أسامة لأمه^(١) ، ويزيد بن زمعة بن الأسود ، وسراقة بن الحرث من بني العجلان ، وأبو عامر الأشعري .

حصار الطائف وغزوة تبوك

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبايا والأموال فحبست بالجعرانة بنظر مسعود ابن عمرو الغفاري ، وسار من فوره إلى الطائف فحاصر بها ثقيف خمس عشرة ليلة ، وقتلوا من وراء الحصون ، وأسلم من كان حولهم من الناس وجاءت وفودهم إليه . وقد كان مرّ في طريقه بحصن مالك بن عوف النصري^(٢) فأمر بهدمه ، ونزل على أطم لبعض ثقيف فتمنع فيه صاحبه فأمر بهدمه فأخرب وتحصنت ثقيف . وقد كان عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة من ساداتهم ذهبا إلى جرش يتعلمان صنعة المجانيق والدبابات للحصار لما أحسوا من قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم فلم يشهدا الحصار ولا حينئذ قبله ، وحاصرهم المسلمون بضع عشرة أو بضعا وعشرين ليلة واستشهد بعضهم بالنبل ورماهم صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق ، ودخل نفر من المسلمين تحت دبابه ودنوا إلى سور الطائف فصبوا عليهم سكك الحديد الحماة ورموهم بالنبل فأصابوا منهم قوماً ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناقهم^(٣) ، ورغب إليه ابن الأسود بن مسعود في ماله وكان بعيداً من البطائف وكفّ عنه ، ثم دخل إلى الطائف وتركهم ونزل أبو بكر فأسلم .

واستشهد من المسلمين في حصاره : سعيد بن سعيد بن العاص ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة أخو أم سلمة ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة العنزي حليف بني عدي في آخرين قريباً من اثني عشر فيهم أربعة من الأنصار .

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة وأتاه هناك وفد هوازن مسلمين راغبين ، فخيرهم بين العيال والأبناء والأموال فاختراروا العيال والأبناء ، وكلموا المسلمين في ذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وقال المهاجرون والأنصار ما كان لنا فهو لرسول الله

(١) وفي النسخة الباريسية : أيمن بن عبيد أخو سلمة لأمه .

(٢) النصري بالصاد المهملة ، كذا في فضائل رمضان للأجهوري ، قال وأسلم بعد ذلك اهـ . (قاله نصر) .

(٣) وفي نسخة أخرى : اعناقهم .

صلى الله عليه وسلم . وامتنع الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن أن يردا عليهم ما وقع لهما من الفداء وساعدهم قومهم^(١) ، وامتنع العباس بن مرداس كذلك . وخالف بنو سليم وقالوا : ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعوض رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم تطب نفسه عن نصيبه . ورد عليهم نساءهم وأبناءهم بأجمعهم .

وكان عدد سبي هوازن ستة آلاف بين ذكر واثني فيهن الشيا أخت النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وهي بنت الحرث بن عبد العزى من بني سعد بن بكر من هوازن ، وأكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحسن إليها وخيرها فاختارت قومها فردّها اليهم . وقسم الأموال بين المسلمين ، ثم أعطى من نصيبه من خمس الخمس قوماً يستألفهم على الإسلام من قريش وغيرهم ، فمنهم من أعطاه مائة مائة ، ومنهم خمسين خمسين ، ومنهم ما بين ذلك ، ويسمّون المؤلفة وهم مذكورون في كتب السير يقاربون الأربعين ، منهم أبو سفيان وابنه معاوية وحكيم بن حزام وصفوان بن أمية ومالك بن عوف وغيرهم ، ومنهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر والأقرع بن حابس وهما من أصحاب المائة ، وأعطى عباس بن مرداس دونهما ، فأنشده أبياته المعروفة يتسخط فيها ، فقال إقطعوا عني لسانه فأتموا إليه المائة .

ولمّا أعطى المؤلفة قلوبهم وجد الأنصار في أنفسهم إذ لم يعطهم مثل ذلك وتكلّم شبانهم مع ما كانوا يظنون أنه إذا فتح الله عليه بلده يرجع إلى قومه ويتركهم ، فجمعهم ووعظهم وذكرهم وقال : « إنما أعطي قوما حديثي عهد بالإسلام أتألفهم عليه ، أما ترضون أن ينصرف الناس بالشاء والبعر وتنصرفوا برسول الله إلى رحالكم ، لولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار ، ولو سلك الأنصار شعباً وسلك الناس شعباً لسلك شعب الأنصار » فرضوا وافترقوا .

ثم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة إلى مكة ، ثم رجع إلى المدينة فدخلها لست بقين من ذي القعدة من السنة الثامنة لشهرين ونصف من خروجه ، واستعمل على مكة عتاب بن أسيد شاباً ينيف عمره على عشرين ، وكان غلبه الورع والزهد فأقام الحج بالمسلمين في سنته وهو أوّل أمير أقام حجّ الإسلام المشركون على مشاعرهم . وخلف بمكة معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن ،

(١) وفي نسخة أخرى : وساعدهما قومها .

وبعث عمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابني الجئلندي^(١) من الأزدي بعمان مصداقاً فأتاعوا له بذلك . واستعمل صلى الله عليه وسلم ممالك بن عوف على من أسلم من قومه ومن سلم منهم وماله حوالي الطائف من ثقيف ، وأمره بمغادرة الطائف من التضييق عليهم ففعل حتى جاءوا مسلمين كما يذكر بعد . وحسن إسلام المؤلفه قلوبهم ممن أسلم يوم الفتح أو بعده وإن كانوا متفاوتين في ذلك . ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير فأهدر دمه وضاعت به الأرض ، وجاء فأسلم وأنشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته المعروفة بمدحه التي أولها :

• بَأَنْتَ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ الْخ . وأعطاه بردة في ثواب مدحه فاشتراها معاوية من ورثته بعد موته وصار الخلفاء يتوارثونها شعاراً .

ووفد في سنة تسع على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بنو أسد فأسلموا وكان منهم ضرار بن الأزور ، وقالوا : قدمنا يا رسول الله قبل أن يرسل إلينا فترلت « يمينون عليك أن أسلموا » (الآية) . ووفد فيها وفدين في شهر ربيع الأول ونزلوا على ربيعة بن ثابت البلوي . وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد منصرفه من الطائف في ذي الحجة إلى شهر رجب من السنة التاسعة .

ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم : « وكان في غزواته كثيراً ما يوري بغير الجهة التي يقصدها على طريقة الحرب إلا ما كان من هذه الغزاة لعسرها بشدة الحرب ، وبعد البلاد وفصل الفواكه وقلة الظلال وكثرة العدو الذين يصدون . وتجهز الناس على ما في أنفسهم من استئصال ذلك ، وطفق المنافقون يشبطونهم عن الغزو ، وكان نفر منهم يجتمعون في بيت بعض اليهود ، فأمر طلحة بن عبيد الله أن يخرب عليهم البيت فخرّبها^(٢) . واستأذن ابن قيس من بني سلمة في القعود فأذن له وأعرض عنه ، وتدرّب كثير من المسلمين بالإتفاق والحملان وكان من أعظمهم في ذلك عثمان بن عفان يقال إنه أنفق فيها ألف دينار وحمل على تسعمائة بعير ومائة فرس وجهاز ركاباً . وجاء بعض المسلمين يستحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد ما يحملهم عليه فترّلوا باكين لذلك ، وحمل بعضهم يامين بن عمير النضري وهما أبو ليلى بن كعب من بني مازن بن النجار وعبد الله بن المغفل المزني . واعتذر المخلفون من الأعراب

(١) وفي نسخة أخرى : إلى أهل حنين وعمرو بن الجئلندي .

(٢) وفي النسخة الباريسية : أن يحرق عليهم البيت فحرقها .

فعدّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم نهض وخلف على المدينة محمد بن مسلمة وقيل بل سباع بن عرفة وقيل بل عليّ ابن أبي طالب ، وخرج معه عبدالله بن أبي بن سلول في عدد وعدّة ، فلما سار صلى الله عليه وسلم تخلف هو فيمن تخلف من المنافقين . ومّرّ صلى الله عليه وسلم على ديار ثمود فأمر أن لا يستعمل ماؤها ويعلف ما عجن منه للإبل ، وأذن لهم في بئر الناقة ، وأمر أن لا يدخلوا عليهم بيوتهم إلّا باكين ، ونهى أن يخرج أحد منفرداً عن صاحبه ، فخرج رجلان من بني ساعدة خنق^(١) أحدهما فمسح عليه فشفي ، والآخر رمته الريح في جبل طي فردّوه بعد ذلك إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم . وضلّ صلى الله عليه وسلم ناقته في بعض الطريق ، فقال أحد المنافقين محمد يدعي علم خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته ، فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : والله لا أعلم إلّا ما علّمني الله وأن الناقة بموضع كذا . وكان قد أوحى إليه بها فوجدوها ثم ، وكان قائل هذا القول زيد بن اللصيت من بني قينقاع وقيل إنه تاب بعد ذلك . وفضح الوحي قوماً من المنافقين كانوا يخذلون الناس ويهولون عليهم أمر الروم ، فتاب منهم مخشى بن جهير^(٢) ودعا أن يكفر عنه بشهادة يخفي مكانه فقتل يوم اليمامة .

ولمّا انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك أتاه يُحينة بن روبة صاحب أيلة وأهل جرباء وأذرح فصالحوا على الجزية وكتب لكل كتاباً . وبعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك^(٣) صاحب دومة الجندل من كندة كان ملكاً عليها وكان نصرانياً وأخبر أنه يجده يصيد البقر ، واتفق أن بقر الوحش باتت تهدّ القصر بقرونها فنشط أكيدر لصيدها وخرج ليلاً ، فوافق وصوله خالداً ، فأخذه وبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنه وصالحه على الجزية وردّه .

وأقام بتبوك عشرين ليلة ، ثم انصرف ، وكان في طريقه ماء قليل نهى أن يسبق إليه أحد ، فسبق رجلان واستنفدا ما فيه فنكر عليهما ذلك ، ثم وضع يده تحت وشله فصب ما شاء الله أن يصب ونضح به الوشل^(٤) ودعا فجاش الماء حتى كفى العسكر .

(١) وفي نسخة أخرى : جن

(٢) وفي النسخة الباريسية : مخشى بن حمير .

(٣) وفي النسخة الباريسية : عبدالله .

(٤) وفي نسخة أخرى : ونضح بالوشل .

ولما قرب المدينة بساعة من نهار أنفذ مالك بن الدخشم من بني سالم ومعن بن عدي من بني العجلان إلى مسجد الضرار ، فأحرقاه وهدماه ، وقد كان جماعة من المنافقين بنوه وأتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى تبوك فسألوه الصلاة فيه ، فقال : أنا على سفر ولو قدما أتيناكم فصلينا لكم فيه . فلما رجع أمر بهدمه . وفي هذه الغزاة تخلف كعب بن مالك من بني سلمة ومرارة بن الربيع من بني عمرو بن عوف وهلال بن أمية بن واقف وكانوا صالحين ، فنهى صلى الله عليه وسلم عن كلامهم خمسين يوماً ، ثم نزلت توبتهم ، وكان المتخلفون من غير عذر نيفا وثلاثين رجلاً . وكان وصوله صلى الله عليه وسلم من تبوك في رمضان سنة تسع ، وفيه كانت وفادة ثقيف وإسلامهم ، ونزل الكثير من سورة براءة في شأن المنافقين وما قالوه في غزوة تبوك آخر غزوة غزاها صلى الله عليه وسلم .

إسلام عروة بن مسعود ثم وفد ثقيف وهدم اللات

كان صلى الله عليه وسلم لما أفرج عن الطائف وارتحل المدينة اتبعه عروة بن مسعود سيدهم ، فأدركه في طريقه وأسلم ورجع يدعو قومه ، فرمي بسهم في سطح بيته وهو يؤذن للصلاة فمات ، ومنع قومه من الطلب بدمه وقال : هي شهادة ساقها الله إليّ وأوصي أن يدفن مع شهداء المسلمين . ثم قدم ابنه أبو المليلح وقارب بن الأسود بن مسعود فأسلما ، وضيق مالك بن عوف على ثقيف واستباح سرحهم وقطع سابلتهم . وبلغهم رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك وعلموا أن لا طاقة لهم بحرب العرب المسلمين ، وفزعوا إلى عبد ياليل بن عمرو بن عُمَيْر ، فشرط عليهم أن يبعثوا معه رجالاً منهم ليحضروا مشهده خشية على نفسه مما نزل بعروة ، فبعثوا معه رجلين من أحلاف قومه وثلاثاً من بني مالك ، فخرج بهم عبد ياليل وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان من السنة التاسعة يريدون البيعة والإسلام فضرب لهم قبة في المسجد ، وكان خالد بن سعيد بن العاص يمشي في أمرهم وهو الذي كتب كتابهم بخطه ، وكانوا لا يأكلون طعاماً يأتيهم حتى يأكل منه خالد ، وسألوه أن يدع لهم اللات ثلاث سنين رغياً لنسائهم وأبنائهم حتى يأنسوا فأبى ، وسألوه أن يعفيهم من الصلاة فقال : لا خير في دين لا صلاة فيه ، فسألوه أن لا يكسروا أوثانهم

بأيديهم فقال : أمّا هذه فسنكفيكم منها . فأسلموا وكتب لهم وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص أصغرهم سناً لأنه كان حريصاً على الفقه وتعلم القرآن . ثم رجعوا إلى بلادهم ، وخرج معه أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم اللات ، وتأخر أبو سفيان حتى دخل المغيرة فتناولها بيده ليهدمها ، وقام بنو معتب^(١) دونه خشية عليه . ثم جاء أبو سفيان وجمع ما كان لها من الحليّ وقضى منه دين عروة والأسود إبن مسعود كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقسم الباقي .

الوفود

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك واسلمت ثقيف ضربت إليه وفود العرب من كل وجه حتى لقد سميت سنة الوفود . قال ابن إسحق : وإنما كانت العرب تتربص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش وأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم وأهل البيت والحرم وصريح ولد إسماعيل وقادتهم لا ينكرون لهم ، وكانت قريش هي التي نصبت لحربه وخلافه . فلما استفتحت مكة ودانت قريش ودخلها الإسلام عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحربه وعداوته ، فدخلوا في دينه أفواجا يضربون إليه من كل وجه انتهى .

فأول من قدم إليه بعد تبوك وفد بني تميم وفيه من رؤوسهم : عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس من بني دارم بن مالك ، والحتات بن زيد^(٢) ، والأقرع بن حابس ، والزبرقان بن بدر من بني سعد ، وقيس بن عاصم ، وعمر بن الأهم وهما من بني منقر ، ونعيم بن زيد ومعهم عيينة بن حصن الفزاري . وقد كان الأقرع وعيينة شهدا فتح مكة وخير وحصار الطائف ، ثم جاآ مع وفد بني تميم ، فلما دخلوا المسجد نادوا من وراء الحجرات فترلت الآيات في إنكار ذلك عليهم . ولما خرج قالوا جئنا نفاخرك بخطيبنا وشاعرنا فأذن لهم ، فخطب عطارد وفاخر ويقال والأقرع بن حابس ، ثم أنشد الزبرقان بن بدر شعراً بالمفاخرة ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن الشماس من بني الحرث بن الخزرج فخطب وحسان بن ثابت فأنشد مساجلين لهم ، فأذعنوا للخطبة والشعر والسؤدد والحلم ، وقالوا : هذا

(١) وفي النسخة الباريية : بنو معتب .

(٢) وفي نسخة أخرى : الحباب بن يزيد .

الرجل هو مؤيد من الله خطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من أصواتنا . ثم أسلموا وأحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم جوائزهم . وهذا كان شأنه مع الوفود يترهم إذا قدموا ويجهّزهم إذا رحلوا .

ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر رمضان مقدمه من تبوك كتاب ملوك حمير مع رسولهم ومع الحرث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان قيل ذي رعين وهمدان ومعاقر . وبعث زرعة بن ذي يزن رسوله مالك بن مرة الرهاوي بإسلامهم ومفارقة الشرك ، وأهله وكتب إليهم النبي صلى الله عليه وسلم كتابه . وبعث إلى ذي يزن معاذ بن جبل مع رسولهم مالك بن مرة يجمع الصدقات ، وأوصاهم برسوله معاذ وأصحابه . ثم مات عبدالله بن أبي بن سلول في ذي القعدة ، ونعى رسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي وأنه مات في رجب قبل تبوك .

وقدم وفد بهرا في ثلاثة عشر رجلا ونزلوا على المقداد بن عمرو وجاء بهم فأسلموا وأجازهم وانصرفوا ، وقدم وفد بني البكاء ثلاثة نفر منهم . وقدم وفد بني فزارة بضعة عشر رجلا فيهم خارجة بن حصن وابن أخيه الحر بن قيس فأسلموا .

ووفد عدي بن حاتم من طي فأسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث قبل تبوك إلى بلاد طي علي بن أبي طالب في سرية فأغار عليهم ، وأصيب حاتم وسبيت ابنته وغنم سيفين في بيت أصنامهم كانتا من قربان الحرث بن أبي شمر ، وكان عدي قد هرب قبل ذلك ولحق ببلاد قضاة بالشام فرارا من جيوش المسلمين وجوارا لأهل دينه من النصارى وأقام بينهم ، ولما سيقت ابنة حاتم جعلت في الحظيرة بباب المسجد التي كانت السبايا تحبس بها ، ومرّ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلّمته أن يمنّ عليها ، فقال : قد فعلت ولا تعجلي حتى تجدي ذائقة من قومك يبلغك إلى بلادك ثم آذنيني ، قالت : فأقمت حتى قدم ركب من بني قضاة وأنا أريد أن آتي أخي بالشام فعرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكساني وحلني وزورني وخرجت معهم فقدمت

الشام فلما لقيها عدي تلاوما ساعة ثم قال لها ماذا ترين في أمري مع هذا الرجل ؟ فأشارت عليه باللاحاق به فوفد ، وأكرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخله إلى بيته وأجلسه على وسادته ، بعد أن استوقفته في طريقه امرأة فوقف لها ، فعلم عدي أنه ليس بملك وأنه نبي ، ثم أخبره عن أخذه المربع من قومه ولا يحلّ له فازداد

استبصاراً^(١) فيه ، ثم قال : لعله إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم فيوشك ان يفيض المال فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، أو لعله يمنعك ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكنّ تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف ، أو لعلك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى الملك والسلطان لغيرهم فيوشك أن تسمع بالقصور البيض من بابل قد فتحت . فأسلم عديّ وانصرف إلى قومه .

ثم أنزل الله على نبيّه الأربعين آية من أوّل براءة في نبذ هذا العهد الذي بينه وبين المشركين أن لا يصدوا عن البيت ، ونهوا أن يقرب المسجد الحرام مشرك بعد ذلك ، وأن لا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان^(٢) بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فيتم له إلى مدّته ، وأجلّهم أربعة أشهر من يوم النحر . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات أبا بكر وأمره على إقامة الحج بالموسم من هذه السنة ، فبلغ ذا الحليفة فأتبعه بعليّ فأخذها منه ، فرجع أبو بكر مشفقاً أن يكون نزل فيه قرآن ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم : لم يتزل شيء ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني . فسار أبو بكر على الحج وعليّ على الاذان براءة ، فحج أبو بكر بالناس وهم على حجّ الجاهلية ، وقام عليّ عند العقبة يوم الأضحى فأذن بالآية التي جاء بها . قال الطبريّ وفي هذه السنة فرضت الصدقات لقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها الآية . وفيها قدم وفد ثعلبة بن سعد^(٣) ووفد سعد هذيم من قضاة . قال الطبريّ : وفيها بعث بنو سعد بن بكر ضمّام^(٤) بن ثعلبة وافداً فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما جاء به من الاسلام ، وذكر التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج واحدة واحدة حتى إذا فرغ تشهد وأسلم ، وقال : لاؤديّ هذه الفرائض وأجتنب ما نهيت عنه ثم لا أزيد عليها ولا انقص ، فلما انصرف قال صلى الله عليه وسلم : إن صدق دخل الجنة ، ثم قدم على قومه فأسلموا كلهم يوم قدومه . والذي عليه الجمهور : أن قدوم ضمّام وقصّته كانت سنة خمس .

(١) وفي نسخة ثانية : استبعاداً .

(٢) وفي نسخة ثانية : وإن كان .

(٣) وفي نسخة ثانية : ثعلبة بن منقذ .

(٤) وفي نسخة ثانية : ضمضام بن ثعلبة .

ثم دخلت سنة عشر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في ربيع أو جمادى في سرية اربعمائة إلى نجران وما حولها يدعو بني الحرث بن كعب إلى الإسلام ويقاثلهم إن لم يفعلوا ، فأسلموا وأجابوا داعيته ، وبعث الرسل^(١) في كل وجه فأسلم الناس فكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب إليه بأن يقدم مع وفدهم ، فأقبل خالد ومعه وفد بني الحرث بن كعب منهم قيس بن الحصين ذو القصة ويزيد بن عبد المدان ويزيد بن المحجل^(٢) وعبدالله بن قراد^(٣) الزيادي وشداد بن عبدالله الضبابي وعمرو بن عبدالله الضبابي ، فأكرمهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم : بم كنتم تغلبون من يقاثلكم في الجاهلية ؟ قالوا : كنا نجتمع ولا نفرق ولا نبداً^(٤) أحداً بظلم . قال : صدقتم ، فأسلموا وأمر عليهم قيس بن الحصين ، ورجعوا صدر ذي القعدة من سنة عشر ، ثم أتبعهم عمرو بن حزم^(٥) من بني النجار ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة ، وكتب إليه كتاباً عهد إليه فيه عهده وأمره بأمره ، وأقام عاملاً على نجران . وهذا الكتاب وقع في السير مروياً واعتمده الفقهاء في الاستدلالات وفيه مأخذ كثيرة للأحكام الفقهية ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب^(٦) من الله ورسوله : يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهداً من محمد النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن أمره بتقوى الله في أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله وأن يبشّر الناس بالخير ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن ويفهمهم^(٧) فيه ، وأن ينهي الناس فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر ، وأن يخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم ، ويلين للناس في الحق ويشدّ عليهم في الظلم فإن الله حرم^(٨) الظلم ونهى عنه فقال : ألا لعنة الله على الظالمين ، وأن يبشّر الناس بالجنة

-
- (١) وفي النسخة الباريسية : الركبان .
(٢) وفي النسخة الباريسية : يزيد بن المحجب .
(٣) وفي نسخة أخرى : عبدالله بن قريظ .
(٤) وفي النسخة الباريسية : ولا ننيل .
(٥) وفي نسخة أخرى : عمرو بن حزام .
(٦) وفي النسخة الباريسية : هذا بيان .
(٧) وفي نسخة أخرى : يفقههم فيه .
(٨) وفي النسخة الباريسية : كره الظلم .

وبعملها وينذر الناس بالنار وعملها ، ويستألف الناس حتى يتفقهوا في الدين ،
ويعلم الناس معالم الحجّ وسننه وفرائضه وما أمر الله به والحجّ الأكبر والحجّ الأصغر
وهو العمرة ، وينهي الناس أن يصلي أحد في ثوب واحد صغير إلا أن يكون واسعاً
يشئ طرفيه على عاتقيه ، وينهي أن يحتبي أحد في ثوب واحد ويفضي بفرجه إلى
السما ، وينهي أن يقصّ أحد شعر رأسه إذا عفا في قفاه ، وينهي إذا كان بين الناس
هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر وليكن دعائهم إلى الله وحده لا شريك له فمن لم
يدع إلى الله ودعا القبائل والعشائر فليعطفوه بالسيف حتى يكون دعائهم إلى الله
وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء في وجوههم وأيديهم إلى المرافق
وأرجلهم إلى الكعبين وأن يمسحوا برؤوسهم كما أمرهم الله ، وأمره بالصلاة لوقتها
وإتمام الركوع والسجود وأن يغسل بالصبح ويهجر بالهاجرة حتى تميل الشمس وصلاة
العصر والشمس في الأرض مدبرة والمغرب حين يقبل الليل لا يؤخر حتى تبدوا نجوم
السما والعشاء أول الليل ، وأمره بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها والغسل عند الرواح
إليها ، وأمره أن يأخذ من الغنائم خمس الله ، وما كتب على المؤمنين^(١) في الصدقة
من العقار عشر ما سقت العين أو سقت السما وعلى ما سقى الغرب نصف العشر وفي
كل عشر من الإبل شاتان وفي كل عشرين أربع شياة وفي كل أربعين من البقر بقرة
وفي كل ثلاثين من البقر تبع أو تبعة جذع أو جذعة وفي كل أربعين من الغنم سائمة
وحدها شاة فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة فمن زاد خيراً فهو خير
له ، وانه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه ودان بدين الإسلام
فإنه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه ما عليهم ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا
يردّ عنها وعليه الجزية ، على كل حالم^(٢) ذكراً وأنثى حر أو عبد دينار وافي أو عوضه
ثياباً . فمن أدّى ذلك فإن له ذمة الله وذمة رسوله . ومن منع ذلك فإنه عدو لله
ولرسوله وللمؤمنين جميعاً صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمته وبركاته .

وقدم وفد غسان في رمضان من هذه السنة العاشرة في ثلاثة نفر فأسلموا وانصرفوا إلى
قومهم فلم يجيبوا إلى الإسلام فكتبوا أمرهم وهلك إثنان منهم ولقي الثالث أبو عبيدة

(١) وفي النسخة الباريية : على المسلمين .

(٢) وفي نسخة ثانية : كل محتلم .

عامر باليرموك^(١) فأخبره بإسلامه . وقدم عليه وفد عامر عشرة نفر فأسلموا وتعلموا شرائع الإسلام وأقرأهم أبي^(٢) القرآن وانصرفوا . وقدم في شوال وفد سلامان سبعة نفر رئيسهم حبيب فأسلموا وتعلموا الفرائض^(٣) وانصرفوا .

وفيما قدم وفد أزدجرش وفد فيهم صرد بن عبد الله الأزدي في عشرة من قومه ، ونزلوا على فروة بن عمرو ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلموا صرداً على من أسلم منهم ، وأن يجاهد المشركين حوله . فحاصر جرش ومن بها من خثعم وقبائل اليمن ، وكانت مدينة حصينة اجتمع إليها أهل اليمن حين سمعوا بزحف المسلمين ، فحاصروهم شهراً ، ثم قفل عنهم فظنوا أنه انهزم فاتبعوه إلى جبل شكر ، فصصف وحمل عليهم ونال منهم ، وكانوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم راثدين وأخبرهما ذلك اليوم بواقعة شكر وقال : إن بدن الله لتنحدر عنده الآن فرجعا إلى قومها وأخبراهم بذلك وأسلموا وحمى لهم حمى حول قريتهم .

وفيما كان إسلام همدان ووفادتهم على يد علي رضي الله عنه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، فكث ستة أشهر لا يجيبونه ، فبعث عليه السلام علي بن أبي طالب وأمره أن يقفل خالداً ، فلما بلغ علي أوائل اليمن جمعوا له فلما لقوه صفوا فقدم علي الإنذار وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت همدان كلها في ذلك اليوم ، وكتب بذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسجد لله شكراً ، ثم قال : السلام على همدان ثلاث مرات . ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام وقدمت وفودهم ، وكان عمرو بن معد يكرب الزبيدي قال لقيس بن مكشوح^(٤) المرادي : اذهب بنا إلى هذا الرجل فلن يخفى علينا أمره فأبى قيس من ذلك ، فقدم عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وكان فروة بن مسيك المرادي على ريبد لأنه وفد قبل عمرو مفارقاً للملك كندة فأسلم ونزل سعد بن عبادة وتعلم القرآن وفرائض الإسلام واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد ومذحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه في بلاده حتى كانت الوفاة .

(١) وفي نسخة ثانية : عام اليرموك .

(٢) وفي نسخة ثانية : النبي .

(٣) وفي نسخة ثانية : القرآن .

(٤) وفي نسخة ثانية : مكشوم .

وفي هذه السنة قدم وفد عبد القيس يقدمهم الجارود بن عمرو وكانوا على دين النصرانية ، فأسلموا ورجعوا إلى قومهم . ولما كانت الوفاة وارتدّ عبد القيس ونصبوا المنذر بن النعمان بن المنذر الذي يسمّى الغرور ثبت الجارود على الإسلام ، وكان له المقام المحمود وهلك قبل أن يراجعوا . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن شاوي العبدي^(١) فأسلم وحسن إسلامه ، وهلك بعد الوفاة وقبل ردة أهل البحرين والعلاء أمير عنده لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين .

وفي هذه السنة قدم وفد بني حنيفة في سنة عشر فيهم : مسيلمة بن حبيب الكذاب ، ورجال بن عنفة ، وطلق بن علي بن قيس ، وعليهم سلمان بن حنظلة ، فأسلموا وأقاموا أياماً يتعلمون القرآن من أبي بن كعب ، ورجال يتعلم ، وطلق يؤذن لهم ، ومسيلمة في الرجال ، وذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم مكانه في رحلهم فأجازه ، وقال : ليس بشركم مكاناً لحفظه رحالكم ، فقال مسيلمة عرف أن الأمر لي من بعده . ثم ادّعى مسيلمة بعد ذلك النبوة ، وشهد له طلق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشركه في الأمر فافتتن الناس به كما سند كره .

وفيها قدم وفد كندة يقدمهم الأشعث بن قيس في بضعة عشر وقيل في ستين وقيل في ثمانين ، وعليهم الديباج والحريز ، وأسلموا ونهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عنه فتركوه . وقال له أشعث نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار فضحك وقال : ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعه بن الحرث وكانا تاجرين فإذا ساحت في أرض العرب قال نحن بنو آكل المرار فيعتز بذلك لأنّ لهم عليه ولادة من الأمهات ، ثم قال لهم لا نحن بنو النضر بن كنانة فانتفوا منا ولا نتفي من أيينا^(٢) .

وقدم مع وفد كنانة^(٣) وفد حضرموت وهم بنو وليعة ، وملوكهم جمد ومخوس ومشرح وأبضعة^(٤) ، فأسلموا ودعا لمخوس بإزالة الرثة من لسانه . (وقدم وائل بن حجر) راغباً في الإسلام فدعا له ومسح رأسه ، ونودي الصلاة جامعة سروراً بقدومه ، وأمر

(١) وفي النسخة الباريية : العمري .

(٢) وفي نسخة ثانية : ولا يتتغي من الينا .

(٣) وفي نسخة ثانية : كندة .

(٤) وفي نسخة ثانية : ضمرة ومخوش ومشرح والضعة .

معاوية أن يتزله بالحرّة ، فمضى معه وكان راكباً فقال له معاوية أعطني نعلك أتوقى بها
الرمضاء ، فقال ما كنت لألبسها وقد لبستها . وفي رواية لا يبلغ أهل اليمن أن سوقه
لبس نعل ملك فقال : أردفني قال لست من أرداف الملوك ، ثم قال : إن الرمضاء
قد أحرقت قدمي قال إمش في ظل ناقتي كفاك به شرفاً . ويقال إنه وفد على معاوية
في خلافته فأكرمه وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً « بسم الله الرحمن
الرحيم هذا كتاب محمد النبي لوائل بن حجر قيل حضرموت إنك إن أسلمت لك ما
في يدك من الأرض والحصون ويؤخذ منك من كل عشر واحدة ينظر في ذلك ذو
عدل وجعلت لك ألاّ تظلم فيها معلّم ^(١) الدين . والنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون
أشهاد عليه ^(٢) » . قال عياض (وفيه) إلى الأقيال العباهلة والأوراع المشاييب ^(٣) .
(وفيه) في التبعة ^(٤) شاة لا مقورة لالياط ولا ضناك وأنطوا الثبجة وفي السيوب
الخمس ومن زنى من بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاماً ، ومن زنى من ثيب
فضرجه بالاضاميم ^(٥) ، ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر
حرام ووائل بن حجر يترقل على الأقيال .

وفيه قدم وفد محارب في عشرة نفر فأسلموا . وفيها قدم وفد الرها من مذحج في
خمسة عشر نفراً وأهدوا فرساً ، فأسلموا وتعلموا القرآن وانصرفوا ، ثم قدم نفر منهم
وحجّوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفي فأوصى لهم بمائة وسق من خير
جارية عليهم من الكتيبة وباعوها من معاوية .

وفيه قدم وفد نجران النصراني في سبعين ^(٦) راكبا يقدمهم أميرهم العاقب عبد المسيح
من كندة ، وأسقفهم أبو حارثة من بكر بن وائل ، والسيد الأيهم وجادلوا عن
دينهم ، فترل صدر سورة آل عمران وآية المباهلة فأبوا منها وفرقوا وسألوا الصلح ،
وكتب لهم به على ألف حلّة في صفر وألف في رجب وعلى دروع ورماح وخيل وحمل

(١) وفي النسخة الباريسية : مقام الدين .

(٢) وفي نسخة ثانية : والمؤمنون عليه انصار .

(٣) وفي النسخة الباريسية : والاوزاع السابقين .

(٤) وفي نسخة ثانية : وفيه في العيبة .

(٥) وفي نسخة أخرى : فضرجه بالاضاحيم .

(٦) وفي النسخة الباريسية : في ستين راكبا .

ثلاثين من كل صنف ، وطلبوا أن يبعث معهم واليا يحكم بينهم فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح ، ثم جاء العاقب والسيد وأسلما .

وفيها قدم وفد الصدف من حضرموت في بضعة عشر نفرا فأسلموا ، وعلمهم أوقات الصلاة وذلك في حجة الوداع . وفي هذه السنة قدم وفد عبس ، قال ابن الكلبي : وفد منهم رجل واحد فأسلم ورجع ومات في طريقه . وقال الطبري : وفيها وفد عدي ابن حاتم في شعبان انتهى .

وفيها قدم وفد خولان عشرة نفر فأسلموا وهدموا صنمهم ، وكان وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية قبل خير رفاة بن زيد الضبيبي من جذام وأهدى غلاما فأسلم ، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً يدعوهم إلى الإسلام فأسلموا ، ولم يلبث أن قفل دحية بن خليفة الكلبي منصوراً من عند هرقل حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ومعه تجارة ، فأغار عليه الهنيد بن عوض^(١) وقومه بنو الضليع من بطون جذام فأصابوا كل شيء معه ، وبلغ ذلك مسلمين من بني الضبيب فاستنقذوا ما أخذوه الهنيد وإبنة وردوه على دحية ، وقدم دحية على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في جيش من المسلمين فأغار عليهم بالقضاقض من حرة الرمل^(٢) ، وقتلوا الهنيد وإبنة في جماعة وكان معهم ناس من بني الضبيب فاستباحوهم معهم وقتلوهم ، فركب رفاة بن زيد ومعه أبو زيد بن عمرو من قومه في جماعة منهم فقدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه الخبر ، فقال : كيف أصنع بالقتلى ؟ فقالوا : يا رسول الله أطلق لنا من كان حياً ، فبعث معهم علي بن أبي طالب وحمله على جمل وأعطاه سيفه فلحقه بفيفاء الفحلتين وأمره برد أموالهم فردّها .

وفي هذه السنة قدم وفد عامر بن صعصعة فيهم : عامر بن الطفيل بن مالك ، وأريد ابن ربيعة بن مالك ، فقال له عامر : يا محمد اجعل لي الأمر بعدك ، قال : ليس ذلك لك ولا لقومك ، قال : اجعل لي الوبر ولك المدر ، قال : لا ولكن أجعل لك أعنة الخيل فإنك امرؤ فارس ، فقال : لأملأنها عليك خيلاً ورجلاً ثم ولوا . فقال : اللهم أكفنيهم اللهم أهد عامر أو أغن الإسلام عن عامر . وذكر ابن إسحق

(١) وفي نسخة أخرى : بن عوض .

(٢) وفي النسخة الباريسية : بالفضافض من حرة الرجل .

والطبري : أنها أرادا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقدرُوا عليه في قصة ذكرها أهل الصحيح ، ثم رجعوا إلى بلادهم فاخذهُ الطاعون في عنقه فمات في طريقه في أحياء بني سلول وأصابَتْ أخاه أربد صاعقة بعد ذلك . ثم قدم علقمة بن علاثة بن عوف وعوف^(١) بن خالد بن ربيعة وإبنة فأسلموا .

وفيهَا قدم وفد طيء في خمسة عشر نفرا يقدمهم سيدهم زيد الخيل وقبيصة بن الأسود من بني نبهان فأسلموا ، وسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير وأقطع له بئراً وأرضين معها وكتب له بذلك ومات في مرجعه .

وفي هذه السنة ادعى مسيلمة النبوة وأنه أشرك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمر ، وكتب إليه : « من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك فإني قد أشركت في الأمر معك وأن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قریش قوم لا يعدلون ، وكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » . قال الطبري : وقد قيل إن ذلك كان بعد منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع كما نذكر .

حجة الوداع

ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى حجة الوداع في خمس ليال بقين من ذي العقدة ومعه من أشرف الناس ومائة من الإبل عرياً^(٢) ، ودخل مكة يوم الأحد لأربع خلون من ذي الحجة ، ولقيه علي بن أبي طالب بصدقات نجران فحجّ معه ، وعلم صلى الله عليه وسلم الناس بمناسكهم واسترحمهم وخطب الناس بعرفة خطبته التي بين فيها ما بين ، حمد الله واثني عليه ثم قال : « أيها الناس إسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً ! أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وحرمة شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى

(١) وفي النسخة الباريسية : وهودة .

(٢) وفي نسخة ثانية : هدايا .

من ائتمنه عليها وإن كان رباً فهو موضوع ولكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون
قضى الله أنه لا ربا إن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله وأن كل دم في
الجاهلية موضوع كله وأن أول دم يوضع دم ريعة بن الحرث بن عبد المطلب وكان
مسترضعاً في بني ليث ، فقتله بنو هذيل فهو أول ما أبدأ من دم الجاهلية . أيها الناس
إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى
ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم . إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به
الذين كفروا يخلونه عاماً ويحرمونه إلى فيحلوا ما حرم الله ألا وإن الزمان قد استدار
كهيشته يوم خلق الله السموات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في
كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ثلاثة متوالية ذو القعدة وذو الحجة
والحرم ورجب الفرد الذي بين جمادى وشعبان أما بعد أيها الناس فإن لكم على
نسائكم حقاً ولهنّ عليكم حقاً لكم عليهنّ أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه وعليهنّ
أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع
وتضربوهن ضرباً غير مبرح فإن انتهين فلهنّ رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف . واستوصوا
بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان^(١) لا يملكن لأنفسهن شيئاً وإنكم إنما أخذتموهن
بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولي فإنني قد بلغت
قولي وتركت فيكم ما إن استعصمتم به فلن تصلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه أيها الناس
إسمعوا قولي واعلموا إن كل مسلم أخو المسلم وإن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من
مال أخيه إلا ما أعطاه إياه عن طيب نفس فلا تظلموا أنفسكم أأهل بلغت^(٢) .
فذكر أنهم قالوا : اللهم نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد .
وكانت هذه الحجة تسمى حجة البلاغ وحجة الوداع لأنه لم يحج بعدها وكان قد حج
قبل ذلك حجتين واعتمر مع حجة الوداع عمرة فتلک ثلاث ثم انصرف إلى المدينة في
بقية ذي الحجة من العاشرة^(٣) .

(١) وفي نسخة أخرى : عوار .

(٢) وفي نسخة أخرى : اللهم .

(٣) لم يذكر هنا حديث الغدير وقد أجمع المؤرخون وأرباب التفسير أن رسول الله ﷺ لما رجع من حجة
الوداع إلى المدينة نزل عليه الأمين جبرائيل بقوله تعالى : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك . وإن
الآية الكريمة أمرت النبي ﷺ أن ينصب علياً أميراً وخليفة للمسلمين من بعده فأمر الرسول من كان
معه من المسلمين أن يحيطوا رحلهم بغدير خم قرب الجحفة على طريق المدينة وإن يرد من تقدم منهم إلى =

العمال على النواحي

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلم باذان عامل كسرى على اليمن وأسلمت اليمن أمره على جميع مخاليفها ولم يشرك معه فيها أحداً حتى مات ، وبلغه موته وهو منصرف من حجة الوداع فقسم عمله على جماعة من أصحابه ، فولّى على صنعاء ابنه شهر^(١) بن باذان ، وعلى مأرب أبا موسى الأشعري ، وعلى الجنديعلي بن أمية ، وعلى همدان عامر بن شهر الهمداني ، وعلى عك والأشعر بين الطاهر بن أبي هالة^(٢) وعلى ما بين نجران وزمعة وزيد خالد بن سعيد بن العاص ، وعلى نجران عمرو بن حزم^(٣) ، وعلى بلاد حضرموت زياد بن لبيد^(٤) البياضي ، وعلى السكاسك والسكون عكاشة بن ثور^(٥) بن أصفر الغوثي ، وعلى معاوية بن كندة عبدالله المهاجر

= المحل الذي نزل به الرسول وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشرة من الهجرة وكان ذلك اليوم شديد الحر فكان الرجل يضع بعض رداءه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدة الحر . وقد وقف النبي في هذا اليوم بعد صلاة الظهر خطيباً بالمسلمين فقال : الحمد لله ونستعين ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا الدنية لا هادي لمن ضل ولا مضل لمن هدى واشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً عبده ورسوله . اما بعد ايها الناس قد نبأني اللطيف الخبير انه لم يعمر نبي الا مثل نصف عمر الذي قبله واني اوشك ان ادعى فأجيب واني مسؤول وانتم مسؤولون . فماذا انتم قائلون ؟ قالوا نشهد انك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً قال الستم تشهدون ان لا إله إلا الله وان محمداً عبده ورسوله ؟ قالوا بلى نشهد بذلك . ثم قال ايها الناس الا تسمعون ؟ قالوا نعم . قال فاني فرط على الحوض وانتم واردون عليه فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين فنادى مناد وما الثقلان يا رسول الله ؟ قال الثقل الاكبر كتاب الله ، طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا والآخر الاصغر عترتي وان اللطيف الخبير نبأني انها لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فسألت لها ذلك ربي فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنها فتهلكوا ثم اخذ بيد عليّ فرفعهما وعرفه القوم فقال : ايها الناس من اولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال ان الله مولاي وانا مولى المؤمنين وانا اولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم والي من والاه وعاد من عاداه وأدر الحق معه حيث دار الا فليبلغ الشاهد الغائب .

انظر كتاب البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٢٠٨ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٩٣ والفرق الاسلامية ص ٤٢ وغيرها من كتب التاريخ .

- (١) وفي نسخة اخرى : شمر
- (٢) وفي النسخة الباريسية : الطاهر بن ابي منالة
- (٣) وفي نسخة اخرى : بن حزام
- (٤) وفي النسخة الباريسية : زياد بن يزيد
- (٥) وفي النسخة الباريسية : عكاشة بن بدر

بن ابي أمية واشتكى المهاجر فلم يذهب فكان زياد بن لييد يقوم على عمله ، وبعث معاذ بن جبل معلماً لأهل اليمن وحضرموت ، وكان قبل ذلك قد بعث على الصدقات عدي بن حاتم على صدقة طيء وأسد ، ومالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة ، وقسم صدقة بني سعد بين رجلين منهم ، وبعث العلاء بن الحضرمي على البحرين وبعث علي بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم وجزياتهم ويقدم عليه بها فوافاه من حجة الوداع كما مرّ .

خبر العنسي

كان الأسود العنسي واسمه عبهلة بن كعب ولقبه ذو الخمار ، وكان كاهناً مشعوذاً يفعل الأعاجيب ويخلب بحلاوة منطقه ، وكانت داره كهف حنار^(١) بها ولد ، ونشأ وادّعى النبوة وكاتب مذحجاً عامّة فأجابوه ووعدوه^(٢) ، نجران فوثبوا بها وأخرجوا عمرو بن حزم^(٣) وخالد بن سعيد بن العاص وأقاموه في عملها ، ووثب قيس بن عبد يغوث على فروة بن مسيك وهو على مراد فأجلوه ، وسار الأسود في سبعمائة فارس إلى شهر بن باذان بصنعاء فلقية شهر بن باذان فهزمه الأسود فقتله ، وغلب على ما بين صنعاء وحضرموت إلى أعمال الطائف إلى البحرين من قبل عدن ، وجعل يطير استطارة الحريق وعامله المسلمون بالتقية ، وارتدّ كثير من أهل اليمن . وكان عمرو بن معدي كرب مع خالد بن سعيد بن العاص ، فخالفه واستجاب للأسود ، فسار إليه خالد ولقيه فاختلفا ضربتين فقطع خالد سيفه الصمصامة وأخذها ، ونزل عمرو عن فرسه وفتك في الخيل ولحق عمرو بن الأسود فولاه على مذحج وكان أمر جنده إلى قيس بن عبد يغوث المرادي ، وأمر الأبناء إلى فيروز ودادويه وتزوج امرأة شهر بن باذان واستفحل أمره .

وخرج معاذ بن جبل هارباً ومرّ بأبي موسى في مأرب فخرج معه ولحقا بحضرموت ، ونزل معاذ في السكون وأبو موسى في السكاسك ، ولحق عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بالمدينة . وأقام الطاهر بن أبي هالة ببلاد عكّ حيال^(٤) صنعاء ، فلما ملك

(١) وفي نسخة أخرى : خيار وفي النسخة الباريسية : جناز

(٢) وفي نسخة أخرى : وأوعدوا

(٣) وفي نسخة أخرى : بن حزام .

(٤) وفي نسخة أخرى : جبال صنعاء .

الأسود اليمن واستفحل استخف بقيس بن عبد يغوث وبفيروز ودادويه ، وكانت ابنة عم فيروز هي زوجة شهر بن باذان التي تزوجها الأسود بعد مقتله واسمها آزاد . وبلغ الخبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكتب مع وبر بن يحنس^(١) إلى الأبناء وأبي موسى ومعاذ الطاهر يأمرهم فيه أن يعملوا في أمر الأسود بالغيلة أو المصادمة^(٢) ويبلغ منه من يروم عنده ديناً أو نجدة ، وأقام معاذ والأبناء في ذلك فدخلوا قيس بن عبد يغوث في أمره فأجاب ، ثم داخل فيروز بنت عمه زوجة الأسود فواعدته قتله ، وكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن شهر الهمداني وبعث جرير بن عبد الله إلى ذي الكلاع وذي أمران وذي ظليم من أهل ناحيته وإلى أهل نجران من عربهم ونصاراهم واعترضوا الأسود ومشوا وتنحوا إلى مكان واحد .

وأخبر الأسود شيطانه بغدر قيس وفيروز ودادويه فعاتبهم وهمّ بهم ، ففروا إلى امرأته وواعدتهم أن ينقبوا البيت من ظهره ويدخلوا فيبيته ، ففعلوا ذلك ودخل فيروز ومعه قيس فقتل^(٣) عنقه ثم ذبحه ، فنادى بالأذان عند طلوع الفجر ونادى دادويه بشعار الإسلام ، وأقام وبر بن يحنس^(٤) الصلاة واهتاج الناس مسلمهم وكافرهم وماج بعضهم في بعض واختطف الكثير من أصحابه صبياناً من أبناء المسلمين ، وبرزوا وتركوا كثيراً من أبناءهم ثم ترأسوا في ردّ كل ما بيده وأقاموا يترددون فيما بين صنعاء ونجران ، وخلصت صنعاء والجنود ، وتراجع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أعمالهم وتنافسوا الإمارة في صنعاء ، ثم اتفقوا على معاذ فصلى بهم وكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر ، وكان قد أتى خبر الواقعة من السماء فقال في غداها : قتل العنسي البارحة قتله رجل مبارك وهو فيروز . ثم قدمت الرسل ، وقد توفي^(٥) النبي صلى الله عليه وسلم .

بعث أسامة : ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع آخر ذي الحجة ضرب على الناس في شهر المحرم بعثاً إلى الشام وأمر عليهم مولاة أسامة بن زيد

(١) وفي نسخة أخرى : بن عيس .

(٢) وفي نسخة أخرى : المصادقة .

(٣) وفي النسخة الباريية : فلك عنقه .

(٤) وفي نسخة ثانية : بن جنيس .

(٥) وفي نسخة أخرى : أسامة .

بن حارثة ، أمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء والداروم إلى الأردن من أرض فلسطين ومشارف الشام ، فتجهّز الناس وأوعب معه المهاجرون الأوّلون . فبينما الناس على ذلك ابتداء صلى الله عليه وسلم بشكواه التي قبضه الله فيها إلى كرامته ورحمته ، وتكلم المنافقون في شأن الكرامة ، وبلغ الخبر بارتداد الأسود ومسيلمة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصباً رأسه من الصداق وقال : « إني رأيت البارحة في نومي أن في عضديّ سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا فأولتهما هذين الكذابين صاحب الإمامة وصاحب اليمن وقد بلغني أن أقواماً تكلموا في إمارة أسامة إن يطعنوا في إمارته لقد طعنوا في إمارة أبيه من قبله وإن كان أبوه لحقيقاً بالأمانة وأنه لحقيق بها^(١) انفروا » . فبعث أسامة فضرب أسامة بالحرف^(٢) وتمهل ، وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفاه الله قبل توجه أسامة .

أخبار الأسود ومسيلمة وطليحة : كان النبي صلى الله عليه وسلم بعدما قضى حجة الوداع تحلّل به السير فاشتكى وطارت الأخبار ، بذلك فوثب الأسود باليمن كما مرّ ، ووثب مسيلمة بالإمامة ، ثم وثب طليحة بن خويلد في بني أسد ، يدعي كلهم النبوة . وحاربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسول والكتب إلى عماله ومن ثبت على إسلامه من قومهم أن يحدّوا في جهادهم ، فأصيب الأسود قبل وفاته بيوم ولم يشغله ما كان فيه من الوجع عن أمر الله والذبّ عن دينه ، فبعث إلى المسلمين من العرب في كل ناحية من نواحي هؤلاء الكذابين يأمرهم بجهادهم . وجاء كتاب مسيلمة إليه فأجابه كما مرّ وجاء ، ابن أخي طليحة يطلب المودة فدعا صلى الله عليه وسلم حتى كان من حكم الله فيهم بعده ما كان .

مرضه صلى الله عليه وسلم عليه : أوّل ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك أن الله نعى إليه نفسه بقوله إذا جاء نصر الله والفتح إلى آخر السورة ، ثم بدأه الوجع لليلتين بقيتا من صفر وتمادى به وجعه وهو يدور على نسائه حتى استقر به في بيت ميمونة ، فاستأذن نساءه أن يمرض في بيت عائشة فأذن له . وخرج على الناس فخطبهم وتحلّل منهم وصلى على شهداء أحد واستغفر لهم ، ثم قال لهم : إنّ عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده . وفهما أبو بكر

(١) وفي النسخة الباريسية : لخلق بها .

(٢) وفي نسخة ثانية : الحرق .

فبكى ، فقال : بل نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على رسلك يا أبا بكر ، ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فرحب بهم وعيناه تدمعان ودعا لهم كثيراً وقال : أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم وأستخلفه عليكم وأودعكم إليه إني لكم نذير وبشير ألا تعلوا على الله في بلاده وعباده فإنه قال لي ولكم : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين وقال أليس في جهنم مثوى للمتكبرين^(١) .

ثم سأله عن مغسله ، فقال : الأدنون من أهلي ، وسأله عن الكفن ، فقال : في ثيابي هذه ؟ أو ثياب مصر^(٢) أو حلة يمانية . وسأله عن الصلاة عليه ، فقال : ضعوني على سريري في بيتي على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة حتى تصلي عليّ الملائكة ثم ادخلوا فوجاً بعد فوج فصلوا وليبدأ رجال أهلي^(٣) ثم نساؤهم . وسأله عن يدخله القبر ، فقال : أهلي . ثم قال : اتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده فتنازعوا وقال بعضهم أهجر ؟ يستفهم . ثم ذهبوا يعيدون عليه ، ثم قال : دعوني فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه ، وأوصى بثلاث : أن يخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأن يحيزوا الوفد كما كان يحيزهم ، وسكت عن الثالثة أو نسيها الراوي . وأوصى بالأنصار فقال إنهم كرشي وعيالي التي أويت إليها^(٤) فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم فقد أصبحتم يا معشر المهاجرين تزيدون والأنصار لا يزيدون ، ثم قال : سدّوا هذه الأبواب في المسجد إلا باب أبي بكر فاني لا أعلم أمر أفضل يداً عندي في الصحبة من أبي بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صحبة إخوان وإيمان حتى يجمعنا الله عنده .

ثم ثقل به الوجع وأغمي عليه فاجتمع إليه نساؤه وبنوه وأهل بيته والعباس وعليّ ، ثم حضر وقت الصلاة فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فقالت عائشة : إنه رجل أسيف لا يستطيع أن يقوم مقامك ، فر عمر فامتنع عمر ، وصلى أبو بكر ، ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة فخرج فلما أحس أبو بكر تأخر فجذبه رسول

(١) وفي النسخة الباريية : للكافرين .

(٢) وفي نسخة أخرى : بياض مصر .

(٣) وفي نسخة أخرى : رجال أهل بيتي .

(٤) وفي النسخة الباريية : هم كرسي وعيني اليمنى فأكرموا كريمهم .

الله صلى الله عليه وسلم وأقامه مكانه وقرأ من حيث انتهى أبو بكر ، ثم كان أبو بكر يصلي بصلاته والناس بصلاة أبي بكر ، قيل صلوا كذلك سبع عشرة صلاة . وكان يدخل يده في القدم وهو في التزع فيمسح وجهه بالماء ويقول اللهم أعني على سكرات الموت ، فلما كان يوم الإثنين وهو يوم وفاته خرج إلى صلاة الصبح عاصباً رأسه وأبو بكر يصلي ، فنكص عن صلاته ^(١) ، وردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وصلى قاعداً عن يمينه ، ثم أقبل على الناس بعد الصلاة فوعظهم وذكرهم ، ولما فرغ من كلامه قال له أبو بكر : إني أرى أصبحت بنعمة الله وفضله كما نحب . وخرج إلى أهله في السنع .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته فاضطجع في حجرة ^(٢) عائشة ، ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر عليه وفي يده سواك أخضر ، فنظر إليه وعرفت عائشة أنه يريد أن يموت : فمضغته حتى لان وأعطيته إياه فاستنّ به ثم وضعه . ثم ثقل في حجره فذهبت أنظر في وجهه فإذا بصره قد شخص وهو يقول : « الرفيق الأعلى من الجنة » فعلمت أنه خير فاختار . وكانت تقول : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري . وذلك نصف نهار يوم الإثنين لليلتين من شهر ربيع الأول ودفن من الغد نصف النهار من يوم الثلاثاء . ونادى النعي في الناس بموته وأبو بكر غائب في أهله بالسنع ، وعمر حاضر فقام في الناس وقال : إن رجلاً من المنافقين زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأنه لم يمت وإنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى وليرجعن فيقطعن أيدي رجال وأرجلهم . وأقبل أبو بكر حين بلغه الخبر فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشف عن وجهه وقبله وقال : بأبي أنت وأمي قد ذقت الموتة التي كتب الله عليك ولن يصيبك بعدها موته أبداً . وخرج إلى عمر وهو يتكلم ، فقال : أنصت . فأبى ، وأقبل على الناس يتكلم فجاءوا إليه وتركوا عمر ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : « أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت » ثم تلا : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » الآية . فكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية في المنزل قال عمر : فما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فوقعت إلى الأرض ما تحملي رجلاي وعرفت أنه قد مات وقيل

(١) وفي النسخة الباريية : نهض عن مصلاه .

(٢) وفي النسخة الباريية : في حجر عائشة .

تلا : معها : إنك ميت وإنهم ميتون الآية .

وبينما هم كذلك إذ جاء رجل يسعى بخبر الأنصار أنهم اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة يبايعون سعد بن عبادَةَ ويقولون منا أمير ومن قريش أمير ، فانطلق أبو بكر وعمر وجماعة المهاجرين إليهم ، وأقام عليّ والعبّاس وابناه الفضل وقثم وأسامة بن زيد يتولون تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغسله عليّ مسنده إلى ظهره والعبّاس وابناه يقلبونه معه وأسامة وشقران يصبان الماء وعلي يدلك من وراء القميص^(١) لا يفضي إلى بشرته بعد أن كانوا اختلفوا في تجهيزه ثم أصابتهم سنة فخفقوا وسمعوا من وراء البيت أن اغسلوه وعليه ثيابه ففعلوا ، ثم كفنوه في ثوبين صحاريين وبرد حبرة أدرج فيهن إدراجاً ، استدعوا حفارين أحدهما يلحد والآخر يشق ، ثم بعث إليهما العبّاس رجلين وقال اللهم خر^(٢) لرسولك فجاء الذي يلحد وهو أبو طلحة زيد بن سهل كان يحفر لأهل المدينة فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما فرغوا من جهازه يوم الثلاثاء وضع على سرير بيته واختلفوا أيدفن في مسجده أو بيته فقال أبو بكر سمعته صلى الله عليه وسلم يقول ما قبض نبي إلا يدفن حيث قبض ، فرفع فراشه الذي قبض عليه وحفر له تحته ، ودخل الناس يصلون عليه أفواجا رجال ثم ، النساء ثم الصبيان ثم العبيد لا يؤم أحدهم أحداً ، ثم دفن من وسط الليل ليلة الأربعاء وعن عائشة لإثنتي عشرة ليلة من ربيع الأول فكملت سنو الهجرة عشرين كوامل ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وقيل خمس وستين سنة وقيل ستين .

خبر السقيفة

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتاع الحاضرون لفقده حتى ظن أنه لم يمّت ، واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة يبايعون سعد بن عبادَةَ وهم يرون أن الأمر لهم بما آووا ونصروا ، وبلغ الخبر إلى أبي بكر وعمر فجاءوا إليهم ومعهم أبو عبيدة ولقيهم عاصم بن عدي وعويم بن ساعدة فأرادوهم على الرجوع وخفضوا عليهم

(١) وفي النسخة الباريية : يصبان الماء على يديه من وراء القميص .

(٢) وفي نسخة ثانية : اغفر .

الشان ، فأبوا إلا أن يأتوهم فأتوهم في مكانهم ذلك فأعجلوهم عن شأنهم وغلّبوهم عليه جماعاً وموعظة . وقال أبو بكر : نحن أولياء النبي وعشيرته وأحق الناس بأمره ولا ننازع في ذلك ، وأنتم لكم حق السابقة والنصرة ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء . وقال الحباب بن المنذر^(١) بن الجموح : منا أمير ومنكم أمير وإن أبوا فأجلوهم يا معشر الأنصار عن البلاد فبأسيا فكم دان الناس لهذا الدين وإن شتم أعدناها جذعة^(٢) أنا جذيلها المحكك^(٣) وعذيقها المرجب^(٤) . وقال عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانا بكم كما تعلمون ولو كنتم الأمراء لأوصاكم بنا ، ثم وقعت ملاحاة بين عمر وابن المنذر^(٥) ، وأبو عبيدة يحفضها ويقول : اتقوا الله يا معشر الأنصار أنتم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدّل وغير .

فقام بشير بن سعد بن النعمان^(٦) بن كعب بن الخزرج فقال : ألا إن محمداً من قريش وقومه أحق وأولى ، ونحن وإن كنا أولى فضل في الجهاد وسابقة في الدين ، فما أردنا بذلك إلا رضى الله وطاعة نبيه فلا نبتغي به من الدنيا عوضاً ، ولا نستطيل به على الناس . فقال الحباب بن المنذر : نفست والله عن ابن عمك يا بشير . فقال : لا والله ولكن كرهت أن أنازع قوماً حقهم . فأشار أبو بكر إلى عمر وأبي عبيدة فامتنعا وبايعا أبا بكر وسبقها إليه بشير بن سعد ، ثم تناجى الأوس فيما بينهم وكان فيهم أسيد بن حضير أحد النقباء وكرهوا إمارة الخزرج عليهم وذهبوا إلى بيعة أبي بكر فبايعوه ، وأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر وكادوا يطأون سعد بن عبادة ، فقال ناس من أصحابه إتقوا سعداً لا تقتلوه . فقال عمر : اقتلوه قتله الله . وتماسكا فقال أبو بكر : مهلاً يا عمر الرفق هنا أبلغ . فأعرض عمر ثم طلب سعد في البيعة فأبى وأشار بشير بن سعد بتركه ، وقال : إنما هو رجل واحد ، فأقام سعد لا يجتمع معهم في الصلاة ولا يفيض معهم في الحديث^(٧) حتى هلك أبو بكر . ونقل الطبري

(١) وفي النسخة الباريية : فقال المنذر بن الحباب .

(٢) أي جديداً كما بدأ والأصح أن يقول جذعاً بدل جذعة .

(٣) الذي يستجار به ويستغنى برأيه .

(٤) أي الذكي اللبق والمرجّب المهان (قاموس)

(٥) وفي نسخة أخرى : المنذر بن الحباب .

(٦) وفي النسخة الباريية : بشير بن سعد والد النعمان من بني كعب بن الخزرج .

(٧) وفي النسخة الباريية : في الحج .

أن سعداً بايع يومئذ ، وفي أخبارهم أنه لحق بالشام فلم يزل هنالك حتى مات وأن
الجن قتلته وينشدون البيتين الشهيرين وهما
نحن قتلنا سيد الخرج سعد بن عبادة فرميناه بسهمين فلم نخطئ فؤاده

الخلافة الإسلامية

* (الخبر عن الخلافة الإسلامية في هذه الطبقة وما كان فيها من الردّة والفتوحات
وما حدث بعد ذلك من الفتن والحروب في الإسلام ثم الاتفاق والجماعة) *
ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أمر السقيفة كما قدمناه ، أجمع
المهاجرون والأنصار على بيعة أبي بكر ولم يخالف إلا سعد إن صحّ خلافه فلم يلتفت
إليه لشذوذه . وكان من أول ما اعتمده إنفاذ بعث أسامة ، وقد ارتدت^(١) العرب إمّا
القبيلة مستوعبة وإمّا بعض منها ، ونجم النفاق والمسلمون كالغنم في الليلة الممطرة
لقلّتهم وكثرة عدوّهم وإظلام الجوّ بفقد نبيّهم ، ووقف أسامة بالناس ورغب من عمر
التخلف عن هذا البعث والمقام مع أبي بكر شفقة من أن يدهمه أمر ، وقالت له
الأنصار فإن أبي إلّا المضي فليول علينا أسنّ من أسامة . فأبلغ عمر ذلك كله أبا بكر
فقام وقعد وقال : لا أترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخرج وأنفذه . ثم
خرج حتى أتاهم فأشخصهم وشيّعهم وأذن لعمر في الشخص ، وقال : أوصيكم
بعشر فاحفظوها عليّ : لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الطفل ولا
الشيخ ولا المرأة ولا تغرقوا نخلًا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة
ولا بغيراً إلّا للأكل ، وإذا مررتم بقوم فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا
أنفسهم له ، وإذا لقيتم أقواماً فحصوا أواسط رؤسهم وتركوا حولها فتل العصاب
فاضربوا بالسيف ما فحصوا عنه ، فإذا قرب عليكم الطعام فاذكروا اسم الله عليه
وكلوا ترفعوا باسم الله يا أسامة إصنع ما أمرك به نبي الله ببلاد قضاة ثم أتت آفل
ولا تقصر في شيء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ودّعه من الحرف
ورجع .

وقد كان بعث معه من القبائل من حول المدينة الذين لهم الهجرة في ديارهم وحبس
من بقي منهم فصار مسالحوهم قبائلهم ومضى أسامة مغذاً وانتهى لما أمر النبي صلى

(١) وفي نسخة ثانية : ارادت .

الله عليه وسلم وبعث الجنود في بلاد قضاة وأغار على أبنى^(١) فسبى وغنم ورجع لأربعين يوماً وقيل لسبعين ، ولم يحدث أبو بكر في مغيبه شيئاً ، وقد جاء الخبر بارتداد العرب عامة وخاصة إلا قريشاً وثقيفاً ، واستغلظ أمر مسيلمة واجتمع على طليحة عوام طيء وأسد وارتدت غطفان وتوقفت هوازن فأمسكوا الصدقة ، وارتد خواص من بني سليم وكذا سائر الناس بكل مكان . وقدمت رسل النبي صلى الله عليه وسلم من اليمن واليمامة وبني أسد ومن الأمراء من كل مكان بانتقاض العرب عامة أو خاصة ، وحاربهم بالكتب والرسل وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامة ، فعاجلته عبس وذبيان ونزلوا في الإبرق ونزل آخرون بذى القصة ومعهم حبال^(٢) من بني أسد ومن انتسب إليهم من بني كنانة ، وبعثوا وفداً إلى أبي بكر نزلوا على وجوه من الناس يطلبون الاقتصار على الصلاة دون الزكاة ، فأبى أبو بكر من ذلك ، وجعل على أنقاب المدينة علياً والزبير وطلحة وعبدالله بن مسعود ، وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد . ورجع وفد المرتدين وأخبروا قومهم بقلّة أهل المدينة فأغاروا على من كان بأنقاب المدينة ، فبعثوا إلى أبي بكر فخرج في أهل المسجد على النواضح ، فهربوا والمسلمون في أتباعهم إلى ذى خشب ، ثم نفروا إبل المسلمين بلعبات اتخذوها فنفرت ورجعت بهم وهم لا يملكونها إلى المدينة ولم يصبرهم شيء ، وظن القوم بالمسلمين الوهن فبعثوا إلى أهل ذى القصة يستقدمونهم .

ثم خرج أبو بكر في التعبئة وعلى يمينته النعمان بن مقرن وعلى يسارته عبدالله بن مقرن^(٣) ، وعلى الساقة سويد بن مقرن ، وطلع عليهم مع الفجر واقتتلوا فما ذرّ قرن الشمس إلا وقد هزموهم وغنموا ما معهم من الظهر وقتل حبال ، واتبعهم أبو بكر إلى ذى القصة فجهز بها النعمان بن مقرن في عدد ورجع إلى المدينة ، ووثب بنو ذبيان وعبس على من كان فيهم من المسلمين فقتلوهم وفعل ذلك غيرهم من المرتدين ، وحلف أبو بكر ليقتلن من المشركين مثل من قتلوه من المسلمين وزيادة . واعتز المسلمون بوقعة أبي بكر وطرقت المدينة صدقات . وقدم أسامة فاستخلفه أبو بكر على المدينة ، وخرج في نفر إلى ذى خشب^(٤) وإلى ذى القصة ثم سار حتى نزل على أهل

(١) قوله أبنى بضم الهمزة : موضع بناحية البلقاء اهـ .

(٢) وفي نسخة ثانية خبال .

(٣) وفي النسخة الباريسية : معرور .

(٤) وفي النسخة الباريسية : ذى حسا .

الربذة بالأبرق وبها عبس وذبيان وبنو بكر من كنانة وثعلبة بن سعد ومن يليهم من مرة ، فاقتتلوا وانهزم القوم ، وأقام أبو بكر على الأبرق ، وحرم تلك البلاد على بني ذبيان ثم رجع إلى المدينة .

ردّة اليمن : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى مكة وبني كنانة عتاب بن أسيد ، وعلى الطائف وأرضها عثمان بن أبي العاص على المدر ، ومالك بن عوف على الوبر ، وعلى عجز هوازن عكرمة بن أبي جهل ، وعلى نجران وأرضها عمرو بن حزم على الصلاة ، وأبوسفيان بن حرب على الصدقات ، وعلى ما بين زمع وزبيد إلى نجران خالد بن سعيد بن العاص ، وعلى همدان كلها عامر بن شهر الهمداني ، وعلى صنعاء فيروز الديلمي ومسانده دادويه وقيس بن مكشوح المرادي رجعوا إليها بعد قتل الأسود ، وعلى الجنديعلي بن أمية ، وعلى مأرب أبو موسى الأشعري ، وعلى الأشعرين وعك الطاهر بن أبي هالة ، وعلى حضرموت زياد بن لييد البياضي وعكاشة بن ثور بن أصفر الغوثي ، وعلى كندة المهاجر بن أبي أمية ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب عليه في غزوة تبوك فاسترضته له أم سلمة وولاه على كندة ، ومرض فلم يصل إليها ، وأقام زياد بن لييد ينوب عنه . وكان معاذ بن جبل يعلم القرآن باليمن يتنقل على هؤلاء وعلى هؤلاء في أعمالهم .

وثار الأسود في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاربه بالرسل وبالكتب فقتله الله وعاد الإسلام في اليمن كما كان ، فلما بلغهم الموت انتقضت اليمن وارتد أهلها في جميع النواحي وكانت الفالة من جند العنسي بين نجران وصنعاء لا يأوون إلى أحد ، ورجع عمرو بن حزم إلى المدينة واتبعه خالد بن سعيد ، وكان عمرو بن معد يكرب بالجبال حيال فروة بن مسيك وابن مكشوح وتحيل في قتل الأبناء فيروز ودادويه وخشنش والاستبداد بصنعاء ، وبعث إلى الفالة من جيش الأسود يغريهم بالأبناء ويعددهم المظاهرة عليهم فجاءوا إليه ، وخشي الأبناء غائلتهم وفرعوا إليه فأظهر لهم المناصحة ، وهياً طعاماً فجمعهم له ليغدر بهم فظفر بدادويه وهرب فيروز وخشنش وخرج قيس في أثرهما ، فامتنعا بخولان أخوال فيروز وثار قيس بصنعاء وجبى ما حولها ، وجمع الفالة من جنود الأسود إليه . وكتب فيروز إلى أبي بكر بالخبر ، فكتب له بولاية صنعاء ، وكتب إلى الطاهر بن أبي هالة بإعائه ، وإلى عكاشة بن ثور بأن يجمع أهل

تهامة ويقيم بمكانه ، وكتب إلى ذي الكلاع سميفع^(١) وذي ظليم حوشب وذي تبان شهر بإعانة الأبناء وطاعة فيروز وأن الجند يأتيهم . وأرسل إليهم قيس بن مكشوح يغريهم بالأبناء ، فاعتزل الفريقان واتبعت عوامهم قيس بن مكشوح في شأنه ، وعمد قيس إلى عيلات الأبناء الذين مع فيروز فغريهم وأخرجهم من اليمن في البر والبحر وعرضهم للنهي ، فأرسل فيروز إلى بني عقيل بن ربيعة وإلى عك يستصرخهم ، فاعترضوا عيال فيروز والأبناء الذين معه فاستنقذوهم وقتلوا من كان معه ، وجاؤا إلى فيروز فقاتلوا معه قيس بن مكشوح دون صنعاء فهزموه ، ورجع إلى المكان الذي كان به مع فالة الأسود العنسي .

وانضاف قيس إلى عمرو بن معد يكرب وهو مرتد منذ تنبأ الأسود العنسي ، وقام حيال فروة بن مسيك ، وقد كان فروة وعمرو أسلماً وكذلك قيس ، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم قيساً على صدقات مراد ، وكان عمرو قد فارق قومه سعد العشيرة مع بني زبيد وأحلافها وانحاز إليهم فأسلم معهم وكان فيهم فلما انتقض الأسود ، واتبعه عوام مذحج كان عمرو فيمن اتبعه ، وأقام فروة فيمن معه على الإسلام فولى الأسود عمراً وجعله بجياله .

وكانت كندة قد ارتدوا وتابعوا الأسود العنسي بسبب ما وقع بينهم وبين زياد الكندي في أمر فريضة من فرائض الصدقة أطلقها بعض بني عمرو بن معاوية بعد أن وقع عليها ميسم الصدقة غلطاً ، فقاتلهم زياد وهزمهم ، فاتفق بنو معاوية على منع الصدقة والردة إلا شراحيل بن السمط وابنه ، وأشير على زياد بمعاجلتهم قبل أن ينضم إليهم بعض السكاسك وحضرموت وأبضعه وجمد ومشرح ومخوس وأختهم العمرة ، وهرب الباقيون ورجع زياد بالسبي والغنائم ، ومرّ بالأشعث بن قيس وبني الحرث بن معاوية واستغاث نساء السبي فغار الأشعث وتنقذهم ، ثم جمع بني معاوية كلهم ومن أطاعه من السكاسك وحضرموت وأقام على ردة .

وكان أبو بكر قد حارب أهل الردة أولاً بالكتب والرسل ولم يرسل إلى من ارتد وابتدأ بالمهاجرين والأنصار ، ثم استنفر كلاً على من يليه حتى فرغ من آخر أمور الناس لا يستعين بمرتد ، وكتب إلى عتاب بن أسيد بمكة وعثمان بن أبي العاص بالطائف بركوب من ارتد بمن لم يرتد وثبت على الإسلام من أهل عملها . وقد كان اجتمع

(١) وفي نسخة ثانية : سميفع .

بتهمة أوشاب^(١) من مدلج وخزاعة ، فبعث عتاب إليهم ففرقهم وقتلهم . واجتمع بشنوءة جمع من الأزد وخشم وبجيلة فبعث إليهم عثمان بن أبي العاص من فرقهم وقتلهم . واجتمع بطريق الساحل من تهامة جموع من عك والأشعرين فسار إليهم الطاهر بن أبي هالة ومعه مسروق العكي فهزموهم وقتلوهم ، وأقام بالأجناد ينتظر أمر أبي بكر ومعه مسروق العكي . وبعث أهل نجران من بني الأفعى الذين كانوا بها قبل بني الحرث وهم في أربعين ألف مقاتل ، وجاء وفداهم يطلبون إمضاء العهد الذي بأيديهم من النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمضاه أبو بكر إلا ما نسخه الوحي بأن لا يترك دينان بأرض العرب .

ورجعت رسل النبي صلى الله عليه وسلم الذين كان بعثهم عند انتقاض الأسود العنسي وهم : جرير بن عبد الله والأقرع ووبر بن يحنس^(٢) فرد أبو بكر جريراً ، ليستنفر من ثبت على الإسلام على من ارتد ويقا تل خشم الذين غضبوا لهدم ذي الحليفة فيقتلهم ويقيم بنجران ، فنفذ ما أمره به ولم يمر به أحد إلا رجال قليل تتبعهم بالقتل ، وسار إلى نجران وكتب أبو بكر إلى عثمان بن أبي العاص أن يضرب البعوث على مخالفين أهل الطائف ، فضرب على كل مخالف عشرين وأمر عليهم أخاه ، كتب إلى عتاب بن أسيد أن يضرب على مكة وعملها خمسمائة بعث وأمر عليهم أخاه خالداً وأقاموا ينتظرون ، ثم أمر المهاجر بن أبي أمية بأن يسير إلى اليمن ليصلح من أمره ثم ينفذ إلى عمله وأمره بقتال من بين نجران وأقصى اليمن ففعل ذلك . ومر بمكة والطائف فسار معهم خالد بن أسيد وعبد الرحمن بن أبي العاص بمن معها ، ومر بجرير بن عبد الله وعكاشة بن ثور فضمهما إليه ، ثم مر بنجران وانضم إليه فروة بن مسيك ، وجاءه عمرو بن معد يكرب وقيس بن مكشوح فأوثقها وبعث بها إلى أبي بكر ، وسار إلى لقائه فاتبعهم بالقتل ولم يؤمنهم فقتلوا بكل سبيل . وحضر قيس عند أبي بكر فحظر قتل دادويه ولم يجد أمراً جلياً في أمره ، وتاب عمرو بن معد يكرب واستقال فاقالها وردّها .

وسار المهاجر حتى نزل صنعاء وتبع شذاذ القبائل فقتل من قدر عليه وقبل توبة من رجع إليه وكتب إلى أبي بكر بدخوله صنعاء ، فجاءه الجواب بأن يسير إلى كندة

(١) وفي نسخة ثانية : وشباب .

(٢) وفي نسخة ثانية : بن يحنس .

مع عكرمة بن ابي جهل وقد جاءه من ناحية عمان ومعه خلق كثير من مهرة والأزد وناجية وعبد القيس وقوم من مالك بن كنانة وبني العنبر ، وقدم أبين وأقام بها لاجتماع النخع وحمير ثم سار مع المهاجر إلى كندة ، وكتب زياد إلى المهاجر يستحثه فلقية الكتاب بالمفازة بين مأرب وحضرموت ، فاستخلف عكرمة على الناس وتعجل إلى زياد ونهدهوا إلى كندة وعليهم الأشعث بن قيس فهزموهم وقتلوهم وقرؤا إلى النجير حصن لهم فتحصنوا فيه مع من استغفوه من السكاسك وشذاذ السكون^(١) وحضرموت وسدّوا عليهم الطريق إلا واحدة جاء عكرمة بعدهم فسدّها وقطعوا عنهم المدد ، وخرجوا مستميتين في بعض الأيام فغلبوهم وأخرجوهم . واستأمن الأشعث إلى عكرمة بما كانت أسماء بنت النعمان بن الجون تحته فخرج إليه ، وجاء به إلى المهاجر وأمنه في أهله وماله وتسعة من قومه على أن يفتح لهم الباب ، فافتحهم المسلمون وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية فكان في السبي ألف امرأة ، فلما فرغ من النجير دعا بكتاب الأمان من الأشعث وإذا هو قد كتب غرض نفسه في التسعة رجال من أصحابه ، فأوثقه كتافاً وبعث به إلى أبي بكر ينظر في أمره ، فقدم مع السبايا والأسرى ، فقال له أبو بكر : أقتلك . قال إني راودت القوم على عشرة وأتيناهم بالكتاب محتومة ، فقال أبو بكر : إنما الصلح على من كان في الصحيفة وأما غير ذلك فهو مردود^(٢) . فقال يا أبا بكر : احتسب فيّ وأقلمي واقبل إسلامي وردّ عليّ زوجتي ، وقد كان تزوج أم فروة أخت أبي بكر حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرها إلى أن يرجع ، فأطلقه أبو بكر وقبل إسلامه وردّ عليه زوجته وقال ليبلغني عنك خير ، ثم خلّى عن القوم فذهبوا وقسم الأنفال .

بعث الجيوش للمرتدين

لما قدم أسامة بيعث الشام على أبي بكر استخلفه على المدينة ومضى إلى الربذة فهزم بني عبس وذبيان وكنانة بالأبرق ورجع إلى المدينة كما قدّمناه ، حتى إذا استجم جند أسامة وتاب من حوالي المدينة خرج إلى ذي القصة على بريد من تلقاء نجد ، فعقد فيها أحد عشر لواءً على أحد عشر جنداً لقتال أهل الردّة ، وأمر كل واحد باستنفار

(١) وفي النسخة الباريسية : وشذاذ الكون .

(٢) وفي النسخة الباريسية : وأما قبل ذلك فهو مراودة .

من يليه من المسلمين من كل قبيلة ، وترك بعضها لحماية البلاد . فعقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة وبعده لمالك بن نويرة بالبطاح ، ولعكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيلمة واليمامة ثم اردفه بشرحبيل بن حسنة وقال له : إذا فرغت من اليمامة فسر إلى قتال قضاة ثم تمضي إلى كندة بحضرموت ، ولخالد بن سعيد بن العاص وقد كان قدم بعد الوفاة الى المدينة من اليمن وترك أعماله فبعثه إلى مشارف الشام ، ولعمرو بن العاص إلى قتال المرتدة من قضاة ، ولحذيفة بن محصن وعرفجة بن هرثمة فحذيفة لأهل دبا وعرفجة لمهرة وكل واحد منهما أمير في عمله على صاحبه ، ولطريفة بن حاجر وبعثه إلى بني سليم ومن معهم من هوازن ، ولسويد بن مقرن وبعثه إلى تهامة اليمن ، وللعلاء بن الحضرمي وبعثه إلى البحرين .

وكتب إلى الأمراء عهودهم بنص واحد : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام وعهد اليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره بالحد في أمر الله ومحاهدة من تولى عنه ورجع عن الاسلام إلى أمانى الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بدعاية الإسلام فإن أجابوه أمسك عنهم وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقرّوا له ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم لا ينظرهم ولا يردّ المسلمين عن قتال عدوّهم . فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقرّ له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف . وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسّر به ، ومن لم يجب إلى داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمة لا يقبل الله من أحد شيئاً مما أعطى إلاّ الإسلام فمن أجابه وأقرّ قبل منه وأعانه ، ومن أبى قاتله فإن أظهره الله عليه عز وجل قتلهم فيه كل قتلة بالسلاح والنيران . ثم قسم ما أفاء الله عليه إلا الخمس فانه يبلغناه ويمنع أصحابه العجلة والفساد وأن يدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم لئلا يكونوا عيوناً ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم ، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمترل ويتفقدهم ولا يعجل عن بعض ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول » انتهى .

وكتب إلى كل من بعث إليه الجنود من المرتدة كتاباً واحداً في نسخ كثيرة على يد رسل تقدّموا بين أيديهم نصه بعد البسملة : « هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى

الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة أو خاصة أقام على الإسلام أو رجع عنه ، سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع إلى الضلالة والهوى ، ^(١) فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأومن بما جاء به وأكفر من أبي وأجاهده أما بعد . ثم قرّر أمر النبوة ووفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطنب في الموعظة ثم قال : « إني بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته ألا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحاً قبل منه وأعانه ، ومن أبى أمرته أن يقاتله على ذلك ثم لا يبيح على أحد منهم قدر عليه فمن اتبعه فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله ، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم والداعية للأذان فإذا أذن المسلمون فأذنوا كفّوا عنهم وإن لم يؤذنوا فاسألوهم بما عليهم فإن أبو عاجلوهم وإن أقرّوا قبل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم » انتهى . فنفذت الرسل بالكتب أمام الجنود وخرجت الأمراء ومعهم العهود وكان أول ما بدأ به خالد طليحة وبني أسد .

خبر طليحة

كان طليحة قد ارتدّ في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان كاهناً فادّعى النبوة واتبعه أفريق من بني إسرائيل ^(٢) ونزل سميراً ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزور إلى قتاله مع جماعة ، فاجتمع عليهم المسلمون وهم ضرار بمنجزته ، فأتى الخبر بموت النبي صلى الله عليه وسلم فاستطار أمر طليحة واجتمعت إليه غطفان وهوازن وطيء ، وفرّ ضرار ومن معه من العمال إلى المدينة وقدمت وفودهم على أبي بكر في المواعدة على ترك الزكاة فأبى من ذلك ، وخرج كما قدّمناه إلى غطفان وأوقع بهم بذي القصة فانضموا بعد الهزيمة إلى طليحة وبني أسد ببزاة وكذلك فعلت طيء وأقامت بنو عامر وهوازن ينتظرون .

وجمل ^(٣) خالد إلى طليحة ومعه عيينة بن حصن على بزاة من مياه بني أسد وأظهر أنه

(١) وفي نسخة البارسية : والعمي .

(٢) وفي نسخة البارسية : بني أسد .

(٣) وفي نسخة ثانية : صمد .

يقصد خير ثم يتزل إلى سلمى وأجأ فيبدأ بطيء . وكان عدي بن حاتم قد خرج معه في الجيش فقال له : أنا أجمع لك قبائل طيء يصحبونك إلى عدوك . وسار إليهم فجاء بهم وبعث خالد عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم من الأنصار طليعة ولقيهما طليحة وأخوه فقتلتهما ومّر بهما المسلمون فعظم عليهم قتلها . ثم عبى خالد كتائبه وثابت بن قيس على الأنصار وعدي بن حاتم على طيء ولقي القوم فقاتلهم ، وعيينة بن حصن مع طليحة في سبعمائة من غطفان ، واشتدّ الجحاح بينهم وطليحة في عباءة يتكذب لهم في انتظار الوحي ، فجاء عيينة بعدما ضجر من القتال ^(١) وقال : هل جاءك أحد بعد ؟ قال : لا ثم راجعه ثانية ثم ثالثة فقال : جاء . وقال إن لك رحي كرحاه ، وحديثاً لا تنساه . فقال عيينة : يا بني فزارة الرجل كذاب ، وانصرف فانهزموا وقتل من قتل وأسلم الناس طليحة فوثب على فرسه واحتقب امرأته فنجا بها إلى الشام ، ونزل في كلب ^(٢) من قضاة على النقع حتى أسلمت أسد وغطفان ، فأسلم ثم خرج معتمراً أيام عمر ولقيه بالمدينة فبايعه وبعثه في عساكر الشام ، فأبلى في الفتح ، ولم يصب عيالات بني أسد في واقعة بزاخة شيء لأنهم كانوا أخرجوهم في الحصون عند واسط وأسلموا خشية على ذراريهم .

خبر هوازن وسليم وبني عامر

كان بنو عامر ينتظرون أمر طليحة وما تصنع أسد وغطفان حتى أحيط بهم وكان قرّة ابن هبيرة في كعب وعلقمة بن علاثة ^(٣) في كلاب وكان علقمة قد ارتد بعد فتح الطائف ، ولما قبض النبي صلى الله عليه وسلم رجع إلى قومه ، وبلغ أبا بكر خبره فبعث إليه سرية مع القعقاع ابن عمرو ومن بني تميم فأغار عليهم ، فأفلت وجاء بأهله وولده وقومه فأسلموا . وكان قرّة بن هبيرة قد لقي عمرو بن العاصي منصرفه من عمان بعد الوفاة وأضافه وقال له : اتركوا الزكاة فإن العرب لا تدين لكم بالأتاوة ، فغضب لها عمرو وأسمعه وأبلغها أبا بكر ، فلما أوقع خالد ببني أسد وغطفان وكانت هوازن وسليم وعامر ينتظرون أمرهم فجاءوا إلى خالد وأسلموا وقبل منهم الإسلام ، إلا من

(١) وفي النسخة الباريسية : عندما ظهر القتال .

(٢) أي نزل عند بني كلب .

(٣) وفي نسخة ثانية : بن علاقة .

عدا على أحد من المسلمين أيام الردّة فانه تتبعهم فأحرق وقط^(١) ورضخ بالحجارة ورمى من رؤس الجبال ، ولما فرغ من أمر بني عامر أوثق عيسه بن حصن وقرّة بن هبيرة وبعث بهما إلى أبي بكر فتجاوز لهما وحقن دماءهما .

ثم اجتمعت قبائل غطفان إلى سلمى بنت مالك بن حذيفة من بدر بن ظفر في الحوآب فترلوا إليها وتذا مروا ، وكانت سلمى هذه قد سبيت قبل وأعتقتها عائشة وقال لها النبي صلى الله عليه وسلم يوما وقد دخل عليها وهي في نسوة بيت عائشة فقال : إن احدا كن تستنبح كلاب الحوآب ، وفعلت ذلك واجتمع إليها الفلال من غطفان وهوازن وسليم وطيء وأسد ، وبلغ ذلك خالداً وهو يتبع الثأر ويأخذ الصدقات ، فسار إليهم وقاتلهم وسلمى واقفة على جملها حتى عقر وقتلت وقتل حول هودجها مائة رجل ، فانهزموا وبعث خالد بالفتح على أثره بعده بعشرين ليلة .

وأما بنو سليم فكان الفجاءة بن عبدياليل قدم على أبي بكر يستعينه مدعياً إسلامه ويضمن له قتال أهل الردّة فأعطاه وأمره ، وخرج إلى الجحون وارتد وبعث نجية بن أبي المثني من بني الشريد ، وأمره بشن الغارة على المسلمين في سليم وهوازن . فبعث أبو بكر إلى طريفة بن حاجر قائده على جرهم وأعانه بعبدالله بن قيس الحاسبي فنهضا إليه ولقياه ، فقتل نجية وهرب الفجاءة فلحقه طريفة فأسبره وجاء به إلى أبي بكر فأوقد له في مصلى المدينة خطباً ثم رمى به في النار مقموطاً ، وقاءت بنو سليم كلهم وفاء معهم أبو شجرة بن عبد العزى أبو الخنساء وكان فيمن ارتد .

خبر بني تميم وسجاح

قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعماله في بني تميم الزبرقان بن بدر على الرباب وعوف والأبناء وقيس بن عاصم على المقاعس والبطون وصفوان بن صفوان وسبرة بن عمرو على بني عمرو ووكيع بن مالك على بني مالك ومالك بن نويرة على حنظلة^(٢) ، فجاء صفوان إلى أبي بكر حين بلغته الوفاة بصدقات بني عمرو ، وجاء الزبرقان بصدقات أصحابه ، وخالفه قيس بن عاصم في المقاعس والبطون لأنه كان ينتظره ، وبقي من أسلم منهم متشاغلاً بمن تربص أو ارتاب . وبينما هم على ذلك فجثتهم

(١) وفي نسخة ثانية : وقط .

(٢) وفي نسخة ثانية : على بني حنظلة .

سجاح^(١) بنت الحارث بن سويد من بني عقفان أحد بطون تغلب وكانت تنبأت نبأ الوفاة ، واتبعها الهذيل بن عمران في بني تغلب وعقبة بن هلال في النمر والسليل بن قيس في شيبان وزياذ بن بلال وكان الهذيل نصرانياً فترك دينه إلى دينها ، وأقبلت من الجزيرة في هذه الجموع قاصدة المدينة لتغزو أبا بكر والمسلمين ، وانتهت إلى الحرف^(٢) فدهم بني تميم أمر عظيم لما كانوا عليه من اختلاف الكلمة ، فوادعها مالك بن نيرة وثناها عن الغزو وحرّضها^(٣) على بني تميم ففرّوا أمامها ، ورجع إليها وكيع بن مالك واجتمعت الرباب وضبة فهزموا أصحاب سجاح وأسروا منهم ، ثم اصطلحوا .

وسارت سجاح فيمن معها تريد المدينة فبلغت النباذ فاعترضهم بنو الهجيم^(٤) فيمن تأشب^(٥) إليهم من بني عمرو وأغاروا عليهم فأسر الهذيل وعقبة ، ثم تحاجزوا على أن تطلق أسراهم ويرجعوا ولا يحتازوا عليهم ، ورجع عن سجاح مالك بن نيرة وكيع بن مالك إلى قومهم ويشت سجاح وأصحابها من الجواز عليهم ، ونهدت إلى بني حنيفة وسار معها من تميم الزبرقان بن بدر^(٦) وعطارد بن حاجب وعمرو بن الأهم وغيلان بن حريث^(٧) وشبث بن ربعي ونظراؤهم ، وصانعها مسيلمة بما كان فيه من مزاحمة ثمامة بن أثال له في الإمامة . وزحف شرحبيل بن حسنة والمسلمون إليه فاهدى لها واستأمنها وكانت نصرانية أخذت الدين من نصارى تغلب ، فقال لها مسيلمة : نصف الأرض لنا ونصف الأرض لقريش لكنهم لم يعدلوا فقد جعلت نصفهم لك . ويقال إنها جاءت إليه واستأمنته وخرج إليها من الحصن إلى قبة ضربت لها بعد أن جمرها^(٨) فدخل إليها وتحرك الحرس حوالي القبة فسجع لها وسجعت له من أسجاع القرية ، فشهدت له بالنبوة وخطبها لنفسه فتزوجته وأقامت عنده ثلاثاً ورجعت إلى

(١) وفي النسخة الباريسية : سجاح .

(٢) وفي نسخة ثانية : الحرف .

(٣) وفي النسخة الباريسية : فحملها على بني تميم .

(٤) وفي نسخة ثانية : النجيم .

(٥) تأشب القوم : اختلطوا (قاموس) .

(٦) وفي النسخة الباريسية : بن زيد .

(٧) وفي النسخة الباريسية : بن حرسه .

(٨) أي نجرها وطبها وفي النسخة الباريسية خمرها .

قومها ، فعذلوها في الترويح على غير صداق فرجعت إليه فقال لها : ناد في أصحابك إني وضعت عنهم صلاة الفجر والعتمة مما فرض عليهم محمد ، وصالحته على أن يحمل لها النصف من غلات اليمامة فأخذته وسألت أن يسلفها النصف للعام القابل ، ودفعت الهذيل وعقبة لقضبه فهم على ذلك ، وإذا بخالد بن الوليد وعساكره قد أقبلوا فانقضت جموعهم وافترقوا ، ولحقت سجاح بالجزيرة فلم تزل في بني تغلب حتى نقل معاوية عام الجماعة بني عقفان عشيرتها إلى الكوفة ، وأسلمت حينئذ سجاح وحسن إسلامها . ولما افترق وفد الزبرقان والأقرع على أبي بكر وقالوا : إجعل لنا خراج البحرين ونحن نضمن لك أمرها ففعل وكتب لهم بذلك ، وكان طلحة بن عبيدالله يتردد بينهم في ذلك ، فجاء إلى عمر ليشهد في الكتاب فزقه ومحاه وغضب طلحة ، وقال لأبي بكر رضي الله عنه : أنت الأمير أم عمر رضي الله عنه ؟ فقال : عمر غير أن الطاعة لي . وشهد الأقرع والزبرقان مع خالد اليمامة والمشاهد كلها . ثم مضى الأقرع مع شرحبيل إلى دومة .

البطاح ومالك بن نيرة

لما انضرفت سجاح إلى الجزيرة وراجع بنو تميم الإسلام أقام مالك بن نيرة متحيراً في أمره واجتمع إليه من تميم بنو حنظلة واجتمعوا بالبطاح ، فسار إليهم خالد بعد أن تقاعد عنه الأنصار يسألونه انتظار أبي بكر ، فأبى إلا انتهاز الفرصة من هؤلاء ، فرجعوا إلى اتباعه ولحقوا به . وكان مالك بن نيرة لما تردد في أمره فرق بني حنظلة في أموالهم ونهاهم عن القتال ورجع إلى منزله ، ولما قدم خالد بعث السرايا يدعون إلى الاسلام ويأتون بمن لم يجب أن يقتلوه ، فجاءوا بمالك بن نيرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع واختلفت السرية فيهم ، فشهد أبو قتادة أنهم أذنوا وصلّوا فحبسهم عند ضرار بن الأزور وكانت ليلة ممطرة فنادى مناديه أن أدفثوا أسراكم وكانت في لغة كنانة كناية^(١) عن القتل فبادر ضرار بقتلهم وكان كنانياً . وسمع خالد الواقعة فخرج متأسفاً وقد فرغوا منهم ، وأنكر عليه أبو قتادة فزجره خالد ، فغضب ولحق بأبي بكر ويقال : إنهم لما جاءوا بهم إلى خالد خاطبه مالك بقوله : فعل صاحبكم شأن

(١) وفي نسخة أخرى : وكانت في لغته كناية .

صاحبكم فقال له خالد : أوليس لك بصاحب ؟ ثم قتله ^(١) وأصحابه كلهم ثم قدم خالد على أبي بكر وأشار عمر أن يقيد منه بمالك بن نويرة أو يعزله فأبى ، وقال : ما كنت أشيم سيفاً لله على الكافرين ، وودى مالكا وأصحابه ورد خالد إلى عمله .

خبر مسيلمة واليمامة

لما بعث أبو بكر عكرمة بن أبي جهل إلى مسيلمة وأتبعه شرحبيل استعجل عكرمة فانهزم وكتب إلى أبي بكر بالخبر ، فكتب إليه لا ترجع فتوهن الناس وامض إلى حذيفة وعرفجة فقاتلوا مهرة وأهل عمان فإذا فرغتم فامض أنت وجنودك واستنفروا من مررتهم عليه حتى تلقوا المهاجر بن أبي أمية باليمن وحضرموت ، وكتب إلى شرحبيل يمضي إلى خالد فإذا فرغتم فامض أنت إلى قضاة فكن مع عمرو بن العاص على من ارتد منهم . ولما فرغ خالد من البطاح ورضي عنه أبو بكر بعثه نحو مسيلمة وأوعب معه الناس ، وعلى المهاجرين أبو حذيفة وزيد وعلى الأنصار ثابت بن قيس والبراء بن عازب ، وتعجل خالد إلى البطاح وانتظر البعوث حتى قدمت عليه ، فنهض إلى اليمامة وبنو حنيفة يومئذ كثير يقال أربعون ألف مقاتل متفرقين في قراها وحجرها ، وتعجل شرحبيل كما فعل عكرمة بقتال مسيلمة فنكب وجاء خالد فلامه على ذلك . ثم جاء خليط من عند أبي بكر مدداً لخالد ليكون رداءً له من خلفه ففرت جموع كانت تجمعت هنالك من فلال سجاح ، وكان مسيلمة قد جعل لها جعلاً .

وكان الرجال ^(٢) بن عنفوة من أشراف بني حنيفة شهد لمسيلمة بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشركه معه في الأمر لأن الرجال ، كان قد هاجر وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ القرآن وتفقه في الدين فلما ارتد مسيلمة بعثه النبي صلى الله عليه وسلم معلماً لأهل اليمامة ومشغباً على مسيلمة فكان أعظم فتنة على بني حنيفة

(١) رثاه أخوه بقصيدة من أشجا الشعر وأحزنه . منها :

لقد لامني عند القبور على البكا
وقال ابكي كل قبر رأيتنه
فقلت له : إن الشجا يبعث الشجا
رفيقي لتندراف السدموع السوافك
لقبر ثوى بين اللوى ، فالدكادك ؟
فدعني فهذا كله قبر مالك .

(٢) الرجال بوزن شداد بالجم ، قال في القاموس : ووهم من ضبطه بالحاء . واسمه على ما في البداية : نهار اقاله نصر) وفي النسخة الباريسية الرجال

منه . واتبع مسيلمة على شأنه وشهد له وكان يؤذن لمسيلمة ويشهد له بالرسالة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، فعظم شأنه فيهم وكان مسيلمة ينتهي إلى أمره ، وكان مسيلمة يسجع لهم بأسجاع كثيرة يزعم أنها قرآن يأتيه ، ويأتي بمخارق يزعم أنها معجزات فيقع منها ضد المقصود .

ولما بلغ مسيلمة وبني حنيفة دنو خالد ، خرجوا وعسكروا في منتهى ريف اليمامة ^(١) واستنفروا الناس فنفروا إليهم ، وأقبل خالد ولقيه شرحبيل بن حسنة فجعله على مقدمته ، حتى إذا كان على ليلة من القوم هجموا على جماعة في سرية أربعين أو ستين راجعين من بلاد بني عامر وبني تميم يثأرون فيهم فوجدوهم دون ثنية اليمامة فقتلوهم أجمعين ، وقيل له استبق جماعة بن مرارة إن كنت تريد اليمامة فاستبق .

ثم سار خالد ونازل بني حنيفة ومسيلمة والرجال على مقدمة مسيلمة واشتدت الحرب وانكشف المسلمون حتى دخل بنو حنيفة خباء خالد ، وجماعة بها أسير مع أم متمم ^(٢) زوجة خالد ، فدافعهم عنها جماعة وقال : نعمت الحرة . ثم تراجع المسلمون وكروا على بني حنيفة فقال المحكم بن الطفيل : ادخلوا الحديقة يا بني حنيفة فاني أ منع أديباركم ، فقاتل ساعة ثم قتله عبد الرحمن بن أبي بكر ، ثم تذامر المسلمون وقاتل ثابت بن قيس فقتل ثم زيد بن الخطاب ثم أبو حذيفة ثم سالم مولاه ثم البراء اخو أنس بن مالك وكان تأخذه عند الحرب رعدة حتى ينتفض ويقعد عليه الرجال حتى يبول ، ثم يثور كالأسد فقاتل وفعل الأفاعيل . ثم هزم الله العدو وألجأهم المسلمون إلى الحديقة وفيها مسيلمة فقال البراء ألقوني عليهم من أعلى الجدار فاقترحم ، وقاتلهم على باب الحديقة ودخل المسلمون عليهم ، فقتل مسيلمة وهو مزبد متساند لا يعقل من الغيظ ، وكان زيد بن الخطاب قتل الرجال بن عنفة . وكان خالد لما نازل بني حنيفة ومسيلمة ودارت الرحى عليه طلب البراز فقتل جماعة ، ثم دعا مسيلمة للبراز والكلام محادثة يحاول فيه غرة وشيطانه يوسوس إليه ، ثم ركب خالد فأرهقه وأدبروا وزالوا عن مراكزهم وركبهم المسلمون فانهزم ^(٣) . وتطاير الناس عن مسيلمة بعد أن

(١) وفي نسخة أخرى : ريف اليمن .

(٢) وفي رواية : غير أم تميم ، وفي النسخة الباريسية مع أم اميم .

(٣) اي فانهزم اصحاب مسيلمة .

قالوا له أين ما كنت تعدنا ؟ فقال : قاتلوا على أحسابكم . وأتاه وحشي فرماه بحرسته فقتل .

واقترح الناس عليه حديقة الموت من حيطانها وأبوابها فقتل فيها سبعة عشر ألف مقاتل من بني حنيفة ، وجاء خالد بمجاعة ووقفه على القتلى ليريه مسيلمة فرّ بمحكم فقال : هوذا ؟ فقال مجاعة : هذا والله خير منه ، ثم أراه مسيلمة رويحل دميم أخينس ، فقال خالد : هذا الذي فعل فيكم ما فعل ، فقال مجاعة : قد كان ذلك وإنه والله ما جاءك إلا سرعان الناس وإن جماهيرهم في الحصون فهلم أصالحك على قومي . وقد كان خالد التقط من دون الحصون ما جاء من مال ونساء وصبيان ونادى بالتزول عليها فلما قال له مجاعة ذلك قال له : أصالحك على ما دون النفوس . وانطلق يشاورهم فأفرغ السلاح على النساء ووقفن بالسور ثم رجع إليه وقال أبوا أن يميزوا ذلك ، ونظر خالد إلى رؤس الحصون قد اسودّت والمسلمون قد نهكتهم الحرب وقد قتل من الأنصار ما ينيف على الثلاثمائة وستين ، ومن المهاجرين مثلها ومن التابعين لهم مثلها أو يزيدون ، وقد فشت الجراحات فيمن بقي ، فجنح إلى السلم فصالحه على الصفراء والبيضاء ، ونصف السبي والحلقة وحائط ومزرعة من كل قرية ، فأبوا فصالحهم على الربع فصالحوه . وفتحت الحصون فلم يجد فيها إلا النساء والصبيان فقال خالد : خدعتني يا مجاعة فقال : قومي ولم أستطع إلا ما صنعت فعقد له وخيرهم ثلاثاً فقال : له سلمة بن عمير لا نقبل صلحاً ونعتصم بالحصون ونبعث إلى أهل القرى فالطعام كثير والشتاء قد حضر ، فتشاءم مجاعة برأيه وقال لهم لولا أنني خدعت القوم ما أجابوا إلى هذا ، فخرج معه سبعة من وجوه القوم وصالحوا خالداً وكتب لهم وخرجوا إلى خالد للبيعة والبراءة مما كانوا عليه . وقد أضمر سلمة بن عمير الفتك بخالد فطرده حين وقعت عينه عليه وأطلع أصحابه على غدره فأوثقوه وحبسوه ثم أفلت فاتبعوه وقتلوه . وكان أبو بكر بعث إلى خالد مع سلمة بن وقش إن أظفره الله أن يقتل من جرت عليه الموسى من بني حنيفة ، فوجده قد صالحهم فأتم عقده معهم ، ووفى لهم وبعث وفداً منهم إلى أبي بكر بإسلامهم فلقبهم وسأهم عن اسجاع مسيلمة فقصّوها عليه ، فقال سبحانه الله هذا الكلام ما خرج من إلا ولا برّ فأين يذهب بكم عن أحلامكم وردّهم إلى قومهم .

ردّة الحطم وأهل البحرين

لما فرغ خالد من اليمامة ارتحل عنها إلى وادٍ من أوديتها وكانت عبد القيس وبكر بن وائل وغيرهم من أحياء ربيعة قد ارتدّوا بعد الوفاة وكذا المنذر بن ساوى من بعدها بقليل ، فأما عبد القيس فردّهم الجارود بن المعلّى وكان قد وفد وأسلم ودعا قومه فأسلموا فلما بلغهم خبر الوفاة ارتدّوا وقالوا لو كان نبياً ما مات فقال لهم الجارود تعلمون أن لله أنبياء من قبله ولم تروهم وتعلمون أنهم ماتوا ومحمد صلى الله عليه وسلم قد مات ثم تشهد فتشهدوا معه وثبتوا على إسلامهم ، وخلوا بين سائر ربيعة وبين المنذر بن ساوى والمسلمين .

وقال ابن إسحق كان أبو بكر بعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاه فلما كانت الوفاة وارتدت ربيعة ونصبوا المنذر بن النعمان بن المنذر وكان يسمّى المغرور ، فأقاموه ملكاً كما كان قومه بالحيرة ، وثبت الجارود وعبد القيس على الإسلام ، واستمرّ^(١) بكر بن وائل على الردّة ، وخرج الحطم بن ربيعة أخو بني قيس بن ثعلبة حتى نزل بين القطيف وهجر ، وبعث إلى دارين فأقاموا ليجعل عبد القيس بينه وبينهم ، وأرسل إلى المغرور بن سويد أخي النعمان بن المنذر وبعثه إلى جواثي^(٢) وقال اثبت فان ظفرت ملكتك بالبحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة ، فحاصره المسلمون^(٣) بجواثي وجاء العلاء بن الحضرمي لقتال أهل الردّة بالبحرين ومر باليمامة فاستنفر ثمانية بن أثال في مسلمة بني حنيفة وكان متردداً ، وألحق عكرمة بعمان ومهرة ، وأمر شرحبيل بالمقام حيث هو يغاور مع عمرو بن العاص أهل الردّة من قضاة ، عمرو يغاور سعداً وبلق وشرحبيل يغاور كلباً ولفها . ثم مرّ ببلاد بني تميم فاستقبله بنو الرباب وبنو عمرو^(٤) ومالك بن نيرة بالبطاح يقاتلهم ووکیع بن مالك يواقف عمرو بن العاص وقيس بن عاصم من المقاعس ، والبطون يواقف الزبرقان بن بدر والأبناء عوف وقد أطاعوه على الاسلام وحنظلة متوقفون . فلما رأى

(١) وفي النسخة الباریسیة : واستفحل أمر بكر .

(٢) وفي النسخة الباریسیة : الى جوله .

(٣) وفي النسخة الباریسیة : فحاصر المسلمین .

(٤) وفي نسخة ثانية : بنو عمر .

قيس بن عاصم تلقى الرباب وبني عمر^(١) وقدم وجاء بالصدقات إلى العلاء وخرج معه لقتال البحرين ، فسار مع العلاء من بني تميم مثل عسكره ونزل هجر وبعث إلى الجارود أن ينازل بعبد القيس الحطم وقومه مما يليه ، واجتمع المشركون إلى الحطم إلا أهل دارين ، والمسلمون إلى العلاء ، وخندقوا واقتتلوا وسمعوا في بعض الليالي ضوضاء شديدة أي جلبة وصياحاً وبعثوا من يأتهم بخبرها فجاءهم بأن القوم سكارى ، فبيتوهم ووضعوا السيوف فيهم واقتحموا الخندق وفر القوم هرباً فتمرد وناج ومقتول ومأسور .

وقتل قيس بن عاصم الحطم بن ربيعة ، ولحق جابر بن بجير وضربه فقطع عصبه ومات ، وأسر عفيف بن المنذر والمغرور بن سويد وقال للعلاء : أجرني فقال له العلاء : أنت غررت بالناس ، فقال : لكني أنا مغرور ، ثم أرسل وأقام بهجر . ويقال إن المغرور اسمه وليس هو بلقب وقتل المغرور بن سويد بن المنذر وقسم الأنفال بين الناس ، وأعطى عفيف بن المنذر وقيس بن عاصم وثمالة بن أثال من أسلاب القوم وثيابهم ، وقصد الفلال إلى دارين وركبوا السفين إليها ورجع الآخرون إلى قومهم .

وكتب العلاء إلى من أقام على إسلامه من بكر بن وائل بالقعود لأهل الردة في السبل وإلى خصفة التميمي والمثنى بن حارثة بمثل ذلك ، فرجعوا إلى دارين وجمعهم الله بها . ثم لما جاءته كتب بكر بن وائل وعلم حسن إسلامهم أمر أن يؤتى من خلفه على أهل البحرين ثم لما ندب الناس إلى دارين وأن يستعرضوا البحر ، فارتحلوا واقتحموا البحر على الظهر ، وكلهم يدعو : يا أرحم الراحمين يا كريم يا حلیم يا أحد يا صمد يا حي يا محيي الموتى يا حيّ يا قيوم لا إله إلا أنت يا ربنا . ثم أجازوا الخليج يمشون على مثل رمل مشياً فوقها ما يغمر أخفاف الإبل في مسيرة يوم وليلة ، فلقوا العدو واقتتلوا ، وما تركوا بدارين مخبراً وسبوا الذراري واستاقوا الأموال ، وبلغ نفل الفارس ستة آلاف والراجل ألفين .

ورجع العلاء إلى البحرين وضرب الإسلام بجرانه . ثم أرجف المرجفون بأن أبا شيبان وثعلبة والحرقد جمعهم مفروق الشيباني على الردة ، فوثق العلاء باللهازم وتقاربهم^(٢)

(١) وفي نسخة أخرى : يلتقي الرباب وعمرو العلاء .

(٢) وفي نسخة أخرى : بأن اللهازم تفارقهم .

وكانوا مجتمعين على نصره ، وأقبل العلاء بالناس فرجعوا إلى من أحب المقام ، وقتل ثمامة بن أثال فيهم . ومروا بقيس بن ثعلبة بن بكر بن وائل فرأوا خميسة الخطم عليه فقالوا هو قتله ! فقال : لم أقتله ولكن الأمير نفلنيها فلم يقبلوا وقتلوه . وكتب العلاء إلى أبي بكر بهزيمة أهل الخندق وقتل الخطم قتله زيد وسميع^(١) فكتب إليه أبو بكر إن بلغك عن بني ثعلبة ما خاض فيه المرجفون فابعث إليهم جنداً وأوصهم وشرّد بهم من خلفهم .

ردة أهل عمان ومهرة واليمن^(٢)

نبح بعمان بعد الوفاة رجل من الأزدي يقال له لقيط بن مالك الأزدي يسامي في الجاهلية الجلندي فدفع عنها الملكين اللذين كانا بها ، وهما جيفر وعبد^(٣) ابنا الجلندي ، فارتدّ وادعى النبوة وتغلب على عمان ودفع عنها الملكين ، وبعث جيفر إلى أبي بكر بالخبر ، فبعث أبو بكر حذيفة بن محصن من حمير وعرفجة البارقى ، حذيفة إلى عمان وعرفجة إلى مهرة ، وإن اجتمعا فالأمير صاحب العمل ، وأمرهما أن يكاتبا جيفر أو يأخذا برأيه . وقد كان بعث عكرمة إلى اليمامة ومسيلمة ووقعت عليه النكبة كما مرّ ، فأمره بالسير إلى حذيفة وعرفجة ليقاتل معها عمان ومهرة ويتوجه إذا فرغ من ذلك إلى اليمن ، فمضى عكرمة فلحق بها قبل أن يصلأ إلى عمان ، وقد عهد إليهم أبو بكر أن ينتهوا إلى رأي عكرمة ، فراسلوا جيفراً وعبداً وبلغ لقيطاً مجيء الجيوش فعسكر بمدينة دبا وعسكر جيفر وعبد بصحار ، واستقدموا عكرمة وحذيفة وعرفجة وكاتبوا رؤساء الدين فقدموا بجيوشهم^(٤) ، ثم صمدوا إلى لقيط وأصحابه فقاتلوهم ، وقد أقام لقيط عياله وراء صفوفه ، وهم المسلمون بالهزيمة حتى جاءهم مددهم من بني ناجية وعليهم الحرث^(٥) بن راشد ومن عبد القيس وعليهم سنجار بن صرصار^(٦) فانهمزم العدو وظفر^(٧) المسلمون ، وقتلوا منهم نحواً من عشرة آلاف وسبوا الذراري والنساء

(١) وفي نسخة أخرى : مسمع .

(٢) وفي النسخة الباريسية : النمر . وفي الكامل ج ٢ ص ٣٧٤ ردة اليمن .

(٣) وفي نسخة ثانية : عبّاد .

(٤) وفي النسخة الباريسية : فرفضوا إليهم .

(٥) وفي نسخة ثانية : الخريت .

(٦) وفي نسخة ثانية : سيجان بن صوحان .

(٧) وفي النسخة الباريسية : واثن .

وتمّ الفتح ، وقسموا الأنفال وبعثوا بالخمس إلى أبي بكر مع عرفة وكان الخمس ثمانمائة رأس .

وأقام حذيفة بعان وسار عكرمة إلى مهرة وقد استنفر أهل عمان ومن حولها من ناحيته الأزدي وعبد القيس وبني سعيد من تميم ، فاقترح مهرة بلادهم وهم على فرقتين يتنازعان الرياسة فأجابه أحد الفريقين ، وسار إلى الآخرين فهزمهم وقتل رئيسهم ، وأصابوا منهم ألفي نجبية . وأفاد المسلمون قوة بغنيمتهم وأجاب أهل تلك النواحي إلى الإسلام وهم أهل نجد والروضة والشاطئ والجزائر والمر واللبان وأهل جيرة وظهور الشحر^(١) والفرات وذات الخيم ، فاجتمعوا كلهم على الإسلام ، وبعث إلى أبي بكر بذلك مع البشير وسارعوا إلى اليمن للقاء المهاجر بن أبي أمية كما عهد إليه أبو بكر .

بعوث العراق وصلاح الحيرة

ولما فرغ خالد من أمر اليمامة بعث إليه أبو بكر في المحرم من سنة اثنتي عشرة فأمره بالمسير إلى العراق ومرج الهند وهي الأبله منتهى بحر فارس في جهة الشمال قرب البصرة ، فيتألف أهل فارس ومن في مملكتهم من الأمم . فسار من اليمامة وقيل قدم على أبي بكر ثم سار من المدينة ، وانتهى إلى قرية بالسواد وهي بانقيا وبرسوما وصاحبها جابان ، فجاء صلوبا فصالحهم على عشرة آلاف دينار^(٢) فقبضها خالد ، ثم سار إلى الحيرة وخرج إليه أشرافها مع إياس بن قبيصة الطائي الأمير عليها بعد النعمان بن المنذر ، فدعاهم إلى الإسلام أو الجزية أو المناجزة ، فصالحوه على تسعين ألف درهم ، وقيل إنما أمره أبو بكر أن يبدأ بالأبله ويدخل من أسفل العراق . وكتب إلى عياض بن غنم أن يبدأ بالمضيخ ويدخل من أعلى العراق ، وأمر خالداً بالقعقاع بن عمرو التميمي وعياض بن عوف الحمي^(٣) ، وقد كان المشي بن حارثة الشيباني استأذن أبا بكر في غزو العراق فأذن له فكان يغزوهم قبل قدوم خالد ، فكتب أبو بكر إليه وإلى حرملة ومدعور وسلمان أن يلحقوا بخالد بالأبله وكانوا في ثمانية آلاف

(١) وفي نسخة ثانية : الشمر وفي الطبري ج ٣ ص ٢٦٤ : والصبرات .

(٢) وفي نسخة ثانية : باروسا والليس وكانت لابن صلوبا ، فصالحهم على عشرة آلاف دينار .

(٣) وفي نسخة ثانية : الحميري .

فارس ، ومع خالد عشرة آلاف ، فسار خالد في أول مقدمته المثني وبعده عدي بن حاتم وجاء هو بعدهما على مسيرة يوم بين كل عسكر ، وواعدهما الحفير ليجمعوا به ويصادموا عدوهم وكان صاحب ذلك الفرج ^(١) من أساورة الفرس اسمه هرمز وكان يحارب العرب في البر والهند في البحر ، فكتب إلى أردشير كسرى بالخبر وتعجل هو إلى الكواظم في سرعان أصحابه حتى نزل الحفير ، وجعل على مجنبيه قباذ وأنو شجان يناسبانه في أردشير الأكبر واقترنوا بالسلاسل لئلا يفروا ، وأروا خالداً أنهم سبقوا إلى الحفير فقال إلى كاظمة فسبقه هرمز إليها أيضاً . وكان للعرب على هرمز حنق لسوء مجاورته وقدم خالد فترل قبالتهم على غير ماء وقال : جالدوهم على الماء فإن الله جاعله لأصبر الفريقين ، ثم أرسل الله سحابة فأغدرت من ورائهم .

ولما حطوا أثقالهم قدم خالد ودعا إلى التزال ^(٢) فبرز إليه هرمز وترجلا ثم اختلفا ضربتين فاحتضنه خالد وحمل أصحاب هرمز للغدر به فلم يشغله ذلك عن قتله ، وحمل القعقاع بن عمرو فقتلهم وانهزم أهل فارس وركبهم المسلمون ، وسميت الواقعة ذات السلاسل . وأخذ خالد سلب هرمز وكانت قلنسوته بمائة ألف ، وبعث بالفتح والأخماس إلى أبي بكر .

وسار فترل بمكان البصرة وبعث المثني بن حارثة في آثار العدو فحاصر حصن المرأة فتحه وأسلمت فتزوجها ، وبعث معقل بن مقرن إلى الأبله ففتحها عتبة بن ^(٣) غزوان أيام عمر سنة أربع عشرة ، ولم يتعرض خالد وأصحابه إلى الفلاحين وتركهم وعمارة البلاد كما أمرهم أبو بكر ^(٤) . وكان كسرى أردشير لما جاءه كتاب هرمز بمسير خالد أمره بقارن بن فريانس فسار إلى المدار ^(٥) ولما انتهى إلى المدار ^(٦) لقيه المنهزمون من هرمز ومعهم قباذ وأنو شجان فتدامروا ورجعوا ونزلوا النهر ، وسار إليهم خالد واقتتلوا وبرزقان فقتله معقل بن الأعشى بن النباش وقتل عاصم أنوشجان وقتل عدي قباذ ، وانهزمت الفرس وقتل منهم نحو ثلاثين ألفاً سوى من غرق ومنعت المياه

(١) وفي نسخة ثانية : المرج .

(٢) وفي النسخة الباريسية : الى البراز .

(٣) وفي نسخة ثانية : عقبة .

(٤) وفي نسخة ثانية : كما أمر أبو بكر به .

(٥) وفي نسخة ثانية : فسار من المدائن .

(٦) وفي نسخة ثانية : الدار .

المسلمين من طلبهم . وكانت الغنيمة عظيمة وأخذ الجزية من الفلاحين وصاروا في ذمة ، ولم يقاتل المسلمين من الفرس بعد قارن أعظم منه ، وتسمى هذه الوقعة بالثني وهو النهر .

ولما جاء الخبر إلى أردشير بالهزيمة بعث الأندرزغر وكان فارساً من مولدي السواد فأرسل في أثره عسكرياً مع بهمن حاذويه ، وحشد الأندرزغر ما بين الحيرة وكسكر من عرب الضاحية والدهاقين وعسكروا بالولحة ، وسار إليهم خالد فقاتلهم وصبروا ، ثم جاءهم كمين من خلفهم فانهزموا ومات الأندرزغر عطشاً . وبذل خالد الأمان للفلاحين فصاروا ذمة ، وسبى ذراري المقاتلة ومن أعانهم وأصاب إثنين من نصارى بني وائل أحدهما جابر بن بجير والآخر ابن عبد الأسود من عجل فأسرهما ، وغضب بكر بن وائل لذلك فاجتمعوا على الليس^(١) وعليهم عبد الأسود العجلي ، فكتب أردشير إلى بهمن حاذويه ، وقد أقام بعد الهزيمة كتاباً يأمره بالمسير إلى نصارى العرب بالليس فيكون معهم إلى أن يقدم عليهم جابان من المرازبة ، فقدم بهمن على أردشير ليشاوره وخالفه جابان إلى نصارى العرب من عجل وتيم اللات وضبيعة وعرب الضاحية من الحيرة وهم مجتمعون على الليس . وسار إليهم خالد حين بلغه خبرهم ولا مشعر لهم بجابان^(٢) ، فلما حط الأثقال سار إليهم وطلب المبارزة ، فبرز إليه مالك بن قيس فقتله خالد ، واشتد القتال بينهم وسائر المشركين ينتظرون قدوم بهمن ، ثم انهزموا واستأسر الكثير منهم وقتلهم خالد حتى سال النهر بالدم وسمي نهر الدم ، ووقف على طعام الأعاجم وكانوا قعوداً للأكل فنقله المسلمون ، وجعل العرب يتساءلون عن الرقاق يحسبونه رقاعاً . وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً . ولما فرغ من الليس سار إلى أمعيشيا فغزا أهلها وأعجلهم أن ينقلوا أموالهم فغنم جميع ما فيها وخرّبها .

(١) وفي نسخة أخرى : الليث .

(٢) وفي نسخة أخرى : ولا يشعز بجابان .

فتح الحيرة

ثم سافر خالد إلى الحيرة وحمل الرجال والأثقال في السفن ، وخرج ابن زيان من ^(١) الحيرة ومعه الأزدية فعسكر عند الغريين وأرسل ابنه ليقاطع الماء عن السفن ، فوقفت على الأرض . وسار إليه خالد فلقبه على فرات بأذقلا ^(٢) فقتله وجميع من معه ، وسار نحو أبيه على الحيرة فهرب بغير قتال لما كان بلغه من موت أردشير كسرى وقتل ابنه . ونزل خالد منزله بالغريين وحاصر قصور الحيرة وافتتح الديور وصاح القسيسون والرهبان بأهل القصور فرجعوا على الاباية ، وخرج إياس بن قيصة من القصر الأبيض ، وعمرو بن عبد المسيح بن قيس بن حيان بن ببيعة ، وكان معمرًا وسأله خالد عن عجيبة قد رآها ، فقال : رأيت القرى ما بين دمشق والحيرة تسافر بينها المرأة فلا تترود إلا رغيفاً واحداً . ثم جاءه واستقرب منه ورأى مع خادمه كيساً فيه سم فأخذه خالد ونثره في يده ، وقال ما هذا ؟ قال خشيت أن تكونوا على غير ما وجدت فيكون الموت أحب إليّ من مكروه أدخله على قومي ، فقال له خالد : لن تموت حتى تأتي على أجلها . ثم قال : باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء وابتلع السم فبعك ساعة ثم قام كأنما نشط من عقال . فقال عبد المسيح : لتبلغن ما أردتم ما دام حد منكم هكذا . ثم صالحهم على مائة أو مائتين وتسعين ألفاً وعلى كرامة ^(٣) بنت عبد المسيح لشريك كان النبي صلى الله عليه وسلم عرّف بها إذا فتحت الحيرة فأخذها شريك ، وافتدت منه بألف درهم وكتب لهم بالصلح وذلك في أول سنة اثنتي عشرة .

فتح ما وراء الحيرة

كان الدهاقين يتربصون بخالد ما يصنع بأهل الحيرة فلما صالحهم واستقاموا له جاءته الدهاقين من كل ناحية فصالحوه عما يلي الحيرة من الفلاليح وغيرها على ألف ألف وقيل على ألفي ألف سوى جباية كسرى ، وبعث خالد ضرار بن الأزور وضرار بن

(١) وفي نسخة أخرى : وخرج وزبان الحيرة .

(٢) وفي نسخة أخرى : بأذقلا .

(٣) رواية الدميري الشيا والصحابي هو أوس بن خزيمة ، انظر ترجمة البقلة (قاله نصر)

الخطّاب والقعقاع بن عمرو والمثنى بن حارثة وعيينة بن الشماس فكانوا في الثغور وأمرهم بالغارة ، فمخروا السواد كله إلى شاطئ دجلة . وكتب إلى ملوك فارس : « أما بعد فالحمد لله الذي حل نظامكم ووهن كيدكم وفرّق كلمتكم ولو لم نفعل ذلك كان شراً لكم فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم ونجوزكم إلى غيركم وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » . وكتب إلى المرازبة : « أما بعد فالحمد لله الذي فض حدّتكم وفرّق كلمتكم وجفل حرمكم وكسر شركم فأسلموا تسلموا وإلا فاعتقدوا مني الذمة وأدّوا الجزية وإلا فقد جثتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر » انتهى .

وكان العجم مختلفين بموت أردشير وقد أزالوا بهمن حاذويه فيمن سيره في العساكر ، فجبى خالد خراج السواد في خمسين ليلة ، وغلب العجم عليه ، وأقام بالحيرة سنة يصعد ويصوب ، والفرس حاثرون فيمن يملكونه ولم يجدوا من يجتمعون عليه لأن سيرين كان قتل جميع من تناسب إلى بهرام جور . فلما وصل كتاب خالد تكلم نساء آل كسرى وولوا الفرّخزاد بن البندوان إلى أن يجدوا من يجتمعون عليه ، ووصل جرير ابن عبد الله البجلي إلى خالد بعد فتح الحيرة ، وكان مع خالد بن سعيد بن العاص بالشام ، ثم قدم على أبي بكر فكلّمه أن يجمع له قومه كما وعده النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا أوزاعاً^(١) متفرقين في العرب ، فسخط ذلك منه أبو بكر فقال : تكلمني^(٢) بما لا يعني وأنت ترى ما نحن فيه من فارس والروم . وأمره بالمسير إلى خالد فقدم عليه بعد فتح الحيرة .

فتح الأنبار وعين التمر وتسمّى هذه الغزوة ذات العيون

ثم سار خالد على تعبته إلى الأنبار وعلى مقدمته الأقرع بن حابس ، وكان بالأنبار شيرزاد صاحب ساباط فحاصره ورشقوهم بالنبال حتى فقاؤا منهم ألف عين . ثم نحر ضعاف الإبل وألقاها في الخندق حتى ردمه بها وجاز هو وأصحابه فوقها ،

(١) الجماعات ولا واحد لها (قاموس) .

(٢) وفي النسخة الباريسية : تكلفني .

فاجتمع المسلمون والكفار في الخندق ، وصالح شيرزاد على أن يلحقوه بمأمنه ويخلي لهم عن البلد وما فيها ، فلاحق بيهم حاذويه . ثم استخلف خالد على الأنبار الزبرقان ابن بدر ، وسار إلى عين التمر وبها بهرام^(١) بن بهرام جوبين في جمع عظيم من العجم ، وعقبة بن أبي عقبة في جمع عظيم من العرب ، وحولهم طوائف من النمر وتغلب وإياد وغيرهم من العرب . وقال عقبة لبهرام : دعنا وخالداً فالعرب أعرف بقتال العرب . فتركه لذلك واتقى به وسار عقبة إلى خالد وحمل خالد عليه وهو يقيم صفوفه ، فاحتضنه وأخذه أسيراً وانهمز العسكر عن غير قتال وأسر أكثرهم . وبلغ الخبر إلى بهرام^(٢) فهرب وترك الحصن وتحصن به المنهزمون ، واستأمنوا لخالد فأبى ، فقتلوا على حكمه فقتلهم أجمعين ، وعقبة معهم .

وغنم ما في الحصن وسبى عيالهم^(٣) وأولادهم وأخذ من البيعة وهي الكنيسة غلماناً كانوا يتعلمون الإنجيل ففرقهم في الناس منهم : سيرين أبو محمد ونصير أبو موسى وحران مولى عثمان ، وبعث إلى أبي بكر بالفتح والخمس . وقتل من المسلمين عمير ابن رباب السهمي من مهاجرة الحبشة وبشير بن سعد والد النعمان .

ولما فرغ خالد من عين التمر وافق وصول كتاب عياض بن غنم وهو على من بازائه من نصارى العرب بناحية دومة الجندل وهم بهرام^(٤) وكلب وغسان وتنوخ والضجاعم ، وكانت رئاسة دومة لأكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعة يقتسمانها ، وأشار أكيدر بصلح خالد فلم يقبلوا منه فخرج عنهم ، وبلغ خالد مسيره فأرسل من أعترضه فقتله وأخذ ما معه ، وسار خالد فترل دومة وعياض عليها من الجهة الأخرى ، وخرج الجودي لقتال خالد وأخرج طائفة أخرى لقتال عياض ، فانهمزوا من الجهتين إلى الحصن فأغلق دونهم وقتل الجودي وافتتح الحصن عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية .

(١) وفي نسخة ثانية : مهران بن بهرام .

(٢) وفي نسخة ثانية : مهران .

(٣) وفي نسخة ثانية : اهليهم .

(٤) وفي نسخة ثانية : بهرا .

الوقائع بالعراق

وأقام خالد بدومة الجندل فطمع الأعاجم في الحيرة وملاهم عرب الجزيرة غضباً لعقبة ، فخرج اسواران إلى الأنبار وانتهيا إلى الحصيد والخنافس ، فبعث القعقاع من الحيرة عسكريين حالاً بينهما وبين الريف ، ثم جاء خالد إلى الحيرة فعجل القعقاع بن عمرو وأبا ليلي بن فدكى إلى لقائهما بالحصيد ، فقتل من العجم مقتلة عظيمة ، وقتل الأسواران ، وغنم المسلمون ما في الحصيد ، وانهمزت الأعاجم إلى الخنافس وبها اليهودان من الأساورة . وسار أبو ليلي في اتباعهم فهزم اليهودان إلى المضيخ^(١) وكان بها الهذيل بن عمران وربيعه بن بجير من عرب الجزيرة غضباً لعقبة وجاء مدداً لأهل الحصيد ، فكتب خالد إلى القعقاع وأبي ليلي وواعدهما^(٢) المضيخ ، وسار إليهم فتواقفا هنالك وأغاروا على الهذيل ومن معه من ثلاثة أوجه ، فأكثروا فيهم القتل ففر الهذيل في قليل ، وكان مع الهذيل عبد العزيز بن أبي رهم من أوس مناة وليد بن جرير وكان أسلماً وكتب لهما أبو بكر بإسلامهما فقتلا في المعركة ، فوداهما أبو بكر وأوصى بأولادهما ، وكان عمر يعتمد بقتلهما وقتل مالك بن نيرة على خالد .

ولما فرغ خالد من الهذيل بالمضيخ واعد القعقاع وأبا ليلي إلى الثني شرقي الرصافة ليغير على ربيعة بن بجير التغلبي صاحب الهذيل الذي جاء معه لمدد الفرس ويبيتهم فلم يلق^(٣) منهم أحداً ، ثم اتبع الهذيل بعد مفرو من المضيخ إلى اليسير وقد لحق هنالك بعتاب بن أسيد فبيتهم خالد قبل أن يصل إليهم خبر ربيعة فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وسار إلى الرصافة وبها هلال بن عقبة ففرق عنه أصحابه وهرب فلم يلق بها خالد أحداً . ثم سار خالد إلى الرضاب وإلى الفراض^(٤) وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة فحميت الروم واستعانوا بمن يليهم من مسالح فارس ، واجتمعت معهم تغلب وإياد والنمر وساروا إلى خالد وطلبوا منه العبور ، فقال : اعبروا أسفل منا فعبروا وامتاز الروم من العرب ، فانهزمت الروم ذلك اليوم وقتل منهم نحو من مائة ألف . وأقام خالد على

(١) وفي نسخة ثانية : المضيخ .

(٢) وفي نسخة ثانية : اودعهما

(٣) وفي نسخة أخرى : وتبيتهم فلم يفلت منهم أحداً .

(٤) وفي نسخة أخرى : من الرضاب إلى الفراض .

الفراض إلى ذي القعدة ، ثم أذن للناس بالرجوع إلى الحيرة ، وجعل شجرة بن الأغر على الساقة . وخرج من الفراض حاجباً مكتماً بحجة وذهب يتعسف في البلاد حتى أتى مكة فحج ورجع فوافى الحيرة مع جنده ، وشجرة بن الأغر معهم ولم يعلم بحجه إلا من أعلمه به ، وعتب به أبو بكر في ذلك لما سمعه وكانت عقوبته إياه أن صرفه من غزو العراق إلى الشام . ثم شن خالد بن الوليد الغارات على نواحي السواد فأغار هو على سوق^(١) بغداد ، وعلى قطربل ، وعقرقوما^(٢) ، ومسكن ، وبادروبا . وحج أبو بكر في هذه السنة واستخلف على المدينة عثمان بن عفان .

بعوث الشام

وكان من أول عمل أبي بكر بعد عوده من الحج أن بعث خالد بن سعيد بن العاص في الجنود إلى الشام أول سنة ثلاث عشرة ، وقيل إنما بعثه إلى الشام لما بعث خالد بن الوليد إلى العراق أول السنة التي قبلها ، ثم عزله قبل أن يسير لأنه كان لما قدم من اليمن عند الوفاة تخلف عن بيعة أبي بكر أياماً وغدا على عليّ وعثمان فغزها على الاستكانة لتيقن وهما رؤس بني عبد مناف فنهاه عليّ وبلغت الشيخين ، فلما ولاه أبو بكر عقد له عمر فعزله وأمره أن يقيم بتياء ويدعو من حوله من العرب إلى الجهاد حتى يأتيه أمره ، فاجتمعت إليه جموع كثيرة ، وبلغ الروم خبره فضربوا البعث على العرب الضاحية بالشام من بهرا وسليح وكلب وغسان ولخم وجذام ، وسار إليهم خالد فغلبهم على منازلهم وافترقوا . وكتب له أبو بكر بالإقدام فسار متقدماً ولقيه البطريق ماهان من بطارقة الروم فهزمه خالد واستلحم الكثير من جنوده ، وكتب إلى أبي بكر يستمده ، ووافق كتابه المستنفرين وفيهم ذو الكلاع ومعه حمير وعكرمة بن أبي جهل ومن معه من تهامة والشحر^(٣) وعمان والبحرين فبعثهم إليه . وحينئذ إهتم أبو بكر بالشام وكان عمرو بن العاص لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً إلى عمان وعده أن يعيده إلى عمله عند فراغه من أمر عمان ، فلما جاء بعد الوفاة أعاده إليها أبو بكر إنجازاً لوعده صلى الله عليه وسلم تسليماً وهي صدقات سعد هذيم وبني عذرة ،

(١) وفي نسخة أخرى : شرق .

(٢) وفي نسخة أخرى : عقرقوف .

(٣) وفي نسخة أخرى : والسرو .

فبعث إليه الآن يأمره باللاحاق بخالد بن سعيد لجهاد الروم وأن يقصد فلسطين ،
وبعث أيضا إلى الوليد بن عقبة وكان على صدقات قضاعة وولاه الأردن ، وأمر يزيد
ابن أبي سفيان على جمهور من انتدب إليه فيهم سهيل بن عمرو وأشباهه ، وأمر أبا
عبيدة بن الجراح على جميعهم وعين له حمص ، وأوصى كل واحد منهم .
ولما وصل المدد إلى خالد بن سعيد وبلغه توجه الأمراء تعجل للقاء الروم قبلهم
فاستطرد له ماهان ودخل دمشق ، واقتحم خالد الشام ومعه ذو الكلاع وعكرمة
والوليد حتى نزل مرج الصفر^(١) عند دمشق فانطوت مسالح ماهان عليه وسدوا
الطريق دونه وزحف إليه ماهان ، ولقي ابنه سعيداً في طريقه فقتلوه وبلغ الخبر أباه
خالداً فهرب فيمن معه وانتهى إلى ذي المروة قرب المدينة . وأقام عكرمة رداءً من
خلفهم فردّ عنهم الروم فأقام قريباً من الشام .
وجاء شرحبيل بن حسنة إلى أبي بكر وافداً من العراق من عند خالد فندب معه
الناس وبعثه مكان الوليد إلى أردن ، ومرّ بخالد ففصل ببعض أصحابه . ثم بعث أبو
بكر معاوية وأمره باللاحاق بأخيه يزيد ، وأذن لخالد بن سعيد بدخول المدينة .
وزحف الأمراء في العساكر نحو الشام ، فعبى هرقل عساكر الروم ونزل حمص بعد
أن أشار على الروم بعدم قتال العرب ومصالحتهم على ما يريدون ، فأبوا ولجّوا ، ثم
فرّقهم على أمراء المسلمين ، فبعث شقيقه تدارق^(٢) في تسعين ألفاً نحو عمرو بن
العاص بفلسطين ، وبعث جرجة بن توذر نحو يزيد بن أبي سفيان ، وبعث
الدراقص نحو شرحبيل بن حسنة بالأردن ، وبعث القيقلان^(٣) بن نسطورس في
ستين ألفاً نحو أبي عبيدة بالجابية . فهابهم المسلمون ثم رأوا أن الاجتماع أليق بهم ،
وبلغ كتاب أبي بكر بذلك فاجتمعوا باليرموك إحداً وعشرين ألفاً^(٤) . وأمر هرقل
أيضاً باجتماع جنوده ووعدهم بوصول ملحان إليهم رداءً^(٥) ، فاجتمعوا بحيال
المسلمين والوادي خندق بينهم ، فأقاموا بازائه ثلاثة أشهر ، واستمدوا أبا بكر فكتب

(١) بوزن سكر . مشدد .

(٢) هو فره دريك .

(٣) وفي نسخة أخرى : القيقار .

(٤) وفي نسخة أخرى : بضعة وعشرين ألفاً .

(٥) وفي النسخة الباريسية : مدداً .

إلى خالد بن الوليد أن يستخلف على العراق المثني بن حارثة ويلحق بهم وأمره على جند الشام .

بعوث الشام

ولما استمدّ المسلمون أبا بكر بعث إليهم خالد بن الوليد من العراق واستحثّه في السير إليهم ، فنقذ خالد لذلك ووافى المسلمين مكانهم عندما وافى ماهان والروم أيضاً . وولى خالد قبالة وولى الأمراء قبل الآخرين أزاءهم فهزم ماهان ، وتتابع الروم على الهزيمة وكانوا مائتين وأربعين ألفاً وتقسموا بين القتل والغرق^(١) في الواقعة والهوي في الخندق ، وقتل صناديد الروم وفرسانهم ، وقتل تدارق أخو هرقل ، وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو دون حمص فارتحل وأخلد^(٢) إلى ما وراءها لتكون بينه وبين المسلمين وأصر^(٣) عليها وعلى دمشق . ويقال إن المسلمين كانوا يومئذ ستة وأربعين ألفاً : سبعة وعشرين منها مع الأمراء ، وثلاثة آلاف من إمداد أهل العراق مع خالد بن الوليد ، وستة آلاف ثبتوا مع عكرمة رداء بعد خالد بن سعيد . وأن خالد بن سعيد سماهم^(٤) كراديس ستة وثلاثين كردوساً لما رأى الروم تعبوا كراديس ، وكان كل كردوس ألفاً وكان ذلك في شهر جمادى ، وأن أبا سفيان بن حرب أبلى يومئذ بلاءً حسناً بسعيه وتحريضه .

قالوا وبينما الناس في القتال قدم البريد من المدينة بموت أبي بكر وولاية عمر ، فأسرّه إلى خالد وكتبه عن الناس . ثم خرج جرجه من أمراء الروم فطلب خالداً وسأله عن أمره وأمر الإسلام ، فوعظه خالد فاستبصر وأسلم وكانت وهناً على الروم . ثم زحف خالد بجماعة من المسلمين فيهم جرجه فقتل من يومه ، واستشهد عكرمة بن أبي جهل وإبنة عمرو ، وأصيبت عين أبي سفيان ، واستشهد سلمة بن هشام وعمرو وأبان ابنا سعيد وهشام بن العاص وهبار^(٥) بن سفيان والطفيل بن عمرو ، وأثبت

(١) وفي نسخة أخرى : الطرق .

(٢) وفي نسخة أخرى : وأجاز

(٣) وفي نسخة أخرى : وأمر

(٤) وفي نسخة أخرى : عباهم

(٥) وفي نسخة أخرى : سيار

خالد بن سعيد فلا يعلم أين مات بعد ويقال استشهد في مرج الصُفَر في الواقعة الأولى .

ويقال إنَّ خالدًا لما جاء من العراق مددًا للمسلمين بالشام طلب من الأدلاء أن يغوروا به حتى يخرج من وراء الروم ، فسلك به رافع بن عمرو الطائي من فزارة في بلاد كلب حتى خرج إلى الشام ونحر فيها الإبل وأغار على مضيخ^(١) فوجد به رفقة^(٢) فقتلهم وأسلبهم ، وكان الحرث بن الأيهم وغسان قد اجتمعوا بمرج راهط فسلك إليهم واستباحهم ، ثم نزل بصرى ففتحها ، ثم سار منها إلى المسلمين بالواقصة فشهد معهم اليرموك . ويقال : إنَّ خالدًا لما جاء من العراق إلى الشام لقي أمراء المسلمين ببصرى فحاصروها جميعاً حتى فتحوها على الجزية ، ثم ساروا جميعاً إلى فلسطين مددًا لعمر بن العاص ، وعمر وبالغور والروم بجلق مع تدارق أخيه هرقل ، وكشفوا عن جلق إلى أجنادين وراء الرملة شرقاً ، ثم تراحف الناس فاقتتلوا ، وانهمز الروم وذلك في منتصف جمادى الأولى من السنة ، وقتل فيها تدارق ، ثم رجع هرقل ولقي المسلمين بالواقصة عند اليرموك ، فكانت واقعة اليرموك كما قدّمنا في رجب بعد أجنادين ، وبلغت المسلمين وفاة أبي بكر وأنها كانت لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة .

خلافة عمر رضي الله عنه

ولما احتضر أبو بكر عهد إلى عمر رضي الله عنهما بالأمر من بعده بعد أن شاور عليه^(٣) طلحة وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم وأخبرهم بما يريد فيه ، فأثنوا على رأيه ، فأشرف على الناس وقال : إني قد استخلفت عمر ولم آل لكم نصحاً فاسمعوا له وأطيعوا . ودعا عثمان فأمره فكتب : «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويوقن فيها الفاجر ، إني استعملت عليكم عمر ابن الخطاب ولم آل لكم خيراً ، فإن صبر وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه ، وإن

(١) وفي نسخة أخرى : مضيخ .

(٢) وفي النسخة الباريسية . فصبح به رفعه

(٣) وفي نسخة أخرى : علياً وطلحه ...

جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير أردت ولكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» .

فكان أول ما أنفذه من الأمور عزل خالد عن إمارة الجيوش بالشام وتولية أبي عبيدة ، وجاء الخبر بذلك والمسلمون موافقون عدوهم في اليرموك فكتب أبو عبيدة الأمر كله ، فلما انقضى أمر اليرموك كما مر سار المسلمون إلى فحل من أرض الأردن وبها رافضة^(١) الروم وخالد على مقدمة الناس فقاتلوا الروم .

فتح دمشق

واقترحوها عنوة وذلك في ذي القعدة ولحقت رافضة الروم بدمشق وعليها ماهان من البطارقة فحاصروهم المسلمون حتى فتحوا دمشق ، وأظهر أبو عبيدة إمارته وعزل خالد . وقال سيبه أن أبا بكر كان يسخط خالد بن سعيد والوليد بن عقبة من أجل فرارهما كما مر ، فلما ولي عمر رضي الله عنه أباح لهما دخول المدينة ثم بعثهما مع الناس إلى الشام ، ولما فرغ أمر اليرموك وساروا إلى فحل وبلغ عمر خبر اليرموك فكتب فعزل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص حتى يصير الحرب إلى فلسطين فيتولاها عمرو ، وأن خالداً قدم على عمر بعد العزل وذلك بعد فتح دمشق وأنهم ساروا إلى فحل فاقتحموها ، ثم ساروا إلى دمشق وعليها نسطاس بن نسطورس فحاصروها سبعين ليلة وقيل ستة أشهر من نواحيها الأربع ، خالد وأبو عبيدة ويزيد وعمرو كل واحد على ناحية . وقد جعلوا بينهم وبين هرقل مدينة حمص ومن دونها ذو الكلاع في جيش من المسلمين ، وبعث هرقل المدد إلى دمشق وكان فيهم ذو الكلاع فسقط في أيديهم وقدموا على دخول دمشق وطمع المسلمون فيهم ، واستغفلهم خالد في بعض الليالي فتسور سورهم من ناحيته وقتل الوليد وفتح الباب واقترحهم البلد وكبروا وقتلوا جميع من لقوه . وفرغ أهل النواحي إلى الأمراء الذين يلونهم فنادوا لهم بالصلح والدخول ، فدخلوا من نواحيهم صلحاً فأجريت ناحية خالد على الصلح مثلهم .

قال سيف : وبعثوا إلى عمر بالفتح فوصل كتابه بأن يصرف جند العراق إلى العراق ، فخرجوا وعليهم هاشم بن عتبة وعلى مقدمته القعقاع . وخرج الأمراء إلى فحل وأقام يزيد بن أبي سفيان بدمشق ، وكان الفتح في رجب سنة أربع عشرة . وبعث

(١) وفي نسخة ثانية : واقعة الروم

يزيد دحية الكلبي إلى تدمر ، وأبا الأزاهر القشيري إلى حوران والبشة^(١) ،
فصالحوهما ووليا عليهما . ووصل الأمراء الى فحل فيبتهم الروم فظفر المسلمون بهم
وهزموهم فقتل منهم ثمانون ألفاً وكان على الناس في وقعة فحل شرحبيل بن حسنة ،
فسار بهم إلى بيسان وحاصرها فقتل مقاتلتها وصالحه الباقر فقبل منهم . وكان أبو
الأعور السلمي على طبرية محاصراً لها ، فلما بلغهم شأن بيسان صالحوه فكمل فتح
الأردن صلحاً ونزلت القواد في مدائنهم وقراها وكتبوا إلى عمر بالفتح .
وزعم الواقدي أن اليرموك كانت سنة خمس عشرة وأن هرقل انتقل فيها من أنطاكية
إلى قسطنطينية وأن اليرموك كانت آخر الوقائع . والذي تقدم لنا من رواية سيف أن
اليرموك كانت سنة ثلاث عشرة وأن البريد بوفاة أبي بكر قدم يوم هربت الروم فيه ،
وأن الأمراء بعد اليرموك ساروا إلى دمشق ففتحوها ثم كانت بعدها وقعة فحل ، ثم
وقائع أخرى قبل شخص هرقل والله أعلم .

خبر المثنى بالعراق بعد مسير خالد إلى الشام

لما وصل كتاب أبي بكر إلى خالد بعد رجوعه من حجّه بأن ينصرف إلى الشام أميراً
على المسلمين بها ويخرج في شطر الناس ويرجع بهم إذا فتح الله عليه إلى العراق
ويترك الشطر الثاني بالعراق مع المثنى بن حارسة ، وفعل ذلك خالد ومضى لوجهه ،
وأقام المثنى بالحيرة ورتب المصالح . واستقام أهل فارس بعد خروج خالد بقليل على
شهر يرار^(٢) بن شيرين بن شهر يار ممن يناسبه إلى كسرى أبي سابور وذلك سنة
ثلاث عشرة ، فبعث إلى الحيرة هرمرز فاقتلوا هنالك قتالاً شديداً بعدوة الضراء وغار
الفيل بين الصفوف فقتله المثنى وناس معه ، وانهزم أهل فارس واتبعهم المسلمون
يقتلونهم حتى انتهوا إلى المدينة ، ومات شهر يار إثر ذلك وبقي ما دون دجلة من
السواد في أيدي المسلمين .

ثم اجتمع أهل فارس من بعد شهر يار على آرميدخت ولم ينفذ لها أمر فخلعت ،
وملك سابور بن شهر يار وقام بأمره الفرخزاد بن البندوان وزوجه آرميدخت ،

(١) وفي نسخة ثانية : والبشة .

(٢) وفي نسخة أخرى : شهر يار .

فغضب وبعث^(١) إلى سياوخش وكان من كبار الأساورة وشكت إليه ، فأشار عليها بالقبول . وجاءه ليلة العرس فقتل الفرخزاد ومن معه ، ونهض إلى سابور فحاصره ثم اقتحم عليه فقتله ، وملك آرميدخت وتشاغل بذلك آل ملكها^(٢) حتى انتهى شأن أبي بكر وصار السواد في سلطانه ، وتشاغل أهل فارس عن دفاع المسلمين عنه .

ولما أبطأ خبر أبي بكر على المثنى استخلف المثنى على الناس بشر بن الخصاصية وخرج نحو المدينة يستعلم ويستأذن ، فقدم وأبو بكر يجود بنفسه وقد عهد إلى عمر وأخبره الخبر ، فأحضر عمر وأوصاه أن يندب الناس مع المثنى وأن يصرف أصحاب خالد من الشام إلى العراق ، فقال عمر : يرحم الله أبا بكر علم أنه تستر في إمارة خالد فأمرني بصرف أصحابه ولم يذكره .

ولاية أبي عبيد بن مسعود على العراق ومقتله

ولما ولي عمر ندب الناس مع المثنى بن حارثة أياماً وكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود ، وقال عمر للناس : إن الحجاز ليس لكم بدار إلا النجعة ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك أين المهاجرون عن موعد الله ؟ سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتب أن يورثكموها . فقال : ليظهره على الدين كله فالله مظهر دينه ومعز ناصره ومولي أهله مواريث الأمم . أين عباد الله الصالحون ؟ فانتدب أبو عبيد الثقفي ، ثم سعد بن عبيد الانصاري ، ثم سليط بن قيس ، فولى أبا عبيد على البعث لسبقه ، وقال : إسمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأشركهم في الأمر ولا تجتهد مسرعاً بل اتئد فإنها الحرب ، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكث الذي يعرف الفرصة والكف . ولم يمنعني أن أوامر سليطاً إلا لسرعته إلى الحرب ، وفي السرعة إلى الحرب إلا عن بيان ضياع والله لولا سرعتي لأمرته . فكان بعث أبي عبيد هذا أول بعث بعثه عمر ، ثم بعث بعده يغلي^(٣) بن أمية إلى اليمن وأمره بإجلاء أهل نجران

(١) وفي نسخة أخرى : زوجة آرميدخت ، فغضبت وبعثت .

(٢) وفي نسخة أخرى : وتشاغلوا بذلك عن ملكها .

(٣) وفي نسخة أخرى : بعلي .

لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك في مرضه ، وقال أخبرهم أنا نجليهم بأمر الله ورسوله أن لا يترك دينان بأرض العرب ثم نعطيهم أرضاً كأرضهم وفاء بدمتهم كما أمر الله .

قالوا : فخرج أبو عبيد مع المثني بن حارثة وسعد وسليط إلى العراق ، وقد كانت بوران بنت كسرى كلما اختلفت الناس بالمدائن عدلت بينهم حتى يصطلحوا ، فلما قتل الفرخزاد بن البندوان وملكة آرميدخت اختلف أهل فارس واشتغلوا عن المسلمين غيبة المثني كلها ، فبعثت بوران إلى رستم تستحثه للقدوم وكان على فرج^(١) خراسان ، فأقبل في الناس إلى المدائن وعزل الفرخزاد وفقاً عين آرميدخت ونصب بوران ، فملكته وأحضرت مرازية فارس فأسلموا له ورضوا به وتوجته . وسبق المثني إلى الحيرة ، ولحقه أبو عبيد ومن معه . وكتب رستم إلى دهاقين السواد أن يثوروا بالمسلمين وبعث في كل رستاق رجلاً لذلك ، فكان في فرات باذقلاجابان وفي كسكر نرسي ، وبعث جنداً لمصادمة المثني فساروا واجتمعوا أسفل الفرات . وخرج المثني من الحيرة خوفاً أن يؤتى من خلفه ، فقدم عليه أبو عبيد ، ونزل جابان النمارق ومعه جمع عظيم ، فلقبه أبو عبيد هناك وهزم الله أهل فارس وأسر جابان ثم أطلق ، وساروا في المنهزمين حتى دخلوا كسكر وكان بها نرسي ابن خالة كسرى فجمع الفالة إلى عسكره ، وسار إليهم أبو عبيد من النمارق في تعبته ، وكان على مجنبي نرسي نفدويه وشيروه^(٢) إبننا بسطام خال كسرى .

واتصلت هزيمة جابان ببوران ورستم فبعثوا الجالانوس مدداً لنرسي وعاجلهم أبو عبيد فالتقوا أسفل من كسكر فاشتد القتال وانهزمت الفرس ، وهرب نرسي وغنم المسلمون ما في عسكره ، وبعث أبو عبيد المثني وعاصماً فهزموا من كان تجمع من أهل الرساتيق وخربوا وسبوا وأخذوا الجزية من أهل السواد وهم يتريصون قدوم الجالانوس . ولما سمع به أبو عبيد سار إليه على تعبته فانهزم الجالانوس وهرب ورجع أبو عبيد فترل الحيرة ، وقد كان عمر قال له : «إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والخزي تقدم على قوم تجرأوا على الشر فعلموه وتناسوا الخير فجهلوه فانظر كيف تكون

(١) الفرج : الخلل بين الشيتين ، الثغر ، فرج الوادي : بطنه . فرج الطريق : مته .

(٢) وفي النسخة الباريية : بندويه وتبروبة .

وأحرز لسانك ولا تفش سرّك فإنّ صاحب السرّ ما ضبّط متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه وإذا ضيّعه كان بمضيعة» .

ولما رجع الجالندوس إلى رستم بعث بهمن حادويه ذا الحاجب إلى الحيرة فأقبل ومعه درفش كايان راية كسرى عرض ثمانية أذرع في طول إثني عشر من جلود النمر فتزل في الناطف على الفرات ، وأقبل أبو عبيد فتزل عدوته وقعد إلى أن نصبوا للفريقين جسراً على الفرات ، وخيّرهم بهمن حادويه في عبوره أو عبورهم ، فاختر أبو عبيد العبور وأجاز إليهم . وماجت الأرض بالمقاتلة ونفرت خيول المسلمين وكراديسهم من الفيلة ، وأمر بالتخفيف عن الخيل فترجل أبو عبيد والناس وصافحوا العدو بالسيوف ، ودافعهم الفيلة فقطعوا وضنها ^(١) فسقطت رحالها وقتل من كان عليها ، وقابل أبو عبيد فيلاً منهم فوطئه بيده وقام عليه فأهلكه . وقاتلهم الناس ثم انهزموا عن المشى وسبقه بعض المسلمين إلى الجسر ^(٢) فقطعه ، وقال : موتوا أو تظفروا . وتوالب بعضهم الفرات فغرقوا وأقام المشى وناس معه مثل عروة بن زيد الخيل وأبي محجن الثقفي وأنظارهم ، وقاتل أبو زيد الطائي كان نصرانياً قدم الحيرة لبعض أمره فحضر مع المشى وقاتل حينئذ حميّة ، ونادى المشى الذين عبروا من المسلمين فعقدوا الجسر وأجاز بالناس ، وكان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس فانفض أصحابه إلى المدينة وبقي المشى في فله جريحاً .

وبلغ الخبر إلى عمر فشق ^(٣) عليه وعذر المنهزمين ، وهلك من المسلمين يومئذ أربعة آلاف قتلى وغرقى وهرب ألفان وبقيت ثلاثة آلاف . وبينما بهمن حادويه يروم العبور خلف المسلمين أتاه الخبر بأن الفرس ثاروا برستم مع الفيرزان فرجع إلى المدائن ، وكانت الواقعة في مدائن سنة ثلاث عشرة . ولما رجع بهمن حادويه أتبعه جابان ومعه مردارشاہ ^(٤) ، وخرج المشى في أثرهما فلما أشرف عليهما أتياه يظنان أنه هارب فأخذهما أسيرين ، وخرج أهل الليس على أصحابهما فأتو بهم أسرى وعقدوا معه مهادنة وقتل جميع الأسرى .

(١) ج وضين ، الوضين للهودج بمنزلة الخزام للسرج (قاموس)

(٢) وفي النسخة الباريسية : إلى الحصن .

(٣) وفي النسخة الباريسية : اشتد عليه .

(٤) وفي نسخة أخرى : مرادن شاه

ولمّا بلغ عمر رضي الله عنه وقعة أبي عبيد بالجسر ندب الناس إلى المثنى ، وكان فيمن ندب بجيلة وأمرهم إلى جرير بن عبدالله لأنه الذي جمعهم من القبائل بعد أن كانوا مفترقين ووعدّه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وشغل عن ذلك أبو بكر بأمر الردّة ووفّى له عمر به وسيّره مدداً للمثنى بالعراق ، وبعث عصمة بن عبدالله الضبي ، وكتب إلى أهل الردّة بأن يوافوا المثنى وبعث المثنى الرسل فيمن يليه من العرب ، فوافوه^(١) في جموع عظيمة حتى نصارى النمر جاؤه وعليهم أنس بن هلال ، وقالوا : نقاتل مع قومنا . وبلغ الخبر إلى رستم والفيروزان فبعثا مهران الهمداني إلى الحيرة والمثنى بين القادسية وخفان ، فلما بلغه الخبر استبقى فرات باذقلا وكتب بالخبر إلى جرير وعصمة ان يقصدا العذيب مما يلي الكوفة ، فاجتمعوا هنالك ومهران قبالتهم عدوة الفرات وتركوا له العبور فأجاز إليهم . وسار إليه المثنى في التعبية وعلى مجنبيه مهران مرزبان الحيرة من الأزديّة^(٢) ومردار شاه ، ووقف المثنى على الرايات يحرض الناس فأعجلتهم فارس وخالطوهم وركدت حربهم واشتدت ، ثم حمل المثنى على مهران فأزاله عن مركزه ، وأصيب مسعود أخو المثنى ، وخالط المثنى القلب ووثب المجنّبات على المجنّبات قبالتهم فانهزمت الفرس ، وسبقهم^(٣) المثنى إلى الجسر فهربوا مصعدين ومنحدرين ، واستلحمتهم خيول المسلمين وقتل فيها مائة ألف أو يزيدون ، وأحصى مائة رجل من المسلمين قتل كل واحد منهم عشرة . وتبعهم المسلمون إلى الليل ، وأرسل المثنى في آثار الفرس ، فبلغوا ساباط فغنموا وسبوا ساباط^(٤) واستباحوا القرى وسخروا السواد بينهم وبين دجلة لا يلقون مانعاً . ورجع المنهزمون إلى رستم فاستهانوا ورضوا أن يتركوا ما وراء دجلة .

ثم خرج المثنى من الحيرة واستخلف بشير بن الخصاصية وسار نحو السواد ونزل الليس من قرى الأنبار فسميت الغزاة ، غزاة الأنبار الآخرة وغزاة الليس الآخرة ، وجاءت إلى المثنى عيون فدلته على سوق الخنافس وسوق بغداد ، وأنّ سوق الخنافس أقرب ويجمع بها تجار المدائن والسواد وخفراؤهم ربيعة وقضاة ، فركب إليها وأغار عليها

(١) وفي النسخة الباريّة : فوافقه .

(٢) وفي نسخة أخرى : ابن الازاذبة

(٣) وفي النسخة الباريّة : وساقهم .

(٤) وفي النسخة الباريّة : فبلغوا السيب فغنموا وسبوا وبلغوا ساباط .

يوم سوق ، فاشتف السوق وما فيها وسلب الخفراء ورجع إلى الأنبار فأتوه بالعلوفة والزاد وأخذ منهم أدلاء تظهر له المدائن وسار بهم إلى بغداد ليلاً ، وصبح السوق فوضع فيهم السيف وأخذ ما شاء من الذهب والفضة والجيد من كل شيء . ثم رجع إلى الأنبار وبعث المضارب العجلي إلى الركان^(١) وبه جماعة من تغلب فهربوا عنه ، ولحقهم المضارب فقتل في أخرياتهم وأكثر . ثم سرح فرات بن حيان التغلبي وعتيبة ابن النهاس للإغارة على أحياء من تغلب بصفين ، ثم اتبعها المشي بنفسه فوجدوا أحياء صفين قد هربوا عنها فعبر المشي إلى الجزيرة ، وفي زادهم وأكلوا رواحلهم وأدركوا عيراً من أهل خفان^(٢) ، فحضر نفر من تغلب فأخذوا العير ودلهم أحد الخفراء على حي من تغلب ساروا إليه يومهم ، وهجموا عليهم فقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية واستاقوا الأموال ، وكان هذا الحي بوادي الرويحة ، فاشترى أسراهم من كان هنالك من ربيعة بنصيبهم من النية وأعتقوهم وكانت ربيعة لا تسبي في الجاهلية . ولما سمع المشي أن جميع من يملك البلاد قد انتجع شاطئ دجلة خرج في اتباعهم فأدركهم بتكريت ، فغنم ما شاء وعاد إلى الأنبار ، ومضى عتيبة وفرات حتى أغارا على النمر وتغلب بصفين ، وتمكن رعب المسلمين من قلوب أهل فارس وملكوا ما بين الفرات ودجلة .

أخبار القادسية

ولما دهم أهل فارس من المسلمين بالسواد ما دهمهم وهم مختلفون بين رستم والفيروزان واجتمع عظماءهم وقالوا لها إما أن تجتمعا وإلا فنحن لكما حرب فقد عرضتمونا للهلكة وما بعد بغداد وتكريت إلى المدار^(٣) فأطاعا لذلك ، وفزعوا إلى بوران يسألونها في ولد من آل كسرى يولونه عليهم ، فأحضرت لهم النساء والسراري وبسطوا عليهن العذاب فذكروا لهم غلاماً من ولد شهر يار بن كسرى اسمه يزدرج أخذته أمه عندما قتل شيرويه أبناء أبيه ، فسألوا أمه عنه فدلتهم عليه عند أخواله كانت أودعته عندهم حينئذ فجاؤا به ابن إحدى وعشرين سنة فملكوه واجتمعوا عليه ، وتبارى

(١) وفي نسخة أخرى الكبات .

(٢) ويقال أهل دبا .

(٣) وفي نسخة أخرى : المدائن .

المزاربة في طاعته وعين المسالحي والجنود لكل ثغر ومنها الحيرة والأبلة والأنبار وخرجوا إليها من المدائن .

وكتب المثنى بذلك إلى عمر ، وبينما هو ينتظر الجواب انتقض أهل السواد وكفروا وخرج المثنى إلى ذي قار ، ونزل الناس في عسكر واحد . ولما وصل كتابه إلى عمر قال : « والله لأضربن مملوك العجم بملوك العرب » ، فلم يدع رئيساً ولا ذا رأي وشرف وبسطة ولا خطيباً ولا شاعراً إلا رماهم به ، فرماهم بوجوه الناس ، وكتب إلى المثنى يأمره بخروج المسلمين من بين العجم والتفرق في المياه بجياهم ، وأن يدعو الفرسان وأهل النجدات من ربيعة ومضر ويحضرهم طوعاً وكرهاً ، فتزل المسلمون بالحلقة^(١) وسروا^(٢) إلى عصي وهو جبل البصرة متناظرين ، وكتب إلى عماله على العرب أن يبعثوا إليه من كانت له نجدة أو فرس أو سلاح أو رأي وخرج إلى الحج ، فحج سنة ثلاث عشرة ، ورجع فجاءته أفواجهم إلى المدينة ، ومن كان أقرب إلى العراق انضم إلى المثنى ، فلما اجتمعت عنده إمداد العرب خرج من المدينة واستخلف عليها علياً وعسكر على صرار من ضواحيها ، وبعث على المقدمة طلحة وجعل على المجنبتين عبد الرحمن والزبير وانهم أمره على الناس ، ولم يطق أحد سؤاله ، فسأله عثمان . فأحضر الناس واستشارهم في المسير إلى العراق فقال العامة : سرنحن معك فوافقهم ، ثم رجع إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحضر علياً وطلحة والزبير وعبد الرحمن واستشارهم فأشاروا بمقامه وأن يبعث رجلاً بعده آخر من الصحابة بالجنود حتى يفتح الله على المسلمين ويهلك عدوهم ، فقبل ذلك ورأى فيه الصواب . وعين لذلك سعد بن أبي وقاص وكان على صدقات هوزان فأحضره وولاه حرب العراق وأوصاه وقال : « يا سعد بن أم سعد لا يغرنك من الله أن يقال خال رسول الله وصاحب رسول الله فإن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب إلا بطاعته فالناس في دين الله سواء الله ربههم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة . فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه وعليك بالصبر » . ثم سرحه في أربعة آلاف ممن اجتمع إليه فيهم : حميضة بن النعمان بن حميضة على

(١) وفي نسخة أخرى : بالجل .

(٢) وفي النسخة الباريسية : وسراق .

بارق ، وعمرو بن معدي كرب وأبوسبرة بن أبي رهم على مذحج ، ويزيد بن الحرث الصدائي على عذرة ، وخبب ومسلية وبشر بن عبدالله الهلالي على قيس عيلان ، والحصين بن نمير ومعاوية بن حديج على السكون وكندة . ثم أمر بعد خروجه بألني يمانى وألني فخرى . وسار سعد وبلغه في طريقه بزورد^(١) أن المثنى مات من جراحة انتقضت ، وأنه استخلف على الناس بشير بن الخصاصية ، وكانت جموع المثنى ثلاثة آلاف ، وكذلك أربعة آلاف من تميم والرباب وأقاموا ، وعمر ضرب على بني أسد أن يتزلوا على حد أرضهم ، فترلوا في ثلاثة آلاف وأقاموا بين سعد والمثنى ، وسار سعد إلى سيراف فترلها ، واجتمعت إليه العساكر ولحقه الأشعث بن قيس ومعه ثلاثون ألفاً ، ولم يكن أحد أجراً على الفرس من ربيعة ، ثم عبى سعد كتائب من سيراف وأمر الأمراء وعرف على كل عشرة عريفاً ، وجعل الرايات لأهل السابقة ورتب المقدمة والساقة والمجنبات والطلائع وكل ذلك بأمر عمر ورأيه ، وبعث في المقدمة زهرة بن عبدالله بن قتادة الحيوي من بني تميم فأنتهى إلى العذيب ، وعلى الإمامة عبدالله بن المعتمر ، وعلى المسيرة شرحبيل بن السمط وخليفة بن خالد بن عرفطة حليف بني عبد شمس وعاصم بن عمر التميمي ، وسواد بن مالك التميمي على الطلائع ، وسلمان بن ربيعة الباهلي على المجردة . ثم سار على التعبئة ولقيه المهني^(٢) بن حارثة الشيباني بسيراف ، وقد كان بعد موت أخيه المثنى سار بذي قار إلى قابوس واستلحمه ومن معه ورجع إلى ذي قار .

وجاء إلى سعد بالخبر ليعلمه بوصية المثنى إليه أن لا تدخلوا بلاد فارس وقتلوههم على حد أرضهم بادية حجر من أرض العرب ، فإن يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم وإلا رجعتهم إلى فئة ثم تكونوا أعلم بسبيهم وأجراً على أرضهم إلى أن يرد الله الكرب . فترحم سعد ومن معه على المثنى وولى أخاه المهني على عمله وتزوج سلمى زوجته ، ووصله كتاب عمر بمثل رأي المثنى يسأله عن سيراف . ونزل العرب ثم أتى القادسية فترلها بحيال القنطرة بين العتيق والخندق ، ووصله كتاب عمر يؤكد عليهم في الوفاء بالأنبار ولو كان إشارة أو ملاءمة ، وكان زهرة في المقدمة فبعث سرية للإغارة على الحيرة عليها بكر بن عبدالله الليثي ، وإذا أخت مرزبان الحيرة تزفت إلى زوجها فحمل

(١) وفي نسخة ثانية : يزورد .

(٢) وفي نسخة ثانية : المعنى .

بكير على ابن الأزدية فقتله وحملوا الأثقال والعروس في ثلاثين امرأة ومائة من التوابع ومعهم ما لا يعرف قيمته ، ورجع بالغنائم فصبح سعد بالعذيب فقسمه في المسلمين .

ولما رجع سعد إلى القادسية أقام بها شهراً يشن الغارات بين كسكر والأنبار ولم يأت خبر عن الفرس ، وقد بلغت أخبارهم إلى يزدجرد وأن ما بين الحيرة والفرات قد نهب وخرّب ، فأحضر رستم ودفعه لهذا الوجه ، فتقاعده عنه وقال : ليس هذا من الرأي . وبعث الجيوش يعقب بعضها بعضاً أولى من مصادمة مرة ، فأبى يزدجرد إلا مسيره لذلك . فعسكر رستم بساباط وكتب سعد بذلك إلى عمر ، فكتب إليه لا يكثر ثنك ما يأتيك عنهم واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث رجالاً من أهل الراي والجلد يدعونه فإن الله جاعل ذلك وهناً لهم .

فأرسل سعد نفرًا منهم : النعمان بن مقرن ، وقيس بن زرارة^(١) ، والأشعث بن قيس ، وفرات بن حيان وعاصم بن عمر ، وعمرو بن معدي كرب ، والمغيرة بن شعبة ، والمهني بن حارثة . فقدموا على يزدجرد وتركوا رستم ، واجتمعوا واجتمع الناس ينظرون إليهم وإلى خيولهم ويردّوهم ، فأحضرهم يزدجرد وقال لترجمانه : سلهم ما جاء بكم وما أولعكم بغزونا وبلادنا من أجل أنا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟ فتكلّم النعمان بن مقرن بعد أن استأذن أصحابه ، وقال ما معناه : إن الله رحمننا وأرسل إلينا رسولا صفته كذا يدعونا إلى كذا ووعدنا بكذا فأجابه منّا قوم وتباعد قوم ثم أمر أن يجاهد من خالفه من العرب فدخلوا معه على وجهين مكره اغتبط وطائع ازداد حتى اجتمعنا عليه وعرفنا فضل ما جاء به ثم أمرنا بجهاد من يلينا من الأمم ودعائهم إلى الإنصاف فإن أيّتم فأمر أهون من ذلك وهو الجزية فإن أيّتم فالمناجزة ، فقال يزدجرد : لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم وقد كان أهل الضواحي يكفونا أمركم ولا تطمعوا أن تقوموا للفرس فإن كان بكم جهد أعطيناكم قوتاً وكسوناكم وملّكنا عليكم ملكاً يرفق بكم . فقال قيس بن زرارة : هؤلاء أشراف العرب والأشراف يستحيون من الأشراف وأنا أكلمك وهم يشهدون ، فأما ما ذكرت من سوء الحال فكما وصفت وأشد ثم ذكر

(١) وفي نسخة ثانية : النعمان بن مقرن وبشر بن أبي أدهم وجملة من حيوة وحنظلة بن الربيع وعدي بن سهيل وعطار بن حاجب والحرث بن حسان والمغيرة بن زرارة .

من عيش العرب ورحمة الله بهم بإرسال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما قال النعمان الخ . ثم قال له : اختر إما الجزية عن يد وأنت صاغر أو السيف وإلا فنحن نفسك بالإسلام . فقال يزدجرد : لو قتل أحد الرسل قبلي لقتلتكم . ثم استدعى بوقر من تراب وحمل على أعظمتهم ، وقال : إرجعوا إلى صاحبكم وأعلموه اني مرسل رستم حتى يدفنكم أجمعين في خندق القادسية ثم يدوخن بلادكم أعظم من تدويخ سابور . فقام عاصم بن عمر فحمل التراب على عنقه ، وقال : أنا أشرف هؤلاء . ولما رجع إلى سعد فقال : أبشر فقد أعطانا الله تراب أرضهم وعجب رستم من محاورتهم ، وأخبر يزدجرد بما قاله عاصم بن عمر ، فبعث في أثرهم إلى الحيرة فأعجزوهم .

ثم أغار سواد بن مالك التميمي بعد مسير الوفد إلى يزدجرد على الفراض فاستاق ثلثمائة دابة بين بغل وحمار وثور وآخرها سمكا وصبح بها العسكر ، فقسّمه سعد في الناس ، وواصلوا السرايا والبعوث لطلب اللحم ، وأمّا الطعام فكان عندهم كثيراً . وسار رستم إلى ساباط في ستين ألفاً وعلى مقدمته الجالوس في أربعين ألفاً وساقته عشرون ألفاً وفي الميمنة الهرمزان وفي الميسرة مهران بن بهرام الرازي ، وحمل معه ثلاثة وثلاثين فيلاً ثمانية عشر في القلب وخمسة عشر في الجنبين . ثم سار حتى نزل كوئي ، فأتى برجل من العرب ، فقال له رستم : ما جاء بكم وما تطلبون ؟ فقال : نطلب وعد الله بأرضكم وأبنائكم إن لم تسلموا . قال رستم : فإن قتلتم دون ذلك ، قال من قتل دخل الجنة ومن بقي أنجزه الله وعده ، قال رستم : فنحن إذا وضعنا في أيديكم ، فقال : أعمالكم وضعتكم وأسلمكم الله بها فلا يغرنك من ترى حولك فلست تحاول الناس^(١) إنما تحاول القضاء والقدر . فغضب وأمر به فضربت عنقه .

وسار فتنزل الفرس وفشا من عسكره المنكر وغضبوا الرعايا أموالهم وأبنائهم حتى نادى رستم منهم بالويل ، وقال : صدق والله العربي . وأتى ببعضهم فضرب عنقه . ثم سار حتى نزل الحيرة ودعا أهلها فعزّوهم^(٢) وهمّ بهم ، فقال له ابن ببيعة : لا تجمع علينا أن تعجز عن نصرتنا وتلومنا على الدفع عن أنفسنا . وأرسل سعد السرايا إلى السواد وسمع بهم رستم فبعث لاعتراضهم الفرس ، وبلغ ذلك سعداً فأمدّهم بعاصم بن عمر فجاءهم وخیل فارس تحتوشهم ، فلما رأوا عاصم هربوا ، وجاء عاصم بالغنائم .

(١) وفي النسخة الباريسية : الأنس .

(٢) وفي النسخة الباريسية : وهدهم .

ثم ارسل سعد عمرو بن معدي كرب وطليحة الأسدي طليعة فلما ساروا فرسخا وبعضه ، لقوا المسالح فرجع عمرو ، ومضى طليحة حتى وصل عسكر رستم وبات فيه وهتك أطناب خيمة أو خيمتين واقتاد بعض الخيل وخرج يعدو به فرسه ، ونذر به الفرس فركبوا في طلبه إلى أن أصبح وهم في أثره فكرّ على فارس فقتله ثم آخر وأسر الرابع ، وشارف عسكر المسلمين فرجعوا عنه ، ودخل طليحة على سعد بالفارسي ولم يخلف بعده فيهم مثله فأسلم ولزم طليحة .

ثم سار رستم فنزل القادسية بعد ستة أشهر من المدائن ، وكان يطاول خوفا وتقيّة ، والملك يستحثّه وكان رأى في منامه كأن ملكاً نزل من السماء ومعه النبيّ صلى الله عليه وسلم ودفعه النبيّ إلى عمر فحزن لذلك أهل فارس في سيره . ولما وصل القادسية وقف على العتيق حيال عسكر المسلمين والناس يتلاحقون حتى أغتموا من كثرتهم ، وركب رستم غداة تلك الليلة وصعد مع النهر وصوّب^(١) حتى وقف على القنطرة ، وأرسل إلى زهرة فواقفه وعرض له بالصلح . وقال : كنتم جيراننا وكنا نحسن إليكم ونحفظكم ويقرّر صنيعهم مع العرب ويقول زهرة : ليس أمرنا بذلك^(٢) وإنما طلبنا الآخرة وقد كنا كما ذكرت إلى أن بعث الله فينا رسولا دعانا إلى دين الحق فأجبناه . وقال : قد سلطتكم على من لم يدن به وأنا منتقم بكم منهم وأجعل لكم الغلبة . فقال رستم : وما هو دين الحق . فقال : الشهاداتتان وإخراج الناس من عبادة الخلق إلى عبادة الله وأنتم إخوان في ذلك . فقال رستم : فإن أجبنا إلى هذا ترجعون ؟ فقال : إي والله فانصرف عنه رستم . ودعا رجال فارس وذكر ذلك لهم فأنفوا ، وأرسل إلى سعد أن ابعث لنا رجلا نكلمه ويكلمنا ، فبعث إليهم ربعي بن عامر وحبسوه على القنطرة حتى أعلموا رستم ، فجلس على سرير من ذهب وبسط النمارق والثوباء منسوجة بالذهب ، وأقبل ربعي على فرسه وسيفه في خرقة ورمحه مشدودة بعصب ، وقدم حتى انتهى إلى البساط ووطئه بفرسه ، ثم نزل وربطها بوسادتين شققها وجعل الحبل فيهما ، فلم يقبلوا ذلك وأظهروا التهاون . ثم أخذ عباءة بعيره فاشتملها ، وأشاروا إليه بوضع سلاحه فقال : لو أتيتكم فعلت كذا فأمركم وإنما دعوتوني . ثم أقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه حتى أفسد ما مرّ عليه من البسط ،

(١) وفي نسخة ثانية : وصوّت .

(٢) وفي نسخة ثانية : من أولئك .

ثم دنا من رستم وجلس على الأرض وركز رمحہ على البساط وقال : إنا لا نقعد على زيتكم . فقال له الترجمان : ما جاء بكم ، فقال : الله بعثنا لنخرج عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام وأرسلنا بدينه إلى خلقه فمن قبله قبلنا منه وتركناه وأرضه ومن أبى قاتلناه حتى نفىء إلى الجنة أو الظفر . فقال رستم : هل لكم أن تؤخر هذا الأمر حتى ننظر فيه ؟ قال : نعم كم أحب إليك يوماً أو يومين ، قال : لا بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا . فقال : إن مما سنّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نمكّن الأعداء أكثر من ثلاث فانظر في أمرك وأمرهم واختر إماماً الإسلام وندعك وأرضك أو الجزية فنقبل ونكف عنك وإن احتجت إلينا نصرناك أو المنابذة في الرابع أن تنبذ^(١) وأنا كفيل بهذا عن أصحابي . قال أسيدهم أنت ؟ قال : لا ولكن المسلمون كالجسد الواحد يحيز بعضهم عن بعض يحيز أدناهم على أعلاهم . فخلا رستم برؤساء قومه وقال : رأيتم كلاماً قط مثل كلام هذا الرجل ؟ فأروه الاستخفاف بشأنه وثيابه . فقال : ويحكم إنما أنظر إلى الرأي والكلام والسيرة والعرب تستخف اللباس وتصون الأحساب .

ثم أرسل إلى سعد أن إبعث إلينا ذلك الرجل ، فبعث إليهم حذيفة بن محصن^(٢) ففعل كما فعل الأول ولم ينزل عن فرسه وتكلم وأجاب مثل الأول ، فقال له : ما قعد بالأول عنا ؟ فقال : أميرنا يعدل بيننا في الشدة والرخاء وهذه نوبتي . فقال رستم : والمواعدة إلى متى ؟ فقال : إلى ثلاث من أمس وانصرف . وحاص رستم بأصحابه يعجبهم من شأن القوم . وبعث في الغد عن آخر فجاءه المغيرة بن شعبة فلما وصل إليهم وهم على زيهم وبسطهم على غلوة من مجلس رستم فجاء المغيرة حتى جلس معه على سريرته فأنزله ، فقال : لا أرى قوماً أسفه منا معشر العرب لا نستعبد بعضاً بعضاً فظننتكم كذلك وكان أحسن بكم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض مع أني لم آتكم وإنما دعوتوني فقد علمت أنكم مغلوبون ولم يقم ملك على هذه السيرة . فقالت السفلة : صدق والله العربي ، وقالت الأساطين^(٣) : لقد رمانا بكلام لا تزال عبيدنا يترعون إليه قاتل الله من يصغر أمر هذه الأمة . ثم تكلم رستم فعظم من

(١) وفي نسخة ثانية : إلا أن تبدلوا .

(٢) وفي النسخة الباريسية : ابن حصن .

(٣) وفي نسخة ثانية : الدهاقين .

أمر فارس بل من شأن فارس وسلطانهم وصغر أمر العرب وقال : كانت عيشتكم سيئة وكنتم تقصدونا في الجذب فنردكم بشيء من التمر والشعير ولم يحملكم على ما صنعتم إلا ما بكم من الجهد ونحن نعطي أميركم كسوة وبغلا وألف درهم وكل رجل منكم حمل تمر وتنصرفون فلست أشتهي قتلكم . فتكلم المغيرة وخطب فقال : أما الذي وصفنا به من سوء الحال والضيق والاختلاف فنعرفه ولا ننكره والدنيا دُولٌ والشدة بعدها الرخاء ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم قليلاً عما أوتيتم وقد أسلمكم ضعف^(١) الشكر إلى تغير الحال وأن الله بعث فينا رسولاً ، ثم ذكر مثل ما تقدّم إلى التخيير بين الإسلام أو الجزية أو القتال ، ثم قال : وإن عيالنا ذاقوا طعام بلادكم فقالوا لا صبر لنا عنه . فقال رستم : إذا تموتون دونها ، فقال المغيرة : يدخل من قتل منا الجنة ويظفر من بقي منا بكم . فاستشاط غضباً وحلف أن لا يقع الصلح أبداً حتى أقتلكم أجمعين . وانصرف المغيرة وخلا رستم بأهل فارس وعرض عليهم مصالحة القوم ، وحذرهم عاقبة حربهم ، فلعجوا . وبعث إليه سعد يعرض عليه الإسلام ويرغب ، فأجابه بمثل ما كان يقول لأولئك من الإمتنان على العرب والتعريض بالمطامع ، فلم يتفق شيء من رأيهم . فقال رستم : تعبرون إلينا أم نعبّر إليكم ؟ فقالوا : بل اعبروا وأرسل إليهم سعد بذلك وأرادوا القنطرة ، فقال سعد : لا ولا كرامة لا نردّ عليكم شيئاً غلبناكم عليه فأبى . فأتوا^(٢) يسكرون العتيق بالتراب والقصب والبرادع حتى جعلوا جسراً .

ثم عبر رستم ونصب له سريرته وجلس عليه وضرب طيارة وعبر عسكره ، وجعل الفيلة في القلب والمجنبتين عليها الصناديق والرجال والرايات أمثال الحصون ، وجعل الجالوس بينه وبين الميمنة والفيروزان بينه وبين الميسرة ، ورتب يزدجرد الرجال بين المدائن والقادسية وما بينه وبين رستم رجلاً على كل دعوة تنتقل إليه ينبئهم أخبار رستم في أسرع وقت . ثم أخذ المسلمون مصافهم واختط سعد قصره ، وكان به عرق النساء وأصابته معه دماويل لا يستطيع معها الجلوس فصعد على سطح القصر راكباً على وسادة في صدره وأشرف على الناس ، وعاب ذلك عليه بعض الناس فترل واعتذر إليهم وأراهم القروح في جسده فعذروه ، واستخلف خالد بن عرفطة على الناس

(١) وفي نسخة ثانية : وقد أسلمكم الله بضعف الشكر .

(٢) وفي نسخة ثانية : فباتوا .

وحبس من شغب عليه في القصر وقيدهم ، وكان فيهم أبو محجن الثقفي ، وقيل إنما حبسه بسبب الخمر . ثم خطب الناس وحثهم على الجهاد وذكرهم بوعده الله ، وذلك في المحرم سنة أربع عشرة ، وأخبرهم أنه استخلف خالد بن عرفطة . وأرسل جماعة من أهل الرأي لتحريض الناس على القتال مثل المغيرة وحذيفة وعاصم وطلحة وقيس وغالب وعمرو ، ومن الشعراء الشماخ والحطيئة والعبدى بل وعبد بن الطيب وغيرهم ففعلوا ، ثم أمر بقراءة الأنفال فهشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها ، فلما فرغت القراءة قال سعد : إزموا مواقفكم فإذا صليت الظهر فإني مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا ، فإذا سمعت الثانية فكبروا وأتموا عدتكم ، فإذا سمعت الثالثة فكبروا ونشطوا الناس ، فإذا سمعت الرابعة فازحفوا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله .

فلما كبر الثالثة برز أهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج أمثالهم من الفرس فاعتوروا الطعن والضرب ، وارتجزوا الشعر ، وأول من أسر في ذلك اليوم هرمز من ملوك الكبار^(١) وكان متوجاً أسره غالب بن عبد الله الأسدي^(٢) فدفعه إلى سعد ورجع إلى الحرب . وطلب البراز أسوار منهم فبرز إليه عمرو بن معدي كرب فأخذه وجلده الأرض فذبحه وسلب سواريه ومنطقته . ثم حملوا الفيلة على المسلمين وأمالوها على بحيلة فثقلت عليهم ، فأرسل سعد إلى بني أسد أن يدافعوا عنهم ، فجاءه طليحة بن خويلد وحمل بن مالك فردوا الفيلة ، وخرج على طليحة عظيم منهم فقتله طليحة ، وغير الأشعث بن قيس كندة بما يفعله بنو أسد فاستشاطوا ونهذوا معه فأزالوا الذين بازائهم . وحين رأى الفرس ما لقي الناس والفيلة من بني أسد حملوا عليهم جميعاً وفيهم ذو الحجاب والخالنوس .

وكبر سعد الرابعة فرحف المسلمون وثبت بنو أسد ، ودارت رحى الحرب عليهم وحملت الفيول على الميمنة والميسرة ونفرت خيول المسلمين منها فأرسل سعد إلى عاصم بن عمر هل من حيلة لهذه الفيلة ؟ فبعث الرماة يرشقونها بالنبل واشتد لردّها آخرون يقطعون الوضن ، وخرج عاصم بجميعهم ورحى الحرب على أسد ، واشتد عواء الفيلة ووقعت الصناديق فهلك أصحابها ، ونفس عن أسد أن أصيب منهم

(١) وفي نسخة ثانية : اللباب .

(٢) وفي نسخة ثانية : الأزدي .

خمسمائة وردوا فارس إلى مواقعهم . ثم اقتتلوا إلى هدى من الليل وكان هذا اليوم الأول وهو يوم الرماة . ولما أصبح دفن القتلى وأسلم الجرحى إلى نساء يقمن عليهم ، وإذا بنواصي الخيل طالعة من الشام . كان عمر بعد فتح دمشق عزل خالد بن الوليد عن جند العراق وأمر أبا عبيدة أن يؤمر عليهم هاشم بن عتبة يردهم إلى العراق ، فخرج بهم هاشم وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو ، فقام القعقاع على الناس صبيحة ذلك اليوم يوم أغواث ، وقد عهد إلى أصحابه أن يقطعوا أعشاراً بين كل عشرين مدّ البصر وكانوا ألفاً ، فسلم على الناس وبشرهم بالجنود وعرضهم على القتال ، وطلب البراز فخرج إليه ذو الحجاب فعرفه القعقاع ونادى بالثأر لأصحاب الحسر ، وتضارباً فقتله القعقاع وسرّ الناس بقتله ، ووهنت الأعاجم لذلك . ثم طلب البراز فخرج إليه الفيرزان والبندوان .

وأكثر المسلمون القتل في الفرس وأخذوا الفيلة عن القتال لأن نوابتها تكسرت بالأمس ، فاستأنفوا حملها ، وجعل القعقاع إبلاً وجعل عليها البراقع وأركبها عشرة عشرة ، وأطاف عليها الخيول تحملها ، وحملها على خيل الفرس فنفرت منها وركبتهم خيول المسلمين ، ولقي الفرس من الإبل أعظم مما لقي المسلمون من الفيلة . وبرز القعقاع يومئذ في ثلاثين فارساً في ثلاثين حملة فقتلهم ، كان آخرهم بزرجمهر الهمداني ، وبارز الأعور بن قطنة ^(١) شهر يار سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه .

ولما انتصف النهار تراحف الناس فاقتتلوا إلى انتصاف الليل وقتلوا عامة أعلام فارس ، ثم أصبحوا في اليوم الثالث على مواقعهم بين الصفين ومن المسلمين ألفا جريح وقتيل ومن المشركين عشرة آلاف ، فدفن المسلمون موتاهم وأسلموا الجرحى إلى النساء ووكلوا النساء والصبيان بحفر القبور ، وبقي قتلى المشركين بين الصفين . وبات القعقاع يسرب أصحابه إلى حيث فارقه بالأمس ، وأوصاهم إذا طلعت الشمس أن يقبلوا مائة مائة يجدد بذلك الناس ، وجاء بينهما يلحق هاشم بن عتبة . فلما ذر قرن الشمس أقبل أصحاب القعقاع فتقدموا والمسلمون يكبرون ، فتزاحفت الكتائب طعناً وهرباً ، وما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى لحق هاشم فعبى أصحابه سبعين سبعين وكان فيهم قيس بن المكشوح فلما خالط القلب كبر وكبر المسلمون ثم كبر فخرق الصفوف إلى

(١) وفي النسخة الباريسية : بن خطبة .

العتيق ، ثم عاد وقد أصبح الفرس على مواقفهم وأعادوا الصناديق على الفيلة وأحدقوا الرجال بها يحمونها أن تقطع وضنها ، وأقام الفرسان يحمون الرجال فلم تنفر خيل المسلمين منها . وكان هذا اليوم يوم عماس وكان شديداً ، إلا أن الطائفتين فيه سواء وأبلى فيه قيس بن المكشوح وعمرو بن معدي كرب ، زحفت الفيلة وفرقت بين الكتائب . وأرسل سعد إلى القعقاع وعاصم أن أكفياني الأبيض وكان بازائها ، وإلى محمل والذميل^(١) أن أكفياني الأجرب وكان بازائها ، فحملوا على الفيلين فقتل الأبيض ومن كان عليه وقطع مشفر الأجرب وفقت عينه وضرب سائسه الذميل بالطيرزين فأفلت جريحاً ، وتحير الأجرب بين الطائفتين وألقى نفسه في العتيق واتبعت الفيلة وخرقت^(٢) صفوف الأعاجم في اثره ، وقصدت المدائن بثوابتها^(٣) وهلك جميع من فيها . وخلص المسلمون والفرس فاختلفوا على سواء إلى المساء واقتتلوا بقية ليلتهم وتسمى ليلة الهريز .

فأرسل سعد طليحة وعمراً إلى مخاضة أسفل السكر يقومون عليها خشية أن يؤتى المسلمون منها ، فتشاوروا أن يأتوا الأعاجم من خلفهم ، فجاء طليحة وراء العسكر وكبر فارتاع أهل فارس ، فأغار عمرو أسفل المخاضة ورجع وزاحفهم الناس دون إذن سعد وأول من زاحفهم من الناس دون إذن سعد زاحفهم القعقاع وقومه فحمل عليهم ، ثم حمل بنو أسد ثم النخع ثم بجيلة ثم كندة ، وسعد يقول في كل واحدة اللهم اغفر لهم وانصرهم . وقد كان قال لهم إذا كبرت ثلاثاً فاحملوا ، فلما كبر الثالثة لحق الناس بعضهم بعضاً صلاة العشاء واختلطوا وصليل الحديد كصوت القرن إلى الصباح .

وركدت الحرب وانقطعت الأخبار والأصوات عن سعد ورستم وأقبل سعد على الدعاء ، وسمع نصف الليل صوت القعقاع في جماعة من الرؤساء إلى رستم حتى خالطوا صفه مع الصبح فحمل الناس من كل جهة على من يليهم واقتتلوا إلى قائم ظهيرة ، فناجز الفيرزان والهرمزات بعض الشيء وانفرج القلب ، وهبت ريح عاصف فقلبت طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق ، وانتهى القعقاع ومن معه إلى السرير

(١) وفي نسخة ثانية : الذميل .

(٢) وفي نسخة ثانية : وفرقت .

(٣) وفي نسخة ثانية : بوثوبها .

وقد قام رستم عنه فاستظل في ظل بغل وحمله ، وضرب هلال بن علقمة الحمل فوق أحد العدلين على رستم فكسر ظهره ، وضربه هلال ضربة نفحت مسكا وضرب نحو العتيق فرمى بنفسه فيه فاقتحم هلال وجره برجله فقتله ، وصعد السرير وقال : قتلت رستم ورب الكعبة إليّ إليّ . فأطافوا به وكبروا . وقيل إن هلالاً لما قصد رستم رماه بسهم ، فأثبت قدمه بالركاب ثم حمل عليه ، فقتله واحتر رأسه ونادى في الناس قتلت رستم .

فانهزم قلب المشركين وقام الجالحانوس على الردم ونادى الفرس إلى العبور ، وتهافت المقترون بالسلاسل في العتيق وكانوا ثلاثين فهلكوا ، وأخذ ضرار بن الخطاب راية الفرس العظيمة وهي درفش كايان فعوض منها ثلاثين ألفاً وكانت قيمتها ألف ألف ومائة ألف ألف ، وقتل ذلك اليوم من الأعاجم عشرة آلاف في المعركة ، وقتل من المشركين في ذلك اليوم ستة آلاف دفنوا بالخندق سوى ألفين وخمسمائة قتلوا ليلة الهرير ، وجمع من الأسلاب والأموال ما لم يجمع قبله ولا بعده مثله . ونفل سعد هلال بن علقمة سلب رستم ، وأمر القعقاع وشرحبيل باتباع العدو وقد كان خرج زهرة بن حيوة قبلهما في آثارهم ، فلحق الجالحانوس يجمع المنهزمين فقتله وأخذ سلبه ، فتوقف سعد من عطائه ، وكتب إلى عمر ، فكتب إليه : تعمد إلى مثل زهرة وقد صلى بمثل ما صلى به وقد بقي عليك من حربك ما بقي تفسد قلبه أمض له سلبه وفضله على أصحابه في العطاء بخمسمائة .

ولحق سلمان بن ربيعة الباهلي وأخذه عبد الرحمن بطائفة من الفرس قد استماتوا فقتلوهم أجمعين ، واستمات بعد الهزيمة بضعة وثلاثون رئيساً من المسلمين فقتلوهم أجمعين . وكان ممن هرب من أمراء الفرس الهرمزان وأهودوزاد بييس^(١) وقارن ، ومن استمات فقتل شهريار بن كبارا وأسر المدمرون والفردان الأهوازي وحشرشوم الهمداني . وكتب سعد إلى عمر بالفتح وبمن أصيب من المسلمين ، وكان عمر يسأل الركبان حين يصبح إلى انتصاف النهار ثم يرجع إلى أهله ، فلما ألقى البشير قال : من أين ؟ فأخبره فقال : حدثني فقال : هزم الله المشركين . ففرح بذلك . وأقام المسلمون بالقادسية ينتظرون كتاب عمر إلى أن وصلهم بالإقامة . وكانت وقعة القادسية سنة أربع عشرة وقيل خمس عشرة وقيل ست عشرة .

(١) وفي نسخة ثانية : الفرزاد بن بييس .

فتح المدائن وجلولاء بعدها

ولما انهزم أهل فارس بالقادسية انتهوا إلى بابل وفيهم بقايا الرؤساء النخيزجان ومهران الأهوازي والهرمزان وأشباههم واستعملوا عليهم الفيرزان . وأقام سعد بعد الفتح شهرين وسار بأمر عمر إلى المدائن وخلف العيال بالعتيق في جند كثيف حامية لهم ، وقدم بين يديه زهرة بن حيوة وشرحبيل بن السمط وعبدالله بن المعتمر^(١) ، ولقيهم بعض عساكر الفرس برستن فهزموهم حتى لحقوا ببابل . ثم جاء سعد وسار في التعبئة ونزلوا على الفيرزان ومن معه ببابل ، فخرجوا وقاتلوا المسلمين ، فانهزموا وافترقوا فرقتين ولحق الهرمزان بالأهواز والفيرزان بنهاوند وبها كنوز كسرى ، وسار النخيزجان ومهران إلى المدائن فتحصنوا وقطعوا الجسر . ثم سار سعد من بابل على التعبئة وزهرة في المقدمة ، وقدم بين يديه بكير بن عبدالله الليثي وكثير بن شهاب السبيعي^(٢) حتى عبرا ولحقا بأخريات القوم ، فقتلا في طريقهما اسوارين من أساورتهم ، ثم تقدموا إلى كوثى^(٣) وعليها شهر يار فخرج لقتالهم فقتل وانهزم أصحابه فافترقوا في البلاد . وجاء سعد فنفل قاتله سلبه .

وتقدم زهرة إلى ساباط فصالحه أهلها على الجزية وهزم كتيبة كسرى ، ثم نزلوا جميعاً نهرشير^(٤) من المدائن ، ولما عاينوا الإيوان كبروا وقالوا : هذا أبيض كسرى هذا ما وعد الله . وكان نزولهم عليها ذا الحجة سنة خمس عشرة فحاصروها ثلاثة أشهر ثم اقتحموها ، وكانت خيولهم تغير على النواحي وعهد إليهم عمر أن من أجاب من الفلاحين ولم يعن عليهم فذلك أمانة ، ومن هرب فأدرك فشأنكم به . ودخل الدهاقين من غربي دجلة وأهل السواد كلهم في أمان المسلمين واغتبطوا بملكهم ، واشتد الحصار على نهرشير ونصبوا عليها المجانيق واستلحسوه في المواطن ، وخرج بعض المرازبة يطلب البراز ، فقاتله زهرة بن حيوة فقتلا معا ، ويقال إن زهرة قتله شبيب الخارجي أيام الحجاج . ولما ضاق بهم الحصار ركب إليهم الناس بعض الأيام

(١) وفي النسخة الباريية : ابن المعتمر .

(٢) وفي النسخة الباريية : السعدي .

(٣) وفي النسخة الباريية : كوتا .

(٤) وفي نسخة ثانية : بهرشير .

فلم يروا على الأسوار أحداً إلا رجلاً يشير إليهم فقال : ما بقي بالمدينة أحد وقد صاروا إلى المدينة القصوى التي فيها الإيوان ، فدخل سعد والمسلمون وأرادوا العبور إليهم فوجدوهم جمعوا المعابر عندهم ، فأقام أياماً من صبر ودلّه بعض العلوج على مخاضة في دجلة فتردد ، فقال له أقدم فلا تأتي عليك ثلاثة إلا ويزدجرد قد ذهب بكل شيء فيها . فعزم سعد على العبور وخطب الناس وندبهم إلى العبور ورغبتهم ، وندب من يحيز أن لا يحيي الفراض حتى يحيز إليه الناس ، فانتدب عاصم بن عمر في ستمائة واقتحموا دجلة فلقبهم أمثالهم من الفرس عند الفراض وشدوا عليهم فانهزموا وقتل أكثرهم وعوروا من الطعن في العيون ، وعانينهم المسلمون على الفراض ، فاقتحموا في أثرهم يصيجون نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . وساروا في دجلة وقد طبقوا ما بين عدوتها وخيلهم ساجدة بهم وهم يهيمنون تارة ويتحادثون أخرى حتى أجازوا البحر ولم يفقدوا شيئاً ، إلا قدحا لبعضهم غلبت صاحبه عليه جرية الماء وألقته الريح إلى الشاطئ .

ورأى الفرس عساكر المسلمين قد أجازوا البحر فخرجوا هاربين إلى حلوان ، وكان يزدجرد قد قدم إليها قبل ذلك عياله ، ورفعوا ما قدروا عليه من عرض المتاع وخفيفه ومن بيت المال والنساء والذراري ، وتركوا بالمدائن من الثياب والأمتعة والآنية والألطف ما لا تحصر^(١) قيمته ، وكان في بيت المال ثلاثة آلاف ألف ألف ألف مكررة ثلاث مرات تكون جملتها ثلاثة آلاف قنطار من الدنانير ، وكان رستم عند مسيره إلى القادسية حمل نصفها لنفقات العساكر وأبقى النصف . واقتحمت العساكر المدينة تجول في سككها لا يلقون بها أحداً ، وأرز سائر الناس إلى القصر الأبيض حتى توثقوا لأنفسهم على الجزية .

ونزل سعد القصر الأبيض واتخذ الإيوان به مصلى ولم يغير ما فيه من التماثيل ، ولما دخله قرأ « كم تركوا من جنات وعيون » الآية ، وصلى فيه صلاة الفتح ثماني ركعات لا يفصل بينهن وأتم الصلاة بنية الإقامة . وسرح زهرة بن حيوة في آثار الأعاجم إلى النهروان وقراها من كل جهة ، وجعل على الأخماس عمرو بن عمرو بن مقرن ، وعلى القسم سلمان بن ربيعة الباهلي وجمع ما كان في القصر والإيوان والدور وما نهبه أهل المدائن عند الهزيمة ، ووجدوا حلية كسرى ثيابه وخرزاته وتاجه ودرعه التي كان

(١) وفي نسخة ثانية : لا تحصى .

يجلس فيها للمباهاة أخذ ذلك من أيدي الهاربين على بغلين ، وأخذ منهم أيضاً وقر
بغل من السيوف وآخر من الدروع والمغافر منسوبة كلها : درع هرقل وخاقان ملك
الترك وداهر ملك الهند وبهرام جور وسياوخش والنعمان بن المنذر وسيف كسرى وهرمز
وقباد وفيروز وهرقل وخاقان وداهر وبهرام وسياوخش والنعمان أحضرها القعقاع وخيَّره
في الأسلحة ، فاختار سيف هرقل وأعطاه درع بهرام ، وبعث إلى عمر سيف كسرى
والنعمان وتاج كسرى وحليته وثيابه ليراها الناس . وقسم سعد النية بين المسلمين بعدما
خمس ، وكانوا ستين ألفاً فصار للفارس اثنا عشر ألفاً وكلهم كان فارساً ليس فيهم
راجل ، ونفل من الأخماس في أهل البلاد ، وقسم في المنازل بين الناس ، واستدعى
العيالات من العتيق فأنزلهم الدور ولم يزلوا بالمدائن حتى تم فتح جلولاء وحلوان
وتكريت والموصل ، واختطت الكوفة فتحولوا إليها ، وأرسل في الخمس كل شيء
يعجب العرب منهم أن يضع إليهم ، وحضر إليهم نهار كسرى وهو الغطف وهو بساط
طوله ستون ذراعاً في مثلها مقدار مزرعة جريت في أرضه وهي منسوجة بالذهب طرقات
كالأنهار وتماثيل خلاها بصدف الدر والياقوت وفي حافاتها كالأرض المزدرة والمقبلة
بالنبات ورقها من الحرير على قضبان الذهب وزهره حبات الذهب والفضة وثمره
الجوهر ، كانت الأكاسرة يبسطونه في الإيوان في فصل الشتاء عند فقدان الرياحين
يشربون عليه ، فلما قدمت الأخماس على عمر قسمها في الناس ، ثم قال أشيروا في
هذا القصب ، فاختلفوا وأشاروا على نفسه ، فقطعه بينهم ، فأصاب عليّ قطعة منه
باعها بعشرين ألفاً ولم تكن بأجودها .

وولى عمر سعد بن أبي وقاص على الصلاة والحرب فيما غلب عليه ، وولى حذيفة بن
اليمان على سقي الفرات ، وعثمان بن حنيف على سقي دجلة ، ولما انتهى الفرس بالهرب
إلى جلولاء ، واقتربت الطرق من هنالك بأهل آذربيجان والباب وأهل الجبال
وفارس ، وقفوا هنالك خشية الافتراق واجتمعوا على مهران الرازي وخذقوا على
أنفسهم وأحاطوا الخندق بحسره الحديد ، وتقدم يزدجرد إلى حلوان . وبلغ ذلك
سعداً فكاتب عمر بذلك يأمره أن يسرح بجلولاء هاشم ابن أخيه عتبة في اثني عشر
ألفاً وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو ، وأن يولي القعقاع بعد الفتح ما بين السواد
والجبل . فسار هاشم من المدائن لذلك في وجوه المسلمين وأعلام العرب حتى قدم
جلولاء فأحاط بهم وحاصرهم في خنادقهم ، وزاحفهم ثمانين يوماً ينصرون عليهم في

كلها والمدد متصل من ههنا وههنا ثم قاتلهم آخر الأيام فقتلوا منهم أكثر من ليلة
الهرير ، وأرسل الله عليهم ريحاً وظلمة فسقط فرسانهم في الخندق وجعلوه طرقاتاً مما
يلهم ففسد حصنه ، وشعر المسلمون بذلك فجاء القعقاع إلى الخندق فوقف على
بابه ، وشاع في الناس أنه أخذ في الخندق ، فحئل الناس حملة واحدة إنهمز
المشركون لها وافترقوا ، ومروا بالحصرة التي تحصنوا بها فعقرت دوابهم فترجلوا ولم يفلت
منهم إلا القليل ، يقال إنه قتل منهم يومئذ مائة ألف . واتبعهم القعقاع بالطلب إلى
خانقين ، وأجفل يزدجرد من حلوان إلى الري واستخلف عليها حشرشوم^(١) ، وجاء
القعقاع إلى حلوان فبرز إليه حشرشوم وعلى مقدمته الرمي ، فقتله القعقاع وهرب
حشرشوم من ورائه ، وملك القعقاع حلوان وكتب إلى عمر بالفتح واستأذنوا في
اتباعهم ، فأبى وقال : وددت أن بين السواد والجبل سداً حصيناً من ريف السواد
فقد أثرت سلامة المسلمين على الأنفال .

وأحصيت الغنيمة فكانت ثلاثين ألف ألف ، فقسمها سلمان بن ربيعة ، يقال : إنه
أصاب الفارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب . وبعثوا بالأخماس إلى عمر مع زياد
ابن أبيه . فلما قدم الخمس قال عمر : والله لا يحنه سقف حتى أقسمه ، فجعله في
المسجد وبات عبد الرحمن بن عوف وعبدالله بن أرقم يحرسانه ، ولما أصبح جاء في
الناس ونظر إلى ياقوتة وجوهرة فبكى ، فقال عبد الرحمن بن عوف : ما يبكيك يا أمير
المؤمنين وهذا موطن شكر ؟ قال : والله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا
فيلقي الله بأسهم بينهم . ومنع عمر من قسمة السواد ما بين حلوان والقادسية فأقره
حبساً ، واشترى جرير بعضه بشاطيء الفرات فردّ عمر الشراء .

ولما رجع هاشم من جلولاء إلى المدائن بلغهم أن أدين بن الهرامون جمع جمعاً وجاء
بهم إلى السهل ، فبعث إليه ضرار بن الخطاب في جيش فلقبهم بما سبدان فهزمهم
وأسر أدين فقتله ، وانتهى في طلبهم إلى النهروان وفتح ما سبدان عنوة وردّ إليها أهلها
ونزل بها فكانت أحد فروج الكوفة ، وقيل كان فتحها بعدنهاوند والله سبحانه أعلم .

(١) وفي النسخة الباريية : خسروشوم وفي نسخة أخرى خسروشوم وفي الطبري ج ٤ ص ١٣٦ : خسروشوم .

ولاية عتبة بن غزوان على البصرة

كان عمر عندما بعث المشني إلى الحيرة بعث قطبة^(١) بن قتادة السدوسي^(٢) إلى البصرة فكان يغير بتلك الناحية ، ثم استمدَّ عمر فبعث إليه شريح بن عامر بن سعد ابن بكر فأقبل إلى البصرة ومضى إلى الأهواز ، ولقيه مسلحة الأعاجم فقتلوه . فبعث عمر عتبة بن غزوان والياً على تلك الناحية ، وكتب إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدّه بعرفجة بن هرثمة وأمره أن يقيم بالتخوم بين أرض العرب وأرض العجم ، فأنهى إلى حيال الجسر وبلغ صاحب الفرات خبرهم فأقبل في أربعة آلاف وعتبة في خمسمائة والتقوا فقتلوا الأعاجم أجمعين وأسروا صاحب الفرات ، ثم نزل البصرة في ربيع سنة أربع عشرة ، وقيل إن البصرة بصرت سنة ست عشرة بعد جلولاء وتكريت . أرسل سعد إليها عتبة فأقام بها شهراً وخرج إليه أهل الأبله ، وكانت مرفأً للسفن من الصين ، فهزمهم عتبة وأحجرهم في المدينة ورجع إلى عسكره ، ورعب الفرس فخرجوا عن الأبله وحملوا ما خف وأدخلوا المدينة وعبروا النهر ، ودخلها المسلمون فغنموا ما فيها واقتسموه .

ثم اختط البصرة وبدأ بالمسجد فبناه بالقصب . وجمع لهم أهل دست ميان فلقبهم عتبة فهزمهم وأخذ مرزبانها أسيراً ، وأخذ قتادة منطقته فبعث بها إلى عمر ، وسأل عنهم فقليل له : انثالت عليهم الدنيا فهم يهيلون الذهب والفضة . فرغب الناس في البصرة وأتوها . ثم سار عتبة إلى عمر بعد أن بعث مجاشع بن مسعود في جيش إلى الفرات ، واستخلف المغيرة بن شعبة على الصلاة إلى قدوم مجاشع^(٣) ، وجاء ألف ييكان من عظماء الفرس إلى المسلمين ولقيهم المغيرة بن شعبة بالمرغاب وبينما هم في القتال إذ لحق بهم النساء وقد اتخذن خمرهن رايات ، فانهزم الأعاجم وكتبوا بالفتح إلى عمر ، فردَّ عتبة إلى عمله فمات في طريقه ، وقيل إن إمارة عتبة كانت سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة فوليا ستة أشهر ، واستعمل عمر بعده المغيرة بن شعبة سنتين فلما رمى بما رمى به عزله ، واستعمل أبا موسى . وقيل استعمل بعد عتبة أبا سبرة وبعده المغيرة .

(١) وفي نسخة ثانية : قتبة .

(٢) وفي نسخة ثانية : السلوسي .

(٣) وفي النسخة الباريسية : مشاجع .

وقعة مرج الروم وفتوح مدائن الشام بعدها

لما انهزم الروم بفحل سار أبو عبيدة وخالد إلى حمص واجتمعوا بذى الكلاع في طريقهم وبعث هرقل توذر البطريق للقائهم فترلوا جميعاً بمرج الروم ، وكان توذر بازاء خالده وشمس^(١) بطريق آخر بازاء أبي عبيدة وأمساوا متباريين^(٢) . ثم أصبح فلم يجدوا توذر وسار إلى دمشق واتبعه خالده ، واستقبله يزيد من دمشق فقاتله ، وجاء خالده من خلفه فلم يفلت منهم إلا القليل وغنموا ما معهم . وقاتل شمس^(٣) أبو عبيدة بعد مسير خالده فانهزم الروم وقتلوا واتبعهم أبو عبيدة إلى حمص ومعه خالده ، فبلغ ذلك هرقل فبعث بطريق حمص إليها وسار هو في الرهاء ، فحاصر أبو عبيدة حمص حتى طلبوا الأمان فصالحهم ، وكان هرقل يعدهم في حصارهم المدد ، وأمر أهل الجزيرة بامدادهم فساروا لذلك . وبعث سعد بن أبي وقاص العساكر من العراق فحاصروا هبت وقرقيسيا فرجع أهل الجزيرة إلى بلادهم . ويش أهل حمص من المدد فصالحوا على صلح أهل دمشق ، وأنزل أبو عبيدة فيها السمط بن الأسود في بني معاوية من كندة الأشعث بن مينا في السكون والمقداد في بلي وغيرهم ، وولى عليهم أبو عبيدة عبادة بن الصامت وصار إلى حماة فصالحوه على الجزية عن رؤسهم والخراج عن أرضهم ، ثم سار نحو شيزر فصالحوا كذلك ، ثم إلى المعرة كذلك ويقال معرة النعمان وهو النعمان بن بشير الأنصاري . ثم سار إلى اللاذقية ففتحها عنوة ثم سلمية أيضا ، ثم أرسل أبو عبيدة خالده بن الوليد إلى قنسرين فاعترضه مينا عظيم الروم بعد هرقل فهزمهم خالده وأثنى فيهم ، ونازل قنسرين حتى افتتحها عنوة وخربها . وأدرب إلى هرقل من ناحيته ، وأدرب عياض بن غنم لذلك ، وأدرب عمر بن مالك من الكوفة إلى قرقيسيا ، وأدرب عبدالله بن المعتمر من الموصل ، فارتحل هرقل إلى القسطنطينية من أمدها ، وأخذ أهل الحصون بين الإسكندرية^(٤) وطرسوس وشعبها أن ينتفع المسلمون بعمارتها . ولما بلغ عمر صنيع خالده قال : « أمر

(١) وفي نسخة ثانية : شمس .

(٢) وفي نسخة ثانية : مستترين .

(٣) وفي نسخة ثانية : شمس .

(٤) هي الاسكندرونة مع مقتضى السياق .

خالد نفسه يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم مني بالرجال» . وقد كان عزل خالدًا
والمنثى بن حارثة خشية أن يداخلها كبر من تعظيم فوكلوا إليه ، ثم رجع عن رأيه في
المنثى عند قيامه بعد أبي عبيد ، وفي خالد بعد قنسرين فرجع خالد إلى إمارته .
ولما فرغ أبو عبيدة من قنسرين سار إلى حلب وبلغه أن أهل قنسرين غدروا فبعث
إليهم السمط الكندي فحاصرهم وفتح وغنم ، ووصل أبو عبيدة إلى خناصر^(١) حلب
وهو موضع قريب منها يجمع أصنافاً من العرب ، فصالحوا على الجزية ثم أسلموا بعد
ذلك . ثم أتى حلب وكان على مقدمته عياض بن غنم الفهري فحاصرهم حتى
صالحوه على الأمان ، وأجاز ذلك أبو عبيدة ، وقيل صالحوا على مقاسمة الدور
والكنائس ، وقيل إنتقلوا إلى أنطاكية حتى صالحوا ورجعوا إلى حلب .
ثم سار أبو عبيدة من حلب إلى أنطاكية وبها جمع كبير من فل قنسرين وغيرهم ولقوه
قريباً منها فهزمهم وأحجرهم وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء أو الجزية ورحل
عنهم ، ثم نقضوا فبعث أبو عبيدة إليهم عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة ففتحها
على الصلح الأول وكانت عزيمة الذكر ، فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرتب فيها
حامية مرابطة ولا يؤخر عنهم العطاء^(٢) . ثم بلغ أبا عبيدة أن جمعاً بالروم بين معرة
مصرين وحلب فسار إليهم فهزمهم وقتل بطارقهم ، وأمعن بل وأثنى فيهم ، وفتح
معرة مصرين على صلح حلب . وجالت خيوله فبلغت سرمين وتيري وغلبوا على
جميع أرض قنسرين وأنطاكية ، ثم فتح حلب ثانية .
وسار يريد قورس ، وعلى مقدمته عياض ، فصالحوه على صلح أنطاكية . وبث خيله
ففتح تل نزار وما يليه ، ثم فتح منبج على يد سلمان بن ربيعة الباهلي ، ثم بعث عياضاً
إلى دلك وعينتاب فصالحهم على مثل منبج واشترط عليهم أن يكونوا عوناً للمسلمين .
وولى أبو عبيدة على كل ما فتح من الكور عاملاً وضم إليه جماعة وشحن الثغور المخوفة
بالحامية . واستولى المسلمون على الشام من هذه الناحية إلى الفرات ، وعاد أبو عبيدة
إلى فلسطين .

وبعث أبو عبيدة جيشاً مع ميسرة بن مسروق العبسي ، فسلخوا درب تفليس إلى بلاد
الروم فلقى جمعاً للروم ومعهم عرب من غسان وتنوخ وإياد يريدون اللحاق بهرقل

(١) وفي نسخة ثانية : حاضر

(٢) وفي النسخة الباريسية : ولا يجبي منهم العطاء .

فأوقع بهم وأثنى فيهم ، ولحق به على أنطاكية مالك بن الأشتر النخعي مدداً ، فرجعوا جميعاً إلى أبي عبيدة . وبعث أبو عبيدة جيشاً آخر إلى مرعش مع خالد بن الوليد ففتحها على إجلاء أهلها بالأمان وخرّبها ، وبعث جيشاً آخر مع حبيب بن مسلمة إلى حصن الحرث كذلك . وفي خلل ذلك فتحت قيسارية ، بعث إليها يزيد بن أبي سفيان أخاه معاوية بأمر عمر فسار إليها وحاصروهم بعد أن هزمهم ، وبلغت قتلهم في الهزائم ثمانين ألفاً وفتحها آخراً وكان علقمة بن مجرز^(١) على غزة وفيها القبار من بطارقة الروم .

وقعة أجنادين وفتح بيسان والاردن وبيت المقدس

لما انصرف أبو عبيدة وخالد إلى حمص بعد واقعة مرج الروم نزل عمرو وشرحيل على أهل بيسان فافتتحها وصالح أهل الأردن ، واجتمع عسكر الروم بأجنادين وغزة وبيسان وعليهم أرطبون من بطارقة الروم ، فسار عمرو وشرحيل إليهم واستخلف على الأردن أبا الأعور السلمي . وكان الأرطبون قد أنزل بالرملة جنداً عظيماً من الروم وبيت المقدس كذلك ، وبعث عمرو وعلقمة بن حكيم الفراسي ومسرور^(٢) بن العكي لقتال أهل بيت المقدس ، وبعث أبا أيوب المالكي إلى قتال أهل الرملة ، وكان معاوية محاصراً لأهل قيسارية فشغل جميعهم عنه ، ثم زحف عمرو إلى الأرطبون واقتتلوا كيوم اليرموك وأشدّ ، وانهزم أرطبون إلى بيت المقدس وأفرج له المسلمون الذين كانوا يحاصرونها حتى دخل .

ورجعوا إلى عمرو وقد نزل أجنادين . وقد تقدم لنا ذكر هذه الواقعة قبل اليرموك على قول من جعلها قبلها وهذا على قول من جعلها بعدها . ولما دخل أرطبون بيت المقدس فتح عمرو غزة ، وقيل كان فتحها في خلافة أبي بكر ، ثم فتح سبسطية وفيها قبر يحيى بن زكريا ، وفتح نابلس على الجزية ، ثم فتح مدينة لدّ ، ثم عمواس وبيت حبرين ويافا ورفح وسائر مدائن الأردن . وبعث إلى الأرطبون فطلب أن يصالح كأهل الشام ويتولى العقد عمر وكتبوا إليه بذلك ، فسار عن المدينة واستخلف عليّ بن أبي طالب بعد أن عدله في مسيره فأبى ، وقد كان واعد أمراء الأجناد هنالك فلقبه

(١) مجرز : نجيم مفتوحة وزاين الاولى مشردة مكسورة كما في الكامل اهـ .

(٢) وفي نسخة ثانية : مسروق .

يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد على الخيول عليهم الديباج والحرير فتزل ورماهم بالحجارة ، وقال : أتستقبلوني^(١) في هذا الزي ؟ وإنما شبعتم منذ سنتين والله لو كان على رأس المائين لاستبدلت بكم فقالوا : إنها بلا ثمن . وإن علينا السلاح ، فسكت ودخل الحامية . وجاءه أهل بيت المقدس وقد هرب أرطبون عنهم إلى مصر ، فصالحوه على الجزية وفتحوها له وكذلك أهل الرملة . وولى علقمة بن حكيم على نصف فلسطين وأسكنه الرملة ، وعلقمة بن مجرز على النصف الآخر وأسكنه بيت المقدس ، وضم عمراً وشرحبيل إليه فلقياه بالحامية . وركب عمر إلى بيت المقدس فدخلها وكشف عن الصخرة وأمر ببناء المسجد عليها وذلك سنة خمس عشرة وقيل سنة ست عشرة . ولحق أرطبون بمصر مع من أبى الصلح من الروم حتى هلك في فتح مصر ، وقيل إنما لحق بالروم وهلك في بعض الصوائف . ثم فرق عمر العطاء ودون الدواوين سنة خمس عشرة ورتب ذلك على السابقة .

ولما أعطى صفوان بن أمية والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو أقل من غيرهم قالوا : لا والله لا يكون أحد أكرم منا . فقال : إنما أعطيت على سابقة الإسلام لا على الأحساب . قالوا فنعم إذاً . وخرجوا إلى الشام فلم يزالوا مجاهدين حتى أصيبوا . ولما وضع عمر الدواوين قال له عليّ وعبد الرحمن إبدأ بنفسك ، قال لا بل بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الأقرب فالأقرب ، ورتب ذلك على مراتب ففرض خمسة آلاف ثم أربعة ثم ثلاثة ثم ألفين وخمسمائة ثم ألفين ثم ألفاً واحداً ثم خمسمائة ثم ثلثمائة ثم مائتين وخمسين ثم مائتين ، وأعطى نساء النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف لكل واحدة وفضل عائشة بألفين ، وجعل النساء على مراتب فلاهل بدر خمسمائة ثم أربعماية ثم ثلثمائة ثم مائتين ، والصبيان مائة مائة والمساكين جريبين^(٢) في الشهر ، ولم يترك في بيت المال شيئاً . وسئل في ذلك فأبى وقال : هي فتنة لمن بعدي . وسأل الصحابة في قوته من بيت المال ، فأذنوا له وسألوه في الزيادة على لسان حفصة ابنته متكتمين عنه ، فغضب وامتنع ، وسألها عن حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيشه وملبسه وفراشه فأخبرته بالكفاف من ذلك ، فقال والله لأضعن الفضول مواضعها ولأبلغن بالترجية وإنما مثلي ومثل صاحبي كثلثة سلكوا طريقاً

(١) الاصح ان يقول : تستقبلوني .

(٢) وفي نسخة ثانية : جرايتين .

وترود الأول فبلغ المترل واتبعه الآخر مقتدياً به كذلك ثم جاء الثالث بعدهما فإن اقتضى طريقهما وزادهما لحق بهما وإلا لم يبلغها .

وفتحت في جمادى من هذه السنة تكريت لأن أهل الجزيرة كانوا قد اجتمعوا إلى المرزبان الذي كان بها وهم من الروم وإياد وتغلب والنمر ومعهم المشهارة ليحموا أرض الجزيرة من ورائهم ، فشرح إليهم سعد بن أبي وقاص بأمر عمر ، كاتبه عبدالله بن المعتمر وعلى مقدمته ربيعي بن الأفكل وعلى الخيل عرفة بن هرة ، فحاصروهم أربعين يوماً وداخلوا العرب الذين معهم فكانوا يطلعونهم على أحوال الروم ، ثم يشس الروم من أمرهم واعتزموا على ركوب السفن في دجلة للنجاة ، فبعث العرب بذلك إلى المسلمين وسألوهم الأمان ، فأجابوهم على أن يسلموا فأسلموا وواعدوهم الثبات والتكبير وأن يأخذوا على الروم أبواب البحر مما يلي دجلة ففعلوا . ولما سمع الروم التكبير من جهة البحر ظنوا أن المسلمين استداروا من هناك فخرجوا إلى الناحية التي فيها المسلمون فأخذتهم السيوف من الجهتين ، ولم يفلت إلا من أسلم من قبائل ربيعة من تغلب والنمر وإياد . وقسمت الغنائم فكان للفارس ثلاثة آلاف درهم وللراجل ألف . ويقال إن عبدالله بن المعتمر بعث ربيعي بن الأفكل بعهد عمر إلى الموصل ونيوى وهما حصنان على دجلة من شرقها وغربها ، فسار في تغلب وإياد والنمر وسبقوه إلى الحصنين فأجابوا إلى الصلح وصاروا ذمة . وقيل بل الذي فتح الموصل عتبة بن فرقد سنة عشرين وأنه ملك نيوى وهو الشرقي عنوة . وصالحوا أهل الموصل وهو الغربي على الجزيرة وفتح معها جبل الأكراد^(١) وجميع أعمال الموصل وقيل إنما بعث عتبة بن فرقد عياض بن غنم عندما فتح الجزيرة على ما ذكره والله أعلم .

مسير هرقل إلى حمص وفتح الجزيرة وارمينية

كان أهل الجزيرة قد راسلوا هرقل وأغروه بالشام وأن يبعث الجنود إلى حمص وواعدوه المئدة ، وبعثوا الجنود إلى أهل هيت مما يلي العراق ، فأرسل سعد عمر بن مالك بن جبير بن مطعم في جند وعلى مقدمته الحرث بن يزيد العامري فسار إلى هيت وحاصروهم ، فلما رأى اعتصامهم بخندقهم حفر عليهم الحرث بن يزيد وخرج

(١) وفي النسخة البارسية : معاقيل الاكراد .

في نصف العسكر وجاء قرقيسيا على غرة فأجابوه إلى الجزية ، وكتب إلى الحرث أن يخذل على عسكر الجزيرة فيبت حتى سألوا المسألة والعود إلى بلادهم فتركهم ولحق بعمر بن مالك .

ولما اعتزم هرقل على قصد حمص وبلغ الخبر أبا عبيدة ضم إليه مساحه وعسكر بفنائها ، وأقبل إليه خالد من قنسرين ، وكتبوا إلى عمر بخبر هرقل فكتب إلى سعد أن يذهب بل أن يندب الناس مع القعقاع بن عمرو ويسرحهم من يومهم فإن أبا عبيدة قد أحيط به ، وإن يسرح سهيل بن عدي إلى الرقة فإن أهل الجزيرة هم الذين استدعوا الروم إلى حمص ، وأن يسرح عبدالله بن عتبان إلى نصيبين ثم يقصد حران والرها ، وأن يسرح الوليد بن عقبة إلى عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ وأن يكون عياض بن غنم على أمراء الجزيرة هؤلاء إن كانت حرب . فمضى القعقاع من يومه في أربعة آلاف إلى حمص ، وسار عياض بن غنم وأمراء الجزيرة كل أمير إلى كورته ، وخرج عمر من المدينة فأتى الحامية يريد حمص مغنياً لأبي عبيدة . ولما سمع أهل الجزيرة خبر الجنود فارقوا هرقل ورجعوا إلى بلادهم ، وزحف أبو عبيدة إلى الروم فانهزموا ، وقدم القعقاع من العراق بعد الوقعة بثلاث ، وكتبوا إلى عمر بالفتح فكتب إليهم أن أشركوا أهل العرب في الغنيمة . وسار عياض بن غنم إلى الجزيرة وبعث سهيل بن عدي إلى الرقة عند ما انقبضوا عن هرقل فنهضوا معه ، إلا إياد بن نزار ، فإنهم دخلوا أرض الروم . ثم بعث عياض بن سهيل وعبدالله يضمها إليه ، وسار بالناس إلى حران فأجابوه إلى الجزية . ثم سرح سهيلاً وعبدالله إلى الرها فأجابوا إلى الجزية ، وكمل فتح الجزيرة . وكتب أبو عبيدة إلى عمر لما رجع من الحامية ، وانصرف معه خالد أن يضم إليه عياض بن غنم مكانه ففعل ، وولى حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة وحربها والوليد بن عقبة على عربها .

ولما بلغ عمر دخول إياد إلى بلاد الروم ، كتب إلى هرقل بلغني أن حياً من أحياء العرب تركوا دارنا وأتوا دارك فوالله لتخرجنهم أو لنخرجن النصارى إليك ، فأخرجهم هرقل وتفرق منهم أربعة آلاف فيما يلي الشام والجزيرة ، وأبى الوليد بن عقبة أن يقبل منهم إلا الإسلام ، فكتب إليه عمر إنما ذلك في جزيرة العرب إلى تل التي فيها مكة والمدينة واليمن فدعهم على أن لا ينصروا وليداً ولا يمنعوا أحداً منهم من الإسلام . ثم وفدوا إلى عمر في أن يضع عنهم اسم الجزيرة فجعلها الصدقة مضاعفة .

ثم عزل الوليد عنهم لسطوته وعزتهم ، وأمر عليهم فرات بن حيان وهند بن عمر الجملي .

وقال ابن اسحق : إن فتح الجزيرة كان سنة تسع عشرة وإن سعداً بعث إليها الجند مع عياض بن غنم وفيهم ابنه عمر مع عياض بن غنم ، ففتح عمر مع عياض الرها ، وصالحت حران ، وافتتح أبو موسى نصيبين ، وبعث عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية فصالحوه على الجزية ، ثم كان فتح قيسارية من فلسطين ، فتكون الجزيرة على هذا من فتوح أهل العراق والأكثر أنها من فتوح أهل الشام . وأن أبا عبيدة سير عياض بن غنم إليها ، وقيل بل استخلفه لما توفي ، فولاه عمر على حمص وقنسرين والجزيرة فسار إليها سنة ثمان عشرة في خمسة آلاف فانتهد طائفة إلى الرقة فحاصروها حتى صالحوه على الجزية والخراج على الفلاحين . ثم سار إلى حران فجهز عليها صفوان بن المعطل وحبيب بن مسلمة ، وسار هو إلى الرها فحاصرها حتى صالحوه . ثم رجع إلى حران وصالحهم كذلك ، ثم فتح سميساط وسروج ورأس كيفا فصالحوه على منبج كذلك ، ثم آمد ثم ميفارقين ثم كفرنوتا^(١) ثم نصيبين ثم ماردين ثم الموصل وفتح أحد حصنها ، ثم سار إلى أرزن الروم ففتحها ودخل الدرب إلى بدليس^(٢) . ثم خلاط فصالحوه وانتهى إلى اطراف أرمينية ، ثم عاد إلى الرقة ومضى إلى حمص فمات . واستعمل عمر عمير بن سعد الأنصاري ففتح رأس عين وقيل إن عياضاً هو الذي أرسله ، وقيل إن أبا موسى الأشعري هو الذي افتتح رأس عين بعد وفاة عياض بولاية عمر ، وقيل إن خالداً حضر فتح الجزيرة مع عياض ودخل الحمام بآمد فأطلى بشيء فيه خمر وقيل لم يسر خالد تحت لواء أحد بعد أبي عبيدة .

ولما فتح عياض سميساط بعث حبيب بن مسلمة إلى ملطية ففتحها عنوة أيضاً ورتب فيها الجند وولى عليها ، ولما أدرب عياض بن غنم من الحجابة . فرجع عمر إلى المدينة سنة سبع عشرة وعلى حمص أبو عبيدة ، وعلى قنسرين خالد بن الوليد من تحته ، وعلى دمشق يزيد ، وعلى الأردن معاوية ، وعلى فلسطين علقمة بن مجزز ، وعلى السواحل عبدالله بن قيس . وشاع في الناس ما أصاب خالد مع عياض بن غنم من الأموال فانتجعه رجال منهم الأشعث بن قيس وأجازه بعشرة آلاف ، وبلغ ذلك

(١) وفي النسخة الباريية : كفرنونا .

(٢) وفي النسخة الباريية : تفليس .

عمر مع ما بلغه في آمد من تدهلكه بالخمير ، فكتب إلى أبي عبيدة أن يقيمه في المجلس ويترع عنه قلنسوته ويعقله بعمامة ويسأله من أين أجاز الأشعث ؟ فإن كان من ماله فقد أسرف فاعزله واضمم إليك عمله . فاستدعاه أبو عبيدة وجمع الناس وجلس على المنبر وسأل البريد^(١) خالداً فلم يجبه ؛ فقام بلال وأنفذ فيه أمر عمر وسأله ، فقال : من مالي فأطلقه وأعاد قلنسوته وعمامة . ثم استدعاه عمر فقال من أين هذا الثراء ؟ قال : من الأنفال والسهان وما زاد على ستين ألفاً فهو لك فجمع ماله فراد عشرين فجعلها في بيت المال ثم استصلحه .

وفي سنة سبع عشرة هذه اعتمر عمر ووسع في المسجد ، وأقام بمكة عشرين ليلة ، وهدم على من أبي البيع دورهم لذلك ، وكانت العمارة في رجب وتولاها : مخزومة بن نوفل ، والأزهر بن عبد عوف ، وحويطب بن عبد العزى وسعيد بن يربوع ، واستأذنه أهل المياه أن يبنوا المنازل بين مكة والمدينة فأذن لهم على شرط أن ابن السبيل أحق بالظل والماء .

غزو فارس من البحرين وعزل العلاء عن البصرة ثم المغيرة وولاية أبي موسى

كان العلاء بن الحضرمي على البحرين أيام أبي بكر ثم عزله عمر بقدامة بن مظعون ثم أعاده ، وكان العلاء يناوىء سعد بن أبي وقاص ووقع له في قتال أهل الردة ما وقع ، فلما ظفر سعد بالقادسية كانت أعظم من فعل العلاء ، فأراد أن يؤثر في الفرس شيئاً فندب الناس إلى فارس وأجابه ، وفرقهم أجنادا بين الجارود بن المعلى والسوار ابن همام وخليد بن المنذر وأمره على جميعهم وحمله في البحر إلى فارس بغير إذن من عمر لأنه كان ينهي عن ذلك وأبو بكر قبله خوف الفرق . فخرجت الجنود إلى اصطخرو بازائهم الهربذ في أهل فارس ، وحالوا بينهم وبين سفنهم فخاطبهم خليد وقال : إنما جئتم لمحاربتهم والسفن والأرض لمن غلب . ثم ناهدوهم واقتلوا بطاوس ، وقتل الجارود والسوار وأمر خُليد أصحابه أن يقاتلوا رجالة ، وقتل من الفرس مقتلة عظيمة ، ثم خرج المسلمون نحو البصرة وأخذ الفرس عليهم الطرق فعسكروا

(١) وفي نسخة ثانية : اليزيد .

وامتنعوا ، وبلغ ذلك عمر فأرسل إلى عتبة بالبصرة يأمره بإنفاذ جيش كثيف إلى المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا ، وأمر العلاء بالإنصراف عن البحرين إلى سعد بمن معه ، فأرسل عتبة الجنود اثني عشر ألف مقاتل فيهم عاصم بن عمرو وعرفجة بن هرثمة والأحنف بن قيس وأمثالهم وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم من عامر بن لؤي ، ف ساحل بالناس حتى لقوا خليداً والعسكر ، وقد تداعى إليهم بعد وقعة طاوس أهل فارس من كل ناحية ، فاقتتلوا وانهزم المشركون وقتلوا . ثم انكفؤا بما أصابوا من الغنائم واستحثهم عتبة بالرجوع فرجعوا إلى البصرة .

ثم استأذن عتبة في الحج فأذن له عمر فحج ، ثم استغفاه فأبى وعزم عليه ليرجعن إلى عمله فانصرف ومات يظن نحلة على رأس ثلاث سنين من مفارقة سعد . واستخلف على عمله أبا سبرة بن أبي رهم فأقره عمر بقية السنة . ثم استعمل المغيرة بن شعبة عليها ، وكان بينه وبين أبي بكر منافرة وكانا متجاورين في مشريتين ينفذ البصر من إحداهما إلى الأخرى من كوتين ، فزعموا أن أبا بكر وزباد بن أيه وهو أخوه لأمه^(١) وآخرين معها عاينوا المغيرة على حالة قذفه بها ، وادعوا الشهادة ومنعه أبو بكر من الصلاة ، وبعثوا إلى عمر ، فبعث أبا موسى أميراً في تسعة وعشرين من الصحابة فيهم أنس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر ومعهم كتاب عمر إلى المغيرة : « أما بعد فقد بلغني عنك نبأ عظيم وبعثت أبا موسى أميراً فسلم إليه ما في يدك والعجل » . ولما استحضرهم عمر اختلفوا في الشهادة ولم يستكملها زياد فجلد الثلاثة . ثم عزل أبا موسى عن البصرة بعمر بن سراقه ثم صرفه إلى الكوفة ورد أبا موسى فأقام عليه .

بناء البصرة والكوفة

وفي هذه السنة وهي أربع عشرة بلغ عمر أن العرب تغيرت ألوانهم ورآى ذلك في وجوه وفودهم فسألهم فقالوا وخومة البلاد غيرتنا ، وقيل إن حذيفة وكان مع سعد كتب بذلك إلى عمر فسأل عمر سعداً فقال : غيرتهم وخومة البلاد والعرب لا يوافقها من البلاد إلا ما وافق إبلها ، فكتب إليه أن يبعث سلمان وحذيفة شرقية فلم يرضيا إلا

(١) وفي النسخة الباريسية : أخوه لأبيه .

بقعة الكوفة فصليا فيها ودعيا أن تكون منزل ثبات . ورجع إلى سعد فكتب إلى القعقاع وعبدالله بن المعتمر أن يستخلفا على جندهما ويحضرا ، وارتحل من المدائن فترل الكوفة في المحرم سنة سبع عشرة لستين وشهرين من وقعة القادسية ولثلاث سنين وثمانية أشهر من ولاية عمر ، وكتب إلى عمر إني قد نزلت الكوفة بين الحيرة والفرات برّيا بحريا بين الجلاء والنصر وخيرت الناس بينهما وبين المدائن ومن أعجبته تلك جعلته فيها مسلحة ، فلما استقروا بالكوفة ثاب إليهم ما فقدوه من حالهم . ونزل أهل البصرة أيضاً منازلهم في وقت واحد مع أهل الكوفة بعد ثلاث مرات نزلوها من قبل واستأذنوا جميعاً في بنيان القصب ، فكتب عمر : إن العسكرة أشد لحربكم وأذكر لكم وما أحب أن أخالفكم فابتنوا بالقصب . ثم وقع الحريق في القصرين فاستأذنوا في البناء باللبن فقال : إفعلوا ولا يزيد أحد على ثلاثة بيوت ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة . وكان على تنزيل الكوفة أبو هياج بن مالك ، وعلى تنزيل البصرة أبو المحرب عاصم بن الدلف . وكانت ثغور الكوفة أربعة : حلوان وعليها القعقاع ، وما سبدان وعليها ضرار بن الخطاب ، وقرقيسيا وعليها عمر بن مالك ، والموصل وعليها عبدالله بن المعتمر . ويكون بها خلفاؤهم إذا غابوا .

فتح الأهواز والسوس بعدها

لما انهزم الهرمزان يوم القادسية قصد خوزستان وهي قاعدة الأهواز فملكها وملك سائر الأهواز ، وكان أصله منهم من البيوتات السبعة في فارس ، وأقام يغير على أهل ميسان ودست ميسان من ثغور البصرة يأتي إليها من منادر ونهر تيري من ثغور الأهواز . واستمد عتبة بن غزوان سعداً فأمدّه بنعيم بن مقرن ، ونعيم بن مسعود ، فترلا بين ثغور البصرة وثغور الأهواز . وبعث عتبة بن غزوان سلمي بن القين وحرملة بن مريطة^(١) من بني العدوية بن حنظلة فترلا على ثغور البصرة بميسان ، ودعوا بني العم بن مالك وكانوا يتزلون خراسان ، فأهل البلاد يأمنونهم ، فاستجابوا وجاء منهم غالب الوائلي وكليب بن وائل الكلبي فلقيا سلمي وحرملة وواعداهما الثورة بمنادر ونهر تيري . ونهض سلمي وحرملة يوم الموعد في التعبئة وأنهضا نعيماً والتقوا هم

(١) وفي نسخة ثانية : بن قريضة .

والهرمزاني^(١) وسلمي على أهل البصرة ونعيم على أهل الكوفة ، وأقبل إليهما المدد من قبل غالب وكيك وقد ملك منادر ونهر تيري ، فانهزم وقتل المسلمون من أهل فارس مقتلة ، وانتهوا في اتباعهم إلى شاطئ دجيل وملكوا ما دونها . وعبر الهرمزان جسر سوق الأهواز وصار دجيل بينه وبين المسلمين ، ثم طلب الهرمزان الصلح فصالحوه على الأهواز كلها ما خلا^(٢) نهر تيري ومنادر وما غلبوا عليه من سوق الأهواز فإنه لا يرد ، وبقيت المسالحي على نهر تيري ومنادر وفيها غالب وكيك . ثم وقع بينهما وبين الهرمزان اختلاف في التخم ووافقها سلمي وحرملة فنقض الهرمزان ومنع ما قبله وكثف جنوده بالأكراد ، وبعث عتبة بن غزوان حرقوص بن زهير السعدي لقتاله ، فانهزم وسار إلى رام هرمز وفتح حرقوص سوق الأهواز ونزل بها واتسقت^(٣) له البلاد إلى تستر . ووضع الجزية وكتب بالفتح وبعث في أثر الهرمزان جزء بن معاوية فانهى إلى قرية الشجر ، ثم إلى دورق فملكها وأقام بالبلاد وعمرها وطلب الهرمزان الصلح على ما بقي من البلاد ، ونزل حرقوص جبل الأهواز وكان يزدجرد في خلال ذلك يمد ويحرض أهل فارس حتى اجتمعوا وتعاهدوا مع أهل الأهواز على النصر ، وبلغت الأخبار حرقوصاً وجزءاً وسلمي وحرملة فكتبوا إلى عمر فكتب إلى سعد أن يبعث جنداً كثيراً مع النعمان بن مقرن ينزلون منازل الهرمزان ، وكتب إلى أبي موسى أن يبعث كذلك جنداً كثيراً مع سعد بن عدي أخى سهيل ويكون فيهم البراء بن مالك ومحرزة بن ثور وعرفجة بن هرثمة وغيرهم ، وعلى الجندين أبو سبرة بن أبي رهم .

فخرج النعمان بن مقرن في أهل الكوفة فخلف حرقوصاً وسلمي وحرملة إلى الهرمزان وهو برام هرمز ، فلما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره الشدة ولقيه فانهزم ولحق بتستر ، وجاء النعمان إلى رام هرمز فترها وجاء أهل البصرة من بعده فلحقهم خبر الواقعة بسوق الأهواز فساروا حتى أتوا تستر ، ولحقهم النعمان فاجتمعوا على تستر وبها الهرمزان ، وأمدتهم عمر بأبي موسى جعله على أهل البصرة فحاصروهم أشهراً وأكثروا فيهم القتل ، وزاحفهم المشركون ثمانين زحفاً سجلاً ثم انهزموا في آخرها ، واقتحم المسلمون خنادقهم وأحاطوا بها وضاق عليهم الحصار فاستأمن بعضهم من

(١) وفي النسخة الباريية : ولقوا الهرمزان .

(٢) وفي النسخة الباريية : ما عدا .

(٣) وفي نسخة ثانية : اتسعت .

دخل البلد بمكتوب في سهم على أن يلهم على مدخل يدخلون منه ، فانتدب لهم طائفة ودخلوا المدينة من مدخل الماء وملكوها وقتلوا المقاتلة ، وتحصن الهرمزان بالقلعة فأطافوا بها واستترلوه على حكم عمرو وأوثقوه . واقتسموا الفداء فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف والراجل ألف . وقتل من المسلمين في تلك الليلة البراء بن مالك ومحرزة بن ثور قتلها الهرمزان .

ثم خرج أبو سبرة في أثر المنهزمين ومعه النعمان وأبو موسى فترلوا على السوس ، وسار زر بن عبد الله الفقيمي إلى جنديسابور فترل عليها . وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري بالرجوع إلى البصرة وأمر مكانه الأسود بن ربيعة بن مالك صحابي يسمي المقرب ، وأرسل أبو سبرة بالهرمزان إلى عمر في وفد منهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس فقدموا به المدينة وألبسوه كسوته من الديباج المذهب وتاجه مرصعاً بالياقوت وحليته ليراه المسلمون ، فلما رآه عمر أمر بترع ما عليه وقال يا هرمزان كيف رأيت أمر الله وعاقبة الغدر؟ فقال : يا عمر إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم . فلما صار الآن معكم غلبتمونا . قال : فما حجتك وما عذرک في الانتقاض مرة بعد أخرى؟ قال : أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك ، قال لا تخف ذلك . ثم استقى فأتى بالماء فقال : أخاف أن أقتل وأنا أشرب فقال لا بأس عليك حتى تشربه ، فألقاه من يده وقال لا حاجة لي في الماء وقد أمّنتني . قال : كذبت.. قال أنس : صدق يا أمير المؤمنين فقد قلت له لا بأس عليك حتى تخبرني وحتى تشربه وصدق الناس . فأقبل عمر على الهرمزان وقال خدعتني لا والله إلا أن تسلم ! فأسلم . ففرض له في ألفين وأنزله المدينة واستأذنه الأحنف بن قيس في الانسياح في بلاد فارس وقال : لا يزالون في الانتقاض حتى يهلك ملكهم فأذن له .

ولما لحق أبو سبرة بالسوس^(١) ونزل عليها وبها شهربار أخو الهرمزان فأحاط بها ومعه المقرب بن ربيعة في جند البصرة ، فسأل أهل السوس الصلح فأجابوهم . وسار النعمان بن مقرن بأهل الكوفة إلى نهاوند وقد اجتمع بها الأعاجم ، وسار المقرب إلى زر بن عبد الله على جنديسابور فحاصروها مدة ثم رمى السهم بالأمان من خارج على الحزبية فخرجوا لذلك ، فناكرهم المسلمون فإذا عبد فعل ذلك أصله منهم ، فأمضى عمر أمانه . وقيل في فتح السوس إن يزيد جرد سار بعد وقعة جلولاء فترل

(١) وفي النسخة الباريسية : بالفارس

اصطخر ومعه سباه^(١) في سبعين ألفا من فارس فبعثه إلى السوس ونزل الكلبانية وبعث الهرمزان إلى تستر ، ثم كانت واقعة أبي موسى فحاصروهم فصالحوه على الجزية وسار إلى هرمز ثم إلى تستر . ونزل سباه بين رام هرمز وتستر ، وحمل أصحابه على صلح أبي موسى ثم على الإسلام على أن يقاتلوا الأعاجم ولا يقتلوا العرب ويمنعهم هو من العرب ، ويلحقوا بأشراف العطاء فأعطاهم ذلك عمر^(٢) وأسلموا وشهدوا فتح تستر ، ومضى سباه إلى بعض الحصون في زي العجم فغدرهم وفتحته للمسلمين وكان فتح تستر وما بعدها سنة سبع عشرة وقل ست عشرة .

مسير المسلمين إلى الجهات للفتح

لما جاء الأحنف بن قيس بالهرمزان إلى عمر قال له : يا أمير المؤمنين لا يزال أهل فارس يقاتلون ما دام ملكهم فيهم فلو أذنت بالإنسياح في بلادهم فأزلنا^(٣) ملكهم انقطع رجائهم . فأمر أبا موسى أن يسير من البصرة غير بعيد ويقم حتى يأتي أمره ، ثم بعث إليه مع سهيل بن عديّ بالوية الأمراء الذين يسيرون في بلاد العجم : لواء خراسان للأحنف بن قيس ، ولواء أردشير خرة وسابور لمجاشع بن مسعود السلمي ، ولواء اصطخر لعثمان بن أبي العاص الثقفي ، ولواء فسا ودارا مجرد لسارية بن زئيم الكناني ، ولواء كرمان لسهيل بن عديّ ، ولواء سجستان لعاصم بن عمرو ، ولواء مكران للحكم بن عمير التغلبي^(٤) . ولم يتبأ مسيرهم إلى سنة ثمان عشرة ، ويقال سنة إحدى وعشرين أو اثنين وعشرين ، ثم ساروا في بلاد العجم وفتحوا كما يذكر بعد .

محاكاة عام الرمادة وطاعون عمواس

وأصاب الناس سنة ثمان عشرة قحط شديد وجذب أعقب جوعا بعد العهد بمثله مع طاعون أتى على جميع الناس ، وحلف عمر لا يذوق السمن واللبن حتى يحيا

(١) وفي نسخة ثانية : سباه

(٢) وفي النسخة الباريية : فعقد لهم ذلك عمر وأسلموا .

(٣) وفي النسخة الباريية : فازلت ملكهم

(٤) وفي نسخة ثانية : التغلبي .

الناس ، وكتب إلى الأمراء بالأمصاريستمدّهم لأهل المدينة ، فجاء أبو عبيدة بأربعة آلاف راحلة من الطعام ، وأصلح عمرو بن العاص بحر القلزم وأرسل فيه الطعام من مصر فرخص السعر ، واستقى عمر بالناس فخطب الناس وصلى . ثم قام وأخذ بيد العباس وتوسّل به ثم بكى وجثا على ركبتيه يدعو إلى أن مُطر الناس . وهلك بالطاعون أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وابنه عتبة في آخرين أمثالهم . وتفانى الناس بالشام ، وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرتفع بالمسلمين من الأرض التي هو بها فدعا أبا موسى يرتاد له منزلا ومات قبل رحيله ، وسار عمر بالناس إلى الشام وانتهى إلى سرّغ ولقيه أمراء الأجناد وأخبروه بشدّة الوباء ، واختلف الناس عليه في قدومه فقبل إشارة العود ورجع ، وأخبر عبد الرحمن بن عوف بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر الوباء فقال : «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه» . أخرجاه في الصحيحين .

ولما هلك يزيد ولّى عمر على دمشق مكانه أخاه معاوية بن أبي سفيان وعلى الأرض شرحبيل بن حسنة ، ولما فحش أثر الطاعون بالشام أجمع عمر على السير إليه ليقسّم موارث المسلمين ويتطوّف على الثغور ففعل ذلك ، ورجع واستقضى في سنة ثمان عشرة على الكوفة شريح بن الحارث الكندي ، وعلى البصرة كعب بن سوار الأزدي . وحج في هذه السنة ويقال إن فتح جلولاء والمدائن والجزيرة كان في هذه السنة وقد تقدّم ذكر ذلك وكذلك فتح قيسارية على يد معاوية وقيل سنة عشرين .

فتح مصر

ولما فتح عمر بيت المقدس استأذنه عمرو بن العاص في فتح مصر فأغزاه ثم اتبعه الزبير بن العوّام فساروا سنة عشرين أو إحدى أو اثنين أو خمس فافتحموا باب إيون ثم ساروا في قرى الريف إلى مصر ولقيهم الجاثليق أبو مريم والأسقف قد بعثه المقوقس ، وجاء أبو مريم إلى عمرو فعرض الجزية والمنع وأخبره بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم ، وأجلّهم ثلاثا ورجعوا إلى المقوقس وأرطبون أمير الروم فأبى من ذلك أرطبون وعزم على الحرب وبيّت المسلمين فهزموه وجنده . ونازلوا عين شمس

وهي المطرية وبعثوا لحصار الفرما أبرمه^(١) بن الصباح ، ولحصار الإسكندرية عوف ابن مالك ، وراسلهم أهل البلاد وانتظروا عين شمس فحاصروهم عمرو والزبير مدة حتى صالحوهما على الجزية ، وأجروا ما أخذوا قبل ذلك عنوة ، فجرى الصلح وشرطوا ردّ السبايا فأمضاه لهم عمر بن الخطاب على أن يحجز السبايا في الإسلام وكتب العهد بينهم ونصّه :

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم ودمهم وأموالهم وكافّتهم وصاعهم^(٢) ومدّهم وعددهم لا يزيد شيء في ذلك ولا ينقص ولا يساكنهم النوب ، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليه ممن جنى نصرتهم فإن أبى أحد منهم أن يحجب رفع عنهم من الجزى بقدرهم^(٣) وذمتنا ممّن أبى بريّة وإن نقص نهرهم من غايته^(٤) إذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك ، ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فله ما لهم وعليه ما عليهم ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه ويخرج من سلطاننا ، وعليهم ما عليهم أثلاثا في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذم المؤمنين . وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا وكذا وكذا فرسا على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة . شهد الزبير وعبدالله ومحمد إبنه وكتب وردان وحضر» هذا نص الكتاب منقولاً من الطبري .

قال فدخل في ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح ونزل المسلمون الفسطاط ، وجاء أبو مريم الجاثليق يطلب السبايا التي بعد المعركة في أيام الأجل فأبى عمرو من ردّها وقال : أغاروا وقتلوا وقسمتهم في الناس ، وبلغ الخبر إلى عمر فقال : من يقاتل في أيام الأجل فله الأمن وبعث بهم إلى الرباق^(٥) فردّهم عليهم . ثم سار عمرو إلى الإسكندرية فاجتمع له من بينها وبين الفسطاط من الروم والقبط فهزمهم وأثنى

(١) وفي نسخة ثانية : الفورفا أبرهة

(٢) وفي النسخة الباريسية : وصلبهم

(٣) وفي نسخة ثانية : من الجزية بعددهم

(٤) وفي النسخة الباريسية : من عادته

(٥) وفي نسخة ثانية : الرقاق

قيهم ، ونازل الإسكندرية وبها المقوقس وسأله الهدنة إلى مدّة فلم يجبه وحاصرهم ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة وغنم ما فيها وجعلهم ذمة . وقيل إن المقوقس صالح عمراً على إثني عشر ألف دينار على أن يخرج من يخرج ويقيم من يقيم باختيارهم وجعل عمرو فيها جنداً .

ولما تم فتح مصر والإسكندرية أغزى عمرو العساكر إلى النوبة فلم يظفروا ، فلما كان أيام عثمان وعبدالله بن أبي سرح على مصر صالحهم على عدّة رؤوس في كل سنة ويهدي إليهم المسلمون طعاماً وكسوة فاستمر ذلك فيها^(١) .

وقعة نهاوند وما كان بعدها من الفتوحات

لما فتحت الأهواز ويزدجرد بمرور كاتبوه واستنجدوه ، فبعث إلى الملوك ما بين الباب والسند وخراسان وحلوان يستمدّهم فأجابوه ، واجتمعوا إلى نهاوند وعلى الفرس الفيرزان في مائة وخمسين ألف مقاتل . وكان سعد بن أبي وقاص قد ألّب أقوام عليه من عسكره ، وشكوا إلى عمر فبعث محمد بن مسلمة في الكشف عن أمره فلم يسمع إلاّ خيراً سوى مقالة من بني عبس ، فاستقدمه محمد إلى عمر وخبره الخبر وقال : كيف تصلي يا سعد ؟ قال : أطيل^(٢) الأولتين وأحذف الأخيرتين . قال : هكذا^(٣) الظن بك ، ثم قال : من خليفتك على الكوفة ؟ قال : عبدالله بن عثمان فآقره وشافهه بخبر الأعاجم وأشار بالانسحاق ليكون أهيب على العدو . فجمع عمر الناس واستشارهم بالمسير بنفسه ، فمن موافق ومخالف إلى أن اتفق رأيهم على أن يبعث الجنود ويقيم رداء لهم ، وكان ذلك رأي عليّ وعثمان وطلحة وغيرهم ، فولّى على حربهم النعمان بن مقرن المزني وكان على جند الكوفة بعد انصرافهم من حصار السوس ، وأمره أن يصير إلى ماء لتجتمع الجيوش عليه ويسير بهم إلى الفيرزان ومن معه . وكتب إلى عبدالله بن عثمان أن يستنفر الناس مع النعمان ، فبعثهم مع حذيفة بن اليمان ومعه نعيم بن مقرن ، وكتب إلى المقرب وحرمة وزرّ الذين كانوا بالأهواز وفتحوا السوس وجنديسابور أن يقيموا بتخوم أصبهان وفارس ويقطعوا المدد

(١) وفي نسخة ثانية : فيما بعد .

(٢) وفي النسخة الباريسية : أصلى الأولتين

(٣) وفي النسخة الباريسية : هو

عن أهل نهاوند .

واجتمع الناس على النعمان وفيهم حذيفة وجريز والمغيرة وابن عمر وأمثالهم ، وأرسل النعمان طليحة وعمرو بن معد يكرب طليعة ، ورجع عمرو من طريقه . وانتهى طليحة إلى نهاوند ونفض الطرق فلم يلق بها أحدا وأخبر الناس ، فرحل النعمان وعبي المسلمين ثلاثين ألفا ، وجعل على مقدمته نعيم بن مقرن وعلى مجنبيه حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن وعلى المجردة القعقاع وعلى الساقة مجاشع بن مسعود . ومع الفيرزان كتابه وعلى مجنبيه الزردق وبهم جادويه مكان ذي الحاجب ، وقد توافى إليهم بنهاوند كل من غاب من القادسية من أبطالهم .

فلما تراءى الجمعان كبر المسلمون وحطت العرب الأثقال وتبادر أشراف الكوفة إلى فسطاط النعمان فبنوه ، حذيفة بن اليمان والمغيرة بن شعبة وعقبة بن عمرو وجريز بن عبدالله وحنظلة الكاتب وبشير بن الخصاصة والأشعث بن قيس ووائل بن حجر وسعيد بن قيس الهمداني . ثم تراحموا للقتال يوم الأربعاء والخميس والحرب سجال ثم أحجروهم في خنادقهم يوم الجمعة وحاصروهم أياماً ، وسئم المسلمون إعتصامهم بالخنادق وتشاوروا ، وأشار طليحة باستخراجهم للمناجزة بالاستطراد فناشبههم القعقاع فبرزوا إليه كأنهم حبال حديد قد توائقوا أن لا يفرّوا وألقوا حسك الحديد خلفهم لئلا ينهزموا ، فلما بارزوا استطرد لهم حتى فارقوا الخنادق وقد ثبت لهم المسلمون ونزل الصبر ، ثم وقف النعمان على الكتاب وحرّض المسلمين ودعا لنفسه بالشهادة ، وقال : إذا كبرت الثالثة فاحملوا . ثم كبر وحمل عند الزوال وتجاول الناس ساعة وركدت الحرب ثم انفض الأعاجم وانهزموا وقتلوا ما بين الظهر والعتمة حتى سالت أرض المعركة دما ترلق فيه المشاة حتى زلق فيه النعمان وصرع ، وقيل بل أصابه سهم ، فسجّاه أخوه نعيم بثوب . وتناول الراية حذيفة بعهدده وتواصوا بكتان موته . وذهب الأعاجم ليلاً وعميت عليهم المذاهب ، وعقرهم حسك الحديد ووقعوا في اللهب الذي أعدوه في عسكرهم فمات منهم أكثر من مائة ألف منها نحو ثلاثين ألفاً في المعركة ، وهرب الفيرزان بعد أن صرع إلى همدان واتبعه نعيم بن مقرن فأدركه بالثنية دونها وقد سدّتها الأحمال وترجل وصعد في الجبل ، وكان نعيم قد قدّم القعقاع أمامه فاعترضه وقتله المسلمون على الثنية ، ودخل الفلّ همدان وبها خسرشوم فترل المسلمون عليها مع نعيم والقعقاع ، ودخل المسلمون نهاوند يوم الوقعة وغنموا ما فيها

وجمعه إلى صاحب الأقباض السائب بن الأقرع .
 وولّى على الجند حذيفة بعهد النعمان إليه . ثم جاء الهربذ صاحب بيت النار إلى حذيفة
 فأمّنه وأخرج له سفطين مملوئين^(١) جوهرا نفيسا كانا من دخائر كسرى أودعها عنده
 البخرجان^(٢) فنقلها المسلمون ، وبعث الخمس مع السائب إلى عمر وأخبره بالواقعة
 وبالفتح بمن استشهد فبكى ، وبالسفطين فقال ضعها^(٣) في بيت المال والحق
 بجندك . قال السائب : ثم لحقني رسوله بالكوفة فردني إليه فلما رأي قال : ما لي
 وللسائب ما هو إلا أن نمت الليلة التي خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبني إلى
 السفطين يشتعلان نارا يتوعدوني بالكى إن لم أقسمها فخذها عني وبعها في أرزاق
 المسلمين . فبعتهما بالكوفة من عمرو بن حريث المخزومي بالني ألف درهم وباعها
 عمرو بأرض الأعاجم بضعفها ، فكان له بالكوفة مال . وكان سهم الفارس بنهاوند
 ستة آلاف والراجل ألفين ولم يكن للفارس من بعدها اجتماع . وكان أبو لؤلؤة قاتل عمر
 من أهل نهاوند حصل في أسر الروم وأسر الفرس منهم ، فكان إذا لقي سبيّ نهاوند
 بالمدينة يبكي ويقول : أكل عمر كبدي . وكان أبو موسى الأشعري قد حضر نهاوند
 على أهل البصرة فلما انصرف مرّ بالدينور فحاصرها خمسة أيام ، ثم صالحوه على
 الجزية . وسار إلى أهل شيروان^(٤) فصالحوه كذلك . وبعث السائب بن الأقرع إلى
 الصيمرة^(٥) ففتحها صلحا .

ولما اشتدّ الحصار بأهل همدان بعث خسرشوم إلى نعيم والقعقاع في الصلح على قبول
 الجزية فأجابوه إلى ذلك ثم اقتدى أهل الماهين وهم الملوك الذين جاؤا لنصرة يزدجرد
 وأهل همدان ، وبعثوا إلى حذيفة فصالحوه . وأمر عمر بالإنسياح في بلاد الأعاجم ،
 وعزل عبدالله بن عبدالله بن عتبان عن الكوفة وبعثه في وجه آخر . وولّى مكانه زياد
 بن حنظلة حليف بني عبد قصي واستعفى فأعفاه ، وولّى عمار بن ياسر ، واستدعى
 ابن مسعود من حمص فبعثه معه معلما لأهل الكوفة ، وأمدّهم بأبي موسى ، وأمدّ

(١) وفي نسخة ثانية : صفتين مملوءتين

(٢) وفي نسخة ثانية : البخرجان .

(٣) وفي نسخة ثانية : صنها

(٤) وفي النسخة الباريية : شيروان

(٥) وفي النسخة الباريية : العميرة وفي نسخة ثانية : العميرة .

أهل البصرة مكانه بعبدالله بن عبدالله ، ثم بعثه إلى أصبهان مكان حذيفة ، وولى على البصرة عمرو بن سراقه .

ثم انتقض أهل همدان فبعث إلى نعيم بن مقرن فحاصروهم ، وصار بعد فتحها إلى خراسان ، وبعث عتبة بن فرقد وبكر بن عبدالله إلى أذربيجان يدخل أحدهما من حلوان والآخر من الموصل ، ولما وصل عبدالله بن عبدالله بن عتبان إلى أصبهان ، وكان من الصحابة من وجوه الأنصار حليف بني الحلبى فأمدّه بأبي موسى ، وجعل على مجنبيه عبدالله بن ورقاء الرياحي وعصمة بن عبدالله ، فسار إلى نهاوند ورجع حذيفة إلى عمله على ما سقت دجلة . فسار عبدالله بمن معه ومن تبعه من عند النعمان نحو أصبهان ، وعلى جندها الأسبيدان وعلى مقدمته شهر يار بن جادويه في جمع عظيم برستاق أصبهان ، فاقتتلوا وبارز عبدالله بن ورقاء شهر يار فقتله ، وانهمز أهل أصبهان وصالحهم الأسبيدان على ذلك الرستاق ، ثم ساروا إلى أصبهان وتسمى جي^(١) وملكها الفادوسفان^(٢) ، فصالحهم على الجزية والخيار بين المقام والذهاب وقال : ولكم أرض من ذهب . وقدم أبو موسى على عبدالله من ناحية الأهواز فدخل معه أصبهان وكتبوا إلى عمر بالفتح . فكتب إلى عبدالله أن يسير إلى سهيل بن عدي لقتال كرمان ، فاستخلف على أصبهان السائب بن الأقرع ، ولحق بسهيل قبل أن يصل كرمان . وقد قيل : إن النعمان بن مقرن حضر فتح أصبهان أرسله إليها عمر من المدينة واستجاش له أهل الكوفة فقتل في حرب أصبهان ، والصحيح أن النعمان قتل بنهاوند . وافتتح أبو موسى قم وقاشان . ثم ولى عمر على الكوفة سنة إحدى وعشرين المغيرة بن شعبة وعزل عمّاراً .

فتح همدان

كان أهل همدان قد صالح عليهم خسر شنوم القعقاع ونعيا وضمنها ثم انتقض فكتب عمر إلى نعيم أن يقصدها فودّع حذيفة ورجع إليها من الطريق على تعبته ، فاستولى على بلادها أجمع حتى صالحوا على الجزية ، وقيل إن فتحها كان سنة أربع وعشرين فبينما نعيم يحول في نواحي همدان إذ جاء الخبر بخروج الديلم وأهل الري

(١) وفي النسخة الباريية : وتسمى جرّ

(٢) وفي النسخة الباريية : الفادوسوان

وأسفنديار أخو رستم بأهل اذريجان ، فاستخلف نعيم على همدان يزيد بن قيس
 الحمداني وسار إليهم فاقتلوا وانهزم الفرس وكانت واقعتها مثل نهاوند وأعظم . وكتبوا
 إلى عمر بالفتح فأمر نعيماً بقصد الري والمقام بها بعد فتحها . وقيل إن المغيرة بن شعبة
 أرسل من الكوفة جرير بن عبد الله إلى همدان ففتحها صلحا وغلب على أرضها ،
 وقيل تولّاها بنفسه وجرير على مقدمته . ولما فتح جرير همدان بعث البراء بن عازب
 إلى قزوين ففتح ما قبلها ، وسار إليها فاستنجدوا بالديلم فوعدوهم ثم جاء البراء في
 المسلمين فخرجوا لقتالهم والديلم وقوف على الجبل ينظرون ، فيش أهل قزوين منهم
 وصالحوا البراء على صلح أبهر قبلها . ثم غزا البراء الديلم وجيلان^(١) .

فتح الري

ولما انصرف نعيم من واقعة سار إلى الري وخرج إليه أبو الفرخان من أهلها في الصلح
 وأبى ذلك ملكها سياوخش بن مهران بن بهرام جوبين ، واستمد أهل ديناوند^(٢)
 وطبرستان وقومس^(٣) وجرجان فأمدّوه^(٤) والتقوا مع نعيم فشغلوا به عن المدينة ، وقد
 كان خلفهم أبو فرخان . ودخل المدينة من الليل ومعه المنذر بن عمر وأخو نعيم فلم
 يشعروا وهم واقفون لنعيم إلا بالتكبير من ورائهم ، فانهزموا وقتلوا وأفاء الله على
 المسلمين بالري مثل ما كان بالمدائن ، وصالحه أبو الفرخان الزيني^(٥) على البلاد فلم
 يزل شرفهم في عقبه . وأخرب نعيم مدينتهم العتيقة وأمر ببناء أخرى . وكتب إلى عمر
 بالفتح وصالحه أهل ديناوند على الجزية فقبل منهم .

ولما بعث بالأخماس إلى عمر كتب إليه بإرسال أخيه سويد إلى قومس ومعه هند بن
 عمرو الجملي ، فسار فلم يقيم له أحد وأخذها سلما وعسكر بها . وكتبه الفلّ الدين
 بطبرستان وبالمقارز فصالحوه على الجزية ، ثم سار إلى جرجان وعسكر فيها بيسطام
 وصالحه ملكها على الجزية ، وتلقاه مرزبان صول قبل جرجان فكان معه حتى جبي

(١) وفي النسخة الباريّة : ومرقان التير والطيلسان

(٢) وفي النسخة الباريّة : ديناوند

(٣) وفي النسخة الباريّة : وقومس

(٤) وفي النسخة الباريّة : فأمدّوه وفي نسخة أخرى : فأمره .

(٥) وفي النسخة الباريّة : المرسي

الخراج وأراه مروجها وسدّها ، وقيل كان فتحها سنة ثلاثين أيام عثمان ، ثم أرسل
سويد إلى الأصهبذ صاحب طبرستان على المواعدة فقبل وعقد له بذلك .

فتح أذربيجان

ولما افتتح نعيم الريّ أمره عمر أن يبعث سماك بن خرشة الأنصاري إلى أذربيجان ممداً
لبكير بن عبدالله^(١) ، وكان بكير بن عبدالله عندما سار إلى أذربيجان لقي بالجبّال
أسفنديار بن فرخزاد مهزوماً من واقعة نعيم من ماح رود^(٢) دون همدان وهو أخورستم
فهزمه بكير وأسرّه . فقال له : أمسكني عندك فأصالح لك على البلاد وإلا فروا إلى
الجبّال وتركوها ، وتحصّن من تحصّن إلى يوم ما فأمسكه وسارت البلاد صلحاً إلا
الحصون . وقدم عليه سماك وهو في مثل ذلك وقد افتتح ما يليه وافتتح عتبة بن فرقد
ما يليه ، وكتب بكير إلى عمر يستأذنه في التقدّم ، فأذن له أن يتقدّم نحو الباب وأن
يستخلف على ما افتتح ، فاستخلف عتبة بن فرقد وجمع له عمر أذربيجان كلها ،
فولّى عتبة سماك بن خرشة^(٣) على ما افتتحه بكير . وكان بهرام بن الفرخزاد قصد
طريق عتبة وأقام به في عسكره مقتصداً^(٤) معترضاً له فلقية عتبة وهزمه ، وبلغ خبر
الأسفنديار وهو أسير عند بكير فصالحه واتبعه أهل أذربيجان كلهم . وكتب بكير
وعتبة بذلك إلى عمر وبعثوا بالأخماس فكتب عمر لأهل أذربيجان كتاب الصلح ،
ثم غزا عتبة بن فرقد شهر زور والصامغان ففتحها بعد قتال على الجزية والخراج ،
وقتل خلقاً من الأكراد ، وكتب إلى عمر أن فتوح بلغت أذربيجان فولّاه إياها وولّى
هرثمة بن عرفجة الموصل .

فتح الباب

ولما أمر عمر بكير بن عبدالله بغزو الباب والتقدم إليها ، بعث سراقة بن عمرو على
حربها فسار من البصرة ، وجعل على مقدّمته عبد الرحمن بن ربيعة وعلى إحدى

(١) وفي نسخة ثانية : لبكر بن عبدالله

(٢) وفي نسخة ثانية : معهم ابو حرود

(٣) وفي النسخة الباريسية : ابن خرثمة

(٤) وفي النسخة الباريسية : معتصر

مجنبتيه ابن أسيد الغفاري وعلى الأخرى بكير بن عبدالله المتقدم وعلى المقاسم سلمان بن ربيعة الباهلي ، وردّ أبا موسى الأشعري إلى البصرة مكان سراقه ، ثم أمدّ سراقه بحبيب بن مسلمة من الجزيرة وجعل مكانه زياد بن حنظلة ، وسار سراقه من أذربيجان ، فلما وصل عبد الرحمن بن ربيعة في مقدّمته على الباب والملك بها يومئذ شهر يار من ولد شهر يار الذي أفسد بني إسرائيل وأغزى الشام منهم ، فكاتبه شهر يار واستأمنه على أن يأتي فحضر وطلب الصلح والموادة على أن تكون جزيته النصر والطاعة للمسلمين ، قال : ولا تسومونا الجزية فتوهنونا لعدوكم . فسيره عبد الرحمن إلى سراقه فقبل منه وقال : لا بدّ من الجزية على من يقيم ولا يحارب العدو . فأجاب ، وكتبوا إلى عمر فأجاز ذلك .

فتح موقان وجبال ارمينية

ولما فرغ سراقه من الباب بعث^(١) أمراء إلى ما يليه من الجبال المحيطة بأرمينية ، فأرسل بكير بن عبدالله إلى موقان ، وحبيب بن مسلمة إلى تفليس ، وحذيفة بن اليمان إلى جبال اللان^(٢) ، وسلمان بن ربيعة إلى الوجه الآخر . وكتب بالخبر إلى عمر فلم يرج تمام ذلك لأنه فرج عظيم ، ثم بلغه موت سراقه واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة ، فأقره عمر على فرج الباب وأمره بغزو الترك . ولم يفتح أحد من أولئك الأمراء إلا بكير بن عبدالله فإنه فتح موقان ، ثم تراجعوا على الجزية ديناراً عن كل حالم .

غزو الترك

ولما أمر عبد الرحمن بن ربيعة بغزو الترك سار حتى الباب وسار معه شهر يار فغزا بلنجر وهم قوم من الترك ففروا منه وتحصّنوا ، وبلغت خيله على مائتي فرسخ من بلنجر وعاد بالظفر والغنائم . ولم يزل يردّد الغزو فيهم إلى أيام عثمان فتدامر الترك وكانوا يعتقدون أن المسلمين لا يقتلون لأنّ الملائكة معهم ، فأصابوا في هذه الغزاة رجلاً من المسلمين على غرة فقتلوه وتجاسروا ، وقاتل عبد الرحمن فقتل وانكشف أصحابه ، وأخذ الراية أخوه سلمان فخرج بالناس ومعه أبو هريرة الدوسي فسلكوا على جيلان إلى جرجان .

(١) وفي النسخة الباريية : ولما فرغ من الباب بعث سراقه .

(٢) وفي نسخة ثانية : اللات .

فتح خراسان

ولما عقدت الألوية للأمراء للإنسياح في بلاد فارس كان الأحنف بن قيس منهم بخراسان وقد تقدم ، أن يزدجرد سار بعد جلولاء إلى الريّ وبها أبان جادويه من مرازبته فأكرهه على خاتمه ، وكتب الضحّاك بما اقترح من ذخائر يزدجرد وختم عليها وبعث بها إلى سعد ، فردّها عليه على حكم الصلح الذي عقد له . ثم سار يزدجرد والناس معه إلى أصبهان ثم إلى كرمان ثم رجع إلى مرو من خراسان فترها وأمن من العرب ، وكتب الهرمزان وأهل فارس بالأهواز والفيروزان وأهل الجبال فنكثوا^(١) جميعا وهزمهم الله وخذلهم وأذن عمر للمسلمين بالانسياح في بلادهم .

وأمر الأمرء كما قدّمناه وعقد لهم الألوية ، فسار الأحنف إلى خراسان سنة ثمان عشرة وقيل إثنين وعشرين فدخلها من الطبيين^(٢) ، وافتتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان^(٣) العبدى ، ثم سار إلى مرو الشاهجان ، وأرسل إلى نيسابور مطرف بن عبد الله بن الشخير ، وإلى سرخس الحرث بن حسان ، ودرج يزدجرد من مرو الشاهجان إلى مرو الروذ فملكها الأحنف ولحقه مدد أهل الكوفة هنالك ، فسار إلى مرو الروذ واستخلف على الشاهجان حارثة بن النعمان الباهلي وجعل مدد الكوفة في مقدّمته ، والتقوا هم ويزدجرد على بلخ فهزموه وعبر النهر فلحقهم الأحنف وقد فتح الله عليهم ، ودخل أهل خراسان في الصلح ما بين نيسابور وطخارستان . وولّى على طخارستان ربعي بن عامر ، وعاد إلى مرو الروذ فترها وكتب إلى عمر بالفتح ، فكتب إليه أن يقتصر على ما دون النهر .

وكان يزدجرد وهو بمرو الروذ قد استنجد ملوك الأمم وكتب إلى ملك الصين وإلى خاقان ملك الترك وإلى ملك الصغد ، فلما عبر يزدجرد النهر مهزوماً أنجده خاقان في الترك وأهل فرغانة والصغد ، فرجع يزدجرد وخاقان إلى خراسان فترلا بلخ ، ورجع أهل الكوفة إلى الأحنف بمرو الروذ ونزل المشركون عليه ، ثم رحل ونزل سفح الجبل في عشرين ألفاً من أهل البصرة وأهل الكوفة وتحصن العسكران بالخنادق وأقاموا

(١) وفي النسخة الباريسية : فنكبوا .

(٢) وفي النسخة الباريسية : الطبيين .

(٣) وفي نسخة أخرى : فلان وكذا في الكامل والطبري .

يقاتلون^(١) أياماً ، وصحبهم الأحنف ليلة وقد خرج فارس من الترك يضرب بطبله ويتلوه إثنان كذلك ، ثم يخرج العسكر بعدهم عادة لهم ، فقتل الأحنف الأول ثم الثاني ثم الثالث فلما مرّ بهم خاقان تشاءم وتطير ورجع أدراجه فارتحل وعاد إلى بلخ ، وبلغ الخبر إلى يزدجرد وكان على مرو الشاهجان محاصراً لحارثة بن النعمان ومن معه فجمع خزائنه وأجمع اللحاق بخاقان على بلخ ، فمنعه أهل فارس وحملوه على صلح المسلمين والركون إليهم وأنهم أوفى ذمة من الترك ، فأبى من ذلك وقاتلهم فهزموه واستولوا على الخزائن ، ولحق بخاقان وعبروا النهر إلى فرغانة ، وأقام يزدجرد ببلد الترك أيام عمر كلها إلى أن كفر أهل خراسان أيام عثمان . ثم جاء أهل فارس إلى الأحنف ودفعوا إليه الخزائن والأموال وصالحوه واغتبطوا بملكة المسلمين ، وقسم الأحنف الغنائم فأصاب الفارس ما أصابه يوم القادسية .

ثم نزل الأحنف بلخ وأنزل أهل الكوفة في كورها الأربع ورجع إلى مرو الروذ فترها ، وكتب بالفتح إلى عمر . وكان يزدجرد لما عبر النهر لقي رسوله الذي بعثه إلى ملك الصين قد رده إليه يسأله أن يصف له المسلمين الذين فعلوا به هذه الأفاعيل مع قلة عددهم ، ويسأل عن وفائهم ودعوتهم وطاعة أمرائهم ووقوفهم عند الحدود وما آكلهم وشرابهم وملابسهم ومراكبهم ، فكتب إليه بذلك كله . وكتب إليه ملك الصين أن يسألهم فإنهم لا يقوم لهم شيء بما قام نردبيل^(٢) ، فأقام يزدجرد بفرغانة بعهد من خاقان . ولما وصل الخبر إلى عمر خطب الناس وقال : ألا وإنّ ملك المجوسية قد ذهب فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضرب بمسلم ، ألا وإنّ الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبنائهم لينظر كيف تعملون فلا تبدّلوا فيستبدل الله بكم غيركم ، فإني لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم^(٣)

(١) وفي النسخة الباريية : يقتلون .

(٢) كذا في الأصل : وفي الكامل ج ٣ ص ٣٧ : « وكتب ملك الصين إلى يزدجرد » إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجند أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق عليّ ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدّوها ولو خلا لهم سربهم أزالوني ما داموا على ما وصف ، فسألهم وأرض منهم بالمسألة ولا تهيّجهم ما لم يهيجوك .

(٣) وفي النسخة الباريية : أن تؤتوا الأمر قبلكم .

فتوح فارس

ولما خرج الأمراء الذين توجهوا إلى فارس من البصرة افترقوا وسار كل أمير إلى جهته وبلغ ذلك أهل فارس فافترقوا إلى بلدانهم وكانت تلك هزيمتهم وشتاتهم . وقصد مجاشع بن مسعود من الأمراء سابور وأردشير خرة فاعترضه الفرس دونها بتوج فقتلهم وأثنى فيهم ، وافتتح توج واستباحها وصالحهم على الجزية وأرسل بالفتح والأخماس إلى عمر ، فكانت واقعة توج هذه ثانية لواقعة العلاء بن الحضرمي عليهم أيام طاوس ثم دعوا إلى الجزية فرجعوا وأقروا بها .

اصطخر : وقصد عثمان بن أبي العاص اصطخر فرحفوا إليه بحور^(١) ، فهزمهم وأثنى فيهم وفتح جور واصطخر ووضع عليهم الجزية وأجابه الهربذ إليها ، وكان ناس منهم قروا فتراجعوا إليها . وبعث بالفتح والخمس إلى عمر . ثم فتح كازرون والنوبندجان وغلب على أرضها ، ولحق به أبو موسى فافتتحا مدينة شيراز وأرجان على الجزية والخراج ، وقصد عثمان جنابة^(٢) ففتحها ولقي الفرس بناحية جهرم فهزمهم وفتحها . ثم نقض شهرک في أول خلافة عثمان فبعث عثمان بن أبي العاص ابنه وأخاه الحكم وأتته الأمداد من البصرة وعليه عبيد الله بن معمر وشبل بن معبد والتقوا بارض فارس ، فانهزم شهرک وقتله الحكم بن أبي العاصي وقيل سوار بن همام العبدي وقيل إن ابن شهرک حمل على سوار فقتله . ويقال إن اصطخر كانت سنة ثمان وعشرين وقيل تسع وعشرين . وقيل إن عثمان بن أبي العاص أرسل أخاه الحكم من البحرين إلى فارس في ألفين ، فسار إلى توج وعلى مجنبته الجارود وأبو صفرة والد المهلب ، وكان كسرى أرسل شهرک في الجنود إلى لقاءهم ، فالتقوا بتوج وهزمهم إلى سابور وقتل شهرک وحاصروا مدينة سابور حتى صالح عليها ملكها واستعانوا به على قتال اصطخر ، ثم مات عمر رضي الله عنه ، وبعث عثمان بن عفان عبيد الله بن معمر مكان عثمان بن أبي العاص وأقام محاصراً اصطخر وأراد ملك سابور الغدر به ، ثم أحضر وأصاب عبيد الله حجارة منجنيق فمات بها . ثم فتحوا المدينة فقتلوا بها بشرا كثيرا منهم .

(١) وفي الكامل ج ٣ ص ٤٠ : مقصد عثمان بن أبي العاص الثقي لاصطخر فالتقى هو وأهل اصطخر بحور فاقتلوا .

(٢) وفي نسخة ثانية : جينا .

بساوذر ابجرد : وقصد سارية بن زنيم الكناني من أمراء الانسياح مدينة بسا^(١) ودار ابجرد فحاصروهم ، ثم استجاشوا بأكراد فارس واقتتلوا بصحراء ، وقام عمر على المنبر ونادى يا سارية الجبل ، يشير إلى جبل كان ازاءه أن يسند إليه ، فسمع ذلك سارية ولحاً إليه ثم انهزم المشركون ، وأصاب المسلمون مغانمهم وكان فيها سبط جوهر فاستوهبه سارية من الناس ، وبعث به مع الفتح إلى عمر ، ولما قدم به الرسول سأل عمر فأخبره عن كل شيء ودفع إليه السبط فأبى إلا أن يقسم على الجند فرجع به وقسمه سارية .

كرمان : وقصد سهيل بن عدي من أمراء الانسياح كرمان ولحق به عبدالله بن عبدالله بن عتبان ، وحشد أهل كرمان واستعانوا بالقفص وقاتلوا المسلمين في أدنى أرضهم فهزموهم بإذن الله ، وأخذ المسلمون عليهم الطريق بل الطرق ودخل النسير^(٢) بن عمرو العجلي^(٣) إلى جيرفت وقتل في طريقه مرزبان كرمان ، وعبدالله بن عبدالله مفازة شيرزاد وأصابوا ما أرادوا من إبل وشاء . وقيل إن الذي فتح كرمان عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي . ثم أتى الطبيين من كرمان ، ثم قدم على عمر وقال : أقطعني الطبيين ، فأراد أن يفعل فقال إنها رستاقان فامتنع .

سجستان : وقصد عاصم بن عمرو من الأمراء سجستان ولحق به عبدالله بن عمير وقاتلوا أهل سجستان في أدنى أرضهم فهزموهم وحصروهم بزرنج ونحروا أرض سجستان ، ثم طلبوا الصلح^(٤) على مدينتهم وأرضها ، على أن الفدافد حمى ، وبقي أهل سجستان على الخراج^(٥) وكانت أعظم من خراسان وأبعد فروجاً يقاتلون القندهار والترك وأما أخرى ، فلما كان زمن معاوية هرب الشاه من أخيه نبيل^(٦) ملك الترك إلى بلد من سجستان يدعى آمل ، وكان على سجستان سلم بن زياد بن أبي سفيان فعقد له وأنزله آمل ، وكتب إلى معاوية بذلك فأقره بغير نكير وقال : إن هؤلاء قوم غدر وأهون ما يجيء منهم إذا وقع اضطراب أن يغلبوا على بلاد آمل

(١) وفي الكامل ج ٣ ص ٤٢ : فسا

(٢) وفي نسخة ثانية : البشير بن عمرو .

(٣) وفي النسخة الباريية : البجلي .

(٤) وفي النسخة الباريية : ثم صالحوهم .

(٥) وفي نسخة ثانية : على أن الفرات حمى ويسقي أهل سجستان على الخراج .

(٦) وفي بعض الكتب رتبيل بدل زنبيل اهـ .

بأسرها ، فكان كذلك . وكفر الشاه بعد معاوية وغلب على بلاد آمل واعتصم منه زنبيل بمكانه ، وطمع هو في زرنج فحاصرها حتى جاءت الأمداد من البصرة فأجفلوا عنها .

مكران : وقصد الحكم بن عمرو التغلبي من أمراء الانسياح بلد مكران ولحق به شهاب بن المخارق وجاء سهيل بن عديّ وعبدالله بن عبدالله بن عتبان وانتهوا جميعا الى دوين^(١) وأهل مكران على شاطية^(٢) وقد أمدّهم أهل السند بجيش كثيف ، ولقيهم المسلمون فهزموهم وأثنوا فيهم بالقتل ، واتبعوهم أياما حتى انتهوا الى النهر ورجعوا الى مكران فأقاموا بها وبعثوا الى عمر بالفتح والأخماس مع صحّار العبدي ، وسأله عمر عن البلاد فأثنى عليها شراً ، فقال : والله لا يغزوها جيش لي أبدا وكتب الى سهيل والحكم أن لا يجوز مكران أحد من جنودكما .

خبر الأكراد

كان أمر أمراء الانسياح لما فصلوا الى النواحي ، اجتمع بيروذ^(٣) بين نهر تيري ومنادر من أهل الأهواز جموع من الأعاجم أعظمهم الأكراد ، وكان عمر قد عهد الى أبي موسى أن يسير الى أقصى تخوم البصرة رداءً للأمراء المنساحين ، فجاء الى بيروذ وقاتل تلك الجموع قتالا شديدا وقاتل المهاجر بن زياد حتى قتل^(٤) . ثم وهن الله المشركين فتحصّنوا منه في قلّة وذلّة ، فاستخلف أبو موسى عليهم أخاه الربيع بن زياد وسار الى أصبهان مع المسلمين الذين يحاصرونها حتى إذا فتحت رجع الى البصرة . وفتح الربيع بن زياد بيروذ وغنم ما فيها ولحق به بالبصرة وبعثوا الى عمر بالفتح والأخماس ، وأراد ضبة بن محصن العتري أن يكون في الوفد فلم يحبه أبو موسى ، فغضب وانطلق شاكيا الى عمر بانتقائه ستين غلاما من أبناء الدهاقين لنفسه وأنه أجاز الخطيئة بألف وولى زياد بن أبي سفیان أمور البصرة ، واعتذر أبو موسى وقبلة عمر . وكان عمر قد اجتمع إليه جيش من المسلمين فبعث عليهم سلمة بن قيس الأشجعي

(١) وفي النسخة الباريسية : دومن .

(٢) وفي نسخة ثانية : شاطية .

(٣) بيروذ على وزن فيروز ، قال في الكامل وآخره ذال معجمة اهـ .

(٤) وفي نسخة ثانية : وقتل المهاجر بن زياد .

ودفعهم الى الجهاد على عادته وأوصاهم ، فلقوا عدوا من الأكراد المشركين فدعوههم إلى الإسلام أو الجزية ، فأبوا وقاتلوهم وهزموهم وقتلوا وسبوا وقسموا الغنائم ، ورآى سلمة جوهرأ في سبط فاسترضى المسلمين وبعث به إلى عمر فسأل الرسول عن أمور الناس حتى أخبره بالسبط فغضب وأمر به فوجىء في عنقه ، وقال : أسرع قبل أن تفرق الناس ليقسمه سلمة فيه فباعه سلمة وقسمه في الناس وكان الفص يباع بخمسة دراهم وقيمته عشرون ألفا .

مقتل عمر وأمر الشورى وبيعة عثمان رضي الله عنه

كان للمغيرة بن شعبة مولى من نصارى العجم اسمه أبو لؤلؤة وكان يشدد عليه في الخراج ، فلقى يوما عمر في السوق فشكى إليه وقال : أعدني على المغيرة فإنه يثقل عليّ في الخراج درهمين في كل يوم ، قال : وما صناعتك ؟ قال نجار حداد نقاش ، فقال : ليس ذلك بكثير على هذه الصنائع وقد بلغني انك تقول أصنع رحي تطحن بالريح فاصنع لي رحي . قال : أصنع لك رحي يتحدث الناس بها أهل المشرق والمغرب ، وانصرف ، فقال عمر : توعدي العليج . فلما أصبح خرج عمر إلى الصلاة واستوت الصفوف ودخل أبو لؤلؤة في الناس ويده خنجر برأسين نصابه في وسطه ، فضرب عمر ست ضربات إحداها تحت سرتّه ، وقتل كليباً بن أبي البكير الليثي ، وسقط عمر فاستخلف عبد الرحمن بن عوف في الصلاة واحتمل إلى بيته .

ثم دعا عبد الرحمن وقال : أريد أن أعهد إليك ، قال : أتشير عليّ بها قال : لا . قال : والله لا أفعل . قال : فهبني صمتاً حتى أعهد إلى نفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض . ثم دعا عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن معهم ، وقال انتظروا طلحة ثلاثا فإن جاء وإلا فاقضوا أمركم ، وناشد الله من يفضي إليه الأمر منهم أن يحمل أقاربه على رقاب الناس ، وأوصاهم بالأنصار الذين تبوؤا الدار والإيمان أن يحسن إلى محسنهم وبغفو^(١) عن مسيئهم ، وأوصى بالعرب فإنهم مادة الإسلام أن تؤخذ صدقاتهم في فقرائهم ، وأوصى بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم ، ثم قال : اللهم قد بلغت لقد تركت الخليفة من بعدي

(١) مقتضى سياق الجملة ان يقول « يُغْفَى » .

على أنقى من الراحة . ثم دعى أبا طلحة الأنصاري فقال : قم على باب هؤلاء ولا تدع أحدا يدخل إليهم حتى يقضوا أمرهم . ثم قال : يا عبدالله بن عمر اخرج فانظر من قتلي ؟ قال يا أمير المؤمنين : قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة . قال : الحمد لله الذي لم يجعل مني بيد رجل سجد لله سجدة واحدة . ثم بعث إلى عائشة يستأذنها في دفنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر فأذنت له . ثم قال : يا عبدالله إن اختلف القوم فكن مع الأكثر ، فان تساوا فكن مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف . ثم أذن للناس فدخل المهاجرون والأنصار فقال لهم : أهذا عن ملائمتكم ؟ فقالوا : معاذ الله . وجاء علي وابن عباس فقعدا عند رأسه ، وجاء الطبيب فسقاه نبيذا فخرج متغيّرا ثم لبنا فخرج كذلك ، فقال له : اعهد . قال : قد فعلت . ولم يزل يذكر الله إلى أن توفي ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وصلى عليه صهيب وذلك لعشر سنين وستة أشهر من خلافته .

وجاء أبو طلحة الأنصاري ومعه المقداد بن الأسود ، وقد كان أمرهما عمر أن يجمعا هؤلاء الرهط الستة في مكان ويلزمهم أن يقدموا للناس من يختاروه^(١) منهم وإن اختلفوا كان الاتباع للاكثر وإن تساوا حكموا عبدالله بن عمر أو اتبعوا عبد الرحمن بن عوف ، ويؤجلوهم في ذلك ثلاثا يصلي فيهم بالناس صهيب ويحضر عبدالله بن عمر معهم مشيرا ليس له شيء من الأمر وطلحة شريكهم ان قدم في الثلاث ليال . فجمعهم أبو طلحة والمقداد في بيت المسور بن مخرمة وقيل في بيت عائشة ، وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحصبها سعد وأقامها وقال : تريدان أن تقولاً حضرننا وكنا في أهل الشورى . ثم دار بينهما الكلام وتنافسوا في الأمر ، فقال : عبد الرحمن أيكم يخرج منها نفسه ويحتد فيوليا أفضلكم وأنا أفعل ذلك ؟ فرضي القوم وسكت علي . فقال : ما تقول على شريطة أن تؤثر الحق ولا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم ولا تألوا الأمة نصحا وتعطينا العهد بذلك . قال : وتعطوني أنتم موثيقكم على أن تكونوا معي على من خالف وترضوا من اخترت وتوثقوا . ثم قال لعلي : أنت أحق من حضر بقرابتك وسوابقك وحسن أثرك في الدين ولم تبعد في نفسك فمن ترى أحق فيه بعدك من هؤلاء ؟ قال : عثمان . وخلا بعثمان فقال له مثل ذلك فقال : علي .

(١) الصواب يختارونه لانه لم يتقدم الفعل ما يحذف النون .

ودار عبد الرحمن لياليه كلها يلقي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يوافي المدينة من أمراء الأجناد وأشرف الناس ويشيرهم إلى صبيحة الرابع ، فأتى منزل المسور بن مخرمة وخلا فيه بالزبير وسعد أن يتركا الأمر لعلّي أو عثمان^(١) فاتفقا على عليّ ، ثم قال له سعد بايع لنفسك وأرحنا فقال : قد خلعت لهم نفسي على أن أختار ولو لم أفعل ما أريدها^(٢) . ثم استدعى عبد الرحمن عليا وعثمان فناجى كلا منهما إلى أن رضوا بل إلى أن صلّوا الصبح ولا يعلم أحد ما قالوا . ثم جمع المهاجرين وأهل السابقة من الأنصار وأمراء الأجناد حتى غص المسجد بهم ، فقال : أشيروا عليّ ، فأشار عمار بعلي ووافقه المقداد . فقال ابن أبي سرح : إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان ووافقه عبدالله بن أبي ربيعة ، فتفاوضا وتشاتما ونادى سعد : يا عبد الرحمن افرغ قبل أن يفتتن الناس . فقال : نظرت وشاورت فلا تجعلنّ أيها الرهط على أنفسكم سيلا . ثم قال لعلّي : عليك عهد الله وميثاقه لتعملنّ بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخيفتين من بعده ، قال : أرجوا أن أجتهد بل أن أفعل بمبلغ علمي وطاقتي . وقال لعثمان مثل ذلك فقال : نعم . فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان ، وقال : اللهم اشهد أنّي قد جعلت ما في عنقي من ذلك في عنق عثمان فبايعه الناس . ثم قدم طلحة في ذلك اليوم فأتى عثمان ، فقال له عثمان : أنت على الخيار في الأمر وإن أبيت رددتها . فقال : أكل الناس بايعوك ؟ قال : نعم . قال : رضيت ، ولا أرغب عما أجمعوا عليه .

وكانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض ، ومرّ أبو لؤلؤة بالهرمزان وبيده الخنجر الذي طعن به عمر فتناوله من يده وأطال النظر فيه ثم رده إليه ، ومعهم جفينة نصرانيّ من أهل الحيرة . فلما طعن عمر من الغداة قال عبد الرحمن بن أبي بكر لعبيدالله بن عمر : اني رأيت هؤلاء الثلاثة يتناجون فلما رأوني افترقوا وسقط منهم هذا الخنجر ، فعدا عبيدالله عليهم فقتلهم ثلاثتهم ، وأمسكه سعد بن أبي وقاص وجاء به إلى عثمان بعد البيعة وهو في المسجد فأشار عليّ بقتله ، وقال عمرو بن العاص : لا يقتل عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم ، فجعلها عثمان دية واحتملها وقال انا وليّه . ثم قام عثمان وصعد المنبر وبايعه الناس كافة ، وولّى لوقته سعد بن أبي

(١) وفي النسخة الباريّة : لعلّي وعثمان .

(٢) وفي نسخة ثانية : على ان اختار ولم افعل ما اردتها .

وقاص على الكوفة وعزل المغيرة وذلك بوصية عمر لأنه أوصى بتولية سعد ، وقال لم أعزله عن سوء ولا خيانة منه . وقيل إنما ولّاه وعزل المغيرة بعد سنة وأنه أقر لأول أمره عمّال عمر كلهم .

نقض أهل الاسكندرية وفتحها

لما سار هرقل الى القسطنطينية وفارق الشام واستولى المسلمون على الإسكندرية وبقي الروم بها تحت أيديهم ، فكاتبوا هرقل فاستنجدوه فبعث إليهم عسكريا مع منويل الخصي ونزلوا بساحل الاسكندرية لمنعهم المقوقس من الدخول إليه ، فساروا إلى مصر ولقيهم عمرو بن العاص والمسلمون فهزموهم واتبعوهم إلى الاسكندرية ، وأثخنوا فيهم بالقتل وقتل قائدهم منويل الخصي ، وكانوا قد أخذوا في سيرهم إلى مصر أموال أهل القرى فردّها عمرو عليهم بالبينة ثم هدم سور الاسكندرية ورجع إلى مصر .

ولاية الوليد بن عقبة الكوفة وصلاح أرمينية وأذربيجان

وفي سنة خمس وعشرين عزل عثمان سعداً عن الكوفة لأنه اقترض من عبد الله بن مسعود من بيت المال قرضاً ، وتقاضاه ابن مسعود فلم يوسر سعد^(١) فتلاحيا وتناجيا بالقبيح وافترقا يتلاومان ، وتداخلت^(٢) بينهما العصبية ، وبلغ الخبر عثمان فعزل سعداً واستدعى الوليد بن عقبة من الجزيرة ، وكان على غربها منذ ولّاه عمر ، فولّاه عثمان على الكوفة فكان مكان سعد .

ثم عزل عتبة بن فرقد عن أذربيجان فنقضوا ، فغزاهم الوليد وعلى مقدّمته عبد الله بن شبيب الأحمسي فأغار على أهل موقان والبرزند والطيلسان ففتح وغنم وسبى ، وطلب أهل كور أذربيجان الصلح فصالحهم على صلح حذيفة ثمانمائة درهم وقبض المال . ثم بث سراياه وبعث سلمان بن ربيعة الباهلي إلى أهل أرمينية في اثني عشر ألفا فسار فيها وأثخن ، ثم انصرف إلى الوليد وعاد الوليد إلى الكوفة وجعل طريقه على

(١) وعند ابن الاثير في تاريخه الكامل ج ٣ ص ٨٢ : « فلما تقاضاه ابن مسعود لم يتيسر له قضاؤه » .

(٢) وفي النسخة الباريسية : وقد دخلت .

الموصل ، فلقية كتاب عثمان بأن الروم أجلبوا على معاوية بالشام فابعث إليهم رجلا من أهل النجدة والبأس في عشرة آلاف عند قراءة المکتوب^(١) ، فبعث الوليد الناس مع سلمان بن ربيعة ثمانية آلاف ومضوا إلى الشام ودخلوا أرض الروم مع حبيب بن مسلمة ، فشنوا عليهم الغارات واستفتحوا الحصون ، وقيل إن الذي أمد حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة هو سعيد بن العاص ، وذلك أن عثمان كتب إلى معاوية أن يغزي حبيب بن مسلمة في أهل الشام أرمينية فبعثه وحاصر قاليقلا حتى نزلوا على الجلاء أو الجزية ، فجلى كثير إلى بلاد الروم وأقام فيها فيمن معه أشهراً . ثم بلغه أن بطريق أرميناكس وهي بلاد ملطية وسيواس وقونية إلى خليج قسطنطينية قد زحف إليه في ثمانين ألفاً ، فاستنجد معاوية فكتب إلى عثمان فأمر سعيد بن العاص بإمداد حبيب فأمدّه سلمان في ستة آلاف ، وبيّت الروم فهزمهم وعاد إلى قاليقلا ، ثم سار في البلاد فجاء بطريق خلاط وبيده أمان عيّاض بن غنم وحمل ما عليهم من المال فقتل حبيب خلاط ، ثم سار منها فصالحه صاحب السرجان^(٢) ثم صاحب اردستان^(٣) ثم صالح أهل ديبيل بعد الحصار ، ثم أهل بلاد السرجان كلهم . ثم أتى أهل شمشاط فحاربوه فهزمهم وغلب على حصونهم ، ثم صالحه بطريق خرزان^(٤) على بلاده وسار إلى تفليس فصالحوه وفتح عدّة حصون ومدن تجاورها . وسار ابن ربيعة الباهلي إلى أران فصالح أهل اليلقان على الجزية والخراج ، ثم أهل بردعة كذلك وقراها . وقاتل أكراد البوشنجان وظفر بهم وصالح بعضهم على الجزية ، وفتح مدينة شمكور وهي التي سميت بعد ذلك المتوكّلة ، وسار سلمان حتى فتح فلية وصالحه صاحب كسكر على الجزية وملك شروان وسائر ملوك الجبال إلى مدينة الباب وانصرفوا . ثم غزا معاوية الروم وبلغ عمورية ووجد ما بين انطاكية وطرسوس من الحصون خاليا فجمع فيها العساكر حتى رجع وخرّبها .

(١) وفي نسخة أخرى : الكتاب .

(٢) وفي النسخة الباريسية : السفرخان .

(٣) وفي النسخة الباريسية : ازدشاط .

(٤) : وفي النسخة الباريسية : خزران .

ولاية عبدالله بن أبي سرح على مصر وفتح افريقية

وفي سنة ست وعشرين عزل عثمان عمرو بن العاص عن خراج مصر واستعمل مكانه عبدالله بن أبي سرح أخاه من الرضاعة ، فكتب إلى عثمان يشكو عمرا فاستقدمه واستقل عبدالله بالخراج والحرب وأمره بغزو افريقية . وقد كان عمرو بن العاص سنة إحدى وعشرين سار من مصر إلى برقة فصالح أهلها على الجزية ثم سار إلى طرابلس فحاصرها شهراً ، وكانت مكشوفة السور^(١) من جانب البحر وسفن الروم في مرساها فحسر القوم في بعض الأيام وانكشف أمرها لبعض المسلمين المحاصرين فاقتحموا البلد بين البحر والبيوت فلم يكن للروم ملجأ إلا سفنهم ، وارتفع الصياح فأقبل عمرو بعساكره فدخل البلد ولم تفلت الروم إلا بما خفّ في المراكب ، ورجع إلى مدينة صبرة وكانوا قد آمنوا بمنعة طرابلس فصباحهم المسلمون ودخلوها عنوة ، وكمل الفتح ورجع عمرو إلى برقة فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار جزية وكان أكثر أهل برقة لواتة . وكان يقال إن البربر ساروا بعد قتل ملكهم جالوت إلى المغرب وانتهوا إلى لوية ومراقية كورتان من كور مصر ، فصارت زناتة ومغيلة من البربر إلى المغرب فسكنوا الجبال وسكنت لواتة برقة وتعرف قديماً انطابلس ، وانتشروا إلى السوس ونزلت هواره مدينة لبدة ونزلت نفوسة مدينة صبرة وجلوا من كان هنالك من الروم ، وأقام الأفارق وهم خدم الروم وبقيتهم على صلح يؤدونه إلى من غلب عليهم إلى أن كان صلح عمرو بن العاص .

ثم إن عبدالله بن أبي سرح كان أمره عثمان بغزو افريقية سنة خمس وعشرين ، وقال له : إن فتح الله عليك فلك خمس الخمس من الغنائم . وأمر عقبة بن نافع بن عبد القيس على جند وعبدالله بن نافع بن الحرث على آخر وسمحها ، فخرجوا إلى افريقية في عشرة آلاف وصالحهم أهلها على مال يؤدونه ولم يقدرُوا على التوغل فيها لكثرة أهلها . ثم إن عبدالله بن أبي سرح^(٢) استأذن عثمان في ذلك واستمده ، فاستشار عثمان الصحابة فأشاروا به ، فجهز العساكر من المدينة وفيهم جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن العاص وابن جعفر والحسن

(١) وفي النسخة الباريسية منكشفة السور

(٢) وفي نسخة أخرى : ثم لما ولي عبدالله بن أبي سرح

والحسين وابن الزبير وساروا مع عبدالله بن أبي سرح سنة ست وعشرين ، ولقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين ببرة ، ثم ساروا إلى طرابلس فنهبوا الروم عندها ، ثم ساروا إلى إفريقية وبثوا السرايا في كل ناحية ، وكان ملكهم جرجير يملك ما بين طرابلس وطنجة تحت ولاية هرقل ويحمل إليه الخراج ، فلما بلغه الخبر جمع مائة وعشرين ألفاً من العساكر ولقيهم على يوم وليلة من سبيلة دار ملكهم وأقاموا يقتلون ودعوه إلى الإسلام أو الجزية فاستكبر . ولحقهم عبد الرحمن^(١) بن الزبير مدداً بعثه عثمان لما أبطأت أخبارهم ، وسمع جرجير بوصول المدد ففت في عضده ، وشهد ابن الزبير معهم القتال ، وقد غاب ابن أبي سرح وسأل عنه ف قيل إنه سمع منادي جرجير يقول من قتل ابن أبي سرح فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتي فخاف وتأخر عن شهود القتال ، فقال له ابن الزبير : تنادي أنت بأن من قتل جرجير نفلته مائة ألف وزوجه ابنته واستعملته على بلاده ، فخاف جرجير أشد منه .

ثم قال عبدالله بن الزبير لابن أبي سرح أن يترك جماعة من أبطال المسلمين المشاهير متأهبين للحرب ، ويقاثلون الروم بباقي العسكر إلى أن يضجروا فيركب عليهم بالآخرين على غرة لعل الله ينصرنا عليهم ، ووافق على ذلك أعيان الصحابة^(٢) ففعلوا ذلك وركبوا من الغد إلى الزوال وألحوا عليهم حتى أتعبوهم ثم افترقوا ، وأركب عبدالله الفريق الذين كانوا مستريحين فكبروا وحملوا حملة رجل واحد حتى غشوا الروم في خيامهم فانهزموا وقتل كثير منهم ، وقتل ابن الزبير جرجير وأخذت ابنته سبيّة فنفلها ابن الزبير ، وحاصر ابن أبي سرح سبيلة ففتحها وكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف دينار وسهم الرجل ألف . وبث جيوشه في البلاد إلى قفصة فسبوا وغنموا ، وبعث عسكراً إلى حصن الأجم وقد اجتمع به أهل البلاد فحاصره وفتحه على الأمان ، ثم صالحه أهل إفريقية على ألفي ألف وخمسمائة ألف دينار . وأرسل ابن الزبير بالفتح والخمس فاشترى مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار ، وبعض الناس يقول أعطاه إياه ولا يصح ، وإنما أعطى ابن أبي سرح خمس الخمس من الغزوة الأولى . ثم رجع عبدالله بن أبي سرح إلى مصر بعد مقامه سنة وثلاثة أشهر . ولمّا بلغ هرقل أن أهل إفريقية صالحوه بذلك المال الذي أعطوه غضب عليهم وبعث

(١) وفي النسخة الباريّة : عبدالله

(٢) وفي نسخة أخرى : أعيان اصحابه

بطريقا يأخذ منهم مثل ذلك ، فترل قرطاجنة وأخبرهم بما جاء له فأبوا وقالوا : قد كان ينبغي أن يساعدنا^(١) مما نزل بنا . فقاتلهم البطريق وهزمهم وطرده الملك الذي ولّوه بعد جرجير ، فلحق بالشام وقد اجتمع الناس على معاوية بعد علي (رضي الله عنه) ، فاستجاشه على إفريقية فبعث معه معاوية بن حديج السكوني في عسكر ، فلما وصل الإسكندرية وهلك الرومي ومضى ابن حديج في العساكر فترل قونية ، وسرح إليه البطريق ثلاثين ألف مقاتل وقاتلهم معاوية فهزمهم معاوية ، وحاصر حصن جلولاء فامتنع معه حتى سقطت ذات سوره فملكه المسلمون وغنموا ما فيه . ثم بثّ السرايا ودوّخ البلاد فأطاعوا ، وعاد إلى مصر . ولما أصاب ابن أبي سرح من إفريقية ما أصاب ورجع إلى مصر خرج قسطنطين بن هرقل غازيا إلى الإسكندرية في ستمائة مركب وركب المسلمون البحر مع ابن أبي سرح ومعه معاوية في أهل الشام . فلما تراءى الجمعان أرسوا جميعا ، وباتوا على أمان والمسلمون يقرؤون ويصلّون . ثم قرنوا سفنهم عند الصباح واقتتلوا ونزل الصبر واستحرّ القتل ، ثم انهزم قسطنطين جريحا في قلّ قليل من الروم ، وأقام ابن أبي سرح بالموضع أياما ثم قفل وسمى المكان ذات الصواري والغزوة كذلك لكثرة ما كان بها من الصواري ، وكانت هذه الغزاة سنة إحدى وثلاثين وقيل أربع وثلاثين . وسار قسطنطين إلى صقلية وعرفهم خبر الهزيمة فنكروه وقتلوه في الحمام .

فتح قبرص

كان أبو عبيدة لما احتضر^(٢) استخلف على عمله عياض بن غنم وكان ابن عمه وخاله وقيل استخلف معاذ بن جبل ، واستخلف عياض بعده سعيد بن حذيم الحمحي ، ومات سعيد فولّى عمر مكانه عمير بن سعيد الأنصاري ، ومات يزيد بن أبي سفيان فجعل عمر مكانه على دمشق أخاه معاوية ، فاجتمعت له دمشق والأردن ، ومات عمر وهو كذلك وعمير على حمص وقنسرين ، ثم استعفى عمير عثمان في مرضه فأعفاه وضمّ حمص وقنسرين إلى معاوية ، ومات عبد الرحمن بن أبي علقمة

(١) وفي النسخة الباريية : يساعدنا

(٢) وفي النسخة الباريية : استحضر

وكان على فلسطين فضم عثمان عمله الى معاوية فاجتمع الشام كله لمعاوية لستين من إمارة عثمان . وكان يلحّ على عمر في غزو البحر وكان وهو بحمص كتب إليه في شأن قبرص أن قرية من قرى حمص يسمع أهلها نباح كلاب قبرص وصياح دجاجهم ، فكتب عمر الى عمرو بن العاص : صف لي البحر وراكبه ! فكتب إليه : «هو خلق كبير يركبه خلق صغير ليس إلا السماء والماء إن ركذ فلق^(١) القلوب وإن تحرك أزاغ العقول يزداد فيه اليقين قلّة والشك كثرة وراكبه دود على عود إن مال غرق وإن نجا برق». فكتب عمر الى معاوية والذي بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا ، وقد بلغني أن بحر الشام يشرف على أطول شيء من الأرض فيستأذن الله كل يوم وليلة في أن يغرق الأرض فكيف أحمل الجنود على هذا الكافر ، وبالله لمسلم واحد أحب إليّ مما حوت الروم ، فإياك أن تعرض لي في ذلك فقد علمت ما لقي العلاء مني .

ثم كاتب ملك الروم عمر وقاربه وأقصر عن الغزو ، ثم ألحّ معاوية على عثمان بعده في غزو البحر فأجابه على خيار الناس وطوعهم ، فاختر الغزو جماعة من الصحابة فيهم ، أبو ذرّ وأبو الدرداء وشداد بن أوس وعبادة بن الصامت وزوجه أمّ حرام بنت ملحان ، واستعمل عليهم عبدالله بن قيس حليف بني فزارة ، وساروا إلى قبرص وجاء عبدالله بن أبي سرح من مصر فاجتمعوا عليها وصالحهم أهلها على سبعة آلاف دينار لكل سنة ، ويؤدّون مثلها للروم ، ولا منعة لهم على المسلمين ممن أرادهم من سواهم وعلى أن يكونوا عينا للمسلمين على عدوّهم ، ويكون طريق الغزو للمسلمين عليهم . وكانت هذه الغزاة سنة ثمان وعشرين وقيل تسع وعشرين وقيل ثلاث وثلاثين ، وماتت فيها أم حرام سقطت عن دابتها حين خرجت من البحر ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها بذلك . وأقام عبدالله بن قيس الجاسي على البحر فغزا خمسين غزاة لم ينكب فيها أحد ، إلى أن نزل في بعض أيام في ساحل المرقى من أرض الروم فثاروا إليه فقتلوه ، ونجا الملاح وكان استخلف سفيان بن عوف الأزدي على السفن فجاء إلى أهل المرقى وقاتلهم حتى قتل وقتل معه جماعة .

(١) وفي النسخة الباريسية : خرق

ولاية ابن عامر على البصرة وفتح فارس وخراسان

وفي السنة الثالثة من خلافة عثمان خرج أبو موسى من البصرة غازياً إلى أهل آمد والأكراد لما كفروا حمل ثقله على أربعين بغلاً من القصر^(١) بعد أن كان حض على الجهاد مشياً ، فألب الناس عليه ومضوا إلى عثمان فاستعفوه منه وتولى كبر ذلك غيلان بن خرشة^(٢) فعزله عثمان وولى عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهو ابن خال عثمان ، وكان ابن خمس وعشرين سنة ، وجمع له جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص من عمان والبحرين ، فصرف عبيدالله بن معمر عن خراسان وبعثه إلى فارس ، وولى على خراسان مكانه عمير بن عثمان بن سعد فآخن فيها حتى بلغ فرغانة ولم يدع كورة إلا أصلحها . ثم ولى عليها سنة أربع أمير^(٣) بن أحمر الشكري ، وعلى كرمان عبد الرحمن بن عبيس ، واستعمل على سجستان في سنة أربع عمران بن الفضيل البرجمي ، وعلى كرمان عاصم بن عمرو فجاشت فارس وانتقضت بعبيدالله بن عمرو وجمعوا له^(٤) فلقبهم بباب اصطخر فقتل عبيدالله وانهزم جنده .

وبلغ الخبر عبدالله بن عامر فاستنفر أهل البصرة وسار بالناس ، وعلى مقدمته عثمان بن أبي العاص وفي المجنبتين أبو برزة^(٥) الأسلمي ومعقل بن يسار وعلى الخيل عمران بن حصين ، ولقبهم باصطخر فقتل منهم مقتلة عظيمة وانهزموا وفتح اصطخر عنوة ، وبعدها دار الجرد . وسار إلى مدينة جور وهي اردشير ، وكان هرم بن حيان محاصراً لها فلما جاء ابن عامر فتحها . ثم عاد إلى اصطخر وقد نقضت فحاصرها طويلاً ورمها بالمجانيق واقتحمها عنوة ففني فيها أكثر أهل البيوتات والأساورة لأنهم كانوا لجأوا إليها ، ووطئ أهل فارس وطأة لم يزالوا منها في ذل . وكتب إلى عثمان بالفتح فكتب إليه أن يستعمل على كور فارس هرم بن حيان الشكري وهرم بن حيان العبسي والخريت بن راشد وأخاه المنجاب من بني سلمة والبرجمان الهجيمي^(٦) ، وأن يفرق كور خراسان

(١) وفي النسخة الباريية : الضهر

(٢) وفي نسخة ثانية : جرشة

(٣) أمير بوزن زبير وكذا كريز وعبيس كما في الكامل اهـ .

(٤) وفي النسخة الباريية : وحملوا له

(٥) وفي النسخة الباريية : أبو بردة

(٦) وفي النسخة الباريية : المحجمي

بين ستة نفر : الأحنف بن قيس على المرو ، وحبيب بن قرّة^(١) اليربوعي على بلخ ،
وخالد بن عبدالله بن زهير على هراة ، وأمير بن أحمر اليشكري على طوس ، وقيس
بن هبيرة السلمي على نيسابور ، ثم جمع عثمان خراسان كلها لقيس ، واستعمل أمير
بن أحمد اليشكري على سجستان ، ثم بعده عبد الرحمن^(٢) بن سمرة من قرابة ابن
عامر بن كريز ، فلم يزل عليها حتى مات عثمان وعمران على كرمان وعمير بن عثمان
ابن مسعود على فارس وابن كريز القشيري على مكران ، وخرج على قيس بن هبيرة
بعد موت عثمان ابن عمه عبدالله بن حازم كما نذكره .

ولما افتتح ابن عامر فارس أشار عليه الناس بقصد خراسان وكانوا قد انتقضوا فصار
إليها وقيل عاد إلى البصرة ، واستخلف على فارس شريك بن الأعور الحارثي فبنى
مسجدها . فلما دخل البصرة أشار عليه الأحنف بن قيس وحبيب بن أوس بالمسير إلى
خراسان فتجهز واستخلف على البصرة زياد بن أبيه ، وسار إلى كرمان وقد نكثوا
فبعث لحربهم مجاشع بن مسعود السلمي ولحرب سجستان الربيع بن زياد الحارثي ،
وسار هو إلى نيسابور وتقدمه الأحنف بن قيس إلى الطبسين حصنان هما بابا خراسان
فصالحه أهلها ، وسار إلى قوهستان^(٣) فقاتل أهلها حتى أحجرهم في حصنهم ولحقه
ابن عامر فصالحوه على ستمائة ألف درهم ، وقيل كان المتولي حرب قوهستان أمير بن
أحمر اليشكري .

ثم بعث ابن عامر السرايا إلى أعمال نيسابور ففتح رستاق رام عنوة وباخرز وجيرفت
عنوة ، وبعث الأسود بن كلثوم من عدي الرباب وكان ناسكا إلى بهق^(٤) من أعمالها
فدخل البلد من ثلثة كانت في سورها وقاتل حتى قتل وظفر أخوه أدهم بالبلد . وفتح
ابن عامر بشت بالشين المعجمة من أعمال نيسابور ثم أسفراين^(٥) ثم قصد نيسابور ،
وبعدما استولى على أعمالها فحاصرها أشهراً^(٦) وكان بها أربع مرازية من فارس فسأل
واحد منهم الأمان على أن يدخلهم ليلاً ، وفتح لهم الباب وتحصن الأكبر منهم في

(١) وفي النسخة الباريسية : قروة وفي نسخة أخرى قرط .

(٢) وفي النسخة الباريسية : عبدالله

(٣) وفي النسخة الباريسية : مهزستان

(٤) وفي النسخة الباريسية : بهق

(٥) وفي النسخة الباريسية : استيغراس

(٦) وفي نسخة أخرى : شهرا

حصنها حتى صالح على ألف ألف درهم . وولى ابن عامر على نيسابور قيس بن الهيثم السلمي . وبعث جيشا إلى نسا وأبيورد فصالحهم أهلها ، وآخر إلى سرخس فصالحوا مرزبانها على أمان مائة رجل لم يدخل فيها نفسه فقتله وافتتحها^(١) عنوة وجاء ، مرزبان طوس فصالحه على ستائة ألف درهم ، وبعث جيشا إلى هراة مع عبدالله بن حازم فصالح مرزبانها على ألف ألف درهم . ثم بعث مرزبان مرو فصالح على ألف ألف ومائتي ألف وأرسل إليه ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلي ، ثم بعث الأحنف بن قيس إلى طخارستان فصالح في طريقه رستاقاً على ثلثائة ألف وعلى أن يدخل رجل يؤذن فيه ويقيم حتى ينصرف ومر إلى مرو الروذ ، وزحف إليه أهلها فهزمهم وحاصرهم وكان مرزبانها من أقارب باذام^(٢) صاحب اليمن فكتب إلى الأحنف متوسلاً بذلك في الصلح فصالحه على ستائة ألف . ثم اجتمع أهل الجوزجان والطارقان والفارياب في جمع عظيم ولقيهم الأحنف فقاتلهم قتالا شديداً ثم انهزموا فقتلوا قتلاً ذريعاً .

ورجع الأحنف إلى مروالروذ ، وبعث الأقرع بن حابس إلى فلهم بالجوزجان فهزمهم وفتحها عنوة ، ثم فتح الأحنف الطالقان صلحاً والفارياب وقيل فتحها أمير بن أحمد ، ثم سار الأحنف إلى بلخ وهي مدينة طخارستان فصالحوه على أربعائة ألف وقيل سبعائة واستعمل عليها أسيد بن المنشمر ، ثم سار إلى خوارزم على نهر جيحون فامتنعت عليه فرجع إلى بلخ . وقد استوفى أسيد قبض المال وكتبوا إلى ابن عامر . ولما سار مجاشع بن مسعود إلى كرمان كما ذكرناه وكانوا قد انتقضوا ففتح هميد^(٣) عنوة وبني بها قصراً ينسب إليه ، ثم سار إلى السيرجان وهي مدينة كرمان فحاصرها وفتحها عنوة وجلى كثيراً من أهلها . ثم فتح جيرفت عنوة ودوخ نواحي كرمان وأتى القفص وقد تجمع له من العجم من أهل الجلاء ، وقاتلهم فظفر وركب كثير منهم البحر إلى كرمان وسجستان ، ثم أنزل العرب في منازلهم وأراضهم .

وسار الربيع بن زياد الحارثي بولاية ابن عامر كما قدمناه^(٤) إلى سجستان فقطع المفازة

(١) وفي نسخة أخرى : اقتحمها

(٢) وفي نسخة أخرى : باذان

(٣) وفي النسخة الباريسية : حمير .

(٤) وفي النسخة الباريسية : كما قلناه .

من كرمان حتى أتى حصن زالق فأغار عليهم يوم المهرجان وأسر دهقانهم ، فافتدى
بما غمر عترة قاعة^(١) من الذهب والفضة ، وصالحوه على صلح فارس . وسار إلى
زرنج^(٢) ولقيه المشركون دونها فهزمهم وقتلهم وفتح حصوناً عدة بينها وبينه ، ثم
انتهى إليها وقاتله أهلها فأحجرهم وحاصرهم ، وبعث مرزبانها في الأمان ليحضر
فأمنه وجلس له على شلو من أشلاء القتلى وارتفق بآخر وفعل أصحابه مثله ، فرعب
المرزبان من ذلك وصالح على ألف جام من الذهب يحملها ألف وصيف ، ودخل
المسلمون المدينة ، ثم سار منها إلى وادي سنارود فعبه إلى القرية التي كان رسم الشدي
يربط بها فرسه ، فقاتلهم وظفر بهم ، وعاد إلى زرنج وأقام بها سنة ثم سار بها إلى ابن
عامر واستخلف عليها عاملاً فأخرجوه وامتنعوا . فكانت ولاية الربيع سنة ونصف سنة
سبى فيها أربعين ألف رأس وكان الحسن البصري يكتب له .

ثم استعمل ابن عامر على سجستان عبد الرحمن بن سمرة فسار إليها وحاصر زرنج حتى
صالحوه على ألفي ألف درهم وألفي وصيف ، وغلب على ما بينها وبين الكش من ناحية
الهند وعلى ما بينها وبين الدادين^(٣) من ناحية الرخج ، ولما انتهى إلى بلد الدادين
حاصرهم في جبل الزور حتى صالحوه ودخل على الزور^(٤) وهو صنم من ذهب عيناه
ياقوتتان ، فأخذهما وقطع يده ، وقال للمرزبان : دونك الذهب والجوهر وإنما
قصدت أنه لا يضر ولا ينفع . ثم فتح كابل وزابلستان وهي بلاد غزنة فتحها صلحاً .
ثم عاد إلى زرنج إلى أن اضطرب أمر عثمان ، فاستخلف عليها أمير بن أحمر وانصرف
فأخرج أهلها وانتقضوا . ولما كان الفتح لابن عامر في فارس وخراسان وكرمان
وسجستان قال له الناس : لم يفتح لأحد ما فتح عليك فقال : لا جرم لأجعلن
شكري لله على ذلك أن أخرج محرماً من موقفي هذا . فأحرم بعمره من نيسابور وقدم
على عثمان استخلف على خراسان قيس بن الهيثم ، فسار قيس في أرض طخارستان
ودوخها وامتنع عليه سنجار فافتتحها عنوة .

(١) وفي الكامل ج ٣ ص ١٢٨ : فافتدى نفسه بأن غرز عترة وغمرها ذهباً وفضة .

(٢) وفي نسخة أخرى : زرينج وفي الكامل زرنج .

(٣) وفي النسخة الباريسية : الدوان وفي الكامل ج ٣ ص ١٢٩ الداون .

(٤) وفي النسخة الباريسية : جبل الزور وفي الكامل ج ٣ ص ١٢٩ : جبل الزور .

ولاية سعيد بن العاص الكوفة

كان عثمان لأول ولايته قد ولى على الكوفة الوليد بن عقبة استقدمه إليها من عمله بالجزيرة وعلى بني تغلب وغيرهم من العرب ، فبقي على ولاية الكوفة خمس سنين وكان أبو زيد الشاعر قد انقطع إليه من أخواله بني تغلب ليد أسداها إليه وكان نصرانياً فأسلم على يده وكان يغشاه بالمدينة والكوفة ، وكان أبو زيد يشرب الخمر فكان بعض السفهاء يتحدث بذلك في الوليد لملازمته إياه . ثم عدا الشباب من الأزد بالكوفة على رجل من خزاعة فقتلوه ليلاً في بيته وشهد عليهم أبو شريح الخزاعي فقتلهم الوليد فيه بالقسامة ، وأقام آباؤهم للوليد على حقه وكانوا ممن يتحدثون فيه ، وجاءوا إلى ابن مسعود بمثل ذلك فقال : لا تتبع عورة من استر عنا . وتغيظ الوليد من هذه المقالة وعاتب ابن مسعود عليها ، ثم عمد أحد أولئك الرهط إلى ساحر قد أتى به الوليد فاستفتى ابن مسعود فيه وأفتى بقتله ، وحبسه الوليد ثم أطلقه ، فغضبوا وخرجوا إلى عثمان شاكين من الوليد وانه يشرب الخمر . فاستقدمه عثمان وأحضره وقال : رأيتموه يشرب ؟ قالوا لا وإنما رأيناه يقيء الخمر فأمر سعيد بن العاص فجلبه وكان عليّ حاضراً فقال : إنزعوا خميصته للجلد . وقيل إن علياً أمر ابنه الحسن أن يجلبه فأبى فجلبه عبدالله بن جعفر ، ولما بلغ أربعين قال : أمسك جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أربعين وجلد عمر ثمانين وكل سنة^(١) .

ولما وقعت هذه الواقعة عزل عثمان الوليد عن الكوفة وولى مكانه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، مات سعيد الأول كافراً وكان يكنى أحيحة ، وخالد ابنه عم سعيد الثاني ولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعاء وكان يكتب واستشهد يوم مرج الصفر ، وربى سعيد الثاني في حجر عثمان فلما فتح الشام أقام مع معاوية ثم استقدمه عثمان وزوجه وأقام عنده حتى كان من رجال قريش . فلما استعمله عثمان وذلك سنة ثلاثين سار إلى الكوفة ومعه الأشتر وأبو خشة^(٢) الغفاري وجندب بن عبد الله والصعب بن جثامة ، وكانوا شخصوا مع الوليد ليعينوه فصاروا عليه ، فلما وصل

(١) المعنى مشوش هنا وربما يعود هذا إلى سقوط بعض الكلمات أثناء النسخ ولم تذكر هذه القصة بالتفصيل كما هي في الكامل وفي الطبري والمسعودي .

(٢) وفي نسخة ثانية : أبو حنيفة .

خطب الناس وحذرهم وتعرف الأحوال ، وكتب إلى عثمان أن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب الروادف والتابعة على أهل الشرف والسابقة ، فكتب إليه عثمان أن يفضل أهل السابقة ويجعل من جاء بعدهم تبعاً يعرف لكل منزلته ويعطيه حقه . فجمع الناس وقرأ عليهم كتاب عثمان وقال : أبلغوني حاجة ذي الحاجة . وجعل القراء في سمره فلم ترض أهل الكوفة ذلك وفشت المقالة ، وكتب سعيد إلى عثمان فجمع الناس واستشارهم فقالوا : أصبت لا تطمع في الأمور من ليس لها بأهل فتفسد . فقال : يا أهل المدينة إني أرى الفتن دبت إليكم وإني أرى أن أتخلص الذي لكم وأنقله إليكم من العراق . فقالوا : وكيف ذلك ؟ قال : تبعونه ممن شتم بما لكم في الحجاز واليمن . ففعلوا ذلك واستخلصوا ما كان لهم بالعراق ، منهم طلحة ومروان والأشعث بن قيس ، ورجال من القبائل اشتروا ذلك بأموال كانت لهم بخير ومكة والطائف .

غزو طبرستان

وفي هذه السنة غزا سعيد بن العاص طبرستان ولم يغزها أحد قبله ، وقد تقدّم أن الأصهبذ صالح سويد بن مقرن عنها أيام عمر على مال ، فغزاها سعيد في هذه السنة ومعه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الحسن والحسين وابن عباس وابن عمر وابن عمرو وابن الزبير وحذيفة بن اليمان في غيرهم ، ووافق خروج ابن عامر من البصرة إلى خراسان فترل نيسابور ، ونزل سعيد قومس وهي صلح كان حذيفة صالحهم عليه بعد نهاوند . فأتى سعيد جرجان فصالحوه على مائتي ألف ، ثم أتى متاخمة جرجان على البحر فقاتله أهلها ، ثم سألوا الأمان فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً ، وفتحوا فقتلهم أجمعين إلا رجلاً وقتل معه محمد بن الحكم بن أبي عقيل جدّ يوسف بن عمرو ، وكان أهل جرجان يعطون الخراج تارة مائة ألف وأخرى مائتين وثلاثمائة وربما منعه . ثم امتنعوا وكفروا فانقطع طريق خراسان من ناحية قومس إلا على خوف شديد ، وصار الطريق إلى خراسان من فارس كما كان من قبل حتى ولي قتيبة بن مسلم خراسان . وقدمها يزيد بن المهلب فصالح المرزبان وفتح البحيرة ودهستان وصالح أهل جرجان على صلح سعيد .

غزو حذيفة الباب وأمر المصاحف

وفي سنة ثلاثين هذه صرف حذيفة من غزو الري إلى غزو الباب مدداً لعبد الرحمن بن ربيعة وأقام له سعيد العاص بأذربيجان رداءً حتى عاد بعد مقتل عبد الرحمن كما مرّ ، فأخبره بما رأى من اختلاف أهل البلدان في القرآن وأن أهل حمص يقولون قراءة ثانياً خير من قراءة غيرنا وأخذناها عن المقداد ، وأهل دمشق يقولون كذلك ، وأهل البصرة عن أبي موسى ، وأهل الكوفة عن ابن مسعود . وأنكر ذلك واستعظمه وحذر من الاختلاف في القرآن ، ووافقه من حضر من الصحابة والتابعين ، وأنكر عليه أصحاب ابن مسعود فأغلظ عليهم وخطأهم ، فأغلظ له ابن مسعود فغضب سعيد وافترق المجلس ، وسار حذيفة إلى عثمان فأخبره وقال : أنا النذير العريان فأدرك الأمة . فجمع عثمان الصحابة فرأوا ما رآه حذيفة ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن إبعثي إلينا بالصحف ننسخها وكانت هذه الصحف هي التي كتبت أيام أبي بكر ، فإن القتل لما استحر في القراء يوم الإمامة قال عمر لأبي بكر : أرى أن تأمر بجمع القرآن لئلا يذهب الكثير منه لفناء القراء ، فأبى وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعله . ثم استبصر ورجع إلى رأي عمر وأمر زيد بن ثابت بجمعه من الرقاع والعصب^(١) وصدور الرجال ، وكتب في الصحف فكانت عند أبي بكر ثم عند عمر ثم عند حفصة . وأرسل عثمان فأخذها ، وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف ، وقال إذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قريش ففعلوا . ونسخوا المصاحف فبعث إلى كل أفق بمصحف يعتمد عليه ، وحرق ما سوى ذلك الصحابة في سائر الأمصار ، ونكره عبدالله بن مسعود في الكوفة حتى نحاهم عن ذلك وحملهم عليه .

مقتل يزيد جرد

لما خرج ابن عامر من البصرة إلى فارس فافتتحها هرب يزيد جرد من جور وهي أردشير خره^(٢) في سنة ثلاثين ، وبعث ابن عامر في إثره بمجاشع بن مسعود وقيل هرم بن

(١) العصب هو النسل كما في القاموس ولعل ابن خلدون كان يعني العَسيب وهي جريدة النخل المستقيمة الدقيقة المكشوط خوصها .

(٢) وفي النسخة الباريسية : وهو اردشير خرج سنة ثلاثين .

حيان الشكري وقيل العبيسي^(١) ، فاتبعه إلى كرمان فهرب إلى خراسان وهلك الجند في طريقهم بالثلج ، فلم يسلم إلا مجاشع ورجع معه وكان مهلكهم على خمسة فراسخ من السيرجان ، ولحق يزدجرد بمرو ومعه خرزاذ أخورستم ، فرجع عنه إلى العراق ووصى به ما هو به مرزبان مرو فسأله في المال فمنعه وخافه على نفسه وعلى مرو ، واستجاش بالترك فبيته وقتل أصحابه وهرب يزدجرد ماشياً إلى شط المرغاب وآوى إلى بيت رجل ينقر الأرحاء ، فلما نام قتله ورماه في النهر . وقيل إنما بيته أهل مرو ولما جاؤا إلى بيت الرجل أخذوه وضربوه فأقر بقتله فقتلوه وأهله ، واستخرجوا يزدجرد من النهر وحملوه في تابوت إلى اصطخر فدفن في ناوس هنالك .

وقيل إن يزدجرد هرب من وقعة نهاوند إلى أرض أصبهان واستأذن عليه بعض رؤسائها وحجب فضرب البواب وشجّه ، فرحل عن أصبهان إلى الري ، وجاء صاحب طبرستان وعرض عليه بلاده فلم يجبه ومضى من فوره ذلك إلى سجستان ، ثم إلى مرو في ألف فارس ، وقيل بل أقام بفارس أربع سنين ثم بكرمان سنتين وطلبه دهقانها^(٢) في شيء فمنعه فطرده عن بلاده ، وأقام بسجستان خمس سنين ، ثم نزل خراسان ونزل مرو ومعه الرهن من أولاد الدهاقين وفرخزاد وكاتب ملوك الصين وفرغانة والخزر وكابل ، وكان دهقان مرو قد منعه الدخول خوفاً من مكره ووكل ابنه بحفظ الأبواب ، فعمد يزدجرد يوماً إلى مرو ليدخلها فمنعه ابن الدهقان وأظهر عصيان أبيه في ذلك ، وقيل بل أراد يزدجرد أن يجعل ابن أخيه دهقاناً عليها فعمل في هلاكه ، وكتب إلى نيزك طرخان يستقدمه لقتل يزدجرد ومصالحة العرب عليه وأن يعطيه كل يوم ألف درهم ، فكتب نيزك إلى يزدجرد يعده المساعدة على العرب وأنه يقدم عليه فيلقاه منفرداً عن العسكر وعن فرخزاد ، فأجابه إلى ذلك بعد أن امتنع فرخزاد واتهمه يزدجرد في امتناعه فتركه لشأنه بعد أن أخذ خطه برضاه بذلك . وسار إلى نيزك فاستقبله بأشياء وجاء به إلى عسكره ثم سأله أن يزوجه ابنته فأنف يزدجرد من ذلك وسبه فعلا رأسه بالمقرعة فركض منهزماً وقتل أصحابه ، وانتهى إلى بيت طحان فمكث فيه ثلاثاً لم يطعم ، ثم عرض عليه الطعام فقال لا أطعم إلا بالزمزمة ، فسأل من زمزم

(١) وفي نسخة ثانية : العنسي .

(٢) وفي النسخة الباريسية : قهرمانها .

له حتى أكل ووشى المزمزم بأمره إلى بعض الأساورة^(١) فبعث إلى الطحان بخنقه والقائه في النهر ، فأبى من ذلك وججده ، فدل عليه ملبسه وعرف المسك فيه فأخذوا ما عليه وخنقوه وألقوه في الماء فجعله أسقف مرو في تابوت ودفنه .
وقيل بل ساريزدجرد من كرمان قبل وصول العرب إليها إلى مرو وفي أربعة آلاف على الطبيين وقهستان ، ولقيه قبل مرو قائدان من الفرس متعادين فسعى أحدهما في الآخر ، ووافقه يزدجرد في قتله ، ونمى الخبر إليه فبیت يزدجرد وعدوه ، فهرب إلى رحي على فرسخين من مرو ، وطلب منه الطحان شيئا فأعطاه منطقته فقال : إنما أحتاج أربعة دراهم ، فقال : ليست معي . ثم قام فقتله الطحان وألقى شلوه في الماء . وبلغ خبر قتله إلى المطران بمرو فجمع النصاري ووعظهم عليه من حقوق سلفه فدفنوه وبنوا له ناووسا وأقاموا له مأتما ، بعد عشرين سنة من ملكه ستة عشر منها في محاربة العرب .

وانقرض ملك الساسانية بموته . ويقال إن قتيبة حين فتح الصغد وجد جارتين من ولد المخدج ابنه كان قد وطىء أمه بمرو فولدت هذا الغلام بعد موته ذاهب الشق فسمى المخدج^(٢) ، وولد له أولاد بخراسان ووجد قتيبة هاتين الجارتين من ولده فبعث بهما إلى الحجاج ، وبعث بهما إلى الوليد أو بإحدهما فولدت له يزيد الناقص .

ظهور الترك بالشغور

كان الترك والخزر يعتقدون أن المسلمين لا يقتلون لما رأوا من شدتهم وظهورهم في غزواتهم حتى أكمنا لهم في بعض الغياض فقتلوا بعضهم فتجاسروا على حربهم . وكان عبد الرحمن بن ربيعة على ثغور أرمينية إلى الباب ، واستخلف عليها سراقه بن عمرو وأقره عمر وكان كثير الغزو في بلاد الخزر ، وكثيرا ما كان يغزو بلنجر وكان عثمان قد نهاه عن ذلك فلم يرجع ، فغزاهم سنة إثنين وثلاثين وجاء الترك لمظاهرتهم وتذامروا فاشتدت الحرب بينهم وقتل عبد الرحمن كما مر ، وافترقوا فرقتين فرقة سارت نحو الباب لقوا سلمان بن ربيعة قد بعثه سعيد بن العاص من الكوفة مدداً للمسلمين بأمر عثمان فساروا معه ، وفرقة سلكوا على جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسي وأبو

(١) وفي النسخة الباريية : إلى بعض المرازبة .

(٢) وفي النسخة الباريية : ولد المخدج والمخدج : ناقص الخلق .

هريرة . ثم استعمل سعيد بن العاص على الباب سلمان بن ربيعة مكان أخيه ، وبعث معه جندا من أهل الكوفة عليهم حذيفة بن اليمان وأمدّهم عثمان بحبيب بن مسلمة في جند الشام وسلمان أمير على الجميع ، ونازعه حبيب الامارة فوقع الخلاف ، ثم غزا حذيفة بعد ذلك ثلاث غزوات آخرها عند مقتل عثمان .

وخرجت جموع الترك سنة اثنتين وثلاثين من ناحية خراسان في أربعين ألفا عليهم قارن من ملوكهم فأنتهى إلى الطبيين ، واجتمع له أهل بادغيس وهراة وقهستان ، وكان على خراسان يومئذ قيس بن الهيثم السلمي استخلفه عليها ابن عامر عند خروجه إلى مكة محرما فدوّخ جهتها ، وكان معه ابن عمه عبدالله بن حازم فقال لابن عامر : اكتب لي على خراسان عهداً إذا خرج منها قيس ففعل ، فلما أقبلت جموع الترك قال قيس لابن حازم : ما ترى ، قال : أرى أن تخرج عن البلاد فإن عهد ابن عامر عندي بولايتها . فترك منازعته وذهب إلى ابن عامر ، وقيل أشار عليه أن يخرج إلى ابن عامر يستمدّه ، فلما خرج أظهر عهد ابن عامر له بالولاية عند مغيب قيس ، وسار ابن حازم للقاء الترك في أربعة آلاف . ولما التقى الناس أمر جيشه بايقاد النار في أطراف رحالهم فهاج العدو على دهش ، وغشيم ابن حازم بالناس متتابعين ، فانهزموا وأثنى المسلمون فيهم بالقتل والسبي . وكتب ابن حازم بالفتح إلى ابن عامر فأقره على خراسان فلم يزل والياً عليها إلى حرب الحمل ، فأقبل إلى البصرة وبقي أهل البصرة بعد غزوة ابن حازم هذه حتى غزوا المنتقضين من أهلها وعادوا تجهزوا كتيبة من أربعة آلاف فارس هناك .

بدء الانتقاض على عثمان رضي الله عنه

لما استكمل الفتح واستكمل للملّة المُلْك ونزل العرب بالأمصار في حدود ما بينهم وبين الأمم من البصرة والكوفة والشام ومصر ، وكان المختصون بصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم والاقتراء بهديه وآدابه المهاجرين والأنصار من قريش وأهل الحجاز ومن ظفر بمثل ذلك من غيرهم . وأما سائر العرب من بني بكر بن وائل وعبد القيس وسائر ربيعة والازد وكندة وتميم وقضاعة وغيرهم ، فلم يكونوا من تلك الصحبة بمكان إلا قليلا منهم وكان لهم في الفتوحات قدم ، فكانوا يرون ذلك لأنفسهم مع ما يدين به فضلاؤهم من تفضيل أهل السابقة من الصحابة ومعرفة حقهم ، وما كانوا فيه من

الدهول والدهش لأمر النبوة وتردد الوحي وتزل الملائكة ، فلما انحسر ذلك العباب وتنوسي الحال بعض الشيء وذل العدو واستفحل الملك ، كانت عروق الجاهلية تنفض ووجدوا الرياسة عليهم للمهاجرين والأنصار من قريش وسواهم ، فأنفت نفوسهم منه ، ووافق أيام عثمان فكانوا يظهرون الطعن في ولايته بالأمصار ، والمؤاخذه لهم باللحظات والخطرات ، والاستبطاء^(١) عليهم في الطاعات والتجني بسؤال الاستبدال منهم والعزل ، ويفيضون في النكير على عثمان . وفشت المقالة في ذلك من أتباعهم وتنادوا بالظلم من الأمراء في جهاتهم وانتهت الأخبار بذلك إلى الصحابة بالمدينة ، فارتابوا لها وأفاضوا في عزل عثمان وحمله على عزل أمرائه . وبعث إلى الأمصار من يأتيه بصحيح الخبر : محمد بن مسلمة إلى الكوفة ، وأسامة بن زيد إلى البصرة ، وعبدالله بن عمر إلى الشام ، وعمار بن ياسر إلى مصر وغيرهم إلى سوى هذه ، فرجعوا إليه فقالوا : ما أنكرنا شيئا ولا أنكره أعيان المسلمين ولا عوامهم إلا عماراً فإنه استماله قوم من الأشرار انقطعوا إليه منهم عبدالله بن سبأ ويعرف بابن السوداء ، كان يهوديا وهاجر أيام عثمان فلم يحسن إسلامه وأخرج من البصرة فلحق بالكوفة ثم بالشام وأخرجوه فلحق بمصر ، وكان يكثر الطعن على عثمان ويدعو في السر لأهل البيت ويقول : إن محمداً يرجع كما يرجع عيسى . وعنه أخذ ذلك أهل الرجعة ، وإن علياً وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث لم يحز وصيته وإن عثمان أخذ الأمر بغير حق ، ويحرض الناس على القيام في ذلك والطعن على الأمراء . فاستمال الناس بذلك في الأمصار وكاتب به بعضهم بعضا ، وكان معه خالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر فشبثوا عمارا عن المسير إلى المدينة .

وكان مما أنكروه على عثمان إخراج أبي ذر من الشام ومن المدينة إلى الربذة ، وكان الذي دعا إلى ذلك شدة الورع من أبي ذر وحمله الناس على شدائد الأمور والزهد في الدنيا وأنه لا ينبغي لأحد أن يكون عنده أكثر من قوت يومه ، ويأخذ بالظاهر في ذم الادّخار بكثر الذهب والفضة . وكان ابن سبأ يأتيه فيغريه بمعاوية ويعيب^(٢) قوله المال مال الله ، ويوهم أن في ذلك احتجاجه للمال وصرفه على المسلمين ، حتى

(١) وفي النسخة الباريسية : والاشتراط

(٢) وفي النسخة الباريسية : ونقيم .

عتب أبو ذر معاوية فاستعتب له وقال سأقول مال المسلمين^(١) ، وأتى ابن سبأ إلى أبي الدرداء وعبادة بن الصامت بمثل ذلك فدفعوه ، وجاء به عبادة إلى معاوية وقال هذا الذي بعث^(٢) عليك أباذر . ولما كثر ذلك على معاوية شكاه إلى عثمان فاستقدمه وقال له ما لأهل الشام يشكون منك فأخبره ، فقال : يا أبا ذر لا يمكن حمل الناس على الزهد وإنما عليّ أن أقضي^(٣) بينهم بحكم الله وأرغبهم في الاقتصاد ، فقال أبو ذر : لا نرضى من الأغنياء حتى يبذلوا المعروف ويحسنوا للجيران والايخوان ويصلوا القرابة ، فقال له كعب الأحبار : من أدّى الفريضة فقد قضى ما عليه . فضربه أبو ذر فشجّه وقال : يا ابن اليهودية ما أنت وهذا . فاستوهب عثمان من كعب شجّته فوهبه . ثم استأذن أبو ذر عثمان في الخروج من المدينة وقال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني بالخروج منها إذا بلغ البناء سلعا ، فأذن له ، ونزل الربذة وبنى بها مسجدا وأقطعه عثمان صرمة من الإبل وأعطاه مملوكين وأجرى عليه رزقا ، وكان يتعاهد المدينة فعّد أولئك الرهط خروج أبي ذر فيما ينقمونه على عثمان مع ما كان من أعطاء مروان خمس مغانم أفريقية والصحيح أنه اشتراه بخمسمائة ألف فوضعها عنه .

ومما عدّوا عليه أيضا زيادة النداء الثالث على الزوراء يوم الجمعة ، وإتمامه الصلاة في منى وعرفة مع أن الأمر في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيخين بعده كان على القصر . ولما سأله عبد الرحمن واحتج عليه بذلك قال له : بلغني أن بعض حاج اليمن والحفاة جعل صلاة المقيم ركعتين من أجل صلاتي وقد اتخذت بمكة أهلا ولي بالطائف مال . فلم يقبل ذلك عبد الرحمن فقال : زوجتك بمكة إنما تسكن بسكنائك ولو خرجت ومالك بالطائف على أكثر من مسافة القصر . وأما حاج اليمن فقد شهدوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيخين بعده وقد كان الإسلام ضرب بجرانه . فقال عثمان : هذا رأي رأيته . فمن الصحابة من تبعه على ذلك ومنهم من خالفه . ومما عدّوا عليه سقوط خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من يده في بئر أريس على ميلين من المدينة فلم يوجد .

(١) وفي نسخة أخرى : ما للمسلمين .

(٢) وفي النسخة الباريسية : الذي خير .

(٣) وفي النسخة الباريسية : ان اقصد

وأما الحوادث التي وقعت في الأمصار فمنها قصة الوليد بن عقبة وقد تقدّم ذكرها وأنه عزله على شرب الخمر واستبدله بسعيد بن العاص منه ، وكان وجوه الناس وأهل القادسية يسمرون عنده مثل مالك بن كعب الأرحبي والأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس من النخع وثابت بن قيس الهمداني وجندب بن زهير الغامدي وجندب بن كعب الأزدي وعروة بن الجعد وعمرو بن الحمق الخزاعي وصعصعة بن صوحان وأخوه زيد وابن الكوّاء وكميل بن زياد وعمير بن ضاببي وطليحة بن خويلد ، وكانوا يفيضون في أيام الوقائع وفي أنساب الناس وأخبارهم وربما ينتهون إلى الملاحاة ويخرجون منها إلى المشاتمة والمقاتلة ، ويعذبهم في ذلك حجّاب سعيد بن العاص فينهرّونهم^(١) ويضربونهم . وقد قيل إن سعيداً قال يوماً : إنما هذا السواد بستان قريش ، فقال له الأشتر : السواد الذي أفاء الله علينا بأسيافنا تزعم أنه بستان لك ولقومك ؟ وخاص القوم في ذلك ، فأغلظ لهم عبد الرحمن الأسدي^(٢) صاحب شرطته فوثبوا عليه وضربوه حتى غشي عليه ، ففزع سعيد بعدها السمر عنده . فاجتمعوا في مجالسهم يثلبون سعيداً وعثمان ، والسفهاء يغشونهم .

فكتب سعيد وأهل الكوفة إلى عثمان في إخراجهم ، فكتب أن يلحقوهم بمعاوية وكتب إلى معاوية إن نفراً خلقوا للفتنة فقم عليهم وإنهم وإن آنت منهم رشداً فاقبل وإن أعيوك فارددهم علي ، فأنزلهم معاوية وأجرى عليهم ما كان لهم بالعراق ، وأقاموا عنده يحضرون مائدتَه ثم قال لهم يوماً : «أنتم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة وقد أدركتم بالإسلام شرفاً وغلبتم الأمم وحويت مواريتهم وقد بلغني أنكم نقمت قريشاً ولو لم تكن قريش كنتم أذلة إذا أئمتكم لكم جنة فلا تفترقوا على جنتكم وإن أئمتكم يصبرون لكم على الجور ويحملون عنكم المؤنة والله لتنتهن أوليبتلينكم الله بمن يسومكم ولا يحمدكم على الصبر ، ثم تكونون شركاءهم^(٣) فيما جرّتم على الرعية في حياتكم وبعد وفاتكم» . فقال له صعصعة منهم : أمّا ما ذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثر الناس ولا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا ، وأمّا ما ذكرت من الجنة فإن الجنة إذا

(١) وفي نسخة أخرى : فيهمونهم .

(٢) وفي نسخة أخرى : الأزدي

(٣) وفي النسخة الباريسية : ثم يكونون شركاءكم

اخترمت^(١) خلص إلينا . فقال معاوية : الآن عرفتكم وعلمت أن الذي أغراكم على هذا قلّة العقول وأنت خطيبهم ولا أرى لك عقلا أعظم عليك أمر الإسلام ، وتذكرني الجاهلية أخزى الله قوما عظموا أمركم فقهوا عني ولا أظنكم تفقهون ، ثم ذكر شأن قريش وأن عزّها إنما كان بالله في الجاهلية والإسلام ولم يكن بكثرة ولا شدة ، وكانوا على أكرم أحساب وأكمل مروءة وبوأهم الله حرمة فأمنوا فيه مما أصاب العرب والعجم والأسود والأحمر في بلادهم ، ثم ذكر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وأن الله ارتضى له أصحابا كان خيارهم قريشا فبنى الملك عليهم وجعل الخلافة فيهم فلا يصلح ذلك إلا بهم ، ثم قرعهم ووبّخهم وهددهم ، ثم أحضرهم بعد أيام ، وقال : إذهبوا حيث شئتم لا ينفع الله بكم أحدا ولا يضره ، وإن اردتم النجاة فالزموا الجماعة ولا تبطرنكم النعمة وسأكتب الى أمير المؤمنين فيكم . وكتب إلى عثمان : «أنه قدم عليّ أقوام ليست لهم عقول ولا أديان أبطروهم العدل إنما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة ، والله مبتليهم ثم فاضحهم وليسوا بالذين ينكون أحد^(٢) إلا مع غيرهم فإنه سعيدا ومن عنده عنهم^(٣) .

فخرجوا من عنده قاصدين الجزيرة ومروا بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد بجمص فأحضرهم ، وقال : «يا أله الشيطان^(٤) لا مرحبا بكم ولا أهلا قد رجع الشيطان محسورا وأنتم بعد في نشاط خسر الله عبد الرحمن إن لم يؤدّبكم يا معشر من لا أدري أعرب هم أم عجم» . ثم مضى في توبيخهم على ما فعلوا وما قالوا لسعيد ومعاوية ، فهابوا^(٥) سطوته وطفقوا يقولون : نتوب إلى الله أقلنا أقالك الله ، حتى قال : تاب الله عليكم . وسرح الأشر إلى عثمان تائبا فقال له عثمان : أحلك حيث تشاء ، فقال : مع عبد الرحمن بن خالد قال : ذاك إليك فرجع إليهم . وقيل إنهم عادوا إلى معاوية من القابلة ودار بينهم وبينه القول وأغلظوا له وأغلظ عليهم ، وكتب إلى عثمان فأمر أن يردهم إلى سعيد ، فردّهم ، فأطلقوا ألسنتهم وضجّ سعيد منهم ، وكتب إلى

(١) وفي نسخة أخرى : اذا اخترقت

(٢) وفي نسخة أخرى : يأتون الأمر

(٣) وفي الطبري ج ٥ ص ٨٧ : «ليسوا بالذين ينكون أحدا إلا مع غيرهم فإنه سعيدا ومن قبله عنهم ، فانهم ليسوا لأكثر من شغب أو نكير .

(٤) الآلة : بتشديد اللام الحرب .

(٥) وفي النسخة الباريسية : فرهبوا

عثمان ، فكتب إليه أن يسيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد فدار بينهم وبينه ما قدمناه .
وحدث بالبصرة مثل ذلك من الطعن وكان بدؤه فيما يقال شأن عبد الله بن سبأ
المعروف بابن السوداء ، هاجر إلى الإسلام من اليهودية ونزل على حكيم بن جبلة
العبدي وكان يتشيع لأهل البيت ، ففشت مقالاته بالطعن وبلغ ذلك حكيم بن جبلة
فأخرجه وأتى الكوفة فأخرج أيضا واستقر بمصر ، وأقام يكتب أصحابه بالبصرة
ويكاتبونه والمقالات تفشو بالطعن والنكير على الأمراء . وكان حمران^(١) بن أبان
أيضا يحقد لعثمان أنه ضربه على زواجه امرأة في العدة وسيّره إلى البصرة ، فلزم ابن
عامر وكان بالبصرة عامر بن عبد القيس وكان زاهدا متقشفا فأغرى به حمران
صاحب ابن عامر فلم يقبل سعائته ، ثم أذن له عثمان فقدم المدينة ومعه قوم فسعوا
بعامر بن عبد القيس أنه لا يرى التزويج ولا يأكل اللحم ولا يشهد الجمعة ، فألحقه
عثمان بمعاوية وأقام عنده حتى تبين براءته وعرف فضله وحقه وقال : إرجع إلى
صاحبك فقال : لا أرجع إلى بلد استحلّ أهله مني ما استحلوا وأقام بالشام كثير
العبادة والإنفراد بالسواحل إلى أن هلك .

ولما فشت المقالات بالطعن والأرجاف على الأمراء اعترم سعيد بن العاص على الوفاة
على عثمان سنة أربع وثلاثين ، وكان قبلها قد ولي على الأعمال امراء من قبله ، فولّى
الأشعث بن قيس على أذربيجان وسعيد بن قيس على الري والنسير العجلي على
همدان والسائب بن الأقرع على أصبهان ومالك بن حبيب على ماه وحكيم بن سلامة
على الموصل وجريز بن عبد الله على قرقيسيا وسلمان بن ربيعة على الباب وجعل على
حلوان عتيبة^(٢) بن النهاس وعلى الحرب القعقاع بن عمرو ، فخرجوا لأعمالهم وخرج
هو وافدا على عثمان ، واستخلف عمرو بن حريث وخلت الكوفة من الرؤساء وأظهر
الطاعنون أمرهم وخرج بهم يزيد بن قيس يريد خلع عثمان ، فبادره القعقاع بن
عمرو فقال له : إنما نستعني من سعيد . وكتب يزيد إلى الرهط الذين عند عبد
الرحمن بن خالد بجمص في القدوم ، فساروا إليه وسبقهم الأشتر ووقف على باب
المسجد يوم الجمعة يقول جئتكم من عند عثمان وتركت سعيدا يريد على نقصان

(١) وفي النسخة الباريية : عمران

(٢) وفي النسخة الباريية : عيينة .

نسائكم على مائة درهم وردّ أولى^(١) البلاء منكم إلى ألفين ، ويزعم أن فينكم بستان قريش . ثم استخف الناس ونادى يزيد في الناس من شاء أن يلحق بيزيد لردّ سعيد فليفعل ، فخرجوا وذو الرأي يعذلونهم فلا يسمعون .

وأقام أشراف الناس وعقلاؤهم مع عمرو بن حريث ونزل يزيد وأصحابه الجزعة^(٢) قريبا من القادسية لاعتراض سعيد وردّه ، فلما وصل قالوا : إرجع فلا حاجة لنا بك قال : إنما كان يكفيكم أن تبعثوا واحدا إليّ وإلى عثمان رجلا . وقال موسى له : ما كان ينبغي لسعيد أن يرجع ، فقتله الأشر ورجع سعيدا إلى عثمان فأخبره بخبر القوم وأنهم يختارون أبا موسى الأشعري ، فولاه الكوفة وكتب إليهم : «أما بعد فقد أمرت عليكم من اخترتم وأعفيتكم من سعيد والله لأقرضنكم عرضي ولا بذلنكم صبري ولا استصلحنكم بمجهدي» . وخطب أبو موسى الناس ، وأمرهم بلزوم الجماعة ، وطاعة عثمان ، فرضوا ورجع الأمراء من قرب الكوفة واستمرّ أبو موسى على عمله .

وقيل إن أهل الكوفة أجمع رأيهم أن يبعثوا إلى عثمان ويعذّلوه فيما نقم عليه ، فأجمع رأيهم على عامر بن عبد القيس الزاهد وهو عامر بن عبد الله من بني تميم ثم من بني العنبر^(٣) فأتاه وقال له : إن ناسا اجتمعوا ونظروا في أعمالك فوجدوك ركبت أمورا عظاما ، فاتق الله وتب إليه . فقال عثمان : ألا تسمعون إلى هذا الذي يزعم الناس أنه قارىء ثم يجيء يكلمني في المحقرات ؟ والله لا يدري أين الله . فقال له عامر : بل والله إنني لأدري إن الله لبالمرصاد . فأرسل عثمان إلى معاوية وعبد الله بن أبي سرح وسعيد بن العاص وعبد الله بن عامر وعمرو بن العاص ، وكانوا بطانته دون الناس فجمعهم وشاورهم ، وقال : إنكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي وقد صنع الناس ما رأيتم فطلبوا أن أعزل عمالي وأرجع إلى ما يحبون فاجتهدوا رأيكم . فقال ابن عامر : أرى أن تشغلهم بالجهاد ، وقال سعيد : متى تهلك قادتهم يتفرّقوا ، وقال معاوية : اجعل كفالتهم إلى أمرائهم وأنا أكفيك الشام ، وقال عبد الله : استصلحهم بالمال . فردّهم عثمان إلى أعمالهم وأمرهم بتجهيز الناس في البعوث ليكون لهم فيها شغل ، ورد سعيد إلى الكوفة فلقية الناس بالجزعة وردوه كما ذكرناه وولّى أبا موسى وأمر عثمان

(١) وفي النسخة الباريسية : على نقض اعطيتكم للنساء وذو النساء

(٢) وفي النسخة الباريسية : المخزعة وفي نسخة أخرى : الجرعة

(٣) وفي نسخة أخرى : بني العنيس .

حذيفة بغزو الباب فصار نحوه .

ولما كثر هذا الطعن في الأمصار وتواتر بالمدينة وكثر الكلام في عثمان والطعن عليه ، وكان له منهم شيعة يذبّون عنه مثل زيد بن ثابت وأبي أسيد الساعدي وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فلم يغنوا عنه ، واجتمع الناس إلى علي بن أبي طالب وكلموه وعدادوا عليه ما نقموه ، فدخل على عثمان وذكر له شأن الناس وما نقموا عليه وذكره بأفعال عمر وشدّته ولبنه هو لعمّاله وعرض عليه ما يخاف من عواقب ذلك في الدنيا والآخرة ، فقال له : إنّ المغيرة بن شعبة ولّيناه وعمر ولّاه ، ومعاوية كذلك ، وابن عامر تعرفون رحمه وقربته . فقال له عليّ إنّ عمر كان يظأ على صماخ من ولّاه وأنت ترفق بهم وكانوا أخوف لعمر من غلامه يرفأ^(١) ومعاوية يستبدّ عليك ، ويقول هذا أمر عثمان فلا تغير عليه . ثم تكالما طويلا وافترقا وخرج عثمان على أثر ذلك ، وخطب وعرض بما هو فيه من الناس وطعنهم وما يريدون منه ، وأنهم تجرّوا عليه لرفقه بما لم يتجرّوا بمثله على ابن الخطّاب ، ووافقهم برجوعه في شأنه إلى ما يقدمهم .

حصار عثمان ومقتله رضي الله عنه وأتابه ورفع درجته

ولما كثرت الإشاعة في الأمصار بالطعن على عثمان وعمّاله ، وكتب بعضهم إلى بعض في ذلك وتوالت الأخبار بذلك على أهل المدينة ، جاؤا إلى عثمان وأخبروه فلم يجدوا عنده علما منه . وقال : أشيروا عليّ وأنتم شهود المؤمنين . قالوا : تبعث من تثق به إلى الأمصار يأتوك^(٢) بالخبر . فأرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة ، وأسامة بن زيد إلى البصرة ، وعبدالله بن عمر إلى الشام وغيرهم إلى سواها فرجعوا ، وقالوا : ما أنكرنا شيئا ولا انكره علماء المسلمين ولا عوامهم ، وتأخر عمّار بن ياسر بمصر واستماله ابن السوداء وأصحابه خالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر ، وكتب عثمان إلى أهل الأمصار : إنّ قد رفع إليّ أهل المدينة أن عمّالي وقع منهم أضرار بالناس ، وقد أخذتهم بأن يوافوني في كل موسم فمن كان له حق فليحضر يأخذ بحقه مني أو من عمّالي ، أو تصدّقوا فإنّ الله يجزي المتصدّقين . فبكى الناس عند قراءة كتابه عليهم

(١) كذا في الأصل وفي الكامل ج ٣ ص ١٥٢ : فقال عليّ : انشدك الله ! هل تعلم ان معاوية كان أخوف لعمر من يرفأ ، غلام عمر ، له ؟ قال : نعم .

(٢) الاصح ان يقول يأتونك .

ودعوا له ، وبعث إلى عمّال الأمصار فقدموا عليه في الموسم : عبد الله بن عامر وابن أبي سرح ومعاوية وأدخل معهم سعيد بن العاص وعمراً وقال : ويحكم ما هذه الشكاية والاذاعة واني لأخشى والله أن يكونوا صادقين ! فقالوا له : ألم يخبرك رسلك بأن أحداً لم يشافهم بشيء ؟ وإنما هذه إشاعة لا يحل الأخذ بها واختلفوا في وجه الرأي في ذلك . فقال عثمان : إن الأمر كائن وبابه سيفتح ولا أحب أن تكون لأحد عليّ حجة في فتحه وقد علم الله أني لم آل الناس خيراً فسكّتوا الناس وبيّنوا لهم حقوقهم . ثم قدم المدينة فدعا عليّاً وطلحة والزبير ومعاوية حاضراً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أنتم ولادة هذا الأمر واخترتم صاحبكم ^(١) يعني عثمان وقد كبر وأشرف وفشت مقالة خفتها عليكم فما عنيتم فيه من شيء فأنا لكم به ولا تطمعوا الناس في أمركم . فأنتهره عليّ ، ثم ذهب عثمان يتكلّم ، وقال : اللذان كانا قبلي منعا قرابتهما احتساباً وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطي قرابته وأن قرابتي أهل عيلة وقلة معاش فأعطيتهم فإن رأيتم ذلك خطأ فردّوه ، فقالوا : أعطيت عبد الله بن خالد بن أسيد خمسين ألفاً ومروان خمسة عشر ألفاً ، قال : آخذ ذلك منهما ، فانصرفوا راضين .

وقال له معاوية : أخرج معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك ما لا تطيقه ، قال : لا أبتغي بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلاً . قال : فأبعث إليك جندا يقيمون معك ، قال : لا أضيق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال معاوية : لتغتلن ولتعريّن ^(٢) ، قال : حسبني الله ونعم الوكيل . ثم سار معاوية ومرّ على عليّ وطلحة والزبير فوصّاهم بعثمان وودّعهم ومضى . وكان المنحرفون عن عثمان بالأمصار قد تواعدوا عند مسير الأمراء إلى عثمان أن يشبوا عليه في مغيبهم ، فرجع الأمراء ولم يتهياً لهم ذلك ، وجاءتهم كتب من المدينة ممن صار إلى مذهبهم في الانحراف عن عثمان أن أقدموا علينا فإن الجهاد عندنا ، فتكاتبوا من أمصارهم في القدوم إلى المدينة ، فخرج المصريون وفيهم عبد الرحمن بن عديس البلويّ في خمسمائة وقيل في ألف وفيهم كنانة بن بشر الليثي وسودان بن حمزان السكوني وميسرة أو قتيرة بن فلان السكوني ، وعليهم جميعاً الغافقي بن حرب العكيّ ، وخرج أهل الكوفة وفيهم زيد بن صوحان

(١) وفي النسخة الباريسية : ولولا صاحبهم

(٢) وفي نسخة ثانية : لتعيرن

العبدی والأشتر النخعي وزیاد بن النضر الحارثي وعبدالله بن الأصم العامري ،
وخرج أهل البصرة وفيهم حكيم بن جبلة العبدی وذريح بن عباد وبشر بن شريح
القيسي وابن المحرش وعليهم حرقوص بن زهير السعدي وكلهم في مثل عدد أهل
مصر ، وخرجوا جميعا في شوال مظهرين للحج .

ولما كانوا من المدينة على ثلاث مراحل تقدّم ناس من أهل البصرة وكان هواهم في
طلحة فترلوا ذا خشب ، وتقدّم ناس من أهل الكوفة وكان هواهم في الزبير فترلوا
الأعوص ، ونزل معهم ناس من أهل مصر وكان هواهم في عليّ وتركوا عامتهم بذی
المروة . وقال زياد بن النضر وعبدالله بن الأصم من أهل الكوفة : لا تعجلوا حتى
ندخل المدينة فقد بلغنا أنهم عسكروا لنا فوالله إن كان حقا لا يقوم لنا أمر .

ثم دخلوا المدينة ولقوا عليّا وطلحة والزبير وأمّهات المؤمنين وأخبروهم أنهم إنما أتوا
للحجّ وأن يستعفوا من بعض العمال ، واستأذنوا في الدخول فمنعواهم ورجعوا إلى
أصحابهم وتشاوروا في أن يذهب من أهل الكوفة وكل مصر فريق إلى أصحابهم
كيادا وظلما في الفرقة ، فأتى المصريون عليّا وهو في عسكر عند أحجار الزيت وقد
بعث ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع عليه فعرضوا عليه أمرهم ، فصاح بهم
وطردهم وقال : إن جيش ذي المروة وذی خشب والأعوص ملعونون على لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علم ذلك الصالحون . وأتى البصريون طلحة
والكوفيون الزبير فقالوا مثل ذلك فانصرفوا وافترقوا عن هذه الأماكن إلى عسكرهم
على بعد . ففرّق أهل المدينة فلم يشعروا إلا والتكبير في نواحيها ، وقد هجموا وأحاطوا
بعثمان ونادوا بأمان من كف يده ، وصلى عثمان بالناس أياما ولزم الناس بيوتهم ولم
يمنعوا الناس من كلامه ، وغدا عليهم عليّ فقال : ما ردكم بعد ذهابكم ، قالوا
أخذنا كتابا مع بريد بقتلنا . وقال البصريون لطلحة والكوفيون للزبير مثل مقالة أهل
مصر وإنهم جاؤا لينصروهم ، فقال لهم عليّ : كيف علمتم بما لقي أهل مصر وكلكم
على مراحل من صاحبه حتى رجعت علينا جميعا ؟ هذا أمر أبرم بليل . فقالوا :
اجعلوه كيف شئتم لا حاجة لنا بهذا الرجل ليعترلنا ، وهم يصلّون خلفه ومنعوا الناس
من الاجتماع معه .

وكتب عثمان إلى الأمصار يستحثهم فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري ، وبعث

عبدالله بن أبي سرح معاوية بن حديج^(١) وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو ،
وتسابقوا إلى المدينة على الصعب والذلول ، وقام بالكوفة نفر يحضون على إعانة أهل
المدينة فمن الصحابة عقبة بن عامر^(٢) وعبدالله بن أبي أوفى وحنظلة الكاتب ، ومن
التابعين مسروق الأسود وشريح وعبدالله بن حكيم . وقام بالبصرة في ذلك عمران بن
حصين وأنس بن مالك وهشام بن عامر ، ومن التابعين كعب بن سوار وهرم بن
حيان . وقام بالشام وبمصر جماعة أخرى من الصحابة والتابعين .

ثم خطب عثمان في الجمعة القابلة وقال يا هؤلاء الله الله فوالله إن أهل المدينة ليعلموا
أنكم ملعونون على لسان محمد فامحوا الخطايا بالصواب . فقال محمد بن مسلمة : أنا
أشهد بذلك . فأقعه حكيم بن جبلة ، وقام زيد بن ثابت فأقعه آخر ، وحصبوا
الناس حتى أخرجوهم من المسجد ، وأصيب عثمان بالحصباء فصرع وقاتل دونه سعد
بن أبي وقاص والحسين وزيد بن ثابت وأبو هريرة . ودخل عثمان بيته وعزم عليهم في
الإنصراف فانصرفوا ، ودخل عليّ وطلحة والزبير على عثمان يعودونه وعنده نفر من
بني أمية فيهم مروان فقالوا لعليّ : أهلكتنا وصنعت هذا الصنع والله لئن بلغت الذي
تريد لتمرن عليك الدنيا ، فقام مغضبا وعادوا إلى منازلهم . وصلى عثمان بالناس وهو
محصور ثلاثين يوما ، ثم منعه الصلاة ، وصلى بالناس أمير المصريين الغافقي بن
حرب العكي ، وتفرق أهل المدينة في بيوتهم وحيطانهم ملازمين للسلاح وبقي الحصار
أربعين يوما . وقيل بل أمر عثمان أبا أيوب الأنصاري فصلى أياما ، ثم صلى عليّ
بعده بالناس وقيل أمر عليّ سهل بن حنيف فصلى عشر ذي الحجة ثم صلى العيد
والصلوات حتى قتل عثمان .

وقد قيل في حصار عثمان أن محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة كانا بمصر
يحرّضان على عثمان ، فلما خرج المصريون في رجب مظهرين للحجّ ومضمرين قتل
عثمان أو خلعه وعليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي كان فيمن خرج مع المصريين
محمد بن أبي بكر ، وبعث عبدالله بن سعد في آثارهم وأقام محمد بن حذيفة بمصر ،
فلما كان ابن أبي سرح بأيلة بلغه أن المصريين رجعوا إلى عثمان فحصره ، وأن محمد
بن أبي حذيفة غلب على مصر فرجع سريعا إليهما فمنع منهما ، فأتى فلسطين وأقام بها

(١) وفي نسخة ثانية : بن جريح

(٢) وفي النسخة الباريسية : ابن عمر .

حتى قتل عثمان . وأما المصريون فلما نزلوا ذا خشب جاء عثمان إلى بيت عليّ ومثّ إليه بالقرابة في أن يركب إليهم ويردّهم لثلاث تظهر الجراءة منهم ، فقال له عليّ : قد كلمتك في ذلك فأطعت أصحابك وعصيتني ! يعني مروان ومعاوية وابن عامر وابن أبي سرح وسعيدا . فعلى أي شيء أردّهم ؟ فقال : على أن أصير إلى ما تراه وتشيره وأن أعصي أصحابي وأطيعك . فركب في ثلاثين من المهاجرين والأنصار فيهم سعيد بن زيد وأبوجهم العدويّ وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن عتّاب ، ومن الأنصار أبو أسيد الساعدي وأبو حميد وزيد بن ثابت وحسان وكعب بن مالك ، ومن العرب نيار^(١) بن مكرز ، فأتوا المصريين وتولى الكلام معهم : عليّ ومحمد بن مسلمة ، فرجعوا إلى مصر ، وقال ابن عديس لمحمد اتوصينا بحاجة ، قال : تتقي الله وتردّ من قبلك عن إمامهم فقد وعدنا أن يرجع ويتزع . ورجع القوم إلى المدينة ودخل عليّ عثمان وأخبره برجوع المصريين ، ثم جاءه مروان من الغد فقال له : أخبر الناس بأن أهل مصر قد رجعوا وأن ما بلغهم عنك كان باطلا قبل أن تجيء الناس من الأمصار ويأتيك ما لا تطيقه ففعل . فلما خطب ناداه الناس من كل ناحية^(٢) اتق الله يا عثمان وتب إلى الله وكان أولهم عمرو بن العاص ، فرفع يده وقال لهم : إني تائب . وخرج عمرو بن العاص إلى منزله بفلسطين ، ثم جاء الخبر بحصاره وقتله .

وقيل إن عليّا لما رجع عن المصريين أشار على عثمان أن يسمع الناس ما اعترم عليه من التزع قبل أن يجيء غيرهم ، ففعل وخطب بذلك وأعطى الناس من نفسه التوبة ، وقال : «أنا أول من اتعظ أستغفر الله مما فعلت وأتوب إليه فليأت أشرافكم يروني رأيهم فوالله إن ردّني الحق عبداً لاستن^(٣) بسنة العبد ولأذلّ ذل العبد وما عن الله مذهب إلا إليه فوالله لأعطينكم الرضى ولا أحتجب عنكم» . ثم بكى وبكى الناس ودخل منزله ، فجاءه نفر من بني أمية يعذّلونه في ذلك فوبختهم نائلة بنت الفرافصة فلم يرجعوا إليها ، وعابوه فيما فعل واستذلّوه في إقراره بالخطبة والتوبة عند الخوف ، واجتمع الناس بالباب وقد ركب بعضهم بغضا ، فقال لمروان : كلمهم فأغلظ لهم

(١) في النسخة الباريسية : ينار وفي نسخة أخرى : دينار

(٢) وفي النسخة الباريسية : من كل جهة

(٣) وفي النسخة الباريسية : لاسيرن

في القول . وقال : «جئتم لتزع^(١) ملكنا من أيدينا . والله لئن رمتونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب^(٢) رأيكم إرجعوا إلى منازلكم فإننا والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا» . وبلغ الخبر علياً فنكر ذلك ، وقال لعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث : أسمعت خطبته بالأمس ومقالة مروان للناس اليوم ؟ يا لله ويا للناس إن قعدت في بيتي ، قال : تركتني وقرابتي وحتى وإن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان ويسوقه حيث يشاء بعد كبر السن وصحبة الرسول . وقام مغضباً إلى عثمان واستقبح مقالة مروان وأنبه عليها وقال ما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتكم فقد أذهبت شرفك وغلبت على رأيك . ثم دخلت عليه امرأته نائلة وقد سمعت قول علي ، فعذلت في طاعة مروان ، وأشارت عليه باستصلاح علي فبعث إليه فلم يأت . فأتاه عثمان إلى منزله ليلاً يستلينه ويعدده الثبات على رأيه معه فقال : بعد أن قام مروان على بابك يشتم الناس ويؤذيهم ، فخرج عثمان وهو يقول : خذلتني وجرات الناس ، فقال علي : والله إني أكثر الناس ذباً عنك ولكني كلما جئت بشيء أظنه لك رضى جاء مروان بأخرى فسمعت قوله وتركت قولي . ثم منع عثمان الماء فغضب علي غضباً شديداً حتى دخلت الروايا على عثمان .

وقيل إن علياً كان عند حصار عثمان بخير فقدم^(٣) والناس مجتمعون عند طلحة فجاء عثمان وقال : يا علي إن لي حق الإخاء والقراية والصهر ، ولو كان أمر الجاهلية فقط كان عاراً على بني عبد مناف أن تزع تيم أمرهم ! فجاء علي إلى طلحة وقال : ما هذا ، فقال طلحة : أبعد ما مس الجزام الطيبين^(٤) يا أبا حسن . فانصرف علي إلى بيت المال ، وأعطى الناس فبقي طلحة وحده وسر بذلك عثمان وجاء إليه طلحة فقال له والله ما جئت تائباً ولكن مغلوباً فالله حسيك يا طلحة .

وقيل إن المصريين لما رجعوا خرج إليهم محمد بن مسلمة فأعطوه صحيفة قالوا وجدناها عند غلام عثمان بالبويب وهو على بعير من إبل الصدقة يأمر فيها بجلد عبد الرحمن بن عديس وعمرو بن الحمق وعروة بن البياع وحبسهم وحلق رؤوسهم

(١) وفي النسخة الباريية : ولا تزعون

(٢) وفي النسخة الباريية : راغب

(٣) وفي النسخة الباريية : فقام

(٤) هذا مثل يضرب به عند بلوغ الأمر غاية في الشدة

ولجأهم وصلب بعضهم ، وقيل وجدت الصحيفة بيد أبي الأعور السلمي . فعاد المصريون وعاد معهم الكوفيون والبصريون وقالوا لمحمد بن مسلمة حين سألهم : قد كلمنا علياً وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فوعدونا أن يكلموه فليحضر عليّ معنا عند عثمان . ثم دخل عليّ ومحمد علي عثمان وأخبروه بقول أهل مصر فحلف ما كنت ولا علم . وقال محمد صدق هذا من عمل مروان . ودخل المصريون فشكى ابن عديس بابن أبي سرح وما أحدثه بمصر وأنه ينسب ذلك إلى كتاب عثمان وأناجئنا من مصر لقتلك فردنا عليّ ومحمد وضمنا لنا التزوع عن هذا كله فرجعنا ولقينا هذا الكتاب وفيه أمر لك لابن أبي سرح بجلدنا والمثلة بنا وطول الحبس وهو بيد غلامك وعليه خاتمك ، فحلف عثمان ما كتب ولا أمر ولا علم . قالوا : فكيف يجترأ عليك بمثل هذا فقد استحققت الخلع على التقديرين ولا يحل أن يولّى الأمور من ينتهي إلى هذا الضعف ، فاخلع نفسك فقال : لا أنزع ما ألبسني الله ولكن أتوب وأرجع . قال : رأيناك تتوب وتعود فلا بدّ من خلعتك أو قتلك وقتال أصحابك دون ذلك أن يخلص إليك أو تموت ، فقال : لا ينالكم أحد بأخرى^(١) ولو أردت ذلك لاستجشت بأهل الأمصار . ثم كثر اللغط وأخرجوا ومضى عليّ إلى منزله ، وحصر المصريون عثمان وكتب إلى معاوية وابن عامر يستحثهم وقام يزيد بن أسد القسري فاستنفر أهل الشام وسار إلى عثمان وبلغهم قتله بوادي القرى ، فرجعوا وقيل سار من الشام حبيب بن مسلمة ومن البصرة مجاشع بن مسعود فبلغهم قتله بالربذة فرجعوا . وكانت بطانة عثمان أشاروا عليه أن يبعث إلى عليّ في كفّهم عنه على الوفاء لهم ، فبعث إليه في ذلك فأجاب بعد توقف ثم بعث إليهم فقالوا لا بدّ لنا أن نتوثق منه وجله فأعلمه وتوثق منه على أجل ثلاثة أيام ، وكتب بينهم كتاباً على ردّ المظالم وعزل من كرهوه من العمّال . ثم مضى الأجل وهو مستعدّ ولم يغير شيئاً ، فجاء المصريون من ذي خشب يستنجدون عهدهم فأبى فحصره وأرسل إلى علي وطلحة والزبير وأشرف عليهم فحيّاهم ودعا لهم ، ثم قال : «أنشدكم الله تعالى هل تعلمون أنكم دعوتم الله عند مصاب عمر أن يختار لكم ويجمعكم على خيركم ؟ أتقولون أنه لم يستجب لكم أو تقولون أن الله لم يبال بمن ولي هذا الدين أم تقولون أن الأمة ولوا مكابرة وعن غير مشورة فوكلهم إلى أمرهم أو لم يعلم عاقبة أمري ، ثم أنشدكم الله

(١) وفي الكامل ج ٣ ص ١٧٠ : فمن قاتلكم فغير أمري قاتل .

هل تعلمون لي من السوابق ما يجب حقه فهلا فلا يحل إلا قتل ثلاثة : زانٍ بعد إحصان وكافر بعد إيمان وقاتل بغير حق ثم إذا قتلتموني وضعت السيف على رقابكم ، ثم لا يرفع الله عنكم الاختلاف» . فقالوا له : ما ذكرت من الاستخارة بعد عمر فكل ما صنع الله تعالى فيه الخيرة ، ولكن الله ابتلى بك عباده وأما حَقُّك وسابقتك فصحيح ، لكن أحدثت ما علمت ولا نترك إقامة الحق مخافة الفتنة عاما قابلا ، وأما حصر القتل في الثلاثة ففي كتب الله قتل من سعى في الأرض فسادا ومن قاتل على البغي وعلى منع الحق والمكابرة عليه ، وأنت إنما تمسكت بالأمانة علينا وإنما قاتل دونك هؤلاء لهذه التسمية فلو نزعناها انصرفوا . فسكت عثمان ولزم الدار وأقسم على الناس بالانصراف فانصرفوا إلا الحسن بن عليٍّ ومحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير . وكانت مدة إنحصاره أربعين يوما ، ولثمان عشرة منها وصل الخبر بمسير الجنود من الأمصار فاشتد الانحصار ومنعوه من لقاء الناس ومن الماء ، وأرسل إلى عليٍّ وطلحة والزبير وأمّهات المؤمنين يطلب الماء فركب عليٌّ إليهم مُغلسا ، وقال : يا أيها الناس إن هذا لا يشبه أمر المؤمنين ولا الكافرين وإنما الأسير عند فارس والروم يُطعم ويُسقى . فقالوا : لا والله ونعمة عين . فرجع وجاءت أمّ حبيبة على بغلها مشتملة على أدواة وقالت : أردت أن أسأل هذا الرجل عن وصايا عنده لبني أمية أو تهلك أموال أيتامهم وأراملهم ، فقالوا : لا والله ، وضربوا وجه البغلة فنفرت وكادت تسقط عنها وذهب بها الناس إلى بيتها .

وأشرف عليهم عثمان وقرّر حقوقه وسوابقه فقال بعضهم مهلا عن أمير المؤمنين ، فجاء الأشر وفرق الناس وقال : لا يُمكر بكم . ثم خرجت عائشة إلى الحج ودعت أخاها فأبى ، فقال له حنظلة الكاتب : تدعوك أم المؤمنين فلا تتبعها وتتبع سفهاء العرب فيما لا يحل ولو قد صار الأمر إلى الغلبة غلبك عليه بنو عبد مناف . ثم ذهب حنظلة إلى الكوفة وبلغ طلحة والزبير ما لقي عليٍّ وأمّ حبيبة فلزموا بيوتهم . وكان آل حزم يَدسون الماء إلى بيت عثمان في الغفلات ، وكان ابن عباس ممن لزم باب عثمان للمدافعة فأشرف عليه عثمان وأمره أن يحجّ بالناس ، فقال : جهاد هؤلاء أحب إليّ ، فأقسم عليه وانطلق .

ولما رأى أهل مصر أن أهل الموسم يريدون قصدهم ، وأنّ أهل الأمصار يسيرون إليهم اعترموا على قتل عثمان رضي الله عنه يرجون في ذلك خلاصهم واشتغال الناس

عنهم ، فقاموا إلى الباب ليقتحموه فمنعهم الحسن بن عليّ وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص ومن معهم من أبناء الصحابة وقتلوهم وغلبوهم دون الباب ، ثم صدهم عثمان عن القتال وحلف ليدخلن فدخلوا وأغلق الباب فجاءوا بالنار وأحرقوه ، ودخلوا وعثمان يصلي وقد افتتح سورة طه ، وقد سار أهل الدار فما شغله شيء من أمرهم حتى فرغ وجلس إلى المصحف يقرأ فقرأ : «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» . ثم قال لمن عنده إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إليّ عهداً فأنا صابر عليه ، ومنعهم من القتال وأذن للحسن في اللحاق بأبيه وأقسم عليه فأبى وقاتل دونه ، وكان المغيرة بن الأخنس بن شريق قد تعجل من الحج في عصابة لنصره فقاتل حتى قتل . وجاء أبو هريرة ينادي يا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار وقاتل ، ثم اقتحمت الدار من ظهرها من جهة دار عمرو بن حزم فامتلات قوماً ولا يشعر الذين بالباب ، وانتدب رجل فدخل على عثمان في البيت فحاوره في الخلع فأبى فخرج ، ودخل آخر ثم آخر كلهم يعظه فيخرج ويفارق القوم ، وجاء ابن سلام فوعظهم فهموا بقتله ، ودخل عليه محمد بن أبي بكر فحاوره طويلاً بما لا حاجة إلى ذكره ثم استحيا وخرج . ثم دخل عليه السفهاء فضربه أحدهم وأكبت عليه نائلة امرأته تتقي الضرب بيدها فنفحها أحدهم بالسيف في أصابعها . ثم قتلوه وسال دمه على المصحف ، وجاء غلمانهم فقتلوا بعض أولئك القاتلين وقتلاء آخر ، وانتهبوا ما في البيت وما على النساء حتى نائلة ، وقتل الغلمان منهم وقتلوا من الغلمان ، ثم خرجوا إلى بيت المال فانتهبوه ، وأرادوا قطع رأسه فمنعهم النساء فقال ابن عديس : اتركوه . ويقال إن الذي تولى قتله كنانة بن بشر التميمي وطعنه عمرو بن الحمق ظعنات ، وجاء عمير بن ضابيه وكان أبوه مات في سجنه فوثب عليه حتى كسر ضلعا من أضلاعه . وكان قتله ثمان عشرة خلت من ذي الحجة وبقي في بيته ثلاثة أيام .

ثم جاء حكيم بن حزام وجبير بن مطعم إلى علي فأذن لهم في دفنه ، فخرجوا به بين المغرب والعشاء ومعهم الزبير والحسن وأبو جهم بن حذيفة ومروان فدفنوه في حش كوكب^(١) ، وصلى عليه جبير وقيل مروان وقيل حكيم ، ويقال : إن ناساً تعرضوا لهم

(١) هو حائط من حيطان المدينة وهو خارج البقيع

ليمنعوا من الصلاة عليه ، فأرسل إليهم عليّ وزجرهم . وقيل إنّ عليّاً وطلحة حضرا جنازته وزيد بن ثابت وكعب بن مالك .

وكان عمّاله عند موته على ما ذكره : فعلى مكّة عبدالله بن الحضرمي ، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي ، وعلى صنعاء يعلى بن منية ، وعلى الجند عبدالله بن ربيعة ، وعلى البصرة والبحرين عبدالله بن عامر ، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان ، وعلى حمص عبد الرحمن بن خالد من قبله ، وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة كذلك ، وعلى الأردن ابو الأعور السلمي كذلك ، وعلى فلسطين علقمة بن حكيم الكندي^(١) كذلك ، وعلى البحرين عبدالله بن قيس الفزاري ، وعلى القضاء أبو الدرداء ، وعلى الكوفة أبو موسى الأشعري على الصلاة والقعقاع بن عمرو على الحرب ، وعلى خراج السواد جابر المزنيّ وسمّاك الأنصاري على الخراج ، وعلى قرقيسيا جرير بن عبدالله ، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس ، وعلى حلوان عتيبة^(٢) بن النهّاس ، وعلى أصبهان السائب بن الأقرع ، وعلى ماسبذان خنيس^(٣) ، وعلى بيت المال عقبة بن عمرو ، وعلى القضاء زيد بن ثابت .

بيعة علي رضي الله عنه

لما قتل عثمان اجتمع طلحة والزبير والمهاجرون والأنصار وأتوا عليّاً يبايعونه ، فأبى وقال : أكون وزيراً لكم خير من أن أكون أميراً ومن اخترتم رضيت ، فألحوا عليه وقالوا : لا نعلم أحق منك ولا نختار غيرك حتى غلبوه في ذلك ، فخرج إلى المسجد وبايعوه وأول من بايعه طلحة ثم الزبير بعد أن خيّرهما ويقال إنها ادّعى الإكراه بعد ذلك بأربعة أشهر وخرجوا إلى مكة ، ثم بايعه الناس . وجاءوا بسعد فقال لعليّ : حتى تبايعك الناس^(٤) فقال : اخلوه وجاءوا بابن عمر فقال : كذلك . فقال : إئتني بكفيل . قال : لا أجده فقال الأشر : دعني أقتله فقال عليّ : دعوه أنا كفيله . وبايعت الأنصار وتأخّر منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبو

(١) وفي النسخة الباريسية : الكناني .

(٢) وفي النسخة الباريسية : عينه .

(٣) وفي النسخة الباريسية : عنيس .

(٤) الأضح ان يقول : حتى يبايعك الناس .

سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفُضالة بن عبيد وكعب بن عجرة وسلمة بن سلامة بن وقش^(١) ، وتأخر من المهاجرين عبدالله بن سلام وصُهيب بن سنان وأسامة بن زيد وقُدامة بن مظعون والمغيرة بن شعبة . وأمّا النعمان بن بشير فأخذ أصابع نائلة امرأة عثمان وقبضه الذي قتل فيه ولحق بالشام صريخاً .

وقيل إنّ عثمان لما قتل بقي الغافقي بن حرب أميراً على المدينة خمسة أيام ، والتمس من يقوم بالأمر فلم يجبه أحد ، وأتوا إلى عليّ فامتنع ، وأتى الكوفيون الزبير والبصريّون طلحة فامتنعوا ، ثم بعثوا إلى سعد وابن عمر فامتنعوا^(٢) . فبقوا حيارى ورأوا أنّ رجوعهم إلى الأمصار بغير إمام يوقع في الخلاف والفساد ، فجمعوا أهل المدينة وقالوا : أنتم أهل الشورى وحكمكم جائز على الأمة فاعقدوا الامامة ونحن لكم تبع وقد أجّلناكم يومين وإن لم تفعلوا قتلنا فلانا وفلانا وغيرهما يشيرون إلى الأكابر . فجاء الناس إلى عليّ فاعتذروا وامتنع ، فخوّفه الله في مراقبة الإسلام ، فوعدهم إلى الغد . ثم جاءه من الغد وجاء حكيم بن جبلة^(٣) في البصريّين ، فأحضر الزبير كرها ، وجاء الأشر في الكوفيين فأحضر طلحة كذلك وبايعوا لعليّ ، وخرج إلى المسجد وقال : هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أردتم وقد افترقنا أمس وأنا كاره فأيتهم إلا أن أكون عليكم ، فقالوا : نحن على ما افترقنا عليه بالأمس ، فقال لهم : اللهم إشهد ! ثم جاؤا بقوم ممن تخلف قالوا نبايع على إقامة كتاب الله . ثم بايع العامة ، وخطب عليّ وذكر الناس وذلك يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة ورجع إلى بيته ، فجاءه طلحة والزبير وقالوا : قد اشترطنا إقامة الحدود فأقمها على قتلة هذا الرجل ، فقال : لا قدرة لي على شيء مما تريدون حتى يهدأ الناس وننظر الأمور فتؤخذ الحقوق ، فافترقوا عنه .

وأكثر بعضهم المقالة في قتلة عثمان وباستناده إلى أربعة في رأيه ، وبلغه ذلك فخطبهم وذكر فضلهم وحاجته إليهم ونظره لهم ، ثم هرب مروان وبنو أمية ولحقوا بالشام ، فاشتدّ على عليّ منع قريش من الخروج ، ثم نادى في اليوم الثالث برجوع

(١) وفي نسخة أخرى : وخشب .

(٢) وفي النسخة الباريّة : ثم بعثوا إلى سعد بن عمر فامتنع .

(٣) وفي النسخة الباريّة : وجاء حكم بن عبله .

الاعراب إلى بلادهم ، فابوا وتدامرت معهم السبئية ، وجاءه طلحة والزبير فقالا :
دعنا نأتي البصرة والكوفة فنستنفر الناس فأمهلها . وجاء المغيرة فأشار عليه باستبقاء
العمال حتى يستقر الأمر ويستبدلوا بمن شاء فأمهله ، ورجع من الغد فأشار بمعاجلة
الاستبدال ، وجاءه ابن عباس فأخبره بخبر المغيرة ، فقال : نصحك أمس وغشك اليوم .
قال : فما الرأي ؟ قال : كان الرأي أن تخرج عند قتل الرجل إلى مكة وأمّا اليوم فإن
بني أمية يشبهون على الناس بأن يلجموك طرفاً من هذا الأمر ويطلبون ما طلب أهل
المدينة في قتلة عثمان فلا يقدرّون عليهم والأمر أن تقرّ معاوية . فقال علي رضي الله
عنه : والله لا أعطيه إلاّ السيف . فقال له ابن عباس : أنت رجل شجاع لست
صاحب رأي في الحرب أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب
خدعة . قال : بلى ! فقال ابن عباس : أمّا والله إن أطعني لأتركهم ينظرون في دبر
الأمر ولا يعرفون ما كان وجهها من غير نقصان عليك ولا إثم لك . فقال : يا ابن
عباس لست من هنيئاتك ولا هنيئات معاوية في شيء^(١) . فقال ابن عباس : أطعني
والحق بمالك يُنبع وأغلق بابك عليك فإنّ العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد
غيرك ، وإن نهضت مع هؤلاء القوم يحملك الناس دم عثمان غداً . فأبى عليّ
وقال : أشر عليّ وإذا خالفتك أطعني . قال : أيسر مالك عندي الطاعة . قال :
فسر إلى الشام فقد وليتكها . قال : إذا يقتلني معاوية بعثمان أو يحبسني فيتحكم عليّ
لقرابتي منك ولكن أكتب إليه وعده فأبى . وكان المغيرة يقول نصحته فلم يقبل
فغضب ولحق بمكة .

ثم فرّق عليّ العمال على الأمصار فبعث على البصرة عثمان بن حنيف ، وعلى الكوفة
عمارة بن شهاب من المهاجرين ، وعلى اليمن عبيد الله بن عباس ، وعلى مصر قيس بن سعد ،
وعلى الشام سهل بن حنيف . فمضى عثمان إلى البصرة واختلفوا عليه فأطاعته فرقة
وقال آخرون : ما يصنع أهل المدينة فنقتدى بهم ، ومضى عمارة إلى الكوفة فلما بلغ
زبالة لقي طليحة بن خويلد فقال له : إرجع فإنّ اليوم لا يستبدلون بأبي موسى وإلاّ
ضربت عنقك ، ومضى ابن عباس إلى اليمن فجمع يعلى بن منية^(٢) مال الجباية

(١) وفي النسخة الباريية : لست من سنامك ولا سنامك معاوية في شيء .

— وفي الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ١٩٨ : لست من هناتك ولا هنات معاوية في شيء .

— وفي الطبري ج ٥ ص ١٦١ : لست من هنيئاتك وهنيئات معاوية في شيء .

(٢) وفي النسخة الباريية : بن حقة .

وخرج به إلى مكة ودخل عبيد الله إلى اليمن ، ومضى قيس بن سعد إلى مصر ولقيه بأيلة خيالة من أهل مصر فقالوا : من أنت ؟ قال : قيس بن سعد من فلّ عثمان أطلب من آوي إليه وأنتصر به . ومضى حتى دخل مصر وأظهر أمره فافترقوا عليه فرقة كانت معه وأخرى تربصوا حتى يروا فعله في قتلة عثمان . ومضى سهل بن حنيف إلى الشام حتى إذا كان بتبوك لقيته خيل فقال لهم : أنا أمير على الشام ، قالوا إن كان بعثك غير عثمان فارجع فارجع .

فلما رجع وجاءت أخبار الآخرين دعا عليّ طلحة والزبير وقال قد وقع ما كنت أحذركم . فسألوه الإذن في الخروج من المدينة وكتب عليّ إلى أبي موسى مع معبد^(١) الأسلمي فكتب إليه بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم ومن الكاره منهم والراضي حتى كأنه يشاهد . وكتب إلى معاوية مع سبرة الجهني فلم يجبه إلى ثلاثة أشهر من مقتل عثمان ، ثم دعا قبيصة من عبس وأعطاه كتابا محتوما عنوانه من معاوية إلى عليّ وأوصاه بما يقول وأعادته مع رسول عليّ ، فقدم في ربيع الأول ودخل العسبيّ وقد رفع الطومار كما أمره حتى دفعه إلى عليّ ، ففضه فلم يجد فيه كتابا فقال للرسول : ما وراءك ؟ قال : آمن أنا ؟ قال نعم قال تركت قوما لا يرضون إلا بالقود قال : ومن ؟ قال منك وتركت ستين ألف شيخ سيكون تحت قميص عثمان منصوباً على منبر دمشق . فقال : اللهم اني أبرأ اليك من دم عثمان ! قد نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله . ثم رده إلى صاحبه وصاحت السبيّة اقتلوا هذا الكلب وافد الكلاب ، فنادى يآل مضر يا لقيس أحلف بالله ليردّنها عليكم أربعة آلاف خصيّ فانظروا كم الفحول والركاب وتقاووا عليه ، فمنعته مضر ودس أهل المدينة على عليّ من يأتيهم برأيه في القتال وهو زياد بن حنظلة التيمي وكان منقطعا إليه فجالسه ساعة فقال له عليّ : سيروا لغزو الشام . فقال لعليّ : الأناة والرفق أمثل فتمثل يقول :

متى تجمع القلب الذكيّ وصارما . وأنفأ حمياً تجتنبك المظالم
فعلم أنّ رأيه القتال^(٢) ثم جاء إلى القوم الذين دسوه فأخبرهم ثم استأذنه طلحة والزبير في العمرة ولحقا بمكة . ثم اعترم على الخروج إلى الشام ودعا أهل المدينة إلى قتالهم ،

(١) وفي النسخة البازيسية : فهد .

(٢) وفي الطبري ج ٥ ص ١٦٣ : « فخرج زياد على الناس والناس ينتظرونه فقالوا : ما وراءك ؟ فقال : السيف يا قوم . فعرفوا ما هو فاعل » .

وقال : إنطلقوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون تفريق جماعتكم لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق وتقضون الذي عليكم .

وأمر الناس بالتجهز إلى الشام ودفع اللواء لمحمد بن الحنفية ، وولى عبدالله بن عباس ميمنته ، وعمرو بن سلمة ميسرته ، ويقال بل عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ، وولى أبا ليلي بن عمرو بن الجراح ابن أخي عبيدة مقدمته ، ولم يول أحداً ممن خرج على عثمان . واستخلف على المدينة تمام بن العباس ، وعلى مكة قثم بن العباس . وكتب إلى قيس بن سعد بمصر وعثمان بن حنيف بالبصرة وأبي موسى بالكوفة أن يندبوا الناس إلى الشام ، وبينما هو على التجهز للشام إذ أتاه الخبر عن أهل مكة بنحو آخر وأنهم على الخلاف فانتقض عن الشام .

أمر الحمل

ولما جاء خبر مكة إلى عليّ قام في الناس وقال : ألا إنّ طلحة والزبير وعائشة قد تمالأوا على نقض إمارتي ودعوا الناس إلى الإصلاح وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم وأكفّ إن كفّوا وأقتصد نحوهم ، وندب أهل المدينة فتأقلوا ، وبعث كميلاً النخعيّ فجاءه بعبد الله بن عمر فقال : انهض معي ، فقال : أنا من أهل المدينة افعل ما يفعلون ، قال : فأعطني كفيلاً بانك لا تخرج ^(١) ، قال : ولا هذه ، فتركه ورجع إلى المدينة ، وخرج إلى مكة وقد أخبر ابنة عليّ أم كلثوم ^(٢) بأنه سمع من أهل المدينة تأقلهم وأنه على طاعة عليّ ويخرج معتمراً . وجاء الخبر من الغداة إلى عليّ بأنه خرج إلى الشام فبعث في أثره على كل طريق ، وماج أهل المدينة ، وركبت أم كلثوم إلى أبيها وهو في السوق يبعث الرجال ويظاهر في طلبه فحدثته فانصرف عن ذلك ووثق به فيما قاله ، ورجع إلى أهل المدينة فخطبهم ^(٣) وحرّضهم فرجعوا إلى اجابته ، وأول من أجابه أبو الهيثم بن التيهان البصري وخزيمة بن ثابت وليس بذي الشهادتين . ولما رأى زياد بن حنظلة تأقل الناس عن عليّ انتدب إليه وقال : من تأقل عنك فإننا نخفّ معك ونقاتل دونك .

(١) وفي النسخة الباريية : بأنه لا يخرج .

(٢) وفي نسخة أخرى : أخبر أخته أم كلثوم .

(٣) وفي النسخة الباريية : فخطبهم .

وكان سبب اجتماعهم بمكة أن عائشة كانت خرجت إلى مكة وعثمان محصور كما قدّمناه ، فقضت نسكها وانقلبت تريد المدينة فلقيت في طريقها رجلا من بني ليث اخوالها فأخبرها بقتل عثمان وبيعة عليّ ، فقالت : قتل عثمان والله ظلماً ولأطلبنّ بدمه فقال لها الرجل : ولم أنت كنت تقولين ما قلت ؟ فقالت : إنهم استتابوه ثم قتلوه ، وانصرفت إلى مكة . وجاءها الناس فقالت : «إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً ونقموا عليه استعمال من حدثت سنّه وقد استعمل أمثالهم من كان قبله ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزع لهم عنها فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلّوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام : والله لاصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم ولو أن الذي اعتدّوا به عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه» . فقال عبدالله بن عامر الحضرمي وكان عامل مكة لعثمان : أنا أوّل طالب ، فكانت أوّل مجيب وتبعه بنو أمية وكانوا هربوا إلى مكة بعد قتل عثمان ، منهم : سعيد بن العاص والوليد بن عقبة . وقدم عبدالله بن عامر من البصرة بمالٍ كثير ويعلى بن منية^(١) من اليمن بستمئة بعير وستمئة ألف فأناخ بالأبطح ، ثم قدم طلحة والزبير من المدينة فقالت لهما عائشة : ما وراءكما ؟ قالوا : تحملنا هراباً من المدينة من غوغاء وأعراب غلبوا على خيارهم فلم يمنعوا أنفسهم ولا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً ، فقالت : إنهضوا بنا إليهم ، وقال آخرون : نأتي الشام ، فقال ابن عامر : إن معاوية كفاكم الشام فأتوا البصرة فلي بها صنائع ولهم في طلحة هوى . فنكروا عليه بمحيته من البصرة واستقام رأيهم على رأيه وقالوا : إن الذين معنا لا يطيقون من بالمدينة ويحتجون ببيعة عليّ وإذا أتينا البصرة أنهضناهم كما أنهضنا أهل مكة وجاهدنا ، فاتفقوا ودعوا عبدالله^(٢) بن عمر إلى النهوض فأبى وقال : أنا من أهل المدينة أفعل ما يفعلون . وكانت أمهات المؤمنين معها على قصد المدينة ، فلما نهضت إلى البصرة قعدوا عنها وأجابتها حفصة فمنعها أخوها عبدالله . وجهّزهم ابن عامر بما معه من المال ويعلى بن منية بما معه من المال والظهر ، ونادوا في الناس

(١) يعلى بن منية هو يعلى بن أمية ، وهو أبوه ، ومنية أمه كما في شرح مسلم والكامل يتسبب تارة إلى أبيه وتارة إلى أمه وقول الناس منية تحريف ، قاله نصر .

(٢) وفي نسخة أخرى : عبد الرحمن .

بالحملان فحملوا على ستمائة بعير وساروا في ألف من أهل مكة ومن أهل المدينة وتلاحق بهم الناس فكانوا ثلاثة آلاف ، وبعثت أم الفضل وأم عبدالله بن عباس بالخبر استأجرت على كتابها من أبلغه عليا ، ونهضت عائشة ومن معها ، وجاء مروان بن الحكم إلى طلحة والزبير فقال : على أيكما أسلم بالأمرة وأؤذن بالصلاة ، فقال ابن الزبير على أبي ، وقال ابن طلحة على أبي ، فأرسلت عائشة إلى مروان تقول له أتريد أن تفرّق أمرنا ليصل بالناس ابن أخي^(١) تعني عبدالله بن الزبير .

وودّع أمهات المؤمنين عائشة من ذات عرق باقيات ، وأشار سعيد بن العاص على مروان بن الحكم وأصحابه بادراك ثأرهم من عائشة وطلحة والزبير . فقالوا نسير لعنا نقتل قتلة عثمان جميعا . ثم جاء إلى طلحة والزبير فقال : لمن تجعلان الأمر إن ظفرتما ؟ قالا : لأحدنا الذي تختاره الناس ، فقال : بل اجعلوه لولد عثمان لأنكم خرجتم تطلبون بدمه فقالا : وكيف ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم ؟ قال : فلا أراني أسعى إلا لإخراجها من بني عبد مناف فرجع ، ورجع عبدالله بن خالد بن أسيد ووافقه المغيرة بن شعبة ومن معه من ثقيف فرجعوا ، ومضى القوم ومعهم أبان والوليد ابنا عثمان . وأركب يعلى بن منية عائشة جملا اسمه عسكر اشتراه بمائة دينار وقيل بثمانين ، وقيل بل كان لرجل من عُرينة عرض لهم بالطريق على جمل فاستبدلوا به جمل عائشة على أن حمله بألف فزادوه أربعمئة درهم ، وسألوه عن دلالة الطريق فدلهم ومروهم على الماء الحوآب فنبحتهم كلابه . وسألوه عن الماء فعرفهم باسمه . فقالت عائشة : ردوني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه : ليت شعري أيتكنّ تنبّحها كلاب الحوآب ، ثم ضربت عضد بعيرها^(٢) فأناخته وأقامت بهم يوما وليلة إلى أن قيل النجاء النجاء قد أدرككم عليّ ، فارتحلوا نحو البصرة فلما كانوا بفنائها لقيهم عُمير بن عبدالله التميمي ، وأشار بأن يتقدّم عبدالله بن عامر إليهم فأرسلته عائشة وكتبت معه إلى رجال من البصرة ، إلى الأحنف بن قيس وسُمره وأمّثالهم ، وأقامت بالحفّين^(٣) تنتظر الجواب ، ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران بن حصين وكان رجلا عامّة ، وأبا الأسود الدؤليّ وكان

(١) وفي النسخة الباريّة : ابن أخي .

(٢) وفي النسخة الباريّة : عضب بعيرها .

(٣) لعلها : حفير وهو موضع بين مكة والمدينة وعن ابن دريد : بين مكة والبصرة (معجم البلدان) .

رجلا خاصة ، وقال : انطلقا إلى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها . فجآآها بالحفين وقالا : إن أميرنا بعثنا نسألك عن مسيرك ؟ فقالت : إن الغوغاء ونزاع القبائل فعلوا ما فعلوا فخرجت في المسلمين أعلمهم بذلك وبالذي فيه الناس وراءنا وما ينبغي من إصلاح هذا الامر . ثم قرأت لا خير في كثير من نجوا هم الآية . ثم عدلا عنها إلى طلحة فقالا : ما أقدمك ؟ قال : الطلب بدم عثمان . فقالا : ألم تباع عليا ؟ قال : بلى والسيف على رأسي وما أستقبل على البيعة إن هو لم يخل بيننا وبين قتلة عثمان . وقال لهما الزبير مثل ذلك ، ورجعا إلى عثمان بن حنيف فاسترجع وقال : دارت رحى الإسلام ورب الكعبة ، ثم قال أشيروا عليّ ، فقال عمران : اعترل . قال بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين . فجاءه هشام بن عامر فأشار عليه بالمسألة والمسامحة حتى يأتي أمر عليّ ، فأبى ونادى في الناس فلبس السلاح ثم دس من يتكلم في الجمع ليرى ما عندهم ، فقال رجل : إن هؤلاء القوم إن كانوا جاؤا خائفين فبلدهم يأمن فيه الطير وإن جاؤا لدم عثمان فما نحن بقتلته فأطيعوني وردّوهم من حيث جاؤا . فقال الأسود بن سريع السعدي : إنما جاؤا يستعينون بنا على قتله منا ومن غيرنا . فحصبه الناس فعرف عثمان أن لهم بالبصرة ناصرا وكسره ذلك كله .

وانتهت عائشة ومن معها إلى المربد ، وخرج إليها عثمان فيمن معه وحضر أهل البصرة ، فتكلّم طلحة من الميمنة : فحمدا لله وذكر عثمان وفضله ودعا إلى الطلب بدمه وحث عليه ، وكذلك الزبير فصدقها أهل الميمنة . وقال أصحاب عثمان من اليسرة : بايعتم عليا ثم جئتم تقولون . ثم تكلمت عائشة وقالت : « كان الناس يتجنّون على عثمان ويأتوننا بالمدينة فنجدهم فجرة ونجده برّا تقيا وهم يحاولون غير ما يظهرون ، ثم كثروا واقتحموا عليه داره وقتلوه واستحلّوا المحرّمات بلا ترّة ولا عذر ، ألا وأنّ مما ينبغي لكم ولا ينبغي غيره أخذ قتلة عثمان واقامة كتاب الله » ثم قرأت « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم » الآية . فاختلف أصحاب عثمان عليه ومال بعضهم إلى عائشة ، ثم افترق الناس وتحاصبوا وانحدرت عائشة إلى المربد ، وجاءها جارية^(١) بن قدامة السعدي فقال : « يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الحمل الملعون عرضة للسلاح ، إنّه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وأبجت حرمتك وإنّه من

(١) وفي النسخة الباريسية : حارثة .

رأى قتالك يرى قتلك ، فإن كنت أتيتنا طائعة فارجعي إلى منزلك وإن كنت مكرهة فاستعيني بالله وبالناس على الرجوع » .

وأقبل حكيم بن جبلة وهو على الخيل^(١) فأنشب القتال ، وأشرع أصحاب عائشة رماحهم فاقتتلوا على فم السكة^(٢) ، وحجز الليل بينهم وباتوا يتأهبون وعاداهم حكيم بن جبلة فاعترضه رجل من عبد القيس^(٣) فقتله حكيم ، ثم قتل امرأة أخرى ، واقتتلوا إلى أن زال النهار . وكثر القتل في أصحاب عثمان بن حنيف ولما عضتهم الحرب تنادوا إلى الصلح وتوادعوا على أن يبعثوا إلى المدينة فإن كان طلحة والزبير أكرها سلم لهم عثمان الأمر وإلا رجعا عنه . وسار كعب بن سوار القاضي إلى أهل المدينة يسألهم عن ذلك ، فجاءهم يوم الجمعة وسألهم فلم يجبه إلا أسامة بن زيد فإنه قال : بايعا مكرهين . فضربه الناس حتى كاد يقتل . ثم خلّصه صهيب وأبو أيوب ومحمد بن مسلمة إلى منزله ، ورجع كعب وبلغ الخبر بذلك إلى عليّ ، فكتب إلى عثمان بن حنيف يعجزه ويقول والله ما أكرها على فرقة ولقد أكرها على جماعة وفضل ، فإن كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما وإن كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظروا . ولما جاء كعب بقول أهل المدينة بعث طلحة والزبير إلى عثمان ليجتمع بهما ، فامتنع واحتج بالكتاب وقال هذا غير ما كنا فيه . فجمع طلحة والزبير الناس وجاءا إلى المسجد بعد صلاة العشاء في ليلة ظلماء شاتية ، وتقدم عبد الرحمن بن عتاب في الوحل فوضع السلاح في الجائفة من الزطّ والسابجة وهم أربعون رجلا فقاتلوهم وقتلوا عن آخرهم ، واقتحموا على عثمان فأخرجوه إلى طلحة والزبير وقد نتفوا شعر وجهه كله ، وبعثا إلى عائشة بالخبر فقالت خلوا سبيله ، وقيل أمرت بإخراجه وضربه ، وكان الذي تولى إخراجه وضربه مجاشع بن مسعود . وقيل إن الإتيان إنما وقع بينهم على أن يكتبوا إلى عليّ فكتبوا إليه وأقام عثمان يصلي فاستقبلوه ووثبوا عليه فظفروا به وأرادوا قتله ، ثم استبقوه من أجل الأنصار وضربوه وحبسوه .

ثم خطب طلحة والزبير وقالوا يا أهل البصرة توبة بحوبة^(٤) إنما أردنا أن نستعيب عثمان

(١) وفي نسخة ثانية : على ظهر الخيل .

(٢) وفي النسخة الباريسية : فم السمكة .

(٣) وفي النسخة الباريسية : من عبد الله بن القيس .

(٤) توبة بحوبة : أي توبة بإثم وفي النسخة الباريسية : توبة تحويه .

فغلب السفهاء فقتلوه . فقالوا لطلحة قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا ! قال الزبير :
أما أنا فلم أكتبكم ، وأخذ يرمي علياً بقتل عثمان فقال رجل من عبد القيس : يا
معشر المهاجرين أنتم أول من أجاب داعي الإسلام وكان لكم بذلك الفضل ، ثم
استخلفتم مراراً ولم تشاورونا ، وقتلتم كذلك ، ثم بايعتم علياً وجئتم تستعدوننا عليه
فماذا الذي نقيم عليه ؟ فهموا بقتله ومنعته عشيرته ، ثم وثبوا من الغد على قتل عثمان
ومن معه فقتلوا منهم سبعين . وبلغ حكيم بن جبلة ما فعل بعثمان بن حنيف فجاء
لنصره في جماعة من عبد القيس ، فوجد عبدالله بن الزبير فقال له : ما شأنك ؟
قال : تخلوا عن عثمان وتقيمون على ما كنتم حتى يقدم عليّ ولقد استحلتم الدم الحرام
ترعمون الطلب بثأر عثمان وهم لم يقتلوه . ثم ناجزهم الحرب في ربيع الآخر سنة ست
وثلاثين ، وأقام حكيم أربعة قواد فكان هو بجبال طلحة ، وذُرَيْح بجبال الزبير ، وابن
المحرش بجبال عبد الرحمن بن عتاب ، وحرقوق بن زهير بجبال عبد الرحمن بن
الحرث بن هشام . وتراحفوا واستحزّ القتل فيهم حتى قتل كثير منهم وقتل حكيم
وذريح ، وأفلت حرقوق في فلّ من أصحابه إلى قومهم بني سعد ، وتبعوهم بالقتل
وطالبوا بني سعد بحرقوق وكانوا عثمانية^(١) ، فاعتزلوا وغضبت عبد القيس كلهم
والكثير من بكر بن وائل ، وأمر طلحة والزبير بالعطاء في أهل الطاعة لها ، وقصدت
عبد القيس وبكر بيت المال فقاتلوهم ومنعوهم ، وكتبت عائشة إلى أهل الكوفة
بالخبر^(٢) وأمرتهم أن يشبطوا الناس عن عليّ وأن يقدموا بدم عثمان ، وكتبت بمثل
ذلك إلى الإمامة والمدينة .

ولنرجع إلى خبر عليّ وقد كان لما بلغه خبر طلحة والزبير وعائشة ومسيرهم إلى البصرة
دعا أهل المدينة للنصرة وخطبهم ، فتناقلوا أولاً وأجابه زياد بن حنظلة وأبو الهيثم
وخزيمة بن ثابت وليس بذي الشهادتين وأبو قتادة في آخرين ، وبعثت أم سلمة معه
ابن عمّها وخرج يسابق طلحة والزبير إلى البصرة ليردّهما ، واستخلف على المدينة تمام
ابن عباس وقيل سهل بن حنيف ، وعلى مكة قثم بن عباس ، وسار في ربيع الآخر
سنة ست وثلاثين ، وسار معه من نشط من الكوفيين والمصريين متخفين في تسعمائة ،
ولقيه عبدالله بن سلام فأخذ بعنانه وقال يا أمير المؤمنين : لا تخرج منها فوالله إن

(١) أي من اتباع الخليفة عثمان .

(٢) وفي النسخة الباريسية : بالفتح .

خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً . فبدر الناس إليه ، فقال : دعوه فنعم الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وسار فأنتهى الى الربذة ، وجاء خبر سبقهم إلى البصرة فأقام يأتمر بما يفعل ولحقه ابنه الحسن وعذله في خروجه وما كان من عصيانه إياه ، فقال : ما الذي عصيتك فيه حين أمرتني ؟ قال : أمرتك أن تخرج عند حصار عثمان من المدينة ولا تحضر لقتله ، ثم عند قتله ألا تباع حتى تأتيك وفود العرب وبيعة الأمصار ، ثم عند خروج هؤلاء أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا . فقال : أمّا الخروج من المدينة فلم يكن إليه سبيل وقد كان أحيط بنا كما أحيط بعثمان ، وأمّا البيعة فحفظنا ضياع الأمر والحل والعقد لأهل المدينة لا للعرب ولا للأمصار ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أحق بالأمر بعده فباع الناس غيري واتبعتهم في أبي بكر وعمر وعثمان فقتلوه وبايعوني طائعين غير مكرهين ، فأنا أقاتل من خالف بمن أطاع إلى أن يحكم الله وهو خير الحاكمين ، وأمّا القعود عن طلحة والزبير فاذا لم أنظر فيما يلزمني من هذا الأمر فمن ينظر فيه ؟

ثم أرسل إلى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر يستنفران الناس ، وأقام بالربذة يحرض الناس وأرسل إلى المدينة في أدواته وسلاحه ، وقال له بعض أصحابه عرفنا بقصدك من القوم ؟ قال : الإصلاح إن قبلوه وإلا ننظرهم وإن بادرونا امتنعنا . ثم جاءه جماعة من طيء نافرين معه فقبلهم وأثنى عليهم . ثم سار من الربذة وعلى مقدمته أبو ليلي بن عمرو بن الجراح ، ولما انتهى الى فيد أته أسد وطيء وعرضوا عليه النفير معه ، فقال : الزموا قراركم في المهاجرين كفاية . ولقيه هنالك رجل من أهل الكوفة من بني شيبان فسأله عن أبي موسى ، فقال إن أردت الصلح فهو صاحبه ، وإن أردت القتال فليس بصاحبه . فقال : والله ما أريد إلا الصلح حتى يرد علينا . ثم انتهى إلى الثعلبية والأساد ، فبلغه ما لقي عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة ، ثم جاءه بذى قار عثمان بن حنيف وأراه ما بوجهه ، فقال : «أصبت أجراً وخيراً إن الناس وليهم قبلي رجلاً فعملوا بالكتاب ثم ثالث فقالوا وفعلوا ثم بايعوني ومنهم طلحة والزبير ثم نكثا وألبا عليّ . ومن العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر وعثمان وخلافهما عليّ ! والله إنهما ليعلمان اني لست دونهم» . ثم أخذ في الدعاء عليهما وابن وائل هنالك يعرضون عليه النفير فأجابهم مثل طيء وأسد ، وبلغه خروج عبد القيس على طلحة والزبير فأثنى عليهم . وأمّا محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر فبلغا إلى الكوفة

ودفعا إلى أبي موسى كتاب عليّ وقاما في الناس بأمره فلم يجبهما أحد وشاوروا أبا موسى في الخروج إلى عليّ ، فقال : الخروج سبيل الدنيا والقعود سبيل الآخرة فقعدوا كلهم . وغضب محمد ومحمد وأغلظا لأبي موسى ، فقال لهما : والله إن بيعة عثمان لني عنقي وعنق عليّ وإن كان لا بدّ من القتال فحتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا ، فرجعا إلى عليّ بالخبر وهو بذى قار ، فرجع عليّ باللائمة على الاشر ، وقال : أنت صاحبنا في أبي موسى فاذهب انت وابن العباس وأصلح ما أفسدت . فقدا على أبي موسى وكلما أستعانا عليه بالناس لم يجب إلى شيء ولم ير إلا القعود حتى تنجلي الفتنة ويلتئم الناس ، فرجع ابن عباس والأشر إلى عليّ فأرسل عليّ ابنه الحسن وعمار بن ياسر وقال : لعمار : انطلق فأصلح ما أفسدت . فانطلقا حتى دخلا المسجد ، وخرج أبو موسى فلقى الحسن بن عليّ فضمه إليه وقال لعمار : يا أبا اليقظان أعدوت على أمير المؤمنين فيمن عدا وأحلت نفسك مع الفجار؟ فقال : لم أفعل . فأقبل الحسن على أبي موسى فقال : لم تثبط الناس عنا وما أردنا إلا الإصلاح ومثل أمير المؤمنين لا يخاف على شيء . قال : «صدقت بأبي أنت وأمي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتنة ، القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الراكب والمسلمون اخوان ودمائهم وأموالهم حرام» فغضب عمار وسبه فسبه آخر وتناور الناس ، ثم كفهم أبو موسى . وجاء زيد بن صوحان بكتاب عائشة إليه وكتابها إلى أهل الكوفة فقرأهما على الناس في سبيل الإنكار عليها فسبه شبت بن ربعي^(١) ، وتهاوى الناس وأبو موسى يكفهم ويأمرهم بلزوم البيوت حتى تنجلي الفتنة ، ويقول : أطيعوني وخلوا قريشا إذا أبوا إلا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل العلم . حتى ينجلي الأمر . وناداه زيد بن صوحان بإجابة عليّ والقيام بنصرته وتابعه القعقاع بن عمرو فقام بعده فقال : لا سبيل إلى الفوضى وهذا أمير المؤمنين ملء بما ولي وقد دعاكم فانفروا ، وقال عبد خير مثل ذلك وزاد : يا أبا موسى هل تعلم أن طلحة والزبير بايعا؟ قال : نعم . قال : فهل أحدث عليّ ما ينقض البيعة؟ لا أدري قال : لا دريت ونحن نتركك حتى تدري . ثم قال سيحان^(٢) بن صوحان مثل ما قال القعقاع ، وحرض على طاعة عليّ وقال : فإنه

(١) شبت : بفتح الشين المعجمة والموحدة كما في القاموس .

(٢) سيحان بوران جيحان اهـ .

عَاكَمَ تَنْظُرُونَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِيهِ^(١) وَهُوَ الْمَأْمُونُ عَلَى الْأُمَّةِ الْفَقِيهَ فِي الدِّينِ ،
فَقَالَ عَمَّارٌ وَهُوَ دَعَاكُمْ إِلَى ذَلِكَ لِتَنْظُرُوا فِي الْحَقِّ وَتَقَاتِلُوا مَعَهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ الْحَسَنُ :
أَجِيبُوا دَعْوَتَنَا وَأَعِينُونَا عَلَى مَا ابْتَلَيْنَا بِهِ وَابْتَلَيْتُمْ وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ : إِنْ كُنْتُ
مَظْلُومًا أَطِيعُونِي^(٢) أَوْ ظَالِمًا فَخَذُّوا مِنِّي بِالْحَقِّ . وَاللَّهُ إِنْ طَلَحَهُ وَالزَّبِيرَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَنِي
وَأَوَّلَ مَنْ غَدَرَ . فَأَجَابَ النَّاسُ ، وَحَرَّضَ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ قَوْمَهُ وَحُجْرَ بْنَ عَدِيٍّ
كَذَلِكَ فَفَرَّ مَعَ الْحَسَنِ مِنَ الْكُوفَةِ تِسْعَةَ آلَافٍ سَارَتْ مِنْهَا سِتَّةٌ فِي الْبَرِّ وَبَاقِيهِمْ فِي
الْمَاءِ .

وَأَرْسَلَ عَلِيٌّ بَعْدَ مَسِيرِ الْحَسَنِ وَعَمَّارَ الْأَشْثَرِ إِلَى الْكُوفَةِ فَدَخَلَهَا وَالنَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ وَأَبُو
مُوسَى وَالْحَسَنُ وَعَمَّارٌ فِي مَنَازِعَةٍ مَعَهُ وَمَعَ النَّاسُ ، فَجَعَلَ الْأَشْثَرُ يَمُرُّ بِالْقَبَائِلِ
وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْقَصْرِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ فِي جَمَاعَةِ النَّاسِ فَدَخَلَهُ وَأَبُو مُوسَى بِالْمَسْجِدِ
يُخَاطِبُهُمْ وَيُثَبِّطُهُمْ وَالْحَسَنُ يَقُولُ لَهُ اعْتَرِلْ عَمَلَنَا وَاتْرِكْ مَنَبَرَنَا ، فَدَخَلَ الْأَشْثَرُ إِلَى
الْقَصْرِ وَأَمَرَ بِإَخْرَاجِ غُلَامَانِ أَبِي مُوسَى مِنَ الْقَصْرِ ، وَجَاءَهُ أَبُو مُوسَى فَصَاحَ بِهِ
الْأَشْثَرُ : أَخْرِجْ لَا أُمُّ لَكَ وَأَجَلُهُ تِلْكَ الْعَشِيَّةُ . وَدَخَلَ النَّاسُ لِيَنْهَبُوا مَتَاعَهُ فَمَنْعَهُمُ
الْأَشْثَرُ ، وَنَفَرَ النَّاسُ مَعَ الْحَسَنِ كَمَا قُلْنَا وَكَانَ الْأَمْرَاءُ عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ عَلَى كَنَانَةَ وَأَسَدَ
وَتَمِيمَ وَالرَّبَابِ وَمَزِينَةَ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارَ الرِّيَّاحِيِّ ، وَعَلَى قَبَائِلِ قَيْسِ سَعْدَ بْنَ مَسْعُودَ
الثَّقَفِيِّ عَمَّ الْمُخْتَارَ ، وَعَلَى بَكْرَ وَتَغْلِبَ وَعَلَةَ بْنَ مَجْدُوحَ الذَّهْلِيِّ ، وَعَلَى مَذْحِجَ
وَالْأَشْعَرِيِّينَ حَجْرَ بْنَ عَدِيٍّ ، وَعَلَى بَجِيلَةَ وَأَنْمَارَ وَخَثْعَمَ وَالْأَزْدَ مُحَنَفَ بْنَ سَلِيمَ
الْأَزْدِيَّ ، وَرُؤَسَاءَ الْجَمَاعَةِ مِنَ الْكُوفِيِّينَ الْقَعْقَاعَ بْنَ عَمْرٍو وَسَعْدَ بْنَ مَالِكَ وَهَنْدَ بْنَ
عَمْرٍو وَالْهَيْثَمَ بْنَ شَهَابٍ ، وَرُؤَسَاءَ الْبَصْرَةِ زَيْدَ بْنَ صُوحَانَ وَالْأَشْثَرُ وَعَدِيَّ بْنَ حَاتِمَ
وَالْمُسَيْبَ بْنَ نَجْبَةَ وَيَزِيدَ بْنَ قَيْسَ وَأَمْثَالَهُمْ . فَقَدِمُوا عَلَى عَلِيٍّ بِذِي قَارَ ، فَركبَ إِلَيْهِمْ
وَرَحَّبَ بِهِمْ وَقَالَ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ دَعَوْتُكُمْ لِتَشْهَدُوا مَعَنَا إِخْوَانَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَإِنْ
يَرْجِعُوا فَهُوَ الَّذِي نَرِيدُ وَإِنْ يَلْحَوْا دَاوَيْنَاهُمْ بِالرَّفْقِ حَتَّى يَبْدُوْنَا بِالظُّلْمِ وَلَا نَدْعُ أَمْرًا
فِيهِ الصَّلَاحُ إِلَّا آثَرْنَاهُ عَلَى مَا فِيهِ الْفُسَادُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَهُ بِذِي قَارَ
وَعَبَدَ الْقَيْسَ بِأَسْرَها وَهُمْ أُلُوفٌ يَنْتَظِرُونَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَصْرَةِ ، ثُمَّ دَعَا الْقَعْقَاعَ وَكَانَ
مِنَ الصَّحَابَةِ فَأَرْسَلَهُ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقَالَ : إِنْ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ فَادْعُهُمَا لِلْأَلْفَةِ

(١) وَفِي النُّسخَةِ الْبَارِيسِيَّةِ : صَاحِبِهِ .

(٢) وَفِي النُّسخَةِ الْبَارِيسِيَّةِ : أَعِينُونِي .

والجماعة وعظم عليهما الفرقة وقال له : كيف تصنع اذا قالوا ما لا وصاة مني فيه عندك ؟ قال : نلقاهم بالذي أمرت به فاذا جاء منهم ما لي عندنا منك رأي فيه اجتهدنا رأينا وكلمناهم كما نسمع ونرى انه ينبغي ، قال : أنت لها .

فخرج القعقاع فقدم البصرة وبدأ بعائشة وقال : أي أمة ما أشخصك ؟ قالت : أريد الاصلاح بين الناس ، قال فابعثني الى طلحة والزبير تسمعي مني ومنهما ، فبعثت إليهما فجاءا فقال لهما : اني سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت الاصلاح وكذلك قالوا .

قال فأخبراني ما هو ؟ قالوا : قتلة عثمان ! فإن تركهم ترك للقرآن ، قال : فقد قتلتهم منهم ستمائة من أهل البصرة وغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف فان قاتلتهم هؤلاء كلهم اجتمعت مضر وربيعة على حربكم فأين الاصلاح ؟ قالت عائشة : فماذا تقول أنت ؟ قال هذا الأمر دواؤه التسكين واذا سكن اختلجوا فأثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح خير ولا تعرضونا للبلاء فتعرض له ويصرعنا واياكم ، فقالوا قد أصبت وأحسن فارجع فان قدم عليّ وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر ، فرجع وأخبر علياً فأعجبه وأشرف القوم على الصلح . وقد كانت وفود أهل البصرة أقبلوا إلى علي قبل رجوع القعقاع وتفاوضوا مع أهل الكوفة واتفقوا جميعاً على الاصلاح ، ثم خطب عليّ الناس وأمرهم بالرحيل من الغد وأن لا يرحل معه أحد ممن أعان على عثمان . فاجتمع من أهل مصر ابن السوداء وخالد بن ملجم والأشتر والذين رضوا بمن سار إليه مثل علباء بن الهيثم وعدي بن حاتم وسالم بن ثعلبة القيسي وشريح بن أوفى ، وتشاوروا فيما قال عليّ وقالوا : هو أبصر بكتاب الله وأقرب إلى العمل به من أولئك وهو يقول ما يقول ، وإنما معه الذين أعانوا على عثمان فكيف إذا اصطلحوا واجتمعوا ورأوا قتلنا في كثرتهم . فقال الأشتر رأيهم والله فينا واحد وأن يصطلحوا فعلى دماننا فهلما نثب على طلحة نلحقه بعثمان ثم يرضى منا بالسكون ، فقال ابن السوداء : طلحة وأصحابه نحو من خمسة آلاف وانتم الفان وخمسمائة فلا تجدون إلى ذلك سبيلاً ، وقال علباء بن الهيثم : اعتزلوا الفريقين حتى يأتيكم من تقومون به . فقال ابن السوداء : ودّ والله الناس لو انفردتم فيتخطفونكم ، فقال عدي : والله ما رضيت ولا كرهت فاما اذ وقع ما وقع ونزل الناس بهذه المترلة فان لنا خيلاً وسلاحاً . فإن أقدمتم أقدمنا وإن أحجمتم أحجمنا ، ثم قال سالم بن ثعلبة وسويد بن أوفى : أبرموا أمركم . ثم تكلم ابن السوداء فقال : يا قوم إن عزكم

في خلطة الناس فصانعوهم وإذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال فلا يجدون بداً منه
ويشغلهم الله عما تكرهون ، وافترقوا على ذلك .

وأصبح عليّ راحلاً حتى نزل على عبد القيس فانضموا اليه وساروا معه فترل
الزاوية ، وسار من الزاوية إلى البصرة . وسار طلحة والزبير وعائشة من الفرضة والتقوا
بموضع قصر عبيد الله بن زياد منتصف جمادى الآخرة ، وتراسلت بكر بن وائل وعبد
القيس وجاؤا إلى عليّ رضي الله عنه فكانوا معه ، وأشار على الزبير بعض أصحابه أن
يناجز القتال ، فاعتذر بما وقع بينه وبين القعقاع . وطلب من عليّ رضي الله تعالى عنه
أصحابه مثل ذلك فأبى وسئل ما حالنا وحالهم في القتلى ؟ فقال : أرجو أن لا يقتل
منا ومنهم أحد نقي قلبه لله إلا أدخله الله الجنة ، ونهى عن قتالهم وبعث إليهم حكيم
بن سلام ومالك بن حبيب إن كنتم على ما جاء به القعقاع فكفوا حتى ننزل وننظر في
الأمر ، وجاءه الأحنف بن قيس وكان معتزلاً عن القوم وقد كان بايع علياً بالمدينة
بعد قتل عثمان مرجعه من الحج ، قال الأحنف : ولم أبايعه حتى لقيت طلحة والزبير
وعائشة بالمدينة وعثمان محصور وعلمت أنه مقتول فقلت لهم من أبايع بعده ؟ قالوا علياً
فلما رجعت وقد قتل عثمان بايعت علياً فلما جاؤا إلى البصرة دعوني إلى قتال عليّ
فحرت في أمري بين خذلانهم أو خلع طاعتي ، فقلت : ألم تأمروني بمبايعته ؟ قالوا
نعم لكنه بدل وغير فقلت لا أنقض بيعتي ولا أقاتل أم المؤمنين ، ولكن أعتزل ، ونزل
بالجلاء على فرسخين من البصرة في زهاء ستة آلاف ، فلما قدم عليّ جاءه وخيره بين
القتال معه أو كف عشرة آلاف سيف عنه ، فاختر الكف ونادى في تميم وبني سعد
فأجابوه فاعتزل بهم حتى ظفر عليّ فرجع إليه واتبعه . ولما تراءى الجمعان خرج
طلحة والزبير وجاءهم عليّ حتى اختلفت اعناق دوابهم . فقال عليّ : لقد أعددتما
سلاحاً وخيلاً ورجالاً إن كنتما أعددتما عند الله عذراً ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان
دمي وأحرّم دمكما فهل من حدث أحلّ لكما دمي قال طلحة : ألّبت على عثمان !
قال عليّ : يومئذ يوفيهما الله دينهم الحقّ فلعن الله قتلة عثمان يا طلحة . أما بايعتني ؟
قال : والسيف على عنقي . ثم قال للزبير : أتذكر يوم قال لك رسول الله صلى الله
عليه وسلم لتقاتلنّه وأنت له ظالم ؟ قال اللهم نعم ولو ذكرت قبل مسيري ما سرت .
ووالله لا أقاتلك أبداً وافترقوا . فقال عليّ لأصحابه : إنّ الزبير قد عهد أن لا
يقاتلكم . ورجع الزبير إلى عائشة وقال : ما كنت في موطن منذ عقلت إلا وأنا

أعرف أمري غير موطني هذا ! قالت : فما تريد أن تصنع ؟ قال أدعهم وأذهب . فقال له ابنه عبدالله : خشيت رايات ابن أبي طالب وعلمت أن حاملها فتية أنجاد وأن تحتها الموت الأحمر فجئبت فأحفظه ذلك . وقال : حلفت . قال : كفر عن يمينك فأعتق غلامه مكحولاً . وقيل إنما أراد الرجوع عن القتال حين سمع أن عمار بن ياسر مع عليٍّ لما ورد : ويح عمار تقتله الفئة الباغية .

وكان أهل البصرة على ثلاث فرق مفترقين مع هؤلاء وهؤلاء وثالثة اعتزلت كالأحنف ابن قيس وعمران بن حصين ، ونزلت عائشة في الأزدي ورأسهم صبرة بن شيان ، وأشار عليه كعب بن سور بالإعتزال فأبى وكان معها قبائل كثيرة من مضر والرباب وعليهم المنجاب بن راشد ، وبنو عمرو بن تميم وعليهم أبو الجربا ، وبنو حنظلة وعليهم هلال بن وكيع وسليم وعليهم مجاشع بن مسعود ، وبنو عامر وغطفان وعليهم زفر بن الحرث ، والأزد وعليهم صبرة بن شيان ، وبكر وعليهم مالك بن مسمع ، وبنو ناجية وعليهم الخريت بن راشد ، وهم في نحو ثلاثين ألفاً . وعليٍّ في عشرين ألفاً . والناس جميعاً متنازلون مضر إلى مضر وربيعة إلى ربيعة ، ولا يشكون في الصلح وقد ردوا حكماً ومالكا إلى عليٍّ : إنا على ما فارقنا عليه القعقاع ، وجاء ابن عباس إلى طلحة والزبير ، ومحمد بن طلحة إلى عليٍّ وتقارب أمر الصلح وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة يتشاورون ، واتفقوا على إنشأ الحرب بين الناس فجلسوا وما^(١) يشعر بهم أحد ، وقصد مضر إلى مضر وربيعة إلى ربيعة وبنو يمن فوضعوا فيهم السلاح ، وثار أهل البصرة وثار كل قوم في وجوه أصحابهم . وبعث طلحة والزبير عبد الرحمن بن الحرث بن هشام إلى الميمنة وهم ربيعة ، وعبد الرحمن بن عتاب إلى الميسرة ، وركبا في القلب ، وسألا^(٢) الناس ما هذا ؟ فقالوا : طرقتنا أهل الكوفة ليلاً فقال طلحة والزبير إن علياً لا ينتهي حتى يسفك الدماء . ثم دفعوا أولئك المقاتلين فسمع عليٌّ وأهل عسكره الصيحة ، فقال ما هذا ؟ فقليل له أظنه سقط من هنا طرقتنا أو نحوه السبئية بيتونا ليلاً فرددتهم^(٣) فوجدنا القوم على أهبة فركبونا ، وثار الناس وركب عليٌّ . وبعث إلى الميمنة والميسرة صاحبها ، وقال : إن طلحة والزبير لا

(١) وفي النسخة الباريسية : ولم .

(٢) وفي نسخة أخرى : وتساءل

(٣) وفي نسخة أخرى : فرددناهم .

ينتهيان حتى تسفك الدماء ونادى في الناس كفوا ، وكان رأيهم جميعا في تلك الفتنة أن لا يقتلوا حتى يقيموا الحجة ولا يقتلوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح ولا يستحلوا سلباً .

وأقبل كعب بن سور إلى عائشة وقال : قد أبى القوم إلا القتال فلعل الله يصلح بك . فأركبها وألبسوا هودجها الأذراع وأوقفوها بحيث تسمع الغوغاء ، واقتتل الناس حتى انهزم أصحاب الحمل وذهب ، وأصيب طلحة بسهم في رجله فدخل البصرة ودمه يسيل إلى أن مات . وذهب الزبير إلى وادي السباع لما ذكره عليّ ، فمر بعسكر الأحنف وأتبعه عمرو بن الجرموز وكان يسأله حتى اذا قام إلى الصلاة قتله ورجع بفرسه وسلاحه وخاتمه إلى الأحنف فقال والله ما أدري أحسنت أم أسأت . فجاء ابن جرموز إلى عليّ وقال للحاجب : استأذن لقاتل الزبير فقال لحاجبه : ائذن له وبشره بالنار . ولما بلغت الهزيمة البصرة ورأوا الخيل أطافت بالحمل فرجعوا وشبت الحرب كما كانت . وقالت عائشة لكعب بن سور وناولته مصحفا : تقدّم فادعهم إليه واستقبل القوم فقتله السبيّة رشقا بالسهم ، ورموا عائشة في هودجها حتى جارت بالاستغاثة ثم بالدعاء على قتلة عثمان ، وضج الناس بالدعاء فقال عليّ ما هذا قالوا عائشة تدعو على قتلة عثمان ! فقال : اللهم إلعن قتلة عثمان .

ثم أرسلت عائشة إلى الميمنة والميسرة وحرّضتهم ، وتقدّم مضر الكوفة ومضر البصرة فاجتلدوا أمام الحمل حتى ضرسوا ، وقتل زيد بن صوحان من أهل الكوفة وأخوه سيحان وارث أخوهما صعصعة ، وتزاحف الناس وتأخرت يمن الكوفة وربيعتها ثم عادوا فقتل على راياتهم عشرة . ثم أخذها يزيد بن قيس فثبت ، وقتل تحت راية ربيعة زيد وعبدالله بن رقية وأبو عبيدة بن راشد بن سلمة ، واشتدّ الأمر ولزقت ميمنة الكوفة بقلبيهم وميسرة أهل البصرة بقلبيهم ، ومنعت ميمنة هؤلاء وميسرة هؤلاء ميمنة هؤلاء ، وتنادى شجعان مضر من الجانبين بالصبر وقصدوا الأطراف يقطعونها ، وأصيب يد عبد الرحمن بن عتّاب قبل قتله ، وقاتل عند الحمل الأزدي ثم بنو ضبة وبنو عبد مناة ، وكثر القتل والقطع وصارت المجنبات إلى القلب واستحرّ القتل إلى الحمل حتى قتل على الخطام أربعون رجلا أو سبعون كلهم من قريش ، فجرح عبدالله بن الزبير وقتل عبد الرحمن بن عتّاب وجندب بن زهير العامري وعبدالله بن حكيم بن حزام ومعه راية قريش قتله الأشتر وأعانه فيه عدي بن حاتم ، وقتل الأسود

بن أبي البخري وهو آخذ بالخطام وبعده عمرو بن الأشرف الأزدي في ثلاثة عشر من أهل بيته وجرح مروان بن الحكم وعبدالله بن الزبير سبعا وثلاثين جراحة ما بين طعنة ورمية ، ونادى عليّ اعقروا الحمل يفرقوا ، وضربه رجل فسقط فما كان صوت أشد عجيجاً منه . وكانت راية الأزدي من أهل الكوفة مع مخنف بن سليم فقتل فأخذها الصقعب أخوه فقتل ثم أخوهما عبدالله كذلك ، فأخذها العلاء بن عروة فكان الفتح وهي بيده . وكانت راية عبد القيس من أهل الكوفة مع القاسم بن سليم فقتل ومعه زيد وسيحان ابنا صوحان وأخذها عدة فقتلوا منهم عبدالله بن رقية ثم منقذ بن النعمان ، ودفعها الى ابنه مرة فكان الفتح وهي بيده . وكانت راية بكر بن وائل في بني ذهل^(١) مع الحرث بن حسان فقتل في خمسة من بني أهله ورجال من بني محدوج^(٢) وخمسة وثلاثين من بني ذهل .

وقيل في عقر الحمل : ان القعقاع دعا الأشتر وقد جاء من القتال عند الحمل إلى العود فلم يجبه ، وحمل القعقاع والخطام بيد زفر بن الحرث فأصيب شيوخ من بني عامر ، وقال القعقاع لبجير بن دلجة^(٣) من بني ضبة وهو من أصحاب عليّ يا بجير صبح بقومك يعقروا الحمل قبل أن يصابوا وتصاب أم المؤمنين ، فضرب ساق البعير فوقع على شقه ، وأمن^(٤) القعقاع من يليه واجتمع هو وزفر على قطع بطان البعير وحملوا الهودج فوضعا وهو كالقنفذ بالسهم ، وفر من وراءه ، وأمر عليّ فنودي لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور ، وأمر بحمل الهودج من بين القتلى ، وأمر محمد بن أبي بكر أن يضرب عليها قبة وأن ينظر هل بها جراحة فجاء يسألها . وقيل لما سقط الحمل أقبل محمد بن أبي بكر إليه ومعه عمار فاحتملا الهودج إلى ناحية ليس قربه أحد وأتاها عليّ فقال : كيف أنت يا أمة ؟ قالت : بخير قال : يغفر الله لك . قالت : ولك . وجاء وجوه الناس إليها فيهم القعقاع بن عمرو فسلم عليها ، وقالت له : وددت اني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة . وجاء إلى عليّ فقال له مثل قولها ولما كان الليل أدخلها أخوها محمد بن أبي بكر الصديق البصرة ،

(١) وفي النسخة الباريسية : بني هذيل .

(٢) وفي نسخة أخرى : بني مخزوم .

(٣) وفي النسخة الباريسية : ابن دلجة .

(٤) وفي نسخة ثانية : أمر .

فأقرها في دار عبدالله بن خلف الخزاعي على صفية زوجته بنت الحرث بن أبي طلحة من بني عبد الدار أم طلحة الطلحات بن عبدالله ، وتسَلَّل الجرحى من بين القتلى فدخلوا ليلا إلى البصرة وأذن عليّ في دفن القتلى فدفنوا بعد أن أطاف عليهم ، ورأى كعب بن سور وعبد الرحمن بن عتاب وطلحة بن عبيدالله وهو يقول : زعموا أنه لم يخرج إلينا إلا الغوغاء مع أن هؤلاء فيهم . ثم صَلَّى على القتلى من الجانبين وأمر بالأطراف فدفنت في قبر عظيم ، وجمع ما كان في العسكر من كل شيء وبعث به إلى مسجد البصرة وقال من عرف شيئا فليأخذه إلا سلاحا عليه سمة السلطان . وأحصى القتلى من الجانبين فكانوا عشرة الاف منهم من ضبة ألف رجل .

ولما فرغ عليّ من الواقعة جاءه الأحنف بن قيس في بني سعد فقال له : تربصت فقال ما أراني إلا قد أحسنت وبأمرك كان ما كان ، فارق فإنّ طريقك بعيد وأنت إليّ غداً أحوج منك أمس فلا تقل لي مثل هذا فاني لم أزل لك ناصحاً . ثم دخل البصرة يوم الإثنين فبايعه أهلها على راياتهم حتى الجرحى والمستأمنة ، وأتاه عبد الرحمن بن أبي بكرة فبايعه وعرض له في عمه زياد بأنه مترّص ، فقال والله إنه لمريض وعلى مسرتك لحريص . فقال : إنهض أمامي فمضى فلما دخل عليه عليّ اعتذر فقبل عذره واعترض بالمرض قبل عذره ، وأرادَه على البصرة فامتنع وقال : ولها رجلا من أهلِكَ تسكن إليه الناس وسأشير عليه ، وأشار ابن عباس فولاه ، وجعل زياداً على الخراج وبيت المال ، وأمر ابن عباس بموافقة فيما يراه . ثم راح عليّ إلى عائشة في دار ابن خلف وكان عبدالله بن خلف قتل في الواقعة فأساءت أمه وبعض النسوة عليه ، فأعرض عنهنّ وحرّضه بعض أصحابه عليهنّ فقال : إن النساء ضعيفات وكنا نؤمر بالكفّ عنهنّ وهنّ مشركات فكيف بهنّ مسلمات . ثم بلغه أنّ بعض الغوغاء عرض لعائشة بالقول والإساءة ، فأمر من أحضر له بعضهم وأوجعهم ضرباً ، ثم جهّزها عليّ إلى المدينة بما احتاجت إليه وبعثها مع أخيها محمد مع أربعين من نسوة البصرة اختارهن لمرافقتها ، وأذن للفل من خرج عنها أن يرجعوا معها ، ثم جاء يوم ارتحالها فودّعها واستعنت له واستعنت لها ، ومشى معها اميالاً وشيّعها بنوه مسافة يوم ، وذلك غرة رجب ، فذهبت إلى مكة فقضت الحج ورجعت إلى المدينة . ورجع^(١)

(١) وفي نسخة اخرى : وخرج .

بنو أمية من الفلّ ناجين الى الشام ، فعتبة بن أبي سفيان وعبد الرحمن^(١) ونحى
أخوا مروان خلصوا إلى عصمة بن أبي التيمي إلى أن أندملت جراحهم ، ثم بعثهم إلى
الشام . وأما عبدالله بن عامر فخلص إلى بني حرقوص ومضى من هنالك ، وأما
مروان بن الحكم فأجاره أيضا مالك بن مسمع وبعثه وقيل كان مع عائشة فلما ذهبت
إلى مكة فارقها إلى المدينة ، وأما ابن الزبير فاخفى بدار بعض الأزد وبعث إلى عائشة
يعلمها بمكانه فأرسلت أخاها محمدا وجاء إليها به .

ثم قسم عليّ جميع ما في بيت المال على من شهد معه ، وكان يزيد على ستمائة ألف
فأصاب كل رجل خمسمائة ، وقال : ان أظفركم الله بالشام فلکم مثلها إلى
أعطياتكم . فخاض السبئية في الطعن عليه بذلك وبتحريم أموالهم مع اراقة
دمائهم ، ورحلوا عنه فأعجلوه عن المقام بالبصرة ، وارتحل في آثارهم ليقطع عليهم
أمر إن أرادوه .

وقد قيل في سياق أمر الحمل غير هذا ، هو أن عليّا لما أرسل محمد بن أبي بكر إلى
أبي موسى ليستنفر له أهل الكوفة وامتنع ، سار هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى
عليّ بالربذة فأخبره فأعاده إليه يقول له : إني لم أولك إلا لتكون من أعواني على
الحق ، فامتنع أبو موسى وكتب إليه هاشم مع المحل بن خليفة الطائي ، فبعث عليّ
ابنه الحسن وعمّار بن ياسر يستنفران كما مرّ . وبعث قرظة^(٢) بن كعب الأنصاري
أميرا وبعث إليه : إني قد بعث الحسن وعمّارا يستنفران الناس وبعث قرظة بن
كعب واليا على الكوفة فاعتزل عملنا مذموما مدحورا وان لم تفعل فقد أمرته أن ينادك
وإن ظفرك أن يقطعك إربا إربا وإن الناس تواقفوا للقتال ، وأمر عليّ من يتقدّم
بالمصحف يدعوهم إلى ما فيه وان قطع وقتل وحمله بعض الناس وفعل ذلك فقتل .
وحملت ميمنتهم^(٣) على ميسرتهم فاقتتلوا ولاذ الناس بحمل عائشة أكثرهم من ضبة
والأزد ثم انهزموا آخر النهار ، واستحرّ في الأزد القتل وحمل عمّار على الزبير يحوزه
بالرمح ثم استلان له وتركه ، وألقى عبدالله بن الزبير نفسه مع الجرحى . وعقر الحمل
واحتمل عائشة أخوها محمد فأنزلها وضرب عليها قبة ووقف عليها عليّ يعاتبها ، فقالت

(١) وفي النسخة الباريسية : عبدالله .

(٢) وفي النسخة الباريسية : قرطه .

(٣) يعني ميمنة عليّ (رض)

له ملكت فأسجح^(١) نعم ما أبكيت قومك اليوم ، فسرحها في جماعة رجال ونساء الى المدينة وجهازها بما تحتاج إليه . هذا أمر الجمل ملخص من كتاب أبي جعفر الطبري اعتمدناه للوثوق به ولسلامته من الأهواء الموجودة في كتب ابن قتيبة وغيره من المؤرخين . وقتل يوم الجمل عبد الرحمن أخو طلحة من الصحابة والمحرز بن حارثة العبشمي وكان عمر ولآه على أهل مكة ، ومحاشع ومخالد ابنا مسعود مع عائشة . وعبد الله بن حكيم بن حزام وهند بن أبي هالة وهو ابن خديجة قتل مع علي وقيل بالبصرة وغيرهم . انتهى أمر الجمل .

ولما فرغ الناس من هذه الواقعة اجتمع صعاليك من العرب وعليهم جبلة بن عتاب الحنظلي وعمران بن الفضيل البرجمي ، وقصدوا سجستان وقد نكث أهلها ، وبعث علي إليهم عبد الرحمن بن جرو الطائي فقتلوه ، فكتب إلى عبد الله بن عباس أن يبعث إلى سجستان واليًا ، فبعث ربعي بن كاس العنبري في أربعة آلاف ومعه الحصين بن أبي الحر فقتل جبلة وانهزموا وضبط ربعي البلاد واستقامت .

انتقاض محمد بن أبي حذيفة بمصر ومقتله

لما قتل أبو حذيفة بن عتبة يوم اليمامة ترك ابنه محمدًا في كفالة عثمان وأحسن تربيته وسكر في بعض الأيام فجلده عثمان ، ثم تنسك وأقبل على العبادة وطلب الولاية من عثمان ، فقال : لست بأهل فاستأذنه على اللحاق بمصر لغزو البحر فأذن له وجهازه ولزمه الناس وعظموه لما رأوا من عبادته ، ثم غزا مع ابن أبي سرح غزوة الصواري كما مر ، فكان يتعرض له بالقدح فيه وفي عثمان بتوليته ويجتمع في ذلك مع محمد بن أبي بكر ، وشكاهما ابن أبي سرح إلى عثمان فكتب إليه بالتجافي عنهما لوسيلة ذلك بعائشة وهذا لتربيته . وبعث إلى ابن أبي حذيفة ثلاثين ألف درهم وحمل من الكسوة فوضعها ابن أبي حذيفة في المسجد ، وقال : يا معشر المسلمين كيف أخادع عن ديني وأخذ الرشوة عليه . فازداد أهل مصر تعظيمًا له وطعنًا على عثمان وبايعوه على رياستهم ، وكتب إليه عثمان يذكره بحقوقه عليه فلم يرده ذلك . وما زال يحرض الناس عليه حتى خرجوا لحصاره وأقام هو بمصر ، وخرج ابن أبي سرح إلى عثمان

(١) اي احسن العفواء . وفي النسخة الباريسية : ملكت فاسمح .

فاستولى هو على مصر وضبطها إلى أن قتل عثمان وبويع عليّ وباع عمرو بن العاص لمعاوية ، وسار إلى مصر قبل قدوم قيس بن سعد فمنعها فخدعا محمد حتى خرج إلى العريش فتحصن بها في ألف رجل ، فحاصراه حتى نزل على حكمهم فقتلوه . وفي هذا الخبر بعض الهون لأنّ الصحيح أنّ عمرا ملك مصر بعد صفّين ، وقيس ولاء عليّ لأول بيعته ، وقد قيل ان ابن أبي حذيفة لما حوَصر عثمان بالمدينة أخرج هو ابن أبي سرح عن مصر وضبطها ، وأقام ابن أبي سرح بفلسطين حتى جاء الخبر بقتل عثمان وبيعة عليّ وتوليته قيس بن سعد على مصر ، فأقام بمعاوية . وقيل إنّ عمراً سار إلى مصر بعد صفّين فبرز إليه ابن أبي حذيفة في العساكر وخادعه في الرجوع إلى بيعة عليّ ، وأن يجتمعا لذلك بالعريش في غير جيش من الجنود ، ورجع إلى معاوية عمرو فأخبره ، ثم جاء إلى ميّعاده بالعريش وقد استعدّ بالجنود وأكمنهم خلفه حتى إذا التقيا طلعا على أثره فتبين ابن أبي حذيفة الغدر فتحصن بقصر العريش إلى أن نزل على حكم عمرو . وبعث به إلى معاوية فحبسه إلى أن قرّ من محبسه فقتل ، وقيل إنّما بعثه عمرو إلى معاوية عند مقتل محمد بن أبي بكر وآته أمّنه ثم حمّله إلى معاوية فحبسه بفلسطين .

ولاية قيس بن سعد على مصر

كان عليّ قد بعث إلى مصر لأوّل بيعته قيس بن سعد أميراً في صفر من سنة ست وثلاثين وأذن له في الإكثار من الجنود وأوصاه فقال له : لو كنت لا أدخلها إلّا بجند آتي بهم من المدينة لا أدخلها أبداً فانا أدع لك الجند تبعثهم في وجوهك ، وخرج في سبعة من أصحابه حتى أتى مصر وقرأ عليهم كتاباً يعلمهم بمبايعته وطاعته وآته أميرهم ، ثم خطب فقال بعد أن حمداً لله : أيها الناس قد بايعنا خير من نعلم بعد نبينا فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله . فبايعه الناس واستقامت مصر ، وبعث عليها عمّاله إلّا بعض القرى كان فيها قوم يدعون إلى الطلب بدم عثمان ، مثل يزيد بن الحرث ومسلمة بن مخلد ، فهادنهم وجبى الخراج وانقضى أمر الحمل وهو بمصر . وخشي معاوية أن يسير إليه عليّ في أهل العراق وقيس من ورائه في أهل مصر ، فكتب إليه يعظم قتل عثمان ويطوّقه عليّاً ويحضّه على البراءة من ذلك ومتابعته على أمره على أن يوليه العراقيين إذا ظفروا ولا يعزله ، يوليّ من أراد من أهله الحجاز

كذلك ، ويعطيه ما شاء من الأموال . فنظر في أهله بين موافقته أو معاجلته بالحرب فآثر الموافقة ، فكتب إليه : «أما بعد فإني لم أقارف^(١) شيئا مما ذكرته وما اطلعت لصاحبي على شيء منه . وأما متابعتك فانظر فيها وليس هذا مما يسرع إليه ، وأنا كاف عنك فلا يأتيك شيء من قبلي تكرهه حتى نرى وترى » . فكتب إليه معاوية : «إني لم أرك تدنو فأعدك سلما ولا تتباعد فأعدك حربا ، وليس مثلي بصانع المخادع وينخدع للمكايد ومعه عدد الرجال وأعنة الخيل والسلام» . فلم ييسر أن المدافعة لا تنفع معه فأظهر له ما في نفسه ، وكتب إليه بالرد القبيح والشتم والتصريح بفضل عليّ والوعيد ، فحينئذ أيسر معاوية منه وكاده من قبل علي ، فأشاع في الناس أن قيسا شيعة له تأتينا كتبه ورساله ونصائحه وقد ترون ما فعل باخوانكم القائمين بثار عثمان وهو يجري عليهم من الأعطية والارزاق ، فأبلغ ذلك إلى عليّ محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر وعيونه بالشام فأعظم ذلك ، وفأوض فيه الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر ، فقال له عبدالله : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك واعزله عن مصر . ثم جاء كتابه بالكفّ عن قتال المعتزلين فقال ابن جعفر : مره بقتالهم خشية أن تكون هذه ممالاة . فكتب إليه يأمره بذلك فلم ير قيس ذلك رأيا وقال : متى قاتلناهم ساعدوا عليك عدوك وهم الآن معتزلون والرأي تركهم . فقال ابن جعفر : يا أمير المؤمنين ابعث محمد بن أبي بكر على مصر ، وكان أخاه لأمه ، واعزل قيسا فبعثه . وقيل بعث قبله الأشتر النخعي ، ومات بالطريق ، فبعث محمد ولما قدم محمد على قيس خرج عنها مغضبا إلى المدينة وكان عليها مروان بن الحكم فأخافه ، فخرج هو وسهل بن حنيف إلى عليّ . وكتب معاوية إلى مروان يعاتبه لو أمددت عليا بمائة ألف مقاتل كان أيسر عليّ من قيس بن سعد .

ولما قدم قيس على عليّ وكشف له عن وجه الخبر قبل عذره وأطاعه في أمره كله ، وقدم محمد مصر فقرأ كتاب عليّ على الناس وخطبهم^(٢) ، ثم بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كان قيس وادعهم . ادخلوا في طاعتنا أو اخرجوا عن بلادنا . فقالوا : دعنا حتى ننظر . وأخذوا حذرهم ، ولما انقضت صفين وصار الأمر إلى التحكيم

(١) وفي النسخة الباريسية : لم افارق .

(٢) وفي النسخة الباريسية : خاطبهم .

بارزوه وبعث العساكر إلى يزيد بن الحرث الكناني بخربتا وعليهم الحرث بن جمهان فقتلوه ثم بعث آخر فقتلوه .

مبايعة عمرو بن العاص لمعاوية

لما أحيط بعثمان خرج عمرو بن العاص إلى فلسطين ومعه ابنه عبدالله ومحمد ، فسكن بها هارباً مما توقعه من قتل عثمان إلى أن بلغه الخبر بقتله ، فارتحل يبكي ويقول كما تقول النساء ، حتى أتى دمشق فبلغه بيعة عليّ ، فاشتدّ عليه الأمر وأقام ينتظر ما يصنعه الناس ، ثم بلغه مسير عائشة وطلحة والزبير فأمل فرجا من أمره ، ثم جاءه الخبر بوقعة الحمل فارتاب في أمره . وسمع أن معاوية بالشام لا يبايع عليّاً وأنه يعظم قتل عثمان ، فاستشار إبنه في المسير إليه ، فقال له ابنه عبدالله توفي النبي صلى الله عليه وسلم والشيخان بعده وهم راضون عنك فأرى أن تكف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس . وقال له محمد : أنت ناب من أنياب العرب وكيف يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صيت . فقال : يا عبدالله أمرتني بما هو خير لي في ديني ، ويا محمد أمرتني بما هو خير لي في دنياي وشرّ لي في آخرتي . ثم خرج ومعه ابنه حتى قدم على معاوية فوجدوهم يطلبون دم عثمان ، فقال : أنتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم . فأعرض معاوية قليلاً ، ثم رجع إليه وشركه في سلطانه .

أمر صفين

لما رجع عليّ بعد وقعة الحمل إلى الكوفة مجمعا على قصد الشام ، بعث إلى جرير بن عبدالله البجلي بهمدان وإلى الأشعث بن قيس باذريجان وهما من عمّال عثمان بأن يأخذا له البيعة ويحضرا عنده ، فلما حضرا بعث جرير إلى معاوية يعلمه ببيعته ونكث طلحة والزبير وحزبهما ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس ، فلما قدم عليه طاولة في الجواب وحمل أهل الشام ليرى جرير قيامهم في دم عثمان واتهامهم عليّاً به ، وكان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان ملوثاً بالدم كما قدّمناه وبأصابع زوجته نائلة ، وضع معاوية القميص على المنبر والأصابع من فوقه ، فمكث الناس يكون مدّة وأقسموا ألاّ يمسه ماء إلاّ لحنابة ولا يناموا على فراش حتى يثأروا لعثمان ومن حال دون ذلك قتلوه . فرجع جرير بذلك إلى عليّ وعذله الأشتر في بعث

جرير وأنه طال مقامه حتى تمكن أهل الشام من رأيهم^(١) ، فغضب لذلك جرير ولحق بقرقيسيا واستقدمه معاوية فقدم عليه . وقيل ان شرحبيل بن السمط الكندي اشار على معاوية برّد جرير لأجل منافسة كانت بينهما منذ أيام عمر ، وذلك أن شرحبيل كان عمر بن الخطاب بعثه إلى سعد بالعراق ليكون معه فقربه سعد وقدمه ونافسه له أشعث بن قيس ، فأوصى جريرا عند وفادته على عمر أن ينال من شرحبيل عنده ، ففعل فبعث عمر شرحبيل إلى الشام فكان يحقد ذلك على جرير ، فلما جاء إلى معاوية أغراه شرحبيل به وحمله على الطلب بدم عثمان .

ثم خرج عليّ وعسكر بالنخيلة واستخلف على الكوفة أبا مسعود الأنصاري وقدم عليه عبدالله بن عباس في أهل البصرة ، وتجهّز معاوية وأغراه عمرو بقلّة عسكر عليّ واضطغان أهل البصرة له بمن قتل منهم ، وعبى معاوية أهل الشام وعقد لعمر وولابنيه وغلّامه وردان الألوية . وبعث عليّ في مقدمته زياد بن النضر الحارثي في ثمانية آلاف وشريح بن هانيء في أربعة آلاف ، وسار من النخيلة إلى المدائن واستنفر من كان بها من المقاتلة وبعث منها معقل بن قيس في ثلاثة آلاف يسير من الموصل ويوافيه بالرقّة . وولّى عليّ على المدائن سعد بن مسعود الثقفي عمّ المختار بن أبي عبيد ، وسار فلما وصل إلى الرقة نصب له جسر فعبّر وجاء زياد وشريح من ورائه ، وكانا سمعا بمسير معاوية وخشيا أن يلقاها معاوية وبينهما وبين عليّ البحر ورجعا إلى هيت وعبر الفرات ، ولحقا بعليّ فقدّمها امامه ، فلما أتيا إلى سور الروم لقيهما أبو الأعور السلمي في جند من أهل الشام فطاولاه وبعثا إلى عليّ فسرح الأشتر وأمره أن يجعلهم على محبتيه ، وقال : لا تقاتلهم حتى آتيك . وكتب إلى شريح وزياد بطاعته فقدم عليهما وكف عن القتال سائر يومه حتى حمل عليهم أبو الأعور بالعشيّ فاقتلوا ساعة وافترقوا ، ثم خرج من الغداة وخرج إليه من أصحاب الأشتر هاشم بن عتبة المرقال واقتلوا عامة يومهم . وبعث الأشتر سنان بن مالك النخعيّ إلى أبي الأعور السلميّ يدعوه إلى البراز فأبى وحجز بينهم الليل ، ووافاهم من الغد عليّ وعساكره ، فتقدم الأشتر وانتهى إلى معاوية ولحق به عليّ . وكان معاوية قد ملك شريعة الفرات فشكى الناس إلى عليّ العطش فبعث صعصعة بن صوحان إلى معاوية : «بأنّا سرنا ونحن عازمون على الكفّ عنكم حتى نعذر إليكم فسابقنا جندكم بالقتال ونحن رأينا

(١) وفي النسخة الباريية : من ورائهم .

الكفّ حتى ندعوك ونحتج عليك وقد منعتم الماء والناس غير منتهين فابعث إلى أصحابك يخلّون عن الماء للورد حتى ننظر بيننا وبينكم وإن أردت القتال حتى يشرب الغالب فعلنا». فأشار عمرو بن العاص بتخلية الماء لهم ، وأشار ابن أبي سرح والوليد بن عقبة بمنعهم الماء ، وعرضوا بشتم فتشاتم معهم صعصعة ورجع ، وأوعز إلى أبي الأعور بمنعهم الماء وجاء الأشعث بن قيس إلى الماء فقاتلهم عليه ثم أمر معاوية أبا الأعور يزيد بن أبي أسد القسري جدّ خالد بن عبد الله ثم بعمرو بن العاص بعده ، وأمر عليّ الأشعث بشبث بن ربعي ثم بالأشتر وعليهم أصحاب عليّ وملكوا الماء عليهم ، وأرادوا منعهم منه فنهاهم عليّ عن ذلك .

وأقام يومين ثم بعث إلى معاوية أبا عمر وبشير بن عمرو بن محسن الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التيمي ، يدعوهم إلى الطاعة وذلك أول ذي الحجة سنة ست وثلثين ، فدخلوا عليه وتكلّم بشير بن عمرو بعد حمدا لله والثناء عليه والموعظة الحسنة وناشده الله أن لا يفرّق الجماعة ولا يسفك الدماء ، فقال : هلاًّ أوصيت بذلك صاحبك . فقال بشير : ليس مثلك أحق بالأمر بالسابقة والقراية . قال : فما رأيك ؟ قال : تجيبه إلى ما دعا إليه من الحق ، قال معاوية : ونترك دم عثمان لا والله لا أفعله أبدا ! ثم قال شبث بن ربعي : يا معاوية إنما طلبت دم عثمان تستميل به هؤلاء السفهاء الطغام إلى طاعتك ، ولقد علمنا أنك أبطأت على عثمان بالنصر لطلب هذه المنزلة فاتق الله ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله . فأجابه معاوية وأبدع في سبّه وقال : انصرفوا فليس بيني وبينكم إلا السيف . فقال له شبث : أقسم بالله لنعجلنها^(١) لك . ورجعوا إلى عليّ بالخبر .

وأقاموا يقتتلون أيام ذي الحجة كلها عسكر من هؤلاء وعسكر من هؤلاء ، وكرهوا أن يلقوا جمع أهل العراق بجمع أهل الشام حذرا من الاستئصال والهلاك . ثم جاء المحرم فذهبوا إلى الموادة حتى ينقضي طمعا في الصلح ، وبعث إلى معاوية عدي بن حاتم ويزيد بن قيس الأرحبي وشبث بن ربعي وزياد بن خصفة^(٢) ، فتكلّم عدي بعد الحمد والثناء ودعا إلى الدخول في طاعة عليّ ليجمع الله به الكلمة فلم يبق غيرك ومن معك واحذريا معاوية أن يصيبك وأصحابك مثل يوم الجمل . فقال معاوية :

(١) وفي نسخة أخرى : لنجعلنها لك .

(٢) وفي نسخة أخرى : زياد بن خصفة .

كأنك جئت مهدداً لا مُصلحاً هيهات يا عدي أنا ابن حرب والله ما يقعق لي بالشنان
وأنك من قتلة عثمان وأرجو أن يمتلك الله به . فقال له يزيد بن قيس : إنما أتيناك
رسلاً ولا ندع مع ذلك النصيح والسعي في الالفة والجماعة وذكر من فضل عليّ
واستحقاقه للأمر بتقواه وزهده . فقال معاوية بعد الحمد والثناء : أمّا الجماعة التي
تدعون إليها فهي معنا وأمّا طاعة صاحبكم فلا تراها لأنه قتل خليفتنا وآوى أهل ثأرنا
ونحن مع ذلك نجيبكم إلى الطاعة والجماعة إذا دفع إلينا قتلة عثمان . فقال شُبث بن
ربيع : أيسرك يا معاوية أن تقتل عمّاراً ؟ قال : نعم بمولاه . قال شُبث : حتى
تضيق الأرض والفضاء عليك . فقال معاوية : لو كان ذلك لكنت عليك أضيق .
وافترقوا عن معاوية ثم خلا بزياد بن خصفة وشكى إليه من عليّ وسأله النصر منه
بعشيرته وأن يولّيه أحد المصريين ، فأبى وقال : إني على بينة من ربي فلن أكون
ظهيرا للمجرمين . وقام عنه فقال معاوية لعمره : كأن قلوبهم قلب رجل واحد .

ثم بعث معاوية إلى عليّ حبيب بن مسلمة وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن
الأخنس فدخلوا عليه ، فتكلّم حبيب بعد الحمد لله والثناء فقال : إن عثمان كان
خليفة مهدياً يعمل بكتاب الله وينيب إلى أمره فاستثقلتم حياته واستبطأتم موته
فقتلتموه فادفع إلينا قتله إن كنت لم تقتله ثم اعترل أمر الناس فيولّوا من أجمعوا
عليه . فقال عليّ : ما أنت وهذا الأمر ؟ فاسكت فاستبأه له ، فقال والله لتراني
بحيث تكره ، فقال : وما أنت لا أبقي الله عليك ان ابقيت اذهب فصوب وصعد ،
ثم تكلّم بعد الحمد لله والثناء وهداية الناس بمحمد صلى الله عليه وسلم وخلافة
الشيخين وحسن سيرتهما ، وقد وجدنا عليهما أن تولّيا ونحن أقرب منهما إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكن سمحنا لهما^(١) بذلك ، وولي عثمان فعاب الناس عليه وقتلوه ،
ثم بايعوني مخافة الفرقة فأجبتهم ، ونكث عليّ رجلاً وخالف صاحبكم الذي ليس
له مثل سابقتي ، والعجب من انقيادكم له دون بيت نبيكم ولا ينبغي لكم ذلك ،
وأنا أدعوكم إلى الكتاب والسنة ومعالم الدين وإمارة الباطل وإحياء الحق فقالوا :
نشهد أن عثمان قتل مظلوماً ، فقال : لا أقول مظلوماً ولا ظالماً . قالوا : فمن لم يقل
ذلك فنحن منه برآء وانصرفوا . فقرأ عليّ انك لا تسمع الموتى الآية ثم ، قال
لأصحابه : لا يكن هؤلاء في ضلالهم أجداً منكم في حقكم .

(١) وفي نسخة أخرى : ساعناهما .

ثم تنازع عدي بن حاتم في راية طيء وعامر بن قيس الحزمري^(١) وكان رهطه أكثر من رهط عدي ، فقال عبدالله بن خليفة البولاني : ما فينا أفضل من عدي ولا من أبيه حاتم ولم يكن في الإسلام أفضل من عدي وهو الوافد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس طيء في النخيلة والقادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند وتستر ، وسأل عليّ قومهم فوافقوه على ذلك فقصى بها لعديّ . ولما انسلخ المحرم نادى عليّ في الناس بالقتال وعبّى الكتائب وقال : لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فاذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا ولا تأخذوا مالا ولا تهيجوا امرأة وإن شتمتكم فإنهنّ ضعاف الأنفس والقوى ، ثم حرّضهم ودعا لهم وجعل الأشتر على خيل الكوفة وسهل بن حنيف على خيل البصرة وقيس بن سعد على رجالة البصرة وعمار بن ياسر على رجالة الكوفة وهاشم بن عتبة معه الراية ومُسعر بن فدكي على القراء ، وعبّى معاوية كتائبه فجعل على الميمنة ذا الكلاع الحميري وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة ، وعلى المقدّمة أبا الأعور وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص وعلى رجّالتها مسلم بن عقبة المُرّي . وعلى الناس كلهم الضحّاك بن قيس . وتبايع رجال من أهل الشام على الموت فعقلوا أنفسهم بالعائم في خمسة صفوف فاقتلوا عامة يومهم ، وفي اليوم الثاني هاشم بن عتبة وأبو الأعور السلميّ ، وفي اليوم الثالث عمار بن ياسر وعمرو بن العاص فاقتلوا أشدّ قتال وحمل عمار فأزال عمرا عن موضعه ، وفي اليوم الرابع محمد بن الحنفية وعبيدالله بن عمر بن الخطاب وتداعيا إلى البراز فردّ عليّ ابنه وتراجعوا ، وفي اليوم الخامس عبدالله بن عباس والوليد بن عقبة فاقتلوا كذلك ، ثم عاد في اليوم السادس الأشتر وحبيب فاقتلوا قتالا شديدا وانصرفا .

وخطب عليّ الناس عشية يومه^(٢) وأمرهم بمناهضة القوم بأجمعهم وأن يطيلوا ليلتهم القيام ، ويكثروا التلاوة ويدعوا الله بالنصر والصبر ، ويرموا^(٣) غدا في لقاءهم بالجدّ والحزم . فبات الناس يصلحون ليلتهم سلاحهم ، وعبّى عليّ الناس ليلته إلى الصباح ، وزحف وسأل عن القبائل من أهل الشام وعرف مواقعهم وأمر كل قبيلة أن تكفيه أختها من الشام ، ومن ليس منهم أحد بالشام يصرفهم إلى من ليس منهم أحد

(١) وفي نسخة أخرى : الجرهمي .

(٢) وفي نسخة أخرى : عشية يومهم .

(٣) وفي النسخة الباريسية : ويدنوني الكامل : القوم .

بالعراق مثل بجيلة صرفهم الى لخم . وخرج معاوية في أهل الشام فاقتلوا يوم الأربعاء قتالا شديدا عامة يومهم ثم انصرفوا ، وغلس عليّ يوم الخميس بالزحف وعلى ميمنته عبدالله بن بُدِيل بن ورقاء وعلى ميسرته عبدالله بن عباس والقراء مع عمار وقيس بن سعد وعبدالله بن يزيد والناس على راياتهم ومراكزهم ، وعليّ في القلب بين أهل الكوفة والبصرة ومعه أهل البصرة والكوفة ومعه أهل المدينة من الأنصار وخزاعة وكنانة .

ورفع معاوية قبة عظيمة وألقى عليها الثياب وبايعه أكثر أهل الشام على الموت ، وأحاط بقبته خيل دمشق^(١) وزحف ابن بُدِيل في الميمنة فقاتلهم إلى الظهر وهو يحرّض أصحابه . ثم كشف خيلهم واضطروهم إلى قبة معاوية ، وجاء الذين تبايعوا على الموت إلى معاوية فبعثهم إلى حبيب فحمل بهم على ميمنة أهل العراق فانجفل الناس عن ابن بُدِيل إلا ثلثمائة أو مائتين من القراء وانتهت الهزيمة إلى عليّ ، وأمدّه عليّ بسهل بن حنيف في أهل المدينة فاستقبلهم جموع عظيمة لأهل الشام ففنعهم ، ثم انكشفت مضر من الميسرة وثبتت ربيعة وجاء عليّ يمشي نحوهم فاعترضه أحمر مولى أبي سفيان فحال دونه كيسان مولاه فقتله أحمر ، فتناول عليّ أحمر من درعه فجذبه وضرب به الأرض وكسر منكبيه وعضديه ، ثم دنا من ربيعة فصبرهم وثبت أقدامهم وتنادوا بينهم إن أصيب بينكم أمير المؤمنين افتضحتم في العرب ، وكان الأشتر مرّ به راكضا نحو الميمنة واستقبل الناس منهزمين فأبلغهم مقالة عليّ : أين فراركم من الموت الذي لا تعجزوه^(٢) إلى الحياة التي لا تبقى لكم ، ثم نادى أنا الأشتر فرجع إليه بعضهم فنادى مذحجا وحرّضهم فأجابوه ، وقصد القوم واستقبله شباب من همدان ثمانمائة أو نحوها وكان قد هلك منهم في ذلك اليوم أحد عشر رئيسا وأصيب منهم ثمانون ومائة وزحف الأشتر نحو الميمنة ، وتراجع الناس واشتدّ القتال حتى كشف أهل الشام وألحقهم بمعاوية عند الاصفرار وانتهى إلى ابن بُدِيل في مائتين أو ثلثمائة من القراء قد لصقوا بالأرض ، فانكشفوا عنهم أهل الشام وأبصروا إخوانهم وسألوا عن عليّ فقليل لهم هو في الميسرة يقاتل ، فقال ابن بُدِيل استقدموا بنا ونهاه الأشتر فأبى ومضى نحو معاوية وحوله أمثال الجبال تقتل كل من دنا منه حتى وصل

(١) وفي النسخة الباريسية : وأحاط نفسه بخيل دمشق .

(٢) الصحيح ان تقول : لا تعجزونه .

الى معاوية ، فنهض إليه الناس من كل جانب وأحيط به فقتل وقتل من أصحابه
ناس ورجع آخرون مجرحين^(١) وأهل الشام في اتباعهم ، فبعث الأشتر من نفس
عنهم حتى وصلوا إليه وزحف الأشتر في همدان وطوائف من الناس فأزال أهل الشام
عن مواقفهم حتى ألحقهم بالصفوف المعقلة بالعمائم حول معاوية ، ثم حمل أخرى
فصرع منهم أربعة صفوف حتى دعا معاوية بفرسه فركبه ، وخرج عبدالله بن أبي
الحصين الأزدي في القراء الذين مع عمّار فقاتلوا ، وتقدّم عقبة بن حديد النميري
مستميتا ومعه إخوته وقاتلوا حتى قتلوا ، وتقدّم شمر بن ذي الجوشن مبارزا فضرب
أدهم بن محرز الباهليّ وجهه بالسيف وحمل هو على أدهم فقتله ، وحمل قيس بن
المكشوح^(٢) ومعه راية بجيلة فقاتل حتى أخذها آخر كذلك .

ولما رأى عليّ أهل ميمنة أصحابه قد عادوا إلى مواقفهم وكشفوا العدو قبالتهم أقبل
إليهم وعذلهم بعض الشيء عن مفرّهم وأثنى على وجوههم ، وقاتل الناس قتالا
شديدا وتبارز الشجعان من كل جانب وأقبلت قبائل طيء والنخع وخرجت حمير من
ميمنة أهل الشام ، وتقدّم ذو الكلاع ومعهم عبيدالله بن عمر بن الخطاب فقصد
ربيعة في ميسرة أهل العراق وعليهم ابن عباس وحملوا عليهم حملة شديدة فثبتت
ربيعة وأهل الحفاظ منهم وانهمزم الضعفاء والفسلة ، ثم رجعوا ولحقت بهم عبد القيس
وحملوا على حمير فقتل ذو الكلاع وعبيدالله بن عمر وأخذ سيف ذي الكلاع وكان
لعمر ، فلما ملك معاوية العراق أخذه من قاتله . ثم خرج عمّار بن ياسر وقال اللهم
اني لا أعمل اليوم عملا أرضى من جهاد هؤلاء الفاسقين ثم نادى من سعى في
رضوان ربّه فلا يرجع إلى مال ولا ولد فأثاه عصابة فقال : « اقصدوا بنا هؤلاء الذين
يطلبون بدم عثمان يخادعون بذلك عمّا في نفوسهم من الباطل » ، ثم مضى فلا يمرّ بواد
من صفين الا اتبعه من هناك من الصحابة . ثم جاء الى هاشم بن عتبة وكان صاحب
الراية فأنهضه حتى دنا من عمرو بن العاص وقال : يا عمرو بعت دينك بمصر ؟ تبّا
لك فقال : إنما أطلب دم عثمان ، فقال : أشهد أنك لا تطلب وجه الله في كلام
كثير من أمثال ذلك وأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في عمّار تقتله الفئة
الباغية .

(١) وفي نسخة أخرى : مجروحون .

(٢) المكشوح لقب واسمه هبيرة اهـ .

ولما قتل عمار حمل عليّ وحمل معه ربيعة ومضر وهذان حملة منكرة فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض حتى بلغوا معاوية فناداه عليّ : علام يقتل الناس بيننا هلم أحاكمك إلى الله فأينا قتل صاحبه استقام له الامر ، فقال له عمرو : أنصفك . فقال له معاوية : لكنك ما أنصفت . وأسر يومئذ جماعة من أصحاب عليّ فترك سبيلهم ، وكذلك فعل عليّ . ومرّ عليّ بكتيبة من الشام قد ثبتوا فبعث إليهم محمد ابن الحنفية فازالهم عن مواقفهم ، وصرع عبدالله بن كعب المرادي فرّبه الأسود بن قيس فأوصاه بتقوى الله والقتال مع عليّ ، وقال أبلغه عني السلام ، وقال له قاتل عليّ ^(١) المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك فإنه من أصبح غدا والمعركة خلف ظهره فإنه العالي .

ثم اقتتل الناس إلى الصباح وهي ليلة الجمعة وتسمّى ليلة الهرير ، وعليّ يسير بين الصفوف ومحرض كل كتيبة على التقدم حتى أصبح والمعركة كلها خلف ظهره ، والأشتر في الميمنة وابن عباس في الميسرة والناس يقتتلون من كل جانب وذلك يوم الجمعة . ثم ركب الأشتر ودعا الناس إلى الحملة على أهل الشام فحمل حتى انتهى إلى عسكرهم وقتل صاحب رايتهم ، وأمدّه عليّ بالرجال ، فلما رأى عمرو شدة أهل العراق وخاف على أصحابه الهلاك ، قال لمعاوية : مر الناس يرفعون المصاحف على الرماح ويقولون كتاب الله بيننا وبينكم فإن قبلوا ذلك ارتفع عنا القتال وإن أبى بعضهم وجدنا في افتراقهم راحة . ففعلوا ذلك ، فقال الناس : نجيب إلى كتاب الله فقال لهم عليّ : « يا عباد الله امضوا على حقكم وقاتل عدوكم فإن معاوية وابن أبي معيط وحبيبا وابن أبي سرح والضحّاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم صحبتهم أطفالا ورجالا فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال ، وبحكم والله ما رفعوها إلا مكيدة وخديعة » . فقالوا : لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فلا نقبل ، فقال : إنما قتلناهم ليدنوا بكتاب الله فإنهم نبذوه . فقال له مسعر بن فدك التيمي وزيد بن حصين الطائي في عصابة من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك : يا عليّ أجب إلى كتاب الله وإلا دفعنا إرمتك إلى القوم . أو فعلنا بك ما فعلنا بابن عفان . فقال : إن تطيعوني فقاتلوا وإن تعصوني فافعلوا ما بدا لكم ، قالوا : فابعث إلى الأشتر وكفه عن القتال ، فبعث إليه يزيد بن هانيء بذلك فأبى ، وقال : قد رجوت أن يفتح

(١) وفي النسخة الباريية : عن المعركة .

الله لي فلما جاء يزيد بذلك ارتج الموقف باللفظ ، وقالوا لعليّ : ما نراك إلا أمرته بقتال فابعث إليه فليأتك وإلا اعتزلناك ، فقال عليّ : ويحك يا يزيد قل له أقبل إليّ فإن الفتنة قد رفعت ، فقال : أرفع المصاحف ؟ فقال : نعم قال : لقد ظننت أن ذلك يوقع فرقة كيف ندع هؤلاء ونصرف والفتح قد وقع ، فقال يزيد : تحب أن تظفر وأمير المؤمنين يُسلم إلى عدوّه أو يقتل ، ثم أقبل إليهم الأشتر وأطال عتبيهم ، وقال امهلوني فواقا فقد احسست بالفتح ، فأبوا فعذّهم وأطال في عذّهم ، فقالوا دعنا يا أشتر قاتلناهم لله ، فقال : بل خدعتم فأنخدعتم . ثم كثرت الملاحاة بينهم وتشاتموا فصاح بهم عليّ فكفّوا ، فقال له الأشعث بن قيس : إن الناس قد رضوا بما دعوا إليه من أحكم القرآن فإن شئت أتيت معاوية وسألته ما يريد . قال : افعل . فأتاه وسأله : لأيّ شيء رفعت المصاحف ؟ قال : لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به من كتابه تبعثون رجلا ترضونه ، ونحن آخر ونأخذ عليها أن يعملوا بما في كتاب الله لا يعدوانه . ثم نتبع ما اتفقا عليه ، فقال الأشعث هذا الحق ورجع إلى عليّ والناس وأخبرهم ، فقال الناس رضينا وقبلنا ، ورضي أهل الشام عمرا ، وقال الأشعث وأولئك القراء الذين صاروا خوارج : رضينا بأبي موسى ، فقال عليّ لا أرضاه فقال الأشعث ويزيد بن الحصين^(١) ومسر بن فذك : لا نرضى إلا به . قال فإنه ليس ثقة قد فارقتني وخذل الناس عني وهرب مني حتى أمّته بعد شهر ، قالوا لا نريد إلا رجلا هو منك ومن معاوية سواء ، قال فالأشتر ، قالوا : وهل سعر الأرض غير الأشتر ؟ قال : فاصنعوا ما بدا لكم . فبعثوا إلى أبي موسى وقد اعتزل القتال ، فقيل إن الناس قد اصطلحوا ، فحمد الله ، قيل وقد جعلوك حكما فاسترجع ، وجاء أبو موسى إلى العسكر وطلب الأحنف بن قيس من عليّ أن يجعله مع أبي موسى ، فأبى الناس من ذلك وحضر عمرو بن العاص عند عليّ لتكتب القضية بحضوره ، فكتبوا بعد البسملة هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين ، فقال : عمرو ليس هو بأمرنا ، فقال له الأحنف : لا تمحها فاني أتطير بمحوها فكث ملئاً ، ثم قال الأشعث : امحها . فقال عليّ : الله أكبر وذكر قصة الحديبية وفيها أنك ستدعى إلى مثلها فتجيبها ، فقال عمرو : وسبحان الله نشبه بالكفار ونحن مؤمنون . فقال عليّ : يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين ولياً وللمؤمنين عدوّاً ، فقال عمرو : والله لا يجمع بيني وبينك

(١) وفي النسخة الباريية زيد بن الحصن .

مجلس بعد اليوم ، فقال عليّ : أرجو أن يظهر الله مجلسي منك ومن أشباهك .
 وكتب الكتاب : « هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان
 قاضى عليّ على أهل الكوفة ومن معهم ومعاوية على أهل الشام ومن معهم أنا ننزل
 عند حكم الله وكتابه وأن لا يجمع بيننا غيره وأن كتاب الله بيننا من فاتحته إلى خاتمته
 نحبي ما أحيا ونميت ما أمات مما وجد الحكماء في كتاب الله . وهما أبو موسى عبد الله
 ابن قيس وعمرو بن العاص وما لم يجدا في كتب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة
 وأخذ الحكماء من عليّ ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق أنها آمان على أنفسهما
 وأهليهما والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه ، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن
 العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة ولا يورداها في حرب ولا فرقة حتى
 يقضيا ، وأجلا القضاء إلى رمضان وإن أحبّا أن يؤخرا ذلك أخراه وأن مكان قضيتهما
 مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام » . وشهد رجال من أهل العراق ورجال من
 أهل الشام وضعوا خطوطهم في الصحيفة ، وأبى الأشر أن يكتب اسمه فيها وحاورة
 الأشعث في ذلك فأساء الردّ عليه وتهدّده . وكتب الكتاب لثلاث عشرة خلت من
 صفر سنة سبع وثلاثين . واتفقوا على أن يوافي عليّ موضع الحكمين بدومة الجندل
 وبأذرح في شهر رمضان ، ثم جاء بعض الناس إلى عليّ يحضه على قتال القوم فقال :
 لا يصلح الرجوع بعد الرضى ولا التبديل بعد الإقرار .
 ثم رجع الناس عن صفّين ورجع عليّ ، وخالفت الحرورية وأنكروا تحكيم الرجال
 ورجعوا على غير الطريق الذي جاؤا فيه حتى جازوا النخيلة ورأوا بيوت الكوفة ، ومرّ
 عليّ بقبر خباب بن الأرت توفي بعد خروجه فوقف واسترحم له ، ثم دخل الكوفة فسمع
 رجة البكاء في الدور فقال يبكين على القتلى فترحم لهم ، ولم يزل يذكر الله حتى
 دخل القصر فلم تدخل الخوارج معه وأتوا حرورا فترلوا بها في اثني عشر ألفا ، وقدموا
 شبت بن عمر التيمي أمير القتال وعبيد الله بن الكوا الشكري أمير الصلاة ، قالوا
 البيعة لله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأمر شورى بعد الفتح . فقالوا
 للناس بايعتم عليّا إنكم أولياء من وإلى وأعداء من عادى ، وبايع أهل الشام معاوية
 على ما أحب وكرهوا فلم يستم جميعا من الحق في شيء . فقال لهم زياد بن النضر : والله
 ما بايعناه إلا على الكتاب والسنة لكن لما خالفتموه تعيّنتم للضلال وتعيّننا للحق . ثم
 بعث عليّ عبد الله بن عباس إليهم قوال لا تراجعهم حتى آتيك فلم يصبر عن

مكالمتهم ، وقال : ما نقتنم من أمر الحكمين وقد أمر الله بهما بين الزوجين فكيف بالأمة فقالوا لا يكون هذا بالرأي والقياس فإن ذلك جعله الله حكما للعباد وهذا أمضاه كما أمضى حكم الزاني والسارق . قال ابن عباس : قال الله تعالى يحكم به ذو عدل منكم ، قالوا والأخرى كذلك وليس أمر الصيد والزوجين كدماء المسلمين . ثم قالوا له : قد كنّا بالأمس نقاتل عمرو بن العاص فان كان عدلا فعلى ما قتلناه وان لم يكن عدلا فكيف يسوغ تحكيمه ؟ وأنتم قد حكتم الرجال في أمر معاوية وأصحابه والله تعالى قد أمضى حكمه فيهم أن يقتلوا أو يرجعوا وجعلتم بينكم المودة في الكتب وقد قطعها الله بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة .

ثم جاء عليّ إلى فسطاط يزيد بن قيس منهم بعد أن علم أنهم يرجعون إليه في رأيهم ، فصلّى عنده ركعتين وولّاه على أصبهان والريّ ، ثم خرج إليهم وهم في مجلس ابن عباس فقال من زعيمكم قالوا : ابن الكوّ قال : فما هذا الخروج ؟ قالوا لحكومتكم يوم صفين ، قال أنشدكم الله أتعلمون أنّه لم يكن رأيي وإنما كان رأيكم مع أنّي اشتطت على الحكمين أن يحكما بحكم القرآن فان فعلا فلا ضير وإن خالفا فلا خير ونحن برآء من حكمهم ، قالوا فتحكيم الرجال في الدماء عدل ؟ قال إنّنا حكمنا القرآن إلا أنّه لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال ، قالوا : فلم جعلتم الأجل بينكم ؟ قال لعلّ الله يأتي فيه بالهدنة بعد افتراق الأمة فرجعوا إلى رأيهم ، وقال ادخلوا مصركم فلنمكث ستة أشهر حتى يجبي المال ويسمن الكراع ثم نخرج إلى عدونا فدخلوا من عند آخرهم .

أمر الحكمين

ولما انقضى الأجل وحان وقت الحكمين بعث عليّ أبا موسى الأشعري في أربعائة رجل عليهم شريح بن هانئ الحارثي ومعهم عبدالله بن عباس يصلى بهم ، وأوصى شريحا بموعظة عمر ، فلما سمعها قال متى كنت أقبل مشورة عليّ وأعتدّ برأيه ؟ قال وما يمنعك أن تقبل من سيد المسلمين ، وأساء الردّ عليه فسكت عنه . وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعائة من أهل الشام والتقوا بأذرح من دومة الجندل ، فكان أصحاب عمرو أطوع من أصحاب ابن عباس لابن عباس ، حتى لم يكونوا يسألوه عن كتاب معاوية إذا جاءه ، ويسأل أهل العراق ابن عباس ويتهمونّه ، وحضر مع الحكمين :

عبدالله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبدالله بن الزبير ، وعبد الرحمن ابن الحرث بن هشام ، وعبد الرحمن بن عديغوث الزهري ، وأبوجهم بن حذيفة العدوي ، والمغيرة بن شعبة ، وسعد بن أبي وقاص على خلاف فيه ، وقيل قدم على حضوره فأحرم بعمره من بيت المقدس .

ولما اجتمع الحكمان قال عمرو لأبي موسى : أتعلم أن عثمان قتل مظلوما وأن معاوية وقومه أولياؤه ، قال : بلى ، قال : فما يمنعك منه وهو في قريش كما علمت وإن قصرت به السابقة قدمه حسن السياسة وأنه صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتبه وصاحبه والطالب بدم عثمان وعرض بالولاية ، فقال أبو موسى : يا عمرو اتق الله واعلم أن هذا الأمر ليس بالشرف وإلا لكان لآل أبرهة بن الصبح وإنما هو بالدين والفضل مع أنه لو كان بشرف قريش لكان لعلي بن أبي طالب وما كنت لأرى لمعاوية طلبه دم عثمان وأوليه وأدع المهاجرين الأولين . وأما تعريضك بالولاية فلو خرج لي معاوية عن سلطانه ما وليته وما أرتشي في حكم الله ، ثم دعاه إلى تولية عبدالله بن عمر ، فقال له عمرو : فما يمنعك من ابني وهو من علمت ؟ فقال : هو رجل صدق ولكنك غمسته في الفتنة ، فقال عمرو : إن هذا الأمر لا يصلح إلا لرجل له ضرر يأكل ويطعم . وكانت في ابن عمر غفلة وكان ابن الزبير بازائه فنبهه لما قال ، فقال ابن عمر : لا أرشو عليها أبداً . ثم قال أبو موسى : يا ابن العاص إن العرب أسندت أمرها إليك بعد المقارعة بالسيوف فلا تردنهم في فتنة ، قال له : فخبّرني ما رأيك ، قال : أرى أن نخلع الرجلين ونجعل الأمر شورى يختار المسلمون لأنفسهم . فقال عمرو : والرأي ما رأيت .

ثم أقبلوا على الناس وهم ينتظرونهم ، وكان عمرو قد عود أبا موسى أن يقدمه في الكلام لما له من الصحبة والسن ، فقال : يا أبا موسى أعلمهم أن رأينا قد اتفق ، فقال : إنا رأينا أمراً نرجو الله أن يصلح به الأمة ، فقال له ابن عباس : ويحك أظنه خدعك فاجعل له الكلام قبلك ، فأبى وقال : أيها الناس إنا نظرنا في أمر الأمة فلم نر أصلح لهم مما اتفقنا عليه وهو أن نخلع عليا ومعاوية ويولي الناس أمرهم من أحبوا واني قد خلعتهما فولوا من رأيتموه أهلا ، فقال عمرو : إن هذا قد خلع صاحبه وقد خلعته كما خلعه وأثبت معاوية فهو ولي ابن عفان وأحق الناس بمقامه . ثم غدا ابن عباس وسعد على أبي موسى باللائمة فقال : ما أصنع غدرني ورجع باللائمة على

عمرو وقال لا وفكك الله غدرت وفجرت . وحمل شريح على عمرو فضربه بالسيف^(١) وضربه ابن عمر كذلك ، وحجز الناس بينهم ، فلحق أبو موسى بمكة وانصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية فسلموا عليه بالخلافة ، ورجع ابن عباس وشريح إلى علي بالخبر فكان يقنت إذا صلى الغداة ويقول اللهم إعن معاوية وعمرا وحبيبا وعبد الرحمن بن مخلد والضحّاك بن قيس والوليد وأبا الأعور ، وبلغ ذلك معاوية فكان إذ اقنت يلعن عليّا وابن عباس والحسن والحسين والأشتر^(٢) .

أمر الخوارج وقتالهم

ولما اعتزم عليّ أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه زُرعة بن البرح الطائي وحرقوص بن زهير السعديّ من الخوارج وقالوا له : تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم ، وقال عليّ : قد كتبنا بيننا وبينهم كتابا وعاهدناهم ، فقال حرقوص : ذلك ذنب تنبغي التوبة منه ، فقال عليّ : ليس بذنب ولكنه عجز من الرأي ، فقال زُرعة : لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلنك أطلب وجه الله ، فقال عليّ : بؤسا لك كأني بك قتيلا تسفى عليك الرياح ، قال : وددت لو كان ذلك . وخرجا من عنده يناديان لا حكم إلاّ لله ، وخطب عليّ يوما فتنادوا من جوانب المسجد بهذه الكلمة ، فقال عليّ : الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل ، وخطب ثانيا فقالوا كذلك ، فقال : أما أن لكم عندنا ثلاثا ما صحبتموننا لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا الفاء ما دمتم معنا ولا نقاتلكم حتى تبدؤنا وننتظر فيكم أمر الله .

ثم اجتمع الخوارج في منزل عبدالله بن وهب الراسبي^(٣) فوعظهم وحرّضهم على الخروج إلى بعض النواحي لإنكار هذه البدع ، وتبعه حرقوص بن زهير في المقالة ، فقال حمزة بن سنان الأسدي^(٤) : الرأي ما رأيتم لكن لا بدّ لكم من أمير وراية ، فعرضوها على زيد بن حصين الطائي ، ثم حرقوص بن زهير ، ثم حمزة بن سنان ، ثم

(١) وفي النسخة الباريّة : بالسوط .

(٢) قال ابن كثير في تاريخه : ان هذا لم يصحّ اهـ ولعلّ الدعاء كان لغير اللعن . قاله نصر .

(٣) وفي النسخة الباريّة : عبدالله بن وهيب الراسبي .

(٤) وفي نسخة أخرى : حمزه بن سنان الأزدي .

شريح بن أوفى العنسي فأبوا كلهم . ثم عرضوها على عبدالله بن وهب فأجاب فبايعوه
لعشر خلون من شوال ، وكان يقال له ذو الثفنيات . ثم اجتمعوا في منزل شريح
وتشاوروا . وكتب ابن وهب إلى أهل البصرة منهم يستحشدهم ^(١) على اللحاق بهم ،
ولما اعترموا على السير تعبدوا ليلة الجمعة ويومها ساروا ، فخرج معهم طرفة بن عدي
بن حاتم الطائي ، واتبعه أبوه إلى المدائن فلم يقدر عليه فرجع ولقيه عبدالله بن وهب
في عشرين فارسا وأراد قتله فمنعه من كان معه من طيء .

وأرسل عليّ إلى عامل المدائن سعد بن مسعود بخبرهم فاستخلف ابن أخيه المختار بن
عبيد وسار في طلبهم في خمسمائة فارس ، فتركوا طريقهم وساروا على بغداد ولحقهم
سعد بالكرخ مساء ، وجاءه عبدالله في ثلاثين فارسا وقتلهم وامتنعوا ، وأشار
أصحابه بتركهم ^(٢) إلى أن يأتي فيهم أمر عليّ فأبى ، ولما جنّ عليهم الليل عبر عبدالله
إليهم دجلة وسار إلى أصحابه بالنهروان ، واجتمعت خوارج البصرة في خمسمائة رجل
عليهم مسعر بن فدكي التيمي واتبعهم أبو الاسود الدؤليّ بأمر ابن عباس ولحقهم
فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل ، فأدلى مسعر بأصحابه فلهق بعبدالله بن وهب
بالنهروان ، ولما خرجت الخوارج بايع عليّ أصحابه على قتالهم ، ثم انكر ^(٣) شأن
الحكمين وخطب الناس وقال بعد الحمد لله والموعظة : ألا إن هذين الحكمين نبذا
حكم القرآن واتبع كل واحد هواه واختلفا في الحكم وكلاهما لم يرشد ، فاستعدوا
للسير إلى الشام . وكتب إلى الخوارج بالنهروان بذلك واستحثهم للمسير إلى العدو
وقال : نحن على الأمر الأول الذي كنّا عليه . فكتبوا إليه : إنك غضبت لنفسك ولم
تغضب لربك فان شهدت على نفسك بالكفر وتبت نظرنا بيننا وبينك وإلا فقد
نابذناك على السواء .

فيئس عليّ منهم ورأى أن يمضي إلى الشام ويدعهم ، وقام في الناس يحرضهم
لذلك ، وكتب إلى ابن عباس من معسكره بالنخيلة يأمره بالشخص بالعساكر
والمقام إلى أن يأتي أمره ، فأشخص ابن عباس الأحنف بن قيس في ألف
وخمسمائة ، ثم خطب ثانية وندب الناس وقال : كيف ينفر هذا العدد القليل وأنتم

(١) وفي نسخة أخرى : يستحث بهم .

(٢) وفي النسخة الباريسية : وأمر أصحابه بتركهم .

(٣) وفي النسخة الباريسية : ثم بلغه شأن الحكمين .

ستون ألف مقاتل ! ثم تهدّدهم وأمرهم بالنفير مع جارية بن قدامة السعدي ، فخرج معه ألف وستائة^(١) ووافوا عليّا في ثلاثة آلاف ويزيدون . ثم خطب أهل الكوفة ولاطفهم بالقول وحرّضهم وأخبرهم بما فعل أهل البصرة مع كثرتهم وقال ليكتب إليّ كل رئيس منكم ما في عشيرته من المقاتلة من أبنائهم ومواليهم ، فأجابه سعيد بن قيس الهمداني ومعقل بن قيس وعدي بن حاتم وزياد بن خصفة وحجر بن عدي وأشرف الناس بالسمع والطاعة ، وأمروا ذويهم ألاّ يتخلّف منهم أحد ، فكانوا أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر من بلغ الحلم ، وانتهت عساكره إلى ثمانية وستين ألفا . وبلغه أنّ الناس يرون تقديم الخوارج فقال لهم : إنّ قتال أهل الشام أهم^(٢) علينا لأنّهم يقاتلونكم ليكونوا ملوكا جبارين ويتخذوا عباد الله خولا فرجعوا إلى رأيه وقالوا : سر بنا إلى حيث شئت . وبينما هو على اعتزام السير إلى أهل الشام بلغه أنّ خوارج أهل البصرة لقوا عبدالله بن خباب من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من النهروان فعرفّهم بنفسه ، فسألوه عن أبي بكر وعمر فأثنى خيرا ، ثم عن عثمان في أول خلافته وآخرها فقال : كان محقا في الأوّل والآخر ، فسألوه عن عليّ قبل التحكيم وبعده ، فقال : هو أعلم بالله وأشدّ توقيا على دينه ، فقالوا : إنك توالي الرجال على أسمائها ، ثم ذبحوه وبقروا بطن امرأته ثم قتلوا ثلاث نسوة من طيء . فأسف عليّا قتلهم عبدالله بن خباب واعتراضهم الناس ، فبعث الحرث بن مرّة العبدى لينظر فيما بلغه عنهم فقتلوه ، فقال له أصحابه : كيف ندع هؤلاء ونأمن غائلتهم في أموالنا وعيالنا إنّنا نقدّم أمرهم على الشام ، وقام الأشعث بن قيس بمثل ذلك فوافقهم عليّ وسار إليهم ، وبعث من يقول لهم ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم فنكف عنكم حتى نرجع من قتال العرب^(٣) لعل الله يردكم إلى خير ، فقالوا : كلنا قتلهم وكلنا مستحل دماءكم ودماءهم ، ثم جاءهم قيس بن سعد ووعظهم وأبو أيوب الأنصاري كذلك .

ثم جاءهم عليّ فتهدّدهم وسفّه رأيهم ويريمهم^(٤) شأن الحكمين وأنها لما خالفا حكم

(١) وفي النسخة الباريسية : ألف وسبعائة .

(٢) وفي النسخة الباريسية : أحب علينا .

(٣) يعني المؤرخ قتال أهل الشام .

(٤) وفي نسخة أخرى : يبين لهم .

الكتاب والسنة نبذنا أمرهما ونحن على الأمر الأول فقالوا : إنا كفرنا بالتحكيم وقد تبنا
فان تبت أنت فنحن معك وان أبيت فقد نابذناك ، فقال : كيف أحكم على نفسي
بالكفر بعد إيماني وهجرتي وجهادي ثم انصرف عنهم . وقيل إنَّ عليًّا خطبهم وأغلظ
عليهم فيما فعلوه من الاستعراض والقتل فتنادوا لا تكلموهم وتأهبوا للقاء الله . ثم
قصدوا جسر الخوارج ولحقهم عليٌّ دونه ، وقد عبى أصحابه : وعلى ميمته حجر
بن عديٍّ وعلى ميسرته شيبث بن ربعي أو معقل بن قيس وعلى الخيل أبو أيوب وعلى
الرجالة أبو قتادة وعلى أهل المدينة سبعمائة أو ثمانمائة قيس بن سعد . وعبأت نحوه
الخوارج : على ميمتهم زيد بن حصين الطائي وعلى الميسرة شريح بن أوفى
العنسي^(١) وعلى الخيل حمزة بن سنان الأسدي وعلى الرجالة حرقوص بن زهير .
ودفع عليٌّ إلى أبي أيوب راية أماناً لهم لمن جاءها ممن لم يقتل ولم يستعرض فناداهم
إليها وقال : من انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن . فاعتزل عنهم فروة بن نوفل
الأشجعي في خمسمائة وقال أعتزل حتى يتضح لي أمر في قتال عليٍّ فتزل الدسكرة ،
وخرج آخرون إلى الكوفة ، ورجع آخرون إلى عليٍّ وكانوا أربعة آلاف ، وبقي منهم
ألف وثمانمائة فحمل عليهم عليٌّ والناس حتى فرقهم^(٢) على الميمنة والميسرة . ثم
استقبلتهم الرماة وعطفت عليهم الخيل من المجنبتين ونهض إليهم الرجال بالسلح
فهلكوا كلهم في ساعة واحدة كأنما قيل لهم موتوا ، وقتل عبدالله بن وهب وزيد بن
حصن وحرقوق بن زهير وعبدالله بن شجرة وشريح بن أوفى . وأمر عليٌّ أن يلتمس
المخدج في قتلاهم وهو الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في علاماتهم فوجد
في القتلى فاعتبر^(٣) عليٌّ وكبر واستنصر الناس ، وأخذ ما في عسكرهم من السلاح
والدواب فقسمه بين المسلمين وردَّ عليهم المتاع والإماء والعبيد . ودفن عدي بن حاتم
ابنه طرفة ورجالا من المسلمين فنهى علي عن ذلك ، وارتحل ولم يفقد من أصحابه
إلا سبعة أو نحوهم .

وشكا إليه الناس الكلال ونفود السهام والرماح وطلبوا الرجوع إلى الكوفة ليستعدوا

- (١) وفي النسخة الباريية : العنسي .

(٢) وفي النسخة الباريية : فحملوا على الناس حتى فرقوهم .

(٣) الأصح ان يقول استعبر (من العبرة)

فإنه أقوى على القتال^(١) ، وكان الذي تولى كلامه الأشعث بن قيس فلم يحبه ، وأقبل فترل ومنعهم من دخول منازلهم حتى يسيروا إلى عدوهم ، فتسللوا أيام المقامة إلى البيوت وتركوا المعسكر خاليا فلما رأى عليّ ذلك دخل ثم نديهم ثانيا فلم ينفروا ، فأقام أياما ثم كلم رؤساءهم على رأيهم والذي يبطئ بهم فلم ينشط من ذلك إلا القليل ، فخطبهم وأغلظ في عتابهم وأعلمهم بما له عليهم من الطاعة في الحق والنصح فتثاقفوا وسكتوا .

ولاية عمرو بن العاص مصر

قد تقدّم لنا ما كان من اجتماع العثمانية بنواحي مصر مع معاوية بن حُديج السكوني ، وإن محمد بن أبي بكر بعث إليهم العساكر من الفسطاط مع ابن مضاهم^(٢) فهزموه وقتلوه ، واضطربت الفتنة بمصر على محمد بن أبي بكر ، وبلغ ذلك عليّا فبعث إلى الأشر من مكان عمله بالجزيرة وهر نصيبين فبعثه على مصر وقال : ليس لها غيرك . وبلغ الخبر إلى معاوية وكان قد طمع في مصر فعلم أنها ستتمنع بالأشتر ، وجاء الأشتر فترل على صاحب الخراج بالقلزم فمات هنالك ، وقيل إن معاوية بعث إلى صاحب القلزم فسمّه على أن يسقط عنه الخراج وهذا بعيد . وبلغ خبر موته عليّا فاسترجع واسترحم وكان محمد بن أبي بكر لما بلغته ولاية الأشتر شق عليه فكتب عليّ يعتذر إليه وأنه لم يولّه لسوء رأي في محمد وإنّما هو لما كان يظن فيه من الشدة ، وقد صار إلى الله ونحن عنه راضون فرضي الله عنه وضاعف له الثواب ، فاصبر لعدوك وشمر للحرب وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر من ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفيك ما أهمك ويعينك على ما ولّاك . فأجابه محمد بالرضى برأيه والطاعة لأمره ، وأنه مززع على حراة من خالفه .

ثم لما كان من أمر الحكمين ما كان واختلف أهل العراق على عليّ ، وباع أهل الشام معاوية بالخلافة ، فاراد معاوية صرف عمله^(٣) إلى مصر لما كان يرجو من الإستعانة على حروبه بخراجها ، ودعا بطانته أبا الأعور السلمي وحبيب بن مسلمة وبسر بن

(١) وفي النسخة الباريسية : أقوى على العدو .

(٢) هو ابن مضاهم الكلبي .

(٣) وفي النسخة الباريسية : فازداد معاوية وصرف همه .

أرطاة والضحاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وشرحبيل بن السمط وشاورهم في شأنها ، فأشار عليه عمرو بافتتاحها وأشار يبعث الجيش مع حازم صارم يوثق ويجمع إليه من كان على رأيه من العثمانية ، وقال معاوية : بل الرأي أن نكتب العثمانية بالوعد ونكتب العدو بالصلح والتخويف ونأتي الحرب من بعد ذلك ، ثم قال معاوية : إنك يا ابن العاص بورك لك في العجلة وأنا في التؤدة ، فقال : أفعل ما تراه وأظن الأمر لا يصير إلا للحرب . فكتب معاوية إلى معاوية بن حديج ومسلمة بن مخلد يشكرهما على الخلاف ، ويحثهما على الحرب والقيام في دم عثمان ، وفرحا بجوابهما^(١) فطلب المدد فجمع أصحابه وأشاروا بذلك ، فأمر عمرو بن العاص أن يتجهز إلى مصر في ستة آلاف رجل ووصاه بالتؤدة وترك العجلة ، فترل أدنى أرض مصر واجتمعت إليه العثمانية ، وبعث كتابه وكتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر بالتهديد وأن الناس اجتمعوا عليك وهم مسلموك فاخرج ، فبعث بالكتابين إلى علي فوعده بانفاذ^(٢) الجيوش وأمره بقتال العدو والصبر .

فقدّم محمد بن أبي بكر كنانة بن بشر في ألفين ، فبعث معاوية عمرو بن حديج^(٣) وسرّحه في أهل الشام فأحاطوا بكنانة ، فترجل عن فرسه وقاتل حتى استشهد . وجاء الخبر إلى محمد بن أبي بكر فافترق عنه أصحابه وفروا ، وآوى في مفرّه إلى خربة واستتر في تلك الخربة ، فقبض عليه فأخذه ابن حديج وجاء به إلى القسطنطينية ، وطلب أخوه عبد الرحمن من عمرو أن يبعث إلى ابن حديج في البقاء عليه فأبى ، وطلب محمد الماء فنعه ابن حديج جزاءً بما فعل بعثمان ، ثم أحرقه في جوف حمار بعد أن لعنه ودعا عليه وعلى معاوية وعمرو . وكانت عائشة تقنت في الصلاة بالدعاء على قتلته . ويقال إنه لما انهزم اختفى عند جبل بن مسروق حتى أحاط به معاوية بن حديج^(٤) وأصحابه ، فخرج إليهم فقاتل حتى قتل .

ولما بلغ الخبر علياً خطب الناس وندبهم إلى أعدائهم وقال : اخرجوا بنا إلى الجزعة بين الحيرة والكوفة . وخرج من الغد إلى منتصف النهار يمشي إليها حتى نزلها فلم يلحق

(١) وفي النسخة الباريية : وجاء جوابها .

(٢) وفي النسخة الباريية : بانقياد .

(٣) وفي النسخة الباريية : فبعث عمرو معاوية بن حديج .

(٤) أي من الشاميين والمصريين الذين قتلوا محمد بن أبي بكر اهـ (ابن كثير)

به أحد ، فرجع من العشي وجمع أشرف الناس ووبّخهم فأجاب مالك بن كعب الأرحبيّ في ألفين ، فقال سر وما أراك تدركهم فسار خمسا ، ولقي ^(١) حجاج بن عرفة الأنصاري قادمًا من مصر فأخبره بقتل محمد ، وجاء إلى عليّ عبد الرحمن بن شبة الفزاريّ وكان عيناً له بالشام ، فأخبره بقتل محمد واستيلاء عمرو على مصر ، فحزن لذلك ، وبعث إلى مالك بن كعب ^(٢) أن يرجع بالجيش وخطب الناس فأخبرهم بالخبر وعذلم على ما كان منهم من الثاقل حتى فات هذا الأمر ووبّخهم طويلاً ثم نزل .

دعاء ابن الحضرمي بالبصرة لمعاوية ومقتله

ولما فتح معاوية مصر بعث عبدالله بن الحضرمي إلى البصرة داعياً لهم وقد آنس منهم الطاعة بما كان من قتل عليّ أباهم يوم الجمل وأنهم على رأيه في دم عثمان ، وأوصاه بالتزول في مصر يتودّد إلى الأزدي وحذّره من ربيعة وقال إنهم ترائبه يعني شيعة لعليّ . فسار ابن الحضرمي حتى قدم البصرة . وكان ابن عباس قد خرج إلى عليّ واستخلف عليها زياداً ، ونزل في بني تميم واجتمع إليه العثمانيّة فحضهم على الطلب بدم عثمان من عليّ ، فقال الضحّاك بن قيس الهلاليّ : قَبِّحَ اللهُ ما جثت به وما تدعو إليه تحملنا على الفرقة بعد الاجتماع وعلى الموت ليكون معاوية أميراً ؟ فقال له عبدالله بن حازم السلمي : اسكت فليست لها بأهل . ثم قال لابن الحضرمي : نحن أنصارك ويدك والقول قولك ، فقرأ كتاب معاوية يدعوهم إلى رأيه من الطلب بدم عثمان على أن يعمل فيهم بالسنة ويضاعف لهم الأعطية . فلما فرغ من قراءته قام الأحنف بن قيس معتزلاً وحض عمر بن مرحوم على لزوم البيعة والجماعة ، وقام العباس بن حُجر في مناصرة ابن الحضرمي ، فقال له المثنى بن مخزومة لا يغرنك ابن صحّار وارجع من حيث جئت ، فقال ابن الحضرمي لصبرة بن شيان الأزدي ألا تنصرتني ؟ قال : لو نزلت عندي فعلت . ودعا زياد أمير البصرة حصين بن المنذور ومالك بن مسمع ورؤوس بكر بن وائل إلى المنعة من ابن الحضرمي إلى أن يأتي أمر عليّ ، فأجاب حصين وثاقل مالك وكان هواه في بني أمية ، فأرسل زياد إلى صبرة بن شيان يدعو

(١) وفي نسخة ثانية : ولحق .

(٢) وفي النسخة الباريسية : كعب بن مالك .

إلى الجوار^(١) بما معه من بيت المال^(٢) فقال : إن حملته إلى داري أجرتك فتحول إليه بيت المال والمنبر ، وكان يصلي الجمعة في مسجد قومه ، وأراد زياد إختبارهم فبعث إليهم من ينذرهم بمسيره بهم إليهم ، وأخذ زياد جندا منهم بعد صبره لذلك وقال : إن جاؤا جئناهم ، وكتب زياد إلى علي بالخبر فأرسل أعين بن ضبيعة^(٣) ليفرق تميا عن ابن الحضرمي ويقاقل من عصاه بمن أطاعه ، فجاء لذلك وقاتلهم يوما أو بعض يوم ، ثم اغتاله قوم فقتلوه يقال من الخوارج .

ولاية زياد على فارس

ولما قتل ابن الحضرمي بالبصرة والناس مختلفون على علي طمع أهل النواحي من بلاد العنجم في كسر الخراج ، وأخرج أهل فارس عاملهم سهل بن حنيف ، فاستشار علي الناس فأشار عليه جارية بن قدامة^(٤) بزياد فأمر ابن عباس أن يوليها عليها ، فبعثه إليها في جيش كثيف فطوى بهم أهل فارس وضرب ببعضهم بعضا وهرب قوم وأقام آخرون ، وصفت له فارس بغير حرب . ثم تقدّم إلى كرمان فدوّخها مثل ذلك فاستقامت وسكن الناس ، ونزل اصطخر وسكن قلعة بها تسمى قلعة زياد^(٥) .

فراق ابن عباس لعلي رضي الله عنهم

وفي سنة اربعين فارق عبدالله بن عباس علياً^(٦) ولحق بمكة ، وذلك أنه مريوما بأبي الأسود^(٧) ووبّخه على أمر ، فكتب أبو الأسود إلى علي بأن ابن عباس استتر بأموال الله فأجابه علي يشكره على ذلك وكتب لابن عباس ولم يخبره بالكاتب ، فكتب إليه

(١) وفي نسخة أخرى : الجدار .

(٢) وفي الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٦١ : فارسل الى صبره بن شيان الحداني الأزدي يطلب أن يحيره وبيت مال المسلمين .

(٣) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٣ ص ٣٦٢ . وفي النسخة الباريسية : ابن صعصعة .

(٤) وفي النسخة الباريسية : حارثة بن قدامة وفي الكامل جارية بن قدامة السعدي .

(٥) وفي نسخة أخرى : زيّار .

(٦) وفي النسخة الباريسية : البصرة .

(٧) وفي النسخة الباريسية : بابي الحسن .

بكذب ما بلغه من ذلك وانه ضابط للمال^(١) حافظ له ، فكتب إليه عليّ أعلمني ما أخذت ومن أين أخذت وفيما صنعت^(٢) ؟ فكتب إليه ابن عباس فهمت استعظامك لما رفع إليك اني رزأته من هذا المال فابعث إلى عمك من أحببت فاني ظاعن عنه واستدعى أخواله من بني هلال ، فجاءته قيس كلها ولم يبعث الأموال^(٣) وقال : هذه أرزاقنا ، وأتبعه أهل البصرة ووقفت دونه قيس . فرجع صبرة بن شيان الهمداني بالأزد وقال قيس : إخواننا وهم خير من المال فأطيعوني ، وانصرف معهم بكر وعبد القيس ثم انصرف الأحنف بقومه من بني تميم وحجز بقية تميم عنه ، ولحق ابن عباس بمكة .

مقتل علي

قتل عليّ رضي الله عنه سنة أربعين لسبع عشرة من رمضان وقيل لإحدى عشرة وقيل في ربيع الآخر والأول أصح ، وكان سبب قتله أن عبد الرحمن بن ملجم المراديّ والبرك^(٤) بن عبد الله التيميّ الصُرَيْميّ واسمه الحجاج وعمرو بن بكر التيميّ السعديّ ، ثلاثتهم من الخوارج لحقوا من فلهم بالحجاز ، واجتمعوا فتذاكروا ما فيه الناس وعابوا الولاة وترحموا على قتلى النهروان ، وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شربنا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلال وأرحنا منهم الناس ، فقال ابن ملجم وكان من مصر : أنا أكفيكم عليّاً ، وقال البرك : أنا أكفيكم معاوية ، وقال عمرو بن بكر التيميّ : أنا أكفيكم عمرو بن العاص . وتعاهدوا أن لا يرجع أحد عن صاحبه حتى يقتله أو يموت . واتعدوا لسبع عشرة من رمضان وانطلقوا ، ولقي ابن ملجم أصحابه بالكوفة فطوى خبره عنهم ، ثم جاء إلى شبيب بن شجرة من أشجع ودعاه إلى الموافقة^(٥) في شأنه ، فقال شبيب ثكلتك أمك فكيف تقدر على قتله . قال : أكنن له في المسجد في صلاة الغداة فان قتلناه وإلا فهي الشهادة ، قال : ويحك لا

(١) وفي النسخة الباريسية : وانه برىء ضابط للمال .

(٢) وفي نسخة ثانية : وضعت .

(٣) وفي نسخة ثانية : فحمل المال .

(٤) البرك على وزن صرد كذا خطه الحافظ اهـ . (تاج العروس)

(٥) وفي النسخة الباريسية : المرافقة .

أجدي أنشرح لقتله مع سابقته وفضله ، قال : ألم يقتل العباد الصالحين أهل
النهران ؟ قال : بلى . قال : فنقتله بمن قتله منهم ، فأجابه : ثم لقي امرأة من تيم
الرباب فائقة الجمال قتل أبوها وأخوها يوم النهران ، فأخذت قلبه فخطبها فشرطت
عليه عبداً وقينة وقتل عليّ ، فقال كيف يمكن ما أنت تريدين ؟ قالت التمس غرته
فان قتله شفيت النفوس وإلاّ فهي الشهادة . قال : والله ما جئت إلاّ لذلك ولك ما
سألت ، قالت : سأبعث معك من يشدّ ظهرك ويساعدك ، وبعثت معه رجلا من
قومها اسمه وردان .

فلما كانت الليلة التي واعد ابن ملجم أصحابه على قتل عليّ وكانت ليلة الجمعة جاء
إلى المسجد ومعه شبيب ووردان وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها عليّ للصلاة ،
فلما خرج ونادى للصلاة علاه شبيب بالسيف فوقع بعصاة الباب ، وضربه ابن
ملجم على مقدم رأسه ، وقال : الحكم لله لا لك يا عليّ ولا لأصحابك . وهرب
وردان إلى منزله وأخبر بعض أصحابه بالأمر فقتله . وهرب شبيب مُغلسا . وصاح
الناس به فلحقه رجل من حضرموت فأخذه وجلس عليه والسيف في يد شبيب
والناس قد أقبلوا في طلبه ، وخشي الحضرمي على نفسه لاختلاط الغلس فتركه
وذهب في غمار الناس ، وشدّ الناس على ابن ملجم واستخلف عليّ على الصلاة
جعدة بن هبيرة وهو ابن أخته أم هانيء فصلّى الغداة بالناس ، وأدخل ابن ملجم
مكتوفا على عليّ فقال : أي عدوّ الله ما حملك على هذا ؟ قال : شحذته أربعين
صباحا وسألت الله أن يقتل به شرّ خلقه ، فقال : أراك مقتولا به . ثم قال إن هلك
فاقتلوه كما قتلتني وإن بقيت رأيت فيه رأيي ، يا بني عبد المطلب لا تُحرضوا على
دماء المسلمين وتقولوا قتل أمير المؤمنين لا تقتلوا إلاّ قاتلي ، يا حسن إن أنا مت من
ضربتي هذه فاضربه بسيفه ولا تمثّلن بالرجل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول إياكم والمثلة . وقالت أم كلثوم لابن ملجم وهو مكتوف وهي تبكي : أي
عدوّ الله إنه لا بأس على أبي والله مخزبك قال : فعلام تبكين ؟ والله لقد شريته
بألف وصقلته أربعين ولو كانت هذه الضربة بأهل بلد ما بقي منهم أحد . وقال جندب
بن عبد الله لعليّ أنبايع الحسن إن فقدناك ؟ قال : ما آمركم به ولا أنهاكم أنتم
أبصر ، ثم دعا الحسن والحسين ووصّاهما قال : أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن

بغتكما ولا تأسفا على شيء زوى منها عنكما^(١) وقولا الحق وارحما اليتيم وأعيننا الضائع^(٢) وكونا للظالم خصما وللمظلوم ناصرا واعملا بما في كتاب الله ولا تأخذك في الله لومة لائم . ثم قال لمحمد بن الحنفية : اني اوصيك بمثل ذلك وبتوقير أخويك لعظيم حقها عليك ولا تقطع أمرا دونها ، ثم وصّاهما بابن الحنفية ، ثم أعاد على الحسن وصيته . ولما حضرته الوفاة كتب وصيته العامة ولم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض .

فأحضر الحسن ابن ملجم فقال له : هل لك في البقاء عليّ واني قد عاهدت الله أن أقتل عليّا ومعاوية واني عاهدت الله على الوفاء بالعهد فخلّ بيني وبين ذلك فإن قتله وبقيت فلك عهد الله أن آتيك ، فقال : لا والله حتى تعاین النار ثم قدّمه فقتله . وأما البرك فإنه قعد لمعاوية تلك الليلة فلما خرج للصلاة ضربه بالسيف في إتيته وأخذ فقال : عندي بشرى^(٣) اتفّعني ان أخبرتك بها قال : نعم . قال : إن أخي لي قتل عليّا هذه الليلة ، قال : فلعله لم يقدر عليه ، قال : بلى إن عليّا ليس معه حرس ، فأمر به معاوية فقتل ، وأحضر الطبيب فقال : ليس إلا الكي أو شربة تقطع منك الولد . فقال : في يزيد وعبدالله ما تقرّ به عيني والنار لا صبر لي عليها ، وقد قيل إنه أمر بقطع البرك فقطع وأقام إلى أيام زياد فقتله بالبصرة ، وعند ذلك اتخذ معاوية المقصورة وحرس الليل وقيام الشرط على رأسه إذا سجد . ويقال إن أول من اتخذ المقصورة مروان بن الحكم سنة أربع وأربعين حين طعنه اليماني .

وأما عمرو بن بكر فإنه جلس لعمر بن العاص تلك الليلة فلم يخرج وكان اشتكى فأمر صاحب شرطته خارجة بن أبي حبيبة بن عامر بن لؤي يصلي بالناس فشدّ عليه فضربه فقتله وهو يرى أنه عمرو بن العاص ، فلما أخذوه وأدخلوه على عمرو قال فمن قتلت إذا ؟ قالوا خارجة فقال : لعمر بن العاص والله ما ظننته غيرك ! فقال عمرو : وأردت عمرا واراد الله خارجة . وأمر بقتله .

وتوفي عليّ رضي الله عنه وعلى البصرة عبدالله بن عباس وعلى قضائها ابو الأسود الدؤلي وعلى فارس زياد بن سمية وعلى اليمن عبيدالله بن العباس حتى وقع أمر بسر بن

(١) وفي النسخة الباريسية : ولا تبكيا منها على شيء رزى عنكما

(٢) وفي النسخة الباريسية : واضنعا لله .

(٣) وفي النسخة الباريسية : مسرة .

أبي أرطاة ، وعلى مكة والطائف قثم بن عباس وعلى المدينة أبو أيوب الأنصاري وقيل سهل بن حنيف .

بيعة الحسن وتسليمه الأمر لمعاوية

ولما قتل علي رضي الله عنه اجتمع أصحابه فبايعوا ابنه الحسن ، وأول من بايعه قيس ابن سعد وقال : أبسط يدك على كتاب الله وسنة رسوله وقاتل الملحدين . فقال الحسن على كتاب الله وسنة رسوله . ويأتیان على كل شرط . ثم بايعه الناس فكان يشترط عليهم انكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمته وتحاربون من حاربت ، فارتابوا وقالوا : ما هذا لكم بصاحب وما يريد القتال . وبلغ الخبر بمقتل علي إلى معاوية فبويع بالخلافة ودعي بأمر المؤمنين ، وقد كان بويع بها بعد اجتماع الحكمين . ولأربعين ليلة بعد مقتل علي مات الأشعث بن قيس الكندي من أصحابه ، ثم مات من أصحاب معاوية شرحبيل بن السمط الكندي . وكان علي قبل قتله قد تجهز بالمسلمين إلى الشام ، وبايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت ، فلما بويع الحسن زحف معاوية في أهل الشام إلى الكوفة فسار الحسن في ذلك الجيش للقاءه وعلى مقدمته قيس بن سعد في اثني عشر ألفاً ، وقيل بل كان عبدالله بن عباس على المقدمة وقيس في طلائعهم . فلما نزل الحسن في المدائن شاع في العسكر أن قيس بن سعد قتل ، واهتاج الناس وماج بعضهم في بعض وجاءوا إلى سراق الحسن ونهبوا ما حوله حتى نزعوه بساطه الذي كان عليه واستلبوه رداءه وطعنه بعضهم في فخذه . وقامت ربيعة وهمدان دونه واحتملوه على سرير إلى المدائن ودخل إلى القصر وكاد أمره أن ينحل ، فكتب إلى معاوية يذكر له النزول عن الأمر على أن يعطيه ما في بيت المال بالكوفة ومبلغه خمسة آلاف ألف ، ويعطيه خراج دارا مجرد من فارس والآن يشتم علياً وهو يسمع ، وأخبر بذلك أخوه الحسين وعبدالله بن جعفر وعذلاه فلم يرجع إليهما . وبلغت صحيفته إلى معاوية فأمسكها وكان قد بعث عبدالله بن عامر وعبدالله بن سمرة إلى الحسن ومعها صحيفة بيضاء ختم في أسفلها وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة ما شئت فهو لك فاشترط فيها أضعاف ما كان في الصحيفة ، فلما سلم له وطالبه في الشروط أعطاه ما في الصحيفة الأولى وقال هو الذي

طلبت^(١) . ثم نزع أهل البصرة خراج دار الجرد وقالوا : هو فيثنا لا نعطيه . وخطب الحسن أهل العراق وقال : سخي نفسي عنكم ثلاث : قتل أبي وطعني وانتهاج بيتي ، ثم قال ألا وقد أصبحتم بين قبيلين قبيل بصفين سيكون له وقيل بالنهروان يطلبون بثأره وأما الباقي فخاذل ، وأما الباكي فثائر وأن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة ، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله بظبا السيوف ، وإن أردتم الحياة قبلنا وأخذنا لكم الرضى . فناداه الناس من كل جانب البقية البقية فأمضى الصلح . ثم بايع لمعاوية لسته أشهر من بيعته .

ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس ، وكتب الحسن إلى قيس بن سعد يأمره بطاعة معاوية فقام قيس في أصحابه فقال نحن بين القتال مع غير إمام أو طاعة إمام ضلالة ، فقال له الناس : طاعة الإمام أولى ، وانصرفوا إلى معاوية فبايعوه وامتنع قيس وانصرف . فلما دخل معاوية الكوفة أشار عليه عمرو بن العاص أن يقيم الحسن للناس خطيبا ليدول للناس عيّه ، فلما قدم حمدا لله وقال : أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرا وإن لهذا الأمر مدّة والدنيا دول الله عز وجل يقول لنبيه : وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ، فقال له معاوية إجلس وعرف أنه خدع في رأيه . ثم ارتحل الحسن في أهل بيته وحشهم إلى المدينة وخرج أهل الكوفة لوداعه باكين ، فلم يزل مقبلا بالمدينة إلى أن هلك سنة تسع وأربعين . وقال أبو الفرج الأصبهاني سنة إحدى وخمسين وعلى فراشه بالمدينة ، وما ينقل من أن معاوية دس إليهم السمّ مع زوجه جعدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشيعة وحاشا لمعاوية من ذلك .

وأقام قيس بن سعد على امتناعه من البيعة وكان معاوية قد بعث عبدالله بن عامر في جيش إلى عبيدالله بن عباس لما كتب إليه في الأمان بنفسه ، فلقيه ليلا وأمنه وسار معه إلى معاوية ، فقام بأمر العسكر بعده قيس بن سعد وتعاقدا على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة عليّ على دمائهم وأموالهم وما كانوا أصابوا في الفتنة ، وبلغ الخبر إلى معاوية وأشار عليه عمرو في قتاله ، وقال معاوية : يقتل في ذلك أمثالهم من أهل الشام ولا خير فيه . ثم بعث إليه بصحيفة ختم في أسفلها وقال : اكتب في هذا ما شئت فهو لك ، فكتب قيس له ولشيعة الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال ،

(١) وفي النسخة الباريسية : اشترطت .

ولم يسأل مالا فأعطاه معاوية ذلك وبايعه قيس والشعبة الذين معه ، ثم جاء سعد بن أبي وقاص فبايعه. واستقر الأمر لمعاوية واتفق الجماعة على بيعته وذلك في منتصف سنة إحدى وأربعين وسمي ذلك العام عام الجماعة من أجل ذلك . ثم خرج عليه الخوارج من كل جهة من بقية أهل النهروان وغيرهم فقاتلهم واستلحمهم كما يأتي في أخبارهم على ما اشترطناه في تأليفنا من أفراد الأخبار عن الدول وأهل النحل دولة دولة وطائفة طائفة .

وهذا آخر الكلام في الخلافة الإسلامية وما كان فيها من الردّة والفتوحات والحروب ثم الاتفاق والجماعة أوردتها ملخصة عيونها ومجامعها من كتاب محمد بن جرير الطبري وهو تاريخه الكبير فإنه أوثق ما رأيناه في ذلك ، وأبعد من المطاعن عن الشبه في كبار الأمة من خيارهم وعدوهم عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ، فكثيرا ما يوجد في كلام المؤرخين أخبار فيها مطاعن وشبه في حقهم أكثرها من أهل الأهواء فلا ينبغي أن تسود بها الصحف^(١) ، وأتبعها بمفردات من غير كتاب الطبري بعد أن تحيرت الصحيح جهد الطاقة وإذا ذكرت شيئا في الأغلب نسبته إلى قائله ، وقد كان ينبغي أن تلحق دولة معاوية وأخباره بدول الخلفاء وأخبارهم فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحبة ، ولا ينظر في ذلك إلى حديث الخلافة بعدي ثلاثون سنة فإنه لم يصح ، والحق أن معاوية في عداد الخلفاء وإنما أخره المؤرخون في التأليف عنهم لأمرين : الأول أن الخلافة لعهد كانت مغالبة لأجل ما قدّمناه من العصبية التي حدثت لعصره ، وأما قبل ذلك كانت اختيارا واجتماعا فميزوا بين الحالتين ، فكان معاوية أول خلفاء المغالبة والعصبية الذين يعبر عنهم أهل الأهواء بالملوك ، ويشبهون بعضهم ببعض وحاشى الله أن يشبه معاوية بأحد ممّن بعده ، فهو من الخلفاء الراشدين ومن كان تلوه في الدين والفضل من الخلفاء المروانية ممن تلاه في المرتبة كذلك وكذلك من بعدهم من خلفاء بني العباس ، ولا يقال إن الملك أدون رتبة من الخلافة فكيف يكون خليفة ملكا .

واعلم أن الملك الذي يخالف بل ينافي الخلافة هو الجبروتية المعبر عنها بالكسروية التي أنكرها عمر على معاوية حين رأى ظواهرها ، وأما الملك الذي هو الغلبة والقهر بالعصبية والشوكة فلا ينافي الخلافة ولا النبوة فقد كان سليمان بن داود وأبوه صلوات

(١) وفي نسخة أخرى : العيون .

الله عليهما نبيّين وملكين وكانا على غاية الاستقامة في دنياهما وعلى طاعة ربّهما عز وجل . ومعاوية لم يطلب الملك ولا أبهته للإستكثار من الدنيا ، وإنما ساقه أمر العصبيّة بطبعها لما استولى المسلمون على الدول كلها وكان هو خليفتهم فدعاهم بما يدعوا الملوك إليه قومهم عندما تستفحل العصبيّة وتدعوا لطبيعة الملك . وكذلك شأن الخلفاء أهل الدين من بعده إذا دعته ضرورة الملك إلى استفحال أحكامه ودواعيه ، والقانون في ذلك عرض أفعالهم على الصحيح من الأخبار لا بالواهي ، فمن جرت أفعاله عليها فهو خليفة النبي صلى الله عليه وسلم في المسلمين ، ومن خرجت أفعاله عن ذلك فهو من ملوك الدنيا وإنما سمي خليفة بالمجاز .

الأمر الثاني في ذكر معاوية مع خلفاء بني أمية دون الخلفاء الأربعة أنهم كانوا أهل نسب واحد وعظيمهم معاوية ، فجعل مع أهل نسبه ، والخلفاء الأولون مختلفو الأنساب فجعلوا في نمط واحد وألحق بهم عثمان وإن كان من أهل هذا النسب للحوقه بهم قريبا في الفضل والله يحشرنا في زمرةهم ويرحمنا بالاقتداء بهم .

تمت تكملة الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث وأوّل

الخبر عن الدول الاسلامية ونبدأ منها بدولة بني أمية معقبة لخلفاء صدر الإسلام وذكر أوليتهم وأخبار دولهم واحدة واحدة الى انقضائها

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
٣	الكتاب الثاني في أخبار العرب وأجياهم ودولهم
٣	المقدمة الأولى في أمم العالم واختلاف أجياهم
١٦	المقدمة الثانية في كيفية وضع الأنساب
١٦	القول في أجيال العرب وأوليتها واختلاف طبقاتهم
١٩	برنامج بما تضمنه الكتاب من الدول في هذه الطبقات الأربع
٢١	الطبقة الأولى من العرب وهم العرب العاربة
٣٦	الخبر عن ابراهيم أبي الأنبياء وعليهم السلام
٥٢	الطبقة الثانية من العرب وهم العرب المستعربة
٥٧	الخبر عن ملوك التباة من حمير
٦٩	ملك الحبشة واليمن
٧١	غزو الحبشة الكعبة
٧٣	قصة سيف بن ذي يزن وملك الفرس على اليمن
٧٨	الخبر عن ملوك بابل من النبط والسريانيين
٨٤	الخبر عن القبط وأولية ملكهم ودولهم
٩٢	الخبر عن بني اسرائيل وما كان لهم من النبوة والملك
١٠١	الخبر عن حكام بني اسرائيل بعد يشوع
١٠٩	الخبر عن ملوك بني اسرائيل بعد الحكام
١١٦	الخبر عن افتراق بني اسرائيل
١٢٨	الخبر عن دولة الاسباط العشرة
١٣٤	الخبر عن عمارة بيت المقدس بعد الخراب الأول
١٤٤	ابتداء أمر انظفتر أبو هيرودوس
١٥٢	انقراض ملك بني حشمناي وابتداء ملك هيرودوس وبنيه
١٦٧	الخبر عن شأن عيسى بن مريم صلوات الله عليه
١٨٠	الخبر عن الفرس وذكر ايامهم ودولهم وتسمية ملوكهم
١٨٢	الطبقة الأولى من الفرس وذكر ملوكهم

١٨٧	الطبقة الثانية من الفرس وهم الكينية وذكر ملوكهم
١٩٧	الطبقة الثالثة من الفرس وهم الاشكانية ملوك الطوائف
١٩٩	الطبقة الرابعة من الفرس وهم الساسانية والخبر عن ملوكهم
٢١٨	الخبر عن دولة يونان والروم وانسابهم
٢٢٠	الخبر عن دولة يونان والاسكندر
٢٣٢	الخبر عن اللطينيين وهم الكيتم المعروفون بالروم
٢٣٤	الخبر عن فتنة الكيتم مع أهل افريقية وتخريب
٢٣٥	الخبر عن ملوك القياصرة من الكيتم وهم اللطينيون
٢٥٠	الخبر عن القياصرة المنتصرة من اللطينيين
٢٦٦	الخبر عن ملوك القياصرة من لدن هرقل والدولة الإسلامية
	الخبر عن القوط وما كان لهم من الملك بالاندلس الى
٢٨٠	حين الفتح الإسلامي
٢٨٣	الطبقة الثالثة من العرب وهم العرب التابعة للعرب
٢٨٩	الخبر عن انساب العرب من هذه الطبقة الثالثة
٢٩٠	الخبر عن حمير من القحطانية وبطونها وتفرع شعوبها
٢٩٦	الخبر عن قضاعة وبطونها والإمام يبعث الملك الذي كان فيها
٣٠٢	الخبر عن بطون كهلان من القحطانية وشعوبهم
٣١٠	الخبر عن ملوك الحيرة من آل المنذر من هذه الطبقة
٣٢٧	ملوك كندة — الخبر عن ملوك كندة
٣٣٣	الخبر عن ابناء جفنة ملوك غسان بالشام
٣٤٢	الخبر عن الأوس والخزرج ابناء قبيلة
٣٥٦	الخبر عن بني عدنان وانسابهم وشعوبهم
٣٩٥	الخبر عن قريش وملكهم بمكة
٤٠٤	أمر النبوة والهجرة
٤٠٧	المولد الكريم وبدء الوحي
٤٠٩	بدء الوحي
٤١٢	هجرة الحبشة والعقبة الأولى
٤١٨	العقبة الثانية

٤٢١	الهجرة
٤٢٤	الغزوات
٤٣٤	غزوة أحد
٤٤٠	غزوة الخندق
٤٤٧	عمرة الحديبية
٤٤٩	ارسال الرسل الى الملوك
٤٥٣	غزوة خيبر
٤٥٥	فتح فدك ووادي القرى
٤٥٥	عمرة القضاء
٤٥٥	غزوة جيش الامراء
٤٥٧	فتح مكة
٤٦٢	غزوة هفنين
٤٦٥	حصار الطائف وغزوة تبوك
٤٦٩	اسلام عروة بن مسعود ثم وفد ثقيف وهدم اللات
٤٧٠	الوفود
٤٧٩	حجة الوداع
٤٨١	العمال على النواحي
٤٨٢	خبر العنسي
٤٨٧	خبر السقيفة
٤٨٩	الخلافة الاسلامية
٤٩٤	بعث الحيوش للمرتدين
٤٩٦	خبر طليحة
٤٩٧	خبر هوازن وسليم وبني عامر
٤٩٨	خبر بني تميم وسجاح
٥٠٠	البطاح ومالك بن نويرة
٥٠١	خبر مسيلمة واليمامة
٥٠٤	ردة الحطيم وأهل البحرين
٥٠٦	ردة أهل عُمان ومهرة واليمن

٥٠٧	بعوث العراق وصلاح الحيرة
٥١٠	فتح الحيرة
٥١٠	فتح ما وراء الحيرة
٥١١	فتح الأنبار وعين التمر — غزوة ذات العيون
٥١٣	الوقائع بالعراق
٥١٤	بعوث الشام
٥١٦	بعوث الشام
٥١٧	خلافة عمر (رضي الله عنه)
٥١٨	فتح دمشق
٥١٩	خبر المثنى بالعراق بعد مسير خالد الى الشام
٥٢٠	ولاية أبي عبيد بن مسعود على العراق ومقتله
٥٢٤	أخبار القادسية
٥٣٦	فتح المدائن وجلولاء بعدها
٥٤٠	ولاية عتبة بن غزوان على البصرة
٥٤١	وقعة مرج الروم وفتوح مدائن الشام بعدها
٥٤٣	وقعة اجنادين وفتح بيسان والاردن وبيت المقدس
٥٤٥	مسير هرقل الى حمص وفتح الجزيرة وأرمينية
٥٤٨	غزو فارس من البحرين وعزل العلاء عن البصرة ثم المغيرة
٥٤٩	ولاية أبي موسى
٥٥٠	بناء البصرة والكوفة
٥٥٣	فتح الأهواز والسوس بعدها
٥٥٣	مسير المسلمين الى الجهات للفتح
٥٥٣	مجاعة عام الرمادة وطاعون عمواس
٥٥٤	فتح مصر
٥٥٦	وقعة نهاوند وما كان بعدها من الفتوحات
٥٥٩	فتح حمدان
٥٦٠	فتح الري
٥٦١	فتح أذربيجان
٥٦١	فتح الباب
٥٦٢	فتح موقان وجبال أرمينية

٥٦٢	غزو الترك
٥٦٣	فتح خراسان
٥٦٥	فتوح فارس
٥٦٧	خبر الاكراد
٥٦٨	مقتل عمر وأمر الشورى وبيعة عثمان (رضي الله عنه)
٥٧١	نقض أهل اسكندرية وفتحها
٥٧١	ولاية الوليد بن عقبة الكوفة وصلاح ارمينية وأذربيجان
٥٧٣	ولاية عبدالله بن ابي سرح على مصر وفتح افريقية
٥٧٥	فتح قبرص
٥٧٧	ولاية ابن عامر على البصرة وفتوح فارس وخراسان
٥٨١	ولاية سعيد بن العاص الكوفة
٥٨٢	غزو طبرستان
٥٨٣	غزو حذيفة الباب وأمر المصاحف
٥٨٣	مقتل يزدجرد
٥٨٥	ظهور الترك بالثغور
٥٨٦	بدء الانتفاض على عثمان (رضي الله عنه)
٥٩٣	حصار عثمان ومقتله
٦٠٢	بيعة علي (رضي الله عنه)
٦٠٦	أمر الحمل
٦٢٢	انتفاض محمد بن ابي حذيفة بمصر ومقتله
٦٢٣	ولاية قيس بن سعد على مصر
٦٢٥	مبايعة عمرو بن العاص لمعاوية
٦٢٥	أمر صفين
٦٣٥	أمر الحكمين
٦٣٧	أمر الخوارج وقتلهم
٦٤١	ولاية عمرو بن العاص مصر
٦٤٣	دعاء ابن الحضرمي بالبصرة لمعاوية ومقتله
٦٤٤	ولاية زياد على فارس
٦٤٤	فراق ابن عباس لعلي (رضي الله عنهم)
٦٤٥	مقتل علي
٦٤٨	بيعة الحسن وتسليمه الامر لمعاوية
٦٥٢	الخبر عن الدول الإسلامية